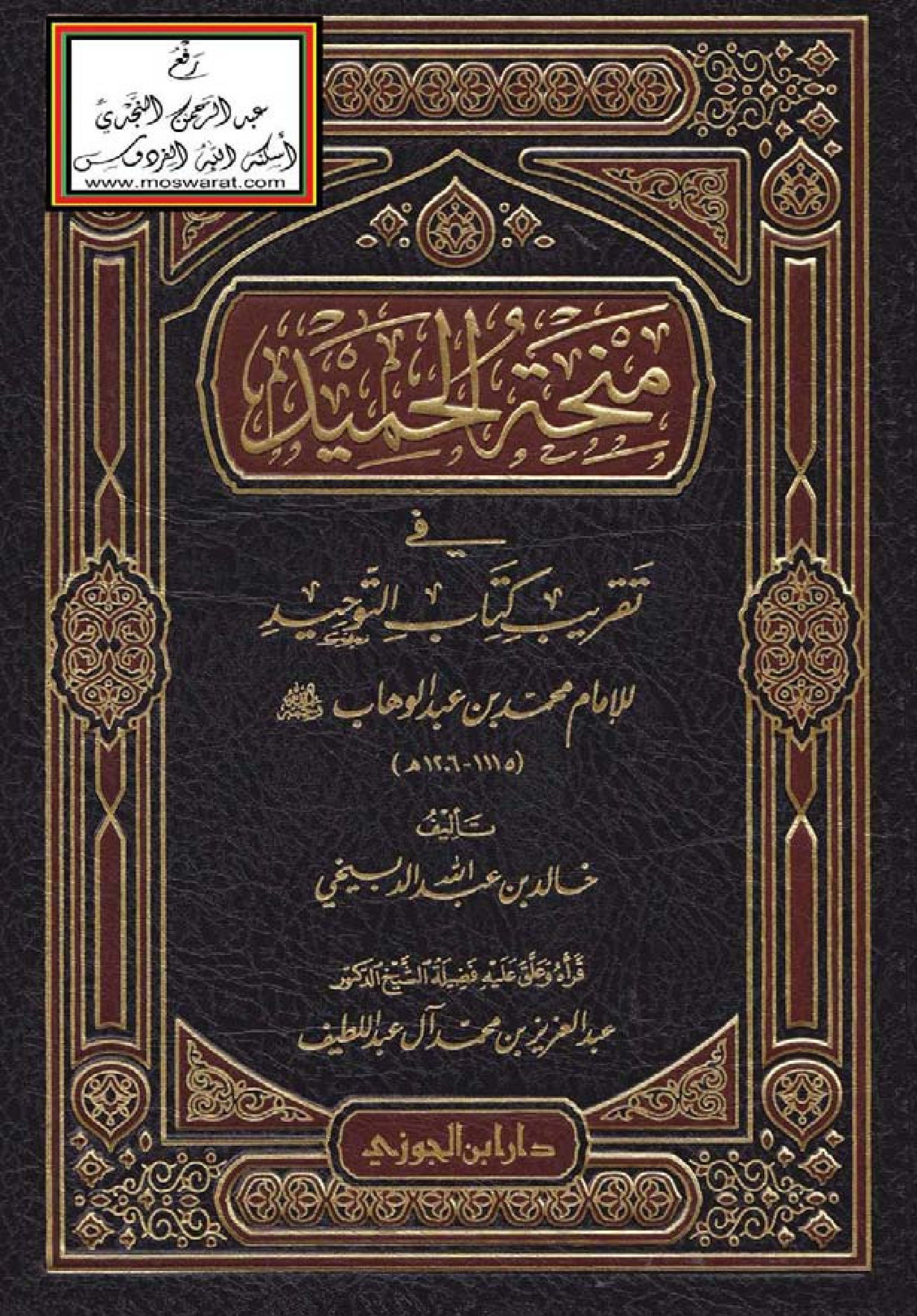
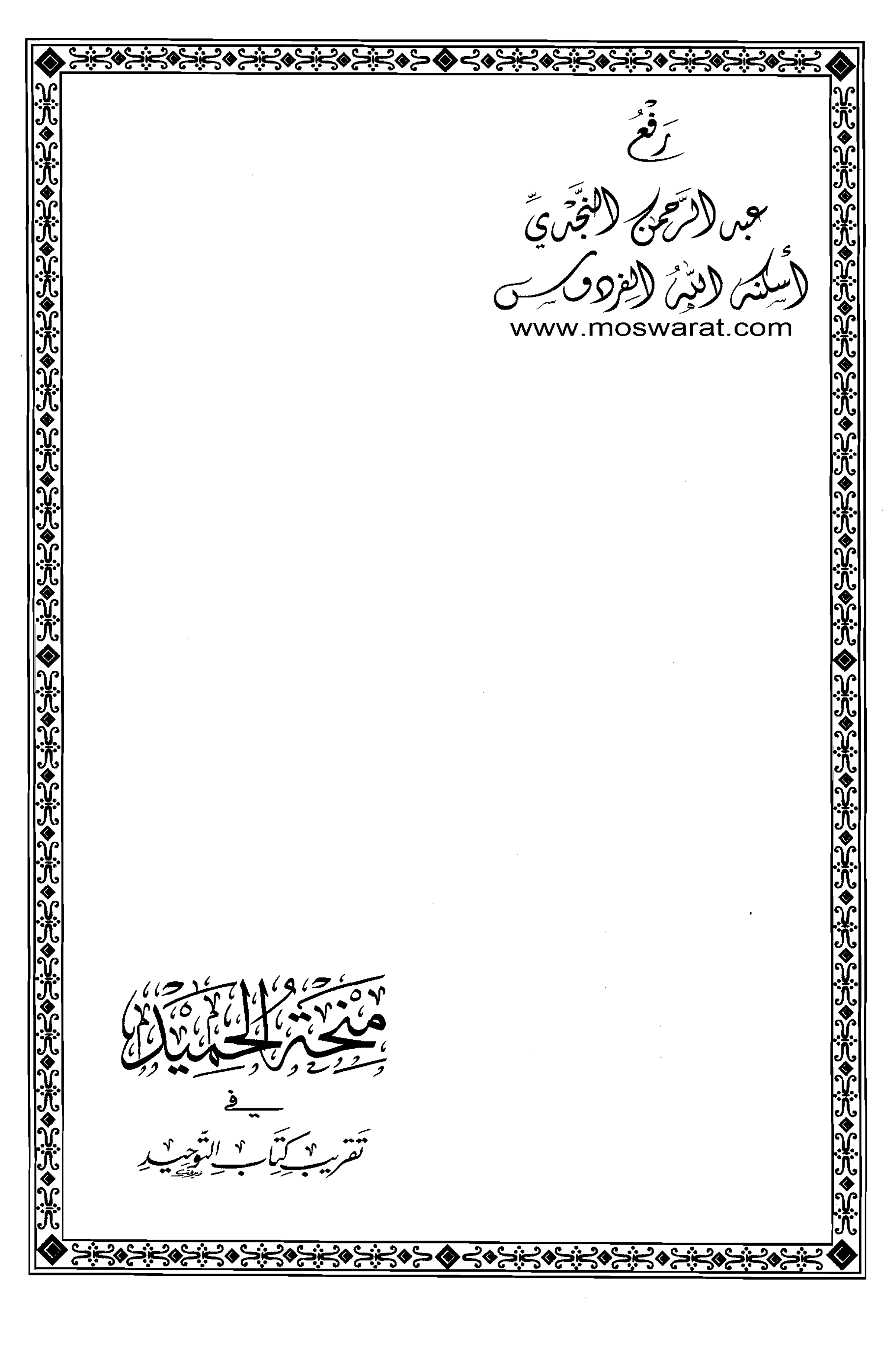
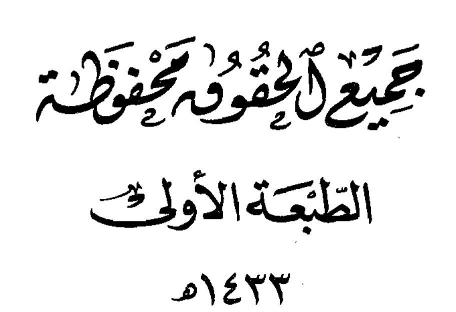


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
منحة الحميد
في
تقريب كتاب التوحيد
للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
(١١١٥-١٢٠٦هـ)
تأليف
خالد بن عبد الله الدبيخي
قرأه وعلق عليه فضيلة الشيخ الدكتور
عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
دار ابن الجوزي



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
منحة الحميد
في
تقريب كتاب التوحيد



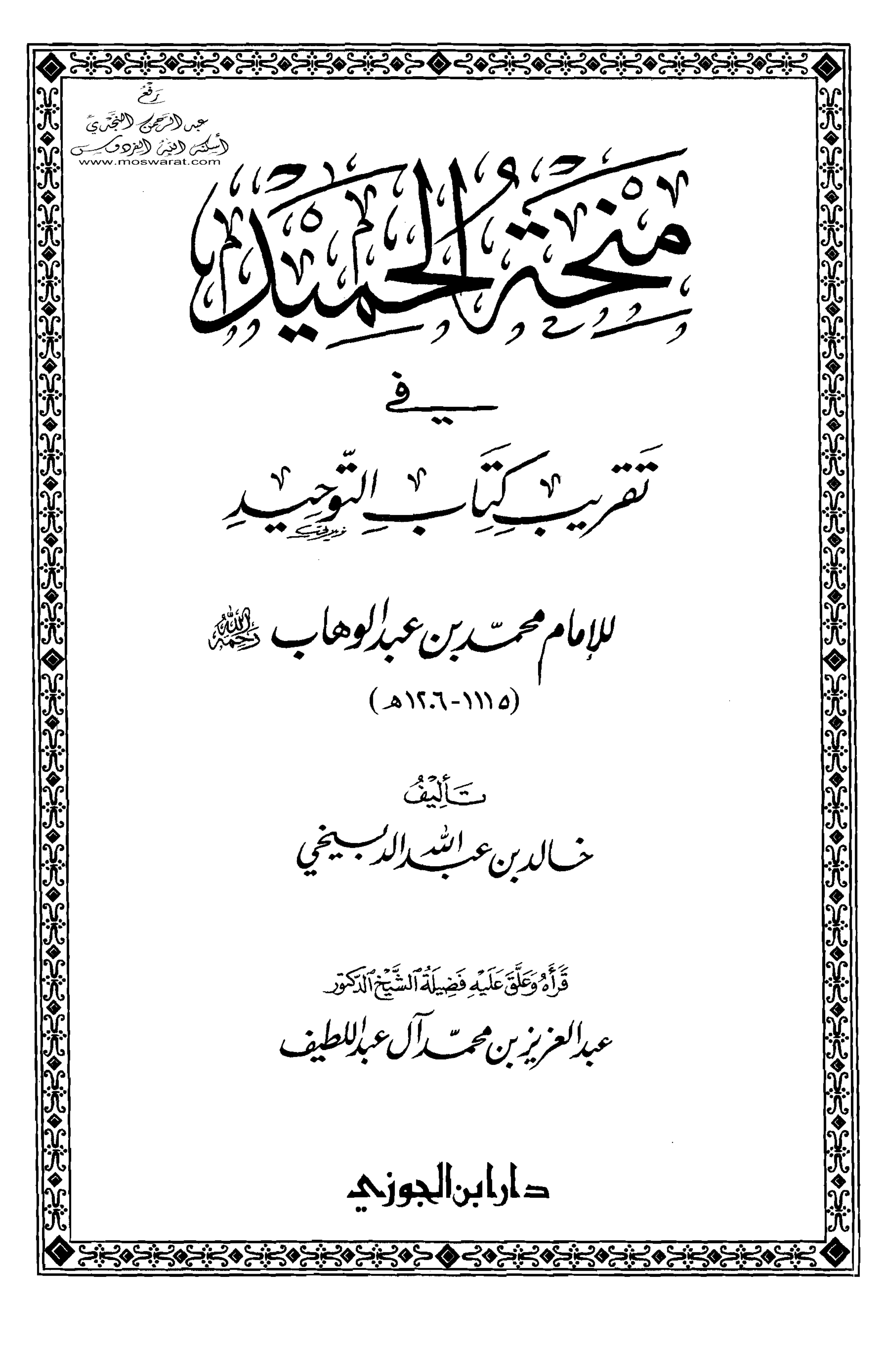


دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - طريق الملك فهد - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣، ص ب: ٢٩٨٢
الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - **الرياض** - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨ - جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الإحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - **جدة** - ت: ٦٣٤١٩٧٣ - ٦٨١٣٧٠٦ - ٠٥٦٣٤٧٦٣٨٨ - **بيروت** - هاتف: ٨٦٩٦٠٠/٠٣ - فاكس: ٦٤١٨٠١/٠١ - **القاهرة** - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠ - **الإسكندرية** - ٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - البريد الإلكتروني:


aljawzi@hotmail.com - www.aljawzi.com



منحة الحميد

في

تقريب كتاب التوحيد

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

(١١١٥-١٢٠٦هـ)

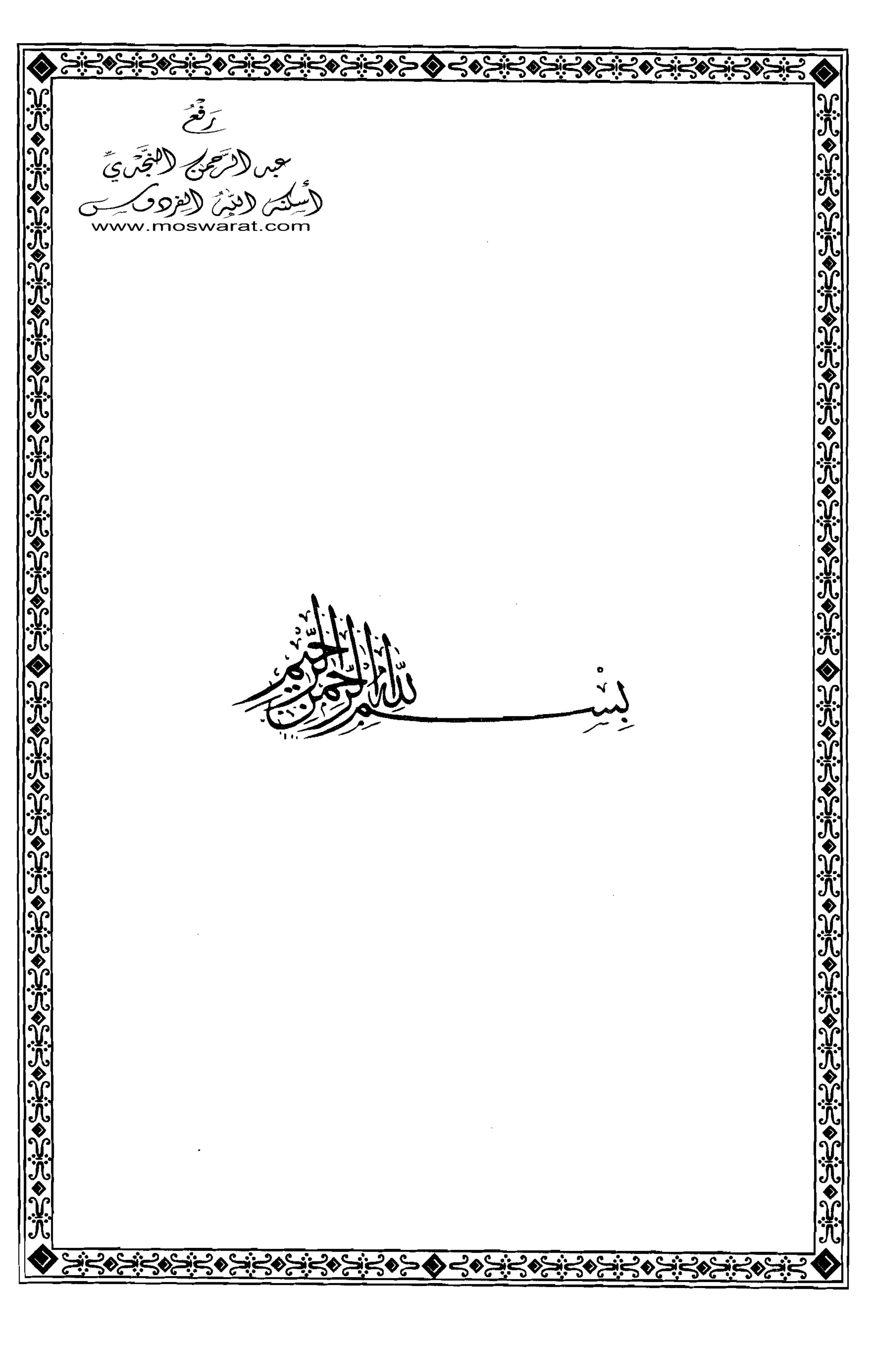
تأليف

خالد بن عبد الله الدبيخي

قرأه وعلق عليه فضيلة الشيخ الدكتور

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

دار ابن الجوزي



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، معبود الموحدين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ:

فأتشرَّف أن أضع بين يديك أيها القارئ تقريباً لكتاب التوحيد، سائراً في شرحه على قول الأصفهاني حيث قال:

ألا فاعلمن أن التآليفَ سبعةٌ لكل لبيبٍ في النصيحة خالصِ
فشرحٌ لإغلاقٍ وتصحيحُ مخطئٍ وإبداعُ حبرٍ مقدمٍ غير ناكصِ
وترتيبُ منثورٍ وجمعُ مُفرَّقٍ وتقصيرُ تطويلٍ وتتميمُ ناقصِ

ولما لكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، من المنزلة الرفيعة، والطريقة المبتكرة العظيمة، والمادة العلمية الأصيلة، والشروح المباركة الكثيرة، والتعليقات المحقَّقة الجليلة؛ رأيت أن أنظم كل ما قاله الأصفهاني في عقد واحد أُزين فيه كتاب التوحيد؛ لأتشرف بتقريبه وتسهيله لكل من رام الاستفادة والإفادة، مع اعترافي بأني قصير الباع، قليل الاطلاع، ليس لي إلا الانتقاء والاختيار من كلام العلماء الأخيار.

ورأيت أن أُسميه بـ «**منحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد**».

وفي الختام أهمس في أذنيك أيها القارئ الكريم بما ختم به ياقوت الحموي مقدمة كتاب له حيث قال: إنما تصدَّيت لجمع هذا الكتاب لفرط الشغف والغرام، والوجد بما حوى والهيام، لا لأحد

أجتديه، ولا لصدر أرتجيه[١]، غير أني راغب إلى الناظر فيه، أن يترحَّم عليّ، ويعطف جِيد دعائه إليّ، فذلك ما لا كلفة فيه عليه، ولا ضرر يرجع به إليه، فربما انتفعت بدعوته، وفزت بما قد أمن هو من معرَّته. اهـ.

وراغب كذلك من قارئنا الكريم إذا بدا له بين صفحات هذا الكتاب زلة قلم أو نبوة فهم، أن يُراسلني مأجوراً مشكوراً، فالأذن مصغية، والصدر منشرح؛ لأن ما يخطه الكاتب عرضة للخطأ والتقصير[٢].

ولا أنسى أن أبيّن للقارئ أن كتابنا قائم على أسلوب الإيجاز، والإيجاز ملاكه الأناة والفطنة. فإذا قرأته قراءة العجلان، لا تضافر منه إلا بقبس العَجلان.

﴿١﴾ قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): ومتى نظر العامل إلى التفات القلوب إليه فقد زاحم الشرك نيته؛ لأنه ينبغي أن يقنع بنظر من يعمل له، ومن ضرورة الإخلاص ألا يقصد التفات القلوب إليه، فذاك يحصل لا بقصده بل بكراهته لذلك... فأما من يقصد رؤية الخلق بعمله فقد مضى العمل ضائعاً؛ لأنه غير مقبول عند الخالق ولا عند الخلق؛ لأن قلوبهم قد التفتت عنه، فقد ضاع العمل، وذهب العمر. اهـ. صيد الخاطر (١٢٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ما لا يكون بالله لا يكون، وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم. اهـ. الفتاوى (٣/ ١٢٤).

﴿٢﴾ قال إبراهيم المزني (ت٢٦٤هـ): لو عورض كتاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتابٌ صحيحٌ غير كتابه. وقال معمر بن راشد (ت١٥٤هـ): لو عُورض الكتابُ مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط أو قال خطأ. وقال ابن القيم (ت٧٥١هـ): والمصنف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سنَّة الله في عباده جزاءً وثواباً، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً وعمله كله صواباً، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ونطقه يوحى... اهـ. جامع بيان العلم وفضله «لابن عبد البر» (١/ ٩٣)، موضح أوهام الجمع والتفريق «للبغدادي» (١/ ١٤)، روضة المحبين (١٥).

والله أدعو أن يجعل انتفاعك بقراءته، كفاء ما بذلت من الجهد والإخلاص في كتابته، وأن يبارك فيه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزي كل من استفدت منه من أئمة المسلمين وعلمائهم خير الجزاء، وأن يكون موصلاً من سعى فيه إلى جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه
خالد بن عبد الله بن حمد الدبيخي
k.dubikhi@hotmail.com

قال إمام الدعوة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

﴿١﴾ لإخراج المتن بصورة صحيحة، فقد رجعت لمخطوطة موجودة في مكتبة جامعة الملك سعود ذات الرقم العام (٨٢)، ورجعت كذلك لكتاب التوحيد الموجود ضمن مجموعة التوحيد التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق عبد العزيز بن عبد الرحمٰن السعيد وغيره، ورجعت كذلك لتحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد للعجيلي بتحقيق حسن العواجي؛ لأنه أعتمد في تحقيقه على عدة نسخ خطية ومطبوعة، ورجعت لفتح المجيد بتحقيق الوليد الفريان؛ لأنه اعتمد على عدة نسخ خطية ومطبوعة، ورجعت لغير ذلك من شروح التوحيد.

وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

وقوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ الآية».

وعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم؟ قال: حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يُعذِّبَ من لا يشركَ به شيئاً. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشِّر الناسَ؟ قال: لا تُبشِّرْهم فيتَّكلوا». أخرجاه في الصحيحين.

○ فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس. الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه. الثالثة: أن من لم يأتِ به لم

يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾. الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل. الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمّة. السادسة: أن دين الأنبياء واحد. السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾. الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبِدَ من دون الله. التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثمانية عشر مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾. الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمَّى: آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾. الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته. الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا. الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه. الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة. السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة. السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يُسره. الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله. التاسعة عشرة: قول

المسؤول عما لا يعلم: « الله ورسوله أعلم». العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادي والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه. الثاني والعشرون: جواز الإرداف على الدابة. الثالث والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل. الرابع والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

۞ ۞ ۞

الشَّرح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

كتاب ﴿٢﴾ التوحيد ﴿٣﴾ ﴿٤﴾

....

﴿١﴾ قال الشرّاح: اكتفى المصنف بالبسملة؛ لأن التوحيد الذي سيبيِّنه المؤلف هو توحيد الله، وتوحيد الله بيَّنه الله في القرآن، فكان من الأدب في مقام التوحيد ألا يجعل فاصلاً بين الحق، والدال على الحق، وكلام الدال عليه، فالحق الذي لله هو التوحيد، والذي دل على هذا الحق هو الله، والدليل عليه هو كلامه وكلام رسوله، كما هو صنيع البخاري حيث لم يجعل خطبة لصحيحه، وهذا من الأدب حيث لم يقدم كلامه على كلام رسول الله. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥). أو لأن البسملة من أبلغ الثناء والذكر؛ فلذا اقتصر عليها. فتح المجيد (١/ ٦٩). وذكر عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ) أن لكتاب التوحيد خطبة، حيث قال: عندي نسخة بخط المؤلِّف فيها أنه بدأ هذا الكتاب بقوله: الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد. اهـ. فتح المجيد (١/ ٧٠).

﴿٢﴾ الكتاب: بمعنى مكتوب؛ أي: مكتوب بالقلم، أو بمعنى مجموع من قولهم: كتيبة، وهي المجموعة من الخيل. وفي الاصطلاح: يطلق على ما يكتب من الألفاظ المتناولة لمعانٍ متناسبة. ويطلق على جملة من العلم، يشتمل غالباً على أبواب وفصول ومسائل.

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): والألف واللام في التوحيد للعهد الذهني. اهـ. التيسير (٣٥). قال عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ: «كتاب التوحيد» المراد بالتوحيد: توحيد العبادة. اهـ. قرة عيون الموحدين (٥).

﴿٤﴾ **التوحيد لغة**: مشتق من وحَّد الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وحَّد =

. . . .

= يوحِّد؛ أي: جعل الشيء واحداً.اهـ.

واصطلاحاً: قال السعدي (١٣٧٦هـ): التوحيد المطلق: العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحُّده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة.اهـ. القول السديد (١٨). والعبادة: ما أمر به شرعاً من غير اطراد عُرفي ولا اقتضاء عقلي. قال ابن قاسم (ت١٣٩٣هـ): قاله الفخر وأبو البقاء وغيرهما؛ أي: ليست العبادة ما درج عليه عُرف الناس وما اقتضته مقاييسهم وعقولهم، وفيه قصور، والتعريف الجامع المانع الشامل قول شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، والذكر، والدعاء، والمحبة والخشية، والإنابة، وغير ذلك، وقال أيضاً: هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسن رسله.اهـ. حاشية الروض المربع «لابن قاسم» (١/٤١). قال المقريزي (٨٤٥هـ): فإن حقيقة التوحيد: أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى.. ولباب التوحيد: أن ترى الأمور كلها من الله تعالى، ثم يقطع الالتفات عن الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره.اهـ. تجريد التوحيد المفيد (٣٨، ٣٩). قال عبد اللطيف بن حسن: ولا تسمى عبادة، إلا مع التوحيد ـ قال ابن عباس: «ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله إنما يراد به التوحيد». انتهى.اهـ. الدرر السنية (٢/٣١٨). وقال ابن القيم في نونيته (٢/٢١٨):

ليس العبادة غير توحيد المحبـ ـة مع خضوع القلب والأركان

أقسام التوحيد:

للعلماء والشرّاح مسالك في تقسيم التوحيد المبني على استقراء النصوص الشرعية وكلام المتقدمين من أهل العلم:

المسلك الأول: أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله.

٢ ـ توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العباد.

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات: وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته.

وقد ذكر هذا التقسيم ابن بطة العكبري، وابن منده، وابن القيم، وابن أبي العز، والسفاريني، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب، وسليمان بن عبد الوهاب، =

....

= وعبد الرحمٰن بن حسن، وابن عتيق، وغيرهم.
المسلك الثاني: أنه ينقسم إلى قسمين:
١ ـ توحيد المعرفة والإثبات، ويشمل توحيد الربوبية والأسماء والصفات.
٢ ـ توحيد الطلب والقصد، ويشمل توحيد الألوهية.
وقد ذكر هذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز، وصدِّيق حسن خان، وعبد الرحمٰن بن حسن، وغيرهم.
المسلك الثالث: أنه ينقسم إلى قسمين:
١ ـ توحيد الربوبية، ويشمل توحيد الأسماء والصفات.
٢ ـ توحيد الألوهية.
وقد ذكره ابن تيمية، والمقريزي، وإمام الدعوة.
الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٠٥)، الإبانة (٢/ ١٧٢)، الفتاوى (١٠/ ٥٤، ٣٣١)، المدارج (١/ ٦٣١)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤)، تجريد التوحيد (٤٥)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨)، تيسير العزيز الحميد (٣٥)، فتح المجيد (١/ ٧٩)، إبطال التنديد (١٦)، الدرر السنية (٢/ ١٢٥).
📖 ما قيل في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب من الثناء:
قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): هو كتاب فرد في معناه، لم يسبقه إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق. اهـ. التيسير (١٩ ـ ٢٠).
قال عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٣٨٥هـ): وقد جمع هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر، وكذلك الرد على أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع، فتدبره تجد ذلك بيناً. اهـ. قرة عيون الموحدين (٥٠).
وقال العلامة المؤرخ ابن بشر (١٢٩٠هـ): ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه، فإنه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد. اهـ. عنوان المجد ( ).
قال ابن سحمان (١٣٤٩هـ):

قد ألّف الشيخ في التوحيد مختصراً ... يكفي أخا اللُّب إيضاحاً وتبيانا
مضمِّناً كل باب من تراجمه ... من النصوص أحاديثاً وقرآنا
فاشدد يديك بهذا الأصل معتصماً ... يورثك فيما سواه الله عرفانا
وانظر بقلبك في مبنى تراجمه ... تلقى هنالك للتحقيق عنوانا =

. . . .

= وللمسائل فانظر تلقها حكماً   يزداد منهن أهل العلم إتقانا

وقال الشيخ سليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ): كتاب التوحيد بديع الوضع، عظيم النفع، لم أرَ من سبقه إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله، فكل باب منه قاعدة من القواعد يبني عليه كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه ديناً، فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألّفه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذاك الداء كالدواء النافع. اهـ. الدر النضيد شرح كتاب التوحيد (٥).

ـ موضوع كتاب التوحيد:

قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٣٨٥هـ): «فموضوعه في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه». اهـ. فتح المجيد (١/ ٦٧).

وقال السعدي (١٣٧٦هـ): هذا الكتاب يشتمل على توحيد العبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه وثمراته ومقتضياته، وما يزاد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم ويكمل. اهـ.

وقال عبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ): موضوع الكتاب «كتاب التوحيد»؛ أي: كتاب يذكر فيه التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، ويذكر فيه الشرك المنافي للتوحيد، أو الشرك المنافي لكمال التوحيد، ويذكر فيه الذرائع الموصلة للشرك، ويذكر فيه البدع القادحة في التوحيد، ويذكر المعاصي المنقصة لثواب التوحيد. اهـ.

📖 هذا الباب وما بعده من الأبواب الخمسة القادمة هي مقدمة افتتح بها المصنف كتاب التوحيد، قال ابن جبرين ـ معلقاً على باب تفسير التوحيد ـ: هذا الباب هو آخر المقدمة؛ لأنه سيشرع في ذكر الأمور الشركية التي تنقض التوحيد. اهـ.

فنجد المصنف في الباب الأول: شرع في ذكر ما سوف يتكلم عنه وهو توحيد العبادة، وحكمه، قال الشيخ صالح الفوزان: لاحظوا دِقّة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «كتاب التّوحيد، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾» ليُبيّن لكم ما هو معنى التّوحيد؟ بأن التّوحيد معناه: إفراد الله بالعبادة. اهـ. إعانة المستفيد (١/ ٢٤). وقال ابن قاسم ـ معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ـ: دلت على أن التوحيد هو أوجب الواجبات، وأن الشرك أعظم =

. . . .

= المحرمات. وفيها تفسير التوحيد، وأنه عبادة الله وحده وترك الشرك.اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٣).

وفي الباب الثاني: ذكر المصنف فضل التوحيد بعد أن بيَّن مقصوده بالتوحيد وبيان حكمه، قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ولما ذكر معنى التوحيد، ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب؛ ترغيباً فيه، وتحذيراً من الشرك.اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٣). وقال السعدي: لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد ذكر هنا فضله، وآثاره الحميدة، ونتائجه الجميلة.اهـ. القول السديد (٢٥)، وقال الشيخ صالح الفوزان: وهذا التصنيف بين البابين في غاية الحكمة؛ مما يدل على دقة فهمه رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه لو ذكر فضل التّوحيد قبل أن يبيّن معنى التّوحيد لم يكن ذلك مناسباً، فلا بد أن تُبيّن حقيقة الشيء ومعناه، ثم بعد ذلك تبين فضله، أما أن تذكر الفضائل لشيء غير معروف، فهذا لا يُجْدِي شيئاً.اهـ. إعانة المستفيد (١/ ٥٤).

وفي الباب الثالث: أفرد المصنف فضيلة من فضائل التوحيد وهي دخول الجنة بغير حساب، بعد أن بيَّن شيئاً من فضائله؛ ليبين أن أهل التوحيد على مراتب، وأن أعلاهم من حقق التوحيد؛ وذلك بتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي. قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: وفيه مسائل ـ أي: باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ـ **الأولى**: معرفة مراتب الناس في التوحيد. **الثانية**: ما معنى تحقيقه.اهـ. وقال العلامة ابن عثيمين: هذا الباب كالمتمم للباب الذي قبله، فمن فضله هذا الفضل العظيم الذي يسعى إليه كل عاقل، وهو دخول الجنة بغير حساب.اهـ.

وفي الباب الرابع: حذر المصنف من الشرك؛ لخفائه وخطورته على الموحد. قال ابن قاسم: لما ذكر التوحيد وفضله وتحقيقه ناسب أن يذكر الخوف من ضده وهو الشرك، ليحذره المؤمن ويخافه على نفسه.اهـ. حاشية ابن قاسم (٤٨).

وفي الباب الخامس: ذكر المصنف أن من عرف التوحيد واعتقده فعليه الدعوة إلى التوحيد، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ): فيه مسائل ـ أي: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله ـ: **الأولى**: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ.اهـ. وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): لما ذكر توحيد الإنسان بنفسه ذكر دعوة غيره إلى ذلك؛ لأنه لا يتم الإيمان إلا إذا دعا إلى التوحيد، قال تعالى: =

وقول الله تعالى﴿١﴾: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٢﴾ (٥٦)﴾

= ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر].اهـ. القول المفيد (١/ ١١٧). وبنحوه قال السعدي. القول السديد (٢٥).

وفي الباب السادس: بيَّن المصنف أن التوحيد هو إثبات العبادة لله ونفي كل ما يضاده من أنواع الشرك الأكبر والأصغر، وما يوصل إليه، وأنه سيشرع في بيان التوحيد بذكر أمثلة توضحه بما يوافقه وما يخافه. قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): بيَّن رَحِمَهُ اللهُ، في هذا الباب أنه ـ التوحيد ـ ليس اسماً لا معنى له، أو قولاً لا حقيقة له، بل التوحيد اسم لمعنى عظيم، وقول له معنى جليل هو أجل من جميع المعاني، وحاصله هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله، والآيات في هذا كثيرة تبين أن معنى لا إلٰه إلا الله هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد، وإفراد الله بالعبادة، فهذا هو الهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، أما قول الإنسان: «لا إلٰه إلا الله» من غير معرفة لمعناها ولا عمل به، أو دعواه أنه من أهل التوحيد وهو لا يعرف التوحيد بل ربما يخلص لغير الله من عباداته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والإنابة وغير ذلك من أنواع العبادات، فلا يكفي في التوحيد، بل لا يكون إلا مشركاً والحالة هذه كما هو شأن عبَّاد القبور.اهـ. التيسير (١٠٨). وقال عبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ): ثم ذكر تفسير التوحيد الذي هو حقيقة شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمد رسول الله، وأن مجرد النطق بها لا ينفع؛ لأن كثيراً من المنافقين ينطقون بها ولا ينتفعون بها؛ لأنهم يأتون بما يخالفها.اهـ. وقال العلامة ابن باز (١٤٢٠هـ): بيّن المؤلف هنا تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بما يوافق لفظها وبما يضادها.اهـ. التعليق المفيد لابن باز (٥٧).

﴿١﴾ الواو هذه عاطفة، والعطف على نية تكرار العامل، فكأنه قال: وكتاب قول الله تعالى. وإذا قلنا: أنها استئنافية ضممنا ورفعنا القول «وقولُ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾. فتح المجيد (١/ ٨٤).

﴿٢﴾ اللام في قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ هي: لام كي، وهي لام التعليل. قال عبد الله بن حميد (ت١٤٠٢هـ): اللام لام التعليل؛ لكن لا يلزم أنهم يعبدونه، فهو فعل الأول وهو خلقهم وإيجادهم لا ليفعل بهم كلهم الثاني وهو العبادة؛ ولكن ليفعلوا هم الثاني، وهو مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].اهـ. =

. . . .

= وهذه اللام ينكرها الأشاعرة؛ لأنهم ينفون أن الله ﷻ يفعل الفعل لعلة وحكمة.

ـ يُشكل على قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩] حيث إن علة الخلق فيها هي الاختلاف؛ لأن اللام في ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ للتعليل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، والألوسي.

والجواب: أن الآية الأولى الإرادة فيها إرادة شرعية دينية، وهي التي بمعنى: المحبة التي لا يتعين فيها وقوع المراد، وأما الآية الثانية فالإرادة فيها إرادة كونية قدرية، وهي التي بمعنى: المشيئة التي يتعين فيها وقوع المراد، وبهذا قال الزجاج، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والشنقيطي. الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٣٩)، روح المعاني (١١/ ٢٤٦)، دفع إيهام الاضطراب (٣٠٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): مشيئة الله العامة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى [هود]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية وأمره بموجباتها فذلك مذكور في قوله [الذاريات]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.اهـ. أمراض القلوب (١/ ٦٠). وقال ﵀: وعلى هذا فيجوز أن يقال: إن الله إنما خلق الجن والإنس ليعبدوه، فإنه هذا هو الغاية التي أرادها منهم بأمره وبها يحصل محبوبه وبها تحصل سعادتهم ونجاتهم وإن كان منهم من لم يعبده ولم يجعله عابداً له إذا كان في ذلك الجعل تفويت محبوبات أخر هي أحب إليه من عبادة أولئك وحصول مفاسد أخر هي أبغض إليه من معصية أولئك. ويجوز أيضاً أن يقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، فإنه أراد بخلقهم ما هم صائرون إليه من الرحمة والاختلاف، ففي تلك الآية ذكر الغاية التي أمروا بها وهنا ذكر الغاية التي إليها يصيرون، وكلاهما مرادة له، تلك مرادة بأمره والموجود منها مراد بخلقه وأمره، وهذه مرادة بخلقه والمأمور منها مراد بخلقه وأمره.اهـ. درء التعارض (٤/ ٣٣٢).

والعبادة: ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي. قال ابن قاسم: قاله الفخر وأبو البقاء وغيرهما؛ أي: ليست العبادة ما درج عليه عرف الناس وما اقتضته مقاييسهم وعقولهم، وفيه قصور، والتعريف الجامع المانع الشامل، قول شيخ الإسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال =

. . . .

= الظاهرة والباطنة؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، والذكر، والدعاء، والمحبة والخشية، والإنابة، وغير ذلك، وقال أيضاً: هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسن رسله.اهـ. حاشية الروض المربع لابن قاسم (١/ ٤١).

وتنقسم العبادات إلى:

١ ـ عبادات محضة: وهي كل فعل لا يعلم إلا من الشارع.

٢ ـ وعبادات غير محضة: وهي الأفعال والأقوال التى ليست عبادات من أصل مشروعيتها؛ ولكنها تتحول بالنية الصالحة إلى عبادات.

الفتاوى (١/ ١٤٩)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ١٥٤). مختصر الفتاوى المصرية (٢٨).

وللعبادة ثلاثة أركان: «المحبة والرجاء والخوف». وقد سمَّاها شيخ الإسلام ابن تيمية بمحركات القلوب. الفتاوى (١/ ٩٥٥).

ولها شرطان: «الإخلاص والمتابعة».

منفعة العبادة وحكمتها: قال المقريزي (٨٤٥هـ): واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقاً أربعة وهم في تلك **أربعة أصناف**:

الصنف الأول: نفاة الحِكَم والتعليل، الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة، وصرف الإرادة، فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن تكون سبباً لسعادة في معاش ولا معاد ولا سبباً لنجاة، وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة، كما قالوا في الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به، ولا لحكمة تعود إليه منه، وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس في النار سبب للإحراق، ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد. ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة، وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها، ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف؛ أي: كلفوا بها ولو سمى مدعي محبة ملك من الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفاً لم يعد محباً له، وأول من صدرت عنه هذه المقالة «الجعد بن درهم».

الصنف الثاني: القدرية. النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه، بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته، فعندهم أن العبادات شُرعت أثماناً لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وأنها بمنزلة استيفاء =

[الذاريات: ٥٦] ﴿١﴾ .

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٢﴾﴾ ....

= الأجير أجره، قالوا، ولهذا يجعلها ﷻ عِوضاً كقوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الصنف الثالث: الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبُعية والبهيمية. وهذا يقوله طائفتان: **إحداهما**: من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار. **والطائفة الثانية**: من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة، فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد.

والصنف الرابع: هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسبب، فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنيٌّ على معرفة حقيقة الإلـٰهية ومعنى كونه ﷻ إلهاً وأن العبادة موجب الإلـٰهية وأثرها ومقتضاها، وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع، والإحسان بالرحمة، والإعطاء بالجود. اهـ. وهؤلاء هم أهل السُّنَّة والجماعة، وهم الذين وفقوا للحق. تجريد التوحيد (٩٣ ـ ١٠٠).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب**، أن هذه الآية في بيان التوحيد، ووجه ذلك: أن السلف فسروا قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ بمعنى: إلا ليوحدون، ودليل هذا الفهم: أن الرسل إنما بعثت لأجل التوحيد، أعني: توحيد العبادة، فقوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ يعني: إلا ليوحدون. اهـ. وهذا هو قصد إمام الدعوة بهذه الآية حيث قال في مسائل الباب: الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١١).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨هـ): الطاغوت: فعلوت من الطغيان. اهـ. والواو والتاء يؤتى بهما للمبالغة كما في جبروت وملكوت ورحموت، وهو مشتق من الغليان يقال: غلى القدر إذا طاش، والمراد مجاوزة الحد، فكل من تجاوز الحد يقال: غلا فيما أُمر به، ويقال: طغى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾.

قال ابن القيم (ت٧٥١هـ): الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون =

[النحل: ٣٦] ﴿١﴾.

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] ﴿٢﴾.

وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] ﴿٣﴾.

= أنه طاعة. اهـ. إعلام الموقعين (١/ ٥٠).

قال شيخ الإسلام: فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهاً لذلك: طاغوت؛ ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: «**ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت**». والمطاع في معصية الله والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق ـ سواء كان مقبولاً خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله ـ هو طاغوت؛ ولهذا سُمي من تحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت. اهـ. الفتاوى (٢٨/ ٢٠١).

ومعنى مجاوزة العبد به حده: أنه تعدى حَدَّ ذلك الشيء الذي توجه إليه وهو الحد الذي لم يأذن به الشرع مجاوزته له، فتوجهوا إليه بالعبادة أو اعتقاده فيه بعض خصائص الإلـٰهية من أنه يغيثه كيف ما شاء، ومن أنه يملك غوثه، ويملك الشفاعة له، أو أن يغفر له، وأن يعطيه، ويملك أن يقربه إلى الله ـ جل وعلا ـ ونحو ذلك مما لا يملكه المعبودون، فإن كل ذلك مجاوزته بذلك المتخذ عن الحد الذي جعل له في الشرع.

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال العلامة ابن عثيمين (ت١٤٢١هـ): إنها دالة على إجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى التوحيد، وأنهم أرسلوا به. اهـ. القول المفيد (١/ ٣٠).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال ابن قاسم (ت١٣٩٣هـ): اشتملت هذه الآيات على جملة الشرائع، وابتدأت بالتوحيد فدل على أنه أوجب الواجبات؛ إذ لا يبتدأ إلا بالأهم فالأهم، وختمت بالنهي عن الشرك، فدل على أنه أعظم المحرمات، وفيها معنى لا إلـه إلا الله، فإن قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ هو معنى لا إله، وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ هو معنى إلا الله. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٤).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال ابن قاسم: تسمى هذه الآية آية الحقوق العشرة؛ وذلك لأنها تضمنت عشرة حقوق، وابتدأت بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، فدلت على أن التوحيد هو أوجب الواجبات، وأن الشرك أعظم المحرمات. وفيها =

وقــولـــه: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾﴿١﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣]﴿٢﴾﴿٣﴾.

= تفسير التوحيد، وأنه عبادة الله وحده وترك الشرك، وهذا وجه مطابقتها للترجمة قاله حفيد المصنف. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٥).

﴿١﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فيها عمومان:

١ ـ المصدر المستكن في الفعل المضارع وهو نكرة وقد تسلط عليه نفي فأفاد العموم؛ أي: لا تشركوا بأي نوع من أنواع الشرك.

٢ ـ شيئاً نكرة، والنكرة في سياق النهي تفيد العموم، فالمعنى: لا يشرك لا ملَك ولا نبي ولا ولي. اهـ. التمهيد لشرح التوحيد.

﴿٢﴾ قال الوزير ابن هبيرة (ت٥٦٠هـ): الآيات اللواتي في الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ محكمات، وقد اتفقت عليها الشرائع، إنما قال في الآية الأولى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وفي الثالثة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ لأن كل آية يليق بها ذلك، فإنه قال في الأولى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، والعقل يشهد أن الخالق لا شريك له، ويدعو العقل إلى بر الوالدين، ونهى عن قتل الولد، وإتيان الفواحش؛ لأن الإنسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته، فكذلك هو ينبغي أن يجتنبها، وكذلك قتل النفس، فلما لاقت هذه الأمور بالعقل، قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ولما قال في الآية الثانية: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ والمعنى: اذكر لو هلكت فصار ولدك يتيماً، واذكر عند ورثتك، لو كنت الموروث له، واذكر كيف تحب العدل لك في القول. فاعدل في حق غيرك، وكما لا تؤثر أن يخان عهدك فلا تخن، فلاق بهذه الأشياء التذكر، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وقال في الثالثة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، فلاق بذلك اتقاء الزلل، فلذلك قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٦٤).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال ابن قاسم: ذكر سبحانه في هذه الآية جملاً من المحرمات، وابتدأها بالنهي عن الشرك، والنهي عنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، فدل على أن التوحيد أوجب الواجبات، وأن الشرك أعظم المحرمات، وهذا وجه مطابقتها للترجمة. اهـ. فـ«وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، هذا فيه تحريم الشرك، ومن لازم تحريم الشرك وجوب التوحيد؛ لأنه لا يتم تحريم الشرك ومنع الشرك والامتناع عن الشرك إلا بتحقيق التوحيد؛ لأنه إذا لم يتحقق التوحيد فالشرك حاصل؛ لأنه قد يقول قائل: إن الله حرم الشرك، لكن ما =

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه[١]، فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الآية».

أخرجه: الترمذي (٣٠٧٠)، من طريق محمد بن فضيل، عن داود الأودي، عن الشعبي «عامر بن شراحيل» عن علقمة بن قيس النخعي، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ضعفه: الترمذي[٢].

= أمر بالتوحيد في هذه الآية، في الآيات السابقة فيها تقرير التوحيد ونفي الشرك، كما تدل عليه كلمة التوحيد، لكن هنا ما في تقرير للتوحيد، فيه ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. نقول: لا يتصور انتفاء شرك إلا بإثبات التوحيد؛ لأنهما نقيضان لا ضدان؛ لأنه لا يوجد شخص لا مشرك ولا موحد، الشرك مع التوحيد نقيضان، إذا وجد أحدهما ارتفع الآخر، وليسا بضدين بمعنى أنهما قد يرتفعان ويحل محلهما غيرهما؛ لأن الفرق بين الضدين وبين النقيضين: أن الضدين لا يجتمعان لكن قد يرتفعان، السواد والبياض ضدان، ضدان لا يمكن أن يكون المحل أبيض أسود في آن واحد، لكن قد يرتفعان، قد يرتفعان فيكون المحل أصفر أو أخضر أو أحمر. لكن النقيضين لا يمكن أن يجتمعا ولا يمكن أن يرتفعا في آن واحد، والتوحيد والشرك من باب النقيض، فإذا وجد الشرك ارتفع التوحيد، إذا وجد التوحيد ارتفع الشرك؛ لأنهما نقيضان، ولذا قال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٦).

[١] ومعنى «عليها خاتمه» إما الإشارة على عظم شأنها وأهميتها، أو لأنها تشبه ما وصى به الله عز وجل فوصى بها رسوله ﷺ.

[٢] قال الترمذي (ت٢٧٩هـ): حسن غريب. وحسن غريب يطلقها الترمذي على الحديث الذي ليس بالقوي عنده، ويدل لذلك ما نقله ابن القيم وابن حجر عن الترمذي أنه قال عن حديث أنه حديث حسن، ثم قال الترمذي: وإنما لم نقل لهذا الحديث: صحيح؛ لأنه يقال: إن الأعمش دلس فيه.اهـ.

قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ): واعلم أن الترمذي خرَّج في كتابه الحديث =

. . . .

= الصحيح والحديث الحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف.اهـ.

وقال الذهبي (٧٤٨هـ): فلا يُغتر بتحسين الترمذي، فعند المحاققة غالبها ضعاف.اهـ.

وقال المعلمي (١٣٨٦هـ): الترمذي له اصطلاح في التحسين والتصحيح، وهو أن الحديث إذا روي من طريقين ضعيفين يسميه حسناً.اهـ.

وقال المعلمي في موضع آخر: . . . وهكذا جماعة من المتقدمين لا يغتر بتصحيحهم كالحاكم وابن حبان بل والترمذي لا سيما تحسينه.اهـ.

وقال بشار عواد: وكل حديث اقتصر على تحسينه الترمذي فهو معلول عنده، وقد تتبعت ذلك وعرفته بالدراسة والبحث والتقصي.اهـ.

وحسن غريب عند الترمذي هو بمعنى: حديث حسن، قال ابن رجب: الحديث الذي يرويه الثقة العدل، ومن كثر غلطه، ومن يغلب على حديثه الوهم، إذا لم يكن أحد منهم متهماً كله حسن بشرط أن لا يكون شاذاً للأحاديث الصحيحة، وبشرط أن يكون معناه قد روي من وجوه متعددة. . . وإن كان مع ذلك من رواية غيرهم من أهل الصدق الذين في حديثهم وهم وغلط ـ إما كثير أو غالب عليهم ـ فهو حسن، ولو لم يروَ لفظه إلا من ذلك الوجه؛ لأن المعتبر أن يروي معناه من غير وجه، لا نفس لفظه. وعلى هذا: فلا يشكل قوله: «حديث حسن غريب»، ولا قوله: «صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»؛ لأن مراده أن هذا اللفظ لا يعرف إلا من هذا الوجه؛ لكن لمعناه شواهد من غير هذا الوجه، وإن كانت شواهده بغير لفظه.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الحسن في اصطلاح الترمذي هو: ما روي من وجهين، وليس في رواته من هو متهم بالكذب، ولا هو شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة. فهذه الشروط هي التي شرطها الترمذي في الحسن؛ لكن من الناس من يقول: قد سمى حسناً ما ليس كذلك، مثل حديث يقول فيه: حسن غريب؛ فإنه لم يُرو إلا من وجه واحد وقد سماه حسناً. وقد أجيب عنه بأنه قد يكون غريباً لم يرو إلا عن تابعي واحد لكن روي عنه من وجهين فصار حسناً لتعدد طرقه عن ذلك الشخص وهو في أصله غريب. وكذلك الصحيح الحسن الغريب قد يكون لأنه روي بإسناد صحيح غريب، ثم روي عن الراوي الأصلي بطريق صحيح وطريق آخر؛ =

والأثر ضُعف لأمور:

١ ـ الاختلاف في تعيين داود الأودي[١].

= فيصير بذلك حسناً مع أنه صحيح غريب؛ لأن الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم، فإن كان صحيحاً من الطريقين فهذا صحيح محض، وإن كان أحد الطريقين لم تعلم صحته فهذا حسن، وقد يكون غريب الإسناد فلا يعرف بذلك الإسناد إلا من ذلك الوجه وهو حسن المتن؛ لأن المتن روي من وجهين؛ ولهذا يقول: وفي الباب عن فلان وفلان، فيكون لمعناه شواهد تبين أن متنه حسن وإن كان إسناده غريباً. وإذا قال مع ذلك: إنه صحيح؛ فيكون قد ثبت من طريق صحيح وروي من طريق حسن فاجتمع فيه الصحة والحسن، وقد يكون غريباً من ذلك الوجه لا يعرف بذلك الإسناد إلا من ذلك الوجه. وإن كان هو صحيحاً من ذلك الوجه فقد يكون صحيحاً غريباً، وهذا لا شبهة فيه، وإنما الشبهة في اجتماع الحسن والغريب. وقد تقدم أنه قد يكون غريباً حسناً ثم صار حسناً، وقد يكون حسناً غريباً كما ذكر من المعنيين. اهـ.

المعجم الأوسط، الفتاوى (١٨/ ٣٩)، علل الترمذي «لابن رجب» (١/ ٣٨٤)، النكت «لابن حجر» (١/ ٣٨٧)، رفع الاشتباه (١٥٧)، الثقات (٨/ ٢٢٦)، الكامل (٣/ ٤٥)، تهذيب الكمال (٨/ ٤١٢)، المغني في الضعفاء «للذهبي» (١/ ٩٨)، الكاشف (١/ ٣٨٠)، التهذيب (١/ ٥٧٣)، الحديث الحسن «للدريس» (١/ ١٦٦)، الحسن بمجموع الطرق (٤٩)، الدر النضيد (٢١).

[١] ذهب بعض أهل العلم إلى أن داود هو ابن عبد الله، وهو صنيع المزي (ت٧٤٢هـ)؛ حيث رمز لروايته عن الشعبي بـ«ت»، ولما ترجم لداود بن يزيد رمز لروايته عن الشعبي بـ«ق». ولما ترجم لابن فضيل رمز لروايته عن داود بن عبد الله الأودي بـ«ت»، ولم يرمز لروايته عن ابن يزيد شيئاً. وقيل: إنه داود بن يزيد ـ ضعيف ـ، ويدل على ذلك ما جاء في الأوسط للطبراني (١١٨٦) بأن داود هو داود بن يزيد؛ لكن في إسناده خالد بن يوسف السمتي، قال الذهبي: فيه تضعيف. وقال ابن عدي ـ لما ذكر له أحاديث ـ: لعل البلاء من أبيه يوسف فهو ضعيف. اهـ. وقال ابن حبان: يعتبر حديثه من غير روايته. اهـ. لكن تابع الحسن بن عرفة عند الحنائي في فوائده (٢٧١). ونسبه الدارقطني في الغرائب والأفراد إلى ابن يزيد حيث قال بعد هذا الحديث: تفرد به داود بن يزيد الأودي عن الشعبي، وتفرد به محمد بن فضيل عنه. اهـ. ونسبه الحافظ عبد العزيز بن محمد النخشبي إلى ابن يزيد حيث قال =

٢ ـ أن داود الأودي قد تفرد به، كما قال الطبراني، والدارقطني﴿١﴾.

٣ ـ أن كبار أصحاب الشعبي؛ كإسماعيل بن أبي خالد، ومطرف بن طريف، وزكريا بن أبي زائدة لم يرووه عن الشعبي﴿٢﴾.

٤ ـ غرابة إسناد هذا الأثر، كما قال الترمذي﴿٣﴾.

والخلاصة: أن الحديث وإن كان فيه كلام فإنه يُتساهل فيه؛ لأنه ليس مرفوعاً عن النبي ﷺ؛ وإنما هو من قول ابن مسعود ؓ موقوفاً عليه، والأئمة يتساهلون في الأحاديث الغير المرفوعة﴿٤﴾، وكذلك

= بعد هذا الحديث: هذا حديث حسن من حديث داود بن يزيد الأودي، عن أبي عمرو عامر بن شراحيل الشعبي، عن علقمة بن يزيد النخعي، عن عبد الله بن مسعود.اهـ. وصنيع الترمذي يدل كذلك على أنه ابن يزيد؛ لأنه قال: حسن غريب، وحسن غريب يطلقها الترمذي على الحديث الذي ليس بالقوي عنده، وداود بن يزيد ضعيف فلو كان ابن عبد الله لصحح الحديث.

﴿١﴾ قال الطبراني (٣٦٠هـ): لم يرو هذا الحديث عن الشعبي إلا داود.اهـ. وقال الدارقطني (ت٣٨٥هـ): تفرد به داود بن يزيد الأودي، وتفرد به محمد بن فضيل عنه.اهـ. قال ابن رجب: أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث ـ إذا تفرد به واحد وإن لم يرو الثقات خلافه ـ: إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلك علة فيه، اللَّهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه؛ كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً.اهـ.

المعجم الأوسط للطبراني (١٢٤٠)، أطراف الغرائب والأفراد (٣/ ١١٨)، شرح علل الترمذي (١/ ٣٢٥). الحنائيُّ الحديثَ في فوائده (٢٧١)

﴿٢﴾ العلل رواية عبد الله (١/ ٣٣٤)، سؤالات أبي داود (٣٥٩)، سؤالات الآجري (٣/ ١٨٢)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٢٥)، التهذيب (١/ ٢٤٤)، (١/ ٣٧٧)، (٥/ ٤٣٧).

﴿٣﴾ قال الترمذي (ت٢٧٩هـ): حسن غريب.اهـ. الترمذي (٣٠٧٢)، والمعجم الأوسط (١٢٤٠).

﴿٤﴾ قال الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) في «صدقة السمين»: ما كان من حديثه =

يتساهلون في الأحاديث إذا كانت في غير الأحكام والعقائد[١]، مع أن أحاديث داود بن يزيد ليست بشديدة الغرابة، كما قال ابن عدي[٢].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد

= مرفوعاً منكر، وما كان من حديثه مرسلاً عن مكحول فهو أسهل. اهـ.

وقال في «جويبر»: ما كان عن الضحاك فهو على ذلك أيسر، وما كان يسند عن النبي ﷺ فهي منكرة. اهـ.

وقال يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ): تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث... اهـ.

المعرفة والتاريخ (٢/ ١٧٤)، العلل لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٠)، العلل للدارقطني (١٤/ ١٩٢)، التهذيب (٢/ ١٢٤).

﴿١﴾ جاء ذلك عن الثوري (ت١٦١هـ)، وابن المبارك (١٨١هـ)، وابن عيينة (ت١٩٨هـ)، وابن مهدي (١٩٨هـ)، وابن معين (٢٣٢هـ)، وأحمد (ت٢٤١هـ)، والبزار (٢٩٢هـ)، والساجي (ت٣٠٧هـ)، وابن خزيمة (٣١١هـ)، وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، والحاكم (ت٣٧٨هـ)، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، وابن عبد البر (ت٣٦٣هـ)، والنووي (٦٧٦هـ). قال ابن مهدي: إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال، وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات تساهلنا في الأسانيد. اهـ. وقال أحمد: أحاديث الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حكم. اهـ.

صحيح ابن خزيمة (٤/ ٢٦٤)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٠، ٧/ ١٩٤)، علل ابن أبي حاتم (١/ ١٧، ٤٣٥)، المستدرك (١/ ٤٩٠)، التمهيد (١/ ١٠٣)، الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢٢)، دلائل النبوة «للبيهقي» (١/ ٣٤)، نصب الراية (٢/ ١١)، التهذيب (١١/ ٢٥٤)، الفتوحات الربانية (١/ ٨٢)، شرح علل الترمذي (١/ ٧٣)، التيسير (٨/ ٥٢٠).

﴿٢﴾ قال ابن عدي (ت٣٦٠هـ): ولداود الأودي أحاديث غير ما ذكرت صالحة ولم أرَ في أحاديثه منكراً يجاوز الحد إذا روى عنه ثقة، وداود وإن كان ليس بالقوي في الحديث فإنه يكتب حديثه ويقبل إذا روى عنه ثقة. الكامل (٣/ ٨٠).

على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم﴿١﴾ قال: حقُّ الله على العباد أن

﴿١﴾ وقوله: « الله ورسوله أعلم»:

فيه إشكال نحوي؛ لأن «أعلم» خبر عن اثنين، وهي مفرد؛ فيقال: إن اسم التفضيل إذا نوي به معنًى «من»، وكان مجرداً من أل والإضافة؛ لزم فيه الإفراد والتذكير.

وفيه أيضاً إشكال معنوي، وهو أنه جمع بين الله ورسوله بالواو، مع أن الرسول ﷺ لما قال له الرجل: «ما شاء الله وشئت، قال: **أجعلتني لله نداً؟!**». فيقال: إن هذا أمر شرعي، وقد نزل على الرسول ﷺ. وأما إنكاره على من قال: ما شاء الله وشئت؛ فلأنه أمر كوني، والرسول ﷺ ليس له شأن في الأمور الكونية. القول المفيد (٢/ ٢٩).

حكم قول: «الله ورسوله أعلم» بعد وفاة النبي ﷺ:

قال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): الرسول ﷺ عنده من العلوم الشرعية ما ليس عند القائل، ولهذا لم ينكر الرسول ﷺ على معاذ. بخلاف العلوم الكونية القدرية؛ فالرسول ﷺ ليس عنده علم منها. فلو قيل: هل يحرم صوم العيدين؟ جاز أن نقول: «الله ورسوله أعلم»؛ ولهذا كان الصحابة إذا أشكلت عليهم المسائل ذهبوا إلى رسول الله ﷺ فيبينها لهم، ولو قيل: هل يتوقع نزول مطر في هذا الشهر؟ لم يجز أن نقول: «الله ورسوله أعلم»؛ لأنه من العلوم الكونية. اهـ. القول المفيد (١/ ٣٤).

قال بكر أبو زيد (١٤٢٩هـ): الأصل أن يُقال: الله ﷻ أعلم؛ لأن النبي ﷺ لا يعلم إلا ما يعلمه الله به، وجملة الكلام في هذا الإطلاق في مقامين:

الأول: قول ذلك في حياة النبي ﷺ، كما يدل عليه حديث معاذ، فهذا من أدب الصحابة وحسن أدبهم في التعلم.

الثاني: قولها بعد وفاة النبي ﷺ، وقد جرى إطلاقها عند بعض أهل العلم، منهم ابن القيم، قال في نونيته:

والـلَّـه أعـلـم بـالـمـراد بـقـولـه ورسـولـه الـمـبـعـوث بـالـفـرقـان

لكن لم يحصل الوقوف على إطلاق الصحابة ﷺ لها بعد وفاته ﷺ، بل الظاهر خلافه. ومنه ما في تفسير آية البقرة: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] الآية. فعن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت؟ قالوا: «الله أعلم». فغضب عمر، فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم... رواه البخاري. ومن الجائز حمل كلام ابن القيم =

يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً﴿١﴾، وحقُّ العباد على الله﴿٢﴾ أن لا يعذب

= على إطلاق ذلك في مواطن التشريع، وأما ما سوى ذلك من المغيبات ومن أُمور الدنيا فلا، إلا ما أطلع الله رسوله عليه.اهـ. معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (٦٤).

قال عبد الله الدويش: قول المسؤول عما لا يعلم: «الله ورسوله أعلم» هذا في حياة النبي ﷺ، وأما بعد موته ﷺ فإن المسؤول إذا سئل عما لا يعلم فإنه يقول: الله أعلم، كما نبه على ذلك الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبا بطين.اهـ. التوضيح المفيد (٣٢).

• قال السعدي (١٣٧٦هـ): ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمونه: «الله أعلم»، وليس هذا بناقص لأقدارهم، بل هذا مما يزيد قدرهم، ويستدل به على كمال دينهم، وتحريهم للصواب. وفي توقفه عما لا يعلم فوائد كثيرة منها:

أ ـ أن هذا هو الواجب عليه.

ب ـ أنه إذا توقف وقال: الله أعلم، فما أسرع ما يأتيه علم ذلك من مراجعته أو مراجعة غيره.

ت ـ أنه إذا توقف فيما لا يعرف، كان دليلاً على ثقته وأمانته وإتقانه فيما يجزم به من المسائل، كما أن من عرف منه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم كان ذلك داعياً للريب في كل ما يتكلم به، حتى في الأمور الواضحة.

ث ـ أن المعلم إذا رأى منه المتعلمون التوقف فيما لا يعلم كان ذلك تعليماً لهم وإرشاداً لهذه الطريقة الحسنة، والاقتداء بالأحوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال. المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي (٧/ ٤٥٢).

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): وهذا التوحيد ـ النطق بالشهادتين ـ هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله.اهـ.

درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٥ ـ ٤٦٤، ٨/ ٣٥٧، ٩/ ٣ ـ ٦٦)، الفتاوى (١٦/ ٣٣٠، ٣٤٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٧٧)، تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥)، الفتح لابن حجر (١٣/ ٢٤٩).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): من الناس من يقول: للمخلوق على الخالق حق يعلم بالعقل، وقاس المخلوق على الخالق، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة وغيرهم، ومن الناس من يقول: لا حق للمخلوق على الخالق بحال، لكن =

من لا يشرك به شيئاً. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا ﴿١﴾

= يعلم ما يفعله بحكم وعده وخبره، كما يقول ذلك من يقوله من أتباع جهم والأشعري وغيرهما ممن ينتسب إلى السُّنَّة، ومنهم من يقول: بل كتب الله على نفسه الرحمة وأوجب على نفسه حقاً لعباده المؤمنين، كما حرم الظلم على نفسه لم يوجب ذلك مخلوق عليه، ولا يقاس بمخلوقاته بل هو بحكم رحمته وحكمته وعدله كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم، كما قال في الحديث الصحيح الإلٰهي: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. اهـ. الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢١٣، ٢١٧).

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان: وهذا القول هو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، وأما القول الأول فهو ضلال بيِّن، حيث لم يفرق قائله بين ما يجب على الخالق تعالى، وما يجب على المخلوق. اهـ. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٤٩).

﴿١﴾ النهي هنا ليس للتحريم؛ ولكن النهي هنا جاء للمصلحة. قال ابن حجر ـ معلقاً على ما رواه البخاري (١٢٩)، من حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة**» قال: ألا أبشر الناس؟ قال: «**لا، إني أخاف أن يتكلوا**» ـ: معنى التأثم التحرج من الوقوع في الإثم وهو كالتحنث، وإنما خشي معاذ من الإثم المرتب على كتمان العلم، وكأنه فهم من منع النبي ﷺ أن يخبر بها إخباراً عاماً لقوله: «**أفلا أبشر الناس**» فأخذ هو أولاً بعموم المنع فلم يخبر بها أحداً، ثم ظهر له أن المنع إنما هو من الإخبار عموماً، فبادر قبل موته فأخبر بها خاصاً من الناس فجمع بين الحكمين. ويقوي ذلك أن المنع لو كان على عمومه في الأشخاص لما أخبر هو بذلك، وأخذ منه أن من كان في مثل مقامه في الفهم أنه لم يمنع من إخباره. وقد تعقب هذا الجواب بما أخرجه أحمد من وجه آخر فيه انقطاع عن معاذ أنه لما حضرته الوفاة قال: أدخلوا علي الناس. فأدخلوا عليه. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات لا يشرك بالله شيئاً جعله الله في الجنة**» وما كنت أحدثكموه إلا عند الموت، وشاهدي على ذلك أبو الدرداء. فقال: صدق أخي، وما كان يحدثكم به إلا عند موته. وقد وقع لأبي أيوب مثل ذلك، ففي المسند من طريق أبي ظبيان أن أبا أيوب غزا الروم فمرض، فلما حضر قال: سأحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لولا حالي هذه ما حدثتكموه، سمعته يقول: «**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**». وإذا عورض هذا الجواب فأجيب =

تبشرهم فيتكلوا»﴿١﴾ . أخرجاه في الصحيحين﴿٢﴾ .

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس. **الثانية**: أن العبادة هي التوحيد﴿٣﴾؛ لأن الخصومة فيه﴿٤﴾ . **الثالثة**: أن من لم يأتِ به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾. **الرابعة**: الحكمة في إرسال الرسل. **الخامسة**: أن الرسالة عمَّت كل أمة﴿٥﴾ . **السادسة**: أن دين الأنبياء واحد﴿٦﴾ . **السابعة**: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت﴿٧﴾ ، ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن

= عن أصل الإشكال بأن معاذاً اطلع على أنه لم يكن المقصود من المنع التحريم بدليل أن النبي ﷺ أمر أبا هريرة أن يبشر بذلك الناس، فلقيه عمر فدفعه وقال: ارجع يا أبا هريرة، ودخل على أثره فقال: يا رسول الله لا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس، فخلِّهم يعملون. فقال: فخلِّهم. أخرجه مسلم. فكأن قوله ﷺ لمعاذ: «**أخاف أن يتكلوا**» كان بعد قصة أبي هريرة، فكان النهي للمصلحة لا للتحريم، فلذلك أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ. اهـ. الفتح (١/ ٣٥٥).

﴿١﴾ **علاقه الحديث بالباب** كعلاقة آية الذاريات السابقة بالباب. قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه تفسير التوحيد بأنه عبادة الله وحده لا شريك له. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٢).

﴿٢﴾ أخرجه: البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠)، من طريق أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن معاذ. وأخرجه: البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٠)، من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة، عن أنس، عن معاذ.

﴿٣﴾ لأن كل رسول يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إلـٰه غيره، وهم إنما دعوا إلى التوحيد. التوضيح المفيد (٢٨).

﴿٤﴾ أي: في التوحيد. القول المفيد (١/ ٤٩).

﴿٥﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾. القول المفيد (١/ ٥٠).

﴿٦﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. القول المفيد (١/ ٥٠).

﴿٧﴾ جعل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذه المسألة كبيرة؛ لأن كثيراً من المسلمين جهلها =

﴿يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [١]. **الثامنة:** أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله. **التاسعة:** عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف [٢]، وفيها عشر مسائل. أولها: النهي عن الشرك [٣]. **العاشرة:** الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة [٤] [٥]، بدأها الله بقوله: ﴿لَّا

= في زمانه وفي زماننا الآن. القول المفيد (١/ ٥١).

﴿١﴾ أي: أنه لا بد في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه. قال ابن القيم: وطريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا حقيقة لا إلٰه إلا الله.اهـ. التيسير (٤٩).

﴿٢﴾ لقول ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمه... التوضيح المفيد (٣٠).

﴿٣﴾ وثانيها: الوصية بالوالدين. وثالثها: النهي عن قتل الأولاد. رابعها: النهي عن قربان الفواحش. خامسها: النهي عن قتل النفس التي حرم الله. سادسها: النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن. سابعها: الوفاء بالكيل والميزان. ثامنها: الأمر بالعدل. تاسعها: الوفاء بالعهد. وعاشرها: الأمر باتباع الصراط المستقيم وترك اتباع ما سواه من السبل. التوضيح المفيد (٣٠).

﴿٤﴾ هكذا في الأصل، والصواب ثماني عشرة.

﴿٥﴾ وهي: النهي عن جعل مع الله إلهاً آخر، وهو الشرك الأكبر، والأمر بعبادة الله وحده، والأمر بالإحسان إلى الوالدين، وإيتاء ذي القربى حقه، وإيتاء المسكين حقه، وإيتاء ابن السبيل حقه، والنهي عن التبذير، والنهي عن الإمساك بدون إسراف، والنهي عن قتل الأولاد، والنهي عن الزنا، والنهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والنهي عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والوفاء بالعهد، والوفاء بالكيل، والوفاء بالوزن، والنهي عن القول بغير علم، والنهي عن المشي في الأرض مرحاً، والنهي عن الشرك. ويحتمل أن يعد النهي عن الإسراف مسألة ويحذف الأمر بالوفاء بالوزن لدخوله في التي قبله. التوضيح المفيد (٣٠).

تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، ونبَّهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾. **الحادية عشرة**: آية سورة النساء التي تسمَّى: آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1]. **الثانية عشرة**: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته[2]. **الثالثة عشرة**: معرفة حق الله علينا. **الرابعة عشرة**: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه. **الخامسة عشرة**: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة[3]. **السادسة عشرة**: جواز كتمان العلم للمصلحة. **السابعة عشرة**: استحباب بشارة المسلم بما يُسره. **الثامنة عشرة**: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله[4]. **التاسعة عشرة**: قول المسؤول عما لا يعلم: «الله ورسوله أعلم». **العشرون**: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض. **الحادي والعشرون**: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه. **الثاني**

﴿١﴾ الحقوق العشرة: الأمر بعبادة الله، والإحسان إلى الوالدين، والإحسان إلى ذي القربى، والإحسان إلى اليتامى، والإحسان إلى المساكين، والإحسان إلى الجار ذي القربى، والإحسان إلى الجار بالجنب، والإحسان إلى ابن السبيل، الإحسان إلى ملك اليمين. التوضيح المفيد (٣١).

﴿٢﴾ قال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وذلك من حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ ولكن النبي ﷺ لم يوصِ بها حقيقة، بل أشار إلى أننا إذا تمسكنا بكتاب الله، فلن نضل بعده، ومن أعظم ما جاء به كتاب الله قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾. اهـ. القول المفيد (١/ ٥٤).

﴿٣﴾ وذلك أن معاذاً خفيت عليه مع علمه. وقيل: أن معاذاً لم يخبر بها إلا عند موته بعد أن مات كثير من الصحابة. التوضيح المفيد (٣١)، القول المفيد (١/ ٥٥).

﴿٤﴾ لقوله: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»؛ لأن الاتكال على رحمة الله يسبب مفسدة عظيمة هي الأمن من مكر الله. القول المفيد (١/ ٥٦).

والعشرون: جواز الإرداف على الدابة. **الثالث والعشرون**: فضيلة معاذ بن جبل. **الرابع والعشرون**: عظم شأن هذه المسألة[1].

۞ ۞ ۞

﴿١﴾ حيث أخبر النبي ﷺ معاذاً، وجعلها من الأمور التي يبشر بها. القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٩).



باب: فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقوله الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجاه.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». أخرجاه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب علِّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إلـه إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري

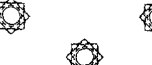
والأرضين السبع في كفة، ولا إلـٰه إلا الله في كفة، مالت بهن لا إلـٰه إلا الله». رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذي وحسنه، عن أَنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، إنَّك لو أتيتَني بقراب الأَرض خطايا ثمَّ لقيتني لا تشرك بِي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

○ فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله. الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله. الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب. الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام. الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة. السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: «لا إلـٰه إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين. السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان. الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إلـٰه إلا الله». التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخفّ ميزانه. العاشرة: النص على أن الأرضين سبعٌ كالسماوات. الحادية عشرة: أن لهن عُمَّاراً. الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية. الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إلـٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»، أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان. الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدَي الله ورسوليه. الخامسة عشرة: معرفة اختصاص

عيسى بكونه كلمة الله. السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه. السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار. الثامنة عشرة: معرفة قوله: «على ما كان من العمل». التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان. العشرون: معرفة ذكر الوجه.



الشَّرح

٢ ـ باب﴿١﴾: فضل﴿٢﴾ التوحيد وما﴿٣﴾ يكفِّر من الذنوب(*)

. . . .

﴿١﴾ **الباب لغة**: هو ما يدخل منه إلى غيره. **واصطلاحاً**: اسم لجملة مختصة من العلم تحته فصول ومسائل غالباً. قال ابن الملقن: «الباب» ضرب من الكتاب تتقارب مسائله، وهو مجاز من الباب الصوري الذي يُدخل منه إلى الشيء، والأصح: أنه المنفذ لا الخشب المركب عليه، وإنما سُمي الخشب باباً لملازمته له، وهو في العلوم للتمييز بينه وبين ما بعده. اهـ. الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (١/ ٤١٩).

﴿٢﴾ قال العلامة ابن عثيمين: وهنا ذكر المؤلف فضل التوحيد، ولا يلزم من ثبوت الفضل للشيء أن يكون غير واجب، بل الفضل من نتائجه وآثاره. ومن ذلك صلاة الجماعة ثبت فضلها بقوله ﷺ: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»، متفق عليه. ولا يلزم من ثبوت الفضل فيها أن تكون غير واجبة؛ إذ إن التوحيد أوجب الواجبات، ولا تقبل الأعمال إلا به، ولا يتقرب العبد إلى ربه إلا به، ومع ذلك ففيه فضل. اهـ. القول المفيد (١/ ٣٥).

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): و«ما» يجوز أن تكون موصولة؛ أي: وبيان ما يكفره من الذنوب، ويجوز أن تكون مصدرية؛ أي: وبيان تكفيره الذنوب وهذا أرجح؛ لأن الأول يوهم أن ثم ذنوباً لا يكفرها التوحيد وليس بمراد. اهـ. ورجح عبد الرحمٰن بن حسن ما رجحه سليمان بن عبد الله. تيسير العزيز الحميد (٥٣). فتح المجيد (١/ ١١٣).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال ابن باز (١٤٢٠هـ): أراد المؤلف به بيان شيء من **فضل** التوحيد، وأنه أعظم الأعمال في تكفير الذنوب؛ لأنه أساس =

وقوله الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ ﴿١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ

= الأعمال وأصلها، وذكر ذلك حتى يعرفه المؤمن ويكون أكثر إقبالاً وتشوقاً إليه.اهـ. التعليق المفيد (٣٣).

علاقته بالباب الذي قبله: قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): لما ذكر معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب ترغيباً فيه وتحذيراً من الضد.اهـ. تيسير العزيز الحميد (٥٣).

﴿١﴾ والمراد بالظلم هنا هو الشرك كما قال عبد الرحمٰن بن حسن، وابن عثيمين، وهو من الشرك الأكبر كما قال عبد الرحمٰن بن حسن. قرة عيون الموحدين (١٢)؛ لما أخرجه البخاري (٣٤٢٩)، من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قَال: لَمَّا نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذلك على الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يا رسول الله، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «**ليس ذلك، إِنَّما هو الشِّركُ، أَلم تسمعوا ما قَال لقمان لابنه وهو يعِظُه:** ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».

قال ابن رجب: معنى هذا: أن الظلم يختلف: فيه ظلم ينقل عن الملة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾. ويراد بالظلم ما لا ينقل عن الملة، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]. وحديث ابن مسعود هذا صريح في أن المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أن الظلم هو الشرك.اهـ. قال عبد الرحمٰن بن حسن: أراد النبي ﷺ أن من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكلية. وأما من سلم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامه في الإسلام والإيمان. فلا يحصل الأمن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مصراً عليها. وأما إن كان للموحد ذنوب لم يتب منها حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده، وفاته منه بقدر معصيته.اهـ. فتح الباري لابن رجب (١/ ١٤٤).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾، هذا يدل على عموم أنواع الظلم، لكن هل المراد بالعموم هنا العموم المخصوص، أو العموم الذي يراد به الخصوص؟ **الجواب:** أن المراد بالعموم هنا: هو العموم الذي يراد به الخصوص. صحيح أن «الظلم» هنا جاء نكرة في سياق النفي (لم): فيدل على العموم، لكنه عموم مراد به الخصوص؛ وهو خصوص أحد أنواع الظلم كلها؛ لأن من أنواع الظلم: ظلم العبد نفسه بالمعاصي، أو ظلم العبد غيره بأنواع التعديات، =

لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام]﴿١﴾.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله﴿٢﴾، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴿٣﴾،

= ومنه ما هو ظلم من جهة حق الله ـ جل وعلا ـ بالشرك به، فهذا هو المراد بهذا العموم، فيكون عاماً في أنواع الشرك. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١١).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن عثيمين: إن الله أثبت الأمن لمن لم يشرك، والذي لم يشرك يكون موحداً، فدل على أن من فضائل التوحيد استقرار الأمن. اهـ. القول المفيد (١/ ٦٣).

﴿٢﴾ وخُصَّ عيسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء؛ لأن في جزيرة العرب من يعتقد أن عيسى عليه السلام ابن الله.

﴿٣﴾ قال ابن قاسم: أي خلقه من أنثى بلا ذكر بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل إلى مريم فنفخ في جيب درعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران] خلقه بقوله: ﴿كُن﴾، وأوجده بقدرته وحكمته، فكان بقوله: ﴿كُن﴾، وسُمي كلمة؛ لوجوده بقوله تعالى: ﴿كُن﴾، فليس هو ﴿كُن﴾، ولكن كان بـ ﴿كُن﴾، فـ ﴿كُن﴾، من الله قولاً، وليس (كن) مخلوقاً، وعيسى روح من الأرواح التي خلقها واستنطقها. قال الحافظ: وصفه بأنه منه، فالمعنى أنه كائن منه؛ أي: مكون ذلك وموجده بقدرته وحكمته. اهـ. والمضاف إلى الله إذا كان عيناً قائمة بنفسها كعيسى امتنع أن تكون صفة لله، وإنما هو إضافة مخلوق إلى خالقه، وهو على قسمين: إضافة تشريف وتكريم؛ كبيت الله، وخليل الله، وروح الله. وإضافة لا تقتضي تشريفاً؛ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾؛ أي: كائنة منه كونها وأوجدها سبحانه، وأما إذا كان المضاف إليه معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات؛ كالسمع والبصر، وجب أن يكون صفة لله قائماً به. اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٧).

وقد تسأل وتقول: كل أرواح بني آدم من الله على هذا التفسير، فما وجه اختصاص عيسى بذلك؟ نقول: نعم كل أرواح بني آدم من الله، لكن عيسى عليه السلام خُصَّ بذلك لأنه من غير أب، بل هو روح من دون أب. اهـ. إعانة المستفيد (١/ ١١٥).

والجنَّة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل[١]»[٢]. أخرجاه[٣].

ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حرَّم على النار من قال: لا إله[٤] إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٥].

﴿١﴾ أي: أن الله يدخله الجنة ولو كان له سيئات إما ابتداءً أو في النهاية. الفتح، فتح المجيد (٥٨)، القول المفيد (١/ ٥٤).

﴿٢﴾ قال النووي (ت٦٧٦هـ): هذا حديث عظيم الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم. اهـ. شرح النووي على مسلم (١/ ٢٢٧).

﴿٣﴾ أخرجه: البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨)، من طريق عمير بن هانئ، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت.

علاقة الحديث بالباب، قال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ): وينزلُ حديث: «من كان آخر كلامه لا إلـه إلا الله» خصوصاً لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه، وإن كان قبل مخلطاً، فيكون سبباً لرحمة الله له ونجاته رأساً من النار وتحريمه عليها، بخلاف من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلطين، وكذلك ما ورد في حديث عبادة من مثل هذا ودخوله من أي أبواب الجنة شاء، خصوصاً لمن قال ما ذكره ﷺ وقرن بالشهادتين من حقيقة الإيمان والتوحيد الذى ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجح بسيئاته ومعاصيه، ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لَأول وهلة. اهـ. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم «للقاضي عياض» (١/ ٢٥٥)، وانظر: كتاب الإيمان من إكمال المعلم «للحسين شواط» (١/ ٢٢٦).

﴿٤﴾ قال المعلمي (ت١٣٨٦هـ): اعلم أنني تتبعت عبارات أهل العلم في تفسير لفظ «إلـه»، فوجدتهم كالمجمعين على أن معناه: معبود بحق. وقال بعضهم: معبود. اهـ. رفع الاشتباه «للمعلمي» (٦٦).

﴿٥﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): التوحيد يتضمن من محبة الله والخضوع له والذل وكمال الانقياد لطاعته وإخلاص العبادة له وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء والحب والبغض ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ: «**إن الله** =

= **حرَّم على النار من قال: لا إلـٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»، وقوله: «**لا يدخل النار من قال: لا إلـٰه إلا الله**». اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٣٠).

📖 قال عبد الرحمٰن بن حسن: وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن من لم يكن مخلصاً فهو مشرك، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق. اهـ. قرة عيون الموحدين (٣٥).

📖 جاءت نصوص بدخول النار لمن فعل بعض الأعمال؛ كقوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٣٨): «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**»، حيث إن فيه معارضة لحديث عتبان ﷺ.

والجواب عن ذلك: هو بحمل أحاديث الوعد على ظاهرها، وأنها سبب لدخول الجنة والبعد عن النار بشرط توفر الشروط وانتفاء الموانع، وإليه ذهب الحسن (١١٠هـ)، ووهب بن منبه (١١٤هـ)، وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)، وابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، وابن رجب (٧٩٥هـ)، وسليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ). الفتاوى (٢٨)، كتاب التوحيد لابن رجب (٣٩)، التيسير (٦٨)، شرح البلوغ لابن عثيمين: كتاب الجنائز.

لكن يُشكل عليه ما أخرجه مسلم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد في الشفاعة مرفوعاً: «فيقول الله: شفعت الملائكة... فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط..»، من طريق سويد بن سعيد عن حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن إبي سعيد، ومن طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء عن أبي سعيد. ويجاب على ذلك بجوابين:

الجواب الأول: أن لفظة «لم يعملوا خيراً قط» من جنس ما يقوله العرب من نفي الاسم عن الشيء لنقصه عن الكمال، فيكون معنى الحديث: لم يعملوا خيراً قط على التمام والكمال، لا على ما أوجب عليه وأمر به، وبهذا أجاب ابن خزيمة. التوحيد لابن خزيمة (٤٦٦).

الجواب الثاني: أن من أهل العلم من قال بشذوذ هذه اللفظة؛ لأمور:

١ ـ أن سويد بن سعيد، وحفص بن ميسرة، وهشام بن سعد ليسوا بالحفاظ الأقوياء في الحديث، حيث قال ابن المديني في سويد: أنه ليس بشيء، وقال =

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى ﷺ: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إلـٰه إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إلـٰه إلا الله في كفة، مالت بهن لا إلـٰه إلا الله﴿١﴾»﴿٢﴾، رواه ابن حبان

= ابن حبان: يخطئ في الآثار. وقال الذهبي: له مناكير. وقال أبو حاتم في حفص بن ميسرة: في حديثه بعض الأوهام. وقال أحمد في هشام بن سعد: ليس بالحافظ. وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. الضعفاء والمتروكين للنسائي (١١٨)، المجروحين (١/ ٣٥٢)، (٣/ ٨٩)، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/ ٢٢٥)، (٣/ ١٧٤)، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٣٤١)، تهذيب الكمال (٧/ ٧٣)، (١٢/ ٢٤٧)، (٣٠/ ٢٠٤)، الميزان (٢/ ١٤٨)، (٤/ ٢٩٨)، المغني (١/ ١٨٣)، (١/ ٢٩٠)، (٢/ ٧١٠)، تهذيب الهذيب (٤/ ٢٧٢)، (١١/ ٣٩)، التقريب (٢٦٠) (٥٧٢).

٢ ـ أن سعيد بن أبي هلال (البخاري ٧٠٠١)، ومحمد بن ثور (مستخرج أبي عوانة ١/ ١٨٣) روياه عن زيد بن أسلم بدون هذه اللفظة.

٣ ـ أن يحيى بن عمارة (البخاري ٦١٩٢، ومسلم ١٨٤) رواه عن أبي سعيد الخدري، بدون هذه اللفظة.

٤ ـ أن أبا نضرة (مسلم ١٨٥)، وسليمان بن عمرو (الحاكم ٤/ ٥٨٥) روياه عن أبي سعيد الخدري بدون هذه اللفظة.

٥ ـ أن الحديث رواه أبو هريرة (البخاري ٦٢٠٤)، وجابر (مسلم ١٩١)، وأنس (البخاري ٦٩٧٥، مسلم ١٩٣) بدون هذه اللفظة.

📖 حديث عتبان أخرجه: البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، من طريق الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عتبان. علاقته بالباب، قال محمد القرعاوي: دل الحديث على أن من مات مخلصاً لله سلم من النار. اهـ. الجديد في شرح كتاب التوحيد (٢٢).

﴿١﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): «مالت بهن»؛ أي: بمعناها وليس بأجرامها. فبالنظر إلى المعاني والحقائق فإن كلمة التوحيد أعظم وأصدق وأهم معنى فترجح على غيرها، وكلما رجحت الكلمة بالمخلوقات فإنها ترجح بمن قالها على جميع سيئاته وذنوبه. اهـ.

﴿٢﴾ ذهب الثوري إلى أن الحمد أفضل من التهليل؛ لقوله ﷺ: «**الإيمان بضع** =

والحاكم وصحَّحه﴿١﴾.

أخرجه: النسائي «عمل اليوم والليلة» (٨٣٤)، وابن حبان (٢٣٢٤)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، من طريق دراج بن سمعان، عن أبي الهيثم «سليمان بن عمرو»، عن أبي سعيد الخدري.

صححه: ابن حبان، والحاكم، والمنذري، والذهبي، وابن حجر﴿٢﴾.

وهذا الإسناد ضعيف؛ لأمرين:

١ ـ أن دراج بن سمعان ضعفه أحمد، وأبو حاتم، والدارقطني، وغيرهم﴿٣﴾.

٢ ـ أن دراج بن سمعان في حديثه ضعف عن أبي الهيثم، كما قال أبو داود﴿٤﴾.

= **وسبعون شعبة أعلاها: لا إلـه إلا الله**»، رواه مسلم، من حديث أبي هريرة؛ لأن الحمد يتضمن إثبات جميع أنواع الكمال لله فيدخل فيه التوحيد. وقال النخعي: كانوا يرون أن الحمد أكثر الكلام تضعيفاً. وذهب ابن عطية إلى أن التهليل أفضل؛ لأنها تنفي الكبر والشرك وعليها يقاتل الخلق. التمهيد (٦/ ٤٢)، زاد المعاد (١/ ٢٠٦)، الفتح لابن رجب (١/ ٤٣)، جامع العلوم والحكم (١/ ٥٧٤)، فتح الحميد «لابن منصور» (٢٩٤)، الجواهر اللؤلؤية (١٢)، حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٣٣).

📖 قال عبد الله بن حميد: هذا الحديث مطلق، وقيده المصنف بما سيأتي في حديث أنس ﷺ: «**لو أتيتَني بقراب الأرض خطايا ثمَّ لقيتني لا تشرك بي شيئاً**»؛ أي: المعنى أن لا إلـه إلا الله لا تنفعك إلا أنك تلقى الله وأنت سالم من الشرك قليله وكثيره، وقد مت على التوحيد. اهـ.

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال عبد الرحمٰن بن حسن: وفي هذا الحديث كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله وجوده ورحمته. اهـ. فتح المجيد (٥٣).

﴿٢﴾ صحيح ابن حبان (٦٢١٨)، المستدرك (١/ ٥٢٨)، مجمع الزوائد (١٠/ ٨٢)، الفتح (١١/ ٢١١).

﴿٣﴾ تهذيب التهذيب (١/ ٥٧٤).

﴿٤﴾ التهذيب (١/ ٥٧٤)، التقريب بعناية حسان عبد المنان (١٨٨).

شاهد:

ـ عن الصقعب بن زهير، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**إن نبيَّ الله نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصٌّ عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إلٰه إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إلٰه إلا الله في كفة لرجحت بهن، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إلٰه إلا الله**».

أخرجه: أحمد (٢/ ١٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٨)، من طريق الصقعب بن زهير، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عمرو رضي الله عنهما [١].

وهو إسناد معلول؛ لأمور:

١ ـ أن الصقعب بن زهير ليس بالقوي جداً، قال أبو حاتم: شيخ ليس بالمشهور. اهـ. وهو مقل من الحديث كما قال الحاكم [٢]. وليس له في الكتب الستة إلا هذا الحديث، كما قال المزي وابن كثير [٣].

٢ ـ أن الصقعب بن زهير قد تفرد بوصل الحديث [٤]، حيث لم

---

[١] صححه: الحاكم، والذهبي، وابن كثير. المستدرك (١/ ٤٩)، البداية والنهاية (١/ ١١٩).

[٢] المستدرك (١/ ٤٩).

[٣] تهذيب الكمال (١٣/ ٢١٩)، البداية والنهاية (١/ ١١٩).

[٤] قال الدارقطني في الأفراد (٤/ ٣٩): تفرد به جرير عن الصقعب. اهـ. أما متابعة حماد بن زيد، فإن حماداً لم يجزم بأنه بذكر عطاء. فقد أخرجه أحمد من طريق سُلَيْمَان بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الصَّقْعَبِ بْنِ زُهَيْرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ حَمَّادٌ: أَظُنُّهُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو. المسند (٢/ ١٦٩).

يتابعه كبار أصحاب زيد بن أسلم؛ كمالك، والثوري، ومعمر.

٣ ـ أن الدراوردي، وابن عجلان، وهشام بن سعد رووه عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلاً [١]. وهشام أثبت أصحاب زيد بن أسلم، كما قال أبو داود [٢]. وظاهر كلام أبي حاتم تقوية الإرسال [٣].

فائدة:

ـ جاءت متابعة عن ابن عمرو، عند أحمد من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمرو. وهذه المتابعة ضعيفة؛ لأن ابن إسحاق ليس بالقوي، وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث، وقد تفرد به كما قال البزار، وعمرو بن دينار لم يأتِ عنه التصريح بالسماع من ابن عمرو، قال الحاكم: عامة أحاديث عمرو عن الصحابة غير مسموعة [٤].

جاء الحديث بلفظ قريب عند أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن حبان (/ ٢٢٥)، من طريق عامر بن يحيى المعافري، عن أبي عبد الرحمٰن المعافري الحبلي، عن ابن عمرو، عن رسول الله ﷺ

﴿١﴾ الأدب المفرد (٥٤٨)، أحمد في الزهد (٦٨).

﴿٢﴾ الميزان (٤/ ٢٩٩).

﴿٣﴾ قال ابن أبي حاتم: سألت أَبِي عن حديث رواه جرير بن حازم، عن صقعب بن زهير، عن زْيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو، عن النَّبِيِّ ﷺ، في قصة نوح أَنَّه قال: إِنِّي موصيك بوصية. قلتُ لأَبِي: فهذا الحديثُ محفوظ؛ لأَنَّه روى عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيُّ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن النَّبِيِّ ﷺ مرسلاً. قلتُ: فهو محفوظ عندك؟ قال: تابع عبد العزيز هشام بن سعد. اهـ. والبخاري في الأدب المفرد بعد أن ذكر الحديث من طريق الصقعب عقبه بطريق عبد العزيز المرسل، فكأنه بصنيعه هذا يشير إلى عدم قوة الموصول. الأدب المفرد (٥٤٨)، العلل لابن أبي حاتم (٢١٨٣)، المستدرك (١/ ٤٩).

﴿٤﴾ الترغيب والترهيب (٣/ ٢٢٤)، مجمع الزوائد (١٠/ ٨٤)، مختصر زوائد البزار لابن حجر (٢/ ٣٩٧)، التقريب (٤٦٢).

قال: «إن الله ﷻ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كَتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه الا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمٰن الرحيم». وقد جوَّد إسناده السخاوي﴿١﴾.

ولكن الحديث غريب؛ لأمور:

١ ـ الغرابة في إسناده، كما قال الطبراني والترمذي والبغوي﴿٢﴾.

٢ ـ تفرد عامر بن يحيى به، كما قال الطبراني﴿٣﴾.

٣ ـ أن الترمذي ضعفه﴿٤﴾.

﴿١﴾ المناهل السلسة «لمحمد عبد الباقي الأيوبي» (٢٨٣ ـ ٢٨٤)، وإتحاف الإخوان (٢٤٣ ـ ٢٤٤)، والعجالة النافعة «لأبي الفيض محمد ياسين الفاداني» (٥٤).

﴿٢﴾ قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد.اهـ. وقال حمزة الكتاني: لا أعلم روى هذا الحديث إلا الليث.اهـ. المعجم الأوسط (٥/ ٧٩)، الترمذي (٢٦٣٩)، شرح السُّنَّة للبغوي (١٥/ ١٣٤). جاء عند الترمذي (٢٦٣٩) أن ابن لهيعة ـ وهو ضعيف ـ رواه عن عامر بن يحيى.

﴿٣﴾ المعجم الأوسط (٥/ ٧٩). جاء عند عبد بن حميد أن عبد الرحمٰن الإفريقي ـ وهو ضعيف ـ رواه عن أبي عبد الرحمٰن.

﴿٤﴾ قال الترمذي: حسن غريب. وحسن غريب تضعيف عند الترمذي، وحسن يطلقها الترمذي على الحديث الذي ليس بالقوي عنده، ويدل لذلك ما نقله ابن القيم وابن حجر عن الترمذي أنه قال عن حديث أنه حديث حسن، ثم قال =

. . . .

= الترمذي: وإنما لم نقل لهذا الحديث: صحيح؛ لأنه يقال: إن الأعمش دلس فيه. اهـ. قال ابن رجب: واعلم أن الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ خرَّج في كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف. اهـ. وقال الذهبي: فلا يغتر بتحسين الترمذي، فعند المحاققة غالبها ضعاف. اهـ. وقال المعلمي: الترمذي له اصطلاح في التحسين والتصحيح وهو أن الحديث إذا روي من طريقين ضعيفين يسميه حسناً. اهـ. وقال المعلمي في موضع آخر: . . . وهكذا جماعة من المتقدمين لا يغتر بتصحيحهم كالحاكم وابن حبان بل والترمذي لا سيما تحسينه. اهـ. وقال بشار عواد: وكل حديث اقتصر على تحسينه الترمذي فهو معلول عنده، وقد تتبعت ذلك وعرفته بالدراسة والبحث والتقصي. اهـ.

وحسن غريب عند الترمذي هو بمعنى: حديث حسن، قال ابن رجب: الحديث الذي يرويه الثقة العدل، ومن كثر غلطه، ومن يغلب على حديثه الوهم، إذا لم يكن أحد منهم متهماً كله حسن بشرط أن لا يكون شاذاً للأحاديث الصحيحة، وبشرط أن يكون معناه قد روي من وجوه متعددة. . . وإن كان مع ذلك من رواية غيرهم من أهل الصدق الذين في حديثهم وهم وغلط ـ إما كثير أو غالب عليهم ـ فهو حسن، ولو لم يروَ لفظه إلا من ذلك الوجه؛ لأن المعتبر أن يروي معناه من غير وجه، لا نفس لفظه. وعلى هذا: فلا يشكل قوله: «حديث حسن غريب»، ولا قوله: «صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»؛ لأن مراده أن هذا اللفظ لا يعرف إلا من هذا الوجه؛ لكن لمعناه شواهد من غير هذا الوجه، وإن كانت شواهده بغير لفظه. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الحسن في اصطلاح الترمذي هو: ما روي من وجهين، وليس في رواته من هو متهم بالكذب، ولا هو شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة. فهذه الشروط هي التي شرطها الترمذي في الحسن؛ لكن من الناس من يقول: قد سمى حسناً ما ليس كذلك، مثل حديث يقول فيه: حسن غريب؛ فإنه لم يُرو إلا من وجه واحد، وقد سماه حسناً. وقد أجيب عنه بأنه قد يكون غريباً لم يرو إلا عن تابعي واحد، لكن روي عنه من وجهين فصار حسناً لتعدد طرقه عن ذلك الشخص وهو في أصله غريب. وكذلك الصحيح الحسن الغريب قد يكون؛ لأنه روي بإسناد صحيح غريب، ثم روي عن الراوي الأصلي بطريق صحيح وطريق آخر؛ فيصير بذلك حسناً مع أنه صحيح غريب؛ لأن الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم، فإن كان صحيحاً من الطريقين فهذا صحيح محض، وإن كان أحد الطريقين =

٤ ـ نكارة متنه﴿١﴾﴿٢﴾.

= لم تعلم صحته فهذا حسن، وقد يكون غريب الإسناد فلا يعرف بذلك الإسناد إلا من ذلك الوجه وهو حسن المتن؛ لأن المتن روي من وجهين؛ ولهذا يقول: وفي الباب عن فلان وفلان، فيكون لمعناه شواهد تبين أن متنه حسن وإن كان إسناده غريباً. وإذا قال مع ذلك: إنه صحيح؛ فيكون قد ثبت من طريق صحيح وروي من طريق حسن فاجتمع فيه الصحة والحسن، وقد يكون غريباً من ذلك الوجه لا يعرف بذلك الإسناد إلا من ذلك الوجه. وإن كان هو صحيحاً من ذلك الوجه فقد يكون صحيحاً غريباً، وهذا لا شبهة فيه، وإنما الشبهة في اجتماع الحسن والغريب. وقد تقدم أنه قد يكون غريباً حسناً ثم صار حسناً، وقد يكون حسناً غريباً كما ذكر من المعنيين. اهـ.

المعجم الأوسط، الفتاوى (١٨/ ٣٩)، مفتاح دار السعادة (١/ ٧١)، علل الترمذي «لابن رجب» (١/ ٣٨٤)، الفتح (١/ ١٦٠)، النكت «لابن حجر» (١/ ٣٨٧)، رفع الاشتباه (١٥٧)، الحديث الحسن «للدريس» (١/ ١٦٦)، الحسن بمجموع الطرق (٤٩)، الدر النضيد (٢١)، الثقات (٨/ ٢٢٦)، الكامل (٣/ ٤٥)، تهذيب الكمال (٨/ ٤١٢)، المغني في الضعفاء «للذهبي» (١/ ٩٨)، الكاشف (١/ ٣٨٠)، التهذيب (١/ ٥٧٣)، فيض القدير (٦/ ١٦١)، الحديث الحسن للدريس (٣/ ١٦٢٢)، النقد الحديثي عند الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام لعمر مكي (٤٦).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: استدل بالحديث بأن من قال: لا إلٰه إلا الله، ينجو من النار ولو لم يصلِّ؟ **ويجاب**: بأنه كان كافراً فأسلم عند الموت، أو أنها قضية عين منَّ الله عليه، أو أن هذا الحديث من المتشابه حيث جاءت النصوص بدخول النار لمن ترك الصلاة. . .اهـ. بتصرف. شرح الأربعين النووية (شريط ١٦).

﴿٢﴾ **قال الشيخ عبد الله السعد**: الحديث محفوظ آخره دون أوله، فمع كون هذا الإسناد من رواية دراج ـ وفيه ضعف وخاصة عن أبي الهيثم ـ يتقوى بغيره؛ لأن ضعفه ليس شديداً، فشطره الآخير: **«لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إلٰه إلا الله في كفة، مالت بهن لا إلٰه إلا الله»** محفوظ لما له من الشواهد، منها: ما رواه الدراوردي وهشام وابن عجلان عن زيد مرسلاً، وهو إسناد صحيح إلى عطاء، وعطاء من كبار التابعين ومن أهل العلم والفضل، فهو شاهد قوي لحديث أبي سعيد رضي الله عنه، كيف وقد جاء عند أحمد والبزار من حديث ابن إسحاق عن عمرو بن دينار عن ابن عمرو رضي الله عنهما به، وهذا الإسناد =

وللترمذي وحسنه﴿١﴾، عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت

= وإن كان فيه ضعف؛ لأن ابن إسحاق قد تفرد به عن عمرو بن دينار، وهو موصوف بالتدليس ولم أقف له على تصريح في هذا الخبر وروايته غريبة عن عمرو بن دينار؛ لأن ابن إسحاق ليس بمشهور بالرواية عن عمرو بن دينار.

ويجاب عن هذا بأن ابن إسحاق واسع الرواية حتى أنه قد روى عن بعض أهل الكتاب. وعمرو بن دينار لم يثبت له سماع عن ابن عمرو ﷺ؛ ولكن يُستأنس به.

فإذا انضم إلى ما تقدم، فإن الخبر يقوى ويكون محفوظاً، وقد أشار أبو حاتم الرازي إلى هذا؛ وذلك عندما سأله ابنه عن عطاء: أهو محفوظ عندك؟ قال: تابع عبد العزيز هشام بن سعد، فكأنه يُشير إلى أنه محفوظ عنده. ومثله البخاري حيث أخرجه في كتابه «الأدب المفرد»، فصنيعه يدل على قوته عنده؛ لأن البخاري وإن لم يشترط الصحة في كتابه الأدب، لكنه ينتقي ولا يخرج لكل أحد، كما أنه لا يخرج الأحاديث المنكرة والباطلة، وذكر البخاري للمرسل بعد الموصول لا يمنع من قوة الخبر عنده وأن هذا المرسل قوي مع ما له من الشواهد، كما تقدم.

وأما شطره الأول «قال موسى ﷺ: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إلـٰه إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا»، فليس لها شاهد، وبالتالي لا تصح من حيث الإسناد ومتنها فيه غرابة؛ وذلك لأن موسى لا يخفى عليه فضل وعظمة ومكانة «لا إلـٰه إلا الله»، وأن الإيمان بتوحيده وذكره من أعظم شيء وقد بعث بهذه الكلمة كما بعث جميع الأنبياء.

﴿١﴾ الصواب أن الترمذي (ت٢٧٩هـ) قال: حسن غريب. وحسن غريب تضعيف عند الترمذي، ويدل لذلك ما نقله ابن القيم وابن حجر عن الترمذي أنه قال عن حديث: أنه حديث حسن، ثم قال الترمذي: وإنما لم نقل لهذا الحديث: صحيح؛ لأنه يقال: إن الأعمش دلس فيه.اهـ. قال المعلمي: الترمذي فله اصطلاح في التحسين والتصحيح، وهو أن الحديث إذا روي من طريقين ضعيفين يسميه حسناً.اهـ. وقال بشار عواد: وكل حديث اقتصر على تحسينه الترمذي فهو معلول عنده، وقد تتبعت ذلك وعرفته بالدراسة والبحث والتقصي.اهـ.

مفتاح دار السعادة (١/ ٧١)، علل الترمذي «لابن رجب» (١/ ٣٨٤)، رفع الاشتباه (١٥٧)، الفتح (١/ ١٦٠)، والنكت (١/ ٤٠٣)، النقد الحديثي عند الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام «لعمر مكي» (٤٦). نسخة الكروخي (٢٤١)، تحفة الأشراف (٣/ ٨٢).

رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى[١]**: يا ابن آدم، إنَّك لو أتيتَني بقُراب الأَرض خطايا ثمَّ لقيتني لا تشرك بِي**[٢] **شيئاً لأتيتك بقُرابها**[٣] **مغفرة**[٤]**»**[٥]**، رواه الترمذي، وقال:**

﴿١﴾ وهذا الحديث يسمى بالحديث القدسي، والحديث القدسي الصواب فيه أن لفظه ومعناه من الله، وهو قول كثير من أهل العلم؛ لأن هذا القول يتفق مع مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في كلام الله، وأما قول بعض أهل العلم أن الحديث القدسي معناه من الله ولفظه من النبي ﷺ، فهو يتفق مع مذهب الأشاعرة بأن كلام الله نفسي يلقيه في رُوع جبريل أو النبي ﷺ.

الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (٢١٦)، دليل الفالحين (١١٩)، فتح القوي (٣٦٦)، شرح الأربعين (٢٣٦).

﴿٢﴾ المراد بالشرك في قوله: «**لا تشرك بي**»، الشرك الأكبر والأصغر. التيسير (٧٥).

﴿٣﴾ قال ابن الملقن (٨٠٤هـ): ومعناه: ما يقارب ملأها، وقيل: ملأها، وهو أشبه؛ لأن الكلام في سياق المبالغة. المنهج المبين (٥٦٧)، المعين (٣٢٨).

﴿٤﴾ قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): من الناس من يقول: الغفر الستر، وهذا تقصير في معنى الغفر؛ فإن المغفرة معناها: وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب، فمن غفر له ذنبه لم يعاقب. وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب. أما إذا ابتلي مع ذلك بما يكون سبباً في حقه لزيادة أجره، فهذا لا ينافي المغفرة.اهـ. الفتاوى (١٠/ ٣١٧). وهو قول ابن القيم وابن رجب. تهذيب مدارج السالكين (١٧٦)، جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٩).

﴿٥﴾ لابن القيم (ت٧٥١هـ) تحرير متين لمعنى هذا الحديث إذ يقول:

يدل على أن من لم يشرك بالله شيئاً فذنوبه مغفورة كائنة ما كانت؛ ولكن ينبغي أن يعلم ارتباط إيمان القلوب بأعمال الجوارح، وتعلقها بها، وإلا لم يفهم مراد الرسول ﷺ، ويقع الخلط والتخبيط. فاعلم أن هذا النفي العام للشرك ـ أن لا يشرك بالله شيئاً ألبتة ـ لا يصدر من مصرّ على معصية أبداً، ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصرّ على الصغيرة أن يصفو له التوحيد، حتى لا يشرك بالله شيئاً، هذا من أعظم المحال، ولا يلتفت إلى جدليّ لا حظّ له من أعمال القلوب، بل قلبه كالحجر =

. . . .

= أو أقسى، يقول: وما المانع وما وجه الإحالة؟ فدع هذا القلب المفتون بجدله وجهله، واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله، ورجائه لغير الله، وحبه لغير الله، وذله لغير الله، وتوكله على غير الله، ما يصير به منغمساً في بحار الشرك، والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه إن كان له عقل، فإن ذل المعصية لا بد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفاً من غير الله تعالى وذلك شرك، ويورثه محبة لغير الله واستعانة بغيره في الأسباب التي توصله إلى غرضه فيكون عمله لا بالله ولا لله وهذا حقيقة الشرك. . .

والمقصود: أن من لم يشرك بالله شيئاً يستحيل أن يلقى الله بقراب الأرض خطايا، مصرّاً عليها غير تائب منها مع كمال توحيده الذي هو غاية الحب والخضوع والذل والخوف والرجاء للرب تعالى. اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٢٦).

📖 ماذا تكفِّر الحسنات؟

أولاً: حسنة التوحيد وما يقوم بالقلب من الإخلاص؛ لما رواه مسلم (٢٦٧٨) من حديث أبي ذر مرفوعاً: «**وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**». قال أبو العباس القرطبي (٦٢٦هـ): ولا بعد في أن يكون بعض الأشخاص تُغفر له الكبائر والصغائر بحسب ما يحضره من الإخلاص في القلب ويراعيه من الإحسان والأدب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. اهـ. المفهم (١/ ٤٩٢).

وقال ابن تيمية: والفعل الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر له به كبائر. اهـ. منهاج السُّنَّة (٦/ ٢١٦).

وقال رَحِمَهُ اللهُ ـ معلقاً على حديث البغيِّ التي سقت الكلب فغفر لها ـ: فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يغفر لها. اهـ. منهاج السُّنَّة (٦/ ٢٢١).

وقال ـ أيضاً ـ وعند الأكثرين منهم ـ أهل السُّنَّة ـ أن الكبائر قد تمحى بالحسنات التي هي أعظم منها، وبالمصائب المكفرة وغير ذلك. اهـ. منهاج السُّنَّة (٤/ ٣١٠).

وقال ابن القيم ـ بعد أن ذكر الدرجة الأولى والثانية للأعمال المكفرة: الثالثة أن تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر. اهـ. الجواب الكافي (٨٧). =

. . . .

= قال ابن رجب: فمن تحقَّق بكلمة التوحيد قَلبُه، أخرجت منه كلَّ ما سوى الله محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً، وخشيةً، ورجاءً وتوكُّلاً، وحينئذ تُحْرَقُ ذنوبه وخطاياه كلُّها ولو كانت مِثلَ زبد البحر، وربما قلبتها حسناتٍ، كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات، فإنَّ هذا التوحيدَ هو الإكسيرُ الأعظمُ، فلو وضع ذرَّة منها على جبالِ الذنوب والخطايا، لقلبها حسناتٍ.اهـ. جامع العلوم والحكم (٢/٤١٦).

قال ابن القيم: وكلما كان توحيد العبد أعظم كانت مغفرة الله له أتم فمن لقيه لا يشرك به شيئاً ألبتة غفر له ذنوبه كلها كائنة ما كانت ولم يعذب بها ولسنا نقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد بل كثير منهم يدخل بذنوبه ويعذب على مقدار جرمه ثم يخرج منها.. ونزيد ههنا إيضاحاً لعظم هذا المقام من شدة الحاجة إليه: اعلم أن أشعة لا إلـٰه إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه فلها نور وتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفاً لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس: من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس، ومنهم: من نورها في قلبه كالكوكب الدري، ومنهم: من نورها في قلبه كالمشعل العظيم..اهـ. مدارج السالكين (٣٢٩، ٣٣٠).

ثانياً: الجهاد: يكفر كل الذنوب إلا الدَّيْن؛ لقوله ﷺ لأهل بدر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم**»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فدل ذلك على أن الحسنة العظيمة يغفر الله بها السيئة العظيمة.اهـ. الفتاوى (٣٥/٦٨).

قال ابن مسعود: القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الأمانة.اهـ. جامع العلوم والحكم (٢/٥٤٥).

وذهب ابن عبد البر، والقاضي، والآجري، وابن عقيل، والمجد، والقرطبي، وابن القيم، وابن حجر، والصنعاني، إلى أن المراد بالدَّيْن الذي لا يكفره الجهاد هو الدين الذي فرط صاحبه في قضائه أو أنكره.

ثالثاً: سائر الأعمال؛ كالصلاة والحج:

القول الأول: تكفر الصغائر فقط: حكاه اتفاقاً ابن عبد البر، وذكره عن الجمهور ابن رجب، وقال به ابن مسعود وسلمان وابن عمر وقتادة وابن عبد البر، وابن رجب، والسعدي؛ لقوله ﷺ عند مسلم: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**».

القول الثاني: تكفر الصغائر والكبائر: ابن حزم، ابن بطال، وطائفة من =

. . . .

= أهل الحديث في الوضوء ونحوه، وابن المنذر في قيام الليل. واستدلوا بالنصوص التي جاء فيها مغفرة الذنوب بالأعمال مطلقة دون تقيد ولا استثناء.

القول الثالث: أنها قد تكفر ما هو كبيرة؛ ولكن ليس باطراد، فقد ذهب ابن تيمية إلى أن الأعمال العظيمة والكبيرة بشكل عام تكفر ما يقابلها من كبائر. الفتاوى (١/ ٤٥٧).

وقال ابن رجب: والأظهر ـ والله أعلم ـ في هذه المسألة ـ أعني: مسألة تكفير الكبائر بالأعمال ـ أنَّه إنْ أُريدَ أنَّ الكبائر تُمحى بمجرَّد الإتيان بالفرائض، وتقع الكبائر مكفرة بذلك كما تُكفَّرُ الصَّغائر باجتناب الكبائر، فهذا باطلٌ. وإنْ أُريدَ أنَّه قد يُوازن يومَ القيامة بين الكبائر وبينَ بعض الأعمال، فتُمحى الكبيرة بما يُقابلها من العمل، ويَسقُطُ العمل، فلا يبقى له ثوابٌ، فهذا قد يقع.اهـ. جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٧).

هذا الفهم وسطٌ بين قول من يقول: إن هذه الأعمال الصالحة تكفر الكبائر باطراد كما تكفر الصغائر، فإن هذا خلاف كثير من النصوص وخلاف الإجماع، وبين قول من يقول: إنها لا تكفر إلا الصغائر ولا يمكن أن تكفر الكبائر، ويجزم بذلك، فهذا غلط أيضاً ولا يقوله أحد من السلف، وإن نقل بعض المتأخرين في هذا الإجماع فهو إجماع غلط كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

التمهيد (٤/ ٤٤، ٢٣/ ٢٣٩)، تفسير القرطبي (٤/ ٢٧٤)، شرح مسلم للنووي (٣/ ١١٤)، الاختيارات (٩٩)، الداء والدواء (٣٤، ١٩٣)، الفتح لابن رجب (٣/ ٣٧ ـ ٥١)، الفتح لابن حجر (٥/ ٥٤، ١٠/ ١٠٨)، العواصم والقواصم (١١٩ ـ ١٣٠). تهذيب الآداب الشرعية (٧٧)، غذاء الألباب (٢/ ٥٧٢)، روح المعاني للألوسي (١٢/ ٤٨٤)، تيسير الكريم الرحمٰن (٣٩١)، بهجة قلوب الأبرار (١٣٤).

مسألة: حبوط الحسنات بالسيئات:

قال ابن تيمية: والصحابة وأهل السُّنَّة والجماعة على أن أهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع فيهم، وأن الكبيرة الواحدة لا تحبط جميع الحسنات، ولكن قد يحبط ما يقابلها عند أكثر أهل السُّنَّة، ولا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر، كما لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة.اهـ. الفتاوى (١٠/ ٣١٨).

وقال ابن القيم: استقرت قاعدة الشريعة أن من السيئات ما يحبط الحسنات بالإجماع، ومنها ما يحبطها بالنص.اهـ. مختصر الصواعق (١٢٩). =

حديث حسن﴿١﴾.

أخرجه: الترمذي (٣٥٣٤) من طريق كثير بن فائد، عن سعيد بن عبيد، عن بكر بن عبد الله، عن أنس رضي الله عنه.

= وقال ابن رجب: وتبويب البخاري لهذا الباب ـ خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ـ يناسب أن يذكر فيه حبوط الأعمال الصالحة ببعض الذنوب كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات]. ومما يدل على هذا ـ أيضاً ـ قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ترك صلاة العصر حبط عمله**». وفي «الصحيح» ـ أيضاً ـ أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: «**من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**». وقالت عائشة: أبلغي زيداً أنه أحبط جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب. وهذا يدل على أن بعض السيئات تحبط بعض الحسنات، ثم تعود بالتوبة منها. والآثار عن السلف في حبوط الأعمال بالكبيرة كثيرة جداً يطول استقصاؤها. حتى قال حذيفة: قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة. وعن عطاء قال: إن الرجل ليتكلم في غضبه بكلمة يهدم بها عمل ستين سنة أو سبعين سنة. الفتح لابن رجب (١/ ١٩٦).

مسألة: تقرر فيما سبق أن الحسنات تمحو السيئات، فهل يكون مع المحو تبديل للسيئات؟

ظاهر كلام ابن القيم يدل عليه. تهذيب مدارج السالكين (١٧٢). وانظر: مسألة تبدل سيئات الكافر حسنات إذا أسلم. جامع العلوم والحكم (١/ ٢٩٧)، غذاء الألباب (٢/ ٥٧٤). وانظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٣، ٤٦٠).

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال سليمان بن عبد الله: إن العبد لو أتاه بملء الأرض خطايا وقد مات على التوحيد فإنه يقابله بالمغفرة الواسعة التي تسع ذنوبه. اهـ. التيسير.

قال ابن عثيمين: إن في هذا الحديث فضل التوحيد، وأنه سبب لتكفير الذنوب، فهو مطابق لقوله في الترجمة: «وما يكفر من الذنوب». اهـ. وقال الدمياطي (١٣٣١هـ): هذا الحديث أرجى حديث في السُّنَّة، وفيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجوده. اهـ. الجواهر اللؤلؤية (٣٧٧)، القول المفيد (١/ ٨٥).

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن كثير بن فائد ليس بالقوي، قال ابن حجر: مقبول[١]، وقد تفرد به، كما قال الدارقطني[٢].

٢ ـ أن سعيد بن عبيد ليس بالقوي، قال أبو حاتم: شيخ[٣]، وقد تفرد به، كما قال الترمذي وأبو نعيم[٤]، وتفرُّد مثله لا يقبل[٥].

٣ ـ الاختلاف في رفعه ووقفه على سعيد بن عبيد، فرواه مرفوعاً كثير بن فائد وأبو سعيد مولى بني هاشم، ورواه موقوفاً سَلم بن قتيبة[٦]، وهذا الاختلاف مؤثر في قوة الحديث[٧].

الخلاصة: الحديث ضعيف كما تقدم؛ لكن جاء ما يشهد له عند مسلم (٢٦٨٧)، من طريق الأعمش، عن المعرور، عن أبي ذر ﵁ مرفوعاً بلفظ: «**ومن لَقِيَنِي بقراب الأرض خطيئة لَا يُشرِك بِي شيئاً لَقِيتُهُ بِمثلِها مغفِرة**»[٨].

---

[١] التقريب (٥١٥).
[٢] الأفراد والغرائب (٦٦٤).
[٣] الكاشف (٤٤١).
[٤] الحلية (٢/ ٢٣١).
[٥] قال الذهبي: وقد يعد تفرد الصدوق منكراً. الموقظة (٣٤).
[٦] الفرائد والغرائب (٦٤٤)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٤١).
[٧] قال ابن رجب (٧٩٥هـ): والاختلاف إن كان من سيئ الحفظ نسب به إلى الاضطراب وعدم الضبط إنما يحتمل مثل ذلك ممن كثر حديثه وقوي حفظه؛ كالزهري وشعبة ونحوهما. اهـ. شرح علل الترمذي (١٠٨).
قال ابن حجر (٨٥٢هـ): هذا التلون في الحديث الواحد بالإسناد الواحد مع اتحاد المخرج يوهن راويه وينبئ بقلة ضبطه إلا أن يكون من الحفاظ المكثرين المعروفين بجمع طرق الحديث فلا يكون ذلك دالّاً على قلة ضبطه. اهـ. التلخيص الحبير (٢/ ٢١٦).
[٨] وما ذكره المؤلف من فضائل للتوحيد فإنما هي من باب التمثيل =

فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله﴿١﴾. **الثانية**: كثرة ثواب التوحيد عند الله﴿٢﴾. **الثالثة**: تكفيره مع ذلك للذنوب﴿٣﴾. **الرابعة**: تفسير الآية التي في سورة الأنعام. **الخامسة**: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة﴿٤﴾. **السادسة**: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول: «لا إلٰه إلا الله»، وتبين لك خطأ المغرورين﴿٥﴾. **السابعة**: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان﴿٦﴾. **الثامنة**: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لا إلٰه إلا الله». **التاسعة**: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخفّ ميزانه﴿٧﴾. **العاشرة**: النص على أن الأرضين سبع كالسماوات﴿٨﴾. **الحادية عشرة**: أن لهن

= لا الحصر. وقد ذكر السعدي (١٣٧٦هـ) في كتابه «القول السديد» فضائل للتوحيد لم يذكرها المؤلف. القول السديد (٢٤).

﴿١﴾ لقوله ﷺ: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». القول المفيد (١/ ٨٥).

﴿٢﴾ لقوله ﷺ: «**مالت بهن لا إلٰه إلا الله**». القول المفيد (١/ ٨٥).

﴿٣﴾ لقوله ﷺ: «**لأتيتك بقرابها مغفرة**». القول المفيد (١/ ٨٥).

﴿٤﴾ وهي الشهادتان، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق. القول المفيد (١/ ٨٦).

﴿٥﴾ وهو أن ترك الشرك ليس قول: لا إلٰه إلا الله باللسان فقط، ولا مجرد إثبات أن الله هو الصانع. حاشية ابن قاسم (٣٦).

﴿٦﴾ وهو أن يبتغي بقولها وجه الله، ولا يكفي مجرد القول؛ لأن المنافقين كانوا يقولونها ولم تنفعهم. القول المفيد (١/ ٨٦).

﴿٧﴾ وكون كثير ممن يقولها يخف ميزانه؛ فلعدم تحققه بها ظاهراً وباطناً، وعدم الإتيان بجميع شروطها وأركانها ولوازمها. التوضيح المفيد (٣٧).

﴿٨﴾ النص على أن الأرضين سبع كالسماوات: لم يرد في القرآن تصريح بذلك، بل ورد صريحاً أن السماوات سبع بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]؛ لكن بالنسبة للأرضين لم يرد إلا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى =

عُمَّاراً[١]. **الثانية عشرة**: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية[٢]. **الثالثة عشرة**: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إلـٰه إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أن ترك الشرك، ليس قولها باللسان[٣]. **الرابعة عشرة**: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدَي الله ورسولَيه[٤]. **الخامسة عشرة**: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله[٥]. **السادسة عشرة**: معرفة كونه روحاً منه[٦].

= ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، فالمثلية بالكيفية غير مرادة لظهور الفرق بين السماء والأرض في الهيئة، والكيفية، والارتفاع، والحسن، فبقيت المثلية في العدد. أما السُّنَّة، فهي صريحة جداً بأنها سبع، مثل قوله ﷺ: «**من اقتطع شبراً من الأرض، طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**». القول المفيد (١/ ٨٧).

[١] أي: السمٰوات والأرض، كما أشار إليه صاحب التيسير، وقيل: أي: السمٰوات، كما قال ابن عثيمين. التوضيح المفيد (٣٧)، القول المفيد (١/ ٨٦).

[٢] قال ابن عثيمين: وفي بعض النسخ خلافاً للمعطلة، وهذه أحسن؛ لأنها أعم، حيث تشمل الأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم، ففيه إثبات الوجه لله سبحانه بقوله: «**يبتغي بذلك وجه الله**»، وإثبات الكلام بقوله: «**وكلمته ألقاها**»، وإثبات القول في قوله: «**قل لا إلـٰه إلا الله**». القول المفيد (١/ ٨٨).

[٣] قال ابن عثيمين: وفي بعض النسخ: «إذا ترك الشرك»؛ أي: أن قوله: «**حرم على النار من قال: لا إلـٰه إلا الله يبتغي بذلك** (يعني: ترك الشرك)». وليست مجرد قولها باللسان؛ لأن من ابتغى وجه الله في هذا القول لا يمكن أن يشرك أبداً. القول المفيد (١/ ٨٨).

[٤] وتأمل الجمع من وجهين: الأول: أنه جمع لكل منهما بين العبودية والرسالة. الثاني: أنه جمع بين الرجلين، فتبين أن عيسى مثل محمد، وأنه عبد ورسول، وليس رباً ولا ابناً للرب سبحانه. القول المفيد (١/ ٨٩).

[٥] أي: أن عيسى انفرد عن محمد في أصل الخلقة، فقد كان بكلمة، أما محمد ﷺ فقد خلق من ماء أبيه. القول المفيد (١/ ٨٩).

[٦] أي: أن عيسى روح من الله، و«من» هنا بيانية أو للابتداء، وليست للتبعيض؛ أي: روح جاءت من قبل الله وليست بعضاً من الله، بل هي من جملة الأرواح المخلوقة. القول المفيد (١/ ٨٩).

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار[١]. **الثامنة عشرة:** معرفة قوله: «على ما كان من العمل». **التاسعة عشرة:** معرفة أن الميزان له كفتان. **العشرون:** معرفة ذكر الوجه.

۞ ۞ ۞

[١] حيث جعله شرطاً في دخول الجنة، وقرنه بالشهادتين وما بعدهما. التوضيح المفيد (٣٨).

٣

باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون].

عن حصين بن عبد الرحمٰن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حُمَة». قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع؛ ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب». ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك. فقال بعضهم: فلعلهم

الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً. وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هم الذين لا يَسْتَرْقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم»، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة»، رواه البخاري ومسلم.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد. الثانية: ما معنى تحقيقه. الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين. الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك. الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل. السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل. الثامنة: حرصهم على الخير. التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية. العاشرة: فضيلة أصحاب موسى. الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام. الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها. الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء. الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده. الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم وهو: عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة. السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة. السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: قد

أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني. الثامنة عشرة: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه. التاسعة عشرة: قوله: «أنت منهم» عَلَم من أعلام النبوة. العشرون: فضيلة عكاشة. الحادية والعشرون: استعمال المعاريض. الثانية والعشرون: حسن خلقه.

۞ ۞ ۞





٣ ـ باب: من حقق التوحيد ﴿١﴾ دخل الجنة بغير حساب

. . . .

﴿١﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ): تحقيقه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.اهـ. فتح المجيد (٦٠). **والصواب أن** تحقيقه: هو تخليصه وتصفيته من الشرك والبدع والمعاصي وما ينافي التوكل. قال الشيخ عبد الكريم الخضير: ولا بد من إدخال تمام التوكل في معنى تحقيق التوحيد؛ لكي تلتئم الترجمة مع الحديث؛ لأن المصنف ذكر الحديث لبيان معنى الترجمة، والشراح حينما شرحوا هذه الترجمة ما رأيت أحداً أشار إلى أن تمام التوكل الذي يترتب عليه ترك الاسترقاء وترك الكي.

وقال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): وتحقيقه من وجهين: واجب ومندوب، فالواجب تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي. فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه. والمندوب تحقيق المقربين، تركوا ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وحقيقته هو انجذاب الروح إلى الله، فلا يكون في قلبه شيء لغيره.اهـ. حاشية ابن قاسم (٣٧).

وقال عبد الرحمٰن بن حسن: وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخلص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفي قراءة: «المخلِصين».اهـ. قرة عيون الموحدين (٦٠).

قال ابن الجوزي: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح =

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾﴿١﴾ ﴿حَنِيفًا﴾﴿٢﴾ ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾﴿٣﴾ [النحل: ١٢٠]﴿٤﴾.

= اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. اهـ. زاد المسير (٦٩٢).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** بيان مراتب أهل التوحيد، وأن أعلاهم مرتبة هو من حققه. قال إمام الدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) في مسائل هذا الباب: الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد. الثانية: ما معنى تحقيقه. اهـ. وقال أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر: إن الناس يتفاضلون في التوحيد، تفاضلاً عظيماً، ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض. فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.. ومنهم من يدخل النار، وهم العصاة، ويمكثون فيها على قدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها لأجل ما في قلوبهم من التوحيد والإيمان. اهـ. الدرر السنية (١/ ٢٠٧).

علاقته بالباب الذي قبله: هذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابع له كما قال السعدي؛ لأن من فضل التوحيد دخول الجنة بغير حساب. القول السديد (٢٨).

الفرق بين هذا الباب والذي قبله: أن هذا الباب هو في الموحد الكامل التوحيد، والذي قبله في الموحد الذي عنده مطلق التوحيد. إعانة المستفيد (١/ ٧٨).

﴿١﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): القنوت دوام الطاعة، والمصلي إذا أطال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]. اهـ. ملخصاً. الفتاوى (٢٣/ ٧٠).

﴿٢﴾ قال عبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ): للعلماء فيها تفسيران؛ ولكن المعنى واحد، فقيل: الحنيف هو المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه. وقيل: الحنيف هو المائل قصداً إلى التوحيد عن الشرك، والمعنى واحد. اهـ.

﴿٣﴾ أي: ابتعد عنهم؛ لأن (مِنْ) تحتمل أن تكون تبعيضية، فتكون المباعدة بالأجسام، ويحتمل أن تكون بيانية، فتكون المباعدة بمعنى الشرك. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٩). قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): فارقهم بالقلب واللسان والبدن. اهـ. حاشية ابن قاسم (٣٧).

﴿٤﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: هذه أربع صفات وصف الله بها إبراهيم: وهي: الصفة الأولى: أنه كان أمة، يعني: قدوة في الخير. =

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون]﴿١﴾.

عن حصين بن عبد الرحمٰن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت﴿٢﴾.

= الصفة الثانية: أنه كان قانتاً لله ثابتاً على الطاعة مخلصاً عمله لله. الصفة الثالثة: أنه كان حنيفاً، مقبلاً على الله معرضاً عما سواه. الصفة الرابعة: أنه لم يك من المشركين؛ أي: بريء منهم ومن دينهم. وهذا هو تحقيق التّوحيد.اهـ. إعانة المستفيد (٧٨).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): مناسبة الآية للترجمة من جهة أن الله تعالى وصف المؤمنين السابقين إلى الجنات بصفات أعظمها الثناء عليهم بأنهم بربهم لا يشركون أي شيء من الشرك في وقت من الأوقات، فإن الإيمان النافع مطلقاً لا يوجد إلا بترك الشرك مطلقاً، ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدح في إيمانه من شرك جلي أو خفي نفى عنهم ذلك، ومن كان كذلك فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية، وفاز بأعظم التجارة، ودخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.اهـ. التيسير (٧٨).

فوجه الاستدلال من الآية على الباب: أن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ فقوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾ نفي للشرك، وقد ذكرنا من قبل أن النفي إذا تسلط على الفعل المضارع فإنه يفيد عموم المصدر الذي يدل عليه الفعل، فكأنه ـ جل وعلا ـ قال: والذين هم بربهم لا يفعلون شركاً، أو لا يشركون لا بشرك أكبر، ولا أصغر، ولا خفي. والذي لا يشرك هو الموحد، فصار عندنا لازم، وهو أن من لم يشرك بالله أيَّ نوع من الشرك، فإنه ما ترك الشرك إلا لتوحيده، قال العلماء: قدم هنا قوله: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾؛ لأن الربوبية تستلزم العبودية، فصار عدم الإشراك في الربوبية معناه عدم الإشراك في الطاعة وعدم الإشراك في العبودية، وهذا وصف الذين حققوا التوحيد؛ لأنه يلزم من عدم الإشراك: ألا يُشرِك هواه؛ لأن المرء إذا أشرك هواه أتى بالبدع، أو أتى بالمعصية، فصار نفي الشرك نفياً للشرك بأنواعه ونفياً للبدعة، ونفياً للمعصية، وهذا هو تحقيق التوحيد لله ـ جل وعلا ـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣١).

﴿٢﴾ كأن الظاهر أنه رقى نفسه.

قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب﴿١﴾ أنه قال: «لا رقية إلا من عين أو حمة﴿٢﴾»﴿٣﴾﴿٤﴾ . قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع؛

﴿١﴾ مسلم (٢٢٠)، وأحمد (١/ ٢٧١)، من طريق هشيم، عن حصين بن عبد الرحمٰن، عن الشعبي، عن بريدة بن حصيب ﷺ.

وأما البخاري (٥٧٥٢) فرواه من طريق ابن فضيل، عن حصين بن عبد الرحمٰن، عن الشعبي، عن عمران بن حصين، بدلاً من بريدة بن حصيب ﷺ.

﴿٢﴾ قوله: «إلا من عين»: يصيب العائن بها غيره إذا استحسنه عند رؤيته، فيتضرر المرء منه. «أو حمة»: بتخفيف الميم، وهي سم العقرب أو شوكتها، وقيل: كل هامة ذات سم. إتحاف القاري بدرر البخاري (٩/ ٥٧).

﴿٣﴾ جاء: «لا رقية إلا من عين أو حمة» مرفوعاً:

أ ـ عند أحمد (٤/ ٤٣٦)، وأبو داود (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧)، من طريق حصين بن عبد الرحمٰن، عن الشعبي، عن عمران بن حصين، مرفوعاً. قال البخاري: حديث الشعبي عن عمران مرسل.اهـ. وقد أخرجه البخاري من قول عمران بن حصين. الفتح لابن حجر (١٠/ ١٥٦).

ب ـ عند ابن ماجه: من طريق حصين بن عبد الرحمٰن، عن الشعبي، عن بريدة. وهذا الإسناد شاذ؛ لأن هشيماً عند مسلم (٢٢٠)، وشعبة عند الترمذي روياه عن حصين عن الشعبي عن بريدة موقوفاً. والحديث من كلا طريقيه هو حديث واحد، وقد حكم عليه الدارقطني في العلل بالاضطراب. العلل (١٢/ ١٠٩)، وقال ابن عبد البر: وهذا حديث يرويه الشعبي واختلف عليه فيه اختلافاً كثيراً.اهـ. التمهيد (٢٣/ ١٥٧). وقال المزي في التحفة (٢/ ٧٧): رواه غير واحد عن حصين، عن الشعبي، عن عمران، وهو المحفوظ.اهـ. ومع كون هذه الطريق محفوظة عند المزي فقد أعلها البخاري، كما سبق.

لكن جاء ما يشهد للرقية من العين والسم عند مسلم (٢١٩٧)، من حديث أنس ﷺ بلفظ: «رخص رسول الله ﷺ في الحمة والنملة والعين». ومن حديث أم سلمة عند مسلم (٢١٩٨)، في الرقية من العين. ومن حديث جابر ﷺ عند مسلم (٢١٩٩)، في رقية الحية.

﴿٤﴾ قيل: إن المراد أن أنفع الرقى إذا كانت من عين وحمة. إكمال المعلم (٧/ ٤٩)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٦٨). وقيل: إنه على سبيل الحصر؛ أي: =

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط**﴿١﴾ **، والنبي ومعه الرجل والرجلان**﴿٢﴾﴿٣﴾ ،

= لا رقية إلا من عين أو حمة. الفتح (١٠/ ١٦٨).

﴿١﴾ قال أبو عبيد: الرهط ما دون العشرة. وقال ابن حجر: هو عدد من ثلاثة إلى عشرة. اهـ. وهذا هو الأصل؛ ولكن تأتي على خلاف ذلك إلا دل عليها السياق، كما في حديث اللديغ، حيث قال ابن حجر: وقوله: «لو أتيتم هؤلاء الرهط»، قال ابن التين: قال تارة نفراً وتارة رهطاً، والنفر ما بين العشرة والثلاثة، والرهط ما دون العشرة. وقيل يصل إلى الأربعين، قلت: وهذا الحديث يدل له. اهـ. الفتح (١/ ١٢٥)، (٧/ ١١٩)، (٨/ ٤٥٨).

﴿٢﴾ والواو هنا بمعنى أو؛ لأنه لو أريد الجمع لقيل: معه الثلاثة، وهذا يدل على أن الرهط لا يتناول الرجل والرجلين.

﴿٣﴾ قال الشيخ عبد الكريم الخضير: هؤلاء الذين عرضوا مع نبيهم إنما هم بسبب دعوته لهم، لكن مقتضى النبوة هل مقتضاها الدعوة، أو أن هؤلاء اقتدوا به من غير دعوة؟ النبي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، على قول الأكثر، أو نقول هنا: الرسول رأيت الرسول ومعه الرهط، ورأيت الرسول ومعه الرجل والرجلان، ورأيت الرسول وليس معه أحد؛ لأنه دعا؟ أو أن الفرق يطلب إذا اجتمع بين النبي والرسول وإذا افترقا دخل كل واحد منهما في الآخر، أو يكون هذا من باب الرواية بالمعنى؛ لأن كل رسول نبي، ولا ينفي كونه نبياً أن يكون رسولاً فيدعو قومه فيستجيب من يستجيب ويمتنع من يمتنع؛ لأنه لا يمكن أن يستدل بهذا الحديث على أن النبوة والرسالة بمعنًى واحد، ولا يمكن أن يقول قائل: النبي من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، أخذاً من هذا الحديث؛ لأنه قد يكون رسولاً وهو في الوقت نفسه نبي؛ لأن كل رسول نبي، والاقتصار على أحد الوصفين لا ينفي الآخر. اهـ.

والذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية أن الفرق بين الرسول والنبي، أن الرسول يُبعث إلى قوم مخالفين، وأن النبي والرسول كليهما يبلغان. النبوات (٢٢/ ٦٧).

وانظر أقوال العلماء مفصّلة في هذه المسألة، في: تفسير الطبري (١٧١٨٩)، وأعلام النبوة للماوردي (٣٧ ـ ٣٨)، والفَرق بين الفِرق للبغدادي (٣٤٢)، والشفا للقاضي عياض (١٢٥١)، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢١٧٣)، وتفسير القرطبي (١٢٥٤)، وزاد المعاد لابن القيم (١٤٣)، وطريق الهجرتين له (٣٤٩)، وشرح الطحاوية (١٦٧)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٥٧) ولوامع الأنوار البهية =

والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»﴿١﴾.

ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً. وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «**هم الذين لا يسترقون**﴿٢﴾، **ولا يتطيرون،**

= (١٤٩)، وأضواء البيان للشنقيطي (٥٧٣٥)، ورحلة الحج له (١٣٦ ـ ١٣٧).

﴿١﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وأن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فالمزية مزيتان: مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل للواحد السبق والرفعة ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق.اهـ. وجاء نحوه عن ابن تيمية، وقرر هذا المعنى ـ أيضاً ـ ابن حجر. الفتاوى (١١/١٢٨)، حادي الأرواح (١٧٠، ١١/٤٠٩).

﴿٢﴾ **جاءت عند مسلم (٢٢٠)، زيادة «لا يرقون»، من طريق سعيد بن منصور، عن هشيم، عن حصين، عن سعيد، عن ابن عباس** رضي الله عنهما. وهي شاذة؛ لأمور:

أ ـ أن زكريا بن يحيى ومحمد بن الصباح وابن النعمان وغيرهم رووه عن هشيم بدون: «ولا يرقون».

ب ـ أن شعبة وحصين بن نمير وابن فضيل وغيرهم رووه عن حصين بن عبد الرحمٰن بدون: «لا يرقون».

جـ ـ أن الحديث رواه جماعة من الصحابة بدون «لا يرقون». أن البخاري أعرض عنها، كما قال ابن تيمية.

=

ولا يكتوون﴿١﴾، وعلى ربهم يتوكلون﴿٢﴾»﴿٣﴾. فقام عكاشة بن

= د ـ مخالفة هذه الزيادة للأحاديث الصحيحة في فعل الرقية.

هـ ـ أن ابن تيمية وابن القيم ضعَّفا هذه الزيادة.

البخاري (٢٣٩٦، ٣٢٢٩، ٦١٠٧، ٦١٧٥)، مسلم (٢٢٠)، أحمد (١/ ٢٧١)، الترمذي (٢٤٤٦)، النسائي (٧٦٠٤)، ابن حبان (٦٤٣٠)، الفتاوى (١/ ١٨٢)، الرد على البكري (١/ ٣٨٣)، الاقتضاء (١/ ٤٤٨)، زاد المعاد (١/ ٤٩٥)، حادي الأرواح (٨٩)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤)، عمدة القاري (٢١/ ٢٧٢)، الفتح (١/ ٢١١)، والتيسير (٨٥).

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٨٥هـ): قوله: «ولا يكتوون»؛ أي: لا يسألون غيرهم أن يكويهم، كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم استسلاماً للقضاء وتلذذاً بالبلاء. اهـ.

وتعقبه عبد الرحمٰن بن حسن حيث قال: والظاهر أن قوله: «لا يكتوون» أعم من أن يسألوا ذلك أو يفعل ذلك باختيارهم. اهـ. التيسير (٨٦)، فتح المجد (١/ ١٢٤).

﴿٢﴾ أن الجامع لهذه الأفعال هو التوكل، كما قال إمام الدعوة وعبد الرحمٰن بن حسن. فتح المجيد (١/ ١٦٧).

﴿٣﴾ حكم التداوي بالكي والاسترقاء:

أولاً: حكم التداوي عموماً:

أ ـ التداوي بالمحرم كالخمر، ولحم الخنزير، فللعلماء قولان في حكمه:

القول الأول: ذهب مالك، وأحمد، ووجه عند الشافعية، والشنقيطي، وابن باز إلى تحريم التداوي بالخمر. لقوله ﷺ: «**إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرَّم عليهم**»، رواه وابن حبان (١٣٩٧)، والبيهقي (١٠/ ٥)، واللفظ له، من حديث أم سلمة، وليس إسناده بالقوي؛ ولكن جاء من قول ابن مسعود بإسناد صحيح كما قال ابن حجر. التلخيص الحبير (٤/ ٢٠٧). ويشهد له ما رواه مسلم (١٩٨٤)، من حديث سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن أبيه وائل الحضرمي: أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر؟ فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**».

القول الثاني: وذهب أبو حنيفة إلى الجواز، قال ابن تيمية: والذين جوَّزوا التداوي بالمحرَّم قاسوا ذلك على إباحة المحرمات كالميتة والدم للمضطر، وهذا =

. . . .

= ضعيف لوجوه: أحدها: أن المضطر يحصل مقصوده يقيناً بتناول المحرمات، وأما الخبائث بل وغيرها فلا يتيقن حصول الشفاء بها. الثاني: أن المضطر لا طريق له إلى إزالة ضرورته إلا الأكل من هذه الأعيان، وأما التداوي فلا يتعين تناول هذا الخبيث طريقاً لشفائه. الثالث: أن أكل الميتة للمضطر واجب عليه في ظاهر مذهب الأئمة وغيرهم كما قال مسروق: من اضطر إلى الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار، وأما التداوي فليس بواجب عند جماهير. الفتاوى (٢٤/ ٢٦٩).

ب ـ التداوي بالمباح:

أولاً: نقل ابن القيم، والذهبي، والبهوتي الإجماع على مشروعية التداوي.

ثانياً: اختلف أهل العلم في حكم مشروعية التداوي بعد اتفاقهم على المشروعية، على أقوال:

القول الأول: أن فعل التداوي مباح، وفعله وتركه سواء في الأفضلية، وهو قول ابن عمر، وعطاء، وبه قال الحنفية، ومالك، والمالكية، وهو اختيار ابن العربي، وابن عبد البر؛ بقاءً على الأصل.

القول الثاني: أن التداوي مباح، وتركه أفضل، وبه قال أحمد؛ وهو المشهور عند الحنابلة، واختاره النووي، وابن الوزير؛ لأنه أقرب إلى التوكل، وهو فعل بعض الصحابة والتابعين كابن مسعود، وأُبي بن كعب، وأبي الدرداء، والربيع بن خثيم، والحسن، ويدل له حديث المرأة السوداء عند مسلم (٢٥٧٦) التي كانت تُصرع فاختارت البلاء والجنة على الشفاء من المرض.

القول الثالث: أن التداوي مباح، وفعله أفضل، وهو اختيار القاضي أبي يعلى، وابن الجوزي، وابن عقيل، والمقدسي، والطوفي، وابن القيم، والبهوتي؛ لكون التداوي حال النبي ﷺ التي كان يداوم عليها، ولا يداوم إلا على الأفضل؛ لقول النبي ﷺ: «**تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء**» رواه أحمد (٤/ ٢٧٦)، أبو داود (٣٥٨٨)، والترمذي (٢٠٣٨)، من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك. وصححه: الترمذي (٢٠٣٨)، وابن خزيمة (٢٩٥٥)، وابن حبان (٦٠٦٤)، والحاكم (١/ ٢٠٨)، والنووي، وقال الذهبي: إسناد قوي. وذكره الدارقطني في الإلزامات. وقال سفيان بن عيينة: ما على وجه الأرض إسناد أجود من هذا، قالوا: ولا نقول بوجوبه؛ لأنه لا يقطع بنفعه.

القول الرابع: أن التداوي مستحب، وبه قال الشافعية، ونسبه النووي للجمهور. =

. . . .

= **القول الخامس**: أن فعل التداوي واجب، وبه قال بعض الحنابلة، وبعض الشافعية، قال ابن تيمية: ولست أعلم سالفاً أوجب التداوي.اهـ. وضعف هذا القول ابن مفلح، ومما يدل على ضعفه أن ابن عبد البر، والقاضي عياض حكى الإجماع على عدم وجوب التداوي، قال شيخ الإسلام: والتداوي غير واجب، ومن نازع فيه خصمته السُّنَّة في المرأة السوداء التي خيرها النبي ﷺ بين الصبر على البلاء ودخول الجنة وبين الدعاء بالعافية. فاختارت البلاء والجنة. ولو كان رفع المرض واجباً لم يكن للتخيير موضع كدفع الجوع، وفي دعائه لأُبي بالحمى، وفي اختياره الحمى لأهل قباء، وفي دعائه بفناء أمته بالطعن والطاعون، وفي نهيه عن الفرار من الطاعون. وخصمه حال أنبياء الله المبتلين الصابرين على البلاء حين لم يتعاطوا الأسباب الدافعة له، مثل أيوب عليه السلام وغيره. وخصمه حال السلف الصالح؛ فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين قالوا له: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني، قالوا: فما قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد. ومثل هذا ونحوه يروى عن الربيع بن خثيم المخبت المنيب الذي هو أفضل الكوفيين أو كأفضلهم، وعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الهادي المهدي، وخلق كثير لا يحصون عدداً. ولست أعلم سالفاً أوجب التداوي، وإنما كان كثير من أهل الفضل والمعرفة يفضل تركه تفضلاً واختياراً؛ لما اختار الله ورضا به وتسليماً له، وهذا المنصوص عن أحمد وإن كان من أصحابه من يوجبه ومنهم من يستحبه ويرجحه، كطريقة كثير من السلف استمساكاً لما خلقه الله من الأسباب وجعله من سنته في عباده.اهـ.

القول الخامس التفصيل: قال ابن تيمية: قد تنازعوا في التداوي: هل هو مباح أو مستحب أو واجب؟ والتحقيق: أن منه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مستحب، وقد يكون منه ما هو واجب.اهـ. وهو اختيار بكر أبو زيد، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

ثالثاً: حكم الاسترقاء «طلب الرقية»، فللعلماء قولان في حكمها:

القول الأول: الجواز: جمهور أهل العلم، وحكى الاتفاق عليه ابن عبد البر، والأزهري.

القول الثاني: الكراهة: وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم. واستدلوا بحديث الباب، حيث إن الاسترقاء نوع سؤال، وقد جاءت النصوص بالاستغناء عن الناس. =

محصن فقال: ادع الله﴿١﴾ أن يجعلني منهم﴿٢﴾، قال: «**أنت منهم**»،

= رابعاً: حكم الاكتواء:

القول الأول: مكروه وتركه أولى، وبه قال ابن حجر، وابن باز. لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم، كما قال ابن حجر.

القول الثاني: مكروه إذا سأله، وبه قال سليمان بن عبد الله.

بدائع الصنائع (٥/ ١٢٧)، التمهيد (٥/ ٢٧٧، ٢٣/ ١٥٦)، الآداب الشرعية (٢/ ٣٤٨)، شرح النووي لمسلم (٣/ ٩١، ١٤/ ١٩١)، المجموع (٥/ ٩٦)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٣١)، القبس (٣/ ١١٢٨)، تحفة المحتاج (٣/ ١٨٢)، الفتاوى (١/ ١٨٢، ١٨/ ١٢، ٢١/ ٥٦٤، ٢٤/ ٢٦٩)، المدارج (١/ ٢٢٢)، بدائع الفوائد (٣/ ١٧٨)، تلبيس إبليس (٣٢٤)، زاد المعاد (١/ ٤٩٦، ٤/ ١٠)، الطب النبوي «للذهبي» (٢٢٠)، الفتاوى الهندية (٥/ ٤٥٤)، الهداية شرح البداية (٤/ ٩٧)، الكافي في فقه أهل المدينة (٢/ ١١٤٢)، الثمر الداني (٧١٠)، الإنصاف (٩/ ٤١١)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٥٠١)، الفتح لابن حجر (١٠/ ١٣٩، ١٩٥)، كشاف القناع (٢/ ٧٦)، عون المعبود (١٠/ ٢٦٣)، مجلة المجمع الفقهي العدد السابع (٣/ ٧٣١)، فقه النوازل (٢/ ١٦).

﴿١﴾ قال حامد بن محمد بن حسن بن محسن (توفي في أول القرن الثالث عشر): قال ادع الله أن يجعلني منهم ولم يقل اجعلني منهم.اهـ. فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (١٦٠).

﴿٢﴾ حكم طلب الدعاء من الآخرين:

القول الأول: المشروعية، وبه قال جمهور أهل العلم، وحكى النووي الإجماع على استحبابه. الأذكار للنووي (٦٣٥).

قال الصنعاني: وهذا لا شك في جوازه، أعني طلب دعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض، بل قال ﷺ لعمر ﵁، لما خرج معتمراً: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**» ـ حديث ضعيف ـ. وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين وأن نستغفر لهم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقد قالت أم سليم ﵂: يا رسول الله، خادمك أنس ادعُ الله له. وقد كان الصحابة ﵃، يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي. وهذا أمر متفق على جوازه.اهـ.

ومن الأدلة: ما رواه مسلم (٢٧٣٢)، عن صفوان قال: قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟ =

....

= فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**».

وما رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٣٣)، المفرد بسند صحيح، عن عبد الله الرومي، قيل لأنس: إن إخوانك أتوك من البصرة ـ وهو يومئذ بالزاوية ـ لتدعو الله لهم، قال: «اللَّهم اغفر لنا وارحمـنا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وما رواه الطبراني عن أبي سعيد مولى أسيد قال: كان عمر رضي الله عنه، إذا صلى العشاء أخرج الناس من المسجد، فتخلف ليلة مع قوم يذكرون الله، فأتى عليهم فعرفهم فألقى درته وجلس معهم، فجعل يقول: يا فلان ادع الله لنا، يا فلان ادع الله لنا، حتى صار الدعاء إلى عمر، فكانوا يقولون: عمر فظ غليظ، فلم أر أحداً من الناس تلك الساعة أرق من عمر رضي الله عنه، لا ثكالى ولا أحداً.

القول الثاني: لا يشرع إلا أن يقصد به نفع الداعي. وبه قال ابن تيمية؛ لعموم أدلة الاستغناء عن الناس. الفتاوى (١/ ٧٩، ١٢٩، ٣٢٩، ٢٧/ ٦٩).

الجمع بين القولين: أن طلب الدعاء من الآخرين جائز مباح بالاتفاق كما حكاه الصنعاني، بل نقل النووي الإجماع على استحبابه؛ ولكن هذا الجواز والاستحباب محمول على ألا يؤدي طلب الدعاء من الآخرين إلى محاذير ـ قال الشاطبي (٧٩٠هـ): فقد جاء في دعاء الإنسان لغيره الكراهية عن السلف لا على حكم الأصالة بل بسبب ما ينضم إليه من الأمور المخرجة عن الأصل. اهـ. الاعتصام (٢/ ٢٤) ـ **منها**:

أ ـ أن لا يقصد الطالب للدعاء أن يكون الدعاء خاصاً به، وقد أشار لهذا المحذور شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه سؤال محض، وقد أتت الأدلة بالاستغناء عن سؤال الناس.

ب ـ أن لا يؤدي للمبالغة في تعظيم المدعو، قال ابن رجب: كذلك المبالغة في تعظيم الشيوخ وتنزيلهم منزلة الأنبياء هو المنهي عنه. وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، يكرهون أن يطلب الدعاء منهم ويقولون: «أأنبياء نحن؟»؛ فدل على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للأنبياء عليهم السلام. قال الشاطبي: خرَّج الطبري عن مدرك بن عمران قال: كتب رجل إلى عمر رضي الله عنه، =

. . . .

= فادع الله لي، فكتب إليه عمر: إني لست بنبي، ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك. فإباية عمر رضي الله عنه في هذا الموضع ليس من جهة أصل الدعاء، ولكن من جهة أخرى وإلا تعارض كلامه مع ما تقدم، فكأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء؛ فلذلك قال: لست بنبي، ويدلك على هذا ما روي عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه لما قدم الشام أتاه رجل فقال: استغفر لي، فقال: غفر الله لك، ثم أتاه آخر فقال: استغفر لي، فقال: لا غفر الله لك ولا لذاك، أنبي أنا؟ فهذا أوضح في أنه فهم من السائل أمراً زائداً، وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبي، أو أنه وسيلة إلى أن يعتقد ذلك، أو يعتقد أنه سُنَّة تلزم أو يجري في الناس مجرى السنن الملتزمة. ونحوه عن زيد بن وهب أن رجلاً قال لحذيفة رضي الله عنه: استغفر لي، فقال: لا غفر الله لك، ثم قال: هذا يذهب إلى نسائه فيقول: استغفر لي حذيفة، أترضين أن أدعو الله أن تكن مثل حذيفة، فدل هذا على أنه وقع في قلبه أمر زائد يكون الدعاء له ذريعة حتى يخرج عن أصله لقوله بعدما دعا على الرجل: هذا يذهب إلى نسائه فيقول كذا؛ أي: فيأتي نساؤه لمثلها ويشتهر الأمر حتى يتخذ سُنَّة ويعتقد في حذيفة ما لا يحبه هو لنفسه، وذلك يخرج المشروع عن كونه مشروعاً ويؤدي إلى التشيع واعتقاد أكثر مما يحتاج إليه. وقد تبين هذا المعنى بحديث رواه ابن علية عن ابن عون، قال: جاء رجل إلى إبراهيم فقال: يا أبا عمران، ادع الله أن يشفيني، فكره ذلك إبراهيم وقطب وقال: جاء رجل إلى حذيفة فقال: ادع الله أن يغفر لي، فقال: لا غفر الله لك، فتنحى الرجل فجلس، فلما كان بعد ذلك قال: فأدخلك الله مدخل حذيفة، أقد رضيت الآن يأتي أحدكم الرجل كأنه قد أحصر شأنه، ثم ذكر إبراهيم السُّنَّة فرغب فيها، وذكر ما أحدث الناس فكرهه. وروى منصور عن إبراهيم قال: كانوا يجتمعون فيتذاكرون فلا يقول بعضهم لبعض: استغفر لنا. فتأملوا يا أولي الألباب ما ذكره العلماء من هذه الأصنام المنظمة إلى الدعاء حتى كرهوا الدعاء إذا انضم إليه ما لم يكن عليه سلف الأمة. اهـ. الحكم الجديرة بالإذاعة (٢٤).

جـ - وأن لا يؤدي إلى أن يجري في الناس مجرى السنن. انظر: كلام الشاطبي السابق.

الفروع (٢/ ٦٠٢)، تطهير الاعتقاد (٢٢)، فتح الحميد (٤/ ١٨٠٥)، لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (٢١٢).

ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»﴿١﴾، رواه البخاري ومسلم﴿٢﴾.

﴿١﴾ للعلماء عدة أقوال في سبب عدم حصول هذا الرجل على ما حصل عليه عكاشة:

١ ـ أن هذا الرجل كان منافقاً، وبه قال ثعلب، وأبو العباس البرتي. ونوقش هذا القول بأمرين:

أ ـ أن الأصل في الصحابة عدم النفاق.

ب ـ أن هذا الطلب لا يصد من منافق لأن هذا الشيء لا يتطلع له المنافق.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية. وأجاب عليهم ابن حجر الفتح (١١/٤٠٨)، حيث قال: وجدت لقول ثعلب ومن وافقه مستنداً، وهو ما أخرجه الطبراني ومحمد بن سنجر في مسنده، وعمر بن شبَّة في (أخبار المدينة) من طريق نافع مولى حمنة، عن أم قيس بنت محصن، وهي أخت عكاشة، أنها خرجت مع النبي ﷺ إلى البقيع فقال: «**يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، كأن وجوههم القمر ليلة البدر**»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، وأنا؟ قال: «**وأنت**». فقام آخر فقال: وأنا؟ قال: «**سبقك بها عكاشة**»، قال: قلت لها: لمَ لم يقل للآخر؟ فقالت: «أراه كان منافقاً»، فإن كان هذا أصلاً ما جزم به من قال: كان منافقاً، فلا يدفع تأويل غيره إذ ليس فيه إلا الظن.

٢ ـ أن هذا الرجل لم تتوفر فيه الصفات التي يستحق بها أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وبه قال القرطبي.

٣ ـ أن النبي ﷺ علم بالوحي أنه يجاب في عكاشة ولم يقع ذلك في حق الآخر، وبه قال النووي. الفتح (١١/٤٠٨).

٤ ـ قال السهيلي: الذي عندي في هذا أنها كانت ساعة إجابة علمها ﷺ، واتفق أن الرجل قال بعدما انقضت، ويبينه ما وقع في حديث أبي سعيد: «ثم جلسوا ساعة يتحدثون»، وفي رواية ابن إسحاق بعد قوله: «**سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة**»؛ أي: انقضى وقتها. الفتح (١١/٤٠٨).

﴿٢﴾ البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠)، من طريق حصين بن عبد الرحمٰن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وانظر: إتحاف الخيرة (٨/ ٩٠)، فقد ذكر البوصيري شواهد الحديث. =

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد﴿١﴾. **الثانية**: ما معنى تحقيقه. **الثالثة**: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين. **الرابعة**: ثناؤه على سادات الأولياء﴿٢﴾ بسلامتهم من الشرك﴿٣﴾. **الخامسة**: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. **السادسة**: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل﴿٤﴾. **السابعة**: عمق علم الصحابة

= **علاقة الحديث بالباب**، قال إمام الدعوة في المسائل: الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. اهـ. وكذلك ترك التطير من تحقيق التوحيد.

وقال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الحديث للباب: أن فيه شيئاً من بيان معنى حقيقة التوحيد وثواب ذلك عند الله تعالى. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٠).

﴿١﴾ وهذه مأخوذة من قوله: «**يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**». ثم قال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون**». القول المفيد (١/ ١٠٦).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وكلام المؤلف من باب إضافة الصفة إلى موصوفها؛ أي: الأولياء السادات، وليس يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، السادات من الأولياء، بل يريد الأولياء الذين هم سادات الخلق. اهـ. القول المفيد (١/ ١٠٧).

﴿٣﴾ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾، وهذه الآية في سياق آيات كثيرة ابتدأها الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون]. القول المفيد (١/ ١٠٧).

﴿٤﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، ذكر الأصل الجامع الذي تنوعت عنه هذه الأفعال والخصال وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو نهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف: من المحبة والرجاء والخوف والرضا به رباً وإلٰهاً، والرضا بقضائه. اهـ. فتح المجيد (٦٠).

لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل﴿١﴾. **الثامنة**: حرصهم على الخير﴿٢﴾. **التاسعة**: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية﴿٣﴾. **العاشرة**: فضيلة أصحاب موسى﴿٤﴾. **الحادية عشرة**: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام﴿٥﴾. **الثانية عشرة**: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها﴿٦﴾. **الثالثة عشرة**: قلة من استجاب للأنبياء. **الرابعة عشرة**: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده. **الخامسة عشرة**: ثمرة هذا العلم وهو: عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة. **السادسة عشرة**: الرخصة في الرقية من العين والحمة. **السابعة عشرة**: عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعلم أن الحديث الأول

﴿١﴾ ووجهه أن الصحابة خاضوا فيمن يكون له هذا الثواب العظيم وذكروا أشياء. القول المفيد (١/١٠٨).

﴿٢﴾ يدل عليه تباحث الصحابة في معرفة أعمال من يدخل الجنة بغير حساب؛ لكي يعملوا بها ليحصلوا على هذا الفضل. ويدل على هذه المسألة سؤال عكاشة أن يكون من السبعين ألفاً. التوضيح المفيد (٤٢).

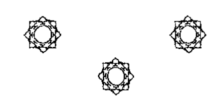
﴿٣﴾ أما الكمية؛ فلأن النبي ﷺ رأى سواداً عظيماً أعظم من السواد الذي كان مع موسى، وأما الكيفية؛ فلأن معهم هؤلاء الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. القول المفيد (١/١٠٨).

﴿٤﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وهو مأخوذ من قوله: «**إذ رفع لي سواد عظيم**»، ولكن قد يقال: إن التعبير بقول كثرة أتباع موسى أنسب لدلالة الحديث؛ لأن الحديث يقول: «**سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي**»، وهذا يدل على الكثرة. القول المفيد (١/١٠٨).

﴿٥﴾ قال عبد الله الدويش (١٤٠٩هـ): والمراد أن الله أراه مثالها إذا جاءت يوم القيامة. اهـ. التوضيح المفيد (٤٣).

﴿٦﴾ لقوله ﷺ: «**رأيت النبي ومعه الرجل والرجلان**»، ولولا أن كل نبي متميز عن النبي الآخر؛ لاختلط بعضهم ببعض، ولم يعرف الأتباع من غير الأتباع، ويدل لذلك قوله ﷻ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨]، فإنه يدل على أن كل أمة تكون وحدها. اهـ. القول المفيد (١/١٠٩).

لا يخالف الثاني﴿١﴾. **الثامنة عشرة**: بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه. **التاسعة عشرة**: قوله: «**أنت منهم**» عَلَم من أعلام النبوة﴿٢﴾. **العشرون**: فضيلة عكاشة. **الحادية والعشرون**: استعمال المعاريض﴿٣﴾. **الثانية والعشرون**: حسن خلقه﴿٤﴾.



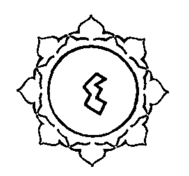
﴿١﴾ قال ابن عثيمين: لأن قوله: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**»، لا يخالف الثاني؛ لأن الثاني إنما هو في الاسترقاء والأول في الرقية؛ فالإنسان إذا أتاه من يرقيه ولم يمنعه؛ فإنه لا ينافي قوله: «**ولا يسترقون**».اهـ. القول المفيد (١/ ١١١).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين: يعني: دليلاً على نبوة الرسول، وكيف ذلك؟ لأن عكاشة بن محصن رضي الله عنه عنه بقي محروساً من الكفر حتى مات على الإسلام، فيكون في هذا علم، يعني: دليلاً من دلائل نبوة الرسول ﷺ، هذا إذا قلنا: إن الجملة خبرية وليست جملة دعائية. فإن قلنا: إنها جملة دعائية؛ فقد نقول أيضاً: فيه علم من أعلام النبوة، وهو أن الله استجاب دعوة الرسول ﷺ؛ لكن استجابة الدعوة ليست من خصائص الأنبياء؛ فقد تجاب دعوة من ليس بنبي، وحينئذٍ لا يمكن أن تكون عَلَماً من أعلام النبوة، إلا حيث جعلنا الجملة خبرية محضة.اهـ. القول المفيد (١/ ١١١).

ويدل لها ما جاء عند البيهقي: أن عكاشة قال للنبي ﷺ: أمنهم أنا، يا رسول الله؟ قال: «**نعم**». ومما يدل أن الجملة دعائية ما جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: «**اللّهم اجعله منهم**». ونوقش: بأن النبي ﷺ دعا له أولاً ثم أُخبر بأن الله أجاب دعوته.

﴿٣﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): لقول الرسول ﷺ: «**سبقك بها عكاشة**».

﴿٤﴾ لكونه لم يقل: لست منهم، فيقع في نفسه شيء؛ ولكن قال: «**سبقك بها عكاشة**». التوضيح المفيد (٤٤).



باب: الخوف من الشرك

وقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «أخوَف ما أخاف عليكم الشركُ الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء». رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندّاً دخل النار»، رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

○ فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك. الثانية: الرياء من الشرك. الثالثة: أنه من الشرك الأصغر. الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين. الخامسة: قرب الجنة والنار. السادسة: الجمع

بين قربهما في حديث واحد. **السابعة:** أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس. **الثامنة:** المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام. **التاسعة:** اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. **العاشرة:** فيه تفسير «لا إلـٰه إلا الله»، كما ذكره البخاري. **الحادية عشرة:** فضيلة من سلم من الشرك.

۞ ۞ ۞





٤ ـ باب: الخوف من الشرك﴿١﴾

. . . .

﴿١﴾ قال الشيخ عبد الله الغنيمان: ووجه الخوف منه ـ الشرك ـ من جهتين:

الجهة الأولى: أن فيه خفاء، كما سيأتينا في الحديث أن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة على صفاة صماء في ظلمة الليل، ويقصد بهذا شرك النيات، الشرك الذي يقع في النية والمقصد، وليس الشرك الذي يحدث بالفعل كالسجود والدعاء وما أشبه ذلك؛ فإن هذا ظاهر جلي.

الجهة الأخرى: كونه مخوفاً؛ لأن الله جل وعلا أخبر أنه لا يغفره لمن مات عليه. اهـ.

ومما يدعو إلى الخوف من الشرك ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) من قلة من يسلم من الشرك، حيث قال: وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه، مثل: أن يحب مع الله غيره. اهـ. الفتاوى (١/ ٩٣).

ووضح ابن قاسم (ت١٣٩٢هـ) كيفية السلامة من الشرك، حيث قال: وحقيقة الخوف من الشرك صدق الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه والابتهال والتضرع إليه، والبحث والتفتيش عن الشرك ووسائله وذرائعه؛ ليسلم من الوقوع فيه. اهـ.

ومما يبين أهمية الخوف من الشرك ما سطره ابن القيم (ت٧٥١هـ) بشأن الأصنام المنحوته في القلب والتي عمّ شرّها واستفحل فسادها، حيث يقول: التوحيد واتباع الهوى متضادان، فإن الهوى صنم ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد الله سبحانه كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً، وتأمّل قول الخليل لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] كيف تجده مطابقاً للتماثيل التي يهواها القلب، ويعكف عليها ويعبدها من دون الله. اهـ. روضة المحبين (٥١٤). =

= * مسائل متعلقة بالشرك:

الأولى: تعريف الشرك:

لغة: المساواة والمخالطة والمشاركة والمقارنة والنصيب. مقاييس اللغة (٣/ ٢٥٦)، لسان العرب (١٠/ ٤٤٩)، القاموس المحيط (١٢٢٠)، مختار الصحاح (٣٣٦).

اصطلاحاً: وهو أن يجعل الإنسان لله ندّاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته. معارج القبول (٢/ ٤٨٣) وفتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥١٧، ٥١٦). وعُرِّف أيضاً بأنه: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه ﷻ. حاشية ابن قاسم (١٥)، التنبيهات السنية (١٢٦). والتعريفان متقاربان.

الثانية: أقسام الشرك فيما يتعلق بالإلٰهية:

أ ـ الشرك الأكبر:

قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): هو من جعل لله نداً من خلقه فيما يستحقه ﷻ من الإلٰهية والربوبية. الفتاوى (١/ ٨٨).

وقال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): وضابط هذا أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك. اهـ. وعرفه بالمثال، فقال: هو أن يجعل لله ندّاً يدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله. وقال أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر في تعريفهم للشرك الأكبر: فالأكبر: أن يجعل لله ندّاً من خلقه، يدعوه كما يدعو الله، ويخافه كما يخاف الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويتوكل عليه في الأمور، كما يتوكل على الله. **والحاصل**: أن من سوَّى بين الله وبين خلقه في عبادته، ومعاملته، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، الذي لا يغفره، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧]. اهـ. الدرر السنية (١/ ١٩٥).

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٩٣هـ): والشرك قد عرَّفه النبي ﷺ بتعريف جامع، كما في حديث ابن مسعود ﷺ أنه قال: «يا رسول الله؛ أي: الذنب أعظم؟ قال: **أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، والند: المثل والشبيه. فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله، فقد أشرك به، شركاً يبطل التوحيد وينافيه؛ لأنه شبه المخلوق بالخالق، وجعله في مرتبته، الدرر السنية (٢/ ٣١٩). =

....

= **ب ـ الشرك الأصغر: وللعلماء مسلكان في تعريفه:**

الأول: بالمثال، وهي طريقة ابن القيم وأئمة الدعوة. قال عبد الرحمٰن بن حسن بعدما ضرب أمثلة يوضح بها الشرك الأصغر: وهذا إنما يتبين بالتمثيل والعد لا بالحد... وأمور الشرك أكبره وأصغره لا تدرك بالحد. اهـ.

الثاني: بالحد: ما أتي في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حدّ الشرك الأكبر، وبهذا عرفه النووي، وابن قاسم، وعبد الله بن حميد. وعرفه السعدي بأنه كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر من الأقوال والأعمال. وحكم ما كان وسيلة إلى الشرك ولم يذكر في النصوص أنه شرك: أنه محرم، قال سليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ): ووسائل الشرك محرمة لأنها تؤدي إلى الشرك. الدر النضيد (١٣٤).

فائدة: تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر وخفي هي طريقة أئمة الدعوة. وذهب ابن القيم وابن باز وغيرهما إلى تقسيمه إلى قسمين، وهي طريقة السلف رحمهم الله، فالإيمان والتوحيد وما يضادهما يتبعض. وتقسيمه إلى ثلاثة قريب من تقسيمه إلى اثنين.

فائدة: قال ابن باز (١٤٢٠هـ): هناك شرك يقال له: الشرك الخفي ذكر بعض أهل العلم أنه قسم ثالث، واحتج عليه بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**»، خرجه الإمام أحمد.

والصواب: أن هذا ليس قسماً ثالثاً، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفياً؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يرائي، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك.

وقد يكون خفياً من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلى بعض الناس كالأنواع التي في حديث ابن عباس السابق. وقد يكون خفياً وهو من الشرك الأكبر كاعتقاد المنافقين.. فإنهم يراءون بأعمالهم الظاهرة، وكفرهم خفي لم يظهروه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ ـ ١٤٣]. فاتضح أن الشرك الخفي لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سُمي خفياً. فالشرك يكون خفياً ويكون جلياً. =

. . . .

= فالجلي: دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر لهم، ونحو ذلك. والخفي: ما يكون في قلوب المنافقين يصلون مع الناس، ويصومون مع الناس، وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، وهم على دين المشركين. فهذا هو الشرك الخفي؛ لأنه في القلوب. وهكذا الشرك الخفي الأصغر، كالذي يقصد بقراءته ثناء الناس، أو بصلاته أو بصدقته أو ما أشبه ذلك، فهذا شرك خفي، لكنه شرك أصغر. فاتضح بهذا أن الشرك شركان: أكبر وأصغر، وكل منهما يكون خفياً: كشرك المنافقين.. وهو أكبر، ويكون خفياً أصغر كالذي يقوم يرائي في صلاته أو صدقته أو دعائه لله، أو دعوته إلى الله أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو نحو ذلك. مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٦).

الثالثة: أنواع الشرك الأكبر:

١ ـ **شرك الدعوة «الدعاء»**؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت].

٢ ـ **شرك النية والإرادة والقصد**؛ لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

٣ ـ **شرك الطاعة**؛ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: «لسنا نعبدهم!» فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

٤ ـ **شرك المحبة**؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾. الدرر السنية (٢/ ٦٩).

الرابعة: يصل الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر بحسب حال قائله ومقصده:

قال عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن (١٢٩٣هـ): على أن ابن قيم الجوزية قال: قد يكون ذلك ـ الحلف بغير الله ـ شركاً أكبر بحسب ما قام بقلب قائله، وقاله القاضي عياض من المالكية. وهذا ظاهر لا يخفى إذا قصد تعظيم من حُلف به كتعظيم الله. اهـ.

مدارج السالكين (١/ ٣٧٣)، الدرر السنية (١/ ٢٠٠)، تحفة الطالب والجليس =

= في كشف شبه داود بن جرجيس (١٤٨)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٩٤)، جهود علماء نجد في تقرير توحيد العبادة (٢/ ٣٠٢).

الخامسة: الدلالات على الشرك الأصغر:

• أن يأتي منكراً غير معرّف؛ لأنه إذا جاء معرّفاً، فإنه يدل على أن المقصود به الشرك المخرج من الملة؛ كقوله: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»، «**الطيرة شرك**».

• أن يأتي منصوصاً عليه؛ كقوله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**»، رواه أحمد. ومن ذلك حديث معاوية الليثي مرفوعاً: «**يكون الناس مجدبين، فينزل الله عليهم، فيصبحون مشركين؛ يقولون: مُطرنا بنوء كذا**»، رواه أحمد. فالمراد بهذا الشرك هو كفر النعمة ضد الشكر، وهو من الكفر الأصغر (العملي) لما أخرجه الشيخان من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء (أي: مطر) كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربُّكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»، وفي رواية لمسلم عن ابن عباس مرفوعاً: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**».

• ما فهمه الصحابة من النص؛ قال ابن القيم ـ في بيان أن الشرك ليس على درجة واحدة ـ: دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والفطرة وإجماع الصحابة. اهـ. كقول ابن مسعود رضي الله عنه ـ بعد قوله ﷺ: «**الطيرة شرك**» رواه أحمد والترمذي ـ: وما منا إلا؛ ولكن الله يذهبه بالتوكل. ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، رواه الترمذي وحسنه، فقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما، أن الحلف بغير الله من الشرك الخفي الذي يعتبر شركاً، فقد قال ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي..»، رواه ابن أبي حاتم. والشرك الخفي يعتبر شركاً أصغر؛ حيث فسر الرسول ﷺ الشرك الخفي بالرياء الذي يُعدُّ شركاً أصغر، وإليك الدليل عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: =

. . . .

= «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى! قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين».

● ما جاء عن الصحابة من وصف بعض الأمور بأنها من الشرك، كقول عقبة بن عامر: «موضع التميمة من الإنسان والطفل شرك» رواه ابن أبي شيبة، وقول ابن مسعود: «من أتى عرافاً أو كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»، رواه أبو يعلى. فقد حكى ابن عبد البر وتبعه الحاكم أن الصحابي إذا وصف شيئاً بالكفر أو العصيان، فإن له حكم الرفع بالإجماع.

حكم تارك الصلاة لابن القيم (٢٨)، النكت على ابن الصلاح (٢/ ٥٢٩)، حاشية ابن قاسم (٥٠)، المجموع الثمين لابن عثيمين (٢/ ٢٧١)، ضوابط التكفير (٢١٠)، سد ذرائع الشرك في التوحيد (٢٧)، الشرك الأصغر حقيقته وأحكامه (٤٥).

السادسة: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

١ ـ أن الشرك الأكبر مخرج من ملة الإسلام، بعكس الشرك الأصغر؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، لحديث قُتَيْلة: «أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت»، رواه النسائي. قال سليمان بن عبد الله: وفيه أن الحلف بغير الله من الشرك الأصغر لا يمرق به الإنسان من الإسلام.اهـ.

٢ ـ أن الشرك الأكبر محبط للأعمال كلها، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، بخلاف الأصغر فلا يبطل إلا ما خالط أصله، أو غلب على العمل، «وسيأتي تفصيل ذلك في باب الرياء».

٣ ـ أن الشرك الأكبر موجب للخلود في النار، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأما الشرك الأصغر فلا يوجب الخلود. فهو إما موجب لدخول النار، أو هو تحت المشيئة، إما أن يعفو الله عنه، أو يغفر له فلا يدخل النار.

٤ ـ أن الشرك الأكبر يُحل النفوس والأموال، لقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]، بعكس الشرك الأصغر؛ فإن صاحبه مسلم، مؤمن ناقص الإيمان، فاسق الحكم الديني.

٥ ـ أن صاحب الشرك الأصغر، يقال: فيه شرك، ولا يقال: من المشركين. =

. . . .

= التيسير (٥٠٦)، فتح الله الحميد (١٦٦)، المدخل لدراسة العقيدة (١٢٧).

السابعة: الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

وبه قال ابن القيم، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب، وغيرهما. لقول النبي ﷺ لمن رأى في يده حلقة من صفر، فقال: «**ما هذه؟**»، قال: من الواهنة؛ قال: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**»، ولقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً، أحب إليّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق»، قال سليمان بن عبد الله: وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر. اهـ.

وقال ابن القيم: رُتبته ـ الحلف بغير الله ـ فوق رتبة الكبائر. اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٠٨).

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ) عندما ذكر أن من الكفر الأصغر من حكم في قضية بهواه مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق: وهذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة، فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر. اهـ. تحكيم القوانين (٨).

والمراد أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر التي لا يصحبها اعتقاد؛ لأن الكبائر قسمان: قسم يرجع إلى جهة العمل الذي يصحبه اعتقاد؛ كالاستغاثة والذبح لغير الله وغير ذلك من أنواع الشرك، وقسم منها يرجع إلى جهة العمل الذي لا يصحبه اعتقاد؛ كالزنا والسرقة وغير ذلك، فالحامل عليها الغفلة وغلبة دواعي النفس وشهواتها. فالشرك الأصغر فيه صرف العبادة لغير الله وتعظيم غيره وإعطاء شيء من خصائصه لغيره، وجعله نداً لله، وجعل الند لله من أعظم الذنوب، قال ﷺ عندما سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، رواه البخاري (٤٢٠٧).

قال ابن رجب: وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة؛ لأن الرياء هو الشرك الأصغر، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره. اهـ. التخويف من النار (٢٢٣).

قال الشيخ عبد الرحمٰن البراك: والظاهر أن قول السلف الشرك الأصغر أكبر من الكبائر؛ يعني: مما هو من جنسه كالحلفِ، فالحلفُ بغير الله أكبر من الحلف بالله كذباً، كما في أثر ابن مسعود، وجنس الشرك أكبر من جنس الكبائر، ولا يلزم من ذلك أن يكون كلما قيل: إنه شرك أصغر يكون أكبر من كل الكبائر، ففي الكبائر =

. . . .

= ما جاء فيه من التغليظ والوعيد الشديد ما لم يأتِ مثلُه في بعض أنواع الشرك الأصغر، كما تقدم في قول الرجل: ما شاء الله وشئت. والله اعلم.

مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٣٦)، مجموع الرسائل والمسائل (٢/ ٣٥)، التمهيد لشرح التوحيد (٧٣). ضوابط التكفير (٢٠٨).

الثامنة: قول الشرك وفعله هازلاً:

قال ابن القيم: وقد تقدَّم أَنَّ الذي قال لمَّا وجد راحلته: «اللَّهمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك» أخطأ من شدَّة الفرح «لم يكفر بذلك وإنْ أتى بصريح الكفر؛ لكونه لم يُرِدْه، والمُكْرَه على كلمةِ الكفر أتى بصريح كلمته ولم يكفر لعدم إرادته، بخلاف المستهزئ والهازل فإنَّه يلزمه الطلاق والكفر وإنْ كان هازلاً؛ لأنَّه قاصد للتكلُّم باللفظ وهزله لا يكونُ عذراً له، بخلاف المُكْره والمخطئ والنَّاسي فإنَّه معذور مأمور بما يقولَه أو مأذونٌ له فيه، والهازل غير مأذونٍ له في الهزل بكلمة الكفرِ والعقود، فهو متكلِّم باللفظ مُريدٌ له ولم يصرفه عن معناه إكراهٌ ولا خطأٌ ولا نسيانٌ ولا جهلٌ، والهزل لم يجعله الله ورسولَه عذراً صارفاً، بل صاحبه أحقُّ بالعقوبة، ألا ترى أنَّ الله تعالى عذر المكره في تكلُّمه بكلمةِ الكفر إذا كان قلبه مطمئنّاً بالإيمان ولم يعذَر الهازلُ بل قال: ﴿وَلَبِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وقد بيّن شيخ الإسلام أن من قال الكفر أو فعله وإن لم يقصد الكفر، حيث قال: وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كُفْرٌ كَفَرَ بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافراً؛ إذا لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله. اهـ. الصارم المسلول (٢/ ٣٣٩). إعلام الموقعين (٣/ ٦٣).

قال ابن عثيمين: من عمل شيئاً مكفِّراً مازحاً فإنَّه يكفر لأنَّه قصد ذلك، كما نصَّ عليه أهل العلم. اهـ. فتبين مما سبق أن حكم الشرك ينطبق على من قاله أو فعله ولو كان هازلاً؛ فإن كان الفعل أو القول من الشرك الأكبر فصاحبه مشرك شركاً أكبر، وإن كان القول أو الفعل من الشرك الأصغر فصاحبه مشرك شركاً أصغر، وإن كان الفعل أو القول من الأفعال المحرمة ففعله هازلاً محرم.

وانظر: الأسرار (٤/ ٦٠٠)، أحكام القرآن (٢/ ٩٧٦)، التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد (١/ ٣٣).

التاسعة: إطلاق الشرك على الذنوب:

أطلق الشرك على الذنوب بعض العلماء؛ كابن تيمية وابن القيم وابن رجب وغيرهم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا =

= ﴿أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١]، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]، وبقوله ﷺ: «**تعس عبد الدينار**»، وغير ذلك.

الفتاوى (١٠/ ٢١٦)، المدارج (١/ ٣٥٥)، كلمة الإخلاص لابن رجب (٢٣)، الشرك الأصغر حقيقته وأحكامه.

العاشرة: هل الشرك الأصغر إذا مات عليه الإنسان داخل في عموم الشرك فلا يغفر ولا يدخل تحت المشيئة، ولا بد من التوبة قبل الموت، أم أنه كالكبائر داخل تحت المشيئة فيغفره الله إذا شاء؟

القول الأول: أنه لا يغفر وليس تحت المشيئة، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب، وعبد الرحمٰن بن حسن، وصديق حسن خان، وبابطين، وابن قاسم، وحمود العقلاء، وعبد الله بن حميد، ويشير إليه كلام سليمان بن حسن في «التيسير»، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، ووجه الدلالة «أن»: حرف مصدري، و«يشرك»: فعل مضارع، وإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر، فيكون المعنى: إن الله لا يغفر شركاً به، أو إن الله لا يغفر الشرك به. وشركاً: نكرة في سياق النفي فتكون عامة تشمل الأكبر والأصغر، وفي الصيغة الثانية قال الشرك؛ فتكون الألف واللام للعموم. واستدلوا أيضاً بحديث بما رواه مسلم: «**لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي (شيئاً) لأتيتك بقرابها مغفرة**». وقوله: «**لا تشرك بي شيئاً**»: نكرة فتشمل الشرك الأكبر والأصغر. واستدلوا بحديث أنس وعائشة أن الرسول ﷺ قال: «**الدواوين ثلاثة يوم القيامة: ديوان لا يعبأ الله به وهو حقوق الله، وديوان لا يتركه الله وهو حقوق العباد، وديوان لا يغفره الله وهو الشرك**»، والمراد بالشرك هو الأصغر؛ لأن الحديث في المسلمين لقوله: «**ديوان لا يعبأ الله به**»؛ أي: قد يغفره، وهذه ذنوب العصاة، أما الكفار فلا يغفر الله ذنوبهم. واستدلوا بما رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (٣٨٤، ٤٥٧) بسند حسن عن ابن عمر قال: «كنا نوجب لأهل الكبائر النار حتى نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾». واستدلوا بأن الشرك مسبَّة لله تعالى وتنقُّص، والكبائر المحضة نقص في النفس وضعف، فلا يستويان.

القول الثاني: أنه تحت المشيئة كسائر الكبائر، وهو قول الجمهور؛ كابن العربي وابن علان وبعض علماء الدعوة، وسليمان بن عبد الله وعبد العزيز الحصين =

. . . .

= والحكمي، ونسبه ابن عثيمن لابن تيمية، وظاهر كلام ابن القيم في «إغاثة اللهفان (١/ ٥٩)»، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، فهي في الشرك الأكبر؛ لأنها جاءت في سياق الكلام عن الكفار. وقد وردت آيات رتب الله فيها الحكم على الشرك، ومع هذا جاء الإجماع على أنها في الشرك الأكبر لا الأصغر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، والذي لا يدخل الجنة بتاتاً هو من كان متصفاً بالشرك الأكبر. واستدلوا بحديث عبادة عند مسلم، وفيه: «بايعنا رسول الله على أن لا نزني، ولا نشرك بالله، فمن أتى من ذلك وأقيم عليه الحد فهو كفارة له، وإن ستره الله فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له». فقوله: «إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» بعدما قال في أول الحديث: «أن لا نشرك» دل أنه تحت المشيئة.

عارضة الاحوذي (٧/ ٢٥٣)، الرد على البكري (١٤٦)، الجواب الكافي (١٣٧)، جامع المسائل (٢/ ٢٥٤)، الدرر السنية (١/ ١١٢، ٢/ ١٨٥، ٣٠٨، ١٠/ ٣٨٨)، الدين الخالص (١/ ٣٨٨)، التيسير (٩٧)، التوضيح (٣١٥)، قرة عيون الموحدين (٣٤)، حاشية ابن قاسم (٥٠)، الفتوحات الربانية (٣/ ٦٩٩)، معارج القبول (٢/ ٤٧٥)، رسالة بعثها السعدي إلى الحصين (١٨٨).

الحادية عشر: الفرق بين الشرك والكفر:

القول الأول: أنهما اسمان لمسمًّى واحد، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فدلت الآية على أن ما سوى الشرك قد يغفره الله في الجملة، ولو كان كفر اليهود والنصارى ليس بشرك لوجب أن يغفره الله. ونوقش: أن الآية ليس فيها أن الله يغفر ما سوى الشرك؛ وإنما دلت على أن الله يغفر ما دون الشرك، فخرج الكفر؛ لأنه ليس دون الشرك بل أعظم.

القول الثاني: أن كل شرك كفر وليس كل كفر شركاً، وبه قال أبو حنيفة والنووي وابن تيمية وابن حجر وأبو هلال العسكري، وابن قاسم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١]، فعطف أهل الكتاب على المشركين، والعطف يقتضي المغايرة.

ويتبين الفرق بين الكفر والشرك من جهتين:

أ ـ من جهة اللغة، فالكفر هو الستر، وأما الشرك: فالشرك والشريك والشركة أن يجعل شريك. =

. . . .

= **ب ـ من جهة الشرع،** فقد جاء آيات بجعل المشركين صنفاً من الكفار، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فجعل المشركين صنفاً من الكفار. ويتبين الفرق بالضد، فضد الكفر الإيمان والإسلام، فضده الإيمان واضح، وضده الإسلام يدل له قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، وضد الشرك التوحيد. ويدل أيضاً على الفرق قوله ﷺ: «**من حلف بالله فقد كفر أو أشرك**»، فكأنه متقرر عند الراوي الفرق بينهما، وإن كان بلفظ: «**فقد كفر وأشرك**»، فالواو تقتضي المغايرة. ويدل على الفرق قول مؤمن آل فرعون: ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾ [غافر].اهـ.

الفصل (٣/ ٢٢٢)، شرح صحيح مسلم (٢/ ٧١)، الرد على البكري (١٤٧)، الفتح (١/ ١٠٦)، الفروق اللغوية (١٨٩)، كشف مصطلحات الفنون للتهانوي (٢/ ٥١٩)، مجموعة الرسائل والمسائل (٥/ ٥٢٣)، حاشية ابن قاسم (٣٥)، معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٥)، لسان العرب (١٠/ ٤٤٩)، القاموس المحيط (١٢٢٠)، مختار الصحاح (٣٣٦)، الفتاوى (١/ ٨٨)، تفسير الكريم الرحمٰن للسعدي (٢/ ٤٩٩). مجموع الرسائل والمسائل (٢/ ٣٥)، القول السديد (٢٥)، حاشية التوحيد (٥٠)، اللجنة الدائمة للإفتاء (١/ ٥١٧)، القول المفيد (١/ ٢٠٦)، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٠٨)، سد ذرائع الشرك في التوحيد (٢٧). الواجبات المتحتمات (٦)، حاشية الدروس المهمة (٦٨)، الجامع الفريد (٧٠).

الثانية عشرة: الشرك طارئ والتوحيد هو الأصل:

لقوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو يمجِّسانه...**» الحديث رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة. ولما رواه مسلم (٢٨٦٥)، من حديث عياض بن حمار مرفوعاً: «... **وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللت، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً**». وليس ذلك معارَض بقوله تعالى في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم (٦٥٧٢)، من حديث أبي ذر ﷺ: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**»؛ لأن الحديث في بيان وقوع الضلال وكثرته، وأن المسلمين يحرصون على سؤال الله الهداية للصراط المستقيم فيكونون بذلك من القليل الناجي لا من الكثير الهالك، وهو نظير قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ =

وقـــول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ﴿١﴾ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾﴿٢﴾ [النساء: ٤٨]﴿٣﴾.

= بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، فإن هذه السورة تدل على خسارة كل إنسان وأنه لا ينجو من هذا الخسران إلا أهل الصفات الأربع التي جاءت في الاستثناء. الإيضاح والتبيين لعبد المحسن العباد (٧، ٨).

﴿١﴾ قال ابن تيمية: ومن الناس من يقول: الغفر الستر، ويقول: إنما سمي المغفرة والغفار لما فيه من معنى الستر، وتفسير اسم الله الغفار بأنه الستار، وهذا تقصير في معنى الغفر، فإن المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب، وأما إذا ابتلي مع ذلك بما يكون سبباً في حقه لزيادة أجره، فهذا لا ينافي المغفرة.اهـ. وبه قال ابن القيم وابن رجب.

قال ابن القيم: ولفظ المغفرة أكمل من لفظ التكفير؛ ولهذا كان مع الكبائر والتكفير مع الصغائر، فإن لفظ المغفرة يتضمن الوقاية والحفظ، ولفظ التكفير يتضمن الستر والإزالة.اهـ. قاله الشبرخيتي.

الفتاوى الكبرى (٥/ ٢٧٤)، مدارج السالكين (١/ ٣١١)، تهذيب مدارج السالكين (١٧٦)، جامع العلوم والحكم (١/ ٤٧٤)، فتح القوي (٢٧٩).

﴿٢﴾ وهذه الآية لا تعارض قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأن هذه الآية في حق التائبين، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وبهذا قال الطبري، والسمرقندي، والرازي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز، والسعدي؛ لأن التائبين من الشرك يغفر له الشرك بالاتفاق، كما قال شيخ إسلام ابن تيمية. وقيل: إن آية النساء مخصصة لآية الزمر، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ أي: إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء ما عدا الشرك، وبهذا قال السمعاني، والشنقيطي، والشوكاني، والألوسي.

تفسير ابن جرير (٢٤/ ٢٢)، بحر العلوم (٣/ ١٥٤)، التفسير الكبير (٢٧/ ٤)، الفتاوى (٨/ ١٧٣)، تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١/ ٢٩٣)، مدارج السالكين (١/ ٣٥٤)، الجواب الكافي (٢٥٠)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٩٩)، روح المعاني (٥/ ٧٧)، تفسير السعدي (٥/ ١٤٧).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): الآية من =

وقال الخليل عليه السلام ﴿١﴾: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ ﴿٢﴾ أَن نَّعْبُدَ ﴿٣﴾﴾..........................

= أعظم ما يوجب الخوف من الشرك؛ لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك، وأوجب له الخلود في النار، وأطلق ولم يقيد، ثم قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾؛ فخصَّص وقيد فيما دون الشرك، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه، فلا يرجى له معه نجاة إن لم يتب منه قبل الوفاة.اهـ. قرة عيون الموحدين (٦٢).

﴿١﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): وقد حكى غير واحد الإجماع على أن الصلاة على جميع النبيين مشروعة، منهم الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله، وغيره، وقد حكي عن مالك رواية أنه لا يصلى على غير نبينا ﷺ، ولكن قال أصحابه: هو مؤولة بمعنى: أنا لم نتعبد بالصلاة على غيره من الأنبياء، كما تعبدنا الله بالصلاة عليه ﷺ. جلاء الأفهام (٤٦٣).

﴿٢﴾ أي: إسماعيل وإسحاق. وذهب ابن عثيمين إلى أنهم ذريته وما توالدوا من صلبه؛ لأن الآية بصيغة الجمع. القول المفيد (١/ ١٤٤). ونوقش: بأن العرب من ذرية إسماعيل وقد وقع منهم الشرك، وإبراهيم عليه السلام قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿٣﴾ الوثن: ما عُبد من دون الله مما ليس له صورة كالقبر والمشاهد والشجر والحجر والعمد والحيطان وغير ذلك، يدل عليه قوله ﷺ: «**اللَّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**»، وقوله ﷺ لعدي لما رأى في عنقه صليباً من ذهب: «**ألق هذا الوثن**». والصنم: هو ما عبد من دون الله على شكل صورة إنسان أو حيوان، وقد يسمى الصنم وثناً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ [العنكبوت: ١٧]. قال سليمان بن عبد الله: وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعني به الآخر، وأما مع الاقتران، فيفسر كل واحد بمعناه.اهـ. التيسير (٢٧٣). وقد نبَّه ابن القيم إلى عدم إغفال الأصنام المنقوشة في القلب حيث قال: إن التوحيد واتباع الهوى متضادان، فإن الهوى صنم ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد الله سبحانه كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً. قال الحسن بن علي المطوعي: صنم كل إنسان هواه، فمن كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة.اهـ. وقال الحسن البصري: =

[إبراهيم: ٣٥] ﴿١﴾.

وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشركُ الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء﴿٢﴾»﴿٣﴾. رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

أخرجه: أحمد (٥/ ٤٢٨)، من طريق عمرو بن عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن النبي ﷺ مرفوعاً.

حسَّن إسناده: ابن حجر﴿٤﴾.

= صنم هذه الأمة المال. اهـ. وقول علي لما رأى الذين يلعبون بالشطرنج: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. اهـ.

التمهيد (٥/ ٤٥)، تاج العروس (٣٢/ ٥٢٥)، الفروق اللغوية (٣٢٣)، لسان العرب (١٢/ ٣٤٩)، روضة المحبين (١/ ٤٨١)، مجمع بحار الأنوار (٤/ ١٢)، القول السديد (٩٦)، القول المفيد (١/ ٢٣٦، ٤١٩)، إعانة المستفيد (١/ ٣١٠).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن قاسم: إذا كان الخليل عليه السلام إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده وابتلي بكلمات فأتمهن، وقد كسر الأصنام بيده، يخاف أن يقع في الشرك، فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب؟ بل أولى بالخوف منه وعدم الأمن بالوقوع فيه. قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم». اهـ. حاشية ابن قاسم (٤٩).

﴿٢﴾ قال ابن حجر: الرياء مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها. اهـ. وقال القرافي: هو إيقاع القربة يقصد بها الناس. اهـ. المفهم (٦/ ٦١٥)، الفتح (١١/ ٣٤٤).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): إذا كان يخافه ﷺ على أصحابه الذين وحدوا الله بالعبادة، ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا من كفر به، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم، وما أنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك، فكيف لا يخاف من لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك!. اهـ. قرة عيون الموحدين (٦٥).

﴿٤﴾ قال المعلمي ـ بعد حديث الرجل الذي طلق زوجته ثلاثاً ـ: ومحمود ولد في عهد النبي ﷺ، فالحديث مرسل صحيح. اهـ. الطلاق (١٢٣).

جوَّد إسناده: المنذري، وابن باز[١].

والحديث فيه نظر؛ لأمور:

١ ـ أن محمود بن لبيد ولد في عهد النبي، كما قال البخاري، والذهبي، وابن كثير، والحسيني، وابن حجر[٢]، ولم يصح له رؤية ولا سماع[٣] من النبي ﷺ كما قال عبد الغني المقدسي، والمزي، والحسيني[٤]، وعده في التابعين: ابن القطان، وابن سعد، ومسلم، والعجلي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، ويعقوب بن سفيان، والدارقطني، وقال أبو أحمد العسكري: وأكثر الناس على أنه تابعي لا صحبة له[٥]، وهو قليل الحديث، كما قال ابن سعد[٦].

٢ ـ أن عاصم بن عمر تفرد بهذا الحديث[٧].

﴿١﴾ الترغيب والترهيب (١/ ٥٠).

﴿٢﴾ تاريخ الإسلام (٤٧٣)، البداية والنهاية (١٢/ ٦٦١)، التذكرة (٣/ ١٦٢٣).

﴿٣﴾ ذهب الترمذي وابن حبان إلى أن لمحمود بن لبيد رؤية، وذهب ابن حجر إلى أنه ولد في عهد النبي ﷺ ولم يثبت له سماع.

صحيح ابن حبان (٣/ ٣٩٧)، الاستيعاب (١٠/ ٥٠)، الإصابة (٩/ ١٣٨)، التقريب (٦٥١٧)، الفتح (٩/ ٣٦٢).

﴿٤﴾ الاستيعاب (١٠/ ٥٠)، الطبقات (٥/ ٧٧)، تهذيب الكمال (٢٧/ ٣٠٩)، التذكرة (٣/ ١٦٢٣)، الرواة المختلف في صحبتهم (٣/ ٣٧٠).

﴿٥﴾ الطبقات لابن سعد (٥/ ٧٧)، الطبقات لمسلم (٦٥٨)، المراسيل (٧٣٧)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٩٠)، المراسيل (٢٠٠)، المعرفة والتاريخ (١/ ٣٥٦)، الإنابة (٩٤٢)، الاستيعاب (١/ ٥٠).

﴿٦﴾ وقال الترمذي: وأكبر روايته عن أصحاب النبي ﷺ.اهـ. ونحوه قال ابن حجر. الطبقات لابن سعد (٥/ ٧٧)، تسمية أصحاب رسول الله ﷺ (٥٩٥)، التقريب (٦٥١٧).

﴿٧﴾ قال ابن رجب: أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث ـ إذا =

٣ ـ عدم وجود التصريح بين عاصم بن عمر بن قتادة ومحمود بن لبيد[١].

٤ ـ الاختلاف على عمرو بن عمرو، فرواه ابن الهاد عن عمرو بن عمرو عن محمود بن لبيد بدون ذكر عاصم بن عمر بن قتادة، ورواه عبد الرحمٰن بن أبي الزناد وإسحاق بن جعفر عن عمرو بن عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد[٢].

٥ ـ الاختلاف على عاصم بن عمر بن قتادة في متن الحديث، فرواه عمرو بن عمرو باللفظ السابق، ورواه سعد بن إسحاق بلفظ: «**يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر...**».

٦ ـ أن معنى هذا الحديث معروف ومشهور عن شداد بن أوس من قوله[٣]،

= تفرد به واحد وإن لم يروِ الثقات خلافه ـ: إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلك علة فيه، اللَّهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً. اهـ. شرح علل الترمذي (١/ ٣٥٢).

وقد أعل ابن عبد البر حديث: «أسفروا بالفجر» من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال ابن عبد البر: حديث رافع يدور على عاصم بن عمر بن قتادة، وليس بالقوي. اهـ. وهذا التعليل من ابن عبد البر مبني على عدم احتمال تفرد عاصم مع ثقته؛ ولأنه ليس من كبار الحفاظ الذين تتحمل تفرداتهم. التمهيد (٢٣/ ٣٨٦).

[١] المسند (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩)، شرح السُّنَّة للبغوي (١٤/ ٣٢٣).

[٢] شرح السُّنَّة للبغوي.

[٣] وأئمة الحديث يعللون بمثل هذه العلة، قال ابن رجب (٧٩٥هـ): حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث، ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كل واحد منهم، لهم فهم خاص يفهمون به أن هذا الحديث يشبه حديث فلان ولا يشبه حديث فلان، فيعللون الأحاديث بذلك، وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره، وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم والمعرفة، التي خصوا بها من سائر أهل العلم، كما سبق ذكره في غير موضع. اهـ. =

ومحمود بن لبيد ممن روى عن شداد بن أوس[١]، ويقوي هذه العلة أن محمود بن لبيد لم يسمع من النبي ﷺ، وأن سماعه من الصحابة، كما قال ابن حجر[٢].

٧ ـ أن أثر شداد بن أوس رواه عنه محمود بن الربيع[٣]، فأخشى أن يكون هناك تصحيف، فأبدل محمود بن الربيع بمحمود بن لبيد.

٨ ـ إعراض البخاري ومسلم عن هذا الحديث[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو[٥]

= الحلية لأبي نعيم (١/ ٢٦٨)، الزهد لأبي داود (٣٥٣)، البيهقي في الشعب، علل ابن أبي حاتم (١٨٦٤)، شرح علل الترمذي «لابن رجب» (١/ ٣٥٢).

﴿١﴾ تهذيب الكمال (٢٧/ ٣١٠).

﴿٢﴾ الفتح (٩/ ٣٦٢).

﴿٣﴾ الحلية لأبي نعيم (١/ ٢٦٨)، الزهد لأبي داود (٣٥٣)، البيهقي في الشعب، علل ابن أبي حاتم (١٨٦٤).

﴿٤﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وقلَّ حديث تركاه إلا وله علة. اهـ. الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (٢٤). قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): لا أدري ما هذا من البخاري رحمه الله، ولو كان عنده صحيحاً لأخرجه في مصنفه الصحيح عنده، ولم يفعل لأنه لا يعول في الصحيح إلا على الإسناد، وهذا الحديث لا يحتج أهل الحديث بمثل إسناده. اهـ. التمهيد (١٦/ ٢١٨). قال الحاكم (٤٠٥هـ): فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة في كتابَي الإمامين البخاري ومسلم لزم صاحب الحديث التنقير عن علته ومذاكرة أهل المعرفة به؛ لتظهر علته. اهـ. معرفة علوم الحديث (٥٩).

﴿٥﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): سواء دعاه دعاء عبادة أم دعاء مسألة؛ لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين:

الأول: دعاء عبادة، ويدل لهذا القسم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، فجعل الدعاء عبادة، وهذا القسم كله شرك.

الثاني: دعاء المسألة، فهذا ليس كله شركاً، بل فيه تفصيل، فإن كان =

من دون﴿١﴾ الله نداً﴿٢﴾ دخل النار»، رواه البخاري﴿٣﴾.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله

= المخلوق قادراً على ذلك فليس بشرك؛ قال ﷺ: «**من دعاكم فأجيبوه**»، وأما إن دعا المخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن دعوته شرك مخرج عن الملة. والمراد بقوله الرسول ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله نداً**» المراد الند في العبادة، أما الند في المسألة ففيه التفصيل السابق. اهـ. القول المفيد (١/ ١٢١).

﴿١﴾ لفظ «**من دون الله**» يراد به عند علماء التفسير، وعلماء التحقيق شيئان:

١ ـ أن تأتي بمعنى «مع»، فيكون معنى «**من دون الله**»؛ أي: مع الله، وعبَّر عن المعية بلفظ «**من دون الله**»؛ لأن كل من دُعي مع الله فهو دون الله جل وعلا، فهم دونه، والله جل وعلا هو الأكبر.

٢ ـ أن تأتي بمعنى «غير» فيكون معنى «**من دون الله**»؛ أي: يدعو إلهاً غير الله، يعني أنه لم يعبد الله، وأشرك معه غيره، بل دعا غيره استقلالاً، فشملت «**من دون الله**» الحالين: من دعا الله ودعا غيره، ومن دعا غير الله وتوجه إليه استقلالاً. التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

﴿٢﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): اعلم أن اتخاذ الند على قسمين:

الأول: أن يجعله لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها، كما تقدم، وهو شرك أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء، فقد ثبت أن النبي ﷺ لما قال له رجل: «ما شاء الله وشئت قال: **أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده**» رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه. فتح المجيد (١/ ٧٢).

﴿٣﴾ البخاري (٤٤٩٧)، من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: فيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يُختم له بالشرك فيكون من أهل النار، ولو كان من أهل التّوحيد قبل ذلك، وعارف به، ومستقيم، لكن يخاف على نفسه من أنه يتنكس بعد ذلك، ويشرك بالله، ويموت على ذلك فيكون من أهل النار، فنسأل الله الثبات، فيكون عنده حذر دائماً وأبداً من الشرك. اهـ. إعانة المستفيد (١/ ١٣٤).

لا يشرك به شيئاً﴿١﴾ دخل الجنة﴿٢﴾، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»﴿٣﴾.

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك. **الثانية:** الرياء من الشرك. **الثالثة:** أنه من الشرك الأصغر. **الرابعة:** أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين﴿٤﴾. **الخامسة:** قرب الجنة والنار﴿٥﴾. **السادسة:** الجمع بين

﴿١﴾ قوله: «**لا يشرك به شيئاً**» فيه نوعان من العموم:

العموم الأول: عموم في أنواع الشرك، ويدل عليه وقوع النكرة في سياق النفي؛ لأن لفظة: «يشرك» نكرة.

العموم الثاني: عموم في المتوجه إليهم وهو المُشْرَك بهم، كما يدل عليه قوله: «**شيئاً**»؛ لأنه نكرة في سياق النفي. فمعنى قوله: «**من لقي الله لا يشرك**»: نفي لجميع أنواع الشرك. التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

﴿٢﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): قال بعض العلماء: اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كذب رسل الله فقد كذب الله، ومن كذب الله فهو مشرك. فالمراد من مات حال كونه مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي. اهـ. وقول من مات وهو ليس بمشرك دخل الجنة هو مثل قول: من توضأ صحت صلاته؛ أي: مع سائر الشروط. التيسير (١٥٧)، قرة عيون الموحدين (٦٧).

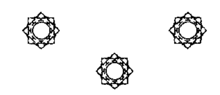
﴿٣﴾ مسلم (٩٣)، عبد الملك بن عمرو، عن قرة، عن أبي الزبير، عن جابر.

علاقة الحديث بالباب، قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): إذا كان التغليظ في النهي عن الشرك بهذه الشدة فينبغي شدة الخوف منه. اهـ. حاشية ابن قاسم (٥٢).

﴿٤﴾ لقوله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، وهذا وجهه ﷺ للصحابة وهم من الصالحين.

﴿٥﴾ لقوله ﷺ: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**». القول المفيد (١/ ١٢٥).

قربهما في حديث واحد. **السابعة**: أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس[١]. **الثامنة**: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام. **التاسعة**: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦][٢]. **العاشرة**: فيه تفسير «لا إلـه إلا الله»، كما ذكره البخاري[٣]. **الحادية عشرة**: فضيلة من سلم من الشرك[٤].



﴿١﴾ قال ابن عثيمين: تؤخذ من العموم في قوله: «**من لقي الله**»؛ لأن «من» للعموم، لكن إن كان شركه أكبر لم يدخل الجنة وإن كان أعبد الناس؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وإن كان أصغر عذب بقدر ذنوبه ثم دخل الجنة.اهـ. القول المفيد (١/ ١٢٦).

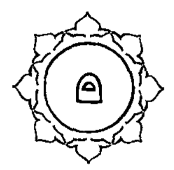
﴿٢﴾ قال ابن عثيمين: وفيه إشكال؛ إذ المؤلف يقول: بحال الأكثر، والآية: ﴿كَثِيرًا مِّنَ﴾، وفرق بين كثير وأكثر، ولهذا قال تعالى في بني آدم: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، فلم يقل: على أكثر الخلق، ولا على الخلق؛ فالآدميون فضلوا على كثير ممن خلق الله، وليسوا أكرم الخلق على الله، ولكنه تعالى كرمهم.اهـ. القول المفيد (١/ ١٢٦).

﴿٣﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): الظاهر أنها تؤخذ من جميع الباب؛ لأن لا إلـه إلا الله فيها نفي وإثبات.اهـ.

وجميع الباب في الخوف من الشرك، والخوف من الشرك يقتضي نفيه، ونفي الشرك لا يتم إلا بتحقيق التوحيد.

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): قال المصنف: وفيه تفسير لا إلـه إلا الله، كما ذكره البخاري في «صحيحه» يعني: أن معنى لا إلـه إلا الله: ترك الشرك، وإفراد الله بالعبادة، والبراءة ممن عبد سواه، كما بينه الحديث ـ حديث جابر ـ.اهـ. التيسير (١٥٦)، القول المفيد (١/ ١٢٧).

﴿٤﴾ لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، وقوله: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً؛ دخل الجنة**». القول المفيد (١/ ١٢٧).



باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إلـٰـه إلا الله

وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، وفي رواية: إلى أن يوحِّدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». أخرجاه.

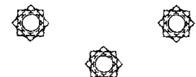
لهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه». فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟»، فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأُتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن

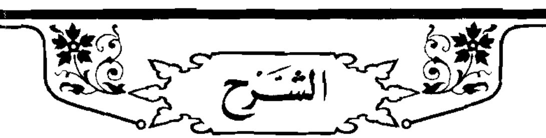
لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَمِ». يدوكون؛ أي: يخوضون.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ. الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه. الثالثة: أن البصيرة من الفرائض. الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنْزيه الله تعالى عن المسبَّة. الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبَّة لله. السادسة: ، وهي من أهمها: إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك. السابعة: كون التوحيد أول واجب. الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة. التاسعة: أن معنى: «أن يوحدوا الله» معنى شهادة أن لا إلـٰه إلا الله. العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها. الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج. الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم. الثالثة عشرة: مصرف الزكاة. الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم. الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال. السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم. السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تُحجب. الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء. التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية... إلخ» عَلَم من

أعلام النبوة. العشرون: تفله في عينيه عَلَم من أعلامها أيضاً. الحادية والعشرون: فضيلة علي ﷺ. الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دَوْكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح. الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعى. الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «على رسلك». الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال. السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا. السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله: «أخبرهم بما يجب». الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام. التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد. الثلاثون: الحلف على الفتيا.





٥ ـ باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله﴿١﴾﴿٢﴾

. . . .

﴿١﴾ قال ابن المنيِّر: قول «لا إلـه إلا الله» لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعاً.اهـ. وقد جاء في رواية عند مسلم (١٣٠)، بلفظ: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله، وأني رسول الله**». الفتح (٣/ ١٣٢).

﴿٢﴾ ذكر هذه المسألة الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) في أول الأصول الثلاثة وقال: أربع مسائل يجب على كل مسلم تعلمها.. وذكر منها: الدعوة. وذكر المحشي ابن قاسم (١٣٩٣هـ) في الحاشية على التوحيد أنها واجبة. وأدلة ذلك حديث معاذ، وحديث علي بن أبي طالب: «**ثم ادعهم إلى الإسلام**»، فهو أمر، والأمر للوجوب. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره.اهـ. وذكر الشيخ عبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ) أن مما يدل على أهمية الدعوة إلى الله أن الدعوة ذكرت في القرآن أكثر مما ذكر الحج والصوم.

وقد كانت الدعوة إلى التوحيد مهنة النبي ﷺ، وأصحابه، والسلف الصالح، ومن سار على طريقهم ومنهم أئمة الدعوة، رحمهم الله، ومما جاء عن أئمة الدعوة في الدعوة إلى التوحيد:

أ ـ ما قاله عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ) عن محمد بن عبد الوهاب أنه في ابتداءِ دعوته، إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: «اللهُ خيرٌ من زيد».

ب ـ ما جاء من دعوة حمد بن عيسى للتلمساني، وكان التلمساني ممن درس في الأزهر ومن التجار، فقد مكث حمد بن عيسى في مناقشة التلمساني ثلاثة أيام حتى شرح الله صدر التلمساني إلى الحق، ثم أصبح التلمساني من الدعاة إلى =

وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿١﴾ ﴿عَلَىٰ﴾ ﴿٢﴾ ﴿بَصِيرَةٍ﴾ ﴿٣﴾ ....

= التوحيد حتى قال محمد نصيف، وهو من وجهاء جُدة: فهداني الله على يد التلمساني.

ج ـ ما قام به القرعاوي من الدعوة في جنوب الجزيرة العربية حيث فتح أكثر من ألفي مدرسة، ومن ثمراته الشيخ حافظ الحكمي.

د ـ ما قام به ابن باز وابن عثيمين من الدعوة إلى التوحيد من خلال التعليم حتى أصبح تلاميذهم من الدعاة إلى التوحيد في جميع أقطار العالم.

الفتاوى (١٥/ ١٦٦)، حاشية ابن قاسم على الأصول الثلاثة، مجموع التوحيد (٣٣٩).

﴿١﴾ قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ﴾: حال من الياء في قوله: ﴿سَبِيلِىٓ﴾، ويحتمل أن تكون استئنافاً لبيان تلك السبيل. قال الألوسي: فالجملة لا محل لها من الإعراب، وقيل: إن الجملة في موضع الحال من الياء، والعامل فيها معنى الإشارة، وتعقب بأن الحال في مثله من المضاف إليه مخالفة للقواعد ظاهراً وليس ذلك مثل: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، واعترض أيضاً بأن فيه تقييد الشيء بنفسه وليس ذاك.

روح المعاني (١٣/ ٦٧)، فتح القدير (٣/ ٨٤)، القول المفيد (١/ ١٢٨).

﴿٢﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): فإن قلت: فما الفائدة في ذكر (على) في ذلك أيضاً، وكيف يكون المؤمن مستعلياً على الحق وعلى الهدى؟ قلت: لما فيه من استعلائه وعلوه بالحق والهدى مع ثباته عليه واستقامته إليه، فكان في الإتيان بأداة «على» ما يدل على علوه وثبوته واستقامته، وهذا بخلاف الضلال والريب، فإنه يؤتى فيه بأداة «في» الدالة على انغماس صاحبه وانقماعه وتدسسه فيه، كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾ [المؤمنون]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١١٠﴾ [هود]. وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] فإن طريق الحق تأخذ علواً صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير، وطريق الضلال تأخذ سفلاً هاوية بسالكها في أسفل سافلين اهـ. مدارج السالكين (١/ ١٦).

﴿٣﴾ قال ابن القيم: البصيرة نور يقذفه الله في القلب يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل كأنه يشاهده رأي عين. اهـ. مدارج السالكين (١/ ١٢٤).

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البصيرة التي تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة =

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾﴿١﴾ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]﴿٢﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن﴿٣﴾ قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه**

= المرئي إلى البصر. هي الخصيصة التي اختُص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾. اهـ. مدارج السالكين (٢/ ٤٨١).

﴿١﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ) والكلبي: إن قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ معطوف على الضمير في ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾ يعني: أدعو إلى الله أنا ومن اتبعني، وقد اقتصر ابن جرير (٣١٠هـ)، والقرطبي (٦٦٧هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ)، وابن عاشور (١٣٩٣هـ) عليه، ورجحه ابن جزي (٧٥٧هـ).

وقيل: إن ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ معطوف على ضمير الفصل ﴿أَنَا۠﴾ يعني: أنا ومن اتبعني على بصيرة، وقد جوزه ابن الأنباري وأبو حيان والرازي.

قال ابن القيم (٧٥١هـ): القولان متلازمان؛ فلا يكون الرجل من أتباعه حقاً حتى يدعو إلى ما دعا إليه. وقول الفراء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة.

جامع البيان (١٦/ ٢٩١)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٧٤)، مفتاح دار السعادة (١/ ٤٧٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٣٦)، التحرير والتنوير (١٣/ ٦٥).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب**، أن طريقة النبي ومسلكه وسُنَّته هي الدعوة إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأنه منزه عن الشريك والنظير والعديل والنديد. قال سليمان بن عبد الله: قال ابن كثير: يقول تعالى لرسوله ﷺ آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله؛ أي: طريقته وسُنَّته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إلـه إلا الله، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وبرهان عقلي شرعي. وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وأنزه الله وأجل وأعظم عن أن يكون له شريك ونديد، تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. قلت: فتبين وجه المطابقة بين الآية والترجمة. اهـ. التيسير (١٥٧).

﴿٣﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حجة الوداع. اهـ. وبوَّب البخاري باباً فقال: باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع. الفتح (٣/ ٣٥٨، ٥/ ٢٠٤).

شهادة أن لا إلـٰه إلا الله[١]، [٢] وفي رواية[٣]: إلى أن

[١] وفي إعراب قوله: «فليكن أول ما تدعوهم شهادة أن لا إلـٰه إلا الله» وجهان:

الأول: برفع قوله: (أولُ) على أنه اسم لـ (يكن)، ونصب قوله: (شهادة) على أنه الخبر، فيكون المعنى على هذا الوجه: أنه أخبره عن الأولية، فابتدأ بالأولية ثم أخبره بذلك الأول.

الثاني: بنصب قوله: (أولَ) على أنه خبر لـ (يكن) مقدم، ورفع قوله: (شهادة) على أنه اسمها مؤخر، فيكون المعنى على هذا الوجه: الإخبار عن الشهادة بأنها أول ما يُدعى إليه. وهذان الوجهان جائزان. والمشهور هو الوجه الثاني يعني: بجعل (أول) منصوبة؛ وذلك لأن مقام ذكر الشهادة والابتداء بها هو الأعظم، وهو المقصود؛ ليلتفت السامع والمتلقي ـ وهو معاذ ـ إلى ما يُراد منه أن يُخْبَر به من جهة الشهادة. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٦٧).

[٢] قال سليمان بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): وهذا التوحيد ـ النطق بالشهادتين ـ هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله اهـ. وهو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٥ ـ ٤٦٤، ٨/ ٣٥٧، ٩/ ٣ ـ ٦٦)، الفتاوى (١٦/ ٣٣٠ ـ ٣٤٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٧٧)، تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٠)، الفتح لابن حجر (١٣/ ٢٤٩).

[٣] البخاري (٦٩٣٧) من طريق زكرياء بن إسحق، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وأشار المصنف، رحمه الله، بإيراد هذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، إذ معناها توحيد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه. فلذلك جاء الحديث مرة بلفظ: «**شهادة أن لا إلـٰه إلا الله**»، ومرة: «**إلى أن يوحدوا الله**»، ومرة: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله**»... فللّه ما أفقه من روى هذا الحديث بهذه الألفاظ المختلفة لفظاً المتفقة معنًى! فعرفوا أن المراد من شهادة أن لا إلـٰه إلا الله هو الإقرار بها علماً ونطقاً وعملاً، خلافاً لما يظنه بعض الجهال أن المراد من هذه الكلمة هو مجرد النطق بها، أو الإقرار بوجود الله أو ملكه لكل شيء من غير شريك، فإن هذا القدر قد عرفه عبَّاد الأوثان وأقروا به، فضلاً عن أهل الكتاب، ولو كان كذلك لم يحتاجوا إلى الدعوة إليه..اهـ. =

يوحِّدوا الله ـ﴿١﴾ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرد على فقرائهم﴿٢﴾، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم﴿٣﴾، واتق دعوة المظلوم﴿٤﴾، فإنه

= قال الشيخ صالح الفوزان: وجاء المصنف بهذه الرواية؛ لأنها تفسّر شهادة أن لا إلـه إلَّا الله، بأن معناها: توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، ليس المقصود منها اللفظ فقط، بأن يقول: أشهد أن لا إلـه إلَّا الله، بل لا بد أن يوحّد الله في العبادة، أما إذا نطق بها بلسانه ولم يوحّد الله في العبادة، فلا تنفعه شهادة أن لا إلـه إلَّا الله. اهـ.

التيسير (١٦٠)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١٠٨).

﴿١﴾ وفي رواية عند البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٣٢)، من طريق روح بن القاسم، عن إسماعيل بن أمية، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد، عن ابن عباس ﵄، بلفظ: «**فيكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷿**».

﴿٢﴾ وعدم ذكر الصوم والحج في الحديث سببه أن النبي كان يذكر في كل مقام ما يناسبه، ذكر هذا الجواب شيخ الإسلام ابن تيمية في جوابه عن الأحاديث التي يذكر فيها بعض الأركان دون بقيتها. قال ابن باز: وقيل: هذا في مقام الدعوة إلى الإسلام فإنه يكتفى في الغالب بذكر هذه الثلاثة، فإذا أذعن المدعوون للإسلام للزكاة والصلاة فإنهم من باب أولى أن يذعنوا لغيرها من العبادات، وأما في مقام تبيين الدين والإسلام يذكر أركان الإسلام الخمسة. اهـ. الفتاوى (٧/ ٢٠٤).

﴿٣﴾ وهي الجامعة للكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة وكثرة لحم وصوف. ذكره النووي. شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ١٩٧).

﴿٤﴾ وجاء بلفظ: «**اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب**» عند أحمد (٣/ ١٥٣)، بإسناد ضعيف، من طريق أبي عبد الله الأسدي عن أنس ﷺ. وجاء بلفظ: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً**» عند أحمد (٢/ ٣٦٧)، بإسناد ضعيف، من طريق أبي معشر ـ ضعيف ـ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ.

ليس بينها وبين الله حجاب»﴿١﴾. أخرجاه﴿٢﴾.

لهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر﴿٣﴾: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله﴿٤﴾، يفتح الله على يديه»**. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب؟﴿٥﴾»**، فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا

﴿١﴾ في الحديث لم يذكر الحج، فقال البعض: إن في الحديث اختصاراً من الرواة، وقيل: إنه لا اختصار في الحديث، فالرسول ﷺ يذكر تارة الشهادتين والصلاة والزكاة، وهذا في مقام الدعوة إلى الإسلام، فإنه يكتفى في الغالب بذكر هذه الثلاثة، فإذا أذعن المدعوون للإسلام للزكاة والصلاة فإنهم من باب أولى أن يذعنوا لغيرها من العبادات، وأما في مقام تبيين الدين والإسلام يذكر أركان الإسلام الخمسة.

﴿٢﴾ رواه البخاري (١٣٩٥)، من طريق الضحاك بن محمد، ومسلم (١٣٠)، من طريق وكيع، كلاهما «الضحاك ووكيع» عن زكرياء، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

علاقة الحديث بالباب، قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): إن التوحيد ـ الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه ـ هو أول واجب. اهـ. ويدل على ذلك أن إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب قال في المسائل: فيه مسائل: السابعة: كون التوحيد أول واجب. التيسير (١٦١).

﴿٣﴾ سنة سبع للهجرة. البداية والنهاية (٣/ ١٨١).

﴿٤﴾ قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصاً بعليٍّ ولا بالأئمة؛ فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله. اهـ. منهاج السُّنَّة (٧/ ٣٦٦).

﴿٥﴾ وقد جاء في المسند (٢/ ٣٦٨)، من طريق عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: **«أن أبا بكر أخذ الراية ولم يفتح له، وأخذها عمر فلم يفتح له...»** ويُشكل عليه حديث مسلم (٢٤٠٥)، وفيه قال عمر رضي الله عنه: «فتساورت لها رجاء أن أدعى لها قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها»، فهذا يدل على أنه لم يأخذ الراية.

فإن قيل: إذا كان هذا ليس من خصائص علي، فلمَ تمنى بعض الصحابة أن يكون له ذلك؟.

=

إليه فأتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم**﴿١﴾ **ادعهم إلى الإسلام**﴿٢﴾ **وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**﴿٣﴾، **فوالله**

= أجاب شيخ الإسلام بأنه: إذا شهد النبي ﷺ لمعيَّن بشهادة أو دعا له بدعاء أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة، ومثل ذلك الدعاء وإن كان النبي ﷺ يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير، وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس وعبد الله بن سلام، وإن كان قد شهد بالجنة لآخرين، والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضُرب في الخمر، وكان تعيينه لذلك المعين من أعظم فضائله ومناقبه. اهـ. منهاج السُّنَّة (٥/ ٤٨).

﴿١﴾ قال سليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ): قوله: «**ثم ادعهم إلى الإسلام**» بزيادة «ثم» كما وقع في حديث بريدة في صحيح مسلم، وذكرها يوهم الابتداء بغير الدعوة إلى الإسلام، والصواب إسقاطها كما روى أبو داود وأبو عبيد في كتاب الأموال، وكما جاء مصرحاً بذلك في حديث ابن عباس الذي في الصحيحين المذكور أول الباب، أن النبي ﷺ لَمَّا بعث معاذاً إلى اليمن قال: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**». اهـ. الدر النضيد (٦١).

﴿٢﴾ والمراد بالإسلام الدعوة إلى التوحيد، وإلى شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، **كما قال سليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن، وابن قاسم وغيرهم، ويدل** لذلك ما رواه مسلم (٢٤٠٥)، من حديث أبي هريرة: «فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، فأعطاه الراية. وقال: **امش، ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك**. فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ فقال: **قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**». التيسير (١٦٥).

﴿٣﴾ بيَّن سليمان بن عبد الله المراد بحق الله في الإسلام، حيث قال: فأخبرهم بما يجب عليهم بعد ذلك من حق الله تعالى في الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام الظاهرة وحقوقه. اهـ. التيسير (١٠٦).

وطرح ابن عثيمين (١٤٢١هـ) مسألة في هل يبيَّن لمن يدعا إلى الإسلام =

لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَمِ[١]»[٢].

= حقوق الله قبل أن يدخل في الإسلام؟ فقال: وهذه المسألة يتردد الإنسان فيها: هل يخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الإسلام قبل أن يسلموا أو بعده؟ فإذا نظرنا إلى ظاهر حديث معاذ وحديث سهل هذا؛ فإننا نقول: الأولى أن تدعوه للإسلام، وإذا أسلم تخبره. وإذا نظرنا إلى واقع الناس الآن، وأنهم لا يسلمون عن اقتناع؛ فقد يسلم، وإذا أخبرته ربما يرجع، قلنا: يخبرون أولاً بما يجب عليهم من حق الله فيه؛ لئلا يرتدوا عن الإسلام بعد إخبارهم بما يجب عليهم، وحينئذ يجب قتلهم لأنهم مرتدون. ويحتمل أن يقال: تترك هذه المسألة للواقع، وما تقتضيه المصلحة من تقديم هذا أو هذا. اهـ. القول المفيد (١/ ١٣٧).

[١] قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وحُمْرِ بضم المهملة وسكون الميم. والنَّعَم بفتح النون والعين المهملة؛ أي: خير لك من الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء. قيل: المراد خير من أن تكون لك فتتصدق بها. وقيل: تقتنيها وتملكها. قلت: هذا هو الأظهر، والأول لا دليل عليه؛ أي: إنكم تحبون متاع الدنيا، وهذا خير منه. قال النووي: تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تُصورت. اهـ.

شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٧٨)، التيسير (١/ ١٧٦).

[٢] استدل بقوله ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» على أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعدٍ، وقد فصل في هذه المسألة المقريزي (٨٤٥هـ) حيث قال: ثم أهل مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق، وهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقها على النفوس وأصعبها، قالوا: لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد، والأجر على قدر المشقة، ورووا حديثاً ليس له أصل «أفضل الأعمال أحمزها»؛ أي: أصعبها وأشقها، وهؤلاء هم أرباب المجاهَدات والجَور على النفوس، قالوا: وإنما تستقيم النفوس بذلك، إذ طبعها الكَلّ والمهاونة والإخلاد إلى الراحة، فلا تستقيم النفوس بذلك إلا بركوب الأهوال وتحمُّل المشاق.

الصنف الثاني: قالوا أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد في الدنيا، والتقلل =

يدوكون؛ أي: يخوضون﴿١﴾.

= منها غاية الإمكان، واطراح الاهتمام بها، وعدم الاكتراث لما هو منها.

الصنف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من النفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع.

الصنف الرابع: قالوا: أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب ﷻ واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن. والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به. . .

وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق، والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد، فمتى خرج أحدهم عن الفرع تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد، وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى: إن رأيت العلماء رأيته معهم، وكذلك مع الذاكرين، والمتصدقين وأرباب الجمعية وعطوف القلب على الله، فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق. . فهذا كالغيث، أين وقع نفع، صحب الله بلا خلق، وصحب الخلق بلا نفس، إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين، وتخلى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها، فما أغربه بين الناس، وما أشد وحشته منهم، وما أعظم أنه بالله وفرحه به، وطمأنينته وسكونه إليه.

تجريد التوحيد للمقريزي (١/ ٢٧). ورجح هذا الصنف الرابع ابن القيم. تهذيب مدارج السالكين (٧٠).

📖 وحديث سهل رواه البخاري (٢٨٤٧) ومسلم (٢٤٠٦)، من طريق ابن أبي حازم، عن سهل بن سعد رضي الله عنه. قوله: «**خير لك من حمر النعم**» هذا لفظ البخاري، أما لفظهما: خير لك من أن يكون لك حمر النعم.

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب،** أن جهاد الكفار لم يشرع إلا للدعوة للتوحيد، وأنه قبل القتال؛ قال إمام الدعوة في المسائل: العشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال. اهـ.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ﴿١﴾. **الثانية**: التنبيه على الإخلاص﴿٢﴾؛ لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه. **الثالثة**: أن البصيرة من الفرائض﴿٣﴾. **الرابعة**: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنْزيه الله تعالى عن المسبَّة﴿٤﴾. **الخامسة**: أن من قبح الشرك كونه مسبَّة لله﴿٥﴾. **السادسة**: وهي من أهمها: إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك﴿٦﴾. **السابعة**: كون التوحيد

﴿١﴾ وتؤخذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، والأشمل من ذلك والأبلغ في مطابقة الآية أن يقال: إن الدعوة إلى الله طريق الرسل وأتباعهم. القول المفيد (١/ ١٣٩).

﴿٢﴾ لقوله تعالى: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾. القول المفيد (١/ ١٣٩).

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): ووجه ذلك أن اتباعه ﷺ واجب، وليس أتباعه حقاً إلا أهل البصيرة، فمن لم يكن منهم فليس من أتباعه، فتعين أن البصيرة من الفرائض.اهـ. التيسير (٩٧).

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): ووجه كون البصيرة من الفرائض؛ أنه لا بد للداعية من العلم بما يدعو إليه، والدعوة فريضة؛ فيكون العلم بذلك فريضة القول المفيد (١/ ١٣٩).

﴿٤﴾ أي: عن مماثلة الخالق للمخلوق. القول المفيد (١/ ١٣٩).

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿قُلْ﴾ تنزيهاً لله تعالى وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه.اهـ.

قال عبد الله الدويش (١٤٠٨هـ): إنه لما نزه نفسه أن يكون له شريك، دل على أن إفراده بالعبادة الذي هو التوحيد حسن مطلوب مأمور به.اهـ. التوضيح المفيد (٥٢).

﴿٥﴾ تؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بعد قوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾. القول المفيد (١/ ١٤٠). قال الدويش: فلما نزه نفسه عنه ـ الشرك ـ دل على قبحه.اهـ. التوضيح المفيد (٥٢).

﴿٦﴾ أي: إذا لم يتبرأ من المشركين صار منهم ولو لم يشرك. التوضيح المفيد (٥٢).

أول واجب[١]. **الثامنة:** أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة. **التاسعة:** أن معنى: «**أن يوحدوا الله**» معنى شهادة أن لا إلـه إلا الله[٢]. **العاشرة:** أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها[٣]. **الحادية عشرة:** التنبيه على التعليم بالتدريج[٤]. **الثانية عشرة:** البداءة بالأهم فالأهم. **الثالثة عشرة:** مصرف الزكاة. **الرابعة عشرة:** كشف العالم الشبهة عن المتعلم[٥]. **الخامسة عشرة:** النهي عن كرائم الأموال. **السادسة عشرة:** اتقاء دعوة المظلوم. **السابعة عشرة:** الإخبار بأنها لا تُحجب. **الثامنة عشرة:** من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء[٦]. **التاسعة عشرة:** قوله: «**لأعطين الراية... إلخ**» عَلَم

﴿١﴾ لقوله ﷺ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إلـه إلا الله**».

المفيد (١/ ١٤٠). حيث لم يأمرهم بشيء من الأعمال قبله، بل أمر به قبل كل شيء، ولو كان هناك شيء أوجب لبدأ به قبله لما أرسل معاذاً.اهـ. التوضيح المفيد (٥٢).

﴿٢﴾ تؤخذ من تعبير الصحابي حيث عبَّر في رواية بقوله: «**شهادة أن لا إلـه إلا الله**»، وفي رواية عبَّر بقوله: «**أن يوحدوا الله**». القول المفيد (١/ ١٤١).

﴿٣﴾ وتؤخذ من قوله: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلـه إلا الله**» إذ لو كانوا يعرفون (لا إلـه إلا الله) ويعملون بها؛ ما احتاجوا إلى الدعوة إليها. القول المفيد (١/ ١٤١).

﴿٤﴾ لكونه أمره أن يدعو إلى الشهادة أولاً ثم الصلاة ثم الزكاة، ولم يأمره أن يدعوهم إليها جميعاً دفعة واحدة. التوضيح المفيد (٥٣).

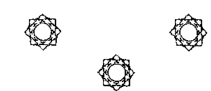
﴿٥﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): تؤخذ من قوله: «**فترد على فقرائهم**».اهـ. القول المفيد (١/ ١٤١).

وقال الدويش: لقوله: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب..**» فنبَّهه بذلك ليأخذ أهبته.اهـ. التوضيح المفيد (٥٣).

﴿٦﴾ أي: يوم خيبر.

قال ابن عثيمين: ووجه كون ذلك من أدلة التوحيد: أن الصبر والتحمل في =

من أعلام النبوة. **العشرون**: تفله في عينيه عَلَم من أعلامها أيضاً. **الحادية والعشرون**: فضيلة علي رضي الله عنه. **الثانية والعشرون**: فضل الصحابة في دَوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح. **الثالثة والعشرون**: الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعى[١]. **الرابعة والعشرون**: الأدب في قوله: «**على رسلك**». **الخامسة والعشرون**: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال. **السادسة والعشرون**: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا[٢]. **السابعة والعشرون**: الدعوة بالحكمة لقوله: «**أخبرهم بما يجب**». **الثامنة والعشرون**: المعرفة بحق الله في الإسلام[٣]. **التاسعة والعشرون**: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد. **الثلاثون**: الحلف على الفتيا.



= مثل هذه الأمور؛ يدل على إخلاص الإنسان في توحيده، وأن قصده الله، ولذلك صبر على البلاء.اهـ. القول المفيد (١/ ١٤١). وقال الدويش في بيان وجه كون ذلك من أدلة التوحيد: وهذا ـ ما حصل لهم من الجوع والوباء ـ يدل على أنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا دفعاً، فكيف بغيرهم فلا يصرف لهم من العبادة بل ذلك كله حق لله تعالى.اهـ. التوضيح المفيد (٥٤).

[١] لأن الصحابة غدوا على رسول الله ﷺ مبكرين، كلهم يرجو أن يعطاها ولم يعطوها، وعلي بن أبي طالب مريض ولم يسع لها ومع ذلك أعطي الراية. القول المفيد (١/ ١٤٤).

[٢] حيث أن علياً أُمر أن يدعو اليهود مع كونهم دُعوا قبل ذلك وقوتلوا لما كانوا في المدينة قبل أن يجلوا.اهـ. التوضيح المفيد (٥٤).

[٣] لقوله ﷺ: «**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**». القول المفيد (١/ ١٤٥).

٦

باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلـٰه إلا الله

وقـول الله تـعـالـى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

وقـولـه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

وقـولـه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ».

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي: تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينهما بأمور واضحة.

منها: آية الإسراء بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون

الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه. وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إلـه إلا الله؛ فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله؛ فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام. فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

ومنها قوله ﷺ: «من قال لا إلـه إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله». وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إلـه إلا الله»، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!





٦ ـ باب: تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلـه إلا الله ﴿١﴾

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴿٢﴾ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴿٣﴾ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] ﴿٤﴾.

﴿١﴾ «أل» هنا للعهد، والمراد هو توحيد العبادة، فيكون العطف بين مترادفين، كما قال السعدي، وأشار إليه سليمان بن عبد الله. قال ابن باز: هذا من عطف الدال على المدلول؛ لأن التوحيد هو شهادة أن لا إلـه إلا الله، فعطف هذا التوحيد عطفاً يقتضي بيان معناها ومرادها، وأن معناها ومرادها هو توحيد الله ﷻ، فالمدلول هو التوحيد والدال هو شهادة أن لا إلـه إلا الله. اهـ. وجمع بينهما في الترجمة ليبين أن معناهما واحد، فمعنى التّوحيد هو لا إلـه إلَّا الله، ومعنى لا إلـه إلَّا الله هو التّوحيد.

التعليقات البازية على كتاب التوحيد (١١)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢١٩).

﴿٢﴾ تعم كل من كان معبوده عابداً لله، وبه قال ابن عطية وابن الجوزي، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وأبو السعود والسعدي.

المحرر (٩/ ١١٨)، تذكرة الأريب (١/ ٣٠٥)، الاستغاثة (٢/ ٤٤٢)، تفسير أبي السعود (٥/ ١٩٧)، تفسير السعدي (٤/ ٢٩١).

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات. اهـ. قاعدة جليلة (٧٩).

﴿٤﴾ **وجه مطابقة الآية للباب**، قال سليمان بن عبد الله: إن معنى التوحيد وشهادة أن لا إلـه إلا الله هو: ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين =

وقولـه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا﴾﴿١﴾ ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾﴿٢﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]﴿٣﴾﴿٤﴾.

= والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر وتحويله. اهـ. وهذا من تفسير التوحيد بالضد. التيسير (١٥٦).

قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): إذا كان دعاء الأولياء والصالحين شركاً، عرفنا أن التوحيد هو دعاء الله وحده لا شريك له، فكان في هذه الآية تفسير التوحيد، وأنها دلت على أن دعوة الله وحده هي التوحيد، وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة. اهـ. فصنيع هؤلاء المدعوين هو التوحيد؛ لأنهم يدعون الله؛ أي: يعبدونه. حاشية ابن قاسم (٦٧).

﴿١﴾ الاستثناء متصل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأن قوم إبراهيم يعبدون الله وغيره. قال القرطبي: استثناء متصل؛ لأنهم عبدوا الله مع آلهتهم. قال قتادة: كانوا يقولون: الله ربنا، مع عبادة الأوثان. ويجوز أن يكون منقطعاً؛ أي: لكن الذي فطرني فهو يهدين. قال ذلك ثقة بالله وتنبيهاً لقومه أن الهداية من ربه. اهـ. تفسير القرطبي (١٦/ ٧٦).

﴿٢﴾ قال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وفي قول إبراهيم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ ولم يقل: إلا الله، فائدتان:

الأولى: الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة؛ لأنه كما أنه منفرد بالخلق؛ فيجب أن يفرد بالعبادة.

الثانية: الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لم تفطركم حتى تعبدوها؛ ففيها تعليل للتوحيد الجامع بين النفي والإثبات.

وهذه من البلاغة التامة في تعبير إبراهيم ﷺ. اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٥٠).

جاء في كلام العلامة ابن عثيمين وصف الله بأنه منفرد، وبيَّن بكر أبو زيد أن الله لا يقال له منفرد، حيث قال بكر أبو زيد (ت١٤٢٩هـ): لا يقال: الله منفرد. قال العسكري (ت نحو٤٠٠هـ): في: «الفروق اللغوية»: (الفرق بين الواحد والمنفرد: أن المنفرد يفيد التخلي والانقطاع عن القرناء؛ ولهذا لا يقال لله ﷻ: منفرد، كما يقال: إنه متفرد. اهـ. معجم المناهي اللفظية (٥٣٠).

﴿٣﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): هذا تفسير للتوحيد بمعناها، فقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ كقوله: «لا إلـه»، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ كقوله: «إلا الله». اهـ.

﴿٤﴾ ذكر عبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ) أن وجه **علاقة الآية بالباب** أن الله =

وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١]﴿١﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴿٣﴾ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ

= هو المعبود دون سواه؛ وذلك أن المشركين معترفون بأن الله هو الخالق؛ ولكنهم لا يفردونه بالعبادة. اهـ.

قال صالح آل الشيخ: إن قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ اشتملت على نفي وإثبات، فهي مساوية لكلمة التوحيد، بل هي التوحيد.

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): ومراد المصنف، بإيراد الآية هنا أن الطاعة في تحريم الحلال وتحليل الحرام من العبادة المنفية من غير الله تعالى؛ فمن أطاع مخلوقاً في ذلك فقد عبده.اهـ؛ أي: أن من التوحيد أن يفرد الله بالحكم. التيسير (١١٢).

﴿٢﴾ أي: يحبون أندادهم كما يحبون الله، فالضمير عائد على المتخذين الأنداد؛ أي: يسوُّون بين الله سبحانه وبين الأوثان في المحبة، وهذا التفسير رجحه كثير من المفسرين واختاره ابن تيمية وابن القيم، وابن عثيمين؛ لدلالة سياق الآية وظاهرها وإتيان نظائر لها كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء]. وقيل: يحبون أندادهم كحب المؤمنين لله، وهذا التفسير اقتصر عليه ابن جرير. قال ابن عثيمين: وهذا وإن احتمله اللفظ، لكن السياق يأباه؛ لأنه لو كان المعنى ذلك؛ لكان مناقضاً لقوله تعالى فيما بعد: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾، وكانت محبة المؤمنين لله أشد؛ لأنها محبة خالصة ليس فيها شرك؛ فمحبة المؤمنين أشد من حب هؤلاء لله.

جامع البيان (٣/ ٢٨٠)، الفتاوى (٨/ ٣٥٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٣)، مدارج السالكين (٣/ ٤٥٣)، القول المفيد (٢/ ٤٧).

﴿٣﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): في تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله. **والثاني**: والذين آمنوا أشد حباً لله من محبة المشركين في الأنداد، فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت =

أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿١﴾.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إلـه إلا الله ﴿٢﴾، وكفر بما يُعبد من دون الله ﴿٣﴾، ....

= أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة. اهـ.

وهو قول أكثر المفسرين، وقد اقتصر ابن جرير على القول الأول. جامع البيان (٣/ ٢٧٩)، مدارج السالكين (٣/ ٤٥٣).

📖 قال عبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ): المحبة لله هي المحبة المستلزمة للائتمار بأوامر الله ومع الإخلاص له. اهـ.

﴿١﴾ **ووجه علاقة الآية الباب** ما قاله سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): إن معنى التوحيد وشهادة أن لا إلـه إلا الله هو إفراد الله بأصل الحب. اهـ. التيسير (١١٢).

﴿٢﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): ولا تفتقر صحة الإسلام إلى أن يقول الداخل فيه أشهد أن لا إلـه إلا الله، بل لو قال: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله كان مسلماً بالاتفاق، وقد قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله**»، فإذا تكلموا بقول: لا إلـه إلا الله حصلت لهم العصمة وإن لم يأتوا بلفظ أشهد، وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]. وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله**»، وقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله**»، وقول الزور، وفي لفظ: «**ألا وشهادة الزور**»، فسمى قول الزور شهادة وإن لم يكن معه لفظ أشهد. اهـ. الطرق الحكمية (٢٩٧).

﴿٣﴾ «الواو» هنا عاطفة، ويكون ما بعدها غير ما قبلها؛ لأن الأصل في العطف المغايرة، فتضمن قوله: «**كفر بما يعبد من دون الله**» أمراً زائداً على مجرد القول، فيكون المعنى: أنه قال: لا إلـه إلا الله، ومع قوله كفر بما يعبد من دون الله، يعني: تبرأ مما يعبد من دون الله. هذا قولٌ. والقول الثاني: أن «الواو» هنا وإن كانت عاطفة، فليست لتمام المغايرة، وإنما هي من باب عطف التفسير، فيكون ما بعدها بعض ما قبلها، كقوله ـ جل وعلا ـ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾، فجبريل وميكال بعض الملائكة، فعطفهم، وخصَّهم بالذكر، وأظهر اسم جبريل وميكال لبيان أهمية هذين الاسمين، وأهمية هذين =

حَرُم ماله ودمه﴿١﴾، وحسابه على الله ﷻ»﴿٢﴾﴿٣﴾.

= الملَكين؛ لأن أولئك اليهود لهم كلام بالقدح في جبريل وميكال. فالمقصود: أن العطف هنا عطف خاص بعد عام، أو عطف تفسير؛ لأن ما بعدها داخل في ما قبلها، وهذا تفسير لقوله: لا إلـه إلا الله، فتكون: «لا إلـه إلا الله» على هذا القول الثاني متضمنة للكفر بما يعبد من دون الله، وهذا سبق ذكره في تفسير معنى البراءة المذكورة في آية سورة الزخرف، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ إذ قلنا: إن البراءة تتضمن البغض، والكفر، والمعاداة، والكفر يكون بما يعبد من دون الله، وهذا تفسير ظاهر لكلمة التوحيد. والوجه الثاني هو الأظهر لسياق الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بل هو الذي يتوافق مع ما قبله من الأدلة. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

﴿١﴾ قال حمد بن معمر (١٢٥٥هـ): قال علماؤنا، رحمهم الله: إذا قال الكافر: لا إلـه إلا الله، فقد شرع في العاصم الأول لدمه، فيجب الكف عنه، فإن تمم ذلك تحققت العصمة، وإلا بطلت، ويكون النبي ﷺ قد قال كل حديث في وقت؛ فقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلـه إلا الله**» ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كُفَّ عنه، وصار دمه وماله معصوماً. ثم بيَّن ﷺ في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين، فقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**» فبين أن تمام العصمة وكمالها إنما يحصل بذلك. اهـ.

أما من يقر بالتوحيد، فقال القاضي عياض: اختصاص عصم المال والنفس بمن قال: لا إلـه إلا الله، تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركو العرب، وأهل الأوثان، ومن لا يوحد، وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتل عليه، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله: لا إلـه إلا الله، إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده، فلذلك جاء في الحديث الآخر: «**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**». اهـ.

التيسير (١٩٦)، التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات «للهبدان» (٢٢٦).

﴿٢﴾ «ﷻ» ليست عند مسلم، ولكنها جاءت عند أحمد (٣/ ٤٧٢).

﴿٣﴾ مسلم، عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال القرعاوي: أن معنى التوحيد لا يتم إلا إذا كفر بكل ما يعبد سوى الله. اهـ. الجديد (٥١).

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب﴿١﴾.

فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي: تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينهما بأمور واضحة.

منها: آية الإسراء بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها: آية براءة، بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فاستثنى من المعبودين ربه. وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إلـه إلا الله؛ فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿١﴾ أي: لأن ما بعدها فيه ما يبين التوحيد ويوضح معنى لا إلـه إلا الله. وفيه أيضاً: بيان أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر، وما يوصل إلى ذلك من اللغو والبدعة. وفيه أيضاً: من أدلة التوحيد إثبات صفات الكمال لله عز وجل، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله جل جلاله. القصد السديد على كتاب التوحيد لفيصل بن مبارك (٢٤).

وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ) في ابتداء كلامه عند شرح الباب الآتي «باب: من الشرك لبس الحلقة»: ومن هنا ابتدأ المصنف في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلـه إلا الله بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر.اهـ. التيسير (١١٧).

وقال عبد الرحمٰن بن حسن بعد أن بيّن أن النذر لغير الله شرك عند شرحه لباب: من الشرك النذر لغير الله: وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته «لا إلـه إلا الله»، فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفي ما أثبتته من التوحيد، وهذا معنى قول شيخنا: وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب. قرة عيون الموحدين (١٤٨).

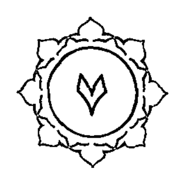
ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله؛ فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام. فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

ومنها قوله ﷺ: «من قال لا إلـه إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله».

وهذا من أعظم ما يبين معنى «**لا إلـه إلا الله**»، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!

۞ ۞ ۞



باب: من الشرك لُبس الحلْقة والخيط ونحوهما؛ لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلْقةٌ من صفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً؛ فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً». رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودَعة فلا ودع الله له»، وفي رواية: «من تعلَّق تميمة فقد أشرك».

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

○ **فيه مسائل:**

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل

ذلك. الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر. الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة. الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر؛ لقوله: «لا تزيدك إلا وهناً». الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك. السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وُكل إليه. السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك. الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك. التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة. العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك. الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له؛ أي: ترك الله له.

۞ ۞ ۞





٧ ـ باب: من[١] الشرك[٢] لُبسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ ونحوهما[٣] ؛ لرفع البلاء أو دفعه[٤]

....

﴿١﴾ «مِنْ» لها معانٍ كثيرة، فتكون تبعيضية وتعليلية، وغير ذلك، وهي هنا للتبعيض.

﴿٢﴾ المراد بالشرك هنا هو الأصغر، كما قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، وغيرهم.

التيسير (١٩٩)، قرة عيون الموحد (١١٢)، فتح المجيد (١/ ٢٣٧)، القصد السديد (٢٥).

قال سليمان بن عبد الله: بدأ بالأصغر الاعتقادي انتقالاً من الأدنى إلى الأعلى. اهـ. التيسير (١٩٩)، وقال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): وقدم التحذير من الشرك الأصغر؛ لشدة البلوى، وكثرة وقوعه، بحيث إذا علم ذلك من وقع فيه، وتحقق عظمه عند الله، وأنه أكبر من كبائر المعاصي مع صغره في الشرك ينبهه ذلك على الأكبر المخرج من الملة، وكان معرفة الأصغر تنبيهاً على الأكبر من باب أولى. اهـ. فتح الحميد (٢/ ٤٧٦).

﴿٣﴾ الحلقة: قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه.

حاشية ابن قاسم (٧٤)، القول المفيد (١/ ١٦٦).

﴿٤﴾ لبس الحلْقة والخيط على أحوال:

أ ـ إذا كان لبسها لرفع البلاء أو دفعه:

١ ـ فشرك أكبر: إذا لبسها معتقداً أنها ترفع البلاء أو تدفعه بذاتها؛ =

. . . .

= وذلك لأنه أشرك في توحيد الربوبية بإثباته خالقاً مع الله، وأشرك مع في الألوهية؛ لأن قلبه تعلق بغير الله طمعاً ورجاء. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.اهـ. الفتاوى (١/ ١٣١).
ونظمها إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن:

والاعتماد على الأسباب منقصة ... لأنه من قسيم الشرك قد بانا
فمن يلاحظ للأسباب يفردها ... من دون خالقها قد نال خذلانا
ومن يعطل أسباباً وينكرها ... قد خالف الشرع والمعقول طغيانا

الدرر السنية (١٢/ ٤٦٨).

٢ ـ **وشرك أصغر**: إذا لبسها معتقداً أنها سبب، وأن الله هو الدافع للبلاء والرافع له؛ لأنه جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر، قال السعدي (١٣٧٦هـ): وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر. أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة. وأما القَدَر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة. وكذلك هو من جملة وسائل الشرك؛ فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.اهـ. القول السديد (٤٥). وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): والقاعدة: «إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً؛ فإنه مشرك شركاً أصغر».اهـ.

ب ـ **إذا لبسها للعلاج، وقد ثبت بالتجربة الظاهرة أنها علاج**، قال ابن باز (١٤٢٠هـ) لما سئل عن المِعضد والأسورة النحاسية لمكافحة الروماتيزم: والذي أرى في هذه المسألة هو تَرك الأسورة المذكورة، وعدم استعمالها سدّاً لذريعة الشرك، وحسماً لمادة الفتنة بها والميل إليها، وتعلق النفوس بها، ورغبة في توجيه المسلم بقلبه إلى الله سبحانه ثقة به، واعتماداً عليه واكتفاء بالأسباب المشروعة المعلومة إباحتها بلا شك، وفيما أباح الله ويسر لعباده غنية عما حرم عليهم، وعما اشتبه أمره، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه**»، وقال ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»، ولا ريب أن تعليق الأسورة المذكورة يشبه ما تفعله الجاهلية في سابق الزمان، فهو إما من الأمور المحرمة =

= الشركية، أو من وسائلها، وأقل ما يقال فيه أنه من المشتبهات، فالأولى بالمسلم والأحوط له أن يترفع بنفسه عن ذلك، وأن يكتفي بالعلاج الواضح الإباحة، البعيد عن الشبهة، هذا ما ظهر لي ولجماعة من المشايخ والمدرسين. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٢٠٧).

جـ ـ إذا كان لبسها من باب الزينة، فيجوز لبسها ما لم يكن خاصاً بالتمائم، أو فيه تشبه بالنساء أو الكفار.

الكبائر لإمام الدعوة (٢٠)، فتح المجيد (١/ ٢٣٨)، حاشية ابن قاسم (٧٥)، القول المفيد (١/ ٢٢٩، ١٦٥، ٢٢٦، ٥٧٥)، إعانة المستفيد (١/ ١٨٥).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من الشرك لبس الحلْقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه. قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): إذا اعتقد الذي علقها ـ التميمة ـ أنها ترد العين فقد ظن أنها ترد القدر، واعتقاد ذلك شرك. اهـ. التيسير (١٢٣).

قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): الأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله، مع عدم الاعتماد عليها. وأما التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال: فهو شرك، يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل وإن لم يأذن فيه صاحبه. اهـ. فتح المجيد (١/ ٢٣٧).

علاقته بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق تفسير شهادة أن لا إلـٰه إلا الله إجمالاً، ابتدأ المصنف في هذا الباب بتفسير شهادة أن لا إلـٰه إلا الله تفصيلاً؛ ولكن بما يضادها وهو الشرك، وبالمثال ليكون أبلغ في بيان معنى التوحيد.

قال سليمان بن عبد الرحمٰن (١٢٣٣هـ): ابتدأ المصنف في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إلـٰه إلا الله بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر، فإن الضد لا يعرف إلا بضده كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء، التيسير (١١٧).

وقال الشيخ صالح الفوزان: إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، لما ذكر في الباب الذي قبله بيان معنى شهادة أن لا إلـٰه إلّا الله، وتفسير التّوحيد، وأن ذلك هو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه؛ ناسب أن يذكر في هذا الباب وما بعده أشياء من الشرك الأكبر أو الأصغر، الذي هو ضدّ التّوحيد، وضدّ شهادة أن لا إلـٰه إلّا الله أو منقص لهما. اهـ. الملخص في شرح التوحيد (٧٠).

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]﴿١﴾﴿٢﴾.

﴿١﴾ هذه الآية واردة في الشرك الأكبر، فَلِمَ جعلها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في سرد بيان أصناف من الشرك الأصغر؟ والجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن الآيات الواردة في الشرك الأكبر، دلت من جهة المعنى على وجوب التعلق بالله، وبطلان التعلق بغيره، وهذا المعنى متحقق في الشرك الأصغر أيضاً.

الوجه الثاني: أن هذه الآية واردة في الشرك الأكبر؛ ولكن المعنى الذي دارت عليه هو تقرير أن كل من يدعى من دون الله لا يستطيع من الأمر شيئاً، فلا يقدر أن يرفع ضراً ولا بلاء، ولا أن يمنع رحمة وفضلاً عمن أراده الله بذلك، وهذا المعنى الذي هو التعلق بما يعتقد أنه يضر أو ينفع هو المعنى الذي من أجله تعلّق المشرك ـ الشرك الأصغر ـ بالحلقة وبالخيط؛ لأنه ما علق الخيط ولا علق الحلقة وغيرهما إلا لأنه يعتقد أن لهما تأثيراً من جهة رفع البلاء أو دفع الضر، وأنهما يجلبان النفع أو يدفعان الضر، مع أن هذه الأشياء مهينة وأمور وضيعة، فإذا نُفِيَ عن الأشياء العظيمة: كالأنبياء، والمرسلين، والملائكة، والصالحين، أو الأوثان التي لها روحانيات كما يقولون، فإن انتفاء النفع والضر عما سواها ـ مما هو أدنى ـ لا شك أنه أظهر في البرهان، وأبين. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): إن السلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر، كما استدل حذيفة وابن عباس وغيرهما. اهـ. التيسير (١١٨).

وقال ابن عثيمين: وهذا يدل على حذق المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وقوة استنباطه، وإلا فالآية بلا شك في الشرك الأكبر الذي تعبد فيه الأصنام، ولكن القياس واضح جداً؛ لأن هذه الأصنام ليست أسباباً تنفع، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب، فيعتبر إشراكاً بالله. اهـ. القول المفيد (١/ ١٦٨).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): إذا كان كذلك ـ من يعبد من دون الله لا يكشف الضر ـ بطلت عبادتهم من دون الله، وإذا بطلت عبادتهم فبطلان دعوة الآلهة والأصنام أبطل وأبطل، ولبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه كذلك، فهذا وجه استدلال المصنف بالآية. اهـ. التيسير (١١٨). =

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً ﴿١﴾ في يده حَلْقةٌ من صُفْر ﴿٢﴾، فقال: **ما هذه؟** ﴿٣﴾ قال: من الواهنة ﴿٤﴾، فقال: **انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً** ﴿٥﴾؛ **فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت** ﴿٦﴾

= وقال ابن عثيمين: إن هذه الأصنام لا تنفع أصحابها لا بجلب نفع ولا بدفع ضر؛ فليست أسباباً لذلك، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب شرعي أو قدري؛ فيعتبر اتخاذه سبباً إشراكاً بالله. اهـ. القول المفيد (١/ ١٦٨).

﴿١﴾ جاء عند الحاكم (٤/ ٢٤٠) أنه عمران بن حصين رضي الله عنه.

﴿٢﴾ «من صُفْر»: الصفر نوع من المعدن يسمى النحاس.

المصباح المنير (١٧٨)، المعجم الوسيط (١/ ٥١٦).

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله: قوله: «فقال ما هذا؟». يحتمل أن الاستفهام للاستفصال، هل لبسها تحلياً أم لا؟ ويحتمل أن يكون للإنكار فظن اللابس أنه استفصل. اهـ. وذهب إلى أن للإنكار سليمان بن عبد الله وعبد الرحمٰن بن حسن. وذهب ابن عثيمين إلى أنه للاستفصال. قرة عيون الموحدين (١٠٢)، حاشية ابن قاسم (١٢٠).

﴿٤﴾ قال أبو السعادات ابن الأثير (٦٠٦هـ): الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها، وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء. اهـ. النهاية (٥/ ٥٢٦).

وكان العرب يعتقدون أن علاجها يكون بجعل بعض الخرز، وذلك بوضعها في سلك ثم يعلقونها على موضع الألم، ويقال له: خرز الواهنة. اهـ. قال العلامة ابن عثيمين: وهي مرض يوهن الإنسان ويضعفه، قد يكون في الجسم كله وقد يكون في بعض الأعضاء. اهـ. مجمع حاشية ابن قاسم (١٢٠)، القول المفيد (١/ ١٧٠).

﴿٥﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): فإن قيل: كيف قال ﷺ: «**لا تزيدك إلا وهناً**» وهي ليس لها تأثير؟ وقيل: هذا ـ والله أعلم ـ يكون عقوبة له على شركه؛ لأنه وضعها لدفع الواهنة، فعوقب بنقيض مقصوده. اهـ. التيسير (١٢٥).

﴿٦﴾ أشكل على بعضهم هذا الحديث، من جهة أن الوعيد بنفي الفلاح بالكلية لا يكون إلا في حق الكافر، كما حققه واستقرأه العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) في تفسيره أضواء البيان (٤/ ٤٤١)، ولبس الحلقة والخيط ونحوهما من الشرك الأصغر. ويجاب عن ذلك: =

أبداً»﴿١﴾. رواه أحمد بسند لا بأس به﴿٢﴾.

أخرجه: أحمد (٤/ ٤٤٥)، وابن ماجه (٣٥٣١)، وابن حبان (٦٠٨٥)، من طريق مبارك بن فَضَالة، وابن حبان (٦٠٨٨)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠) من طريق أبي عامر، كلاهما «مبارك بن فضالة وأبو عامر الخزاز»، عن الحسن، عن عمران بن حصين ﷺ، عن النبي ﷺ﴿٣﴾.

صححه: ابن حبان، والحاكم﴿٤﴾.

= ـ إن عامة علماء السلف يقرُّون أحاديث الوعيد، ويمرّونها كما جاءت، ويكرهون أن تتأول تأويلات تخرجها عن مقصود رسول الله ﷺ. الفتاوى (٧/ ٦٧٤).

ـ وجواب آخر: ففي رواية أخرجها الخلال في السُّنَّة (٥/ ٦٤)، عن عمران بن حصين ﷺ أنه رأى في يد رجل حلقة، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال عمران: أما إنها لا تزيدك إلا وهناً، ولو مت وأنت ترى أنها نافعتك لمت على غير الفطرة. ومقولة الصحابي: لمت على غير الفطرة، لها حكم الرفع على القول الراجح كما قرره الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٢٧٥)، فيحمل الوعيد المذكور في حديث الباب على من اعتقد النفع في تلك الخيوط أو الحِلَق. التعليق على فتح المجيد لشرح التوحيد لـ«عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف» (٧).

﴿١﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: فيه دليل على أن الشرك لا يُغفر حتى ولو كان شركاً أصغر، يُعذّب به، وإن كان لا يعذّب تعذيب المشرك الشرك الأكبر؛ فلا يخلّد في النار، لكن يعذّب بها بقدره. اهـ. إعانة المستفيد (١/ ١٩١).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على المنع من لبس الحلقة لدفع البلاء؛ لأن ذلك من الشرك المنافي للفلاح. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٧٣).

﴿٣﴾ قال البزار (٢٩٢هـ): وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن عمران بن حصين وحده، ولا نعلم رواه عن عمران إلا الحسن، ورواه عن الحسن جماعة. اهـ. مسند البزار (٩/ ٣٢).

﴿٤﴾ صحيح ابن حبان (٦٠٨٥)، الحاكم (٤/ ٢١٦).

حسَّنه: البوصيري، وابن مفلح[١].

جوَّده: المنذري[٢].

ليَّنه: ابن عبد البر[٣].

والحديث ضعيف[٤]؛ لأمور:

١ ـ أن مبارك بن فضالة ضعفه ابن معين وأحمد، وذكر ابن حبان أنه رديء الحفظ[٥]، وذكر ابن حبان أنه يُخطئ[٦]، ووصفه أحمد وأبو زرعة وأبو داود وغيرهم بالتدليس[٧]، ووصفه ابن حجر بتدليس التسوية[٨].

٢ ـ أن أبا عامر صالح بن رستم لينه ابن معين وابن المديني وأبو حاتم[٩]، وهو كثير الخطأ، كما قال ابن حجر[١٠].

٣ ـ أن مبارك بن فضالة وأبا عامر ليسا من كبار أصحاب الحسن[١١]،

﴿١﴾ مصباح الزجاجة (٣/ ١٠٣)، الفروع (٢/ ١٧٤).

﴿٢﴾ الترغيب (٤/ ١٥٨).

﴿٣﴾ التمهيد (٥/ ٢٧٣).

﴿٤﴾ قال النووي (٦٧٦هـ): رواه ابن ماجه والبيهقي بإسنادين في كل منهما من اختلف فيه. المجموع (٩/ ٦٧). وأعل ابن حجر إسناده في التهذيب (١٠/ ٢٩).

﴿٥﴾ مشاهير علماء الأمصار، المغني في الضعفاء (٢/ ٤٥٠).

﴿٦﴾ الثقات (٧/ ٥٠١).

﴿٧﴾ تهذيب التهذيب، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣١).

﴿٨﴾ التقريب (٥٧٨).

﴿٩﴾ الكاشف (١/ ٤٩٥)، مقدمة الفتح (١/ ٤٥٧).

﴿١٠﴾ التقريب (٢٧٧).

﴿١١﴾ قال ابن المديني (٢٣٤هـ): أصحاب الحسن: حفص المنقري، ثم قتادة، وحفص فوقه، ثم قتادة بعده، ويونس وزياد الأعلم. وكان حفص في الحسن مثل ابن جريج في عطاء، وبعد هؤلاء أشعث بن عبد الملك، ويزيد بن إبراهيم، وقرة: طبقة، وأبو الأشهب، وجرير بن حازم: طبقة، وأبو حرة، وهشام بن حسان في =

وقد خالفهما كبار أصحاب الحسن كيونس بن عبيد[١]، ومنصور بن زاذان، ومعمر؛ فرووه عن الحسن عن عمران موقوفاً[٢].

٤ ـ أن الإمام أحمد تكلم في رواية مبارك بن فضالة عن الحسن عن عمران[٣]. وهذا مما يدل على أن مبارك بن فضالة أخطأ في ذكر لفظة «أخبرني» بين الحسن وعمران بن حصين رضي الله عنه.

٥ ـ أن الحسن لم يسمع من عمران بن الحصين، كما قال ابن القطان وابن معين وابن المديني وأحمد وأبو حاتم والدارقطني والبيهقي[٤].

= الحسن: طبقة، وسلام بن مسكين، والسري بن يحيى: طبقة، وأبو هلال فوق مبارك، ومبارك أحب إليّ من الربيع يعني ابن صبيح. شرح علل الترمذي (١/ ٤٩٦).

[١] قال أحمد: ما في أصحاب الحسن أثبت من يونس.اهـ. شرح علل الترمذي لابن رجب (٢/ ٦٨٥).

[٢] عبد الرزاق (١١/ ٢٠٩)، ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥)، البزار (٩/ ٣٢)، الطبراني (١٨/ ١٧٩)، السُّنَّة للخلال ().

[٣] قال الإمام أحمد (٢٤١هـ): كان مبارك بن فضالة يرفع حديثاً كثيراً ويقول في غير حديث عن الحسن... ثنا عمران... ثنا ابن معقل، وأصحاب الحسن لا يقولون ذلك. اهـ قال في التهذيب (١٠/ ٢٧): يعني أنه يصرح بسماع الحسن من هؤلاء وأصحاب الحسن يذكرونه عندهم بالعنعنة.اهـ. قال ابن مفلح في «الآداب» على هذا الحديث: «... ورواه ابن ماجه من حديث وكيع عن المبارك. والمبارك مختلف فيه، وهو مدلس. وقال أحمد: ما روي عن الحسن لا يحتج به».اهـ. الآداب الشرعية (٣/ ٦٨).

[٤] قال علي بن المديني (٢٣٤هـ): لم يصح عن الحسن عن عمران بن حصين سماع من وجه صحيح يثبت.اهـ. وقال الحاكم (٣٧٨هـ): أكثر مشايخنا على أن الحسن سمع من عمران.اهـ. وأثبت سماعه البزار وابن خزيمة. وجاء تصريح الحسن عن عمران عند أحمد من طريق خلف بن الوليد عن ابن فضالة، وهذه الرواية شاذة؛ لأن وكيع وحبان بن هلال وأبو الوليد الطيالسي وحجاج بن منهال وغيرهم رووه عن ابن فضالة دون لفظ التصريح. =

٦ ـ أن جرير بن حازم رواه عن الحسن مرسلاً ﴿١﴾.

٧ ـ أن كراهة تعليق التمائم جاءت من قول الحسن ﴿٢﴾.

٨ ـ أن المحفوظ عن عمران هو: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: **هم الذين لا يكتوون، ولا يَسْتَرْقون، وعلى ربهم يتوكلون**» ﴿٣﴾.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «من تعلَّق ﴿٤﴾ تميمة ﴿٥﴾ فلا أتمَّ الله

= المراسيل لابن أبي حاتم (٣٨)، صحيح ابن خزيمة (١/ ٣)، المستدرك (١/ ٢٩، ٢٦٧)، السنن للبيهقي (١٠/ ٧٠، ٨٠)، جامع التحصيل (١٣٥)، تحفة التحصيل (٧١)، الترغيب والترهيب (٦/ ١١٣)، نصب الراية (١/ ٩٠)، التيسير (١٢٧).

﴿١﴾ ابن وهب (٦٧٤)، من طريق جرير بن حازم، وعبد الرزاق (١١/ ١٧)، من طريق أبان، كلاهما عن الحسن عن النبي ﷺ بلفظ: «**من تعلق بشيء وكل إليه**». وبنحو حديث الباب رواه ابن وهب (٦٧٣)، عن الحسن مرسلاً.

﴿٢﴾ رواه عن الحسن: يونس بن عبيد وهشام بن حسان. المصنف لابن أبي شيبة (٥/ ٣٦)، أبو عبيد في «فضائل القرآن» (٨٦٣). وقال الحسن: «كانوا يكرهون أن يعلقوا مع القرآن شيئاً» عبد الرزاق (٣٠٦).

﴿٣﴾ مسلم (٢١٨)، من طريق ابن سيرين عن عمران، وأحمد (١/ ٤٢٢)، وابن حبان (٦٤٣١)، من طريق الحسن والعلاء بن زياد، عن عمران بن حصين، عن ابن مسعود.

﴿٤﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: من علّق هذا الشيء على جسمه، أو علّق قلبه به، واعتقد فيه أنه ينفعه أو يضره من دون الله ﷻ.اهـ. ولا يلزم كونه متعلقاً، فلو كان تحت الوسادة أو في مكان آخر فهو داخل في هذا الحكم. إعانة المستفيد (١/ ٢٥٣).

وبيَّن عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ) أن هذا التعلق يدخل فيه ما هو أولى منه، كالتعلق بأرواح الأموات، حيث قال: إن التعلق بأرواح الأموات، أعظم شركاً من تعليق التمائم؛ وهذا لا يخفى على من له بصيرة في الدين، فإن الفتنة بها أعظم، والتعلق بها أشد.اهـ. الدرر السنية (٥/ ١١٧).

﴿٥﴾ **التميمة**: شيء يعلق على الأولاد من خرز أو غيره؛ يتقون به العين. قال الجوهري: التميمة عوذة تعلق على الإنسان ويقال: هي خرزة.اهـ. الآداب =

له﴿١﴾، **ومن تعلق وَدَعة**﴿٢﴾ **فلا وَدَع الله له»**﴿٣﴾، وفي رواية: «من

= الشرعية (٣/ ٦٦)، شرح فتح المجيد للغنيمان (٢/ ١٩٢). **والتميمة**: هي كل ما يعلقه الإنسان على بدنه أو في سيارته أو في بيته، أو في متجره، أو في مصنعه، يريد بذلك أن يدفع عنه عين الإنسان أو أذى الجان أو ينفعه في شيء من المنافع، سواء كان المعلق من القرآن، ومن أسماء الله وصفاته، أو من أسماء الشياطين والجن، أو من الحروف والطِّلِّسْمات التي يفعلها الكهنة والسحرة وأشباههم من الجهال. ولكن إذا كان المعلق من القرآن ومن صفات الله جل وعلا وأسمائه فقد اختلف العلماء في ذلك، كما سيأتي، منهم من جوَّزه وقال: إنه جائز، ومنهم من منعه، وجعله من قسم الممنوع الذي لا يجوز فعله. القول المفيد (١/ ١٧١).

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): قوله: «**فلا أتم الله له**»، دعاء عليه بأن الله لا يتم له أموره.اهـ. وهو الذي يذهب إليه المصنف حيث قال في مسائل الباب: المسألة الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له.اهـ. التيسير (٢٠٧).

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وقوله: «فلا أتم الله له»: الجملة خبرية بمعنى الدعاء، ويحتمل أن تكون خبرية محضة، وكلا الاحتمالين دال على أن التميمة محرمة، سواء نفى الرسول ﷺ أن يتم الله له، أو دعا بأن لا يتم الله له؛ فإن كان الرسول ﷺ أراد به الخبر؛ فإننا نخبر بما أخبر به النبي ﷺ، وإلا؛ فإننا ندعو بما دعا به الرسول ﷺ، ومثل ذلك قوله ﷺ: «**ومن تعلق ودعة؛ فلا ودع الله له**».اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٧٠).

وقال القرافي (٦٨٤هـ): سأل بعض المتطيرين بعض العلماء عن كونه يتطير بالشيء فيتضرر به، ويقع ذلك لغيره فلا يتضرر، هل لذلك أصل في الشريعة؟ فقال: نعم. فذكر له الحديث: «**أنا عند حسن عبدي المؤمن بي، فليظن بي ما شاء**».اهـ. الفروق (٢٦٥). وجاء من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله: «لا تضر الطيرة إلا من تطير». كتاب الأدب لابن أبي شيبة (١/ ٢١٣).

﴿٢﴾ خرز بيض تخرج من البحر بيضاء شَقُّها كشق النَّواة تعلق لدفع العين. القاموس المحيط (٩٩٤).

﴿٣﴾ هو شيء أبيض يجلب من البحر، يُعلق في حلوق الصبيان. النهاية (٥/ ١٧٦)، لسان العرب (٨/ ٣٨٠).

تعلَّق تميمة فقد أشرك»[١][٢].

أخرجه: أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤/ ٢٤٠)، وابن حبان (٦٠٨٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠)، من طريق حيوة بن شريح، عن خالد بن عبيد المعافري، عن مشرح بن هاعان[٣]، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، باللفظ الأول.

صحَّحه: ابن حبان، والحاكم، وقال ابن حجر: رجال حديثه موثوقون[٤].

جوَّد إسناده: المنذري[٥].

وهذا الإسناد ليس بالقوي؛ لأمور:

١ ـ أن خالد بن عبيد ليس بالمشهور[٦].

---

[١] قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): إذا اعتقد الذي علقها أنها ترد العين فقد ظن أنها ترد القدر، واعتقاد ذلك شرك. اهـ. التيسير (١٢٣).

قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): وإنما كان شركاً لما يقوم بقلبه من التعلق على غير الله، في جلب نفع أو دفع ضر. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٧٨).

[٢] قال الشيخ صالح الفوزان: **مناسبة الحديثين للباب**: أن فيهما دلالة على تحريم تعليق التمائم والودَع واعتباره شركاً؛ لما يقوم بقلب المعلِّق لها من الاعتماد على غير الله. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٧٥).

[٣] تابعه أبو سعيد المقبري عند الطبراني في «الشاميين» (٢٣٤)؛ لكن فيه الوليد بن الوليد ـ متروك ـ. لسان الميزان (٦/ ٢٢٨).

[٤] الحاكم (٤/ ٢١٧)، تعجيل المنفعة (٢٦٦).

[٥] الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٦).

[٦] ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر عن إسناد هذا الحديث: رجال حديثه موثوقون. وقال ابن كثير في راوٍ سكت عنه ابن أبي حاتم: وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئاً من هذا، فهو مستور الحال. اهـ.

التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٤)، الجرح والتعديل (٣/ ٣٤٢)، الثقات لابن حبان (٦/ ٢٦١)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٤)، تعجيل المنفعة (٢٦٦).

٢ ـ أن مشرح بن هاعان ليس بالقوي﴿١﴾، ويخطئ ويخالف كما قال ابن حبان﴿٢﴾، وروايته عن عقبة فيها مناكير كما قال ابن حبان﴿٣﴾.

٣ ـ أن مشرح بن هاعان قد خالفه دخين الحجري، فرواه بلفظ: «**من تعلَّق تميمة فقد أشرك**»﴿٤﴾، وقد قال ابن حبان في مشرح بن هاعان: يخطئ ويخالف.

٤ ـ أن الخبر رواه أبو الخير مرثد بن عبد الله، عن عقبة بن عامر،

﴿١﴾ وثقه ابن معين والعجلي، وقال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): لا يحتج به، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وقال الذهبي (٧٤٨هـ): صدوق لينه ابن حبان، وقال السيوطي (٩١١هـ): ثقة صدوق، وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): مقبول، وذكره ابن عدي في الكامل، والعقيلي في الضعفاء. قال المعلمي: فيه كلام، وقد لخص ابن حجر حاله في «التقريب» بقوله: مقبول، وهذا يوافق قول ابن الجوزي. وقال ـ أيضاً ـ: هذه الكلمة ـ أرجو أنه لا بأس به ـ رأيت ابن عدي يطلقها في مواضع يكون مقصوده «أرجو أنه لا يتعمد الكذب». وقال ـ أيضاً ـ: وهذا يشعر بأن ابن معين ربما يطلق كلمة «ثقة» لا يريد بها أكثر من أن الراوي لا يتعمد الكذب. اهـ.

المجروحين، الجرح والتعديل (٨/)، الكامل (٤/ ٢٢٢)، التهذيب (١٠/ ٢٩٧)، التقريب (٥٣٢)، الفوائد (٣٣٧، ٣٥)، التنكيل (١/ ٧٢).

﴿٢﴾ الثقات (٥/ ٤٥٢).

﴿٣﴾ ذكر هذا الحديث في ترجمته ابن عدي في الكامل (٦/ ٤٦٩)، وقال ابن حبان (٣٥٤هـ): يروي عن عقبة بن عامر أحاديث مناكير لا يتابع عليها، والصواب في أمره ترك ما انفرد به من الروايات والاعتبار بما وافق الثقات. اهـ. المجروحين لابن حبان (٢/ ٢٨٣). وقال أبو يونس: كان حافظاً للحديث، وحدث بما لم يكن يوجد عند غيره. اهـ. قال ابن حجر: من عادة ابن عدي في «الكامل» أن يخرِّج الأحاديث التي أنكرت على الثقة أو غير الثقة. اهـ. هدي الساري (٤٢٩).

﴿٤﴾ أخرجه: أحمد (٤/ ١٥٦) من طريق عبد العزيز بن مسلم، والحاكم (٤/ ٢٤٣) من طريق سهل بن أسلم، كلاهما «سهل وابن مسلم» من طريق يزيد بن أبي منصور، عن دخين بن عامر، عن عقبة ﷺ. قال ابن حبان: لست أعلم ليزيد سماعاً من دخين.

من قوله بلفظ: «موضع التميمة من الإنسان والطفل شرك»[١]. وأبو الخير كان لا يفارق عقبة بن عامر كما قال المزي[٢].

الخلاصة:

أن حديث عقبة ليس بالقوي؛ ولكن جاء ما يشهد له من أن تعليق التمائم من الشرك، منها:

١ ـ قوله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»، رواه الشيخان[٣].

٢ ـ وقول ابن مسعود رضي الله عنه لما قطع خيط كان على امرأته قد رقي لها فيه: «إن آل عبد الله بن مسعود أغنياء عن الشرك»[٤].

---

[١] رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير به. المصنف (٥/ ٣٥).

[٢] تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٥٦).

[٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبدُ الْقَطِيفَة، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَة، تَعِسَ وَانتَكَس، وَإذَا شِيك فلا انتَقَشَ، إن أُعطِي رضِي، وَإِن مُنع سخط**». فسمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ الدِّرهَم وعبد الدِّينارِ وعَبد القَطيفَة وعبد الخَميصة. وذكرُ مَا فيه دُعَاءٌ وخبر وهو قوله: «**تَعِس وانتَكَس وإذا شيك فلا انتَقَش**»، والنَّقش: إخرَاج الشَّوْكَة من الرِّجل، والمنقَاش: ما يُخرج به الشَّوكَةُ، وهذه حال من إذا أَصابه شَرٌّ لم يخرج منه ولم يفلِح لِكونهِ تعس وَانتَكَس، فلا نال المطلُوب ولا خلص من المكرُوه، إلى أن قال: ومنها ما لا يحتاج العبد إليه ـ طلب المال وغيره ـ فهذه لا ينبغِي له أَن يُعلِّق قلْبه بها؛ فإذا تَعَلَّق قلْبه بها صار مستعبَداً لهَا؛ وربما صار معتمداً على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولَا حقِيقة التّوكُل عليه؛ بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله، وهذا من أَحق الناس بقولِه ﷺ: «**تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار؛ تعس عبد القطيفة؛ تعس عبد الخميصة**». اهـ. فكيف بمن تعلق بالتمائم (١٠/ ١٨٠، ١٩٠).

[٤] ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥)، بسند صحيح من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود. والطبراني (٩/ ١٧٤)، من طريق =

٣ ـ وقول عقبة بن عامر ﷺ: «موضع التميمة من الإنسان والطفل شرك»[١]. وقد حكى ابن عبد البر وتبعه الحاكم أن الصحابي إذا وصف شيئاً بالكفر أو العصيان فإن له حكم الرفع بالإجماع[٢].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى[٣]، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف][٤][٥].

أخرجه: ابن أبي حاتم «في تفسيره» (١٢٠٤٠)، من طريق عاصم الأحول، عن عزرة بن عبد الرحمٰن الخزاعي، عن حذيفة ﷺ.

إسناده: منقطع[٦]؛ لأن عزرة لا يصح له سماع من

= أبي المنهال عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود. وابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٧)، من طريق هشام، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: رأى ابن مسعود على بعض أهله شيئاً قد تعلقه، فنزعه منه نزعاً عنيفاً وقال: إن آل ابن مسعود أغنياء عن الشرك.

[١] رواه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥)، بسند صحيح من طريق الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر.

[٢] النكت لابن حجر (٢/ ٥٣٠).

[٣] «مِنَ الحُمَّى»، (مِنَ) هنا تعليلية؛ يعني: علَّق الخيط لأجل رفع الحمى أو لأجل دفع الحمى. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٠٣).

[٤] قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): معنى الآية: أن المشركين يجمعون بين الإيمان بالله؛ أي: بوجوده، وأنه الخالق الرزاق المحيي المميت، ثم مع ذلك يشركون في عبادته، فسَّرها بذلك ابن عباس وعطاء ومجاهد والضحاك وابن زيد وغيرهم. اهـ. التيسير (١٢٥).

قال ابن قاسم: وفي استدلال حذيفة بهذه الآية على أنه شرك، دليل على صحة استدلال المصنف بالآية أول الباب. اهـ. حاشية ابن قاسم (٨١).

[٥] **علاقة الأثر بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: **مناسبة الأثر للباب:** أن فيه اعتبار لبس الخيط ـ لدفع المرض ـ شركاً يجب إنكاره. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٧٦).

[٦] قال الشيخ عبد الكريم الخضير: هل يمكن أن يقال: إن الشيخ ﷺ =

حذيفة[١]؛ لكن الأثر صحيح عن حذيفة بذكر القطع دون ذكر الآية[٢].

= اعتمد في أبواب هي من أهم أبواب الدين على أحاديث ضعيفة؟ لأن بعضهم تكلم في كتاب التوحيد، وأن الشيخ استدل بأحاديث ضعيفة في العقائد، والإجماع قائم على أنه لا يستدل في العقائد بالأحاديث الضعيفة؟

نقول: إن الشيخ لم يعتمد على هذه الأخبار، أولاً: الأحاديث يوجد من يصححها، فلم يدخل فيه ضعيفاً متفقاً على ضعفه، وأيضاً الشيخ لم يعتمد في هذه المسائل المهمة على الأحاديث الضعيفة، وإنما اعتمد على ما في الباب من آية وحديث صحيح، ولا يلزم بعد ذلك من إيراد الأحاديث التي فيها كلام لأهل العلم؛ لأن المعول على ما قبلها من الآيات والأحاديث الصحيحة. فالحديث مصحح عند بعض أهل العلم، لكن على افتراض تضعيفه، الشيخ ما هو معوله على هذا، معوله على ما تقدم، ولا مانع من باب حشد الأدلة أن يذكر الضعيف. اهـ.

وقال صالح آل الشيخ ـ معلقاً على حديث ذكره المصنف وقد أُعل ـ: وقد أعل بعض العلماء هذا الحديث بأن في إسناده مقالاً؛ لكن إيراد أئمة الحديث للأحاديث التي قد يكون في إسنادها بعض مقال في مثل هذا المقام لا بأس به، بل فعلهم هذا صواب إذا كان ما في الحديث من المعنى قد عضدته الأدلة من القرآن ومن السُّنَّة، وهذا الذي درج عليه صنيع الراسخين في العلم من أهل الحديث، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلام له في «الفتاوى»؛ قال: أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول، بل إما في تأييده؛ يعني: في تأييد ذلك الأصل أو في فرع من الفروع. وهذا هو صنيع الشيخ رحمه الله أيضاً في هذا الكتاب؛ فإنه يستدل بأحاديث هي من جهة المعنى الذي اشتملت عليه صحيحة. التمهيد لشرح كتاب التوحيد. عند حديث: «**لا يستغاث بي**».

[١] عزرة ذكره ابن حجر في «التقريب» في الطبقة السادسة، وهم من عاصر صغار التابعين ولم يلق أحداً من الصحابة، وأيضاً فعزرة لم يسمع من عائشة ولا من البراء، فمن باب أولى أنه لم يسمع من حذيفة؛ لأنه متقدم الوفاة. تهذيب الكمال (٢٠/ ٥١)، التقريب (٤٢٦).

[٢] فقد رواه ابن أبي شيبة من طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن حذيفة، ومن طريق علي بن مسهر، عن يزيد، عن زيد بن وهب، عن حذيفة رضي الله عنه. المصنف لابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٨).

وقد جاء عن ابن مسعود﴿١﴾ ما يشهد لقطع التميمة، وجاء عن النبي الأمر بالقطع﴿٢﴾.

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك. **الثانية**: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر﴿٣﴾. **الثالثة**: أنه لم يعذر بالجهالة﴿٤﴾. **الرابعة**: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر؛ لقوله:

﴿١﴾ ابن أبي شيبة بسند صحيح من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود رضي الله عنه. المصنف (٥/ ٣٥).

﴿٢﴾ **«لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»** رواه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (٢١١٥) من طريق أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه.

﴿٣﴾ لأن الشرك الأصغر عند المصنف لا يغفر بخلاف الكبائر. الدرر السنية (١/ ١١٢، ٢/ ١٨٥، ٣٠٨، ١٠/ ٣٨٨).

﴿٤﴾ في هذا الكلام أن الشيخ لا يعذر بالجهل؛ لكن تواتر عنه أنه ممن يعذر بالجهل، ومن ذلك ما قاله في إحدى رسائله: وأما ما ذكره الأعداء عني أني أكفر بالظن، وبالموالاة، **أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة**، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله.اهـ. وقال في موضع آخر: وإنما نكفر من أشرك بالله في إلٰهيته بعد ما تبيّن له الحجة على بطلان الشرك.اهـ. وقال أيضاً: وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك.اهـ. وقال أيضاً: ... وإذا كنا لا نكفِّر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما؛ **لأجل جهلهم وعدم من ينبههم**...اهـ.

وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٩٣هـ): والشيخ محمد رحمه الله، من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، **حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل** الذي يدعو غير الله من أهل القبور، أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر مرتكبها.اهـ.

=

. . . .

= والجمع بين كلام المصنف السابق وما ذكره في المسألة الثالثة:

١ ـ أن الشخص يعذر بالجهل في المسائل الخفية، دون المسائل الظاهرة الجلية، كما حقق ذلك الشيخ المصنف بقوله: إن الشخص المعين، إذا قال ما يوجب الكفر، فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا في المسائل الخفية التي يخفى دليلها على بعض الناس، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية، أو ما يعلم من الدين بالضرورة، فهذا لا يتوقف في كفر قائله، ولا تجعل هذه الكلمة عكازة تدفع بها في نحر من كفّر البلدة الممتنعة عن توحيد العبادة والصفات بعد بلوغ الحجة ووضح المحجة. اهـ. وقوله أيضاً: إن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية، أو يكون في مسألة خفية مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرّف. . . اهـ.

٢ ـ وجواب آخر وهو أن يقال: إن الشخص لا يعذر إذا كان مفرطاً ومقصراً في التعليم، فكل جهل يمكن دفعه لا يكون حجة للجاهل، وأما من كان عاجزاً فلم يقصر أو يفرط فإنه بالجهل حتى تقوم عليه الحجة، كمن أسلم حديثاً. اهـ.

٣ ـ وجواب آخر: التفريق بين أحكام الظاهر وأحكام الباطن، وعدم الخلط بين عدم الإعذار بالجهل في الشرك وبين إعذار المعين الذي تلبس ببعض الأعمال الشركية في الظاهر. فيحمل كلامه في عدم الإعذار بالجهل على أحكام الباطن، وأن من عبد غير الله فهو مشرك؛ لأنه لا يمكن أن يجهل المسلم أن العبادة إنما تكون لله وحده، ولا يمكن أن يكون له في ذلك شبهة، ومن جهل ذلك أو كان له فيه شبهة لم يكن مسلماً أصلاً. كما يحمل كلامه في الإعذار بالجهل على أحكام الظاهر؛ لأن ذلك إنما يتعلق بأمور جزئية قد يجهل المسلم أنها شرك، فلا يحكم بكفره بمجرد تلبسه بها ما لم تقم عليه الحجة الرسالية فيها خصوصاً.

٤ ـ وجواب آخر: أن قول الشيخ: «إنه لم يعذر بالجهالة» إما مقيد بأن ذلك بعد قيام الحجة عليه أو لأن الحجة قائمة عليه، وبهذا أجاب ابن عثيمين، أو أنه يقصد بقوله: «لم يعذر بالجهالة» أي: أنه يغلظ عليه كما في الحديث **«انزعها» «لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»** ونحوه، وكما في حديث ذات أنواط قال الإمام محمد في تعليقه عليه: . . . وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فأنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله. اهـ.

الدرر السنية (١/ ١٠٤، ٧٣)، مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب =

«لا تزيدك إلا وهناً». **الخامسة**: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك. **السادسة**: التصريح بأن من تعلق شيئاً وُكل إليه. **السابعة**: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك. **الثامنة**: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك. **التاسعة**: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة﴿١﴾﴿٢﴾. **العاشرة**: أن تعليق الودع عن العين من ذلك. **الحادية**

= (٥/ ٦٠، ١٨٩)، منهاج التأسيس (٦٥)، تاريخ نجد (٢/ ٨٠)، القول المفيد (١/ ١٧٣)، دعاوي المناوئين (١٧٠ ـ ١٧٧)، تعليقات على كشف الشبهات لعبد العزيز آل عبد اللطيف (٣٥، ٣٦)، نواقض الإيمان الاعتقادية للوهيبي (١/ ٢٨٠)، ضوابط التكفير «للقرني» (٣٢١).

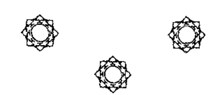
﴿١﴾ قال القرطبي في آية نزلت في الكفار اسْتُدِل بها على المسلمين: فإن قيل: فعلى هذا يجوز الاستدلال على المسلمين بما أنزل في الكافرين، ومعلوم أن أحكامهم مختلفة.

قيل له: لا يستبعد أن ينتزع مما أنزل الله في المشركين أحكام تليق بالمسلمين. وقد قال عمر: إنا لو شئنا لاتخذنا سلائق وشواء، وتوضع صحفة وترفع أخرى، ولكنا سمعنا قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وهذه الآية نص في الكفار، ومع ذلك ففهم منها عمر الزجر عما يناسب أحوالهم بعض المناسبة، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.. وهذا نفيس وبه يزول الإشكال ويرتفع الإبهام، والله أعلم. اهـ. تفسير القرطبي (٨/ ٩٢).

وقال الشاطبي (٧٩٠هـ): فلقائل أن يقول: إن السلف الصالح مع معرفتهم بمقاصد الشريعة وكونهم عرباً قد أخذوا بعموم اللفظ وإن كان سياق الاستعمال يدل على خلاف ذلك، وهو دليل على أن المعتبر عندهم في اللفظ عمومه بحسب اللفظ الإفرادي وإن عارضه السياق.. ثم ذكر الشاطبي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فقال: مع أنها نزلت في اليهود والسياق يدل على ذلك، ثم إن العلماء عموا بها غير الكفار، وقالوا: كفر دون كفر. اهـ. الموافقات (٤/ ٣٤).

﴿٢﴾ قال الشاطبي في بيان وجه استدلال العلماء بما جاء في المشركين على المسلمين: إن السلف الصالح إنما جاءوا بذلك الفقه الحسن بناء على أمر آخر غير =

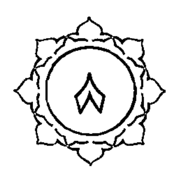
عشرة: الدعاء على من تعلق﴿١﴾، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له؛ أي: ترك الله له.



= راجع إلى الصيغ العمومية؛ لأنهم فهموا من كلام الله تعالى مقصوداً يفهمه الراسخون في العلم، وهو أن الله تعالى ذكر الكفار بسيئ أعمالهم، والمؤمنين بأحسن أعمالهم؛ ليقوم العبد بين هذين المقامين على قدمي الخوف والرجاء، فيرى أوصاف أهل الإيمان وما أعد لهم؛ فيجتهد رجاء أن يدركهم، ويخاف أن لا يلحقهم فيفر من ذنوبه، ويرى أوصاف أهل الكفر وما أعد لهم؛ فيخاف من الوقوع فيما وقعوا فيه، وفيما يشبهه، ويرجو بإيمانه أن لا يلحق بهم. اهـ. الموافقات (٤/ ٤٠).

﴿١﴾ هذا خبر، والدعاء أن يقول: أن لا يتم الله له، وهو الوارد في الحديث. قال القرطبي في آية نزلت في الكفار استدل بها على المسلمين: فإن قيل: فعلى هذا يجوز الاستدلال على المسلمين بما أنزل في الكافرين، ومعلوم أن أحكامهم مختلفة.

قيل له: لا يستبعد أن ينتزع مما أنزل الله في المشركين أحكام تليق بالمسلمين. وقد قال عمر: إنا لو شئنا لاتخذنا سلائق وشواء، وتوضع صحفة وترفع أخرى، ولكنا سمعنا قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾، وهذه الآية نص في الكفار، ومع ذلك ففهم منها عمر الزجر عما يناسب أحوالهم بعض المناسبة، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.. وهذا نفيس وبه يزول الإشكال ويرتفع الإبهام، والله أعلم. اهـ. تفسير القرطبي (٨/ ٩٢).



باب: ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: «أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقينَّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتوِّلة شرك»، رواه أحمد وأبو داود. «التمائم»: شيء يعلق على الأولاد من العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه. و«الرقى»: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة. و«التولة»: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وُكل إليه»، رواه أحمد والترمذي.

وروى أحمد، عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه».

وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة». رواه وكيع. وله عن إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن».

○ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم. **الثانية**: تفسير التولة. **الثالثة**: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء. **الرابعة**: أن الرقية بالكلام الحق من العين، والحمة ليس من ذلك. **الخامسة**: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟. **السادسة**: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك. **السابعة**: الوعيد الشديد على من تعلق وتراً. **الثامنة**: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان. **التاسعة**: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.





٨ ـ باب: ما جاء في الرقى والتمائم ﴿١﴾(*)

....

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): ولما كانت الرقى على ثلاثة أقسام: قسم يجوز، وقسم لا يجوز، وقسم في جوازه خلاف؛ لم يجزم المصنف بكونهما من الشرك؛ لأن في ذلك تفصيلاً بخلاف لبس الحلقة والخيط ونحوهما مما ذكر، فإن ذلك شرك مطلقاً. اهـ. التيسير (١٢٦).

وقال الشيخ صالح الفوزان: وهذا من دقّة فقهه ومعرفته رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه إذا كان الحُكم واضحاً منصوصاً عليه في الحديث ذكره في الترجمة، وإذا كان الحكم فيه تفصيل، أو فيه احتمال؛ فإنه لا يجزم في الترجمة، وإنما يورد الأدلة في الباب ويُؤخذ منها الحكم مفصّلاً. فهذا من دقّة فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ، وشدّة تورّعه عن إطلاق الأحكام. اهـ. إعانة المستفيد (١/ ١٩٩).

وقال صالح آل الشيخ: وهذا من أدب التصنيف العالي. اهـ. قال عبد الكريم الخضير: وهذه هي طريقة البخاري أحياناً يأتي في الترجمة بحكم مجزوم به، وأحياناً يورده على سبيل التردد هل هو من كذا أو لا؟ وأحياناً يذكر المسألة دون حكم لاحتمال الأدلة، فلا يجزم إلا بما يدل عليه الدليل من غير احتمال. اهـ. القول المفيد (١/ ١٧٨)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن مما ينافي التوحيد استعمال التمائم والرقى الشركية. قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): إن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه، وهذا أيضا ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إلٰه إلا الله؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله. . فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك. قرة عيون الموحدين (١٠٥).

علاقة الباب بالباب السابق: قال الشيخ صالح الفوزان: إن هذا الباب مكمِّلٌ =

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري: «أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر﴿١﴾ أو قلادة﴿٢﴾ إلا قطعت»﴿٣﴾.

= للباب الذي قبله؛ لأنه ذكر أنواعاً أخرى مكمِّلة لما ذُكر في الباب الذي قبله.اهـ. إعانة المستفيد (١/ ١٩٩).

﴿١﴾ «من» لها معانٍ، وهي هنا بيانية، وقد جمعت معانيها:

أتتنا من لتبيين، وبعض ... وتعليل، وبدء، وانتهاء

وإبدال، وزائدة، وفصل ... ومعنى عن، وفي، وعلى، وباء

الجنى الداني في حروف المعاني، لابن أُمّ قَاسِم المرادي (٥٤).

﴿٢﴾ قال عبد الرحمن بن حسن (١٢٨٥هـ): قوله: **«أو قلادة إلا قطعت»** معناه: أن الراوي شك: هل قال شيخه: قلادة من وتر، أو قال: قلادة وأطلق ولم يقيده؟ ويؤيد الأول ما روي عن مالك أنه سئل عن القلادة؟ فقال: ما سمعت بكراهتها إلا في الوتر، ولأبي داود «ولا قلادة» بغير شك.اهـ. فتح المجيد (١١٨).

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قوله: «قلادة من وتر، أو قلادة»: شك من الراوي، والأولى أرجح؛ لأن القلائد كانت تتخذ من الأوتار، ويعتقدون أن ذلك يدفع العين عن البعير.اهـ. ويؤيد رواية الإطلاق ما جاء عند أبي داود بلفظ: «قلادة من وتر وقلادة». المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٧٩).

﴿٣﴾ ذهب محمد بن الحسن (١٨٩هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) إلى أن النهي عن تعليق الأوتار على الدواب لكي لا تتسبب في اختناق الدواب عندما تعلق بالأشجار. وذهب الخطابي (٣٨٨هـ) إلى أنهم كانوا يعلقون الأجراس فنهوا عن ذلك. وذهب النضر بن شميل (٢٠٣هـ) وأبو عبيد الهروي (١٤١هـ) إلى أن المراد بالأوتار هي الثارات التي كانت بينهم في الجاهلية، ومنه: «**من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله**»، وقد رد هذا القول القاسم بن سلام والنووي (٦٧٦هـ). **وذهب مالك (١٧٩هـ)، وابن عبد البر (٤٦٣هـ)، والزمخشري (٥٢٨هـ)، وابن الأثير (٦٠٦هـ)، وهو صنيع إمام الدعوة وهو الصواب**، إلى أن النهي من أجل أنهم كانوا يعلقونها من أجل دفع العين. وقيل: الرابط بين هذا الوتر والعين أن الوتر مع المجموع، مع السهم، مع القوس وسيلة دفاع، فهي كما كانت وسيلة دفاع بالنسبة =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرُّقى[١] **والتمائم والتِّوَلَة شرك»**، رواه أحمد وأبو داود[٢].
«التمائم»: شيء يعلق على الأولاد من العين؛ لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخَّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه[٣]. و«الرقى»: هي التي تسمَّى

= للأعداء الذين عداوتهم ظاهرة محسوسة مشاهدة، فهي وسيلة دفاع غير محسوسة، وهذا مجرد احتمال.

غريب الحديث للحربي (٢/ ٤٥٢)، غريب الحديث للقاسم بن سلام (٢/ ٢)، النهاية (٥/ ١٤٩)، الفائق (٤/ ٤٠)، الاستذكار (٢٦/ ٣٦٣).

📖 البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥)، وأبو داود (٢٥٥٢)، وأحمد (٥/ ٢١٦)، ومالك (١٧٤٥)، من طريق مالك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباد بن تميم، عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، أن الأمر بقطعه دليل على تحريم تعليق الأوتار على الإبل؛ لأن تعليقها من اعتقادات المشركين؛ لظنهم أنها تدفع العين. الملخص (٧٧)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

﴿١﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ) ـ بعد أن قرر جواز الرقية بالقرآن ـ: وأمَّا حديث: «**الرُّقى والتمائم شِركٌ**» ففيه جَوابَانِ:

أحدُهما: نسخُه، وإنَّما كان ذلك في أوَّل الأمر؛ لأنَّ الرُّقى مَظنَّة الشِّرك، فعُلِّق الحُكم بالمظنَّة، ثم عُلِّق بالحقيقة، لا سيَّما وكان في أوَّلِ الأمر القصدُ حَسم مَادة الشِّرك بالكليَّة، كما نُهي عن الشُّربِ في الظُّروفِ لأنَّها مَظنَّةُ السُّكرِ، ثم رُخِّص فيها.

والثاني: أن يُحْمَل ذلك على ما هو شِركٌ في نفسِه، وهو أظهر. اهـ.

تفسير الفاتحة لابن رجب (٤٦).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه بيانَ أن استعمال هذه الأشياء المذكورة شركٌ يخل بالتوحيد. اهـ.

الملخص في شرح كتاب التوحيد (٧٩).

﴿٣﴾ مسائل متعلقة بالتمائم: =

. . . .

= **الأولى تعريفها**: قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): معناها عند أهل العلم: ما علق في الأعناق خشية العين أو غيرها من البلاء.

الثانية: حكمها:

أ ـ إذا كانت التمائم ليست من القرآن؛ كالودعة والوتر والخرزة، فاتخاذها شرك. قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): وأما التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال فهو شرك.اهـ. فتح المجيد (١/ ٢٣٧).

وهذا الشرك يكون:

١ ـ **شرك أكبر**: إن اعتقد متخذها أنها تنفع بذاتها أو فيها استغاثة بالشياطين أو المخلوقين. قال السعدي (١٣٧٦هـ): فمنها ـ التمائم ـ ما هو شرك أكبر كالتي تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين، فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك.اهـ. القول السديد (٣٩).

٢ ـ **وشرك أصغر**: إن اعتقد متخذها أنها تنفع؛ لكن الله هو المؤثر. قال ابن باز (١٤٢٠هـ): تعليق التمائم يعتبر من الشرك الأصغر ما لم يعتقد معلقها بأنها تدفع عنه الضرر بذاتها دون الله، فإذا اعتقد هذا الاعتقاد صار تعليقها شركاً أكبر.اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٣٠٤).

قال السعدي: ومنها ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها؛ لأنها تجر إلى الشرك.اهـ. القول السديد (٣٩).

ب ـ إذا كانت التمائم من القرآن أو غيره من الأدعية أو أسماء الله، فذهب إلى تحريمها ابن مسعود (٣٢هـ)، وحذيفة (٣٦هـ)، وعقبة بن عامر (٥٨هـ)، والنخعي (٩٦هـ)، والحسن (١١٠هـ)، ورواية عن أحمد (٢٤١هـ) اختارها كثير من أصحابه، وهو اختيار سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وعبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، واللجنة الدائمة للإفتاء؛ لعموم أدلة النهي وكونه ذريعة إلى التمائم الشركية وامتهان للقرآن وخلاف هدي النبي ﷺ، قال ابن العربي: تعليق القرآن ليس من طريق السُّنَّة، وإنما السُّنَّة الذكر دون التعليق.اهـ. ووجه كونها محرمة وليست شركاً؛ لأن الشرك إشراك أحد مع الله، ومن اتخذ التمائم فقط فقد أشرك كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته.

وذهب إلى إباحتها عبد الله بن عمرو (٦٥هـ)، وعبيد الله بن عمر (١٤٧هـ)، وسعيد بن المسيب (٩٤هـ)، وسعيد بن جبير (٩٥هـ)، والشعبي (١٠٣هـ)، ومالك =

العزائم[١]، وخصَّ منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة[٢]. و«التِّوَلة»: شيء يصنعونه يزعمون

= (١٧٩هـ)، والحنفية، والحنابلة، وهو اختيار الباجي (٤٧٤هـ)، والبيهقي (٤٥٨هـ)، والنووي (٦٧٦هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ). واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]، فلم يذكر الوسيلة التي يتوصل بها إلى الاستشفاء بهذا القرآن، فدل على أن كل وسيلة يتوصل بها إلى ذلك فهي جائزة، واستدلوا بما رواه أحمد (٢/ ١٨١)، من طريق ابن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**»، وكان عبد الله يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبها فعلقها في عنقه. وإسناده ضعيف؛ لأن ابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

وذهب إلى إباحتها بشرط نزول البلاء الإمام أحمد في رواية عنه، وهو قول إسحاق (٢٣٨هـ)، والطحاوي (٣٢١هـ)، وابن عبد البر (٤٦٣هـ). واستدلوا بما رواه الطحاوي (٤/ ٣٢٥)، والحاكم (٤/ ٢٤٢)، من طريق بكير بن الأشج، عن القاسم، عن عائشة قالت: «ليست بتميمة ما علق بعد البلاء»؛ ولأن اتخاذها قبل نزول البلاء هو من باب التشاؤم والتطير.

التمهيد (٧/ ١٦٤)، شرح معاني الآثار (٤/ ٣٢٥)، الزاد (٤/ ٣٥٧)، الآداب الشرعية (٢/ ٤٦٠)، الفروع (٢/ ١٣٦)، المنتقى (٧/ ٣٥٥)، البيهقي (٩/ ٣٥٠)، المجموع (٩/ ٦٦)، الفتح (٦/ ١٦٥)، التيسير (١٣٠)، فتح المجيد (١/ ٢٤٤)، القول المفيد (١/ ٢٣٢).

[١] قال في اللسان: وعزم الراقي كأنه أقسم على الداء. اللسان (١٢/ ٦٣٦).

[٢] مسائل متعلقة بالرقية:

الأولى: تعريفها: لغة: قال في القاموس: الرقية: العوذة: نفث في عُوذة.

واصطلاحاً: كلام يستشفى به من كل عارض.

القاموس (١٦٦٤)، النهاية (٢/ ٢٥٤)، الفتح (٤/ ٤٥٣)، عون المعبود (٩/ ٢٠٦).

الثانية: حكم الرقى:

أ ـ شرك أكبر: إذا اعتُقد أنها نافعة بذاتها. أو كانت الرقية يدعى بها غير الله =

....

= ويطلب الشفاء من غيره؛ كالرقى بأسماء الجن، أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين؛ لأنه دعاء واستغاثة بغير الله. قال السعدي: إن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره، فهذا هو الشرك الأكبر لأنه دعاء واستغاثة بغير الله.اهـ. القول السديد (٤٠).

ب ـ **محرمة**: قال السعدي: ومنها: ما هو محرم كالتي فيها أسماء لا يفهم معناها؛ لأنها تجر إلى الشرك.اهـ. قال شيخ الإسلام: عامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية، فيها ما هو شرك بالجنّ. ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها؛ لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شر. وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**».اهـ. الفتاوى (١٩/ ١٣).

جـ ـ إذا كانت الرقية من القرآن أو السُّنَّة أو الكلام الحسن، فهي جائزة بالإجماع كما حكاه ابن عبد البر والنووي؛ ولكن اختلفوا في الاستحباب وعدمه على أقوال:

القول الأول: أن الرقية مكروهة وقادحة في التوكل، وبه قال أبو داود الظاهري (٢٧٠هـ). ودليل هذا القول قوله ﷺ في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «**لا يسترقون ولا يتطيرون**...»، رواه البخاري (٥٣٧٨)، ومسلم (٢١٨)، وقوله ﷺ: «**من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل**»، رواه أحمد (٤/ ٢٤٩)، وصححه الترمذي (٢٠٥٥)، والحاكم (٤٦١).

القول الثاني: أن الرقية مباحة وتركها أفضل، وبه قال أكثر أهل العلم، وهو اختيار ابن عبد البر (٤٦٣هـ)، وابن الأثير (٦٠٦هـ)، واستدلوا بقوله: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»، رواه مسلم (٢٢٠٠)، وبقوله: «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**»، رواه مسلم (٢١٩٩)، وبفعله فإنه كان إذا أتى مريضاً أو أُتي به قال: «**أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي**...»، رواه البخاري (٥٣٦١)، ومسلم (٢١٩١)، وبما رواه البخاري (٥٤١٦) عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به. وغير ذلك من الأدلة. =

. . . .

= **القول الثالث**: أن الرقية مستحبة، وبه قال الخطابي، والبغوي، والنووي، وابن مفلح، والعراقي، والمناوي، والحكمي.

القول الرابع: أن الرقية مستحبة في حق الراقي؛ لأنها من باب الإحسان. ومكروهة وفادحة في التوكل في حق من طلبها؛ لقوله: «لا يسترقون ولا يتطيرون» رواه البخاري (٥٣٧٨)، ومسلم (٢١٨)، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وسليمان بن عبد الله، والسعدي. وأما حديث عائشة أن النبي أمرها أن تقرأ عليه بالمعوذات، فقد تكلم عليه ابن حجر فقال: قَوْله: «فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرنِي أَنْ أَفْعَل ذَلِكَ بِهِ»، وَهَذَا مِمَّا تَفَرَّدَ بِهِ سُلَيْمَان بْن بِلَال عَنْ يُونُس، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْوَفَاة النَّبَوِيَّة مِنْ رِوَايَة عَبْد الله بْن الْمُبَارَك عَنْ يُونُس بِلَفْظِ: «فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعه الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ طَفِقْت أَنْفث عَلَيْهِ»، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِم مِنْ رِوَايَة اِبْن وَهْب عَنْ يُونُس فَلَمْ يَذْكُرهَا اهـ. ورواها معمر «البخاري» عن الزهري بدونها. وقيل: يمكن أن يجاب على حديث عائشة رضي الله عنها بأن النبي ﷺ لما أمرها أن هذا أمر، والله قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، فهذا الذي جاء في حديث عائشة أمر وتشريع. وربما نقول هذه المسألة مثل ما جاء في قوله ﷺ: «**ثم سلوا لي الوسيلة**»، فهذا نوع من طلب الدعاء؛ ولكن لا يعني هذا أن النبي محتاج إلى دعائك كحاجتك للدعاء من أخيك.

الثالثة: حكم الرقى باعتبار كيفيتها:

أ ـ إذا كانت بالقراءة على المريض مباشرة، فحكمها الجواز بالإجماع، وقد حكاه ابن عبد البر، والبغوي، والنووي، وابن حجر.

ب ـ إذا كانت بالقراءة على الماء ثم يشربها المريض، فحكمها الجواز، وهو قول أكثر أهل العلم، وهو اختيار محمد بن إبراهيم، وابن باز، وابن عثيمين، وفعله أحمد، وابن القيم؛ لقوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**»، ونفثه ﷺ على نفسه عند نومه.

ج ـ إذا كانت بكتابتها ثم وضع الماء عليها وشربها أو المسح بها، فذهب لجوازها عائشة (٥٧هـ)، وعطاء (١١٤هـ)، ومجاهد (١٠٤هـ)، وأبو قلابة (١٠٤هـ)، والأوزاعي (١٥٧هـ)، وأحمد (٢٤١هـ)، والحنابلة، وبعض الحنفية، وبعض الشافعية، وبعض المالكية، وهو اختيار شيخ الإسلام (٧٢٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ) وابن مفلح (٧٦٢هـ)؛ لقوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**» رواه مسلم =

أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته[١].

= (٢١٠٠)، وقوله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**» رواه مسلم (٢١٩٩)، «وكان عند أم سلمة جلجل من فضة فيه شعيرات للرسول، فكانت إذا جاء المريض تضع الشعرات في الماء للاستشفاء»، «قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»، فيقاس عليه القراءة في الماء، «وجاء عنه ﷺ أنه نفث في ماء وصبَّه على ثابت بن قيس» رواه أبو داود بسند ضعيف، وكان إذا اشتكى أحد وضع ﷺ إصبعه السبابة في الأرض ثم رفعها وقال: «بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا». **وذهبت اللجنة الدائمة إلى أن تركها أولى. وذهب إلى منعها** الحسن (١١٠هـ)، والنخعي (٩٦هـ)، ونص على تحريمها العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ). وقال ببدعيتها بعض أهل العلم.

الاستذكار (٨/ ٤٠٥)، شرح السُّنَّة (١٢/ ١٥٩)، شرح مسلم (١٤/ ٣٩٢)، مسلم (١٤/ ١٦٨)، المجموع (٢/ ١٩٧)، الفتاوى (١٢/ ٦٠٠، ١٩/ ٦٤)، الفتح (١٠/ ١٩٥، ١٢/ ٣٧١)، الآداب الشرعية (٢/ ٤٥٥)، المدارج (١/ ٦٩)، زاد المعاد (٤/ ١٧٠، ٣٥٧)، تفسير القرطبي (١٠/ ٢٧٤)، مغني المحتاج (١/ ١٥٢)، عارضة الأحوذي (٨/ ٢٢٢)، حاشية ابن قاسم (٨٦)، فتاوى ابن إبراهيم (١/ ٩٢)، فتاوى ابن باز (٨/ ٩٤)، فتاوى ابن عثيمين (١٧/ ٦٦).

الرابعة: استدل على جواز الرقية بغير القرآن أو الأدعية الشرعية إذا ثبتت بالتجربة، بما رواه مسلم (٢١٩٨) «أن النبي رخص لآل عمرو بن حزم في رقية الحية»، بما رواه مسلم (٢١٠٠)، عن عوف بن مالك قال: «كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**».

[١] **التولة**: بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً، وهو ضرب من السحر، كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وتُحبب به المرأة إلى زوجها، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، والبيهقي (٤٥٨هـ)، وابن العربي (٥٤٣هـ)، وابن الجوزي (٥٩٧هـ)، وأبو القاسم البغوي (٣١٦هـ)، وابن الأثير (٦٠٦هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ) وغيرهم.

وقيل: ما يُحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره، وبه قال الأصمعي (٢١٦هـ). =

أخرجه: أحمد (١/ ٣٨١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (١١٦٦)[١]،

= وقيل: هي معاذة تعلق على الإنسان.

غريب الحديث (٤/ ٥٠)، السنن للبيهقي (٩/ ٣٥٠)، أحكام القرآن (١/ ٣١)، الفائق (١/ ٥٧)، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١١٣)، شرح السُّنَّة (١٢/ ٥٨)، جامع الأصول (٧/ ٥٧٥)، الفتح (١٠/ ٢٠٦)، النهاية (١/ ٢٠٠)، الصحاح (٤/ ١٦٤٥).

وحكم التولة:

قال ابن العربي (٥٤٣هـ): منه ـ السحر ـ ما يفرق بين المرء وزوجه، ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه، ويسمى التولة وكلاهما كفر. اهـ.

قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وهو ضرب من السحر، وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله. الفتح (١٠/ ٢٠٦).

قال العلامة عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): ذكر العلماء: أنها تشبه السحر؛ وما يشبه السحر فهو شرك. اهـ. الدرر السنية (١٠/ ٣٥١).

وقال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): التولة شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحبة. ومثل ذلك الدبلة. والدبلة: خاتم يشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية ـ وهي بعيدة ألا تصحبها ـ ففيه تشبه بالنصارى، فإنها مأخوذة منهم. وإن كانت من الذهب؛ فهي بالنسبة للرجل فيها محذور ثالث، وهو لبس الذهب؛ فهي إما من الشرك، أو مضاهاة النصارى، أو تحريم النوع إن كانت للرجال، فإن خلت من ذلك؛ فهي جائزة لأنها خاتم من الخواتم. اهـ. القول المفيد (١/ ١٨١).

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير: التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب الزوج إلى زوجته والزوجة إلى زوجها، وهو نوع من السحر يسمى العطف، والشيخ الإمام المجدد لما ذكر النواقض ذكر منها السحر. اهـ. وذكر من السحر الصرف والعطف، والساحر هو الذي يرقي فيها الرقية الشركية.

[١] رواه ابن ماجه من طريق عبد الله بن بشر، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن الجزار، عن ابن أخت زينب، عن ابن مسعود. قال المنذري: في بعض النسخ مثل رواية أبي داود. الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٧). وعلى فرض أن الصحيح =

والحاكم (٤/ ٤٦٣)﴿١﴾، من طريق الأعمش﴿٢﴾، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب «امرأة ابن مسعود»، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه﴿٣﴾.

صححه: ابن حبان، والحاكم.

= في نسخة ابن ماجه أنه عن «ابن أخت زينب»؛ فإن رواية أبي معاوية بذكر «ابن أخي زينب» هي الصحيحة؛ لأن أبا معاوية مقدم في الأعمش، قال الخلال: أحمد لا يعبأ بمن خالف أبا معاوية في حديث الأعمش. اهـ.

﴿١﴾ عن عبد الله بن عتبة بدلاً من ابن أخي زينب، رواه الحاكم من طريق محمد بن سلمة، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى الجزار، عن ابن عتبة، عن ابن مسعود رضي الله عنه. وهذه الرواية شاذة:

أ ـ لمخالفتها رواية أبي معاوية، وهو مقدم في الأعمش، قال الخلال: أحمد لا يعبأ بمن خالف أبا معاوية في حديث الأعمش، إلا أن يكون الثوري.

ب ـ أن ابن حبان تكلم في رواية محمد بن سلمة عن الأعمش. المجروحين (٢/ ٢٠٠).

﴿٢﴾ رواه عن الأعمش: أبو معاوية وعبد الله بن بشر.

﴿٣﴾ ورواه مرفوعاً الطبراني (٢/ ١١٩)، والحاكم (٤/ ٢١٧)، من طريق ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن ابن مسعود، مرفوعاً. قال المالِيني: طالعت المستدرك الذي صنفه الحاكم من أوله إلى آخره فلم أرَ فيه حديثاً على شرطهما. اهـ. قال ابن رجب: التحقيق أنه يصفو منه على شرط غيرهما، بل على شرط الترمذي ونحوه، وأما على شرطهما فلا، فقلَّ حديث تركاه إلا وله علة خفية. اهـ. قال ابن القيم: تصحيح الحاكم لا يستفاد منه حسن الحديث فضلاً عن صحته. اهـ. وقال ابن رجب: ونجد كثيراً ممن ينتسب إلى الحديث لا يعتني بالأصول الصحاح ونحوها، ويعتني بالأجزاء الغريبة وبمثل مسند البزار، ومعاجم الطبراني، أو أفراد الدارقطني، وهي مجمع الغرائب والمناكير. اهـ. وقد خالف ميسرة عمرو بن قيس والمسعودي فروياه عن المنهال، عن أبي عبيدة، عن ابن مسعود، موقوفاً.

الخلال في السُّنَّة (١٤٨٥)، الطبراني (٩/ ١٧٤)، شرح علل الترمذي لابن رجب (٢/ ٦٢٤).

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن يحيى بن سعيد القطان وعلي بن المديني تكلَّما في رواية الأعمش عن صغار شيوخه﴿١﴾، وعمرو بن مرة منهم.

٢ ـ أن ابن أخي زينب مجهول، كما قال المنذري﴿٢﴾.

٣ ـ أن زيد بن أبي أنيسة رواه عن عمرو بن مرة، عن يحيى الجزار، عن أبي الصهباء، عن عمران بن حصين ﷺ «في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»﴿٣﴾. وهذا يدل أن المحفوظ مرفوعاً هو بلفظ زيد بن أبي أنيسة، وما روي بغير هذا اللفظ فمن قول ابن مسعود ﷺ﴿٤﴾.

﴿١﴾ قال ابن المديني (٢٣٤هـ): الأعمش كثير الوهم في أحاديث هؤلاء الصغار، مثل الحكم وسلمة بن كهيل.. شرح علل الترمذي (١/ ٣٥٢)، التقريب تحقيق حسان (٢٥٥).

﴿٢﴾ الترغيب والترهيب (٤/ ١٥٧).

﴿٣﴾ ابن حبان (٦٠٨٩)، كتاب الرقى والتمائم. وجاء هذا اللفظ عن عمران بن حصين من طريق ابن سيرين والحكم عنه، عند مسلم (٢١٨). وهذا اللفظ ـ السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة ـ معروف عن عمران، عن ابن مسعود. وقد نبه لذلك البزار (٩/ ٤٥).

﴿٤﴾ ويؤيد ذلك أمور:

أ ـ ما رواه أحمد (١/ ٤٢٠)، وابن حبان (٦٤٣١)، والحاكم (٤/ ٥٧٧) وصححه، من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن والعلاء بن زياد، عن عمران بن حصين، عن ابن مسعود: «في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب»، وليس فيه ما جاء في حديث الباب.

ب ـ وما رواه أحمد (١/ ٤٠٣)، والبخاري في الأدب (٩١٤)، وابن حبان في كتاب الرقى والتمائم (٦٠٨٤)، من طريق عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود: «في سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، وليس فيه ما جاء في حديث الباب. =

٤ ـ أن أبا عبيدة﴿١﴾ والنخعي﴿٢﴾، وأسير بن جابر﴿٣﴾، رووه عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله.

والخلاصة: الحديث ـ وإن كان ليس بالقوي ـ معناه صحيح؛ لأنه جاء من قول ابن مسعود رضي الله عنه، وقول الصحابي إذا كان في باب الاعتقاد فله حكم الرفع بالإجماع، كما قال ابن عبد البر والحاكم﴿٤﴾.

= جـ ـ أن أبا عبيدة والنخعي رويا ما جاء في حديث الباب عن ابن مسعود من قوله، انظر: الحاشية التالية. فتبين مما سبق أن ما جاء عن ابن مسعود «أن التمائم والرقى...» أخطأ الرواة في رفعها.

﴿١﴾ الطبراني في الكبير (٩/ ١٧٤) من طريق المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، وعبد الرزاق (١١/ ٢٠٨) من طريق معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن زياد بن أبي مريم أو أبي عبيدة. وابن بطة (٤٨)، من طريق وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي عبيدة.

﴿٢﴾ أبو عبيد «القاسم بن سلام» في «غريب الحديث» (٤/ ٥٠)، من طريق غندر، عن الحكم، عن إبراهيم النخعي، عن ابن مسعود بلفظ: «**إن التمائم والرقى والتولة من الشرك**». صححه ابن حجر. وجاء في معناه عند ابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٧)، من طريق هشام، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: رأى ابن مسعود على بعض أهله شيئاً قد تعلقه، فنزعه منه نزعاً عنيفاً وقال: إن آل ابن مسعود أغنياء عن الشرك. قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): قال الأعمش: قلت لإبراهيم: إذا حدثتني حديثاً فأسنده، فقال: إذا قلت: عن عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ فاعلم أنه عن غير واحد، وإذا سميت لك أحداً فهو الذي سميت. اهـ. قال ابن عبد البر: إلى هذا نزع من أصحابنا من زعم أن مرسل الإمام أولى من مسنده؛ لأن في هذا الخبر ما يدل على أن مراسيل إبراهيم النخعي أقوى من مسانيده، وهو لعمري كذلك. اهـ. وأصحاب إبراهيم النخعي ثقات كما قال ابن تيمية. التمهيد (١/ ٣٧)، النكت (٢/ ٥٥٥).

﴿٣﴾ بلفظ: «من تعلق شيئاً وكل إليه»، البيهقي (٩/ ٣٥١)، من طريق ابن سحبان، عن أسير به.

﴿٤﴾ حكى ابن عبد البر (٤٦٣هـ) وتبعه الحاكم (٣٧٨هـ) أن الصحابي إذا وصف شيئاً بالكفر أو العصيان؛ فإن له حكم الرفع بالإجماع. النكت لابن حجر (٢/ ٥٣٠).

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق﴿١﴾ **شيئاً وُكل إليه»،** رواه أحمد والترمذي﴿٢﴾.

أخرجه: أحمد (٤/ ٣١٠)، والترمذي (٢٠٧٣)، والبيهقي (٩/ ٣٥١)، والحاكم (٤/٢١٦)، من طريق محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن عبد الله بن عُكيم﴿٣﴾.

والحديث ضعيف كما قال المنذري، وابن قانع، وابن حجر﴿٤﴾**؛ لأمور:**

١ ـ أن محمد بن عبد الرحمٰن الجمهور على تضعيفه﴿٥﴾.

٢ ـ أن عيسى بن عبد الرحمٰن لم يلق عبد الله بن عُكيم، كما قال

﴿١﴾ قال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): جاء في الحديث «من تعلق»، ولم يقل: من علق؛ لأن المتعلق بالشيء يتعلق به بقلبه وبنفسه، بحيث ينزل خوفه ورجاءه وأمله به، وليس كذلك من علق.اهـ. القول المفيد (١/ ١٨٤). وذكر سليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن، وابن قاسم، وعبد الله بن حميد أن التعلق شامل للفعل والقلب. التيسير (٢١٧)، فتح المجيد (١٢٠)، حاشية ابن قاسم (٨٤).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهي والتحذير من التعلُّق على غير الله في جلب المنافع ودفع المضار.اهـ. ووجه النهي؛ لأن عاقبة من تعلق شيئاً الضلال والهلاك. قرة عيون الموحدين (١١٥)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٨٢).

﴿٣﴾ جاء ما يشهد لهذا الحديث عند النسائي، والطبراني في الأوسط (٢/ ٢٨٠)، من طريق عباد بن ميسرة، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث ضعيف كما قال الذهبي. الميزان (٢/ ٣٧٨). وجاء كذلك من قول علي بن أبي طالب عند ابن بطة في الإبانة (١٠٣٢)، من طريق الحسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو منقطع؛ لأن الحسن لم يسمع من علي رضي الله عنه.

﴿٤﴾ معجم الصحابة (٢/ ١١٧)، المنذري (٤/ ١٥٧)، إتحاف المهرة (٨/ ٢٦٠).

﴿٥﴾ المغني للذهبي (٢/ ٢٢٧).

ابن قانع[١].

٣ ـ أن عبد الله بن عُكيم لم يسمع من النبي ﷺ، كما قال البخاري، وأبو حاتم، والعجلي، وأبو زرعة، والترمذي، وابن حبان، وابن منده، وأبو نعيم، وغيرهم[٢].

والخلاصة: الحديث ضعيف؛ لكن يدل عليه قوله ﷺ لعبد الرحمٰن بن سمرة: «**يا عبد الرحمٰن بن سمرة، لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أُعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفِّر عن يمينك وأتِ الذي هو خير**»[٣]. ويدل عليه قول ابن مسعود رضي الله عنه: «من تعلق شيئاً وكل إليه»[٤]. ويقوي هذا المعنى أنه جاء عن الحسن مرسلاً[٥]، قال أبو زرعة: كل شيء يقول الحسن: قال رسول الله ﷺ، وجدت له أصلاً ثابتاً إلا أربعة أحاديث[٦].

وروى أحمد، عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته**[٧]**، أو تقلد**

---

[١] معجم الصحابة (٢/ ١١٧).

[٢] التاريخ الكبير (٦/ ١١٤)، الجرح والتعديل (٥/)، تهذيب الكمال (١٥/)، جامع التحصيل (٣٨٤)، التهذيب، الإصابة، التقريب.

[٣] البخاري (٦٢٤٨)، مسلم (١٦٥٢)، من طريق جرير بن حازم، عن الحسن، عن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه.

[٤] البيهقي (٩/ ٣٥١)، من طريق ابن سحبان، عن أسير، عن ابن مسعود رضي الله عنه. وابن أبي شيبة (٥/ ٣٥)، من طريق الأعمش، عن أبي عبيد، عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقد حكى ابن عبد البر وتبعه الحاكم أن الصحابي إذا وصف شيئاً بالكفر أو العصيان؛ فإن له حكم الرفع بالإجماع. التمهيد (٢/ ٥٣٠).

[٥] ابن وهب (٦٧٤).

[٦] التهذيب (٢/ ٢٦٦).

[٧] قال الملا علي القاري (١٠١٤هـ): عقد لحيته: قال الأكثرون هو =

وتراً﴿١﴾، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه»﴿٢﴾.

= معالجتها حتى تنعقد وتتجعد، وهذا مخالف للسُّنَّة التي هي تسريح اللحية، وقيل: كانوا يعقدونها في الحرب زمن الجاهلية فأمرهم عليه الصلاة والسلام بإرسالها لما في عقدها من التأنيث؛ أي: التشبه بالنساء، وقيل: كان ذلك من دأب العجم أيضاً فنهوا عنه؛ لأنه تغيير خلق الله، وقيل: كان من عادة العرب أن من له زوجة واحدة عقد في لحيته عقدة صغيرة، ومن كان له زوجتان عقد عقدتين، كذا ذكره الأبهري. اهـ. وقيل: لدفع العين. وقال أبو زرعة العراقي: «الأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة، كما دل عليه رواية محمد بن الربيع». وقال السيوطي: قال ثابت بن قاسم السرقسطي في كتاب الدلائل غريب الحديث: هكذا في الحديث من عقد لحيته، وصوابه ـ والله أعلم ـ من عقد لحاء، من قولك لحيت الشجر ولحوته إذا قشرته، وكانوا في الجاهلية يعقدون لحاء الحرم فيقلدونه أعناقهم فيأمنون بذلك، وهو قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٢]، فلما أظهر الله تعالى الإسلام نهى عن ذلك من فعلهم، وروى أسباط عن السدي في هذه الآية أما شعائر الله فحرم الله، وأما الهدي والقلائد فإن العرب كانوا يقلدون من لحاء الشجر شجر مكة، فيقيم الرجل بمكة حتى إذا انقضت الأشهر الحرام وأراد أن يرجع إلى أهله قلد نفسه وناقته من لحاء الشجر، فيأمن حتى يأتي أهله، قال ابن دقيق العيد في الإمام: وما أشبه ما قاله بالصواب، لكن لم نره في رواية مما وقفت عليه. اهـ.

وبوَّب النسائي على حديث رويفع: باب عقد اللحية. غريب الحديث للخطابي (١/ ٤٢٣)، النهاية (٣/ ٢٧٠). شرح أبي داود للعيني (١/ ١٢٧)، التطريف في التصحيف (٣٠)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٢٧٥).

﴿١﴾ وذلك لدفع العين، وبه قال أبو عبيد والزمخشري والملا علي القاري. قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وفي رواية محمد بن الربيع: أو تقلد وتراً، يريد تميمة، فهذا يدل على أنهم كانوا يتقلدون الأوتار من أجل العين، إذ فسره بالتميمة وهي تجعل لذلك. اهـ.

الفائق (٣/ ١٠)، النهاية (٣/ ٣١٩)، الفتح (٦/ ١٤٢)، لسان العرب (٥/ ٢٧٣).

﴿٢﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): قال النووي (٦٧٦هـ): أي بريء من فعله، وهذا خلاف الظاهر، والنووي كثيراً ما يتأول الأحاديث بصرفها عن =

أخرجه: أحمد (٤/ ١٠٩)، وأبو داود (٣٦)، والبيهقي (١/ ١١٠)، من طريق المفضل بن فضالة، عن عياش بن عباس، عن شييم بن بيتان، عن شيبان القتباني، عن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه [١].

حسَّنه: النووي [٢].

جوَّد إسناده: ابن مفلح [٣].

والحديث معلول؛ لأمور:

١ ـ أن شيبان بن أمية القتباني مجهول [٤].

٢ ـ الاختلاف على عياش بن عباس [٥]، فرواه المفضل بن

= ظاهرها فيغفر الله تعالى له.اهـ. وقال ـ أيضاً ـ: وهذا التأويل بعيد لعود الضمير إلى «من».اهـ.

فتح المجيد (١٢٥)، قرة عيون الموحدين (١١٧).

علاقة الحديث بالباب، قال القرعاوي: دل الحديث على تحريم تعليق الوتر؛ لدفع الضرر.اهـ. الجديد في شرح التوحيد (٦١).

[١] رواه عن المفضل كل من: يحيى بن غيلان، ويزيد بن خالد، ومعلى بن منصور، وعبد الأعلى بن حماد، وسعيد بن أبي مريم. ورواه يزيد بن خالد عن المفضل، عن عياش، عن شييم، عن أبي سالم الجيشاني، عن ابن عمرو.

[٢] التيسير (٢١٩).

[٣] الآداب الشرعية (٣/ ١٥٤).

[٤] ذكره ابن أبي حاتم والذهبي ولم يذكرا فيه جرحاً أو تعديلاً. وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): مجهول. وقال ابن كثير (٧٧٤هـ) في راوٍ سكت عنه ابن أبي حاتم: وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئاً من هذا، فهو مستور الحال.اهـ.

التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٤). الجرح والتعديل (٤/ ٣٥٥)، الكاشف (١/ ٤٩١)، التقريب (٢٧٤).

[٥] وهذا الاختلاف لا يحتمل منه، وإنما يحتمل من كبار الأئمة. قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وإنما يحتمل مثل ذلك ممن كثر حديثه وقوي حفظه، كالزهري وشعبة ونحوهما.اهـ. قال ابن حجر (٨٥٢هـ): هذا التلون في الحديث الواحد =

فضالة، عن عياش، عن شييم، عن شيبان، عن رويفع[١]، ورواه ابن لهيعة عن عياش، عن شييم، عن أبي سالم الجيشاني، عن شيبان، عن ابن عمرو[٢]، ورواه ابن لهيعة وحيوة بن شريح كلاهما عن عياش، عن شييم قال: حدثنا رويفع[٣][٤].

= بالإسناد الواحد مع اتحاد المخرج يوهن راويه وينبئ بقلة ضبطه، إلا أن يكون من الحفاظ المكثرين المعروفين بجمع طرق الحديث، فلا يكون ذلك دالّاً على قلة ضبطه. اهـ. شرح علل الترمذي، تلخيص الحبير (٢/ ٢١٦).

﴿١﴾ ويدل على هذا الوجه، ما رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٢/ ٢٤٦)، من طريق أبي معاوية، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى تجيب، عن حنش الصنعاني قال: غزونا مع رويفع بن ثابت، فذكر شييم، عن شيبان، عن رويفع قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا رويفع، لعلك أن تطول....**».

﴿٢﴾ أحمد (٤/ ١٠٨)، من طريق يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة به.

﴿٣﴾ النسائي (٥٠٦٧)، من طريق حيوة به، وأحمد (٤/ ١٠٨)، من طريق يحيى بن إسحاق وحسن بن موسى كلاهما عن ابن لهيعة به. ولعل الحديث بذكر شيبان هو الأقرب، ويدل عليه رواية المفضل بن فضالة وحنش الصنعاني بذكر شيبان وعدم ذكر التصريح بالسماع بين شييم ورويفع. قال ابن رجب: وكلام أحمد، وأبي زرعة، وأبي حاتم في هذا المعنى كثير جداً يطول الكتاب بذكره. وكله يدور على مجرد ثبوت الرؤية لا يكفي في ثبوت السماع، وأن السماع لا يثبت بدون التصريح به، وأن رواية من روى عمن عاصره تارة بواسطة وتارة بغير واسطة يدل على أنه لم يسمع منه، إلا أن يثبت له السماع منه من وجه. اهـ. وذكر البخاري شييم في تاريخه بأنه روى عن رويفع ولم ينص على سماعه. التاريخ الكبير (٤/ ٢٦٠)، شرح علل الترمذي.

﴿٤﴾ ولم يترجح شيء عند المزي، فقد قال بعد أن ذكر طرقه: والله تعالى أعلم بالصواب. اهـ. ومما يقوي الوجه الأول بذكر شيبان، ما رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٢/ ٢٤٦)، من طريق أبي معاوية، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى تجيب، عن حنش الصنعاني قال: غزونا مع رويفع بن ثابت فذكر شييم، عن شيبان، عن رويفع قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا رويفع لعلك إن تطول....**».

٣ ـ غرابة هذا الحديث، كما قال البزار[١].

والخلاصة: هذا الحديث ليس بالقوي؛ وذلك لجهالة شيبان، ووجود لفظة «عقد لحيته»، حيث إنه لا شاهد عليها. قال البزار: وهذا الحديث قد روى نحو كلامه غير واحد، وأما هذا اللفظ فلا يحفظ عن رسول الله ولا عن أحد غير رويفع.اهـ. لكن بقية الحديث في تقلّد الوتر وعدم الاستنجاء برجيع أو عظم فهو ثابت عن النبي ﷺ[٢].

---

[١] مسند البزار (٢٣١٧).

[٢] قال الشيخ عبد الكريم الخضير: هل يمكن أن يقال: إن الشيخ رحمه الله اعتمد في أبواب هي من أهم أبواب الدين على أحاديث ضعيفة؟ لأن بعضهم تكلم في كتاب التوحيد، وأن الشيخ استدل بأحاديث ضعيفة في العقائد، والإجماع قائم على أنه لا يستدل في العقائد بالأحاديث الضعيفة؟

نقول: إن الشيخ لم يعتمد على هذه الأخبار، أولاً: الأحاديث يوجد من يصححها، فلم يدخل فيه ضعيفاً متفقاً على ضعفه، وأيضاً الشيخ لم يعتمد في هذه المسائل المهمة على الأحاديث الضعيفة، وإنما اعتمد على ما في الباب من آية وحديث صحيح، ولا يلزم بعد ذلك من إيراد الأحاديث التي فيها كلام لأهل العلم؛ لأن المعول على ما قبلها من الآيات والأحاديث الصحيحة. فالحديث مصحح عند بعض أهل العلم، لكن على افتراض تضعيفه، الشيخ ما هو معوله على هذا، معوله على ما تقدم، ولا مانع من باب حشد الأدلة أن يذكر الضعيف.اهـ.

وقال صالح آل الشيخ ـ معلقاً على حديث ذكره المصنف وقد أُعل ـ: وقد أعل بعض العلماء هذا الحديث بأن في إسناده مقالاً؛ لكن إيراد أئمة الحديث للأحاديث التي قد يكون في إسنادها بعض مقال في مثل هذا المقام لا بأس به، بل فعلهم هذا صواب إذا كان ما في الحديث من المعنى قد عضدته الأدلة من القرآن ومن السُّنَّة، وهذا الذي درج عليه صنيع الراسخين في العلم من أهل الحديث، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلام له في «الفتاوى»؛ قال: أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول، بل إما في تأييده يعني: في تأييد ذلك الأصل أو في فرع من الفروع. وهذا هو صنيع الشيخ رحمه الله أيضاً في هذا الكتاب؛ فإنه يستدل بأحاديث هي من جهة المعنى الذي اشتملت عليه صحيحة. التمهيد لشرح كتاب التوحيد. عند حديث: «**لا يستغاث بي**». =

وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة». رواه وكيع﴿١﴾. **وله عن إبراهيم قال:** «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»﴿٢﴾﴿٣﴾.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم. **الثانية:** تفسير التولة. **الثالثة:** أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء. **الرابعة:** أن الرقية بالكلام الحق من العين، والحمة ليس من ذلك. **الخامسة:** أن التميمة إذا كانت

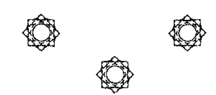
= قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة بل إما في تأييده؛ وإما في فرع من الفروع. اهـ. الفتاوى (٤/ ٢٥).

﴿١﴾ ابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٨)، بسند ضعيف، من طريق حفص، عن ليث بن أبي سليم، عن سعيد بن جبير. وجاء من فعله عند ابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٨)، من طريق عبدة، عن محمد بن سوقة، أن سعيد بن جبير رأى إنساناً يطوف بالبيت في عنقه خرزة فقطعها. الآداب الشرعية (٣/ ٨١).

﴿٢﴾ ابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٨)، أبو عبيد في «فضائل القرآن»، كلاهما «ابن أبي شيبة وأبو عبيد» عن هشيم، عن مغيرة بن مقسم، عن إبراهيم، وقد صرح هشيم بالتحديث عن مغيرة، ولكن ينظر في سماع مغيرة من النخعي.. وجاء في معناه عند ابن أبي شيبة (٥/ ٤٢٨) بسند صحيح، من طريق وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم النخعي بلفظ: «كانوا يكرهون التمائم والرقى والنشر»، لعل المراد بالرقى هي المحرمة؛ لأنه جاء عن النخعي عند ابن أبي شيبة (٥/ ٥٤) من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن النخعي قال: كانوا يرقون. وجاء عنه أن الأسود رقاه كما عند ابن أبي شيبة (٥/ ٤٢)، من طريق ابن فضيل، عن الأعمش، عن النخعي.

﴿٣﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: **مناسبة الأثرين للباب ظاهرة:** فإن فيهما حكاية المنع من تعليق التمائم مطلقاً، عن هؤلاء الأجلاء من سادات التابعين. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٨٦).

من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟﴿١﴾. **السادسة**: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك. **السابعة**: الوعيد الشديد على من تعلق وتراً. **الثامنة**: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان. **التاسعة**: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف؛ لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.



﴿١﴾ قال الشيخ عبد الكريم الخضير: قوله: «هل هي من ذلك أم لا؟»: «أم» يعطف بها بعد همز التسوية:

وأم بها اعطف إثر همز التسوية أو همزة عن لفظ أي مغنية

ولا يعطف بها بعد هل، فالأصل أن يقول: هل هي من ذلك أو لا؟، لكن جاء في البخاري في قصة جابر: «**هل تزوجت بكراً أم ثيباً**»، وهذا يدل على الجواز؛ إن لم يكن روي بالمعنى، والاختلاف في السُّنَّة على قواعد النحو محل خلاف بين أهل العلم، من أراد الخلاف بتفصيله فلينظر إلى مقدمة خزانة الأدب، خزانة الأدب شرح شواهد الكافية للبغدادي.. في مقدمة الخزانة ذكر الخلاف وأطال في تقريره، وهناك رسالة في حكم الاحتجاج بالحديث على قواعد النحو، فمن أجازه قال: هو كلام أفصح العرب، ومن منعه قال: إنه تجوز روايته بالمعنى، فلا نضمن أن هذا كلام النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.اهـ.



باب: من تبرَّك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم].

عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السَّنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، لتركبن سَنن من كان قبلكم»، رواه الترمذي وصححه.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية النجم. الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا. الثالثة: كونهم لم يفعلوا. الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك؛ لظنهم أنه يحبه. الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل. السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم. السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل

رد عليهم بقوله: «الله أكبر، إنها السنن. لتتبعن سنن من كان قبلكم»، فغلظ الأمر بهذه الثلاث. الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لمَّا قالوا لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾. التاسعة: أن نفي هذا من معنى «لا إلٰـه إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك. العاشرة: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة. الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا. الثانية عشرة: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك. الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافاً لمن كرهه. الرابعة عشرة: سد الذرائع. الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية. السادسة عشرة: الغضب عند التعليم. السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «إنها السنن». الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة؛ لكونه وقع كما أخبر. التاسعة عشرة: أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا، فنحن محذَّرون منه. العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما «من ربك؟» فواضح، وأما «من نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب. وأما «ما دينك؟» فمن قولهم: «اجعل لنا» إلى آخره. الحادية والعشرون: أن سُنَّة أهل الكتاب مذمومة كسُنَّة المشركين. الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمَن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة؛ لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».





٩ ـ باب: من تبرَّك بشجر أو حجر ونحوهما ﴿١﴾

. . . .

﴿١﴾ ذهب عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ)، وسليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ) إلى أن الجواب محذوف تقديره: فقد أشرك. قال ابن قاسم: «من» اسم شرط، والجواب محذوف تقديره: فقد أشرك بالله. ويحتمل أن «من» موصولة فيكون معناها باب بيان حكم من تبرك بالأشجار والأحجار ونحوها، وما يترتب عليه من الوعيد، وحكمه أنه مشرك الشرك الأكبر؛ لكونه تعلق على غير الله في حصول البركة من غيره، وإن كان الله جعل فيه بركة.اهـ.

والتبرك على أحوال:

١ ـ **أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم**؛ مثل القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩]. فمن بركته أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أمماً كثيرة من الشرك، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا يوفر للإنسان الوقت والجهد. . . . إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢ ـ **أن يكون بأمر حسي معلوم**؛ مثل: التعليم، والدعاء، ونحوه؛ فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير؛ فيكون هذا بركة لأننا نلنا منه خيراً كثيراً، وقال أسيد بن حضير: «ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر».

٣ ـ أن يكون التبرك بالشجر، أو بالحجر أو بالقبر، أو بالبقعة أو بالمشاهد أو بالآثار وغير ذلك، فإذا طلب بركتها، معتقداً أنه بتمسحه بها، أو تمرغه عليه، أو التصاقه به **تنفعه وتدفع عنه الضر بذاتها**، فهذا شرك أكبر، قال إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب: فلا إلـٰه إلا الله، نفي وإثبات الإلـٰهية كلها لله: فمن قصد شيئاً من قبر، أو شجر، أو نجم، أو ملك مقرب، أو نبي مرسل، لجلب نفع، وكشف ضر، فقد اتخذه إلـهاً من دون الله؛ مكذب بلا إلـٰه إلا الله، يستتاب، فإن تاب =

. . . .

= وإلا قتل .اهـ. الدرر السنية (٢/ ٨٧).

٤ ـ أن يكون التبرك بالشجر، أو بالحجر أو بالقبر، أو بالبقعة أو بالمشاهد أو بالآثار وغير ذلك، فإذا طلب بركتها، معتقداً أنه بتمسحه بها، أو تمرغه عليه، أو التصاقه به، **يتوسط له عند الله**، فهذا: اتخاذ إلـه مع الله ـ جل وعلا ـ وشرك أكبر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾. وقال أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر: اتفق العلماء كلهم على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم، فقد كفر لأن هذا كفر عابدي الأصنام، قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣] الدرر السنية (١/ ١٩٦). قال السعدي في بيان أن دعاء غير الله من الشرك الأكبر سواء كان المدعوون مستقلين في تحصيل مطالبه، أو متوسطين إلى الله: ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله؛ فإن المشركين يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾، ويقولون: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم لا يكفر، من زعم ذلك؛ فقد كذب ما جاء به الكتاب والسُّنَّة وأجمعت عليه الأمة؛ من أن من دعا غير الله فهو مشرك كافر في الحالين المذكورين.اهـ. القول السديد (٨٤).

٥ ـ أن يكون التبرك بالشجر، أو بالحجر أو بالقبر، أو بالبقعة أو بالمشاهد أو بالآثار أو غير ذلك، فإذا طلب بركتها، معتقداً أن تمسحه بها، أو تمرغه عليه، أو التصاقه به، **سبباً لحصول البركة بدون اعتقاد أنها توصل وتقرب إلى الله**، فهذا محرم بالاتفاق كما حكاه ابن تيمية، والسعدي، وهو شرك أصغر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما التمسح بالقبر وتقبيله وتمريغ الخد عليه، فمنهي عنه باتفاق المسلمين، بل هو من الشرك، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾.اهـ.

ووجه كونه شركاً أصغر:

أ ـ أن التبرك ذريعة إلى الشرك الأكبر، قال الشاطبي: إن العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود وتبالغ ـ بجهلها ـ في التماس البركة حتى يداخلها للمتبرك به تعظيم يخرج به عن الحد، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه، وهذا أصل العبادة؛ ولأجله قطع عمر الشجرة التي بويع تحتها رسول الله.اهـ. الاعتصام (١/ ٥٩). =

....

= ب ـ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): أن كل من أثبت سبباً لم يجعله الله سبباً شرعياً ولا قدرياً؛ فقد جعل نفسه شريكاً مع الله. القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٩٤).

ت ـ ما دل عليه حديث ابن مسعود ﷺ: «حي على الطهور المبارك، والبركة من الله» رواه البخاري (٣٥٧٩)، فإذا كانت البركة من الله فطلبها من غيره شرك كطلب الرزق وجلب النفع. الفتاوى (٢٧/ ٩١)، التيسير (١٤٥)، الحاشية (٩٠). التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٢٨).

📖 **التبرك لغة**: طلب البركة واعتقادها ورجاؤها، والبركة كثرة الخير وثبوته، مأخوذة من البِركة وهي مجمع الماء، وتدل على الكثرة والاستقرار. أو مأخوذة من البروك؛ فبروك البعير يدل على ملازمة المكان وثبوته. قال ابن الأثير بعد أن قرر أن البركة تطلق على الثبوت: وتُطلق البَرَكة أيضاً على الزيادة. والأصلُ الأوّلُ.اهـ. قال الراغب الأصفهاني: والبركة ثبوت الخير الإلٰهي في الشيء.اهـ. قال أبو هلال العسكري: والبركة هي الزيادة والنماء من حيث لا يوجد بالحس ظاهراً، فإذا عهد من الشيء هذا المعنى خافياً عن الحس قيل: هذه بركة.اهـ.

والتبرك في الشرع: هو طلب البركة بفعل أو اعتقاد.

المفردات (١/ ٨٣)، مقاييس اللغة (١/ ٢٣٠)، الفروق اللغوية (١/ ٩٦)، النهاية (١/ ٣٠٦)، القاموس (١٢٠٤).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن مما ينافي أصل التوحيد أو كماله التبرك بشجر أو حجر. قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): إن التبرك بالأشجار ونحوها شرك وتأله بغير الله.اهـ. الدرر السنية (٥/ ١٢٠).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ): فلا إلٰه إلا الله، نفي وإثبات الإلٰهية كلها لله: فمن قصد شيئاً من قبر، أو شجر، أو نجم، أو ملك مقرب، أو نبي مرسل، لجلب نفع، وكشف ضر، فقد اتخذه إلهاً من دون الله؛ مكذب بلا إلٰه إلا الله، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. الدرر السنية (٢/ ٨٧).

علاقة الباب بالباب السابق: هذا الباب شبيه بالبابين السابقين، حيث إن مؤداها الاعتقاد بغير الله أنه يضر أو ينفع فيما لم يجعله الله سبباً كونياً أو قدرياً؛ لكن البابين السابقين ذكر المصنف فيهما الشرك الذي يكون على بدن الإنسان كلبس الحلقة والخيط والتمائم والرقى، أما هذا الباب ففي أمر آخر وهو التبرك بالشجر والحجر ونحوهما. =

. . . .

= فتح الحميد (٢/ ٥٤٧)، إعانة المستفيد (١/ ١٥٥)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٨٨).

📖 كبقعة وقبر ومشهد. قرة عيون الموحدين (١/ ١٢١). قال السعدي (١٣٧٦هـ): وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي ﷺ، وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة. اهـ القول السديد (٥١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: اتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ﷺ بيده ولا يقبله. اهـ. الرد على الأخنائي (١٩٠).

ـ قصد الآثار المكانية كقبر الرسول ﷺ، أو ما مسته يد الرسول ﷺ؛ لأجل التبرك فهذا محذور من أوجه عدة منها:

١ ـ أن هذا النوع من التبرك لم يكن في عهده ﷺ، ولم ينقل فيه شيء نقلاً مصدقاً، لا بإسناد صحيح ولا حسن ولا ضعيف، وإذا لم ينقل مع توافر الدواعي على نقله علم أنه لم يكن في زمانه ﷺ.

٢ ـ أن بركة ذوات الأنبياء لا تتعدى إلى الأمكنة الأرضية، وإلا لزم أن تكون كل أرض وطئها، أو جلس عليها، أو طريق مر بها، تطلب بركتها، ويتبرك بها، وهذا لازم باطل قطعاً، فانتفى الملزوم.

٣ ـ أن الأمكنة الأرضية لا تكون مباركة إلا بدوام الطاعة فيها، وهي سبب إعطاء الله البركة، حتى المساجد فإنها مباركة لذلك، إلا أن بركتها لا تدوم مع زوال الطاعات عنها.

٤ ـ أن التبرك بالآثار المكانية وسيلة إلى ما هو أعظم من تقديسها، والاعتقاد فيها وهذا محذور. دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٢٧٢).

ـ الفرق بين مسح الحجر الأسود وغيره من الأحجار، والمشاهد، والقبور:

قال السعدي (١٣٧٦هـ): وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة، فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته، فهو روح التعبد. فهذا تعظيم للخالق وتعبد له، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له. فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد. اهـ القول السديد (٥١). وبيَّن ابن باز (١٤٢٠هـ) أن تقبيل الحجر: فيه تعظيم الله وطلب مرضاته، وليس التبرك بالحجر أو الطلب للحجر، ولكنه طاعة لله في استلام الحجر والركن اليماني. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٢٧٥). =

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾[١] ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[٢]

= ـ وعلى من مسح الحجر الأسود والركن اليماني أن تكون نيته التعبد لله لا التبرك بمسحها، قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إن المقصود بمسح الحجر الأسود والركن اليماني هو التعبد لله تعالى بمسحهما لا التبرك بمسحهما خلافاً لما يظنه الجهلة حيث يظنون إن المقصود هو التبرك، ولهذا ترى بعضهم يمسح الركن اليماني أو الحجر الأسود ثم يمسح بيده على صدره أو على وجهه أو على صدر طفله أو على وجهه، وهذا ليس بمشروع وهو اعتقاد لا أصل له، ففرق بين التعبد والتبرك، ويدل على أن المقصود التعبد المحض دون التبرك أن عمر ﷺ قال وهو عند الحجر: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك. اهـ. فتاوى نور على الدرب (٣/ ٦٢).

﴿١﴾ قال بعض أهل العلم: إن (الفاء) إذا جاءت بعد همزة الاستفهام، فإنها تكون عاطفة على جملة محذوفة يدل عليها السياق، فمن أول سورة النجم إلى هذا الموضع يدل على المحذوف. قال الزجاج (٣٢١هـ): فلما قص الله تعالى هذه الأقاصيص قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ المعنى: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها، هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء؟. اهـ.

وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): إذا تبين هذا فمعنى الآية، كما قال القرطبي (٦٦٧هـ): إن فيها حذفاً تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة، هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله؟!. اهـ.

زاد المسير (٨/ ٧١)، التيسير (١/ ٢٢٦)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٢٨).

﴿٢﴾ قال ابن كثير (٧٧٤هـ): «اللات» صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللات، يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرأوا اللاتّ بتشديد التاء، وفسَّروه بأنه كان رجلاً يلت للحجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

قال عبد الرحمٰن بن حسن: ولا منافاة من عبادتهم الصخرة التي كان يلت السويق عليها باسمه وعبادة قبره لما مات. اهـ. قال ابن جرير (٣١٠هـ): «العزى» من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، وكانت =

[النجم: ١٩، ٢٠] ﴿١﴾ .

عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ﴿٢﴾ ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط ﴿٣﴾ كما لهم ذات أنواط ﴿٤﴾ ، فقال

= قريش يعظمونها. وأما «مناة» فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة. اهـ. ومناة عبارة عن حجر، وهي مشتقة من المنان أو من «منى» لكثرة ما يمنى عند من الدماء.

قال السعدي (١٣٧٦هـ): وهذه الأنداد التي سموها بهذه الأسماء زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا «اللات» من «الإلـٰه» المستحق للعبادة، و«العزى» من «العزيز»، و«مناة» من «المنان»، إلحاداً في أسماء الله وتجرياً على الشرك به. اهـ.

تفسير الطبري (٢٧/ ٥٩)، البحر المحيط (٨/ ١٦١)، زاد المسير (٨/ ٧٢)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٥)، قرة عيون الموحدين (١٢٢)، تفسير السعدي (١/ ٨١٩).

﴿١﴾ **علاقة الآيتين بالباب،** قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): ومناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزى، إنما كان بالتفات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر؛ فصارت أوثاناً تعبد من دون الله. اهـ. قرة عيون الموحدين (١٢٢).

وقال صالح آل الشيخ: ووجه مناسبة الآية للترجمة: أن ما كان يفعله المشركون عند هذه الثلاث هو عين ما يفعله المشركون في الأزمنة المتأخرة عند الأحجار، والأشجار، والغيران، والقبور. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

وقال صالح الفوزان: فالتبرك بالقبور كالتبرك باللات. وبالأشجار والأحجار كالتبرك بالعزى ومناة. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٩٠).

﴿٢﴾ قال المعلمي: الصواب أن أبا واقد إنما أسلم في فتح مكة، كما حققه ابن حجر في الإصابة، وبين غلط من قال إنه شهد بدراً. اهـ. رفع الاشتباه (٥٢).

﴿٣﴾ ذات أنواط: اسم شجرة بعينها كانت للمشركين، ينوطون بها سلاحهم؛ أي: يعلقونه بها، ويعكفون حولها. النهاية (٥/ ١٢٨).

﴿٤﴾ هل طلبهم هذا من باب الشرك الأكبر أو الأصغر؟ اختلف أهل العلم على قولين: =

رسول الله ﷺ: **الله أكبر، إنها السَّنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبنَّ سَنن من كان قبلكم**»﴿١﴾، رواه الترمذي

= **القول الأول:** أن طلبهم من باب الشرك الأصغر، وهو ظاهر قول النووي (٦٧٦هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، والشاطبي (٧٩٠هـ)، وهو اختيار الملا علي القاري (١٠١٤هـ)، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد؛ لأنهم إنما طلبوا من النبي مجرد مشابهة المشركين في تعليق أسلحتهم على شجرة يتخذونها لذلك، ومشابهة الكفار منهي عنها؛ ولذا أغلظ عليهم.

قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨هـ): فأنكر النبي ﷺ مجرد المشابهة للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلّقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه. اهـ. اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٤٤).

وقال الشاطبي: فإن اتخاذ ذات أنواط يشبه اتخاذ الآلهة من دون الله، لا أنه هو بنفسه. اهـ. الاعتصام (٢/ ٢٤٦). المرقاة (٩/ ٢٩٣).

القول الثاني: أن طلبهم هذا من باب الشرك الأكبر، وهو قول ابن القيم (٧٥١هـ)، واختيار إمام الدعوة في كشف الشبهات، وسليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٣٨٥هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ). قال ابن باز: ليس ما طلبوه من الشرك الأصغر، ولو كان منه لما جعله النبي نظير قول بني إسرائيل «اجعل لنا إلهاً»، وأقسم على ذلك، بل هو من الشرك الأكبر، كما أن ما طلبه بنو إسرائيل من الأكبر؛ وإنما لم يكفروا بطلبهم؛ لأنهم حدثاء عهد بكفر. اهـ.

فتح المجيد بتعليقات ابن باز (١٤٦). إغاثة اللهفان، تحفة الأحوذي (٦/ ٤٠٨)، التيسير (١٨٤)، نواقض الإيمان الاعتقادية «للوهيبي» (١/ ٢٣٥).

والخلاصة في قصة ذات أنواط: إن كان مجرد مطلق المشابهة بين الفريقين، فهذا لا يخرج من الملة ـ كما لا يخفى ـ. وإن كان شركاً أكبر، فهم لم يكفروا؛ لأنهم لم يفعلوا، أو لأنهم كانوا حدثاء عهد بكفر، فلا يكفرون لقرب عهدهم بالإسلام. التعليق على فتح المجيد لعبد العزيز العبد اللطيف (٨).

وانظر: كشف الشبهات (٨٩)، الانتصار «لأبي بطين» (٣٥)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣٧٥).

﴿١﴾ قال محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ): من تبرك بحجر، أو شجر، =

وصحَّحه﴿١﴾﴿٢﴾﴿٣﴾.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم. **الثانية**: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا. **الثالثة**: كونهم لم يفعلوا. **الرابعة**: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك؛ لظنهم أنه يحبه. **الخامسة**: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل. **السادسة**: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم. **السابعة**: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر، إنها السنن. لتتبعن سنن من كان قبلكم»، فغلظ الأمر بهذه

= أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بهم، فقد اتخذهم آلهة؛ والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، يريدون بذلك التبرك، قال: «**الله أكبر: إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف]. الدرر السنية (٢/ ١٢٧).

﴿١﴾ هذا لفظ أحمد وغيره، أما لفظ الترمذي: «أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، **والذي نفسي بيده لتركبن سُنَّة من كان قبلكم**».

﴿٢﴾ أخرجه: أحمد (٥/ ٢١٨)، وابن حبان، والطيالسي (١/ ١٩١)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٤٣)، وأبو يعلى (٣/ ٣٠)، وعبد الرزاق (١١/ ٣٦٩)، وابن أبي شيبة (٤٧٩)، والنسائي في سننه الكبرى (٦/ ٣٤)، والحميدي (٢/ ٣٧٥)، من طريق الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي ﷺ. والحديث صححه: الترمذي (٢٧٩هـ)، وابن حبان (٣٥٤هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ)، والمعلمي (١٣٨٦هـ). رفع الاشتباه (٥١).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه دليلاً على أن التبرك بالأشجار وغيرها شركٌ وتأليه مع الله. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٩٢).

الثلاث[١]. **الثامنة**: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾. **التاسعة**: أن نفي هذا من معنى «لا إلـه إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك. **العاشرة**: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة. **الحادية عشرة**: أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا. **الثانية عشرة**: قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك. **الثالثة عشرة**: التكبير عند التعجب، خلافاً لمن كرهه. **الرابعة عشرة**: سد الذرائع. **الخامسة عشرة**: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية. **السادسة عشرة**: الغضب عند التعليم. **السابعة عشرة**: القاعدة الكلية لقوله: «إنها السنن». **الثامنة عشرة**: أن هذا عَلَم من أعلام النبوة؛ لكونه وقع كما أخبر. **التاسعة عشرة**: أن ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا، فنحن محذَّرون منه. **العشرون**: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما «من ربك؟» فواضح، وأما «من نبيك؟» فمن إخباره بأنباء الغيب. وأما «ما دينك؟» فمن قولهم: «اجعل لنا» إلى آخره[٢][٣].

---

[١] قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وهي قوله: «**الله أكبر**»، وقوله: «**إنها السنن**»، وقوله: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**»؟ فغلظ الأمر بهذا؛ لأن التكبير استعظاماً للأمر الذي طلبوه، و«**إنها السنن**»: تحذير، و«**لتركبن سنن من كان قبلكم**» كذلك أيضاً تحذير. اهـ. القول المفيد (١/ ٢٠٥).

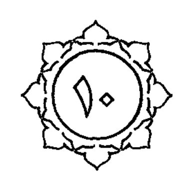
[٢] قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وقوله: «مسائل القبر التي يسأل فيها الإنسان في قبره من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟»: ففي هذه القصة دليل على مسائل القبر الثلاث، وليس مراده أن فيها دليلاً على أن الإنسان يسأل في قبره، بل فيها دليل على إثبات الربوبية والنبوة والعبادة. أما «من ربك»؟ فواضح، يعني أنه لا رب إلا الله تعالى، وأما «من نبيك»؟ فمن إخباره بالغيب، قال ﷺ: «**لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**» فوقع كما أخبر. أما «ما دينك»، فمن قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ أي: مألوهاً معبوداً، والعبادة هي الدين. اهـ. القول المفيد (١/ ٢١٢).

[٣] علّق الشيخ محمد بن عثيمين (١٤٢١هـ) على هذه المسألة أن المؤلف =

الحادية والعشرون: أن سُنَّة أهل الكتاب مذمومة كسُنَّة المشركين. **الثانية والعشرون**: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمَن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة؛ لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

۞ ۞ ۞

= يتميز بدقة الفهم، حيث قال: والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ محمد بن عبد الوهاب فهمه دقيق جداً لمعاني النصوص، فأحياناً يصعب على الإنسان بيان وجه استنباط المسألة من الدليل. اهـ. القول المفيد (١/ ٢١٣).



باب: ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غيّر منار الأرض».

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً، فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله، فضربوا عنقه فدخل الجنة». رواه أحمد.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾. الثانية: تفسير:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾. **الثالثة**: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله. **الرابعة**: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك. **الخامسة**: لعن من آوى محدثاً، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله. **السادسة**: لعن من غيّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير. **السابعة**: الفرق بين لعن المعيَّن ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم. **الثامنة**: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب. **التاسعة**: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصاً من شرهم. **العاشرة**: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر. **الحادية عشرة**: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافراً لم يقل: «دخل النار في ذباب». **الثانية عشرة**: فيه شاهد للحديث الصحيح: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». **الثالثة عشرة**: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتى عند عبدة الأوثان.

۞ ۞ ۞



الشَّرح

١٠ ـ باب: ما جاء في الذبح لغير الله ﴿١﴾(*)

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ﴿٢﴾ ....

﴿١﴾ أي: ما جاء من الوعيد، وأنه من الشرك الأكبر، كما قال السعدي (١٣٧٦هـ)، ابن قاسم (١٣٩٣هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ). حاشية ابن قاسم (٩٦)، القول السديد (٥٤)، التعليق المفيد «لابن باز» (٧٩).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من الشرك الأكبر المخرج من الملة الذبح لغير الله. قال الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ): اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة: الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن، أو القباب.اهـ. الدرر السنية (١٠/ ٩١).

وقال ابن قاسم: إنه ـ الذبح لغير الله ـ شرك أكبر ناقل عن الملة؛ لأنه عبادة من أجلِّ العبادات، وقربة من أفضل القربات المالية، فصرفه لغير الله شرك، كمن يذبح لقبر أو شجرة أو حجر أو ملك أو نبي أو جني أو لطلعة سلطان أو للزيران، أو غير ذلك. حاشية ابن قاسم (٩٦).

علاقة الباب بالباب السابق: قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): لما ذكر الشيخ ما يتبرك به من الشجر والحجر، ذكر الذبح لغير الله ﷻ؛ لأن من عادة أهل الابتداع وعباد الأصنام يعقبون ذلك بالذبح لما يتبركون به أو يدعونه من دون الله ﷻ.اهـ. فتح الحميد (٢/ ٥٦٩)، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٩٦).

﴿٢﴾ قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): وافتتحت جملة المقول بحرف التّوكيد للاهتمام بالخبر ولتحقيقه، أو لأنّ المشركين كانوا يزعمون أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام كان يُرائي بصلاته، فقد قال بعض المشركين لمَّا رأى رسول الله ﷺ يصلّي =

صَلَاتِي﴿١﴾ وَنُسُكِي﴿٢﴾ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴿٣﴾ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]﴿٤﴾.

= عند الكعبة: «ألَا تنظرون إلى هذا المُرائي أيُّكم يقوم إلى جَزور بني فلان فيعمِد إلى فَرثها وسلاها، فإذا سجد وضعه بين كتفيه». فتكون «إنّ» على هذا لردّ الشكّ.اهـ. التحرير والتنوير (٥/ ٢٨٩).

﴿١﴾ قال حامد بن محمد بن حسن بن محسن «توفي في أول القرن الثالث عشر»: قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾؛ أي: دعواتي كلها؛ لأن إضافة المصدر إلى ضمير المتكلم أبلغ وأتم في إفادة التعميم من إضافة الجمع إلى الضمير، ذكره ابن القيم في قوله: «وأبوء بذنبي» في سيد الاستغفار.اهـ. فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (٢١٩).

﴿٢﴾ **النسك**: الذبيحة، هو قول: وسعيد بن جبير (٩٥هـ)، ومجاهد (١٠٤هـ)، والطبري (٣١٠هـ)، وابن عُزَيْز السجستاني (٣٣٠هـ)، وابن الجوزي (٥٩٧هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ)، وهو ظاهر صنيع إمام الدعوة (١٢٠٦هـ) حيث ذكر بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾، ويدل على أن النسك هي الذبيحة، أن النسك في القرآن جاء بمعنى الذبح، قال تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وأن هذه الآية جاء قبلها ذكر الذبائح التي تذبح لغير الله، أو التي لا يذكر عليها اسمه.

تفسير الطبري (٥/ ٤٢٠)، غريب القرآن (٢٠١)، تذكرة الأريب (١/ ١٧٣)، تفسير القرطبي (٧/ ١٥٢)، الفتاوى (٢٧/ ٣٦٨)، القول المفيد (١/ ٢١٥).

﴿٣﴾ اللام للاستحقاق بالنسبة للصلاة والنسك، وللملك بالنسبة للحياة والممات.

التحرير والتنوير (٧/ ١٤٧)، زاد المسير (٣/ ١٦٣)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٤٤).

﴿٤﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): إن الله تعبَّد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك كما تعبدهم أن يتقربوا إليه بالصلاة، وإذا تقربوا إلى غيره بالذبح فقد جعلوا له شريكاً في عبادته، وهو ظاهر في قوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ نفى أن يكون لله شريك في هذه العبادات.اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٩٦).

وقال الشيخ صالح الفوزان: **مناسبة الآية للباب**: أنها تدل على أن الذبح لغير الله شرك.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٩٤).

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾[١].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله[٢] **من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله**

---

[١] **علاقة الآية بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن الذبح عبادة يجب إخلاصها لله، وصرفها لغيره شرك أكبر. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٩٦).

[٢] يحتمل أن تكون الجملة خبرية، فيكون اللعن من الله، وأن الرسول يخبر بأن الله يطرد ويبعد عن رحمته من ذبح لغيره. ويحتمل أن تكون الجملة إنشائية بلفظ الخبر، فيكون المعنى: اللَّهم العن من ذبح لغير الله؛ أي: أن الرسول يدعو على من ذبح لغير الله بأن الله يبعده ويطرده عن رحمته، وقد ذهب شيخ الإسلام إلى أنه من باب الدعاء. والخبر أبلغ؛ لأن الدعاء قد يستجاب وقد لا يستجاب.

قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): إن سائر الذين لعنهم الله في كتابه مثل الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، ومثل الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، ومثل من يقتل مؤمناً متعمداً: إما كافر أو مباح الدم، بخلاف بعض من لعن في السُّنَّة. وعامة الملعونين الذين لا يقتلون أو لا يكفرون إنما لعنوا بصيغة الدعاء، مثل قوله ﷺ: «**لعن الله من غيَّر منار الأرض**»، و«**لعن الله السارق**»، و«**لعن الله آكل الربا ومؤكله**»، ونحو ذلك. اهـ.

الصارم المسلول (٢/ ٩٠)، القول المفيد (١/ ٢٢٢).

وذكر عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): أن لعنة الله هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وأورد مقالة ابن تيمية بأن الله تعالى يلعن من استحق اللعنة بالقول. فتح المجيد (١/ ٢٦٩).

ومن تقريرات العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ أن تفسير لعنة الله بالطرد عن مظان الرحمة، هو تفسير باللازم، وإلا فلا مانع من وقوعه من الله كما قال شيخ الإسلام، فإذا لعن الله أحداً فمن المعلوم ما يترتب على ذلك من الطرد والإبعاد من مظان الرحمة.

فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٢٠٨)، التعليق على فتح المجيد «لعبد العزيز آل عبد اللطيف» (٩).

من آوى محدثاً﴿١﴾ **، لعن الله من غيّر منار**﴿٢﴾ **الأرض»**﴿٣﴾ .

وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً، فخلُّوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرِّب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله، فضربوا عنقه فدخل الجنة**»﴿٤﴾ .

﴿١﴾ قال السيوطي (٩١١هـ): قال في النهاية: يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل أو المفعول، فمعنى الكسر من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه. وبالفتح هو الأمر المبتدع نفسه الذي ليس معروفاً في السُّنَّة، ويكون معنى الإيواء فيه: الرضا به والصبر عليه، فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكرها عليه فقد آواه.اهـ.

قال ابن باز (١٤٢٠هـ): قوله: «**من آوى محدثاً**» معناه: الذي يؤوي أهل البدع والمعاصي وينصرهم يكون ملعوناً والعياذ بالله، ومن يحمي كذلك عن إقامة الحدود على الزاني أو اللائط أو غيرهما شرح صحيح مسلم للنووي (٩/ ١٤٠)، شرح السيوطي لسنن النسائي (٧/ ٢٣٢)، التعليقات البازية على كتاب التوحيد (١/ ١٧).

﴿٢﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): المنار: المراسيم، ويلحق به كل ما يرشد إلى الطرق والبلدان والمياه.

﴿٣﴾ صحيح مسلم (١٨٧٨)، من طريق منصور بن حيان، عن أبي الطفيل، عن علي رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه دليلاً على غلظ تحريم الذبح لغير الله.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٩٨).

﴿٤﴾ المتقرر عند أهل العلم أن المكره بالكفر لا يكفر؛ لكن جاء في هذا الحديث عدم العذر بالإكراه، لذا وجَّه أهل العلم هذا الحديث:

أ ـ أنه حديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ؛ وأُعل بأنه لم يأتِ مسنداً عن =

رواه أحمد﴿١﴾﴿٢﴾.

= النبي ﷺ، وقال ابن عثيمين: إن حديث الذباب يحتاج إلى تصحيحه أولاً... ثم رجح أنه ضعيف. شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين (٢٣٢).

ب ـ أن هذا شرع من قبلنا وليس بشرع لنا؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الآصار والأغلال. قال العلامة ابن عثيمين (ت١٤٢١هـ): وإذا صح، فهذا يحمل على شرع من قبلنا ليس بشرع لنا في هذه الحال؛ لأن الله تعالى رفع عنا الآصار والأغلال، هذا على فرض صحته، وإلا فهو ضعيف، فليس فيه إشكال. شرح الأصول من علم الأصول لابن عثيمين (٢٣٢). قال الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة، لأن قوله: عن أصحاب الكهف: ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ ظاهر في إكراههم على ذلك وعدم طواعيتهم، ومع هذا قال عنهم: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]؛ فدل ذلك على أن ذلك الإكراه ليس بعذر. ويشهد لهذا المعنى حديث طارق بن شهاب في الذي دخل النار في ذباب قربه مع الإكراه بالخوف من القتل. لأن صاحبه الذي امتنع أن يقرب ولو ذباباً قتلوه. أضواء البيان ـ (٤/ ٧٣)، ونحوه فيدفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١٦٢).

جـ ـ أن الحديث ليس فيه إكراه، حيث إن القوم قتلوا الرجل؛ لأنه أهان صنمهم بقوله: «ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله»، فهو لو لم يقل ذلك لخلوا سبيله وتركوه يرجع من حيث أتى. فهم خيَّروه بين أن يذبح ويتجاوز، أو لا يذبح ويعود من حيث أتى.

د ـ أن الرجل ترك الرخصة وأخذ بالعزيمة لقوة إيمانه ويقينه. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٤٨).

﴿١﴾ الحديث ليس موجوداً في دواوين السُّنَّة باللفظ الذي ذكره إمام الدعوة؛ لكن ذكره ابن القيم في «الجواب الكافي» (٣١). والأثر جاء موقوفاً عند أحمد في «الزهد» (١/ ١٥)، وأبي نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣)، من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن سلمان رضي الله عنه موقوفاً، وسنده جيد كما قال ابن باز. وابن أبي شيبة (٦/ ٤٧٣)، من طريق مخارق بن خليفة، عن طارق بن شهاب، عن سلمان رضي الله عنه موقوفاً.

﴿٢﴾ **علاقة الأثر بالباب**، أن التقريب للصنم بالذبح كان سبباً لدخول النار. وفيه وجه آخر للدلالة: وهو أنه إذا كان تقريب هذا الذي لا قيمة له ـ وهو الذباب ـ =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾. **الثانية**: تفسير: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾. **الثالثة**: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله. **الرابعة**: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك. **الخامسة**: لعن من آوى محدثاً، وهو الرجل يُحدث شيئاً يجب فيه حق الله. **السادسة**: لعن من غيّر منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير. **السابعة**: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم[1]. **الثامنة**: هذه

= سبباً في دخول النار، فإنه يدل على أن من قرب ما هو أبلغ، وأعظم منفعة عند أهله وأغلى، أنه سبب أعظم لدخول النار. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

[1] **اللعن**، كما قال للقرطبي: هو في **الشرع**: البعد عن رحمة الله تعالى وثوابه إلى ناره وعقابه. اهـ. ومن تقريرات العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت١٣٩٢هـ) أن تفسير لعنة الله بالطرد عن مظان الرحمة، هو تفسير باللازم، وإلا فلا مانع من وقوعه من الله كما قال شيخ الإسلام، فإذا لعن الله أحداً فمن المعلوم ما يترتب على ذلك من الطرد والإبعاد من مظان الرحمة.

فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/٢٠٨)، التعليق على فتح المجيد «لعبد العزيز آل عبد اللطيف» (٩).

أحوال اللعن:

أ ـ **أن يُلعن الكفار على وجه العموم**، فلعنهم جائز بالإجماع، كما حكاه ابن عبد البر، وابن قدامة، وابن كثير؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦٤]؛ ولقوله ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١). قال ابن كثير (٧٧٤هـ): وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الأئمة، يلعنون الكفرة في القنوت وغيره. اهـ.

ب ـ **أن يلعن المسلم المصون**، فلعنه حرام بالإجماع كما حكاه النووي، وابن تيمية؛ لقوله ﷺ: «**لعن المؤمن كقتله**» رواه البخاري (٦١٠٥) ومسلم (١١٠). وهو من الكبائر كما قال القرطبي، والذهبي، وابن القيم، والنحاس.

جـ ـ **أن يلعن بعض عصاة المسلمين على وجه العموم**، فلعنهم جائز بالإجماع =

. . . .

= كما حكاه ابن العربي، والهيثمي؛ لقوله ﷺ: «**لعن السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**». رواه البخاري (٦٤٠١) ومسلم (١٦٨٧).

د ـ أن يلعن المسلم العاصي المعين، فهذا اختلف أهل العلم فيه على قولين:

القول الأول: المنع، وبه قال النخعي (٩٦هـ)، وأحمد (٢٤١هـ)، وأبو بكر عبد العزيز (٣١١هـ)، والقاضي عياض (٥٤٤هـ)، والنووي (٦٧٦هـ)، وابن المنير (٦٨٣هـ)، وابن تيمية (٧٢٨هـ)، والهيثمي (٨٠٧هـ)، والسيوطي (٩١١هـ)، والصنعاني (١١٨٢هـ)، والشوكاني (١٢٥٠هـ)، وحكى ابن العربي (٥٤٣هـ) الإجماع عليه؛ لنهي النبي ﷺ الرجل عن لعن الذي كان يشرب الخمر» رواه البخاري (٦٣٩٨).

القول الثاني: الجواز، وقد نقله ابن تيمية عن ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، ونقله ابن حجر عن البلقيني (٨٠٥هـ)، وهو قول عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة؛ لقوله ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح**» رواه البخاري (٣٠٦٥)، ومسلم (١٤٣٦).

القول الثالث: جواز اللعن إذا لم يقم عليه الحد؛ وذهب ابن بطال (٤٤٩هـ)؛ لما جاء عند البخاري (٦٣٩٨) في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيحده، فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**».

واختلف من منع من اللعن: هل المنع على التحريم أو الكراهة؟ فقيل: إنه مكروه، وهو المشهور عن أحمد، وهو ظاهر تبويب البخاري، قال: باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس خارجاً من الملة.اهـ. وذهب ابن حجر إلى أن اللعن إن كان على وجه السب فهو مكروه، وإن كان على المعنى الأصلي وهو الطرد والإبعاد فهو محرم.

د ـ أن يلعن الكافر الحي المعين، فللعلماء فيه قولان:

القول الأول: المنع، وبه قال الجمهور، وهو رواية للإمام أحمد، اختارها ابن جبرين، وبه أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة ابن باز؛ لأننا لا نعلم بماذا يختم الله له به؛ ولأن النبي ﷺ لما لعن أقواماً نزل قول الله في حقهم: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران] رواه البخاري (٣٨٤٢)؛ ولأنه ﷺ كان لا يلعن؛ ولأنَّ اللَّعَّانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة. =

. . . .

= **القول الثاني**: الجواز، وهو قول أحمد في رواية عنه، وابن العربي إلى جوازه؛ لأنَّ الكافر المعين ليس له حق وعِرضه غير مصان؛ ولأنَّ معنى اللعن طلب الطرد والإبعاد من رحمة الله وهو متحقق في الكافر؛ ولما جاء عند البخاري في قصة الذي كان يؤتى به سكران فيحده، فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به، فقال ﷺ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**» قالوا: فعلَّة المنع من لعنه بأنه يحب الله ورسوله، فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن. **وذهب البراك، والراجحي، إلى جواز لعن الكافر عند الحاجة**، مثل من آذى المسلمين؛ لقنوت النبي ﷺ في صلاة الفجر ولعنه بعض رؤوس الكفر، ويقول: «**اللَّهم العن فلاناً وفلاناً**» ويسميهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، رواه أحمد (٢/ ١١٨) بإسناد حسن عن ابن عمر. وفي هذه الآية بيان أن الأمر كله لله وليس للرسول ﷺ من أمر هداية الخلق وإضلالهم شيء، فإنه سبحانه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء. فليس كل من لعنه الرسول يستجاب له فيه. قال شيخ الإسلام: ولعن الكفار مطلقاً حسن لما فيهم من الكفر، وأما لعن المعين فينهى عنه وفيه نزاع، وتركه أولى. اهـ.

هـ ـ أن يكون الكافر المعين ممن ورد النص بلعنه كإبليس، فذهب ابن تيمية وابن مفلح إلى جواز لعنه بعينه، لقول الله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٧، ١١٨]. **ومن أهل العلم من ذهب إلى عدم جواز لعنه**؛ لقوله ﷺ: «**لا تلعنوه فإنه يتعاظم**».

و ـ أن يكون الكافر المعين ممن ورد النص بأنه مات على الكفر كأبي لهب، فذهب الغزالي، وابن تيمية إلى جواز لعنه، واستدلوا بما رواه البخاري (١٣٣٠)، عن ابن عباس ﵄: قال أبو جهل، عليه لعنة الله، للنبي ﷺ: تباً لك سائر اليوم، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

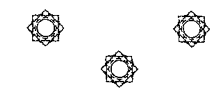
ز ـ أن يكون الكافر المعين ممن مات على الكفر، فهذا يجوز لعنه على وجه التعيين، كما قال الجمهور، وهو اختيار ابن تيمية، وابن جبرين.

ح ـ لعن من مات ولم يتيقن موته على الكفر، قال ابن كثير (٧٧٤هـ) في رجل نصراني أنشأ قصيدة يسب فيها الإسلام والمسلمين أوردها، وقال بعد إيرادها: لعنه الله إن كان مات كافراً. اهـ.

السنة للخلال (٥٢٢). شرح مسلم «للنووي» (٢/ ٥٤)، الأذكار (٥٠٦)، =

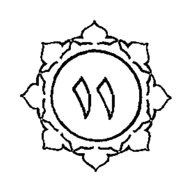
القصة العظيمة، وهي قصة الذباب. **التاسعة**: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصاً من شرِّهم﴿١﴾.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر. **الحادية عشرة**: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافراً لم يقل: «دخل النار في ذباب». **الثانية عشرة**: فيه شاهد للحديث الصحيح: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**». **الثالثة عشرة**: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم، حتى عند عبدة الأوثان.



= المفهم «للقرطبي» (٦/ ٥٧٩، ٧/ ٢٠٨)، أحكام القرآن «لابن العربي» (١/ ٥٠)، تفسير القرطبي (٢/ ١٩٠)، منهاج السُّنَّة (٤/ ٥٦٩)، الفتاوى (٦/ ٥١٦، ٢٠/ ١٥٨)، المستدرك على فتاوى ابن تيمية (١/ ١٨٩)، الآداب الشرعية (١/ ٢٠٣)، الزواجر «لابن حجر» (٢/ ٦١)، الفتح (١٢/ ٧٦)، البداية والنهاية (١١/ ٢٤٧)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٤١٦)، الديباج على مسلم (٤/ ٢٩٢)، غذاء الألباب (١/ ١١٩)، سبل السلام (٣/ ١٤٤)، نيل الأوطار (٦/ ٢٠٩)، التيسير (١٤٩)، روح المعاني (٢٦/ ٧٢)، حاشية ابن قاسم (٩٩)، شرح أخصر المختصرات، اللجنة الدائمة للإفتاء (٢٥/ ٣٧٤)، القول المفيد (١/ ٢٢٦).

﴿١﴾ وبيّن هذا الكلام عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٨٥هـ) بشكل أوضح فقال: وإنما قربه للتخلص من شرهم من غير اعتقاد استحقاقه لذلك، فصار عبادة للصنم دخل بها النار، وهذا يدل على أن هذا الفعل منه هو الذي أوجب له دخول النار؛ لأنه عبد مع الله غيره بهذا الفعل.اهـ. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣٣٣).



باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم». رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

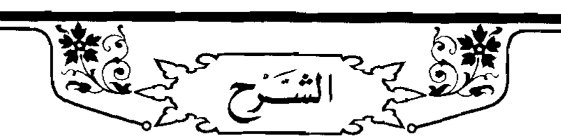
○ **مسائل:**

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾. الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة. الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة، ليزول الإشكال. الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك. الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به، إذا خلا من الموانع. السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله. **الثامنة:** أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية. **التاسعة:** الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده. **العاشرة:** لا نذر في معصية. **الحادية عشرة:** لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

۞ ۞ ۞





١١ ـ باب: لا يذبح لله ﴿١﴾ بمكان ﴿٢﴾ يذبح فيه لغير الله

. . . .

﴿١﴾ «لا يذبحُ» بضم (الحاء) على أنّ (لا) نافية، ويصلُح: «لا يُذبحْ» بإسكانها على أنّ (لا) ناهية، وحتى لو أخذناها على أنها نافية فالنفي هنا معناه: النهي، فالنفي يأتي بمعنى النهي، بل إذا جاء النهي بصيغة النفي كان أبلغ، مثل قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد**»، هذا نفيٌ معناه: النهي، ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، هذا نفي معناه النهي عن هذه الأمور. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣١٢).

﴿٢﴾ والنهي يشمل الذبح عند الأشخاص الذين جرت العادة بالذبح عندهم لغير الله، قال سعد بن حمد بن عتيق (١٣٤٩هـ) في حكم الذبح عند المريض: الذبح للجن يفعله كثير من أهل الجهل والضلال، إذا مرض الشخص أو أصابه جنون أو داء مزمن، ذبحوا عنده كبشاً أو غيره؛ وكثير منهم يصرحون بأنهم ذبحوه للجن، ويزعمون أن الجن أصابته بسبب حدث منه، فيذبحون عنده ذبيحة للجن، يقصدون تخليصه مما أصابه من ذلك الداء.. فهذا ـ أي: الذبح للجن ـ هو الشرك الذي لا يغفره الله.. وإذا عرفت أن الذبح عند المريض على هذا الوصف الذي ذكرنا من الشرك المحرم، فاعلم: أن من الناس من يذبح عند المريض لغير مقصد شركي، وإنما يقصد بالذبح التقرب إلى الله بالذبيحة والصدقة بلحمها، ولا يخفى أن قاعدة سد الذرائع المفضية إلى الشرك تقتضي المنع من فعل ذلك والنهي عنه؛ لأن ذلك ذريعة لفعل الشرك. اهـ. الدرر السنية (٥/ ٧٣ ـ ٧٦).

والشر في بدع في الدين منكرة ... تحلو لدى كل أعمى القلب منتكس
مِن ذاك ذبح لدى المرضى فصاحبه ... على شفا جرف الخسران والتعس =

....

= فإن به قصد الجن لفواه فذا   شرك وكفر جلي غير ملتبس
أو لا فبدعة ذي جهل وذي عمه   تُدني إلى درن الإشراك والدنس
الدرر السنية (١٠/ ٤٦٨).

📖 بيّن عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٨٥هـ) أن المصنف لم يرد التخصيص بالذبح؛ وإنما ذكره كالمثال. قرة عيون الموحدين (٨٤). وسوف يأتيك إن شاء الله عند باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟ حكم تحري الدعاء والصدقة والطواف والصلاة عند القبور، وحكم التقرب بها للقبور.

📖 الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله محرم ومعصية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): إن الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم ـ معصية.اهـ. اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٤١). وهو شرك، قال السعدي (ت١٣٧٦هـ): حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة.اهـ. القول السديد (٥٤). وقد قرر أهل العلم كشيخ الإسلام، ومحمد بن عبد الوهاب. والسعدي وغيرهم أن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله من وسائل الشرك. وقال ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ـ عند قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]: نهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وينبغي أن يحمل هذا على هذا؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهلَّ به لغير الله.اهـ. تفسير ابن كثير (٢/ ١٦).

وقال شيخ الاسلام: سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة، أن الرجل منهم قد يكون مضطراً ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصدق توجهه إلى الله، وإن كان تحري الدعاء عند الوثن شركاً.اهـ. اقتضاء الصراط المستقيم (٢١٣).

ومما تقدم يتضح قوة كون من ذبح لله عند مكان يذبح فيه لغير الله أنه من الشرك الأصغر، وإذا لم يتوجه كونه من الشرك الأصغر فهو محرم وتحريمه منبثق من كونه من وسائل الشرك الذي هو أعظم ذنب عُصي به الله.

ـ وأما الأكل منها، ففي كلام ابن كثير ما يبين ذلك، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية المنع من الأكل مما ذبح عند القبور، حيث قال: ولا يذبح عند القبر أضحية =

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[١] أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ

= ولا غيرها. فإن في سنن أبي داود عن النبي ﷺ «أنه نهى عن العقر عند القبر» حتى كره أحمد الأكل مما يذبح عند القبر؛ لأنه يشبه ما يذبح على النصب. فإن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا**». وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»، وقال: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**» فنهى عن الصلاة عندها؟ لئلا يشبه من يصلي لها. وكذلك الذبح عندها يشبه من ذبح لها. الفتاوى (٢٦/ ٣٠٦).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من وسائل الشرك الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله؛ لأن مشابهة المشركين تؤدي إلى موافقتهم في الباطن والميل إليهم. قال ابن قاسم: لا يجوز الذبح لله بمكان أعد للذبح لغير الله؛ لأن ذلك فيه مشابهة ومضارعة للمشركين ظاهرة في المكان، وهو منهي عنه، كما في الحديث: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». ولو قصد الذابح وجه الله؛ لأنه إحياء للمحل الشركي، وتعظيم له، فيكون وسيلة إلى وجود الشرك ورجوعه، وسد الذرائع من أهم ما جاءت به الشريعة، بل لا يجوز بعداً عن الشرك ومواضع الغضب.اهـ. حاشية ابن قاسم (١٠٣).

علاقة الباب بالباب السابق: قال السعدي: الذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة.اهـ. القول السديد في مقاصد التوحيد (٥٦)، القول المفيد (١/ ٢٣٦).

﴿١﴾ ذهب ابن عبد البر، والداودي، والسهيلي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والسمهودي، والقاسمي، إلى أن كلاً من المسجد النبوي ومسجد قباء مما أسس على التقوى؛ إلا أن مسجده ﷺ هو الأحق بهذا الوصف؛ فسياق الآية يدل على أن مسجد قباء مؤسس على التقوى من أول يوم، كما قال ابن كثير وما رواه مسلم من حديث أبي سعيد أنه سُئل عن المسجد المؤسس على التقوى فقال: «**هو مسجدي هذا**» لا ينافي ما جاء في وصف مسجد قباء أنه مؤسس على التقوى؛ لأنه إذا كان مسجد قباء أسس على التقوى فمسجد الرسول ﷺ أولى بذلك وأحرى، وأثبت في الفضل منه وأقوى. وذهب الطحاوي، والقاضي عياض، والنووي، وابن عطية، وأبو عبد الله القرطبي، والعيني، والملا علي القاري، إلى أن المسجد المؤسس على التقوى هو المسجد النبوي؛ لحديث أبي سعيد. =

﴿ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾﴿١﴾ [التوبة: ١٠٨]﴿٢﴾.

= شرح مشكل الآثار (١٢/ ١٧٧)، التمهيد (١٣/ ٢٦٧)، شرح صحيح مسلم (٩/ ٢٤٠)، المحرر الوجيز (٣/ ٨٢)، تفسير القرطبي (٨/ ١٦٥)، الفتح (٧/ ٢٨٩)، عمدة القاري (١٧/ ٤٩)، الروض الأنف (٢/ ٢٤٦)، زاد المعاد (١/ ٣٩٥)، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى «للسمهودي» (١/ ٤٧٣)، محاسن التأويل «للقاسمي» (٥/ ٥٠٣)، مرقاة المفاتيح «للملا علي القاري» (٢/ ٣٧١).

﴿١﴾ حكى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) أن موجب النهي عن الصلاة في مسجد الضرار كونه من أمكنة العذاب، فنهي عن الصلاة في أمكنة العذاب، وندب إلى الصلاة في أمكنة الرحمة كالمساجد الثلاثة ومسجد قباء. وبيّن عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٨٥هـ) أن موجب النهي عن الصلاة في مسجد الضرار كونه معدّاً لمعصية الله تعالى.

قال ابن قاسم (ت١٣٩٢هـ): إن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به، صار محل غضب، فنهى الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه، لوجود العلة المانعة، وهو ﷺ لا يصلي إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، وهذا قياس صحيح يؤيده الحديث الآتي.اهـ. حاشية ابن قاسم (١٠٣).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): ووجه مطابقة الآية للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به صار محل غضب، فنهى الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة، وخرج مخرج الخصوص والنهي عام، وما كان مثله من الأمكنة فإنه يعطى حكمه؛ لأن المعصية صيَّرته محلاً خبيثاً وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه.اهـ. قرة عيون الموحدين (١٤٠).

وقال سليمان بن عبد الله: ووجه الدلالة من الآية على الترجمة من جهة القياس؛ لأنه إذا منع الله رسوله ﷺ عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم فيه إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله؛ لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به، يؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي.اهـ. التيسير (٢٤٥)، وانظر: القول المفيد (١/ ٢٣٢).

عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة﴿١﴾، فسأل النبي ﷺ فقال: **هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**﴿٢﴾ قالوا: لا. قال: **فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**﴿٣﴾ قالوا: لا. فقال

﴿١﴾ قال ابن الملقن (٨٠٤هـ): بُوانة ـ بِضَم أَوله وبالنون عَلَى بِنَاء فعالة ـ: مَوضِع بَين الشَّام وَبَين ديار بني عَامر. كَذَا ضَبطه أَبُو عبيد الْبكْرِيّ فِي «مُعْجَمه»، وَكَذَا الْحَازِمِي؛ فَإِنَّهُ قَالَ فِي كتاب «الْمُخْتَلف والمؤتلف فِي أَسمَاء الْأَمَاكِن»: بوان بِضَم الْبَاء. وَكَذَا النَّوَوِيّ فِي «مُخْتَصر المبهمات» قَالَ: بوانة، أَولهَا بَاء مُوَحدَة مَضْمُومَة، وَألف ثمَّ نون ثمَّ هَاء. وحكى ابْن الْأَثِير فِي «نهايته» ثمَّ الْمُنْذِرِيّ فتح الْبَاء أَيْضاً. قَالَ الْجَوْهَرِي فِي «صحاحه»: وَيُقَال: بوان. بِلَا هَاء، قَالَ ابْن الْأَثِير، ثمَّ الْمُنْذِرِيّ: وبوانة هضبة من وَرَاء يَنْبع قَرْيَة من سَاحل الْبَحْر. وَقَالَ الْبَغَوِيّ: بوانة أَسْفَل مَكَّة أَسْفَل يَلَمْلَم. البدر المنير (٩/ ٥١٩).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): روى البيهقي وغيره عن ابن عباس ﷺ قال: أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال: إني نذرت أن أذبح ببوانة، فقال: «**في قلبك من الجاهلية شيء؟**»، قال: لا. قال: «**أَفِ ما نذرت له**». فأمره أن يوفي الله ما نذر لله بعد أن سأله: «**هل كان هناك شيء ما تعظمه الجاهلية؟**» لئلا يكون النذر به.

وفي الحديث الآخر سأله: «**هل في قلبك شيء من الجاهلية؟**»، لئلا يكون قصد تعظيم شيء مما لم يعظمه الله. فلما انتفى قصده الباطن والسبب الظاهر أمره أن يوفي ما كان الله خالصاً». نظرية العقد (٨).

﴿٣﴾ قال ابن الأعرابي: سمي العيد عيداً؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد. اهـ. لسان العرب (٣/ ٣١٨).

وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): العيد: اسم جنس يدخل فيه كل يوم أو مكان لهم فيه اجتماع، وكل عمل يحدثونه في هذه الأمكنة والأزمنة، فليس النهي عن خصوص أعيادهم، بل كل ما يعظمونه من الأوقات والأمكنة التي لا أصل لها في دين الإسلام، وما يحدثونه فيها من الأعمال يدخل في ذلك. وكذلك حريم العيد: وهو ما قبله وما بعده من الأيام التي يحدثون فيها أشياء لأجله، أو ما حوله من الأمكنة التي يحدث فيها أشياء لأجله، أو ما يحدث بسبب أعماله من الأعمال حكمها حكمه فلا يفعل شيء من ذلك، فإن بعض الناس قد يمتنع من إحداث أشياء =

رسول الله ﷺ: **أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**﴿١﴾، **ولا**

= في أيام عيدهم، كيوم الخميس والميلاد ويقول لعياله: إنما أصنع لكم هذا في الأسبوع، أو الشهر الآخر.اهـ.

وقال ابن رجب: لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيداً إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيداً وهو يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق، وهي أعياد العام، ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع، وما عدا ذلك فاتخاذه عيداً وموسماً بدعة لا أصل له في الشريعة، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٥)، لطائف المعارف (١٢٣).

📖 قرر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) أن من معصية الله: الذبح بأماكن أعياد المشركين ومحل أوثانهم، وبيّن ذلك من وجوه عديدة، **نذكر منها ما يلي**:

ـ أن قوله: «**فأوف بنذرك**»، تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء، وذلك يدل على أن الوصف هو سبب الحكم، فيكون سبب الأمر بالوفاء: وجود النذر خالياً من هذين الوصفين ـ يعني خلو المكان من أوثان الجاهلية وأعيادهم ـ، فيكون الوصفان مانعين من الوفاء.

ـ أنه عقب ذلك بقوله: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**»، ولولا اندراج الصورة المسؤول عنها في هذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط... فكان جوابه ﷺ فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا.

ـ إذا كان ﷺ قد نهى أن يذبح في مكان كان الكفار يعملون فيه عيداً، وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد، والسائل لا يتخذ المكان عيداً، بل يذبح فيه فقط، فقد ظهر أن ذلك سد للذريعة إلى بقاء شيء من أعيادهم، خشية أن يكون الذبح هناك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة، وذريعة إلى اتخاذها عيداً. اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٤١ ـ ٤٤٣) باختصار.

﴿١﴾ **الفرق بين النذر المشروع ونذر الشرك ونذر المعصية:**

ـ **النذر المشروع**: هو ما كان خالصاً لله تعالى، وكان صواباً صالحاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): والنذر الذي يجب الوفاء به لا بد فيه من الأصلين: أن يكون المنذور لله، وأن يكون طاعة لله ورسوله.اهـ. نظرية العقد (٢١، ٢٢).

ـ نذر الشرك: هو ما كان لغير الله تعالى؛ أي: ما فقد شرط الإخلاص لله تعالى؛ كالنذر للأصنام، والأولياء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن نذر لغير الله فهو مشرك؛ كمن صام لغير الله وسجد لغير الله...اهـ. منهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٤٤٠)، وانظر: التوضيح عن توحيد الخلاق (٢٨٢، ٢٨٣). =

فيما لا يملك ابن آدم»﴿١﴾. رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

أخرجه: أبو داود (٣٣١٣)، من طريق داود بن رشيد، عن شعيب بن إسحاق، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

صحّحه: ابن الملقن، وابن حجر، ومقبل بن هادي الوادعي﴿٢﴾.

إسناده على شرط الصحيحين: ابن تيمية، وإمام الدعوة، وسليمان بن عبد الله﴿٣﴾.

والحديث: شاذ﴿٤﴾؛ لأن أصله في الصحيحين دون ذكر سبب الحديث﴿٥﴾، ويدل على شذوذه:

= ـ **نذر المعصية:** هو ما خالف الشرع وليس بطاعة؛ كنذره ذبح نفسه أو ولده لله تعالى، أو نذره أن يشرب الخمر أو يقتل النفس المعصومه. قال شيخ الإسلام: وما نذر لله قد يكون طاعة، وقد يكون طاعة لله، وقد لا يكون طاعة، فلا يجب الوفاء إلا بما كان لله وكان طاعة. . .اهـ. نظرية العقد (٢٩).

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال الفوزان: إن فيه المنع من الذبح لله في المكان الذي كان فيه وثنٌ من أوثان الجاهلية أو فيه عيدٌ من أعيادهم ـ ولو بعد زواله ـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٠٥).

﴿٢﴾ البدر المنير (٩/ ٥٢٠)، التلخيص (٤/ ١٨٠).

﴿٣﴾ الاقتضاء (١/ ٤٣٦).

﴿٤﴾ قال ابن الملقن (٨٠٤هـ): ذكر ابْن دحْيَة فِي كتاب «الْآيَات الْبَينَات» هَذَا الحَدِيث من طَرِيق أَحْمد، وَفِيه زِيَادَة أنكرها، فعقب ذَلِك بِأَن قَالَ: هَذَا حَدِيث بَاطِل بِيَقِين إِذْ لم يَنْقُلهُ أحد من ثِقَات الْمُسلمين.اهـ. البدر المنير (٩/ ٥١٩).

﴿٥﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): تقدم التنبيه في باب من حلف بملة سوى الإسلام على الموضع الذي أخرج البخاري فيه التصريح بما يطابق الترجمة، وهو في حديث ثابت بن الضحاك بلفظ: «**وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك**»، وقد أخرجه الترمذي مقتصراً على هذا القدر من الحديث، وأخرج أبو داود سبب هذا الحديث مقتصراً عليه أيضاً، ولفظه: نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر =

١ ـ أن الوليد بن مسلم﴿١﴾، وأبا المغيرة، روياه عن الأوزاعي دون ذكر سبب الحديث﴿٢﴾.

٢ ـ أن علي بن المبارك، وهشام الدستوائي﴿٣﴾، ومعاوية بن سلام، ومعمر، وأبان بن يزيد، رووه عن يحيى بن أبي كثير دون ذكر سبب الحديث﴿٤﴾.

٣ ـ أن خالد الحذاء وأيوب روياه عن أبي قلابة دون ذكر سبب الحديث﴿٥﴾.

٤ ـ أن الإمام أحمد تكلم في رواية الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير﴿٦﴾.

= ببوانة. اهـ. فتح الباري (١١/ ٥٨٦). قال ابن رجب: فقلّ حديث تركاه إلا وله علة خفية. اهـ. رسالة في الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة (٢٤). قال الحاكم ـ فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة في كتابي الإمامين البخاري ومسلم لزم صاحب الحديث التنقير عن علته ومذاكرة أهل المعرفة به لتظهر علته. اهـ. معرفة علوم الحديث (٥٩).

﴿١﴾ قال مروان بن محمد: إذا كتبت حديث الأوزاعي عن الوليد بن مسلم فما تبالي من فاتك. تهذيب التهذيب (١١/ ١٣٤).

﴿٢﴾ رواية الوليد عند النسائي (٣٧٧١)، وابن حبان (٤٣٥٢)، ورواية أبي المغيرة عند النسائي (٣٨١٣).

﴿٣﴾ وقد قدم الإمام أحمد وابن معين وابن المديني وأبو زرعة وأبو حاتم هشام الدستوائي على الأوزاعي. شرح علل الترمذي (٢/ ٤٨٦)، معرفة الرواة المكثرين (٢٠٤).

﴿٤﴾ رواية علي بن المبارك عند البخاري (٦٠٣٧)، ورواية هشام الدستوائي عند أحمد (٤/ ٣٣) والترمذي (١٥٤٣)، ورواية معاوية بن سلام عند البخاري (٤١٧١) ومسلم (١١٠)، ورواية معمر عند الطبراني (١٣٣١)، ورواية أبان عند أحمد (٤/ ٣٣).

﴿٥﴾ رواية أيوب عند البخاري (٦٦٥٢)، ومسلم (١٧٧)، ورواية خالد الحذاء عند البخاري (١٣٦٣)، ومسلم (١٧٧).

﴿٦﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وتكلم الإمام أحمد في حديثه عن يحيى بن =

الخلاصة: الحديث شاذ؛ لكن جاء ما يشهد له لفظاً ومعنًى، فمن حيث اللفظ فقد جاء من حديث ميمونة بنت كردم[١]، وحديث ابن عباس[٢]، وعبد الله بن عمرو[٣]، ....

= أبي كثير خاصة، وقال: لم يكن حفظه جيداً فيخطئ فيه، وكان يروي عن يحيى بن أبي قلابة، عن أبي المهاجر، وإنما هو أبو المهلب. وذكر له حديث الأوزاعي، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ سئل: متى كنت نبياً؟» فأنكره وقال: هذا من خطأ الأوزاعي. وقال مهنا: سألت أحمد عن حديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير؟ قال أحمد: كان كتاب الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قد ضاع منه فكان يحدث عن يحيى بن أبي كثير حفظاً. شرح علل الترمذي لابن رجب (٢/ ٦٤٤). الثقات الذين ضعفوا في بعض شيوخهم (٦٥). وانظر: الفتح لابن رجب (٥/ ٣٣٧).

﴿١﴾ أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٦)، وأبو داود (٣٣١٤)، من حديث ميمونة بنت كردم، وهو حديث في إسناده اختلاف كما قال المنذري والمزي، وذكر البخاري بعضاً من الاختلاف في ترجمة يزيد بن مقسم. التاريخ الكبير (٨/ ٣٥٨)، تهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٣)، عون المعبود (٦/ ٩٣).

﴿٢﴾ أخرجه ابن ماجه (٢١٣٠)، والحاكم، والبيهقي (١٠/ ٨٣)، من طريق عبد الله بن رجاء، عن المسعودي، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال البوصيري: فيه المسعودي. واسمه عبد الله بن مسعود. اختلط بأخرة. قال ابن حبان: اختلط حديثه فلم يتميز واستحق الترك.اهـ.

﴿٣﴾ أخرجه أبو داود (٣٣١٢)، من طريق الحارث بن عبيد أبو قدامة، عن عبيد الله بن الأخنس، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. فيه ابن الأخنس، قال ابن حبان: يخطئ، فيه الحارث بن عبيد، ضعفه الجمهور، وقد خالفه يحيى القطان «النسائي (٣٧٩٢)»، فرواه عن ابن الأخنس، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده بلفظ: «**لا نذر ولا يمين فيما لا تملك، ولا في معصية ولا قطيعة رحم**»، بدون قصة النذر. وربما يكون ابن الأخنس أو الحارث بن عبيد سلك الجادة حيث رواه ابن جعفر المسند (٤/ ٦٤)، عن عمرو بن شعيب، عن ابنة كردمة، عن أبيها أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر ثلاثة من إبلي، فقال: «**إن كان على جمع من جمع الجاهلية، أو على عيد من أعياد** =

وامرأة﴿١﴾. وأما من حيث المعنى، فقد جاء ما يدل على النهي عن تعظيم ما يعظمه الكفار من مكان أو زمان على وجه معتاد؛ كنهيه ﷺ عن التشبه بالكفار﴿٢﴾، ونهيه ﷺ عن اللعب والمرح في يوم يعظمونه﴿٣﴾، ونهي عمر رضي الله عنه عن الدخول عليهم في أعيادهم من أجل الفرجة﴿٤﴾﴿٥﴾. فتبين مما سبق أن الشريعة نهت عن فعل أي عمل من أعمال الكفار التي تكون في عباداتهم أو أعيادهم، سواء كانت في الزمان أو المكان.

= **الجاهلية، أو على وثن فلا، وإن كان على غير ذلك فاقض نذرك»**. وتابع ابن جعفر ابن جريج «عبد الرزاق» (٨/ ٤٦٤) قال: سمعت عمرو بن شعيب يقول: جاء رجل إلى النبي ﷺ كان عليه نذر أن ينحر على بوانة...».

﴿١﴾ أخرجه أبو داود (٢١٠٤)، من طريق عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني إبراهيم بن ميسرة: «أن خالته أخبرته عن امرأة قالت هي مصدقة امرأة صدق قالت: بينا أبي في غزاة في الجاهلية...» وفيه خالة ابن ميسرة لم يعرفها ابن حجر. التقريب (٧٨١).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: موافقتهم في أعيادهم لا تجوز؛ لأنه موافقة لأهل الكتاب فيما ليس في ديننا، ولا عادة سلفنا، فيكون فيه مفسدة موافقتهم، وفي تركه مصلحة مخالفتهم، حتى لو كان موافقتهم في ذلك أمراً اتفاقياً، ليس مأخوذاً عنهم لكان المشروع لنا مخالفتهم.اهـ. بتصرف. اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٧٨).

﴿٣﴾ أخرجه: أبو داود (١١٣٤)، بإسناد صحيح كما قال ابن حجر، من طريق حماد عن حميد عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «**ما هذان اليومان**»؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر**».

﴿٤﴾ الاقتضاء (١/ ٥٠٥، ٥١١).

﴿٥﴾ رواه البيهقي، من طريق عن عمر قال: «إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم»، وإسناده صحيح كما قال ابن تيمية. الاقتضاء (١/ ٥١١).

مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾. **الثانية**: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة[١]. **الثالثة**: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة، ليزول الإشكال. **الرابعة**: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك. **الخامسة**: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به، إذا خلا من الموانع. **السادسة**: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية، ولو بعد زواله. **السابعة**: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم، ولو بعد زواله. **الثامنة**: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة؛ لأنه نذر معصية. **التاسعة**: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم، ولو لم يقصده[٢]. **العاشرة**: لا نذر في معصية. **الحادية عشرة**: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

۞ ۞ ۞

﴿١﴾ أي: لما كانت هذه الأرض مكان شرك، حرم أن يعمل الإنسان ما يشبه الشرك فيها لمشابهة المشركين. وكذا الطاعة تؤثر في الأرض، ولهذا، فإن المساجد أفضل من الأسواق، والقديم منها أفضل من الجديد. القول المفيد (١/ ٢٤١).

﴿٢﴾ انظر: منهاج التأسيس «لعبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن» (٢٤٢).



باب: من الشرك: النذر لغير الله

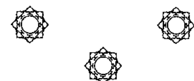
وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾. [الإنسان]

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه؛ ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر. الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله، فصرفه إلى غيره شرك. الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.







١٢ ـ باب: من الشرك: النذر لغير الله ﴿١﴾

....

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وقد نص غير واحد من العلماء على أن النذر لغير الله شرك. اهـ. التيسير (١٦٢هـ).

والمراد بالشرك: هو الأكبر، كما قال السعدي (١٣٧٦هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، والغنيمان؛ لأن النذر عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك. قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨هـ): فمن نذر لغير الله فهو مشرك، كمن صام لغير الله وسجد لغير الله. اهـ. وقال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ) في بيان وجه كون النذر لغير الله شرك: الناذر لله وحده علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركاً بالله؛ لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب فقد جعله شريكاً لله في العبادة، فيكون قد أثبت ما نفته «لا إلـٰه إلا الله» من إلـٰهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص. اهـ. قرة عيون الموحدين (١٤٨).

قال ابن القيم: إن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له. اهـ.

وقال إمام الدعوة في المسألة الثانية من مسائل الباب: وإذا ثبت كونه ـ النذر ـ عبادة لله، فصرفه إلى غيره شرك. اهـ. وصنيع المصنف يدل على أنه شرك أكبر حيث أنه بدأ بالشرك الأصغر، فذكر لبس الحلقة والتبرك بالحجر. ثم ذكر الشرك الأكبر فذكر الذبح والنذر لغير الله.

إغاثة اللهفان (١/ ٢١٢). الفتاوى (١/ ٢٨٦)، منهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٤٤٠)، القول السديد (٦٤)، حاشية ابن قاسم على الأصوال الثلاثة (٧٢)، التعليق المفيد (٨٧)، القول المفيد (١/ ٢٤٥)، إعانة المستفيد (١/ ٣٢٣)، التمهيد لشرح التوحيد (١٥٨). =

. . . .

= ـ جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن كلامه في مسألة النذر الشركي أن: ما نذر لغير الله فهو في منزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات. فتح المجيد (١/ ١٨٨، ١٨٩)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٤٤ ـ ٦٤٦).

فشغب خصوم الدعوة الإصلاحية، فزعموا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد خالف أسلافه كابن تيمية، وادّعوا أن النذر لغير الله ليس شركاً عند ابن تيمية، بدعوى أنه جعله كالحلف بغير الله.

انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٦٧ ـ ٢٨٢).

وهذا تلبيس ظاهر، بيانه فيما يأتي:

١ ـ أن ابن تيمية قد قرر في عدة مواطن أن النذر لغير الله تعالى شرك.

انظر: الفتاوى (١١/ ٥٠٤)، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ٤٤٠)، نظرية العقد (٢٨)، مختصر الفتاوى المصرية (٥٥٠).

٢ ـ أن النذر لغير الله ليس كالحلف بغير الله، إذ ليسوا سواءً، وقد فرّق شيخ الإسلام ابن تيمية بين النذر بغير الله، والحلف بغير الله، حيث قرر أن النذر التزام بالله، والناذر قصده التّقرب إلى المنذور له رجاء نفعه وخوف ضره، وأما اليمين فليس قصده فيها التّقرب إلى الله، وإنما قصده حضّ نفسه أو منعها، أو حضّ غيره أو منعه.

انظر: نظرية العقد (٢٥، ٣٠، ٧٥)، الدرر السنية (١٢/ ٩٢).

٣ ـ أن مقالة ابن تيمية أن النذر لغير الله بمنزلة أن يحلف بغير الله، فهذا من جهة اشتراكهما بالامتناع عن الوفاء، وانتفاء الكفارة، وهذا بيّن جليّ في العبارة التي تلي المقالة السابقة إذ يقول: والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوقات. ولذا قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ (ت١٢٩٣هـ): تشبيه النذر بالحلف من جهة الكفارة وعدمها، لا من جهة أخرى. اهـ. منهاج التأسيس (٢٤٤).

انظر: التعليق على فتح المجيد لعبد العزيز العبد اللطيف (١٥).

📖 **النذر لغة:** الوعد بخير أو شر. **واصطلاحاً:** هو إلزام المكلف نفسه طاعة غير لازمة، تعظيماً للمنذور له. كقول القائل: لفلان عليّ نذر، يريد التقرب إليهم. القاموس المحيط (٣/ ١٤٥)، فتح الحميد (٢/ ٦٥٣).

الفرق بين النذر المشروع والنذر الشركي ونذر المعصية: =

. . . .

= - **النذر المشروع**: هو ما كان خالصاً لله تعالى، وكان صواباً صالحاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): والنذر الذي يجب الوفاء به لا بد فيه من الأصلين: أن يكون المنذور لله، وأن يكون طاعة لله ورسوله. اهـ. نظرية العقد (٢١، ٢٢).

- **النذر الشركي**: هو ما كان لغير الله تعالى؛ أي: ما فقد شرط الإخلاص لله تعالى؛ كالنذر للأصنام، والأولياء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن نذر لغير الله فهو مشرك؛ كمن صام لغير الله وسجد لغير الله.. اهـ. منهاج السُّنَّة النبوية (٢/ ٤٤٠).

وانظر: التوضيح عن توحيد الخلاق (٢٨٢، ٢٨٣)، الدرر السنية (٧/ ٥١٦).

- **نذر المعصية**: هو ما خالف الشرع وليس بطاعة؛ كنذره ذبح نفسه أو ولده لله تعالى، أو نذره أن يشرب الخمر أو يقتل النفس المعصومة. قال شيخ الإسلام: وما نذر لله قد يكون طاعة، وقد يكون طاعة لله، وقد لا يكون طاعة، فلا يجب الوفاء إلا بما كان لله وكان طاعة... اهـ. نظرية العقد (٢٩). فتبين مما سبق الفرق بين النذر الشركي ونذر المعصية حيث إن النذر لغير الله ليس لله أصلاً، ونذر المعصية لله، ولكنه على معصية من معاصيه، مثل أن يقول: لله عليَّ نذر أن أفعل كذا وكذا من معاصي الله. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٥٨).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من الشرك الأكبر النذر لغير الله؛ لأن النذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): إن النذر قد يكون لله، وقد يكون لغير الله... فإن كان لغير الله فهذا شرك. اهـ. نظرية العقد (٣٠). قال ابن قاسم: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، يعني: وسيجازيكم عليه، فدل على أنه عبادة، فصرفه لغير الله شرك أكبر. اهـ. حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم (٧٢).

قال ابن باز (١٤٢٠هـ): إن دعاء الأموات والأصنام والأحجار والشجر وغيرها من المخلوقات، والاستغاثة بها أو الاستنصار بها، والذبح لها، والنذر لها، والطواف بها كل ذلك من الشرك الأكبر. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ٤٢٨).

علاقة الباب بالذبح لغير الله: لمَّا بيَّن في الباب السابق أن الذبح يُتقرب به المشركون لمعبوداتهم ليحققوا لهم ما يريدون، بيَّن المصنف في هذا الباب أن النذر مما يتقرب به المشركون لمعبوداتهم ليحققوا لهم ما يريدون.

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾﴿١﴾ ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾﴿٢﴾

﴿١﴾ الثناء جاء لنذر الطاعة ـ وهو أن يلزم المسلم نفسه أن يطيع الله بدون أن يشترط أن يحصل له شيء «نذر القرب» ـ وإليه ذهب ابن دقيق العيد (٧٠٢هـ)، وابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن حجر (٧٢٨هـ). قال شيخ الإسلام: وأما إذا نذر القرب، فالقرب يحبها الله ورسوله، وإنما نهى عن النذر لاعتقاد أنه يقضي حاجته، لا لكون المنذور مكروهاً. اهـ. جامع المسائل (١/ ٣٢٩). قال ابن حجر: وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ يؤخذ منه أن الوفاء به قربة للثناء على فاعله، لكن ذلك مخصوص بنذر الطاعة. وقد أخرج الطبري من طريق مجاهد في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾، قال: إذا نذروا في طاعة الله... وقد أخرج الطبري بسند صحيح، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ قال: كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة وما افترض عليهم فسماهم الله أبراراً، وهذا صريح في أن الثناء وقع في غير نذر المجازاة، وكأن البخاري رمز في الترجمة إلى الجمع بين الآية والحديث بذلك. اهـ.

وما جاء من النهي عن النذر، فالمقصود به نذر المجازاة ـ وهو المعلق على حصول شيء، كقول القائل: إن شفى الله مريضي فعليّ ذبح شاة ـ. قال ابن حجر: وجزم القرطبي في المفهم بحمل ما ورد في الأحاديث من النهي على نذر المجازاة فقال: هذا النهي محله أن يقول مثلاً: إن شفى الله مريضي فعليّ صدقة كذا، ووجه الكراهة أنه لما وقف فعل القربة المذكور على حصول الغرض المذكور ظهر أنه لم يتمحض له نية التقرب إلى الله تعالى لما صدر منه بل سلك فيها مسلك المعارضة، ويوضحه أنه لو لم يشف مريضه لم يتصدق بما علقه على شفائه، وهذه حالة البخيل فإنه لا يخرج من ماله شيئاً إلا بعوض عاجل يزيد على ما أخرج غالباً، وهذا المعنى هو المشار إليه في الحديث لقوله: وإنما يستخرج به من البخيل ما لم يكن البخيل يخرجه، قال: وقد ينضم إلى هذا اعتقاد جاهل يظن أن النذر يوجب حصول ذلك الغرض، أو أن الله يفعل معه ذلك الغرض لأجل ذلك النذر، وإليهما الإشارة بقوله في الحديث أيضاً: «**فإن النذر لا يرد من قدر الله شيئاً**»، والحالة الأولى تقارب الكفر، والثانية خطأ صريح، قلت: بل تقرب من الكفر أيضاً. اهـ. وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية، والطحاوي (٣٢١هـ) أن النذر المعلق «نذر المجازاة» ليس سبباً في حصول المقصود؛ وإنما السبب في حصول المقصود هو الدعاء والصدقة ونحو ذلك.

شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٩)، جامع المسائل (١/ ٣٢٩)، الفتح (١١/ ٥٧٨).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): ولو أعقب المؤلف هذه الآية بقوله تعالى: =

[الإنسان: ٦، ٧]﴿١﴾.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾﴿٢﴾ [البقرة: ٢٧٠]﴿٣﴾.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه؛ ومن نذر أن يعصي الله﴿٤﴾ فلا يعصه»﴿٥﴾.

= ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] لكان أوضح؛ لأن قوله: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ أمر، والأمر بوفائه يدل على أنه عبادة؛ لأن العبادة ما أمر به شرعاً.اهـ. القول المفيد (١/ ٢٤٦).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن عثيمين: وجه استدلال المؤلف بالآية على أن النذر لغير الله من الشرك: أن الله تعالى أثنى عليهم بذلك، وجعله من الأسباب التي بها يدخلون الجنة، ولا يكون سبباً يدخلون به الجنة إلا وهو عبادة، فيقتضي أن صرفه لغير الله شرك.اهـ. القول المفيد (١/ ٢٤٦).

﴿٢﴾ قال مجاهد: يُحصيه. وقال الزجاج: يجازى عليه. قال ابن كثير: يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده.اهـ. زاد المسير (١٦٥)، تفسير ابن كثير (٢٤٨).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن عثيمين: قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: تعليق الشيء بعلم الله دليل على أنه محل جزاء، إذ لا نعلم فائدة لهذا الإخبار بالعلم إلا لترتب الجزاء عليه، وترتب الجزاء عليه يدل على أنه من العبادة التي يجازي الإنسان عليها، وهذا وجه استدلال المؤلف بهذه الآية.اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢٤٦).

﴿٤﴾ النذر الذي يجب الوفاء به هو أن يكون لله وأن يكون طاعة لله تعالى، كما قال شيخ الإسلام، فإذا فقد الشرط الأول فهو نذر شركي، وإذا وجد الشرط الأول وفقد الشرط الثاني فهو نذر معصية. العقد «لابن تيمية» (٢١).

﴿٥﴾ رواه البخاري (٦٦٩٦)، من طريق طلحة بن عبد الملك، عن القاسم، عن عائشة رضي الله عنها.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه دل على أن النذر يكون طاعةً ويكون معصيةً، فدلّ على أنه عبادة؛ فمن نذر لغير الله فقد أشرك به في عبادته.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٠٨).

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر[١]. **الثانية**: إذا ثبت كونه عبادة لله، فصرفه إلى غيره شرك. **الثالثة**: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به[٢].

﴿١﴾ بالإجماع كما حكاه النووي. وقد نقل القرطبي وجوب الوفاء بنذر المجازاة «المقيد». شرح صحيح مسلم للنووي (١١/ ٥٧٩، ١٦/ ٨٨).

﴿٢﴾ بالإجماع كما حكاه ابن حجر. الفتح (١١/ ٥٨٧).



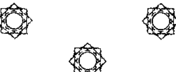
باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ⁽٦⁾﴾ [الجن].

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منْزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منْزله ذلك». رواه مسلم.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية الجن. الثانية: كونه من الشرك. الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك. الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره. الخامسة: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.







١٣ ـ باب: من الشرك﴿١﴾ الاستعاذة﴿٢﴾ بغير الله(*)

....

﴿١﴾ «من» تبعيضية. والمراد بالشرك: هو الشرك الأكبر، كما قال السعدي (١٣٧٦هـ)، وابن قاسم، وابن باز (١٤٢٠هـ). قال ابن باز: أي من الشرك الأكبر كبقية العبادات التي صرفها لغير الله شرك أكبر.اهـ.

التعليق المفيد (٨٩)، القول السديد (٦٤)، حاشية ابن قاسم (١١٠).

﴿٢﴾ **الاستعاذة لغة**: الالتجاء، والاعتصام، والتحرز. **واصطلاحاً**: قال ابن كثير: هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. والاستعاذة نوع من أنواع الدعاء، كما قال ابن تيمية؛ لكن الاستعاذة تكون لكشف الضر الحاضر؛ لقوله ﷺ: «**أعوذ بالله من شر ما أجد وأحاذر**» رواه مسلم. وتكون الاستعاذة لمنع ضرر يتوقع وقوعه، ويدل عليه قوله ﷺ: «**أعوذ بالله من جهنم**». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قول القائل: أعوذ بالله، معناه: أستجير بالله، والمستعيذ يطلب منع المستعاذ منه أو رفعه.اهـ.

أما الدعاء فهو أعم منه ويشمل حصول المنفعة ودفع المضرة.

الرد على البكري (٢٩٠)، بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٥)، تفسير الماوردي (٣/ ٢١٣)، لسان العرب (٣/ ٤٩٨)، التيسير (١٦٧).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن الاستعاذة بالله عبادة لله، وصرفها لغير الله شرك أكبر ينافي التوحيد. قال ابن قاسم: إن الاستعاذة بالله عبادة من أجلّ العبادات فصرفها لغير الله شرك أكبر.اهـ. حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم (٦٨).

علاقة الباب بالباب الذي قبله: لما ذكر المصنف في الباب السابق أن من الشرك الأكبر النذر لغير الله، ذكر المصنف في هذا الباب مثالاً آخر للشرك الأكبر وهو الاستعاذة بغير الله. وله مناسبة أخرى: وهي لما ذكر ما يقدم لمن يعبد من =

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾﴿١﴾ ....

= دون الله من التبرك والذبح والنذر، ذكر المصنف في هذا الباب ما يطلب ممن يعبد من دون الله.

التعليق المفيد (٨٩)، القول السديد (٦١)، التمهيد (١٦٦).

﴿١﴾ **حكم الاستعانة بالجن:**

أ ـ إذا كانت الاستعانة بهم في أمر محرم، فحكم الاستعانة بهم لا تجوز؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

ب ـ إذا كانت الاستعانة في الأمور المباحة والجائزة؛ ففيها قولان للعلماء:

القول الأول: الجواز، وقد نسب لشيخ الإسلام ابن تيمية، وبه قال ابن عثيمين. واستدلوا: بما رواه أحمد من رواية ابنه في فضائل الصحابة، من طريق الوليد بن مسلم، عن عمر بن محمد، عن سالم بن عبد الله قال: راث على أبي موسى رضي الله عنه خبر عمر رضي الله عنه ـ وهو أمير المؤمنين ـ وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه؛ فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة. ورواه ـ أيضاً ـ عن ابن يمان، عن الثوري، عن محمد بن عمر به.

القول الثاني: قال أحمد: ما أحب لأحد أن يفعله تركه أحب إلي.اهـ. وقال ابن تيمية: ليس من هدي السلف الاستعانة بالجن.اهـ. وذهب إلى التحريم محمد بن إبراهيم، وابن باز، وابن جبرين، والفوزان، والراجحي، واللجنة الدائمة للإفتاء. واستدلوا:

١ ـ أن من المحكم في الشريعة أنها حرصت على حمايتنا من الشيطان والجن وعدم القرب منهم.

٢ ـ بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾؛ أي: أن الاستعاذة بالجن مما يزيد الخوف منهم، ومن ثم يتلاعب بهم الجن. قال الحكمي: زاد الإنس الجن جرأة وشراً وطغياناً، وزادوهم الجن إخافة وخبلاً وكفراً.اهـ. وقال حمد بن عتيق وابن باز: وكلا المعنيين حق.

٣ ـ حرمة الاستمتاع بالجن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، قال شيخ الإسلام: وفي الجملة استمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس يشبه استمتاع الإنس بالإنس.اهـ. =

[الجن: ٦]﴿١﴾ .

= وأشار لهذا المعنى حفيد إمام الدعوة سليمان بن عبد الله. والآية تدل على المنع عموماً سواء كانت الاستعانة في الشرك الأكبر أو الأمور الأخرى. وقد جاء عن أبي حذيفة رضي الله عنه وغيره الاستدلال بالنصوص التي في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

٤ ـ أن الرسول ﷺ لم يأتِ عنه أنه استعان بالجن.

٥ ـ أن من سد ذرائع الشرك ترك الاستعانة بالجن. وقد جاء النهي عن الذبح عند القبر والصلاة عنده والبناء على القبر وعدم التميمة من القرآن؛ لأنها من وسائل الشرك. فالنهي عن الاستعانة أولى منها أو مثلها.

٦ ـ أن خدمة الجن للإنس من خصائص سليمان عليه السلام، لحديث السارية.

٧ ـ جهالة حالهم. قال النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «**صدقك وهو كذوب**».

وأجابوا عن أدلة القول الأول:

١ ـ أن سالم بن عبد الله لم يُذكر له سماع من أبي موسى رضي الله عنه. والوليد بن مسلم مدلس ولم يصرح بالتحديث. وابن يمان متكلم في روايته عن الثوري. قال أحمد: حدث عن الثوري بعجائب. اهـ.

٢ ـ أن الخبر ليس فيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد علم بفعل أبي موسى رضي الله عنه.

٣ ـ أن سؤال الجني من باب الخبر القابل للصدق والكذب وليس من باب الاستعانة والعون. وقد جاء ما يدل على المخاطبة الواضحة دون طلب شيء منهم، كمخاطبة النبي ﷺ للجن لما سألوه الزاد. قال ابن تيمية: وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه عن الجن كما يسمع المسلمون خبر ما يقوله الكفار والفجار فيعتبروا به، وكما يسمع خبر الفاسق ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا كذبه إلا ببينة. اهـ.

والجواب عن الذي نسب لشيخ الإسلام ابن تيمية: أن شيخ الإسلام ذكر ذلك من باب الواقع لا من باب الحكم. وقد شكك ابن باز في صحة نسبة جواز الاستعانة بالجن لشيخ الإسلام، وقال: إن صح فهو خطأ، وكل يؤخذ من قوله ويرد. ومما يؤكد عدم قوة ما نقل عن شيخ الإسلام أنه قال: ليس من هدي السلف الاستعانة بالجن. اهـ.

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال سليمان بن عبد الله (**١٢٣٣هـ**): ووجه الاستدلال بالآية على الترجمة أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين الرسول ﷺ وآمنوا به، ذكروا أشياء من الشرك كانوا يعتقدونها في الجاهلية، من جملتها الاستعاذة بغير الله. اهـ. التيسير (**٢٦٤**).

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نزل منْزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامّات**﴿١﴾ **من شر ما خلق**﴿٢﴾**، لم يضره شيء**﴿٣﴾ **حتى يرحل من منْزله ذلك»**﴿٤﴾. رواه مسلم﴿٥﴾.

﴿١﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): قوله: «**كلمات**» معناها أي: كلمات الله النافذة والكونية التي لا راد لها. وقال بعض السلف: المراد بالكلمات: الشرعية وكلمات القرآن؛ لأنها كلمات عظيمة شريفة وهي كلام الله. وكل هذا حق، وكلها وصف له سبحانه. فكلامه الكوني نافذ وكلامه الشرعي أفضل الكلام. وقال ابن عثيمين: والمراد بالكلمات هنا: الكلمات الكونية والشرعية.

شرح النووي (١٧/ ٣١)، التعليق المفيد (٩١)، القول المفيد (١/ ٢٥٣).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قوله: «**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»؛ أي: من شر الذي خلق؛ لأن الله خلق كل شيء: الخير والشر، ولكن الشر لا ينسب إليه؛ لأنه خلق الشر لحكمة، فعاد بهذه الحكمة خيراً، فكان خيراً. وعلى هذا نقول: الشر ليس في فعل الله، بل في مفعولاته؛ أي: مخلوقاته. وعلى هذا تكون «ما» موصولة لا غير؛ أي: من شر الذي خلق؛ لأنك لو أولتها إلى المصدرية وقلت: من شر خلقك، لكان الخلق هنا مصدراً يجوز أن يراد به الفعل، ويجوز أيضاً المفعول، لكن لو جعلتها اسماً موصولاً تعين أن يكون المراد بها المفعول، وهو المخلوق. اهـ. القول المفيد (١/ ٢٥٣).

﴿٣﴾ قال ابن باز: وقوله: «لم يضره شيء» نكرة في سياق النفي، فتعم كل شيء. وهذا يدل على فضلها، فينبغي العمل بها. اهـ. التعليق المفيد (٩١).

﴿٤﴾ قال ابن باز: وفيه توسل بصفات الله؛ وبهذا استدل السلف على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله. فدل الحديث على أن الكلام صفة من صفات الله، وجوّز التعوذ به لأنه غير مخلوق.

﴿٥﴾ مسلم (٦٨١٧)، من طريق الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الحارث بن يعقوب، أن يعقوب بن عبد الله حدثه، أنه سمع بسر بن سعيد يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعت خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه إرشاداً إلى الاستعاذة النافعة المشروعة بدلاً من الاستعاذة الشركية التي كان يستعملها المشركون. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١١١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن. **الثانية**: كونه من الشرك﴿١﴾. **الثالثة**: الاستدلال على ذلك بالحديث؛ لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة. قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك﴿٢﴾. **الرابعة**: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره﴿٣﴾. **الخامسة**: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك﴿٤﴾﴿٥﴾.

= قال صالح آل الشيخ: وجه الدلالة من الحديث: إجماع أهل السُّنَّة على الاستدلال به على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وأنه ما أمر بالاستعاذة بكلمات الله إلا لأن كلمات الله ـ جل وعلا ـ ليست بمخلوقة. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٧٣).

﴿١﴾ أي: الاستعاذة بغير الله. اهـ. القول المفيد (١/ ٢٥٧).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): استدل الإمام أحمد وغيره من أئمة السُّنَّة في جملة ما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات**» ونحو ذلك، وقالوا: الاستعاذة لا تحصل بالمخلوق. اهـ. الفتاوى (٨/ ١٢٧).

﴿٣﴾ قال القرطبي: هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات. التيسير (١/ ١٧٠).

﴿٤﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ليس كل سبب نال الإنسان حاجته يكون مشروعاً؛ بل ولا يكون مباحاً؛ وإنما يكون مشروعاً إذا غلبت مصلحته على مفسدته، أما إذا غلبت مفسدته فإنه لا يكون مشروعاً؛ بل محظوراً؛ وإن حصل به بعض الفائدة. من هذا تحريم السحر مع ما له من التأثير وقضاء بعض الحاجات. الفتاوى (٢٧/ ١٧٦).

﴿٥﴾ **حكم الاستعاذة بغير الله:**

أ ـ إن كانت الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فحكمها التحريم بالإجماع، وهي من الشرك الأكبر؛ لأن الاستعاذة عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك أكبر.

ب ـ إن كانت الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه؛ فقد اختلف فيها أهل العلم على قولين: =

. . . .

= **القول الأول**: عدم الجواز، وبه قال الإمام أحمد، وهو اختيار عبد الرحمٰن بن حسن. قال شيخ الإسلام: استدل الإمام أحمد وغيره من أئمة السُّنَّة في جملة ما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات**» ونحو ذلك وقالوا: الاستعاذة لا تحصل بالمخلوق. اهـ. الفتاوى (٨/ ١٢٧). واستدلوا بأن الاستعاذة عبادة، وصرفها لغير الله شرك.

القول الثاني: الجواز، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وبه قال سليمان بن عبد الله، وابن قاسم، وهو اختيار ابن باز، وابن عثيمين، ويسمونه بالاستجارة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الاستعانة منها ما لا يصح إلا لله وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾. اهـ. الرد على البكري (١/ ٤٢٢).

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وبما رواه مسلم (١٦٨٩)، من طريق جابر رضي الله عنه: أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتي بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها**» فقطعت.

وبما أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦)، من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعذ به**».

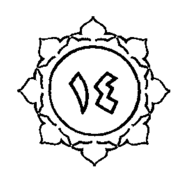
وبما أخرجه البخاري، من حديث أسامة في قتل الذي قال: لا إلـٰه إلا الله لما قال له النبي ﷺ: «**أقتلته بعد أن قالها؟**»، إنما قالها تعوذاً.

وبما أخرجه مسلم في قصة غلام أبي مسعود عندما استعاذ برسول الله لما ضربه سيده.

وبما رواه ابن أبي الدنيا «كتاب الصمت» (١/ ١٩٣)، عن النخعي أنه قال: كان يرخص أن يقول الرجل: أعوذ بالله ثم بك.

ومما يجب التنبه له على هذا القول أن الاستعاذة بالمخلوق تكون من باب فعل الأسباب وليس فيه اعتماد وتعلق بالقلب، أما إذا تعلق قلبه فإنه يكون فيه نوع شرك؛ لأن الالتفات للأسباب شرك، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

تفسير الماوردي (١/ ٤٢)، التيسير (١٦٨).



باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

وروى الطبراني بإسناده: «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص. الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر. الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين. الخامسة: تفسير الآية التي بعدها. السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفراً. السابعة: تفسير الآية الثالثة. الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه. التاسعة: تفسير الآية الرابعة. العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله. الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه. الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي، وعداوته له. الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو. الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة. الخامسة عشرة: هي سبب كونه أضل الناس. السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة. السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين. الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، والتأدب مع الله.

۞ ۞ ۞





الشَّرح

١٤ ـ باب: من الشرك﴿١﴾ أن يستغيث بغير الله﴿٢﴾ أو يدعو﴿٣﴾ غيره

. . . .

﴿١﴾ المراد به: الشرك الأكبر كما قال السعدي، وابن قاسم، وعبد الله بن حميد.

الاقتضاء (٢/ ٧٩٧)، الرد على البكري (٣٧١)، التيسير (١٦٧)، حاشية ابن قاسم (١١٣)، القول السديد (٦٤)، التعليق المفيد (٨٩، ٩١)، القول المفيد (١/ ٢٥٥، ٣٣٠).

﴿٢﴾ قوله: «أن يستغيث»: أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، وخبرها مقدم، وهو قوله: من الشرك، والتقدير: من الشرك الاستغاثة بغير الله. والاستغاثة، كما قال شيخ الإسلام: هي طلب الإغاثة والتخلص من الكربة والشدة. اهـ.

تاج العروس (٥/ ٢١٤)، الرد على البكري (٨٨)، الدر النضيد (٣)، القول المفيد (١/ ٢٦١).

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): الداعي يطلب أحد شيئين: إما حصول منفعة وإما دفع مضرة، فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء. اهـ. الرد على البكري (٢/ ٥٤٧). لكن هناك فرق بين الاستغاثة والدعاء.

قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥): بين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب أو السؤال من غير المستغيث. قرة عيون الموحدين (١٥٧).

وقال السعدي (١٣٧٦هـ): الفرق بين الدعاء والاستغاثة، أن الدعاء عام في =

....

= كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد. اهـ. القول السديد (٦٢).

وقال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): الفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، وأما الدعاء فهو أعم منها؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فعطف الدعاء كل الاستغاثة من عطف العام على الخاص، فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة. اهـ. حاشية ابن قاسم (١١٣).

📖 قال الفيومي (٧٧٠هـ): دعوت الله أدعوه: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير. اهـ. المصباح المنير (٢٣١).

قال الخطابي (٣٨٨هـ): ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه ﷻ العلنية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: ـ إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم. اهـ. وقال العجيلي: الدعاء هو النداء مع التذلل. اهـ. تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ١٧٤).

إذا ورد في القرآن الدعاء فإنه يشمل دعاء المسألة والعبادة إلا بقرينة، كما قال شيخ الإسلام وابن القيم. وذهب القسطلاني، والسهسواني إلى أن إطلاق الدعاء على دعاء المسألة حقيقي وعلى دعاء العبادة مجازي.

قال شيخ الإسلام: ليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه؛ بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً، فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع وقل ما يفطن له، وأكثر آيات القرآن دالة على المعنيين فصاعداً فهي من هذا القبيل. اهـ. وقرر شيخ الإسلام وسليمان بن عبد الله وعبد الرحمٰن بن حسن.

الفرق بين نوعي الدعاء:

١ ـ دعاء المسألة: طلب نفع ودفع ضر، بعكس العبادة فذل وخضوع تام.

٢ ـ أن دعاء المسألة من قبيل توحيد الربوبية، ودعاء العبادة من قبيل توحيد الألوهية.

٣ ـ دعاء المسألة لا يختص بالمؤمن، وأما دعاء العبادة فيختص بالمؤمن.

٤ ـ دعاء المسألة داخل في الرزق العام، فما من مخلوق إلا كتب رزقه، وشقي أو سعيد، وأما دعاء العبادة ليس كذلك. =

. . . .

= ٥ ـ دعاء المسألة يدخل في الحقائق الكونية، ودعاء العبادة في الحقائق الشرعية.

٦ ـ يجتمع الدعاءان في حق المؤمن، فهو يدعو الله دعاء مسألة ودعاء عبادة.

٧ ـ يجتمعان بأن دعاء العبادة والمسألة إذا توجه العبد بهما إلى الله، فلا بد وأن يكونا مقترنين بالرغبة والرهبة له سبحانه، كما قال الله تعالى ﷻ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾.

الفتاوى (١٥/ ١٠)، جلاء الأفهام (٢٥٤)، شأن الدعاء (٤)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٧٨)، التيسير (٢١٨)، فتح المجيد (١/ ٣٠١).

﴿١﴾ المراد بالدعاء في ترجمة الباب هو دعاء المسألة لا دعاء العبادة، كما قال سليمان بن عبد الله، وسليمان بن حمدان؛ لأن المشركين يزعمون أن العبادة هي مجرد الصلاة والصوم والحج من العبادات، أما الدعاء فليس بعبادة عندهم. التيسير (١٧١).

فأراد المصنف هنا أن يثبت أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك أكبر. وقرن المؤلف بين الدعاء والاستغاثة؛ ليبين أن الدعاء لا يصرف لغير الله لا في الرخاء ولا في الشدة؛ لأن الدعاء عبادة وصرفها لغيره شرك. قال ابن جبرين: جمع بين الاستغاثة والدعاء في هذا الباب لتداخلهما، فالاستغاثة الدعاء في حال الشدة، ومنه سمي الاستسقاء استغاثة، في قوله: «**اللَّهم أغثنا**»؛ لأن ذلك في وقت الشدة. وكذلك المؤمنون في غزوة بدر لما كان المشركون أكثر منهم عدداً وعدة فدعوا ربهم، فسمى الله دعاءهم استغاثة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾. اهـ. وربما يكون سبب قرن المؤلف بينهما هو استدلاله بما يقر به المشركون من أنهم في وقت الشدة يدعون الله، فكذلك في وقت الرخاء يجب أن يكون الدعاء لله فقط، قال إمام الدعوة في المسألة السابعة عشرة: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن الاستغاثة والدعاء عبادتان، وصرفهما لغير الله شرك ينافي التوحيد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): من استغاث بميت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد والكربات، ويطلب منه قضاء الحوائج، فيقول: يا سيدي الشيخ فلان! أنا في حسبك وجوارك.. فإن هذا ضال مشرك عاص لله باتفاق المسلمين، فإنهم متفقون على أن الميت لا يُدعى ولا يُطلب منه شيء. اهـ. جامع المسائل (٢/ ١٤٦). =

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[١] ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[٢] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ

= قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): والمراد بيان تحريم الاستغاثة بغير الله، أو دعاء غيره من الأموات والغائبين، وأنه من الشرك الأكبر. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١١٣).

قال ابن باز (١٤٢٠هـ): إن دعاء الأموات والأصنام والأحجار والشجر وغيرها من المخلوقات، والاستغاثة بها أو الاستنصار بها، والذبح لها، والنذر لها، والطواف بها كل ذلك من الشرك الأكبر. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ٤٢٨).

علاقة الباب بالباب الذي قبله: الباب السابق في بيان ما يناقض التوحيد، وهو الشرك الأكبر، وضرب له المؤلف مثلاً بالاستعاذة بغير الله، وفي هذا الباب ضرب المؤلف مثلاً آخر للشرك الأكبر المناقض للتوحيد وهو استغاثة ودعاء غير الله.

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وهذا القيد ليس شرطاً بحيث يكون له مفهوم، فيكون لك أن تدعو من ينفعك ويضرك، بل هو لبيان الواقع؛ لأن المدعو من دون الله لا يحصل منه نفع ولا ضرر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ ومن القيد الذي ليس بشرط، بل هو لبيان الواقع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، فإن قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لبيان الواقع، إذ ليس هناك رب ثانٍ لم يخلقنا والذين من قبلنا. وكل قيد يراد به بيان الواقع فإنه كالتعليل للحكم، فمثلاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾؛ أي: اعبدوه؛ لأنه خلقكم. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾؛ أي: لأنه لا ينفعك ولا يضرك، فعلى هذا لا يكون هذا القيد شرطاً، وهذه يسميها بعض الناس صفة كاشفة. اهـ. قال الناظم:

والأصل في القيد احتراز، ويقل   لغيره؛ ككشف تعليلٍ جُهل.

القول المفيد (١/ ٢٦٤).

﴿٢﴾ الظلم هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، بل هو أظلم الظلم، كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: **«أظلم الظلم أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**.

قال ابن عثيمين: وعبَّر الله بقوله: ﴿مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقل: من المشركين، =

إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴿١﴾ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧] ﴿٢﴾.

وقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴿٣﴾ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ ﴿٤﴾ [العنكبوت: ١٧] ﴿٥﴾.

= لأجل أن يبين أن الشرك ظلم؛ لأن كون الداعي لغير الله مشركاً أمر بيِّن، لكن كونه ظالماً قد لا يكون بيناً من الآية، التيسير (١٩٠)، القول المفيد (١/ ٢٦٤).

﴿١﴾ قوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ هنا قال: (يردك)، وفي الضر قال: (يمسسك)، فهل هذا من باب تنويع العبارة، أو هناك فرق معنوي؟ الجواب: هناك فرق معنوي، وهو أن الأشياء المكروهة لا تنسب إلى إرادة الله، بل تنسب إلى فعله؛ أي: مفعوله. فالمس من فعل الله، والضر من مفعولاته، فالله لا يريد الضر لذاته، بل يريده لغيره، لما يترتب عليه من الخير، ولما وراء ذلك من الحكم البالغة، وفي الحديث القدسي: «**إن من عبادي من لو أغنيته أفسده الغنى**». القول المفيد (١/ ٢٦٥). وأما الخير، فهو مراد الله لذاته، ومفعول له، ويقرب من هذا ما في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن].

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الآية للباب: أن فيها بيانَ استحقاق الله للعبادة بالدعاء ونحوه، وأن دعاء غيره شركٌ لأنه لا ينفع ولا يضر. إن فيها النهي عن دعاء غير الله وأنه شركٌ ينافي التوحيد.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١١٣).

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام: ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر؛ كأنه قال لا تبتغوا الرزق إلا عند الله.اهـ. رسالة العبودية (١٥). فتقديم المعمول يفيد الاختصاص؛ أي: اطلبوه من عند الله لا من غيره. وذكر المؤلف هذه الآية التي فيها النص على توحيد جهة طلب الرزق؛ لأن معظم حال المستغيثين إنما هي لطلب الرزق. التوضيح المفيد (٩١)، التمهيد (١٨٤).

﴿٤﴾ قوله: ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾: إذا أضاف الله الشكر له متعدياً باللام، فهو إشارة إلى الإخلاص؛ أي: واشكروا نعمة الله، فاللام هنا لإفادة الإخلاص؛ لأن الشاكر قد يشكر الله لبقاء النعمة، وهذا لا بأس به، ولكن كونه يشكر لله وتأتي إرادة بقاء النعمة تبعاً، هذا هو الأكمل والأفضل. القول المفيد (١/ ٢٦٨).

﴿٥﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن عثيمين: والشاهد من هذه الآية: =

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾[١] مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦][٢].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ[٣] وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٤] ....

= ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فالفقير يستغيث بالله لكي ينجيه من الفقر، والله هو الذي يستحق الشكر، وإذا كانت هذه الأصنام لا تملك الرزق، فكيف تستغيث بها؟ .اهـ. القول المفيد (١/ ٢٧٠).

وقال الشيخ صالح الفوزان: **مناسبة الآية للباب:** أن فيها وجوب إفراد الله بالدعاء والعبادة.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١١٦).

﴿١﴾ والاستفهام يراد به هنا النفي؛ أي: لا أحد أضل. وإذا كان الاستفهام مراداً به النفي كان أبلغ من النفي المجرد؛ لأنه يحوله من نفي إلى تحد؛ أي: بيِّن لي عن أحد أضل ممن يدعو من دون الله؟ فهو متضمن للتحدي، وهو أبلغ من قوله: «لا أضل ممن يدعو»؟ لأن هذا نفي مجرد، وذاك نفي مشرب معنى التحدي. القول المفيد (١/ ٢٧٠).

﴿٢﴾ **علاقة الآيتين بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الآيتين للباب: أن فيهما الحكمَ على من دعا غيرَ الله بأنه أضل الضالين، وأن الدعاء عبادةٌ، فمن صرفه لغير الله فهو مشرك. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١١٧).

﴿٣﴾ قال أبو عبد الله القرطبي (٦٦٧هـ): ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة، وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم، مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم.اهـ. تفسيرالقرطبي (١٣/ ٢٢٣).

﴿٤﴾ قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): إن الله احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة عليه.اهـ. حاشية ابن قاسم (١٥/ ٤). =

[النمل: ٦٢]﴿١﴾.

وروى الطبراني بإسناده: «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**»﴿٢﴾﴿٣﴾.

= وقال الشيخ صالح الفوزان: هذا استفهام من الله تعالى للمشركين، يقول: أنتم تشركون بالله ﷻ في حالة الرخاء، ولكن إذا وقعتم في الشدة والاضطرار دعوتم الله مخلصين له الدين فأنقذكم، فلماذا تُشركون به في حالة الرخاء؟ إعانة المستفيد (١/ ٣٥٧).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الآية للباب: أن فيها بطلان الاستغاثة بغير الله؛ لأنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء النازل ويحيي ويميت سواه. اهـ.

قال صالح آل الشيخ: إن دعاء المضطر إنما هي لله - جل وعلا - وحده، فقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ هذا في دعاء المسألة، وكشف السوء في قوله: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ تارة يكون بالاستغاثة، وتارة بغير ذلك؛ ولهذا يكون هذا القدر من الآية صالحاً لما ترجم به المؤلف من اللفظين: لفظ «الاستغاثة»، ولفظ «الدعاء». اهـ.

الملخص في شرح كتاب التوحيد (١١٩)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

﴿٢﴾ **للعلماء قولان في النفي:**

القول الأول: أن النفي من باب التأدب في اللفظ وليس من باب الممنوع معنى؛ لأن نفي الاستغاثة بالرسول ﷺ ليس على إطلاقه؛ بل تجوز فيما يقدر عليه، وبهذا قال إمام الدعوة، وسليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن، وظاهر قول ابن عثيمين.

القول الثاني: أن المنفي هو الاستغاثة الخاصة بالله، وهي فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية، والشوكاني.

الفتاوى (١/ ١١٠)، الرد على البكري (٢٠٣)، التيسير (١٩٣)، فتح المجيد (١/ ٣٢٣)، الدر النضيد (١٠)، القول المفيد (١/ ٢٧٩).

﴿٣﴾ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤٦)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال أبو بكر: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، =

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص. **الثانية**: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾. **الثالثة**: أن هذا هو الشرك الأكبر[١]. **الرابعة**: أن أصلح

= فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله ﷻ**»، وقال: رواه الطبراني. اهـ.

والحديث ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة، والراجح أنه ضعيف.

جاء الحديث عند أحمد (٥/ ٣١٧)، من طريق موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، أن رجلاً سمع عبادة بن الصامت يقول: خرج علينا رسول ﷺ، فقال أبو بكر ﷺ: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى**». قال الهيثمي: وفيه راوٍ لم يسمّ وابن لهيعة. اهـ.

والحديث ضعفه سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله. قال صالح آل الشيخ: في إسنادها بعض مقال في مثل هذا المقام: لا بأس به، بل فعلهم هذا صواب إذا كان ما في الحديث من المعنى قد عضدته الأدلة من القرآن ومن السُّنَّة، كما في هذا الحديث؛ فإن قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله**» قد دلت عليه الآيات التي سلفت، وهذا الذي درج عليه صنيع الراسخين في العلم من أهل الحديث، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلام له في الفتاوى؛ قال: أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول، بل إما في تأييده يعني: في تأييد ذلك الأصل أو في فرع من الفروع. وهذا هو صنيع الشيخ رحمه الله أيضاً في هذا الكتاب؛ فإنه يستدل بأحاديث هي من جهة المعنى الذي اشتملت عليه صحيحة ـ كما سبق إيضاحه ـ وقد ساق شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث مستدلاً به في رده على البكري المعروف بالاستغاثة، وقال: إن هذا الحديث هو معنى ما جاء في النصوص. اهـ.

التعليق المفيد (٩٣). التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

📖 **علاقة الحديث بالباب،** قال صالح الفوزان: مناسبة الحديث للباب: إن فيه إنكارَ النبي ﷺ الاستغاثة بغير الله. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٢٢).

[١] لقوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: المشركين. والظلم هنا =

الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين﴿١﴾. **الخامسة**: تفسير الآية التي بعدها. **السادسة**: كون ذلك لا ينفع في الدنيا، مع كونه كفراً﴿٢﴾. **السابعة**: تفسير الآية الثالثة. **الثامنة**: أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه. **التاسعة**: تفسير الآية الرابعة. **العاشرة**: أنه لا أضل ممن دعا غير الله. **الحادية عشرة**: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه. **الثانية عشرة**: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي، وعداوته له. **الثالثة عشرة**: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو﴿٣﴾. **الرابعة عشرة**: كفر المدعو بتلك العبادة. **الخامسة عشرة**: هي سبب كونه أضل الناس. **السادسة عشرة**: تفسير الآية الخامسة. **السابعة عشرة**: الأمر العجيب، وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين. **الثامنة عشرة**: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، والتأدب مع الله﴿٤﴾.

= هو الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. التوضيح المفيد «للدويش» (٩١). قال أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر: اتفق العلماء كلهم على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم، فقد كفر لأن هذا كفر عابدي الأصنام، قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. الدرر السنية (١/ ١٩٦).

﴿١﴾ لقوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿٢﴾ وهو كفر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون]. التوضيح المفيد (٩١).

﴿٣﴾ لقوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾. التوضيح المفيد (٩٢).

﴿٤﴾ حكم استغاثة ودعاء المخلوق:

أولاً: الاستغاثة:

أ ـ **إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله**، فطلبها شرك أكبر، وهو كافر بإجماع الأمة كما حكاه ابن تيمية؛ لأنه اتخاذ وسائط في جلب النفع ودفع الضر مما هو مختص بالله وحده. =

. . . .

= ب ـ **إذا كانت فيما يقدر عليه المخلوق**، فطلبها جائز بلا خلاف، كما حكاه الشوكاني والصنعاني. قال شيخ الإسلام بعد أن بيّن أن من الشرك الاستغاثة بالميت أو الغائب من البشر: ولكن إذا كان حيّاً حاضراً، وطلب منه ما يقدر من الدعاء ونحو ذلك، جاز، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يطلبون منه في حياته، وكما يُطلب منه الخير يومَ القيامة. هذا هو التوسل به والاستغاثة التي جاءت به الشريعة. اهـ. جامع المسائل (٢/ ١٤٦). وقال ـ أيضاً ـ: الاستغاثة بالمخلوق ليدعو للعبد أو ليعينه بما يقدر عليه ليس بممنوع منه، وإنما الممنوع أن يستغاث به فيما لا يقدر عليه وأن يقسم على الله به ولا سيما إذا كان المخلوق ميتاً أو غائباً، فلا يجوز أن يستغاث به فيما يقدر عليه حيّاً ولا فيما لا يقدر. عليه. اهـ. الرد على البكري (١/ ١٦٢).

وقد استدل بعض أهل العلم على جواز الاستغاثة بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، قال العلامة عبد الله بن عبد الله أبي بطين (ت١٢٨٢هـ): وأما قوله في الحديث الآخر: «**إنه لا يستغاث بي**» الحديث، فإن النبي ﷺ أراد بهذا الحماية لجناب التوحيد، وإن كانت الاستغاثة بالمخلوقين فيما يقدر عليه جائزة. . . وإذا عليك عدو ونخيت ـ استنصرت ـ على ربعك يعاونونك، فهذا استغاثة بهم، والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة. اهـ. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٥٠٠).

وقد تعقبهم شيخ الإسلام فقال: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ لا يقتضي أنه شرع لنا وجوباً ولا استحباباً مثل هذه الاستغاثة، بل ولا يقتضي الإباحة، فإن هذا الإسرائيلي ليس ممن يحتج بأفعاله. اهـ.

ثانياً: الدعاء:

فدعاء المخلوق شرك أكبر، سواء كان فيما يقدر عليه المخلوق أو كان فيما لا يقدر عليه إلا الله. قال العلامة ابن عثيمين: هل نقول في الدعاء كما قلنا في الاستغاثة؟ لا؛ لأن الدعاء كله عبادة؛ فالدعاء معنى خاص في الهيئة والكيفية، ويكون معه حب المدعو وتعظيمه والرغبة إليه، وإظهار الافتقار واعتقاد قدرته وإجابته على الإعطاء، بخلاف المستغيث فقد تستغيث بإنسان بدون أن يكون بقلبك محبة له وتعظيم. اهـ. فمن دعا غير الله فقد كفر بالإجماع، كما حكاه ابن تيمية.

مسألة: حكم من طلب الدعاء من الميت:

أ ـ **إذا دعاه أن يجلب له نفعاً أو يدفع عنه ضرراً**؛ فهذا مشرك شركاً أكبر =

. . . .

= بإجماع المسلمين، كما حكاه ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي.

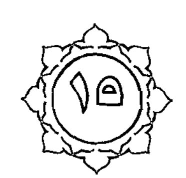
ب ـ **إذا طلب من الميت أن يدعو له**؛ ففعله محرم وبدعة بالإجماع، كما حكاه ابن تيمية. واختلفوا في فعله، هل هو شرك أكبر على قولين:

القول الأول: الألوسي، والسهسواني، وبكر أبو زيد، إلى أنه ليس شركاً أكبر؛ لأن طلب الدعاء من المخلوق ليس مما اختص به الله؛ لأنه يجوز طلب الدعاء من الحي؛ فلو كان طلب الدعاء مما اختص به الله لما جاز طلبه من الحي.

القول الثاني: ذهب عبد الرحمٰن بن حسن، وعبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن إلى أنه شرك أكبر؛ لأنه لم يطلب من الميت أن يدعو له إلا وهو يعتقد في صاحب القبر.

ـ نسب بعض أهل العلم لشيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا يرى طلب الدعاء من الميت شركاً، بناءً على ما نقل عنه أنه قال: إن طلب الدعاء من الميت بدعة. ويجاب عن ذلك أنه جاء عن شيخ الإسلام ما يدل على أنه يرى أن طلب الدعاء من الميت شرك، حيث قال: إذا كان النبي ﷺ قد نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصاً عند القبور لئلا يفضي ذلك إلى نوع من الشرك بربهم، فكيف إذا وجد ما هو عين الشرك من الرغبة إليهم سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله. اهـ. اقتضاء الصراط (١/ ٤٠٦).

الاقتضاء (٢/ ٧٨٠)، والمنهاج (٧/ ٢٠٥)، الفتاوى (١/ ١٢٤، ٣٣٠، ٢٧/ ٧٦)، الرد على البكري (١/ ١٤٦)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٦، ٣٦٩)، إغاثة اللهفان (١/ ٢١٨)، الفروع (٣/ ٥٥٣)، الصارم المنكي (٤٣٦)، الدر النضيد (٩)، تطهير الاعتقاد (٢١٨)، التوضيح عن توحيد الخلاق (١٢٩)، كشف ما ألقاه إبليس (١٣١)، مصباح الظلام (٢٥٨، ٣١٤)، الدرر السنية (١/ ٢٢٤، ٥٠، ٨٥، ٢/ ٢٣٨)، صيانة الإنسان (١٨٦، ٢٠٦)، تعليقات ابن باز على فتح الباري (٢/ ٤٩٥، ٥٧٥)، تصحيح الدعاء (٢٥١)، ضوابط التكفير «للقرني» (١٥٥).



باب: قول الله تعالى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

[الأعراف]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

وفي الصحيح عن أنس، قال: «شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحد، وكُسرت رَباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنَزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران]».

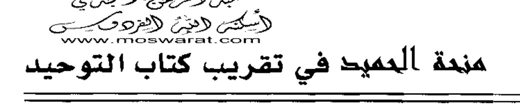
وفيه: عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ **أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللَّهم العن فلاناً وفلاناً، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾». **وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنَزلت:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾».

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه**، قال: «قام رسول الله ﷺ حين أنزل**

عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير الآيتين. الثانية: قصة أُحد. الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمِّنون في الصلاة. الرابعة: أن المدعو عليهم كفار. الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمِّهم. السادسة: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فتاب عليهم فآمنوا. الثامنة: القنوت في النوازل. التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم. العاشرة: لعن المعيَّن في القنوت. الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾. الثانية عشرة: جده ﷺ، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن. الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئاً» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً». فإذا صرح ـ وهو سيد المرسلين ـ بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين.





١٥ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف]﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): وفي الآية صفات هؤلاء المعبودين من الله وهي أربعة: **الأول**: أنهم لا يخلقون شيئاً. **الثاني**: أنهم مخلوقون مربوبون. **الثالث**: أنهم لا يستطيعون لهم نصراً. **الرابع**: أنهم لا ينصرون أنفسهم.اهـ.

قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٣٨٥هـ): إذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب الأولى، فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين، وهو كونهم عبيداً لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون معبوداً. الدليل الثاني: أنه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم، فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.اهـ. قرة عيون الموحدين (١٦٧)، التعليق المفيد (٩٥).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من دلائل وجوب العبادة لله والتوحيد وبطلان الشرك، أن الله له كمال الربوبية. وأن المخلوق بخلاف ذلك؛ لذا لا يستحق شيء من العبادة؛ لاتصافه بالنقص والعجز والحاجة.

بيّن شيخ الإسلام (٧٢٨هـ) أن توحيد الربوبية الذي يقتضي أنه سبحانه هو الذي يسأل ويدعى ويتوكل عليه، هو: سبب لتوحيد الإلٰهية ودليل عليه. كما يحتج به في القرآن على المشركين.اهـ. الفتاوى (١٤/ ٣٧٧).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): توحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلٰهية ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية، وكذلك كان عباد الأصنام يقرون به.اهـ. طريق الهجرتين (١٨٠).

قال السعدي (١٣٧٦هـ) مبيناً براهين التوحيد: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء =

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ⑬﴾[١] إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ⑭﴾ [فاطر: ١٣، ١٤][٢].

= والصفات من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحق العبادة سواه. وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله، فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة.. فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنه الحق، وعلى بطلان الشرك.. فنعوت الباري تعالى وصفات عظمته وتوحده في الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو. وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها في كل شؤونها، وأنه ليس لها من الكمال، إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها. اهـ. القول السديد (٦٥).

علاقته بالباب الذي قبله: لما ذكر المصنف فيما سبق أمثلة للشرك، شرع المصنف في هذا الباب بذكر أدلة تدل على بطلان الشرك وإثبات التوحيد وهي الاستدلال بربوبية الله، وكون المخلوق ليس له صفات الربوبية لنقصه وعجزه؛ فلذلك لا يستحق شيئاً من العبادة؛ ولو كان النبي ﷺ.

للرب حق ليس يشبه غيره ... ولعبده حق هما حقان
وكل من دعا معه أحد ... أشرك بالله ولو محمد

التيسير (٢٠٠)، فتح الحميد (٢/ ٧١٥)، القول السديد (٦٧)، حاشية ابن قاسم (١٢٥)، التعليق المفيد (٩٥)، القول السديد (٦٥)، التمهيد (١٩٤).

﴿١﴾ **القطمير**: هو لفافة النواة. قال ابن قاسم: «قطمير» نكرة في سياق النفي، ومع دخول «من» عليه من أبلغ النفي. اهـ. نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن لابن عُزيز السجستاني (٣٧٧). حاشية ابن قاسم (١١٨).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الآية للباب: أن فيها البرهان القاطع على بطلان الشرك والرد على المشركين. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٢٥). لأن الله سبحانه أخبر عن حال المدعوين من الملائكة =

وفي الصحيح عن أنس، قال: «شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحد، وكُسرت رَبَاعيته﴿١﴾، فقال: كيف يفلح قوم شجُّوا نبيهم؟ فنَزلت﴿٢﴾: ﴿لَيْسَ لَكَ﴿٣﴾ مِنَ ٱلْأَمْرِ﴿٤﴾ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»﴿٥﴾﴿٦﴾.

= والأنبياء وغيرهم بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك وسماع الدعاء، والقدرة على الاستجابة، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٨٨).

﴿١﴾ **شج**؛ الشج: ضرب الرأس خاصة وجرحه وشقه، ثم استعمل في غيره.
رباعيته: السن بين الثنية والناب من كل جانب اثنان. وقد رماه عتبة بن أبي وقاص فكسرت اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ولم يكسر رباعيته من أصلها بل ذهب منها فلقة. قال ابن حجر: ومجموع ما ذكر في الأخبار أنه شج في وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها ووهى منكبه من ضربة ابن قميئة وجحشت ركبته. اهـ.
الفتح (١١/ ٤٠٦)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار (٢/ ٢٨١، ٣/ ١٧٩).

﴿٢﴾ قوله: «فنزلت»: الفاء للسببية، وعليه، فيكون سبب نزول هذه الآية هذا الكلام: «**كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم؟**». القول المفيد (١/ ٢٩١).

﴿٣﴾ «اللام» هي لام الاستحقاق، أو لام الملك، والمعنى: لا تستحق يا محمد شيئاً، أو لا تملك شيئاً؛ أي: بذاتك؛ وإنما بما أمر الله. التمهيد (٢٠٣).

﴿٤﴾ «أل» للعهد؛ أي: أمر الربوبية. قال ابن عثيمين: قوله: ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ أي: الشأن، والمراد: شأن الخلق، فشأن الخلق إلى خالقهم، حتى النبي ﷺ ليس له فيهم شيء. اهـ. حاشية ابن قاسم (١١٩)، القول المفيد (١/ ٢٩٠).

﴿٥﴾ قال السعدي (١٣٧٦هـ): وفي هذه الآية ما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئاً وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول ﷺ ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى، ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال البعيد. اهـ. تفسير السعدي (١/ ١٤٦).

﴿٦﴾ البخاري معلقاً، دون قوله: «وكسرت رباعيته»، من طريق حميد =

وفيه: «عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللَّهم العن فلاناً وفلاناً، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله﴿١﴾: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾﴿٢﴾». وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾»﴿٣﴾﴿٤﴾.

= وثابت، عن أنس رضي الله عنه، ووصله مسلم (١٧٩١)، من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه، والترمذي (٣٠٠٢)، وأحمد (٣/ ١٧٨)، من طريق هشيم، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه. وقال الترمذي: حسن صحيح.

علاقة الحديث بالباب، أن فيه دليلاً على بطلان الشرك بالأولياء والصالحين؛ لأنه إذا كان الرسول ﷺ لم يدفع عن نفسه الضر، وليس له من الأمر شيءٌ، فغيره من باب أولى. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٢٧).

﴿١﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وطريق الجمع بينه ـ حديث أنس ـ وبين حديث ابن عمر أنه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معاً. اهـ. وضعَّف ابن حجر أن تكون نزلت الآية في لعن النبي ﷺ لرعل وذكوان وعصية. الفتح (١٢/ ٤٢٣)، تحقيق التجريد للعجلي (١/ ١٨٢)، الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوادعي (٥٨)، الصحيح من أسباب النزول لعصام الحميدان (٩٥).

﴿٢﴾ البخاري (٤٠٦٩)، ومسلم (١٥٣٨)، من طريق الزهري، عن سالم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿٣﴾ البخاري (٤٠٧٠) معلقاً، من طريق حنظلة بن أبي سفيان، عن سالم قال: «كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان وسهل...»، ورواه أحمد (٢/ ٩٣)، والترمذي (٣٠٠٧)، من طريق عمر بن أبي حمزة، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما. والصواب طريق حنظلة بن أبي سفيان؛ لضعف ابن أبي حمزة حيث ضعفه أحمد وابن معين والنسائي. ولمخالفته لحنظلة وهو أوثق منه. ولتضعيف الترمذي للحديث حيث قال: حديث حسن غريب.

﴿٤﴾ **علاقة هذا الحديث بالباب**، قال ابن قاسم: ﷺ دعا في الصلاة، =

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، **قال:** «قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: **يا معشر قريش** ـ أو كلمة نحوها ـ **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة** رسول الله ﷺ، **لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين. **الثانية**: قصة أُحد. **الثالثة**: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمِّنون في الصلاة[٢]. **الرابعة**: أن المدعو عليهم كفار[٣]. **الخامسة**: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب

= وهو أشرف الخلق، وخلفه الصحابة يؤمنون على دعائه، وهم صفوة الخلق بعد الرسل، ومع ذلك أنزل الله هذه الآية، فلا يبقى في قلب أحد شيء من التعلق بغير الله عز وجل، فإن في هذا كله أكبر دلالة على أنه ﷺ لا يملك ولا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه، فبطل ما يعتقده فيه المشركون أنه ينفع دعاؤه بعد موته ﷺ أو دعاء أحد من سائر الأنبياء والصالحين بهذه البراهين. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٢٢).

﴿١﴾ البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦)، من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه أنه لا يجوز أن يطلب من الرسول ولا من غيره من باب أولى إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا. وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يُطلب إلا من الله، ففيه الرد على عبّاد القبور الذين يستغيثون بالأموات لتفريج الكربات. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٢٩).

﴿٢﴾ أراد المؤلف بهذه المسألة أن النبي ﷺ سيد المرسلين، وأصحابه سادات الأولياء، ومع هذا ما أنقذوا أنفسهم، فكيف ينقذون غيرهم. القول المفيد (١/ ٢٩٨).

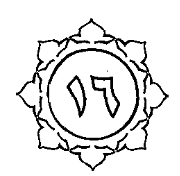
﴿٣﴾ تؤخذ من قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فهذا دليل على أنهم الآن =

الكفار، منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله. ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم. **السادسة**: أنزل الله عليه في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. **السابعة**: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فتاب عليهم فآمنوا. **الثامنة**: القنوت في النوازل﴿١﴾. **التاسعة**: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم. **العاشرة**: لعن المعيَّن في القنوت﴿٢﴾. **الحادية عشرة**: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾. **الثانية عشرة**: جده ﷺ، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن. **الثالثة عشرة**: قوله للأبعد والأقرب: «**لا أغني عنك من الله شيئاً**» حتى قال: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً**». فإذا صرح ـ وهو سيد المرسلين ـ بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين.

= ليسوا على حال مرضية، ومن المعلوم أن صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وقت الدعاء عليهم كانوا كفاراً. وهذه المسألة ـ أي: أن المدعو عليهم كفار ـ ترمي إلى أن الرسول ﷺ وإن كان يرى أنه دعا عليهم بحق، فقد قطع الله ﷻ أن يكون له من الأمر شيء؛ لأنه قد يقول قائل: إذا كانوا كفاراً، أليس يملك الرسول ﷺ أن يدعو عليهم؟ نقول: حتى في هذه الحال لا يملك من أمرهم شيئاً، هذا وجه قول المؤلف أن المدعو عليهم كفار، وليس مراده الإعلام بكفرهم؛ لأن هذا معلوم لا يستحق أن يعنون له، بل المراد في هذه الحال التي كان فيها هؤلاء كفاراً لم يملك النبي شيئاً بالنسبة إليهم. القول المفيد (١/ ٢٩٨).

﴿١﴾ وهو قول الجمهور خلافاً للمالكية. قال الشيخ ابن عثيمين: وظاهر السُّنَّة أن القنوت إنما يشرع في النوازل. اهـ. القول المفيد (١/ ٣٠٠).

﴿٢﴾ قال الشيخ ابن عثيمين (١٤٢١هـ): هذا غريب، فإن أراد المؤلف رحمه الله، أن هذا أمر وقع، ثم نهي عنه، فلا إشكال، وإن أراد أنه يستفاد من هذا جواز لعن المعين في القنوت أبداً، فهذا فيه نظر لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك. اهـ. (١/ ٣٠٣).



باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فيسمعها مسترق السمع ـ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض (وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه) ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السمٰوات منه رجفة ـ أو قال: رعدة ـ شديدة خوفاً من الله؛ فإذا سمع ذلك أهل السمٰوات صعقوا، وخروا لله سجداً. فيكون أول من يرفع

رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير الآية. **الثانية**: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب. **الثالثة**. تفسير قوله: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾. **الرابعة**: سبب سؤالهم عن ذلك. **الخامسة**: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا». **السادسة**: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبرائيل. **السابعة**: أنه يقول لأهل السمٰوات كلهم لأنهم يسألونه. **الثامنة**: أن الغشي يعم أهل السمٰوات كلهم. **التاسعة**: ارتجاف السمٰوات بكلام الله. **العاشرة**: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله. **الحادية عشرة**: ذكر استراق الشياطين. **الثانية عشرة**: صفة ركوب بعضهم بعضاً. **الثالثة عشرة**: إرسال الشهاب. **الرابعة عشرة**: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه. **الخامسة عشرة**: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان. **السادسة عشرة**: كونه يكذب معها مائة كذبة. **السابعة عشرة**: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. **الثامنة عشرة**: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون

بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟. التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها. العشرون: إثبات الصفات، خلافاً للأشعرية المعطلة. الحادية والعشرون: أن تلك الرجفة والغشي كانا خوفاً من الله. الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجداً.

۞ ۞ ۞





١٦ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[١] قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣][٢]

. . . .

﴿١﴾ أي: جُلِّيَ الفزع عن قلوبهم. قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): وهذا كما يقال قرد البعير إذا أزال عنه القراد، ويقال: تحرَّج وتحوَّب وتأثم وتحنث: إذا أزال عنه الحرج والحوب والإثم والحنث، قال ابن عثيمين: قوله تعالى: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، قال ذلك ولم يقل: «فزعت قلوبهم»؛ إذ «عن» تفيد المجاوزة، والمعنى: جاوز الفزع قلوبهم؛ أي: أزيل الفزع عن قلوبهم. والفزع: الخوف المفاجئ؛ لأن الخوف المستمر لا يسمى فزعاً. وأصله: النهوض من الخوف. اهـ. وذهب ابن جرير الطبري وابن كثير وإمام الدعوة وابن باز، وابن عثيمين إلى أن المراد بالذين فزع عن قلوبهم هم الملائكة. قال ابن كثير: وقد اختار ابن جرير القول الأول: إن الضمير عائد على الملائكة، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار. اهـ.

وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله تعالى: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة. اهـ. وقال ابن كثير: وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار. انتهى.

وسبب هذا الفزع من الملائكة هو ما قاله الإمام أحمد: إن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي بين عيسى ومحمد ﷺ وبينهما ستمائة سنة، فلما أوحى الله جل ثناؤه إلى محمد ﷺ سمع الملائكة صوت الوحي كوقع الحديد على الصفاء، وظنوا أنه أمر من أمر الساعة، ففزعوا وخروا لوجوههم سجداً. اهـ.

نزهة القلوب (٣٦٠)، زاد المسير (١١٤٩)، الرد على المنطقيين «لابن تيمية» (١/ ٥٣٣)، تفسير ابن كثير (٣/ ٦٤٧)، التعليق المفيد (٩٩)، القول المفيد (١/ ٣٠٦).

﴿٢﴾ ما زال المصنف يدلل على بطلان الشرك، وإثبات التوحيد، عن طريق إثبات كمال الرب وربوبيته ونقص الخلائق. إعانة المستفيد (١/ ٣٠٥). =

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان﴿١﴾﴿٢﴾ ينفذهم ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ

= 📖 علاقة الباب بكتاب التوحيد: أن من دلائل وجوب التوحيد والعبادة لله وبطلان الشرك؛ أن الله له الصفات العُلى. وبيان ذلك بأن الملائكة التي هي من أعظم المخلوقات تخضع لكبرياء وعظمة الله؛ لأكبر دليل على كمال الله وصفاته، وأنه المستحق للعبادة والتوحيد. قال سليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ): أراد المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله وأقربهم منه منزلة، فإذا كانت هذه هيبتهم وخوفهم من الله عند سماعهم لكلامه فكيف يُدعَون من دونه وهم لا يملكون شيئاً لمن دعاهم، وإذا كان لا يملكون شيئاً فغيرهم من الأنبياء والأولياء أولى أن لا يُدعى، ففيها ردٌّ على جميع فرق المشركين الذين يدعون من لا يداني الملائكة في صفة من صفاتهم، الدر النضيد (١١٠).

علاقته بالباب الذي قبله: لما ذكر المؤلف في الباب السابق دليلاً على بطلان الشرك وإثبات التوحيد وهو الاستدلال بربوبية الله، وأن المخلوق ليس له صفات الربوبية؛ فلا يستحق شيئاً من العبادة؛ ولو كان النبي ﷺ.

ذكر المؤلف في هذا الباب دليلاً آخر على بطلان الشرك وإثبات التوحيد، وهو كمال صفات الله من كبريائه وعظمته، وأن المخلوق لا يتصف بهذه الصفات؛ فلا يستحق شيئاً من العبادة؛ ولو كانوا الملائكة.

القول السديد (٧١)، القول المفيد (١/ ٣٠٦)، إعانة المستفيد (١/ ٣٠٥).

﴿١﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): فقوله: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع**» يدل على أنه يتكلم به حين يسمعونه، وذلك ينفي كونه أزليّاً، وأيضاً فما يكون كجر السلسلة على الصفا، ويكون شيئاً بعد شيء، والمسبوق بغيره لا يكون أزليّاً. اهـ. الفتاوى (٦/ ٢٣٤).

﴿٢﴾ الصفوان هو: الصخر الأملس، والسلسلة: حِلَقُ الحديد، يُدخَل بعضُها في بعض.

ـ قد اختلف أهل العلم في المراد بقوله: «كأنه سلسلة» فذهب:

١ ـ سليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن، وابن قاسم إلى أن الضمير في قوله: «كأنه سلسلة...» يعود على الصوت المسموع؛ أي: كأن الصوت المسموع سلسلةٌ على صفوان، ووجه الشبه: نفاذ الشيء وتتابعه، وهذا للتقريب، =

رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ **فيسمعها مسترق السمع** ـ ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض (وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه) ـ **فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء»**﴿١﴾﴿٢﴾.

= حيث أنه تشبيه للصوت من جهة نفاذه وتتابعه في الأسماع، قال ابن قدامة: هو تشبيه السماع بالسماع لا المسموع بالمسموع. وهذا كقول الرسول ﷺ لما سئل: «هل نرى ربنا؟ قال: **نعم، ترونه كما ترون القمر ليلة البدر ليس بينكم وبينه سحاب**»، فشبَّه الرؤية في وضوحها وجلائها برؤية القمر في وقت تمامه وكِبَره، قال الإمام أحمد: تكلم تبارك وتعالى بصوت، وهذه الأحاديث التي نرويها كما جاءت، وحديث ابن مسعود: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان**» والجهمية تنكره. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ معلقاً على مقالة الإمام أحمد: وهذا الصوت الذي تكلم الله به ليس هو الصوت المسموع من العبد، بل ذلك صوته كما هو معلوم لعامة الناس. اهـ.

الرد على الزنادقة والجهمية «للإمام أحمد» (٢٩)، والدرء (٢/ ٤٠)، التيسير (٣٤١)، فتح المجيد (١/ ١٨٥)، حاشية ابن قاسم (١٢٥).

٢ ـ وذهب ابن باز وابن عثيمين إلى أن المراد تشبيه ما يحصل للملائكة من الفزع عندما يسمعون كلام الله بفزع من يسمع سلسلة على صفوان. التعليق المفيد (٩٩)، القول المفيد (١/ ٣١٠).

٣ ـ وذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك الصوت هو رعدة السموات.

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الفوزان: إن فيه الرد على المشركين، فإنه إذا كان هذا حال الملائكة عند سماع كلام الله مع ما أعطاهم الله من القوة عُلم أنه لا يجوز صرف شيء من العبادة لهم، فكيف بمن دونهم؟ اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٣٨).

﴿٢﴾ البخاري (٤٧٠١)، من طريق سفيان، عن عمرو بن عكرمة، عن =

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السمٰوات منه رجفة ـ أو قال: رعدة ـ شديدة خوفاً من الله؛ فإذا سمع ذلك أهل السمٰوات صعقوا، وخروا لله سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله»[١][٢].

= أبي هريرة رضي الله عنه. وقد رواه أبو داود (٤٧٣٨)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٢٠٧)، من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان**»، وقد رواه مرفوعاً عن أبي معاوية أحمد بن شريح، وعلي بن إشكاب، وعلي بن مسلم، ورواه الحسن بن عبيد الله عن مسلم بن صبيح به مرفوعاً، ورواه أبي مالك عن مسروق به مرفوعاً. والراجح فيه الوقف، كما قال الخطيب؛ وذلك لأن أبا موسى وسلم بن جنادة والحسن بن محمد وحمزة السكري رووه عن أبي معاوية به موقوفاً، ورواه شعبة ووكيع وعبد الله بن نمير وجرير عن الأعمش به موقوفاً، ورواه منصور عن مسلم بن صبيح به موقوفاً. ويؤيد أن الموقوف هو الراجح أن البخاري رواه معلقاً عن ابن مسعود موقوفاً.

كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩)، تاريخ الخطيب (١١/ ٣٩٢)، الفتح لابن حجر (١٣/ ٣٥٢).

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الفوزان: إن فيه ما في النصوص قبله من بيان عظمة الله وخوف الملائكة والسماوات منه، ففيه الرد على من عبد غير الله.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٤٠).

﴿٢﴾ ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٠٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٢)، والطبراني «مسند الشاميين» (١/ ٣٣٦)، من طريق نعيم بن حماد، عن الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، عن عبد الله بن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه. والحديث ضعيف، كما قال أبو حاتم ودحيم =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية. **الثانية**: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب[1]. **الثالثة**: تفسير قوله: ﴿قَالُواْ

= والمعلمي؛ لأن نعيم بن حماد لين الحديث، وقد اتهمه الأزدي وابن عدي، وهو كثير الخطأ كما قال النسائي والدارقطني، وقد تفرد به. وهناك علة ذكرها الحافظ المزي في تهذيب الكمال (٩/ ١٥٢) في شيوخ رجاء وذكر منهم: النواس بن سمعان، وعقب بعدها بقوله: من وجه ضعيف. تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١/ ٦٢٢)، تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٧٦)، سؤالات الحاكم (٥٠٣)، الميزان (٤/ ٤٦٨)، التهذيب (٤/ ٢٣٥)، الفوائد المجموعة (٤٠٥)، التنكيل (ترجمة: ٢٥٨).

[1] قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بأمور أربعة:

«الأول» أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله، والذي لا يملك مثقال ذرة في السماوات والأرض لا ينفع ولا يضر، فهو تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده.

«الثاني» قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾؛ أي: في السماوات والأرض؛ أي: وما لهم شرك مثقال ذرة من السماوات والأرض.

«الثالث» قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾، والظهير المعين فليس لله معين من خلقه، بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلى ربهم فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم.

«الرابع» قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. وأخبر تعالى أن من اتخذ شفيعاً من دونه حرم شفاعة الشفعاء.اهـ.

قال ابن عثيمين: إن هذه الآية هي التي تقطع عروق الشرك من القلب؛ لأن الإنسان إذا عرف عظمة الرب سبحانه؛ حيث ترتجف السماوات ويصعق أهلها بمجرد تكلمه بالوحي؛ فكيف يمكن للإنسان أن يشرك بالله شيئاً مخلوقاً.

مدارج السالكين (١/ ٣٤١)، التيسير (٢٢٧)، قرة عيون الموحدين (١٧٨)، القول المفيد (١/ ٣٢٣).

﴿ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾. **الرابعة**: سبب سؤالهم عن ذلك. **الخامسة**: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا». **السادسة**: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبرائيل. **السابعة**: أنه يقول لأهل السمٰوات كلهم لأنهم يسألونه. **الثامنة**: أن الغشي يعم أهل السمٰوات كلهم. **التاسعة**: ارتجاف السمٰوات بكلام الله. **العاشرة**: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله. **الحادية عشرة**: ذكر استراق الشياطين. **الثانية عشرة**: صفة ركوب بعضهم بعضاً. **الثالثة عشرة**: إرسال الشهاب. **الرابعة عشرة**: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه. **الخامسة عشرة**: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان. **السادسة عشرة**: كونه يكذب معها مائة كذبة. **السابعة عشرة**: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. **الثامنة عشرة**: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟. **التاسعة عشرة**: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها. **العشرون**: إثبات الصفات، خلافاً للأشعرية المعطلة. **الحادية والعشرون**: أن تلك الرجفة والغشي كانا خوفاً من الله. **الثانية والعشرون**: أنهم يخرون لله سجداً.

١٧

باب: الشفاعة

وقــول الله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقــولــه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وقـولـه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله. ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ: «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده» (لا يبدأ بالشفاعة أولاً). ثم يقال له: «ارفع رأسك، وقل يُسمع،

وسل تُعط، واشفع تُشفَّع». وقال له أبو هريرة: «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال: لا إلٰه إلا الله خالصاً من قلبه»، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وبيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. اهـ. كلامه.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير الآيات. **الثانية**: صفة الشفاعة المنفية. **الثالثة**: صفة الشفاعة المثبتة. **الرابعة**: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود. **الخامسة**: صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد؛ فإذا أذن له شفع. **السادسة**: من أسعد الناس بها؟. **السابعة**: أنها لا تكون لمن أشرك بالله. **الثامنة**: بيان حقيقتها.




الشَّرح

١٧ ـ باب: الشفاعة ﴿١﴾

....

﴿١﴾ **الشفاعة لغة:** هي من الشفع الذي هو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع. **واصطلاحاً:** هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. والشفاعة هي: الدعاء. وطلب الشفاعة هو: طلب الدعاء، فإذا قال قائل: أستشفع برسول الله، فكأنه قال: أطلب من الرسول ﷺ أن يدعو لي عند الله. فالشفاعة طلب؛ فمن استشفع فقد طلب الشفاعة، والخلاصة: أن الشفاعة دعاء، وهي: طلب الدعاء أيضاً، وكل دليل ورد في الشرع على إبطال أن يدعى مع الله ـ جل وعلا ـ إلٰه آخر، فإنه يصلح أن يكون دليلاً على إبطال الاستشفاع بالموتى الذين غابوا عن دار التكليف؛ لأن حقيقة الشافع أنه طالب؛ ولأن حقيقة المستشفع أنه طالب أيضاً، فالشافع في ظن المستشفع يدعو، والمستشفع يدعو من أراد منه الشفاعة، يعني: إذا أتى آتٍ إلى قبر نبي، أو قبر ولي أو نحو ذلك، فقال: أستشفع بك، أو أسأل الشفاعة، فمعناه أنه طالب منه، ودعا أن يدعو له؛ فلهذا كان صرفها، أو التوجه بها إلى غير الله ـ جل وعلا ـ شركاً أكبر؛ لأنها في الحقيقة دعوة لغير الله، وسؤال من هذا الميت، وتوجه بالطلب والدعاء منه. وللشفاعة ثلاثة شروط: ١ ـ الإذن من الله. ٢ ـ رضا الله عن المشفوع له. والدليل على الشرطين: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه]. ٣ ـ أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في: فالظالمون هاهنا هم الكافرون. اهـ. الشعب (١/ ٢٠٥).

قال ابن كثير: أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير. اهـ.

وقال عبد اللطيف بن حسن بن عبد الرحمٰن (١٢٩٣هـ): قال تعالى: =

وقــــول الله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴿١﴾ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴿٢﴾ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾........

= ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف]، وأصح الأقوال في هذه الآية: أنَّ الاستثناء يرجع إلى المشفوع فيهم، وأن الشفاعة لا تكون لمن كان من أهل التوحيد، ومن معه أصل الإيمان المنافي للشرك ودعاء غير الله، ويستدل على هذا بحديث أبي هريرة ﷺ: قال: «قلت: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: **أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إلـٰه إلا الله خالصاً من قلبه**». اهـ.

مصباح الظلام (٥٥٦). التيسير (٢٢١)، القول المفيد (١/ ٣٣٠)، إعانة المستفيد (١/ ٤٢٨)، التمهيد (٢١٣).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن الشفاعة الشركية تنافي التوحيد؛ لأن شرك الشفاعة فيه تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق. الفتاوى (١١/ ٥٢٦).

علاقته بالباب السابق: قال السعدي: إنما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب؛ لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون، ولكن حيث إن لهم عند الله جاهاً عظيماً ومقامات عالية، ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم. اهـ.

القول السديد (٧٥)، إعانة المستفيد (١/ ٤٢٩)، التمهيد (٢١٢).

﴿١﴾ **الإنذار**: الإعلام مع التخويف. وبه: بالقرآن. والمعنى: أنذر يا محمد بالقرآن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. التعليق المفيد (١٠٣).

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٩٣هـ): وخصوا بذلك لأنهم هم المتقون بالإنذار، المتقون عذاب ذلك اليوم وعقابه، بخلاف من تعلق بالأولياء والشفعاء، واعتمد عليهم في نجاته، فإنه غير خائف ولا مُتَّقٍ؛ لسكون جأشه واطمئنان قلبه بوليه وشفيعه. اهـ. مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٣٠).

﴿٢﴾ قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): وإنما نفى الشفاعة لغيره مع أن الأنبياء والأولياء والشهداء والأطفال يشفعون في ذلك اليوم؛ لأنهم لا يشفعون إلا بإذنه تبارك وتعالى لمن ارتضى. فنفى سبحانه ما يزعم المشركون ويطلبون من آلهتهم التي يدعون من دون الله تعالى. =

[الأنعام: ٥١] ﴿١﴾.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ﴿٢﴾ جَمِيعًا﴾﴿٣﴾ [الزمر: ٤٤]﴿٤﴾.

وقوله: ﴿مَن ذَا﴿٥﴾ ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]﴿٦﴾.

= قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): نفى ﷻ عن المؤمنين أن يكون لهم ولي أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين، فمن اتخذ من دون الله شفيعاً فليس من المؤمنين، ولا تحصل له الشفاعة اهـ. التيسير (٣٥٩)، فتح الحميد (٢/ ٧٧٦).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** انظر الحاشية رقم (٦).

﴿٢﴾ قدم الخبر للحصر؛ أي: لله وحده الشفاعة كلها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): لا يملك مخلوق الشفاعة بحال، ولا يتصور أن يكون نبي فمن دونه مالكاً لها، بل هذا ممتنع، كما يمتنع أن يكون خالقاً وربّاً، وهذا كما قال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ فنفى الملك مطلقاً، ثم قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، فنفى نفع الشفاعة إلا لمن استثناه، لم يثبت أن مخلوقاً يملك الشفاعة، بل هو سبحانه له الملك وله الحمد، لا شريك له في الملك. اهـ. الفتاوى (١٤/ ٤٠٦).

﴿٣﴾ وهذه الآية لا يعارضها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾؛ لأن الاستثناء في الآية منقطع كما قال شيخ الإسلام. الفتاوى (١٤/ ٤٠١).

﴿٤﴾ **علاقة الآية بالباب،** انظر الحاشية رقم (٦).

﴿٥﴾ «من»: اسم استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه. «ذا»: هل تجعل ذا اسماً موصولاً كما قال ابن مالك في «الألفية»، أو لا تصح أن تكون اسماً موصولاً هنا لوجود الاسم الموصول «الذي» الثاني هو الأقرب، وإن كان بعض المعربين قال: يجوز أن تكون «الذي» توكيداً لها. والصحيح أن «ذا» هنا إما مركبة مع «من»، أو زائدة للتوكيد، وأياً كان الإعراب؛ فالمعنى: إنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذن الله. وسبق أن النفي إذا جاء في سياق الاستفهام؛ فإنه يكون مضمناً معنى التحدي؛ أي: إذا كان أحد يشفع بغير إذن الله فأتِ به. القول المفيد (١/ ٣٣٥).

﴿٦﴾ قال صالح آل الشيخ: بيَّن المصنف رحمه الله في الآيتين السابقتين =

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴿١﴾ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾﴿٢﴾ [النجم: ٢٦]﴿٣﴾.

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴿٤﴾ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾﴿٥﴾ ....

= أن الشفاعة لله وحده، وأنها منفية عن جميع الخلق بما في ذلك أهل التوحيد، ثم بيَّن في هذه الآية والتي بعدها أن الله يعطي هذه الشفاعة لأهل التوحيد بشرطين هما: أن يأذن للشافع أن يشفع، ورضاه عن الشافع والمشفوع له. التمهيد (٢١٥).

﴿١﴾ «شيئاً» نكرة في سياق النفي؛ أي: لا تغني أبداً إلا بشرطين: أن يأذن الله، وأن يرضى عن المشفوع له.

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب،** انظر الحاشية رقم (٦)، ص(٢٥٣).

﴿٣﴾ الشفاعة الشركية ممتنعة، ودليل ذلك قوله تعالى في سورة يونس: آية (١٨) ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٩٣هـ): فأما آية يونس، ففيها الإخبار بنفي ما ادعاه المشركون، وزعموه من وجود شفيع يشفع بدون إذنه ـ تبارك وتعالى ـ وأن هذا لا يعلم الله وجوده لا في السماوات ولا في الأرض، بل مجرد زعم وافتراء، وما لا يعلم وجوده مستحيل الوجود، منفي غاية النفي. فالآية رد على المشركين الذين تعلقوا بالشركاء والأنداد بقصد الشفاعة عند الله والتقرب إليه.

فالنفي واقع على ما اعتقدوه وظنوه من وجود شفيع يشفع وينفع، ويقرب إلى الله، وذلك الظن والاعتقاد وَهْمٌ وخيالٌ باطلٌ لا وجود له.اهـ. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٩٥).

﴿٤﴾ وقوله: ﴿مِن شِرْكٍ﴾: مبتدأ مؤخر دخلت عليه «من» الزائدة لفظاً، لكنها للتوكيد معنى، وكل زيادة لفظية في القرآن فهي زيادة في المعنى، وأتت «من» للمبالغة في النفي، وأنه ليس هناك شرك لا قليل ولا كثير. القول المفيد (١/ ٣٣٩).

﴿٥﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): إن المتعلقين بهؤلاء الذين يدعونهم من دون الله يتعلقون بهم لأربعة أشياء بيَّنها الله.. **الأول**: الملك: فيظنون أنهم يملكون شيئاً والله هو المالك وحده. **الثاني**: الشركة: فيظنون أنهم شركاء لله. **الثالث**: =

[سبأ: ٢٢ ـ ٢٣]﴿١﴾.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله. ولم يبق إلا الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ: «**أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده**» (لا يبدأ بالشفاعة أولاً). ثم يقال له: «**ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تُشفَّع**»﴿٢﴾.

وقال له أبو هريرة: «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **من قال لا إلـه إلا الله خالصاً من قلبه**»﴿٣﴾، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص،

= المظاهرة؛ أي: المساعدة والمعاونة مع الله تعالى وهو باطل. **الرابع**: الشفاعة: فيظنون أن آلهتهم تشفع لهم. التعليق المفيد (١٠٥).

﴿١﴾ قال صالح آل الشيخ: فالآيات التي سبقت من أول الباب إلى هنا رتبها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترتيباً موضوعياً؛ ووجه الاستدلال في الآية الأولى والثانية: أن الشفاعة ملك لله، وليس لأحد شيء من الشفاعة. فإذا كان لا يملك فمن يشفع إذاً؟ وكيف يشفع؟ الجواب: يشفع بأن يعطى الشفاعة، ويؤذن له بها، ويكرم بها. وسؤال آخر وهو: هل يشفع الشافع استقلالاً؟ وجوابه: أن الله تعالى نفى شفاعة الاستقلال، وأثبت الشفاعة بشرط، وهو شرط الإذن والرضا. إذا كان كذلك فمن الذي يؤذن له؟ ومن الذي يرضى له أن يشفع؟ ومن الذي يرضى عنه أن يشفع فيه، هذه ثلاثة أسئلة جوابها في كلام شيخ الإسلام. التمهيد (٢١٩).

﴿٢﴾ رواه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (٤٧٤)، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

﴿٣﴾ البخاري (٩٩)، وأحمد (٢/ ٣٧٣)، من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. قال ابن حجر: والمراد بهذه الشفاعة المسؤول عنها هنا بعض أنواع الشفاعة وهي التي يقول ﷺ: «أمتي أمتي»، فيقال له: أخرج من النار من في قلبه وزن كذا من الإيمان، فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكون إيمانه أكمل ممن دونه، وأما الشفاعة العظمى في الإراحة من كرب =

بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وبيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. اهـ. كلامه[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات. **الثانية**: صفة الشفاعة المنفية[٢]. **الثالثة**: صفة الشفاعة المثبتة[٣]. **الرابعة**: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود[٤]. **الخامسة**: صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد؛ فإذا أذن له شفع. **السادسة**: من أسعد الناس

= الموقف، فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة وهم الذين يدخلونها بغير حساب، ثم الذين يلونهم، وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يحاسب ويستحق العذاب، ثم من يصيبه لفح من النار ولا يسقط. اهـ. الفتح (١١/ ٤٤٣).

﴿١﴾ مجموع الفتاوى (٧/ ٧٨)، كتاب الإيمان الكبير (٧٦) باختصار، قال السعدي: وقد ذكر المصنف كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع وهو كافٍ شافٍ. اهـ. القول السديد (١/ ٧٦). الدرر السنية (١/ ١٩٧).

فهذه ثلاثة أصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها:

فالأول: أنه لا شفاعة إلا بإذنه.

والثاني: أنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله.

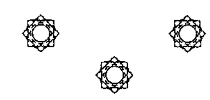
والثالث: أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله.

﴿٢﴾ هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. التوضيح المفيد (١٠٦).

﴿٣﴾ وهي التي تطلب من الله، وتكون بشرطين: إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له. التوضيح (١٠٦).

﴿٤﴾ وهي الشفاعة في أهل الموقف أن يقضى بينهم. وقول الشيخ: «وهي المقام المحمود»؛ أي: منه. القول المفيد (١/ ٣٤٦).

بها؟﴿١﴾. **السابعة**: أنها لا تكون لمن أشرك بالله﴿٢﴾. **الثامنة**: بيان حقيقتها﴿٣﴾.



﴿١﴾ هم أهل التوحيد وبحق الإخلاص من قال: لا إلـه إلا الله خالصاً من قلبه، ولا إلـه إلا الله معناه: لا معبود بحق إلا الله. القول المفيد (١/ ٣٤٧).

﴿٢﴾ لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر]، وغير ذلك مما نفى الله فيه الشفاعة للمشركين، ولقوله ﷺ: «**خالصاً من قلبه**». القول المفيد (١/ ٣٤٧).

﴿٣﴾ أن الله يتفضل على أهل الإخلاص؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود. التوضيح المفيد (١٠٦).



باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾ [القصص]

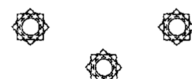
وفي الصحيح، عن ابن المسيب، عن أبيه قال: «لما حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال: يا عم، قل لا إلـٰه إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إلـٰه إلا الله. فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك. فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)﴾» [التوبة]. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾. **الثانية**: تفسير قوله: ﴿مَا

كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ **الثالثة**: وهي المسألة الكبيرة، تفسير قوله: «قل لا إلـٰه إلا الله»؛ بخلاف ما عليه من يدعي العلم. **الرابعة**: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: قل: «لا إلـٰه إلا الله»؛ فقبح الله مَن أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام. **الخامسة**: جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه. **السابعة**: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك. **الثامنة**: مضرة أصحاب السوء على الإنسان. **التاسعة**: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر. **العاشرة**: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال أبي جهل بذلك. **الحادية عشرة**: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته. **الثانية عشرة**: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.





الشرح

١٨ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ﴿١﴾ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿٢﴾(*)

....

﴿١﴾ في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، قولان: أحدهما: من أحببته لقرابته. والثاني: من أحببت هدايته، وبه قال ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، والبغوي (٥١٦هـ)، والواحدي (٤٦٨هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ)، والشنقيطي (١٣٩٣هـ).

تفسر ابن جرير (١٩/ ٥٩٨)، زاد المسير (١٠٦٨)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٣٦٦)، تفسير السعدي (٦٢٠)، القول المفيد (١/ ٣٤٩).

﴿٢﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): والمنفي ها هنا هداية التوفيق والقبول، فإن أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه.اهـ.

قرة عيون الموحدين (١٩٤)، تفسير السعدي (٦٢٠)، أضواء البيان (٦/ ١٥٤).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن المشرك لا يُشفع له، ولو كان الشافع له الأنبياء. قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، قال البيهقي (٤٥٨هـ): فالظالمون هاهنا هم الكافرون.اهـ. الشعب (١/ ٢٠٥).

قال ابن كثير (٧٧٤هـ): أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير.اهـ.

وقال عبد اللطيف بن حسن بن عبد الرحمٰن (١٢٩٣هـ): قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾، وأصح الأقوال في هذه الآية: أنَّ الاستثناء يرجع إلى المشفوع فيهم، وأن الشفاعة لا تكون =

وفي الصحيح﴿١﴾**، عن ابن المسيب، عن أبيه قال:** «لما حضرتْ أبا طالب الوفاة﴿٢﴾ جاءه رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية وأبو

= إلا لمن كان من أهل التوحيد، ومن معه أصل الإيمان المنافي للشرك ودعاء غير الله، ويستدل على هذا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: «قلت: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: **أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إلـٰه إلا الله خالصاً من قلبه**».اهـ. مصباح الظلام (٥٥٦).

وقال شيخ الإسلام: إن كل ما يدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء وغيرهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢] إلى قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، فلا تنفعه شفاعة ملك ولا نبي إلا بإذن الله كما قال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.اهـ. الرد على الأخنائي (٧٠).

علاقته بالباب السابق: لما بيَّن المصنف في الباب السابق أن الشفاعة لله وحده، ولا تكون إلا بعد الإذن للشافع والرضى عن المشفوع له، بيّن في هذا الباب أن النبي ﷺ والأولياء لا يملكون الشفاعة إلا إذا أُذن لهم ورُضِي عن المشفوع له.

قال عبد الله بن حميد: قصد المصنف رحمه الله، بهذه الترجمة الرد على من قال إن الأموات يتصرفون وينفعون، وأن الرسول ﷺ ينفع، هذا هو رأي الشارح ـ سليمان بن عبد الله ـ؛ ولكن الذي يظهر خلاف هذا، وأن المصنف ذكر هذه الترجمة عقب الترجمة التي قبلها؛ لأن الترجمة التي قبلها «باب الشفاعة» وسبق لنا أن الشفاعة حق، وأن الأنبياء والصالحين والأفراط يشفعون؛ لكن بشرط أن الشافع لا يشفع إلا بعد إذن الله له، ثم لا يأذن الله لأحد أن يشفع إلا لمن رضي الله قوله وفعله؛ فنبه المصنف بهذه الترجمة أن الرسول ﷺ حرص على الشفاعة لعمه بعدما يقول لا إلـٰه إلا الله، وحرص على هدايته ومع هذا مُنع ولم يستطع أن يشفع له؛ لأن الله لن يأذن له في ذلك؛ ولأن أبا طالب لم يكن ممن رضي الله قوله وعمله؛ بل هو من جملة المشركين، إذاً لا يشفع فيه لا نبي ولا غيره؛ وإنما يشفع الشافع لمن رضي الله قوله وعمله، هذا هو وجه ذكر هذه الترجمة بعد الترجمة التي قبلها.اهـ. التيسير (٢٣٨).

﴿١﴾ البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (١٣١)، من طريق الزهري، عن ابن المسيب به. قوله: «فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا فكان آخر ما قال: «لفظها في الصحيحين»، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم».

﴿٢﴾ أي: علامات الوفاة وأسبابها وليست الغرغرة، وبه يقول ابن مفلح، =

جهل، فقال: يا عم، قل لا إلـٰه إلا الله، **كلمة أحاجّ لك بها عند الله**﴿١﴾. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إلـٰه إلا الله. فقال النبي ﷺ: **لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**. فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾»﴿٢﴾. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]﴿٣﴾.

= وعبد الله بن حميد، وابن باز، وهو قول أكثر أهل العلم، ويدل عليه محاورة أبي طالب من عنده.

الآداب الشرعية (١/ ١٦٨)، التحرير والتنوير (٣/ ٤٤١).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قوله: «أحاج»: بضم الجيم وفتحها: فعلى ضم الجيم فهي صفة لكلمة، وإذا كانت بالفتح فهي مجزومة جواباً للأمر: «قل»؛ أي: قل أحاج، وقال بعض المعربين: إنها جواب لشرط مقدر؛ أي: إن تقل أحاج، والأول أسهل؛ لأن الأصل عدم التقدير، والمعنى: أذكرها حجة لك عند الله، وليس أخاصم وأجادل لك بها عند الله.اهـ. القول المفيد (١/ ٣٥٠).

﴿٢﴾ أبو طالب توفي في مكة بالاتفاق، كما حكاه ابن حجر، والآية مدنية، فكيف ذكر سبب النزول في هذا الحديث؟ والجواب: أن الآية نزلت بعد وفاة أبي طالب بمدة كما قال ابن حجر. ويجاب أيضاً: بأن من عادة الصحابة أنهم يعبرون لاستدلالهم بالآية إذا كانت مناسبة لحديث ما بنزول، فهم بدلاً من أن يقولوا أن هذا الحديث يدل له هذه الآية، يقولون إن هذا الحديث نزلت فيه هذه الآية.

الفتح (٨/ ٥٠٦)، البرهان (١/ ٣١)، شرح مقدمة التفسير «لابن عثيمين» (٤٨)، شرح مقدمة التفسير «للطيار» (١٣٦).

﴿٣﴾ قال الزجاج: أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب.اهـ. قال ابن حجر: لم تختلف النقلة في أنها نزلت في أبي طالب.اهـ. زاد المسير (١٠٦٨)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٣٦٦)، الفتح (٨/ ٥٠٦).

علاقة الحديث بالباب، أن النبي ﷺ لم يتمكن من الشفاعة لعمه أبي طالب؛ =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[١]. **الثانية**: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾. **الثالثة**: وهي المسألة الكبيرة، تفسير قوله: «قل لا إلـه إلا الله»؛ بخلاف ما عليه من يدعي العلم[٢]. **الرابعة**: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: قل: «**لا إلـه إلا الله**»؛ فقبح الله مَن أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام. **الخامسة**: جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه. **السادسة**: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه[٣]. **السابعة**: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك. **الثامنة**: مضرة أصحاب السوء على الإنسان. **التاسعة**: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر[٤]. **العاشرة**: الشبهة للمبطلين في ذلك؛ لاستدلال أبي جهل بذلك. **الحادية عشرة**: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم؛ لأنه لو قالها لنفعته. **الثانية عشرة**: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها،

= لأن عمه مات على الشرك، والله سبحانه لا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي عنه وهو صاحب التوحيد.

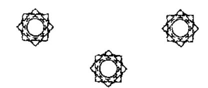
﴿١﴾ قال العجيلي (١٢٦٢هـ): هذه الآية من أشد الآيات على القدرية. تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (١/ ٢١٠).

﴿٢﴾ تفسيرها إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه؛ ولذلك لما فهم هذا كفار قريش لم يقولوها، بخلاف من بعدهم ممن يدعي العلم فإنهم لما خفي عليهم هذا صاروا يقولونها وهم متلبسون بالشرك لظنهم أنه لا ينافيها. التوضيح المفيد (١٠٩).

﴿٣﴾ أبو طالب مات كافراً. الفتاوى (٤/ ٣٢٦)، الفتح (٧/ ١٩٥).

﴿٤﴾ تعظيم ملة عبد المطلب كانت هي المانعة لأبي طالب عن دخول الإسلام. التوضيح المفيد (١٠٩).

مع مبالغته ﷺ وتكريره؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها[1].



[1] وهذه الشبهة هي تعظيم الأسلاف والأكابر. القول المفيد (١/ ٣٦١).



باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقـــول الله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله تعالى: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣] قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت». وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

وعن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه.

قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

ولمسلم عن ابن مسعود، أن رسول الله قال: «هلك المتنطعون ـ قالها ثلاثاً».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبيَّن له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب. الثانية: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين. الثالثة: أول شيء غيّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن الله أرسلهم. الرابعة: قبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها. الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره. السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح. السابعة: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد. الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر. التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل. العاشرة: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه. الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح. الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها. الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها. الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل

قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال. الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة. السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك. السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»، فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغ المبين. الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين. التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده. العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

۞ ۞ ۞





١٩ ـ باب: ما جاء أن سبب كفرِ بني آدم وتركِهم دينَهم هو﴿١﴾ الغلو في الصالحين﴿٢﴾﴿٣﴾

....

﴿١﴾ أتى المصنف في هذه الترجمة بضمير «هو» الذي يفيد الاختصاص؛ إذ لا سبب أخص في تغيير الأديان وعبادة الأوثان من الغلو في الصالحين، فبذلك يُضل الشيطان بني آدم عن عبادة الرحمٰن. فتح الحميد (٢/ ٨٤٥).

﴿٢﴾ الغلو: قال ابن حجر (٨٥٢هـ): هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد. اهـ. الفتح (١٣/ ٢٩١). وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): الغلو مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده، أو ذمه. اهـ. الاقتضاء (١/ ٢٩٣). والغلو في الصالحين، كما قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): الغلو: هو الإفراط في التعظيم، بالقول والاعتقاد؛ أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلة التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله. اهـ. فتح المجيد (١/ ٣٧١). قال السعدي (١٣٧٦هـ): هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيئاً. اهـ. القول السديد (٧٣). وقال ابن عثيمين: الغلو: هو مجاوزة الحد في الثناء مدحاً أو ذماً. وقد يشمل ما هو أكثر من ذلك أيضاً؛ فيقال: مجاوزة الحد في الثناء وفي التعبد وفي العمل. اهـ. القول المفيد (١/ ٣٦٢، ٣٧٣).

وانظر: الدرر السنية (١١/ ٢١٩).

﴿٣﴾ بهذا الباب سيشرع المصنف في بيان سبب ومنشأ وأصل حصول الشرك، حيث بدأ المصنف بهذا الباب في بيان أن أول ما اتخذت القبور كان بالغلو بأصحابها الصالحين، ثم بيّن بالباب الذي بعده أنهم لم يعبدوهم مباشرة، بل زين لهم الشيطان أن يجلسوا عندها؛ لكي يتقربوا لله عند رؤيتها. ثم بيَّن المصنف =

....

= عند ذكره باب: ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً، أن تعظيمهم للصالحين والعكوف عند قبورهم أدى بهم إلى البناء عليها وتزيينها.

قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين: أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون الشرك، وهو شرك قوم نوح، قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن نوحاً أول رسول بعث إلى أهل الأرض؛ ولهذا لم يذكر الله في القرآن قبله رسولاً فإن الشرك إنما ظهر في زمانه. الرد على المنطقيين (١/ ٢٨٥) اهـ. وقال في موضع آخر: وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان. اهـ. الفتاوى (٢٧/ ٧٩).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب: فتنة أنصاب القبور وهي أصل فتنة عبادة الأصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين. اهـ. إغاثة اللهفان (١/ ٢١٢).

وقال الشوكاني (١٢٥٠هـ): فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها بأبلغ زينة. اهـ. شرح الصدور بتحريم رفع القبور (١٣).

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): الغلو مطلقاً لا سيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم. التيسير (٢٤٤).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن الغلو في الصالحين يؤدي إلى الشرك.

قال ابن كثير (٧٧٤هـ): وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام. اهـ. البداية والنهاية (١٤/ ١٧٠).

وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): الغلو مطلقاً لا سيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً لقرب الشرك بالصالحين من النفوس فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم. التيسير (٢٤٤). وقال ابن باز (١٤٢٠هـ): بيَّن المؤلف سبب كفرهم وأغلبه هو الغلو في الصالحين، وهناك أسباب أخرى كالحسد والبغي. . اهـ. التعليق المفيد (١١٣). =

وقول الله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾﴿١﴾ ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾﴿٢﴾ ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]﴿٣﴾.

= ومما يؤيد المصنف ـ من أن الغلو في الصالحين يؤدي إلى عبادتهم ـ ما ذكره مصطفى صادق الرافعي (١٣٥٤هـ) عن شيخ رحالة يضرب في الأرض، بأنه حدثه أنه نزل بقبيلة في حدود الصين تنتحل الإسلام، فلما رأوه ينطق العربية ويقرأ القرآن وحدثهم أنه حج البيت وزار قبر النبي ﷺ أقبلوا عليه واحتفوا به وكادوا يعبدونه، ثم ذهبوا يتشاورون في إكرامه بما هو أهله. فلم يروا أكرم له عندهم من أن يذبحوه.. ثم يتخذوا عليه مسجداً، فيكون الشيخ دينهم إلى يوم الدين.اهـ. إعجاز القرآن (٩٠).

علاقته بالباب السابق: قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣): لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعض ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك، **أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذر**، وهو الغلو مطلقاً لا سيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم. التيسير (٢٤٤).

﴿١﴾ هذا للنصارى وكذلك اليهود؛ لكن النصارى أكثر غلواً. زاد المسير (٣٤٧)، تفسير ابن كثير، سورة النساء: الآية (١٧١)، التعليق المفيد (١١٣). قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): والخطاب ـ وإن كان لأهل الكتاب ـ فإنه عام يتناول جميع الأمة.اهـ. فتح المجيد (١/ ٣٧٣).

﴿٢﴾ «تغلو» فعل جاء في سياق النهي، فهو يعم جميع أنواع الغلو في الدين؛ أي: لا تغلو بأي نوع من أنواع الغلو في الدين، فيدخل في هذا عموم الغلو في الصالحين وغيرهم. قال ابن كثير (٧٧٤هـ): أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلٰهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلٰهاً من دون الله.اهـ. تفسير ابن كثير (٥١٩)، التمهيد (٢٤٠).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب،** أن الغلو في المسيح عيسى بن مريم سبب لتأليهه، قال ابن كثير (٧٧٤هـ): أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلٰهية، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلٰهاً من دون الله.اهـ. تفسير ابن كثير (٥١٩).

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله تعالى: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا[١] وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٢]، قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً[٣]، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا[٤]. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم[٥] عُبدت»[٦][٧]. وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف:

---

[١] لا: زائدة للتوكيد، مثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وفائدتها أنهم جعلوا مدخولها كالمستقل، بخلاف يعوق ونسر؛ فهما دون مرتبة من سبقهما. القول المفيد (١/ ٣٦٧).

[٢] هذه الخمسة كأن لها مزية على غيرها؛ لأن قوله: ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾ عام يشمل كل ما يعبدون، وكأنها كبار آلهتهم؛ فخصوها بالذكر. القول المفيد (١/ ٣٦٧).

[٣] قال ابن حجر (٧٥١هـ): وحكى الواقدي قال: كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة طائر، وهذا شاذ، والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر، وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها.اهـ. الفتح (١٤/ ٥٣).

[٤] وإن كان الإفراط في الصور قد أفضى إلى تأليهها وعبادتها، فهناك أنموذج آخر من هذا الانحراف، وهو عشق الصور وعبادتها، فقد عكف أقوام على مشاهدة الصور الفاتنة، والتلذذ بالنظر إليها، حتى أوقعهم ذلك في تأليه الصور وعشقها، «ولا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان، والله تعالى إنما ذكره في القرآن عن امرأة العزيز المشركة، وعن قوم لوط المشركين». الفتاوى (١٥/ ٢٩٣).

[٥] لفظه في البخاري: «وتنسخ العلم». قال ابن حجر: كذا لهم، ولأبي ذر والكشميهني «ونُسخ العلم أي علم تلك الصور بخصوصها».اهـ. البخاري (٤٩٢٠)، الفتح (١٤/ ٥٣).

[٦] هذا الأثر اختصره المصنف، ولفظ البخاري: «صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد، فأما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين في قوم نوح».

[٧] **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على أن =

«لما ماتوا عكفوا على قبورهم[١]، ثم صوَّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»[٢].

أخرجه: البخاري (٤٩٢٠)، من طريق هشام، عن ابن جريج، عن عطاء[٣]، عن ابن عباس رضي الله عنهما[٤].

ضعفه: يحيى بن سعيد القطان، وأبو مسعود الدمشقي.

= الغلو في الصالحين سببٌ لعبادتهم من دون الله. اهـ. قال صالح آل الشيخ: هذه الأفعال ـ عكفوا على قبورهم، أو صوروا صورهم، أو نصبوا الأنصاب في أماكنهم ليتذكروهم ـ التي فعلوها، كانت سبباً من أسباب عبادة أولئك الصالحين الذين غلوا في حبهم. وهذا هو مراد الشيخ رحمه الله من إيراد هذا الأثر.

الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٦١)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٤٤).

[١] قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ذكر ـ ابن القيم ـ عكوفهم على قبورهم قبل تصوير تماثيلهم، وذلك أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك، بل هو الشرك؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة، فإذا كان على القبور صار عكوفهم ـ تعظيماً ومحبة ـ عبادة لها، وقد تقدم أن العكوف هو البقاء والإقامة على الشيء في المكان عبادة وتعظيماً وتبركاً، كما كان المشركون يفعلون ذلك عند أصنامهم؛ لما يعتقدون فيها من البركة. حاشية ابن قاسم (١٥٠).

[٢] إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ١٨٤).

[٣] صنيع البخاري في الصحيح يدل على أنه عطاء بن أبي رباح وليس عطاء الخراساني؛ لأنه ذكر الخراساني في الضعفاء.

[٤] جاء عن ابن عباس عند قوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوح. رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٩٩)، من طريق أبي صالح كاتب الليث، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف للكلام في أبي صالح وابن أبي طلحة وعدم سماعه من ابن عباس. وجاء ـ أيضاً ـ عند عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٤٣)، من طريق معمر عن قتادة من قوله. وتابع معمراً سعيد عند ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٩٩).

وهذا الأثر معلول؛ لأمور:

١ ـ أن عطاء الراوي عن ابن عباس هو الخراساني، كما قال ابن المديني، والإسماعيلي، وأبو مسعود الدمشقي، وابن رجب[١].

٢ ـ أن ابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني؛ وإنما أخذه من ابن عطاء الخراساني، كما قال يحيى القطان[٢]، وأبو مسعود الدمشقي[٣]. وعثمان بن عطاء ضعيف؛ لكن ذكر العلماء أن عنده كتاباً في التفسير عن أبيه.

٣ ـ أن عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس، كما قال أحمد وأبو داود والإسماعيلي[٤].

٤ ـ النكارة في متنه[٥].

﴿١﴾ الفتح لابن رجب (١/ ١٨٤، ٢/ ٤٠٥)، الأوهام الواقعة في البخاري (١٨٩).

﴿٢﴾ قال علي بن المديني (٢٣٤هـ): سألت يحيى القطان (١٩٨هـ) عن أحاديث ابن جريج عن عطاء الخراساني، فقال: ضعيفة. فقلت ليحيى: إنه يقول أخبرنا؟ قال: لا شيء، كله ضعيف، إنما هو كتاب دفعه إليه.اهـ. تاريخ ابن أبي خيثمة (٣٦٦)، الفتح (٨/ ٦٦٧).

﴿٣﴾ الأوهام الواقعة في البخاري (١٨٩)، الأنوار الكاشفة للمعلمي (١٩٢).

﴿٤﴾ المراسيل لابن أبي حاتم (١٥٦)، تهذيب الكمال (٢٠/ ١٠٧)، تحفة التحصيل (٢٢٩)، جامع التحصيل (٢٣٨).

﴿٥﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قال ابن عباس ﵄ في هذه الآية: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح. وفي هذا التفسير إشكال، حيث قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، وظاهر القرآن أنها قبل نوح، قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [نوح: ٢١، ٢٣]؛ ظاهر الآية الكريمة: أن قوم نوح كانوا يعبدونها، ثم نهاهم نوح عن عبادتها، وأمرهم بعبادة الله وحده، ولكنهم أبوا =

وعن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني﴿١﴾ كما أطرت النصارى ابن مريم﴿٢﴾؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه﴿٣﴾.

= وقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، وهذا (أعني: القول بأنهم قبل نوح) قول محمد بن كعب ومحمد بن قيس، وهو الراجح لموافقته ظاهر القرآن ويحتمل ـ وهو بعيد ـ أن هذا في أول رسالة نوح، وأنه استجاب له هؤلاء الرجال وآمنوا به، ثم بعد ذلك ماتوا قبل نوح ثم عبدوهم، لكن هذا بعيد حتى من سياق الأثر عن ابن عباس، فالمهم أن تفسير الآية أن يقال: هذه أصنام في قوم نوح كانوا رجالاً صالحين، فطال على قومهم الأمد فعبدوهم. اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٦٧).
ومما يبين أن الشرك وقع قبل نوح ما رواه ابن جرير (٤/ ٢٧٥)، عند تفسير قول الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] بإسناد صحيح على شرط مسلم من طريق همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. قال: وذلك هي في قراءة عبد الله: (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا). قال ابن كثير لما أورد في تفسيره هذا الأثر عن ابن عباس وأورد عنه أثراً آخر بخلافه ثم قال: والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى؛ لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام، حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٩).

﴿١﴾ قال البغوي (٥١٦هـ): الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. اهـ. ونحوه قال ابن الأثير، وابن حجر.
شرح السُّنَّة (١٣/ ٢٤٦)، جامع الأصول (٤/ ٩٧، ٦/ ٥٦٥).

﴿٢﴾ اختلف في نوع الكاف في الحديث:
فقيل: إنها كاف المثلية؛ أي: لا تطروني بمثل ما أطرت النصارى ابن مريم، وهو أنه ابن الله، أما غير ذلك فيجوز، فالمراد نفي التشبيه المطلق؛ وهذا ما ذهب إليه المبتدعة.
وقيل: إنها كاف القياس؛ أي: لا تطروني بمثل ما أطرت النصارى ابن مريم أو دونه، فهي كاف التمثيل الناقص التي يكون ما بعده مشتركاً مع ما قبله في المعنى، فهو تشبيه الحدث بالحدث، لا النوع بالنوع، فالمراد نفي مطلق التشبيه، وهو الصواب. القول المفيد (١/ ٣٧٠)، التمهيد (٢٤٥).

﴿٣﴾ البخاري (٣٤٤٥)، من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، =

قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو﴿١﴾؛ فإنما أهلك﴿٢﴾ من كان قبلكم الغلو»﴿٣﴾.

أخرجه: أحمد (١/ ٢١٥)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٦٤)، من طريق عوف، عن زياد بن الحصين، عن أبي العالية، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

صححه: الحاكم، وابن خزيمة، وابن الجارود، وابن حبان، والضياء، وابن تيمية، وسليمان بن عبد الله، وابن باز﴿٤﴾.

= عن ابن عباس، أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر. والحديث لم يخرجه مسلم.

علاقة الحديث بالباب، قال الفوزان: إن الرسول ﷺ نهى عن الغلو في حقه بإعطائه شيئاً من خصائص الربوبية؛ مما يدل على تحريم الغلو، وأنه يفضي إلى الشرك كما أفضى بالنصارى في حق عيسى.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٦٣).

﴿١﴾ قوله: «والغلو»: معطوف على إياكم، وقد اضطرب فيه المعربون اضطراباً كثيراً، وأقرب ما قيل للصواب وأقله تكلفاً: أن (إياك) منصوبة بفعل أمر مقدر تقديره: إياك أُحَذِّر؛ أي: احذر نفسك أن تغرك، والغلو معطوف على إياك؛ أي: واحذر الغلو. القول المفيد (١/ ٣٧٢).

﴿٢﴾ قوله: «**أهلك**»: يحتمل معنيين:

الأول: أن المراد هلاك الدين، وعليه يكون الهلاك واقعاً مباشرة من الغلو؛ لأن مجرد الغلو هلاك.

الثاني: أنه هلاك الأجسام، وعليه يكون الغلو سبباً للهلاك؛ أي: إذا غلوا خرجوا عن طاعة الله فأهلكهم الله. القول المفيد (١/ ٣٧٣).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهي عن الغلو مطلقاً، وبيان أنه سببٌ للهلاك في الدنيا والآخرة، فيدخل فيه النهي عن الغلو في الصالحين من باب أولى؛ لأنه سبب للشرك.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٦٥).

﴿٤﴾ والحاكم (١/ ٦٣٧)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، وابن الجارود (٤٧٣)، وابن حبان (٣٨٧١)، والضياء (٢٢)، فيض القدير (٣/ ١٢٥)، التيسير (٢٥٣)، التعليق المفيد (١١٥).

والحديث معلول؛ لأمور:

١ ـ أن حديث الباب جاء فيه: «قال رسول الله ﷺ ـ غداة العقبة وهو على راحلته ـ: «**هات إِلقط لي**»، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: «**بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»، وعبد الله بن عباس عند الغداة لم يكن مع النبي ﷺ؛ لأنه كان قد قَدَّمَه النبي ﷺ مع الضعفة من الليل[١].

٢ ـ أن المعروف في الحديث أنه عن عبد الله بن عباس، عن الفضل بن عباس، في إرداف النبي ﷺ للفضل بن عباس عند رمي الجمرات[٢]، وليس فيه: «**إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**».

﴿١﴾ البخاري (١٦٧٧)، من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بعثني رسول الله ﷺ من جمع بليل. والبخاري (١٦٧٨)، ومسلم (١٢٩٣)، من طريق عبيد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس يقول: أنا ممن قدم النبي ﷺ. ليلة المزدلفة في ضعفة أهله. ومثله عند مسلم (١٢٩٣)، من طريق عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿٢﴾ البخاري (١٦٨٦)، من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أسامة رضي الله عنه كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، قال: فكلاهما قال: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة. ومسلم، من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أردف الفضل، فأخبر الفضل أنه لم يزل يلبي حتى رمى الجمرة. ومسلم (١٢٨٢)، من طريق أبي الزبير، عن أبي معبد مولى ابن عباس، عن ابن عباس، عن الفضل بن عباس، وكان رديف رسول الله ﷺ أنه قال في عشية عرفة وغداة جمع للناس حين دفعوا: عليكم بالسكينة وهو كاف ناقته حتى دخل محسراً، قال: عليكم بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة، وقال: لم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى رمى الجمرة. أبو داود (١٩٦٦)، من طريق سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أمه قالت: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة من بطن =

٣ ـ أن الحديث جاء عن جابر بن عبد الله[١]، وحرملة بن عمرو[٢]، وأم سليمان بن عمرو[٣]، وفيها رمى النبي ﷺ بحصى كالخذف وليس فيها: «**إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**».

٤ ـ ما فيه من إشكالات[٤].

= الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل خلفه يستره، فسألت عن الرجل، فقالوا: الفضل بن العباس، وازدحم الناس فقال: أيها الناس، لا يقتل بعضكم بعضاً، وإذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف. قال ابن حجر: رواه ـ حديث الباب ـ ابن حبان أيضاً والطبراني من حديث ابن عباس، عن الفضل بن عباس، قال الطبراني: رواه جماعة، عن عوف منهم سفيان الثوري فلم يقل أحد منهم: عن أخيه الفضل، إلا جعفر بن سليمان، ولا رواه عنه إلا عبد الرزاق. قلت: وروايته في نفس الأمر هي الصواب، فإن الفضل هو الذي كان مع النبي ﷺ.اهـ. ومما يقوي أن الحديث هو للفضل بن عباس ما قاله ابن معين: قال يحيى بن سعيد القطان في حديث عوف، عن أبي العالية، عن ابن عباس، عن الفضل قصة: اجمع لي حصى الخذف، قال يحيى بن معين: قال يحيى بن سعيد القطان: لم يكن عوف يدري هو عن الفضل بن عباس أو عن عبد الله بن عباس هكذا، قال عوف فيه بالشك.اهـ. قال البخاري (٢٥٦هـ): المستفيض عن ابن عباس أن النبي ﷺ أردف أسامة من عرفة إلى جمع، وكذلك قال أسامة.اهـ.

تاريخ ابن معين، رواية الدوري (٤/ ١٩٢)، التاريخ الأوسط (١/ ٤٠١)، التلخيص (٢/ ٢٦٣)، النكت الظراف «تحفة الأشراف (٤/ ٣٧٨)».

[١] مسلم (١٢٩٩).

[٢] أحمد (٤/ ٣٤٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٦١) وقال: ورجاله ثقات.

[٣] أبو داود (١٩٦٦).

[٤] أ ـ الاضطراب في إعراب كلمة «الغلو».

ب ـ نوع الحصر في قوله: «**فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» هل حقيقي أو إضافي؟ فإن قيل: إنه حقيقي؛ حصل إشكال، وهو أن هناك أحاديث أضاف النبي ﷺ الهلاك فيها إلى أعمال غير الغلو، مثل قوله ﷺ: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**»، فهنا حصران =

الخلاصة: قال عبد الله بن حميد: في سند هذا الحديث من تُكلم فيه، ولا ينافي أنه صحيح لوجود شواهد تؤيده؛ ولأن معناه أيضاً صحيح؛ لأن الحديث يعضده أحاديث صحيحة كقوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم...**»، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. اهـ.

ولمسلم عن ابن مسعود، أن رسول الله قال: «هلك المتنطعون»[١]

= متقابلان؛ فإذا قلنا: إنه حقيقي بمعنى أنه لا هلاك إلا بهذا حقيقة؛ صار بين الحديثين تناقض. وإن قيل: إن الحصر إضافي؛ أي: باعتبار عمل معين؛ فإنه لا يحصل تناقض بحيث يحمل كل منهما على جهة لا تعارض الحديث الآخر لئلا يكون في حديثه ﷺ تناقض، وحينئذ يكون الحصر إضافياً، فيقال: أهلك من كان قبلكم الغلو هذا الحصر باعتبار الغلو في التعبد في الحديث الأول، وفي الآخر يقال: أهلك من كان قبلكم باعتبار الحكم، فيهلك الناس إذا أقاموا الحد على الضعيف دون الشريف.

جـ - كلمة «الغلو» جاءت في النصوص بمعنى مجاوزة الحد في الثناء، لم يأتِ استعمال «الغلو» في العمل إلا في هذا الحديث، وهذا يدل على غرابة هذا الحديث وضعفه؛ لمخالفته للغة الشريعة.

المفردات (٦١٣)، مجمع بحار الأنوار (٤/ ٦٠)، المعجم المفهرس (٥٠٤)، القول المفيد (١/ ٣٧٣).

﴿١﴾ قال ابن الجوزي: التنطع: هو التعمق والغلو والتكلف لما لم يؤمر به. اهـ. وقال ابن رجب: المتنطع هو المتعمق البحاث عما لا يعنيه. اهـ. وقال ابن القيم: فالتعمق والتنطع مخالفة ما جاء به النبي ﷺ وتجاوزه والغلو فيه. اهـ. وقال سليمان بن عبد الله: وبالجملة، فالتنطع: التعمق في قول أو فعل. اهـ. والفرق بين التنطع والغلو والاجتهاد؟. اهـ. قال ابن عثيمين: الغلو مجاوزة الحد. والتنطع معناه: التشدق بالشيء والتعمق فيه، وهو من أنواع الغلو. أما الاجتهاد؛ فإنه بذل الجهد لإدراك الحق. اهـ.

معالم السنن (٤/ ٢٧٧)، غريب الحديث «لابن الجوزي» (٢/ ٤١٨)، كتاب الصلاة «لابن القيم» (١١٠)، جامع العلوم والحكم (٢/ ١٧١)، التيسير (٢٥٤). القول المفيد (١/ ٣٩١).

ـ قالها ثلاثاً ـ»﴿١﴾ .

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب﴿٢﴾ . **الثانية**: معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين. **الثالثة**: أول شيء غيِّر به دين الأنبياء، وما سبب ذلك؟ مع معرفة أن الله أرسلهم﴿٣﴾ . **الرابعة**: قَبول البدع، مع كون الشرائع والفطر تردها. **الخامسة**: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً﴿٤﴾ ، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره. **السادسة**: تفسير الآية التي في سورة نوح. **السابعة**: جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد. **الثامنة**: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر﴿٥﴾ . **التاسعة**: معرفة الشيطان بما تؤول

﴿١﴾ مسلم (٦٧٢٥)، من طريق طلق بن حبيب، عن الأحنف بن قيس، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨هـ): ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة: أن الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشرك بالله.اهـ. قال الفوزان: إن التنطع من الغلو المنهي عنه، ويدخل في ذلك التنطع في تعظيم الصالحين إلى الحد الذي يفضي إلى الشرك.اهـ. قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (٢٠٦).

﴿٢﴾ لكون أكثر الخلق جعلوا مثل هذا ـ الغلو في الصالحين، والعبادة عند قبورهم ـ هو أفضل الأعمال وكفَّروا من نهى. التوضيح المفيد (١١٤).

﴿٣﴾ أول شيء غيّر به دين الأنبياء هو الشرك، وسببه هو الغلو في الصالحين. القول المفيد (١/ ٣٧٩).

﴿٤﴾ وهو أن ينشطوا على العبادة. القول المفيد (١/ ٣٨٠).

﴿٥﴾ أي: أن الكفر الذي حصل في الأرض بسبب ما ابتدعه هؤلاء من تصوير صورهم والغلو فيهم. التوضيح المفيد (١١٥).

إليه البدعة، ولو حسن قصد الفاعل. **العاشرة**: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه. **الحادية عشرة**: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح﴿١﴾. **الثانية عشرة**: معرفة النهي عن التماثيل﴿٢﴾، والحكمة في إزالتها. **الثالثة عشرة**: معرفة شأن هذه القصة﴿٣﴾، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها﴿٤﴾. **الرابعة عشرة**، وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم، حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال﴿٥﴾. **الخامسة عشرة**: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا

﴿١﴾ لأنه صار سبباً لعبادة هؤلاء من دون الله. التوضيح المفيد (١١٥).

﴿٢﴾ الوثن: ما عُبد من دون الله مما ليس له صورة كالقبر والمشاهد والشجر والحجر والعمد والحيطان وغير ذلك، يدل عليه قوله ﷺ: «**اللَّهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد**»، وقوله ﷺ لعدي لما رأى في عنقه صليب من ذهب: «**ألق هذا الوثن**». والصنم: هو ما عبد من دون الله على شكل صورة إنسان أو حيوان. وقد يسمى الصنم وثناً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا﴾.

قال سليمان بن عبد الله: وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعني به الآخر، وأما مع الاقتران، فيفسر كل واحد بمعناه. اهـ.

التمهيد (٥/ ٤٥)، تاج العروس (٣٢/ ٥٢٥)، الفروق اللغوية (٣٢٣)، لسان العرب (١٢/ ٣٤٩)، مجمع بحار الأنوار (٤/ ١٢)، التيسير (٢٧٣)، القول السديد (٩٦)، القول المفيد (١/ ٢٣٦، ٤١٩)، إعانة المستفيد (١/ ٣١٠).

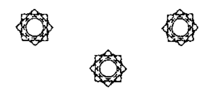
﴿٣﴾ أي: قصة هؤلاء الذين غلوا في الصالحين وغير الصالحين، لكن اعتقدوا فيهم الصلاح، حتى تدرج بهم الأمر إلى عبادتهم من دون الله. القول المفيد (١/ ٣٨٨).

﴿٤﴾ لئلا يجهلها الإنسان فيفعل كما فعلوا. التوضيح المفيد (١١٦).

﴿٥﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إن هؤلاء الغالين اعتقدوا أن المنهي عنه هو الكفر المبيح للدم والمال، وأما ما دونه من الغلو؛ فلا نهي فيه. اهـ. قال =

الشفاعة[١]. **السادسة عشرة:** ظنهم أن العلماء الذين صوَّروا الصور أرادوا ذلك[٢].

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»، فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغ المبين[٣]. **الثامنة عشرة:** نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين. **التاسعة عشرة:** التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده. **العشرون:** أن سبب فقد العلم موت العلماء.

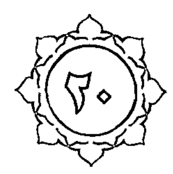


= الدويش: وجعلوا هذا الذي نهى الله ورسوله عنه هو أفضل الأعمال، وإذا نهاهم أحد عن هذا حكموا عليه بالكفر والخروج عن الإسلام، وقالوا: تنقصت الصالحين، «فما» في كلامه مصدرية؛ أي: اعتقدوا أن نهي الله ورسوله ﷺ، كما في بعض النسخ.اهـ. القول المفيد (١/ ٣٨٩)، التوضيح المفيد (١١٦).

[١] أي: ما أرادوا إلا الشفاعة، ومع ذلك وقعوا في الشرك. القول المفيد (١/ ٣٨٩).

[٢] أي: ظن الذين عبدوهم أن الذين قبلهم أرادوا الشفاعة، وهم لم يريدوها؛ وإنما فعلوا ذلك ليتذكروا أفعالهم، ويتنشطوا للعبادة. التوضيح المفيد (١١٦)، القول المفيد (١/ ٣٨٩).

[٣] أي: لا تمدحوني بالباطل ولا تتجاوزوا في مدحي فتعبدوني كما عبدت النصارى المسيح. التوضيح المفيد (١١٦).



باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبَد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة: «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله». فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

ولهما، عنها، قالت: «لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال، وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً». أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً. ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا

القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذ مسجداً»، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

ولأحمد بسند جيد، عن ابن مسعود ﷺ، مرفوعاً: «إن من شِرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد». ورواه أبو حاتم في صحيحه.

○ فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحَّت نية الفاعل. **الثانية**: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك. **الثالثة**: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك. كيف بيَّن لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم. **الرابعة**: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر. **الخامسة**: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم. **السادسة**: لعنه إياهم على ذلك. **السابعة**: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره. **الثامنة**: العلة في عدم إبراز قبره. **التاسعة**: في معنى اتخاذها مسجداً. **العاشرة**: أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته. **الحادية عشرة**: ذكره في

خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم: الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور؛ وهم أول من بنى عليها المساجد. الثانية عشرة: ما بلي به ﷺ من شدة النَّزع. الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة. الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة. الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة. السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

۞ ۞ ۞





٢٠ . باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبَد الله عند قبر رجل صالح﴿١﴾، فكيف إذا عبده؟﴿٢﴾﴿٣﴾(*)

....

﴿١﴾ وقد قال بتواتر الأحاديث في النهي عن تعظيم القبور: شيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، والكتاني، والبركوي الحنفي.

الاقتضاء (٦٧٢)، الأمر بالاتباع للسيوطي (٩)، زيارة القبور للبركوي (٦)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (١٠٩).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): أي: عبد القبر أو الرجل الصالح. اهـ. التيسير (٢٥٥).

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): وصاحب الشريعة ﷺ حسم المادة وسد الذريعة بلعنة من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وأن لا يصلي عندها لله ولا يسأل إلا الله، وحذر أمته ذلك، فكيف إذا وقع نفس المحذور من الشرك وأسباب الشرك؟. اهـ. الاقتضاء (٤٢٣). وقال في موضع آخر: وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيها ونحو ذلك هو أصل الشرك وعبادة الأوثان. اهـ. الفتاوى (٢٧/ ٧٩).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال الشيخ صالح الفوزان: إن عبادة الله عند القبر وسيلةٌ إلى الشرك المنافي للتوحيد. اهـ. قال شيخ الإسلام: فهذا كله يبين لك أن السبب ـ في النهي عن اتخاذ القبور مساجد ـ ليس هو مظنة النجاسة؛ وإنما هو مظنة اتخاذها أوثاناً كما قال الشافعي: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس. وقد ذكر هذا المعنى أبو بكر الأثرم في ناسخ الحديث ومنسوخه وغيره من أصحاب أحمد وسائر العلماء. اهـ. وقد نقل شيخ =

في الصحيح عن عائشة: «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة﴿١﴾، وما فيها من الصور﴿٢﴾، فقال: **أولئك إذا**

= الإسلام الاتفاق على أن علة النهي عن اتخاذ القبور هو الخوف من الوقوع في الشرك.

علاقته بالباب السابق: قال الشيخ صالح الفوزان: لما ذكر المؤلف رحمه الله، في الباب الذي قبل هذا التحذير من الغلو في الصالحين، وأنه سبب لكفر بني آدم وتركهم دينهم، ذكر في هذا الباب الغلو في قبورهم؛ لأنه نوع من الغلو فيهم. اهـ. لأن تحري عبادة الله عندها من الغلو في الصالحين.

المفهم (٢/ ١٩٣)، شرح صحيح مسلم (٥/ ١٣)، الاقتضاء (٣٣٣)، الأمر بالاتباع (٦٢)، الدر النضيد «للحمدان» (١٣٧)، إعانة المستفيد (٢/ ١٥)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٦٨).

ـ ولهذا التنويع في هذه الأبواب فائدة ذكرها سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، حيث قال: ولما كان عباد القبور إنما أتوا من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] الآية. نَوَّعَ المصنف التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه في أبواب مختلفة، ليكون أوقع في القلب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب. اهـ. التيسير (٢٥٥).

﴿١﴾ **حكم دخول الكنيسة**: نقل ابن قدامة اتفاق الصحابة في جواز دخولها إذا لم يكن فيها صور. أما إذا كان فيها صور فدخولها مكروه عند مالك، وأحمد. وجائز عند ابن قدامة، ويدل له: «أن عمر أمر علياً أن يذهب مع الناس إلى الكنيسة حينما صنع له النصارى طعاماً، فذهب علي رضي الله عنه وأكل معهم وجعل ينظر إلى الصور» رواه البخاري.

حكم الصلاة في الكنيسة: قال ابن رجب (٧٩٥هـ): حكى ابن المنذر وغيره الرخصة فيها عن طائفة من العلماء منهم: أبو موسى، والشعبي، والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والأوزاعي، واختاره ابن المنذر. اهـ. وقال أيضاً: وأكثر المنقول عن السلف في ذلك قضايا أعيان لا عموم لها، فيمكن حملها على ما لم يكن فيه صور. اهـ. وقال أيضاً: يكره الصلاة في الكنائس التي فيها صور عند كثير من العلماء، وهو مروي عن عمر وابن عباس، وهو قول مالك وأحمد. اهـ. ويستدل لهم بقوله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة**» رواه مسلم.

المغني (١٠/ ٢٠٢)، الفتاوى (٢٢/ ١٦٢)، الفتح «لابن رجب» (٢/ ٤٢٩)، شرح البخاري «لابن بطال» (٢/ ٨٨)، الفتح «لابن حجر» (١/ ٦٣٢).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قولها: «من الصور»، الظاهر أن هذه =

مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً﴿١﴾،

= الصور صور مجسمة وتماثيل منصوبة. اهـ. ويدل عليه قول المصنف في المسائل: الثانية: النهي عن التماثيل. القول المفيد (١/ ٣٩٣).

﴿١﴾ قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): لم ينقل أحد من السلف أن قصد القبور لأجل الدعاء مستحب. وقال السهسواني: المقصود من الدعاء الذي ينهى عنه عند القبر هو الدعاء الذي يقصد زيارة القبر لأجله، ويظن أن الدعاء عند القبر مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته لأجل طلب حوائجه، وأما الدعاء لنفسه عند القبر بالعافية وعدم الحرمان الأجر، وعدم الفتنة، تبعاً للدعاء لأصحاب القبور، والترحم عليهم والاستغفار لهم، فلا ينهى عنه أحد من المسلمين، ألا ترى أن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من أشدهم منعاً للدعاء عند القبور، وهما يجوِّزان هذا الدعاء التبعي، بل يجعلان الزيارة المشتملة عليه زيارة سنية وزيارة أهل الإيمان. اهـ. وقال بحرمة الأول: شيخ الإسلام، والسيوطي.

وأما الطواف حول القبر فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية، والكتاني الإجماع على عدم جواز الطواف حول غير الكعبة. واختلفوا فيمن طاف بغير الكعبة، فذهبت اللجنة الدائمة للإفتاء إلى أن من طاف بها قاصداً التقرب إلى الميت ففعله شرك أكبر؛ لأن الطواف عبادة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، وصرف العبادة لغير الله شرك أكبر. قال ابن باز: الطواف على القبور منكر، والطواف يكون بالكعبة، لا يطاف بالقبور فهذا منكر عظيم، بل شرك أكبر، إذا قصد به التقرب إلى صاحب القبر وهو شرك أكبر، وإذا ظن أنه قربة لله وأنه يتقرب إلى الله بهذا فهذه بدعة. اهـ. فتاوى نور على الدرب (٢٧٥). وذهب بعض أهل العلم إلى أن الطواف بغير الكعبة شرك أكبر سواء قصد التقرب للميت أو لم يقصد؛ لأن الطواف عبادة.

وبالنسبة للصدقة عند القبور فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصدقة عند القبر كرهها العلماء. اهـ. وقال: ومن اعتقد أن الذبح عند القبر أفضل، أو الصلاة، أو الصدقة فهو ضال مخالف لإجماع المسلمين.

وبالنسبة للذبح والنذر فقد تقدم الكلام عليهما.

وأما الصلاة عند القبور فهي على قسمين:

القسم الأول: إذا صلى عندها من أجل القبر، فهذا محرم، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، كما قال عبد الله بن حميد.

القسم الثاني: إذا صلى عندها وليس عنده اعتقاد أن للمكان أفضلية، فقال =

. . . .

= البركوي: صرح عامة الطوائف بالنهي عن الصلاة إلى القبور.اهـ. وقال ابن رجب: اتفق أئمة الإسلام على هذا المعنى.اهـ. واختلفوا في حكم الصلاة عندها: فذهب مالك في المشهور عنه إلى جواز الصلاة عند القبور، ودليله: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»، ونوقش: بأنه جاء عن مالك أنه قال: لا أحب الصلاة في المقابر. وذهب أكثر أهل العلم، وهو اختيار ابن المنذر، إلى كراهة الصلاة إليها، قال ابن رجب: وأكثر العلماء على أن الكراهة في ذلك كراهة تنزيه.اهـ؛ حيث حملوا النهي في قوله ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور**» الذي رواه مسلم على الكراهة.

وذهب إلى التحريم أحمد في المشهور عنه، والظاهرية، وابن حزم، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن مفلح، وابن القيم، والمناوي، وهو اختيار الملا علي القاري، والشوكاني، وعبد الله بن حميد، وابن باز، والفوزان؛ حيث حملوا النهي في قوله ﷺ: «**لا تصلوا إلى القبور**» الذي رواه مسلم على التحريم، ويدل على هذا القول ما ثبت عن النبي ﷺ من النهي عن التشبه بالكفار والمشركين. واختلفوا في صحة الصلاة: فذهب أحمد في رواية إلى صحتها مع الإثم، ويدل عليه ما رواه البخاري تعليقاً: «أن عمر رضي الله عنه رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر، فقال: القبرَ القبرَ». قال البخاري: ولم يأمره بالإعادة.اهـ. قال ابن حجر: استنبطه من تمادي أنس.اهـ. ويجاب عليه بما جاء عن أنس من طريق آخر أنه لم يشعر بالقبر عندما صلى، وأنه رفع رأسه إلى السماء عندما قال عمر: القبر القبر. يحسبه يقول: القمر القمر. وذهب أحمد في المشهور عنه كما قال ابن رجب، وابن قدامة، وأهل الظاهر أو بعضهم، وابن تيمية، وسليمان بن عبد الله، وعبد الله بن حميد، وابن باز، وابن عثيمين إلى عدم صحة الصلاة. قال ابن مفلح: وهذا أشهر وأصح في المذهب، واختاره الأصحاب.اهـ. قال ابن رجب: وجعلوا النهي ها هنا لمعنى يختص بالصلاة من جهة مكانها فهو كالنهي عن الصلاة المختص بها الزمان؛ كالصلاة في أوقات النهي؛ وكالصيام المنهي عنه لأجل زمنه المختص به كصيام العيدين.اهـ.

الصلاة في المساجد التي فيها قبور:

أ ـ **الصلاة في مسجد مبني على قبر «القبر سابق على المسجد»**: فقد نقل شيخ الإسلام، والسيوطي الإجماع على كراهية الصلاة فيها، وقال أبو عبد الله =

وصوَّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله»﴿١﴾. فهؤلاء

= القرطبي: قال علماؤنا: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد. اهـ. وحكم الصلاة فيها فيه الخلاف السابق في الصلاة في المقبرة؛ لأن أصل المسجد مقبرة. ونقل ابن تيمية، وابن رجب اتفاق الأئمة على المنع من بناء المساجد على القبور. ونقل الشوكاني الاتفاق على بدعية البناء على القبور. ونقل الشوكاني، وسليمان بن عبد الله الإجماع على تحريم البناء على القبور. ونقل ابن تيمية، والسيوطي الإجماع على تعين هدمها؛ لكن ذهب ابن تيمية ـ في موضع آخر ـ إلى إزالة المسجد أو تزال صورة القبر، وذهب ابن القيم إلى إزالة المسجد.

ج ـ **الصلاة في مسجد دفن به ميت «المسجد سابق على القبر»**: نقل ابن تيمية اتفاق الأئمة على عدم جواز دفن الميت في المسجد. وذهب ابن تيمية إلى نبشه وإخراجه إن كان القبر جديداً، أو تسويته. وإذا دفن فيه فذهب ابن القيم إلى إخراجه. قال عبد الله بن حميد: لحديث: «من سبق لشيء فهو أحق به»، ولحكم أبي حنيفة في البيوت التي حول المطاف لما أراد الخليفة العباسي توسعة المطاف حيث أفتى بهدمها؛ لأن الكعبة قبل البيوت. اهـ. بتصرف.

شرح السُّنَّة (٢/ ٤١١)، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٠)، الاقتضاء (٧٧٥)، الفتاوى (٤/ ٥٢١، ٢٢/ ١٩٤، ٢٧/ ١٨٠)، الرد على البكري (٢٧٩)، المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠١)، هداية السالك (٣/ ١٣٩١)، زاد المعاد (٣/ ٥٧٢)، الفتح «لابن رجب» (٢/ ٤٠٠، ٤٤٢)، القواعد «لابن رجب» (٦١)، الفتح لابن رجب (٢/ ٤٤٢)، الأمر بالاتباع (٦١، ٦٣)، فيض القدير (٦/ ٤٠٧)، شرح الصدور بتحريم رفع القبور (١٧)، مرقاة المصابيح (٢/ ١٣٠)، نيل الأوطار (٢/ ١٣٧)، التيسير (٢٦٣، ٢٦٨)، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (١/ ٢٤٧)، اللجنة الدائمة للإفتاء (١/ ٢٥٨).

﴿١﴾ البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨)، من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه الدلالة الواضحة على المنع من عبادة الله عند قبور الصالحين واتخاذها مساجد؛ لأن ذلك من فعل النصارى، ومن فَعَله فهو من شرار الخلق. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٦٩).

جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل﴿١﴾﴿٢﴾.

ولهما، عنها، قالت: «لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال، وهو كذلك: **لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم﴿٣﴾ مساجد﴿٤﴾**. يحذر ما صنعوا﴿٥﴾﴿٦﴾»،

﴿١﴾ وفتنة الصور وسيلة من وسائل حدوث الشرك الأكبر، وكذلك فتنة القبور: بالبناء عليها، وبتعظيمها، وبإرشاد الناس إليها، وسيلة إلى أن يعتقد في صاحب القبر أن له شيئاً من خصائص الإلٰهية، أو أنه يتوسط عند الله ـ جل وعلا ـ في قضاء الحاجات، كما حصل ذلك منهم فعلاً. التمهيد (١/ ٣٥٨).

﴿٢﴾ هذا من كلام ابن القيم (٧٥١هـ)، نقله عنه المصنف. إغاثة اللهفان (١/ ٢٨٧).

وانظر: الرد على المنطقيين (٢٨٥).

﴿٣﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وقد استشكل ذكر النصارى فيه؛ لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبي غيره وليس له قبر.

والجواب... الجمع في قوله أنبيائهم بإزاء المجموع من اليهود والنصارى والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم، فاكتفى بذكر الأنبياء، ويؤيده قوله في رواية مسلم من طريق جندب: «**كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**»، ولهذا لما أفرد النصارى في الحديث الذي قبله قال: «إذا مات فيهم الرجل الصالح»، ولما أفرد اليهود في الحديث الذي بعده قال: «**قبور أنبيائهم**». اهـ. الفتح (١/ ٥٣٢).

﴿٤﴾ قوله: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يقول هذا في سياق الموت، و«لعنة الله»؛ أي: طرده وإبعاده، وهذه الجملة يحتمل أنه يراد بها ظاهر اللفظ؛ أي: أن النبي ﷺ يخبر بأن الله لعنهم. ويحتمل أن يراد بها الدعاء؛ فتكون خبرية لفظاً إنشائية معنًى، والمعنى على هذا الاحتمال أن النبي ﷺ دعا عليهم وهو في سياق الموت بسبب هذا الفعل. القول المفيد (١/ ٣٩٦).

﴿٥﴾ قال ابن حجر: قوله: «يحذر ما صنعوا» جملة أخرى مستأنفة من كلام الراوي. اهـ. قال سليمان بن عبد الله: الظاهر أن هذا من كلام عائشة ﵂؛ أي: أن الرسول ﷺ لعن اليهود والنصارى على ذلك تحذيراً لأمته أن تصنع ما صنعوا. اهـ. وبه قال ابن عثيمين. الفتح (٢/ ١٦٠)، التيسير (٢٦١)، القول المفيد (١/ ٤١٠).

﴿٦﴾ وليس النهي مقصوراً على اتخاذ قبور الأنبياء مساجد؛ بل النهي شامل =

ولولا ذلك أبرز قبره ﴿١﴾، غير أنه خشي ﴿٢﴾ أن يتخذ

= لاتخاذ آثار الأنبياء مساجد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنما نقل عن ابن عمر السلام - على النبي ﷺ - عند القدوم من السفر وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وعبر في السفر وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك، بل أبوه عمر كان ينهى عن مثل ذلك. روى سعيد ابن منصور في سننه حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال: خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في صلاة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ في الثانية، فلما رجع من حجه رأى الناس ابتدروا المسجد فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: هذا ملة أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض. اهـ. الرد على الأخنائي (١٠٨).

﴿١﴾ قال ابن حجر: قوله: «لأبرز قبره»؛ أي: لكشف قبر النبي ﷺ ولم يتخذ عليه الحائل، والمراد: الدفن خارج بيته. اهـ. الفتح (٣/ ٢٠٠). وقال ابن عثيمين: أي: أخرج من بيته؛ لأن البروز معناه الظهور؛ أي لولا التحذير وخوف أن يتخذ قبره مسجداً؛ لأخرج ودفن في البقيع مثلاً. اهـ. القول المفيد (١/ ٣٩٧).

﴿٢﴾ قال ابن حجر: كذا هنا - اخشى - وفي رواية أبي عوانة، عن هلال الآتية في أواخر الجنائز، غير أنه خشي أو خشي على الشك هل هو بفتح الخاء المعجمة أو ضمها، وفي رواية مسلم غير أنه خشي بالضم لا غير، فرواية الباب تقتضي أنها هي التي امتنعت من إبرازه ورواية الضم مبهمة يمكن أن تفسر بهذه، والهاء ضمير الشأن، وكأنها أرادت نفسها ومن وافقها على ذلك، وذلك يقتضي أنهم فعلوه باجتهاد، بخلاف رواية الفتح فإنها تقتضي أن النبي ﷺ هو الذي أمرهم بذلك. اهـ.

قال ابن عثيمين: خشي فيها روايتان: خَشِي، وخُشِي. فعلى رواية خشي يكون الذي وقعت منهم الخشية الصحابة ﷺ. وعلى رواية خشي يكون الذي وقعت منه الخشية النبي ﷺ، والحقيقة أن الأمر كله حاصل؛ فالرسول ﷺ أخبر بأنه ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض، ولعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد خوفاً من اتخاذ قبره مسجداً، والصحابة ﷺ، اتفقوا على أن يدفن ﷺ في بيته بعد تشاورهم؛ لأنهم خشوا ذلك. ويجوز أن يكون بعضهم أشار بأن يدفن في بيته، وليس في ذهنه إلا هذه الخشية، وبعضهم أشار أن يدفن في بيته وعنده علم =

مسجداً»﴿١﴾. أخرجاه﴿٢﴾﴿٣﴾.

= بأنه ﷺ قال: «ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض»، وخوفاً من اتخاذه مسجداً. اهـ. الفتح (٣/ ٢٠٠)، القول المفيد (١/ ٣٩٨).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إذا قال قائل: نحن الآن واقعون في مشكلة بالنسبة لقبر الرسول ﷺ الآن، فإنه في وسط المسجد؛ فما هو الجواب؟

قلنا: الجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن المسجد لم يبن على القبر، بل بني المسجد في حياة النبي ﷺ.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال: إن هذا من دفن الصالحين في المسجد، بل دفن في بيته.

الوجه الثالث: أن إدخال بيوت الرسول ﷺ ومنها بيت عائشة رضي الله عنها مع المسجد ليس باتفاق من الصحابة، بل هو من صنيع الوليد بن عبد الملك، وبعد أن انقرض أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل، وذلك عام ٩٤ هـ تقريباً؛ فليس مما أجازه الصحابة أو أجمعوا عليه، مع أن بعضهم خالف في ذلك، وممن خالف أيضاً سعيد بن المسيب (٩٤هـ) من التابعين؛ فلم يرض بهذا العمل. قلت: وممن أنكر دخول قبر النبي ﷺ في المسجد أيضاً، أبان بن عثمان (١٠٥هـ) حيث قال للوليد بن عبد الملك: بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس. اهـ. الرد الأخنائي (١١٩).

الوجه الرابع: أن القبر ليس في المسجد، حتى بعد إدخاله؛ لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد؛ فليس المسجد مبنياً عليه، ولهذا جعل هذا المكان محفوظاً ومحوطاً بثلاثة جدران، وجعل الجدار في زاوية منحرفة، عن القبلة؛ أي: مثلث، والركن في الزاوية الشمالية، بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى؛ لأنه منحرف.

الفتاوى (٢٦/ ٣٤٨، ٤٢٤)، المفهم (٢/ ٩٣٢)، القول المفيد (١/ ٣٩٩).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): هكذا ثبت في أول هذا الحديث، ولهما وفي آخره أخرجاه بخط المصنف، وأحد اللفظين يغني عن الآخر؛ لأن المراد صاحبا الصحيحين. اهـ. التيسير (٢٦٠).

﴿٣﴾ البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١)، من طريق الزهري، عن عبيد الله، عن عائشة وابن عباس.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه المنع من عبادة الله عند قبور الأنبياء واتخاذها مساجد؛ لأنه يُفضي إلى الشرك بالله. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٧١).

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس﴿١﴾ **وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل**﴿٢﴾**، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**﴿٣﴾**. ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**﴿٤﴾﴿٥﴾. فقد نهى عنه في آخر حياته. ثم إنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذ مسجداً»، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد

﴿١﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وفائدة التنصيص على زمن النهي الإشارة إلى أنه من الأمر المحكم الذي لم ينسخ لكونه صدر في آخر حياته ﷺ.اهـ. الفتح (١/ ٥٢٥).

﴿٢﴾ الخلة مأخوذة من الخُلة بضم الخاء، وهي غاية المحبة وكمالها، وليس من الخَلة بفتح الخاء، وهي الفقر، وقد أوّل المعتزلة الخُلة بالفقر والاحتياج.
منهاج السُّنَّة (٥/ ٣٥٢)، مدارج السالكين (٣/ ٢٧).

﴿٣﴾ وقد عد العلماء حديث الخلة من الأحاديث المتواترة؛ وقد رواه عن النبي ﷺ فوق ثلاثة عشر صحابياً، ذكرهم السيوطي وغيره.
قطف الأزهار المتناثرة «للسيوطي» (٢٧٥)، فتح الحميد (٢/ ٨٨٠).

﴿٤﴾ قوله: «**فإني أنهاكم عن ذلك**»: هذا نهي باللفظ دون الأداة تأكيداً لهذا النهي لأهمية المقام. قال ابن باز (١٤٢٠هـ): منع منها بثلاثة طرق: ١) ذم ما فعلوه. ٢) لا تتخذوا. ٣) فإني أنهاكم عن ذلك.
التعليق المفيد (٢١٢)، القول المفيد (١/ ٤٠١).

﴿٥﴾ مسلم (٥٣٢)، من طريق عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن جندب رضي الله عنه. وزاد «وصالحيهم» بعد قوله: «أنبيائهم».

علاقة الحديث بالباب، قال صالح آل الشيخ: إنه حرم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، مع أنه قد يكون العابد لا يعبد إلا الله؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك الأكبر.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٦٥).

اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»﴿١﴾﴿٢﴾.

ولأحمد بسند جيد، عن ابن مسعود ؓ، مرفوعاً: «إن من شِرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»﴿٣﴾. ورواه أبو حاتم في صحيحه﴿٤﴾.

﴿١﴾ البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من طريق يزيد الفقير، عن جابر ؓ.

﴿٢﴾ هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. الاقتضاء (٢٣٠ ـ ٢٣٢).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال الفوزان: إن فيه التحذير من اتخاذ القبور مساجد، يُصلى في ساحتها ويُتبرك بها؛ لأنه ذريعةٌ إلى الشرك. اهـ.

الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٧٦).

﴿٤﴾ أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، من طريق زائدة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود ؓ.

وقد صححه: ابن خزيمة (٧٨٩)، وابن حبان (٦٨٠٨).

وجود إسناده: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والشوكاني.

وحسنه: الهيثمي.

وجاء الحديث ـ أيضاً ـ عند أحمد (١/ ٤٥٤)، بسند حسن، من طريق قيس، عن الأعمش، عن عبيدة السلماني، عن ابن مسعود ؓ به.

ومتن الحديث جاء بدون: «**والذين اتخذوا القبور مساجد**» عند البخاري (٧٠٦٧)، معلقاً بصيغة الجزم، قال البخاري: وقال أبو عوانة: عن عاصم، عن أبي وائل، عن الأشعري، أنه قال لعبد الله: تعلم الأيام التي ذكر النبي ﷺ أيام الهرج؟ وقال ابن مسعود: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**»، ويدل عليه حديث عائشة المذكور أول الباب. ويشهد له ما أخرجه أحمد (١/ ١٩٥)، بسند صحيح، من حديث أبي عبيدة بن الجراح قال: كان آخر ما تكلم به نبي الله ﷺ: «**أن أخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد**».

الاقتضاء (٣٣٠)، إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٥)، مجمع الزوائد (٢/ ٢٧)، النيل (١/ ١٣٩).

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح﴿١﴾، ولو صحَّت نية الفاعل﴿٢﴾. **الثانية**: النهي عن التماثيل﴿٣﴾، وغلظ الأمر في ذلك. **الثالثة**: العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك. كيف بيَّن لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم﴿٤﴾. **الرابعة**: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر﴿٥﴾. **الخامسة**: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم﴿٦﴾. **السادسة**: لعنه إياهم على ذلك. **السابعة**: أن مراده

﴿١﴾ من أنهم شرار الخلق عند الله، ولعنهم على ذلك. التوضيح المفيد (١٢١).

﴿٢﴾ لأن الحكم علق على مجرد صورته؛ فهذا العمل لا يحتاج إلى نية؛ لأنه معلق بمجرد الفعل. فالنية تؤثر في الأعمال الصالحة وتصحيحها، وتؤثر في الأعمال التي لا يقدر عليها فيعطى أجرها، وما أشبه ذلك، بخلاف ما علق على فعل مجرد؛ فلا حاجة فيه إلى النية.

القول المفيد (١/ ٤٠٨). قال ابن القيم (٧٥١هـ):

إن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد وعن الصلاة إليها وعندها وعن إيقاد المصابيح عليها وأمرٍ بتسويتها ونهى عن اتخاذها عيداً وعن شد الرحال اليها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سداً للذريعة.اهـ. إعلام الموقعين (٣/ ١٦٨).

﴿٣﴾ لقوله: «**وصوروا فيها تلك الصور**». التوضيح المفيد (١٢١).

﴿٤﴾ وذلك أنه ﷺ حذر من اتخاذ القبور مساجد ثلاث مرات: الأولى: في سائر حياته. الثانية: قبل موته بخمس. الثالثة: وهو في السياق. القول المفيد (١/ ٤١٠).

﴿٥﴾ لقوله: «**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد**»، فإن قبره داخل في ذلك بلا شك، بل أول ما يدخل فيه. القول المفيد (١/ ٤١٠).

﴿٦﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالنصارى يفرحون بما يفعله أهل البدع =

تحذيره إيانا عن قبره﴿١﴾. **الثامنة**: العلة في عدم إبراز قبره﴿٢﴾. **التاسعة**: في معنى اتخاذها مسجداً﴿٣﴾. **العاشرة**: أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة﴿٤﴾، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته﴿٥﴾. **الحادية عشرة**: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة، وهم: الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور؛ وهم أول من بنى عليها المساجد﴿٦﴾. **الثانية عشرة**: ما بلي به ﷺ من شدة النَّزع. **الثالثة عشرة**:

= والجهل من المسلمين مما يوافق دينهم ويشابهونهم فيه، ويحبون أن يقوى ذلك ويكثر. اهـ. الفتاوى (٢٧/ ٤٦٢).

﴿١﴾ تؤخذ من قول عائشة: «يحذر ما صنعوا» القول المفيد (١/ ٤١٠).

﴿٢﴾ تؤخذ من قول عائشة: «ولولا ذلك أبرز قبره؛ غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً». القول المفيد (١/ ٤١١).

﴿٣﴾ **ومعنى اتخاذ القبور مساجد**: بناء المساجد عليها، وجعلها مكاناً للصلاة ولو لم يبن عليها، ويشمل السجود على القبر، والصلاة إليه وجعله في قبلة المصلى، وقصد الصلاة والدعاء عنده.

مصنف عبد الرزاق (١/ ٤٠٦)، الأم (١/ ٢٧٨)، الاقتضاء (٦٧٧)، الفتح (٣/ ٢٠٠)، الزواجر (١/ ١٤٧)، السبل (١/ ٢٦٣)، التوضيح المفيد (١٢٢)، القول المفيد (١/ ٤١١).

﴿٤﴾ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه. التوضيح المفيد (١٢٢).

﴿٥﴾ فالذريعة إلى الشرك هي قوله: «**الذين يتخذون القبور مساجد**»؛ لأنه ذريعة ووسيلة إلى الشرك. وخاتمته وهي: أن من تقوم عليهم شرار الخلق. القول المفيد (١/ ٤١١).

﴿٦﴾ وجه الرد على الرافضة: أنه ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وهم يتخذونها. قال شيخ الإسلام: «إنهم أشد الناس ضرراً على الإسلام، وإنهم هجروا المساجد وعمروا المشاهد». ووجه الرد على الجهمية نفاة الأسماء والصفات: أن الله اتخذ النبي ﷺ خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وهم ينفون ذلك. =

ما أكرم به من الخلة[١]. **الرابعة عشرة**: التصريح بأنها أعلى من المحبة[٢]. **الخامسة عشرة**: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة[٣]. **السادسة عشرة**: الإشارة إلى خلافته[٤].

= التوضيح المفيد (١٢٢)، القول المفيد (١/ ٤١٣).

[١] قال ابن القيم (٧٥١هـ): الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها بحيث لا يبقى في القلب لمحبه سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه، وهذا المنصب خاصة للخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم ومحمد. اهـ. الجواب الكافي (١/ ١٣٤).

[٢] لكونه نفى أن يتخذ أحداً من أهل الأرض خليلاً مع إخباره بحبه لعائشة وأبيها وغير واحد من الصحابة. التوضيح المفيد (١٢٣).

[٣] لقوله: «**ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»؛ فلو كان غيره أفضل منه عند النبي ﷺ لكان أحق بذلك.

التوضيح المفيد (١٢٣)، القول المفيد (١/ ٤١٨).

[٤] لقوله: «**ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»؛ لأن من كان بهذه المثابة هو الذي لا ينبغي أن يتولى أمته بعده غيره. ونقل الشافعي إجماع الناس على خلافة أبي بكر الصديق.

مناقب الشافعي «للبيهقي» (١/ ٤٣٥)، فتح الحميد (٢/ ٨٨٠)، التوضيح المفيد (١٢٣).



باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تُعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ، أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ولابن جرير بسنده، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم] قال: «كان يلتّ لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره». وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: «كان يلتّ السويق للحاج».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج». رواه أهل السنن.

○ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان. الثانية: تفسير العبادة. الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه. الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد. الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله. السادسة: وهي من أهمها: معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر

الأوثان. السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح. الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية. التاسعة: لعنه زوَّارات القبور. العاشرة: لعنه من أسرجها.

۞ ۞ ۞





٢١ ـ باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تُعبد من دون الله ﴿١﴾(*)

....

﴿١﴾ هذا هو الباب الثالث من الأبواب المتعلقة بالقبور. قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): ولما كان عباد القبور إنما دُهُوا من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ الآية. نَوَّعَ المصنف التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه في أبواب مختلفة، ليكون أوقع في القلب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب.اهـ. التيسير (٢٥٥).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** من وسائل الشرك مجاوزة الحد المأمور به ـ من عدم رفعها، وعدم المبالغة فيها ـ، والمنهي عنه ـ من رفعها، وتزيينها، والبناء عليها ـ في القبور. قال الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): لا شك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسن. فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها، ونظر على القبور الستور الرائعة، والسرج المتلألئة، وقد سطعت حوله مجامر الطيب، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة؟ ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه ضمن العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فيصير في عداد المشركين. شرح الصدور بتحريم رفع القبور (١٧).

وقال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): إن من أعظم أسباب الشرك تعظيم =

روى مالك في الموطأ، أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد﴿١﴾، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»﴿٢﴾.

أخرجه: مالك في الموطأ (١٧٢١)، من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

والحديث ضعيف؛ لأن عطاء بن يسار لم يسمعه من النبي ﷺ.

= القبور والعكوف عندها؛ ولا ريب أن ذلك يفضي إلى الالتجاء إليها، والتعلق بها، والرغبة إليها، ونحو ذلك من المحبة، وخطابها بالحوائج، وغير ذلك مما لا يمكن عده؛ كالخشوع، والبكاء والنحيب، رغبة ورهبة إليها، وهذا هو العبادة التي قصرها الله تعالى عليه، دون كل ما سواه.اهـ. الدرر السنية (٥/ ١١٠).

علاقته بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق النهي عن اتخاذ القبور مساجد، نبه في هذا الباب على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد. التيسير (٢٧٣).

﴿١﴾ ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، ابن القيم (٧٥١هـ)، وابن الملقن (٨٠٤هـ)، وسليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وعثمان بن منصور (١٢٨٢هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، وعبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ) إلى أن قبره لم يعبد. قال ابن القيم:

فأجاب رب العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

الفتاوى (٢٧/ ٣٢٨)، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (٤/ ٤٩٩)، التيسير (٢٧٤)، فتح المجيد (١/ ١/ ٤٠٦)، القول المفيد (١/ ٤٢٣)، اتحاف النبلاء بسيرة العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله (١/ ١٢٨).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله: هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثاناً تعبد. ففيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف.اهـ.

التيسير (٤٣٩)، حاشية ابن قاسم (١٦٤).

وخالف مالكاً عمرُ بن صهبان[١]، فرواه عن زيد بن أسلم، عن عطاء، عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً.

وحديث عمر بن صهبان معلول؛ لأمرين:

١ ـ أن عمر بن صهبان قد أجمع الأئمة على ضعفه[٢].

٢ ـ أن مالك بن أنس، ومعمر بن راشد روياه عن زيد بن أسلم مرسلاً، ومالك نجم السنن ومن كبار الأئمة، ومعمر ثقة، فروايتهما تقدم على رواية عمر بن صهبان[٣].

وفي الباب: ما أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٦)، من طريق حمزة بن المغيرة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٤].

وهو حديث ضعيف[٥]؛ لأمور:

أ ـ أن حمزة بن المغيرة ليس بالمشهور[٦]، وقد تفرد به كما قال

---

[١] ذهب ابن عبد البر إلى أن محمداً هو ابن زيد ـ ثقة ـ، والصواب أنه محمد بن صهبان، قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وعمر هذا هو: ابن صهبان، جاء منسوباً في بعض نسخ مسند البزار، وظن ابن عبد البر أنه: عمر بن محمد العمري، والظاهر أنه وهم.اهـ.

وقال الهيثمي (٨٠٧هـ): رواه البزار وفيه عمر بن صهبان، وقد أجمعوا على ضعفه.اهـ.

التمهيد (٥/ ٤١)، الفتح لابن رجب (٣/ ٢٤٦).

[٢] مجمع الزوائد (٢/ ٢٨)، مختصر الزوائد (٢٨٦).

[٣] مصنف عبد الرزاق (١/ ٤٠١).

[٤] المسند (٢/ ٢٤٦).

[٥] قال أبو نعيم (٤٣٠هـ): غريب من حديث حمزة تفرد به عنه سفيان.اهـ، وذكره العقيلي في الضعفاء. وقال البزار ـ بعد طريق مالك المرسل: وليس بمحفوظ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه.اهـ.

الاستذكار (٢/ ٣٦٠)، حلية الأولياء (٧/ ٣١٧).

[٦] ابن معين يطلق «ليس به بأس» أحياناً على الضعيف. شفاء الغليل =

البزار والدارقطني وأبو نعيم[١]، ولم يتابعه كبار أصحاب سهيل بن أبي صالح؛ كمالك وابن عيينة والثوري ومعمر؛ بل جاء عن مالك ومعمر - كما تقدم - أنهما رويا هذا المعنى مرسلاً؛ فهذا يدل على أنه ليس بمحفوظ عن سهيل بن أبي صالح[٢].

ب - أن محمد بن عجلان والدراوردي خالفا حمزة بن المغيرة، فرواه محمد بن عجلان عن رجل يقال له سهيل[٣]، والدراوردي عن سهيل بن أبي سهيل[٤]، كلاهما (ابن عجلان والدراوردي) عن الحسن بن الحسن، عن النبي ﷺ قال: «**لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**»[٥]. وروايتهما (ابن عجلان والدراوردي) أقوى من رواية حمزة بن المغيرة. فمما تقدم يتبين أن حمزة أخطأ في تسمية سهيل، وأن الأقوى أنه ليس بسهيل بن أبي صالح.

ت - أن الحديث رواه جمع من الرواة عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «**لا تتخذوا بيوتكم مقابر**»[٦].

ث - أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد قد جاء في الصحيحين،

= بألفاظ الجرح والتعديل (٢٨٣).

﴿١﴾ الأفراد (٥/ ٣٤٧)، مسند البزار، الحلية (٧/ ٣١٧).

﴿٢﴾ مصنف عبد الرزاق (١/ ٤٠٦).

﴿٣﴾ عبد الرزاق (٣/ ٧١).

﴿٤﴾ فضل الصلاة (٢٣٨).

﴿٥﴾ معلول: لجهالة سهيل، وإرساله. التاريخ الكبير (٤/ ١٠٥)، الثقات (٦/ ٤١٦).

﴿٦﴾ مسلم (٧٨٠)، من طريق يعقوب بن عبد الرحمٰن، وأحمد من طريق معمر (٢/ ٢٨٤) ووهيب (٢/ ٣٨٨)، والترمذي (٢٨٧٧)، من طريق الدراوردي.

من طرق عن أبي هريرة[١]، وليس فيها النهي عن اتخاذ قبره وثناً. قال ابن حجر: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات، وهو في الصحيحين دون قوله: «**لا تجعلن قبري وثناً**»[٢].

ولابن جرير بسنده، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ **قال: «كان يلتّ لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره»**[٣]. **وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس:** «كان يلتّ السويق للحاج»[٤][٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات[٦]

---

[١] «**قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، البخاري (٤٣١)، ومسلم (١١٢٢)، من طريق ابن المسيب، «لعن الله اليهود والنصارى...» مسلم (١١٢٣) من طريق يزيد بن الأصم.

[٢] إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٣/ ٧٣).

[٣] ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٥٨)، من طرق عن سفيان به.

علاقة الأثر بالباب، قال سليمان بن عبد الله: إن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثناً يعبد. اهـ.

التيسير (٤٤٢)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٨٠).

[٤] دلت الآية أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره ـ بتعظيمه واعتقاد البركة فيه، والثواب، والنفع، ودفع الضر، ولزومه ـ حتى صار وثناً يعبد.

حاشية ابن قاسم (١٦٤)، التمهيد (٢٧٣).

[٥] البخاري (٤٨٥٩)، من طريق مسلم بن إبراهيم، عن أبي الأشهب، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٦] **رواه بهذا اللفظ عن محمد بن جحادة:**

أ ـ شعبة: في رواية الجماعة عنه: «القطان وحجاج بن محمد ومحمد بن جعفر ويونس بن حبيب وعلي بن مسلم، عن أبي داود الطيالسي ويزيد بن هارون...».

ب ـ عبد الوارث بن سعيد: في رواية قتيبة وأبو معمر المقعد.

جـ ـ الحسن بن أبي جعفر الجفري والحسن بن دينار وأبو الربيع السمان ومحمد بن طلحة بن مصرف.

=

. . . .

= **ورواه بلفظ «زوارات»:**
أ ـ شعبة في رواية أبي داود الطيالسي.
ب ـ قتيبة في رواية عفان بن مسلم وزوارات.
ج ـ همام.
● هل بين لفظ «زائرات» و«زوارات» فرق أم أنهما بمعنى واحد؟
القول الأول: أن بينهما فرقاً؛ لأن معنى «زوارات» عبارة عن كثرة الزيارة، كما قال إسحاق بن راهويه.
القول الثاني: أنهما بمعنى واحد، قال بكر أبو زيد: إن رواية «زوارات القبور» هي بمعنى زائرات؛ لأن زُوَّارات، بضم الزاي المعجمة، كما قاله الجلال المحلي في شرح المنهاج والسيوطي ـ وأقره السندي، والمنذري، وصاحب تنقيح الرواة شرح المشكاة، قال هؤلاء: الدائر على الألسنة ضم الزاي من زوارات، جمعه زُوار جمع زَائرة سماعاً، وزائر قياساً. وقيل زُوارات للمبالغة فلا يقتضي وقوع اللعن على وقوع الزيارة إلا نادراً. ونوزع بأنه إنما قابل المقابلة بجميع القبور، ومن ثم جاء في رواية أبي داود زائرات بلا مبالغة. انتهى..
فعلى هذا الضبط فهي بمعنى زائرات لا للمبالغة كما ظنه كثير من طلبة العلم، فصيغة المبالغة بفتح الزاي لا بضمها، كما أن الصيغة الدالة على النسب بالفتح أيضاً كقوله ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، وذلك معلوم عند أهل التصريف، قال ابن مالك في ألفيته:

فـعَّـال أو مِـفـعَـال أو فـعُـول   بـكـثـرة عـن فـاعـلٍ بـديـل

وقال في النسب:

ومـع فـاعـل وفـعَّـال فـعـل   في نسب أغنى عن اليا فقبل

فيكون معنى زوارات القبور: ذوات زيارة للقبور، على أن الصيغة للنسب، فاتفقت الروايتان على منع النساء من زيارة القبور مطلقاً. وعلى هذا ليس في هذه الرواية دليل على جواز زيارة النساء للقبور إن لم تتكرر. كما يقول به بعض الناس، مع أن صحة رواية «زائرات» كما تقدم نص صريح في أن زوارات ليست للمبالغة، بل إما أن تكون هذه الصيغة على ما تقدم من أنها بالضم، وإما أن تكون للنسب توفيقاً بين الدليلين، فإن الجمع بين الدليلين متى أمكن فهو أولى من طرح أحدهما أو دعوى التعارض بينهما.اهـ. =

القبور﴿١﴾، والمتخذين﴿٢﴾ ....

= قال ابن عثيمين: التضعيف قد يحمل على كثرة الفاعلين لا على كثرة الفعل؛ فـ «زوارات» يعني: النساء إذا كن مئة كان فعلهن كثيراً، والتضعيف باعتبار الفاعل موجود في اللغة العربية، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص]، فلما كانت الأبواب كثيرة كان فيها التضعيف؛ إذ الباب لا يفتح إلا مرة واحدة، وأيضاً قراءة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِّحَتۡ﴾ [الزمر: ٧١]؛ فهي مثلها.

الفتاوى (٢٤/ ٣٥٤)، شرح سنن ابن ماجه للسندي (١/ ٤٧٨)، القول المفيد (١/ ٤٣٤)، جزء في زيارة النساء للقبور (١/ ١٠).

﴿١﴾ قصد قبر النبي ﷺ للسلام عليه غير مشروع لا للرجال ولا للنساء، وفعل ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة، والسُّنَّة عند دخولك المسجد هي السلام عليه فقط، وهو أفضل من قصد القبر والسلام عليه. قال شيخ الإسلام: فالصلاة والسلام عليه ﷺ في مسجده وسائر المساجد وسائر البقاع مشروع بالكتاب والسُّنَّة والإجماع. وأما السلام عليه عند قبره من داخل الحجرة فهذا كان مشروعاً لما كان ممكناً بدخول من يدخل على عائشة. وأما تخصيص هذا السلام أو الصلاة بالمكان القريب من الحجرة فهذا محل النزاع، وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال منهم من ذكر استحباب السلام أو الصلاة والسلام عليه إذا دخل المسجد ثم بعد أن يصلي في المسجد استحب أيضاً أن يأتي إلى الحجرة ويصلي ويسلم كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد. ومنهم من لم يذكر إلا الثاني فقط وكثير من السلف لم يذكروا إلا النوع الأول فقط، فأما النوع الأول فهو المشروع لأهل البلد وللغرباء في هذا المسجد وغير هذا المسجد وأما النوع الثاني فهو الذي فرق من استحبه بين أهل البلد والغرباء سواء فعله مع الأول أو مجرداً عنه كما ذكر ابن حبيب.اهـ. الرد على الأخنائي (٩١). وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما نقل عن ابن عمر السلام على النبي ﷺ عند القدوم من السفر وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة.اهـ. الرد على الأخنائي (١٠٨).

﴿٢﴾ رواه بهذا اللفظ: أ ـ شعبة في رواية الجماعة عنه ـ القطان وحجاج بن محمد ومحمد بن جعفر ومسلم بن إبراهيم وداود بن إبراهيم ووهب بن جرير ووكيع في رواية أحمد. ب ـ عبد الوارث بن سعيد. ج ـ همام. ورجح هذا اللفظ ابن تيمية «الفتاوى (٢٤/ ٣٥٣)».

ورواه بلفظ «المتخذات»: أ ـ شعبة في رواية أبي داود الطيالسي، ووكيع =

عليها المساجد والسرج»[١][٢]. رواه أهل السنن[٣].

أخرجه: أحمد (١/ ٢٢٩)، وأبو داود (٣٦٣٢)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وابن ماجه (١٥٧٥)، من طريق محمد بن جحادة، عن أبي صالح[٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

صحَّحه: ابن حبان، والحاكم، وابن السكن، وابن تيمية، وعبد الرحمٰن بن حسن، وبكر أبو زيد[٥].

= في رواية ابن أبي شيبة، ويزيد بن هارون.

[١] مسألة: ما هي الصلة بين الجملة الأولى: «زائرات القبور»، والجملة الثانية «المتخذين عليها المساجد والسرج»؟ الصلة بينهما ظاهرة: هي أن المرأة لرقة عاطفتها وقلة تمييزها وضعف صبرها ربما تعبد أصحاب القبور تعطفاً على صاحب القبر؛ فلهذا قرنها بالمتخذين عليها المساجد والسرج. القول المفيد (١/ ٤٢٨).

[٢] **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على تحريم الغلو في القبور؛ لأن ذلك يصيّرها أوثاناً تُعبد.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٨١).

[٣] قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وجه إيراد المصنف هذا الحديث في هذا الباب دون الذي قبله، هو أنه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج، وقرن بينهما، فهما قرينان في اللعنة، فدل ذلك على أنه ليس المنع من اتخاذ المساجد عليها لأجل النجاسة، بل لأجل نجاسة الشرك؛ ولذلك قرن بينه وبين الإسراج عليها، وليس النهي عن الإسراج لأجل النجاسة، فكذلك البناء.اهـ.

التيسير (٤٤٥)، حاشية ابن قاسم (١٦٥).

[٤] جاء لفظ التحديث من طريق محمد بن كثير، عن شعبة، عن محمد بن جحادة: سمعت أبا صالح يُحدث عن ابن عباس، وليس فيه دلالة على أن المراد به التصريح بصيغة «حدثنا»، ويدل عليه أن أكثر الطرق عن شعبة وابن جحادة جاءت بدون ذكر «يحدث عن أبي صالح».

[٥] صحيح ابن حبان، المستدرك (١/ ٣٧٤)، فتح المجيد (١/ ٤١٥)، قرة عيون الموحدين (٢٢١)، جزء في زيارة النساء للقبور.

حسَّنه: الترمذي[١]، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي[٢].

ضعَّفه: أحمد[٣]، ومسلم، وابن الجوزي، والمنذري، وابن دحية[٤].

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن أبا صالح هو باذان[٥] مولى أم هاني الكوفي[٦]، كما

---

[١] وفي نسخة صححه. الفتاوى (٢٤/ ٣٤٨).

[٢] الترمذي (٣٢٠)، شرح السُّنَّة (٢/ ٤١٧)، الفتاوى (٢٤/ ٣٥٠).

[٣] قال أبو بكر: وسمعت أبا عبد الله؛ يعني: أحمد بن حنبل، يسأل عن المرأة تزور القبر؟ فقال: أرجو إن شاء الله أن لا يكون به بأس، عائشة زارت قبر أخيها، قال: ولكن حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لعن زوارات القبور، ثم قال: هذا أبو صالح ماذا؟ كأنه يضعفه، ثم قال: أرجو إن شاء الله، عائشة زارت قبر أخيها. اهـ. التمهيد (٣/ ٢٣٤)، إكمال تهذيب الكمال (٣٤٦).

[٤] التمهيد (٣/ ٢٣٤)، مختصر سنن أبي داود (٤/ ٣٤٨)، البدر المنير (٥/ ٣٤٦)، الفتح لابن رجب (٣/ ٢٠٢).

[٥] ويقال: باذام. الترمذي (٣٢٠).

[٦] ذهب الطبراني إلى أنه هو أبو صالح السمان ـ ثقة ـ ويؤيد قولهم أنه جاء في بعض الأسانيد أنه أبو صالح السمان، فذكر المزي في الأطراف أن الحديث رواه أبو منصور بن الحسن بن السكن، عن يعلى بن عباد، عن شعبة والحسن بن أبي جعفر ـ قال ابن عدي: يروي الغرائب، وخاصة عن محمد بن جحادة ـ والحسن بن دينار وأبو الربيع ومحمد بن طلحة، عن ابن جحادة، عن أبي صالح السمان، عن ابن عباس. وكذا رواه وكيع، عن شعبة قاله ابن حجر.

ويجاب عليهم:

أ ـ قال الدارقطني في الأطراف: تفرد به يعلى عن هؤلاء الجماعة. اهـ.

ب ـ لم ينص أحد من الأئمة على أن أبا صالح الذي يروي عنه ابن جحادة هو السمان.

ج ـ ليس لابن جحادة عن أبي صالح السمان في الكتب التسعة إلا هذا الحديث.

د ـ أن البخاري (٢٦٣٣) روى لابن جحادة عن أبي صالح بواسطة أبي الحصين.

=

قال القطان وأحمد ومسلم والترمذي والحاكم وابن عساكر وابن دحية والمنذري والمزي وابن رجب ﴿١﴾، وقد ضعفه ابن المديني وأحمد والنسائي والبيهقي والدارقطني وابن رجب وابن حجر، وقال مسلم: اتقى الناس حديثه ﴿٢﴾.

هـ ـ أن ابن جحادة نص على أن أبا صالح هو مولى أم هانئ، كما في رواية علي بن مسلم، عن شعبة، عن ابن جحادة. وذهب ابن حبان وابن القيم إلى أنه ميزان؛ لكن ضعف ابن رجب وابن حجر قول ابن حبان.

فائدة: على القول بأن أبا صالح هو السمان؛ فإن الحديث ليس بالقوي وفيه غرابة؛ لأمور:

١ ـ أن ابن جحادة تفرد به ولم يتابعه أحد من كبار أصحاب أبي صالح.

٢ ـ أن ابن جحادة ليس له عن أبي صالح السمان في الكتب التسعة إلا هذا الحديث.

٣ ـ أن أبا صالح السمان ليس له عن ابن عباس في التسعة إلا ثلاثة أحاديث: اثنان في سنن ابن ماجه، كما ذكر ذلك المزي في التحفة، أحدهما ضعفه أحمد، والآخر تفرد به شيبان عن الأعمش، وقد تكلم الساجي في رواية شيبان عن الأعمش. والثالث في مصنف ابن أبي شيبة وفي الحجاج بن أرطاة، وهو ضعيف.

معجم الشيوخ للأبلي (٢٦٦)، الإحسان (٧/ ٤٥٣)، أطراف الغرائب (٣/ ٣٤١)، تهذيب السنن (٤/ ٣٤٧)، تحفة الأشراف (٤/ ٣٦٨)، البدر المنير (٥/ ٣٤٦)، الفتح (٣/ ٢٠٠)، التلخيص الحبير (٢/ ١٣٧)، النكت الظراف (٤/ ٣٦٨).

﴿١﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): ويؤيده أن علي بن مسلم الطوسي روى هذا الحديث عن شعبة، عن محمد بن جحادة: سمعت أبا صالح مولى أم هانئ، فذكر هذا الحديث. اهـ.

العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٣٢٢)، الفتح لابن رجب (٢/)، التلخيص الحبير (٢/ ١٣٧)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٤٤)، الجعديات (١/ ٦٤٨).

﴿٢﴾ وهذا التضعيف لا يعارض بقول ابن القطان: لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ. اهـ. لأن عدم الترك لا يعني أنه ثقة؛ ولذا قال ابن عدي بعد أن ذكر قول ابن القطان: لا أعلم أحداً من المتقدمين رضيه. اهـ.

سؤالات محمد بن عثمان رقم (١٨٨)، العلل لأحمد (٢/ ٥٠٢)، التاريخ =

٢ ـ أن باذام قد تفرد بهذا الحديث[١]، ولم يتابعه أحد من كبار أصحاب ابن عباس، بل جاء عن عكرمة من قوله[٢]، فلو كان عند عكرمة مرفوعاً أو من قول ابن عباس لذكره.

٣ ـ أن مسلماً وابن حبان وابن عدي ذهبوا إلى أن باذام لم يسمع من ابن عباس[٣].

= الكبير (٢/ ١٤٤)، الضعفاء والمتروكين للنسائي (٦١)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٣٢)، الكامل (٢/ ٧٠)، التمهيد (٣/ ٢٣٣)، الضعفاء للعقيلي (١/ ١٦٦)، سنن الدارقطني (٤/ ٢٦٢)، الفتح لابن رجب (٢/)، ديوان الضعفاء للذهبي (١/ ١٠٩)، البدر المنير (٢/ ٤٨٥)، التهذيب (١/ ٣٦٥)، التلخيص الحبير (٢/ ١٣٧).

﴿١﴾ وليس لأبي صالح باذام عن ابن عباس حديث سواه، إلا ثلاثة أحاديث عند الدارقطني، كلّها من رواية الكلبي عن أبي صالح، وقد نبّه الدارقطني على كذب الكلبي فيها. قال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير، وما أقل ما له في المسند.اهـ.

التاريخ الكبير (٢/ ١٤٤)، سنن الدارقطني (٤٢٢٧)، ميزان الاعتدال (١/ ٢٩٦)، التقريب (٩٤) في إتحاف المهرة لابن حجر (٧/ ١٨ ـ ١٩).

﴿٢﴾ مصنف عبد الرزاق (٣/ ٥٦٩).

﴿٣﴾ **جاء ما يدل على سماع باذام من ابن عباس على وجه العموم:**

أ ـ قال مهنا: قال أحمد: لم يكن عند أبي صالح شيء من الحديث المسند ـ يعني: إلا شيء يسير. قلت: أي شيء؟. قال: عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. قال: «النفقة في سبيل الله».

ب ـ أن شعبة ممن روى هذا الحديث عن محمد بن جحادة، ومن المعلوم لدى المشتغلين بالسُّنَّة: دلالةُ رواية شعبة بن الحجاج على سماع الرواة الذين روى عنهم بعضهم من بعض، لا في طبقة شيوخه وشيوخهم، بل في طبقة شيوخ شيوخه وشيوخهم أيضاً. إذْ لمّا روى شعبة، عن حصين، عن أبي مالك، قال: سمعت عماراً؛ قال ابن أبي حاتم لأبيه: «فأبو مالك سمع من عمار شيئاً» قال: ما أدري ما أقول لك! قد روى شعبة، عن حصين، عن أبي مالك: سمعت عماراً. ولو لم يعلم شعبة أنه سمع من عمار ما كان شعبةُ يرويه..». ووجه الاحتجاج بقوله: «ما كان شعبة يرويه»، إذ الظاهر أنه لولا صحّة السماع لما رواه شعبة، والمعنى: أن شعبة لا يروي إلا ما كان مُتّصلاً. =

الشواهد:

أ ـ ما أخرجه: أحمد (٣/ ٣٣٧)، والترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦)، وابن حبان (٣١٧٨)، من طريق أبي عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**لعن الله زوّارات**[١] **القبور**»، صححه: الترمذي، وابن حبان، والبغوي، وابن تيمية[٢]. وحسَّنه: ابن القطان الفاسي[٣]، وقال ابن عدي: لا بأس

= ج ـ أن أبا حاتم روى أثر ابن عباس الذي ذكره أحمد بلفظ التحديث بين أبي صالح وابن عباس.

د ـ ما رواه الرامهرمزي في المحدّث الفاصل قال: حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل، حدثنا عبد الرحمٰن بن صالح، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حَصين قال: كنّا عند أبي صالح، فقال: قال أبو هريرة: «إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلّها سبعين عاماً». فقال شقيق الضبّي: ما سمعنا في الجنة بظعن ولا سير! قال: أفتكذّبُ أبا هريرة؟! قال: لا، ولكن أكذّبُك. قال: وكان أبو صالح مولى أمّ هانئ وقع في السهم لجعدة بن هبيرة، فبعث به إلى أمّ هانئ، فأعتقته، وقالت لابن عباس: اكتُبْ له عِتْقَه، ففعل. وكانت تقول لأبي صالح: تعلّم، فإنّ الناس يسألونك. وتقول: خرج من بيت علم.

أما بالنسبة لحديث الباب، فالظاهر أنه لم يسمعه من ابن عباس، ويدل على ذلك تضعيف أحمد ومسلم للحديث، مع قول أحمد أنه لم يسمع منه إلا يسيراً.

المجروحين (١/ ١٨٥، ٢/ ٢٥٥)، العلل: رقم (٣٤)، الأباطيل للجوزجاني (١/ ١٣٦)، تفسير ابن أبي حاتم المنتخب من علل الخلال (١/ ١٤)، الفتح لابن رجب (٢/ ٢٠٣)، التقريب، إكمال تهذيب الكمال (٢/ ٣٤٥)، القول المحرر لحاتم الشريف (٢ ـ ٩).

[١] رواه بهذا اللفظ عن أبي عوانة أبو داود الطيالسي وقتيبة بن سعيد في رواية الترمذي، ويحيى بن إسحاق وموسى بن إسماعيل، شيبان. ورواه بلفظ «زائرات» قتيبة في رواية محمد بن عبد الله بن الجنيد. ابن حبان (٣١٧٨).

[٢] الترمذي (١٠٧٦)، ابن حبان (٣١٧٨)، شرح السُّنَّة (٢/ ٤١٧)، الفتاوى (٢٤/ ٣٦٠).

[٣] بيان الوهم والإيهام (٥/ ٥١٢).

به[١]. وضعفه: عبد الحق، وذلك للكلام في عمر بن أبي سلمة حيث تكلم فيه ابن سعد وابن المديني والنسائي وابن معين[٢]، وقد تفرد بهذا الحديث عن أبيه أبي سلمة، وقد قال الذهبي: له مناكير عن أبيه. وجاء عن أحمد ما يدل على عدم الاحتجاج بالحديث لما سئل عن زيارة المرأة للمقبرة[٣].

ب ـ ما أخرجه: أحمد (٤/ ٤٦٩)، وابن ماجه (١٥٧٤)، من طريق الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن عبد الرحمٰن بن بهمان عن عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت عن أبيه ﷺ مرفوعاً: «**لعن رسول الله زوارات القبور**». قوَّاه: البوصيري[٤]، وفيه ابن عثمان، قال ابن المديني: لا نعرفه[٥]. وفيه ابن خثيم، قال ابن مفلح: احتج به مسلم ووثقه جماعة، وقال الدارقطني: ضعيف ليّنوه[٦].

ج ـ ما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق وكيع، عن سفيان، عن أبي سنان، عن عبد الله بن الحارث قال: قال عمر: نهينا النساء لأنا لا نجد

﴿١﴾ الكامل (٥/ ٤٢).

﴿٢﴾ وقال النسائي بعد أن أخرج حديثاً من طريق عمر بن أبي سلمة: عمر بن أبي سلمة ليس بالقوي في الحديث. اهـ. بيان الوهم والإيهام (٥/ ٥١٢).

وانظر: الطبقات (٥/ ٣٧٧)، الجرح والتعديل (٦/ ١١٨)، تهذيب الكمال (٢١/ ٣٧٨)، الميزان (٣/ ٢١٠).

﴿٣﴾ قال أبو بكر: وسمعت أبا عبد الله؛ يعني: أحمد بن حنبل، يسأل عن المرأة تزور القبر؟ فقال: أرجو إن شاء الله أن لا يكون به بأس، عائشة زارت قبر أخيها، قال: ولكن حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لعن زوارات القبور، ثم قال: هذا أبو صالح ماذا؟ كأنه يضعفه، ثم قال: أرجو إن شاء الله، عائشة زارت قبر أخيها.

التمهيد (٣/ ٢٣٤)، إكمال تهذيب الكمال (٣٤٦).

﴿٤﴾ مصباح الزجاجة (٢/ ٤٤).

﴿٥﴾ ميزان الاعتدال (٢/ ٥٥١).

﴿٦﴾ الآداب الشرعية (٢/ ٣٩٤).

أضل من زائرات القبور[١].

د ـ ما أخرجه: عبد الرزاق، بإسناد صحيح، من طريق معمر، عن أيوب، عن عكرمة مولى ابن عباس[٢].

هـ ـ ما أخرجه: البخاري، من طريق خالد، عن أم الهذيل، عن أم عطية رضي الله عنها، قالت: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا.

والخلاصة: أن حديث ابن عباس رضي الله عنه اشتمل على ثلاثة أمور:

١ ـ لعن زائرات القبور، وهذا جاء ما يدل عليه من حديث عبد الرحمٰن بن حسان عن أبيه بإسناد ضعيف، ومن حديث أبي هريرة بإسناد حسن؛ لكن فيه تفرد عمر بن أبي سلمة. **والأهم في الحديث هو منع النساء من زيارة القبور، وهذا جاء ما يدل عليه كما سيأتي في حكم زيارة النساء للقبور.**

٢ ـ لعن المتخذين على القبور مساجد، وهذا قد جاء ما يدل عليه عند البخاري ومسلم.

٣ ـ لعن المتخذين على القبور السُّرج، وهذا لم يأتِ ما يدل عليه؛ لكن دل عليه الإجماع، وقد نقل الإجماع عليه شيخ الإسلام.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان[٣]. ....

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣١).

[٢] مصنف عبد الرزاق (٣/ ٥٦٩).

[٣] الوثن: ما عُبد من دون الله مما ليس له صورة كالقبر والمشاهد والشجر والحجر والعمد والحيطان وغير ذلك، يدل عليه قوله ﷺ: «**اللّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**»، وقوله ﷺ لعدي لما رأى في عنقه صليب من ذهب: «**ألق هذا الوثن**» رواه الترمذي (٣٠٩٥).

والصنم: هو ما عُبد من دون الله على شكل صورة إنسان أو حيوان. =

الثانية: تفسير العبادة﴿١﴾. **الثالثة**: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه﴿٢﴾. **الرابعة**: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد﴿٣﴾. **الخامسة**: ذكر شدة الغضب من الله. **السادسة**: وهي من أهمها: معرفة صفة عبادة اللّات التي هي من أكبر الأوثان﴿٤﴾. **السابعة**: معرفة أنه قبر رجل صالح﴿٥﴾. **الثامنة**: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية﴿٦﴾.

= وقد يسمى الصنم وثناً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾.

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعني به الآخر، وأما مع الاقتران، فيفسر كل واحد بمعناه. اهـ.

التمهيد (٥/ ٤٥)، تاج العروس (٣٢/ ٥٢٥)، الفروق اللغوية (٣٢٣)، لسان العرب (١٢/ ٣٤٩)، النهاية (٩٥٨)، مجمع بحار الأنوار (٤/ ١٢)، التيسير (٢٧٣)، فتح الحميد (٢/ ٨٩٣)، القول السديد (٩٦)، حاشية ابن قاسم (١٧٥)، القول السديد (٩٦)، القول المفيد (١/ ٢٣٦، ٤١٩)، إعانة المستفيد (١/ ٣١٠).

﴿١﴾ وهي: التذلل والخضوع للمعبود خوفاً ورجاء ومحبة وتعظيماً؛ لقوله: «**لا تجعل قبري وثناً يعبد**». اهـ. القول المفيد (١/ ٤٣٤).

﴿٢﴾ لقوله ﷺ: «**اللَّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**»؛ فالنبي ﷺ هنا دعا ألا يُجعل قبره وثناً، وهذا في حقيقته استعاذة؛ لأن الاستعاذة معناها الهروب من شيء يخاف منه إلى من يعصمك منه. وسبب استعاذة النبي ﷺ هو خوفه من أن يقع في أمته مثل ما وقع عند أهل الكتاب.

بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٠)، حاشية ابن قاسم (١٦٤)، التوضيح المفيد (١٢٦).

﴿٣﴾ لأن اتخاذَها مساجد سببٌ لجعلها أوثاناً. التوضيح المفيد (١٢٦).

﴿٤﴾ وصفة عبادته هي العكوف على قبره؛ لقول مجاهد: «فمات، فعكفوا على قبره». التوضيح المفيد (١٢٦).

﴿٥﴾ لقول مجاهد: «كان يلت لهم السويق».

﴿٦﴾ أي: أنه كان يلت السويق. الاقتضاء (٢/ ١٥٦)، إغاثة اللهفان (١/ ٦٧٧).

التاسعة: لعنه زوَّارات القبور[١]. ....

﴿١﴾ **حكم إتيان المرأة للقبور:**

أولاً: إذا اشتمل إتيانها وزيارتها على فتنة أو منكر، فزيارتها محرمة بالإجماع. الفتاوى (٢٤/ ٣٥٦).

ثانياً: إذا لم يشتمل إتيانها على منكر أو فتنة، فلم يقل أحد من الأئمة باستحبابه كما قال شيخ الإسلام، الفتاوى (٢٤/ ٣٤٥)، وصنيع البخاري يدل عليه كما قال ابن حجر الفتح (٣/ ١٧٣)؛ لكن اختلفوا في حكمها على ثلاثة أقوال، قال ابن حجر: ولا يخفى أن محل النزاع إنما هو حيث تؤمن المفسدة. اهـ:

القول الأول: الكراهة، وهو رواية للإمام أحمد، وبه قال أكثر الشافعية كابن الملقن، وبعض الحنفية، ونسبه للجمهور القرطبي. واستدلوا له بحديث أم عطية عند البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨) «نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا»، وقد حمل النووي، والقرطبي، وابن حجر كلام أم عطية على الكراهة. قال ابن حجر: قوله: «ولم يعزم علينا» أي: ولم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات. اهـ.

القول الثاني: مباحة، وهو رواية للإمام أحمد، وبه قال أكثر الحنفية والمالكية، وبعض الشافعية، والظاهرية، واستدل له بحديث مسلم، عن بريدة، عن النبي أنه قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»، والخطاب شامل للرجال والنساء. وبحديث عائشة عند الترمذي (١٠٥٥)، الحاكم (١/ ٥٣٢) في زيارتها قبر أخيها عبد الرحمٰن، وبحديثها أيضاً عند مسلم (٩٧٤): «ما أقول لهم؟ قال: قولي». وبحديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (١٢٨٣): «مر النبي بامرأة تبكي عند قبر على صبي لها، فقال: **اتقِ الله واصبري**»، قال ابن حجر: واستدل به على جواز زيارة القبور سواء كان الزائر رجلاً أو امرأة. اهـ. الفتح (٣/ ١٧٨). وبحديث فاطمة عند الحاكم (١/ ٥٣٣) كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده.

القول الثالث: التحريم، وبه قال بعض المالكية، وبعض الشافعية كأبي إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ)، النووي (٦٧٦هـ)، وبعض الحنفية كالعيني (٨٥٥هـ)، وبعض الحنابلة كشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن القيم (٨٥١هـ)، ومحمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ)، وصديق حسن خان (١٣٠٧هـ)، وأحمد شاكر (١٣٧٧هـ)، ومحمد بن إبراهيم (١٣٨٩هـ)، وابن قاسم (١٢٩٣هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)، وبكر أبو زيد (١٤٢٩هـ). قال أبو داود: «سألت أحمد عن زيارة =

....

= النساء القبر؟ قال: لا، قلت: الرجال أيسر؟ قال: نعم...».

واستدلوا له بحديث الباب، وبقول عمر رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٢٦): «نهينا النساء لأنا لا نجد أضل من زائرات القبور»، وبما رواه عبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٤٥٧) عن عمر رضي الله عنه أنه قال لما رأى نسوة مع جنازة: «ارجعن مأزورات غير مأجورات، فوالله ما تحملن ولا تدفن يا مؤذيات الأموات ومفتّنات الأحياء»، وبما رواه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٨٤) عن ابن عمر أنه قال: «ليس للنساء في الجنائز نصيب»، وأن زيارة النساء للقبور مظنة وسبب للأمور المحرمة، وأن سد الذرائع مطلوب ومقدم على جلب المنافع، مع العلم أنه ليس هناك مصلحة راجحة في زيارتها للقبور كما هو الحال بالنسبة للرجال. ولم يكن النساء في عهده ﷺ وعهد خلفائه رضي الله عنهم، يخرجن لزيارة القبور، قال شيخ الإسلام: وما علمنا أن أحداً من الأئمة استحب لهن زيارة القبور ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور كما يخرج الرجال. اهـ. الفتاوى (٢٤/ ٣٤٥).

وقال العيني: إن زيارة القبور مكروهة للنساء بل حرام في هذا الزمان، ولا سيما نساء مصر؛ لأن خروجهن على وجه الفساد والفتنة. اهـ. قال صاحب المدخل المالكي: اعلم أن الخلاف في نساء ذلك الزمان، أما خروجهن في هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أو من له مروءة في الدين بجوازه. اهـ.

وأجابوا على أدلة القول الأول والثاني بالتالي:

أما حديث أم عطية، فقال ابن القيم: قول أم عطية فهو حجة للمنع وقولها: ولم يعزم علينا، إنما نفت فيه وصف النهي، وهو النهي المؤكد بالعزيمة، وليس ذلك شرطاً في اقتضاء التحريم بل مجرد النهي كافٍ. ولَمَّا نهاهن انتهين لطواعيتهن لله ولرسوله ﷺ فاستغنين عن العزيمة عليهن. وأم عطية لم تشهد في ذلك النهي، وقد دلت أحاديث لعنة الزائرات على العزيمة فهي مثبتة للعزيمة فيجب تقديمها. اهـ. مختصر السنن (٤/ ٣٥٠). وبنحوه قال شيخ الإسلام ابن تيمية. الفتاوى (٢٤/ ٣٥٥).

وأما حديث أنس رضي الله عنه: قال بكر أبو زيد: فهو كذلك حجة للمنع، لأن النبي ﷺ لم يقرها بل أمرها بتقوى الله التي هي فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ومن جملتها النهي عن زيارة النساء للقبور وقال لها: «اصبري»، ومعلوم أن مجيئها للقبر وبكاءها منافٍ للصبر، فلما أبت أن تقبل منه لأنها لم تعرفه انصرف عنها، فلما =

....

= علمت أنه هو الآمر لها جاءته تعتذر إليه من مخالفة أمره. فأي دليل في هذا الحديث على جواز زيارة النساء للقبور؟ ومع هذا فلا يعلم أن هذه القضية كانت بعد لعنه زائرات القبور، ونحن نقول: إما أن تكون دالة على الجواز فلا دلالة على تأخرها عن أحاديث المنع، أو تكون دالة على المنع لأمرها بتقوى الله فلا دلالة فيها على الجواز، وعلى كلا التقديرين فلا تعارض هذه القضية أحاديث المنع، ولا يمكن دعوى نسخها بها. اهـ. وهذا الجواب مقتبس من كلام ابن القيم مختصر السنن (٤/ ٣٥٠). جزء في زيارة النساء للقبور لبكر أبو زيد (٤).

وأما حديث بريدة: فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الصحيح أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدها: أن قول النبي ﷺ: «**فزوروها**» صيغة تذكير، وصيغة التذكير إنما تتناول الرجال بالوضع، وقد تتناول النساء أيضاً على سبيل التغليب، لكن هذا فيه قولان: قيل: إنه يحتاج إلى دليل منفصل. وحينئذ، فيحتاج تناول ذلك للنساء إلى دليل منفصل. وقيل: إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق. وعلى هذا، فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة المستفيضة في نهي النساء.

الوجه الثاني: أن يقال: لو كان النساء داخلات في الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور، كما استحب للرجال عند الجمهور؛ لأن النبي ﷺ علل بعلة تقتضي الاستحباب، وهي قوله: «**فإنها تذكركم الآخرة**». وما علمنا أن أحداً من الأئمة استحب لهن زيارة القبور ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور كما يخرج الرجال. وأيضاً، فإن الصلاة على الجنائز أوكد من زيارة القبور. ومع هذا فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ نهى النساء عن اتباع الجنائز، وفي ذلك تفويت صلاتهن على الميت، فإذا لم يستحب لهن اتباعها لما فيها من الصلاة والثواب، فكيف بالزيارة؟!.

الوجه الثالث: أن يقال: غاية ما يقال في قوله ﷺ: «**فزوروا القبور**» خطاب عام، ومعلوم أن قوله ﷺ: «**من صلى على جنازة فله قيراط، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان**». هو أدل على العموم من صيغة التذكير، فإن لفظ: «من» يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس، وإن خالف فيه من لا يدري ما يقول. ولفظ «من» أبلغ صيغ العموم، ثم قد علم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء، =

. . . .

= لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباع الجنائز، سواء كان نهي تحريم أو تنزيه.اهـ.
وقال النووي: النساء لا يدخلن في خطاب الرجال، وهو الصحيح عند الأصوليين.اهـ.

وأما حديث عائشة: أ - حديثها في زيارتها لقبر أخيها، قال شيخ الإسلام: ولا حجة في حديث عائشة، فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام فدفعت ذلك بأن النهي منسوخ، وهو كما قالت ﷺ ولم يذكر لها المحتج النهي المختص بالنساء الذي فيه لعنهن على الزيارة. يبين ذلك قولها: «قد أمر بزيارتها»، فهذا يبين أنه أمر بها أمراً يقتضي الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة ولكن عائشة بينت أن أمره الثاني نسخ نهيه الأول فلم يصلح أن يحتج به وهو النساء على أصل الإباحة، ولو كانت عائشة تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال ولم تقل لأخيها: لما زرتك.اهـ. الفتاوى (٢٤/ ٣٥٣).

قال ابن القيم: إن المحفوظ في هذا الحديث حديث الترمذي مع ما فيه، وعائشة إنما قدمت مكة للحج فمرت على قبر أخيها في طريقها فوقفت عليه، وهذا لا بأس به، إنما الكلام في قصدها الخروج لزيارة القبور، ولو قدر أنها عدلت إليه وقصدت زيارته فهي قد قالت: لو شهدتك لما زرتك، وهذا يدل بالصراحة أن من المستقر المعلوم عندها أن النساء لا يشرع لهن زيارة القبور، وإلا لم يكن في قولها ذلك معنى.اهـ.

ب - وأما حديثها «ماذا أقول لهم»، قال بكر أبو زيد: إن حديث عائشة هذا يحتمل احتمالاً قوياً أنه على البراءة الأصلية، ثم نقل عنها إلى التحريم العام، فنسخ نهي الرجال عن الزيارة، وبقي نهي النساء على عمومه.اهـ. جزء في زيارة النساء للقبور (٤٢).

وقد أشار إلى ذلك المنذري: قد كان النبي نهى عن زيارة القبر نهياً عاماً للرجال والنساء، ثم أذن للرجال في زيارتها، واستمر في النهي في حق النساء لورود ما يقتضي تخصيصهن في ذلك الحكم من أحاديث اللعن وغيرها.اهـ. صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٨٨). ويجاب أيضاً بأن الحديث إنما سيق لتعليم السلام على أهل القبور دون إباحة الزيارة للنساء. إعلاء السنن (٨/ ٢٧٨).

وأما حديث فاطمة: فقد ضعفه البيهقي، والذهبي، والصنعاني.

مسائل أبي داود (١٥٨)، التمهيد (٣/ ٢٣٢)، المحلى (٥/ ١٦٠)، الإنصاف =

العاشرة: لعنه من أسرجها[١].

= (٢/ ٥٦١)، البحر الرائق (٢٢١٠)، رد المحتار (٢/ ٢٤٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٠)، المغني (٣/ ٥١٧)، المجموع (٥/ ٢٧٧)، حاشية ابن عابدين (٢/ ١٢٦)، الفتاوى (٢/ ٦٧٧، ٢٤/ ٣٣٤ ـ ٣٤٧)، تهذيب السنن (٩/ ٤٤)، الفتح (٣/ ٦٦)، الروض (٣٥٦)، نيل الأوطار (٥/ ١٨٠)، عون المعبود (٩/ ٤١)، التوضيح المفيد (١٢٦)، فتاوى ابن إبراهيم (٣/ ٢٣٨)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٣٦).

[١] ذهب إلى أن زيارة المرأة للمقبرة من الكبائر ابن القيم وابن النحاس. ولم يذكرها ابن الجوزي والذهبي ضمن الكبائر.

إغاثة اللهفان (٢٢١)، حاشية ابن قاسم (١٦٥)، معجم الكبائر (١٢٩).



باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

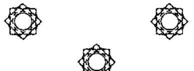
وعن علي بن الحسين، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم». رواه في المختارة.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية براءة. الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد. الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته. الرابعة:

نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال. الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت. السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة. الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعُد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب. التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.







٢٢ ـ باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك﴿١﴾(*)

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ

﴿١﴾ قال العلامة عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ (١٢٩٣هـ): حماية جناب التوحيد، وسد الذرائع الشركية: من أكبر المقاصد الإسلامية؛ وقد ترجم شيخنا، في كتاب التوحيد، لهذه القاعدة، فرحمه الله من إمام ما أفقهه في دين الله! وما أعظم غيرته لربه وتعظيمه لحرماته! وما أحسن أثره على الناس. اهـ. الدرر السنية (٨/ ٣١٤).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من التوحيد سد كل وسيلة تؤدي إلى الشرك. قال ابن القيم (٧٥١هـ): وكذلك النهي عن الصلاة بعد العصر، وبعد الفجر، وإن لم يحضر وقت سجود الكفار للشمس، مبالغة في هذا المقصود وحماية لجانب التوحيد، وسداً للذريعة إلى الشرك بكل ممكن. اهـ. إغاثة اللهفان (١/ ٥٣٤).

وقال المقريزي (٨٤٥هـ): وقد حمى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. اهـ. تجريد التوحيد المفيد (٥٤).

علاقته بالباب السابق: لما نوّع المصنف ـ في الأبواب السابقة ـ التحذير من الافتتان بالقبور، بيّن في هذا الباب السبب في ذلك، وهو حرصه وخوفه على الناس من وقوعهم في فتنة القبور؛ مقتدياً في ذلك بالنبي ﷺ. قال عبد الرحمٰن بن حسن: قوله: «باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك» قد تقدم فيما سلف من الأبواب قبل هذا. اهـ. قرة عيون الموحدين (٢٢٢).

=

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨]﴿١﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً﴿٢﴾، ولا تجعلوا قبري عيداً﴿٣﴾، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث﴿٤﴾ كنتم»﴿٥﴾. رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

= قال سليمان بن عبد الله: تأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ومحاسنه الجمة التي تقتضي أن ينصح لأمته، ويبلغ البلاغ المبين، ويسد الطرق الموصلة إلى الشرك، ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية، ويبالغ أشد المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمة في الشرك، وأعظم ذلك الفتنة بالقبور، فإن الغلو فيها هو الذي جر الناس في قديم الزمان وحديثه إلى الشرك، لا جرم فعل النبي ﷺ ذلك، وحمى جناب التوحيد حتى في قبره الذي هو أشرف القبور، حتى نهى عن جعله عيداً، ودعا الله أن لا يجعله وثناً يعبد.اهـ. التيسير (٤٤٧).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): ووجه الدلالة بالآية أنه ﷺ يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرب منه من كبائر الذنوب.اهـ. قرة عيون الموحدين (٢٢٣).

﴿٢﴾ المعنى: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقرآن، فتكون بمنزلة القبور. فتح الحميد (٢/ ٩١٧).

﴿٣﴾ المراد: النهي عن الاجتماع لزيارته كاجتماعكم للعيد لمجاورة حد التعظيم. تحقيق التجديد (٢/ ٢٤٥).

﴿٤﴾ ولفظه في مصادر السُّنَّة بإثبات الميم. فتح الحميد (٢/ ٩٢٠).

﴿٥﴾ **علاقة الحديث بالباب**، هي أن اتخاذ القبور عيداً من وسائل الشرك، كما قال سليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن. وذهب الشيخ ابن عثيمين إلى أن الشاهد من الحديث هو قوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**»، قال ابن عثيمين: النهي عن ترك الصلاة في البيوت لئلا تشبه المقابر؛ فيكون فيه دليل واضح على أن المقابر ليست محلاً للصلاة، وهذا هو الشاهد من الحديث للباب؛ لأن اتخاذ المقابر مساجد سبب قريب جداً للشرك..اهـ. =

أخرجه: أحمد (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود (٢٠٤٢)، من طريق أحمد بن صالح قال: قرأت على عبد الله بن نافع الصائغ قال: أخبرني ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة ﷺ.

صحّحه: النووي، وابنِ حجر[١].

وحسّنه: ابن تيمية، وابن عبد الهادي، وابن القيم، وابن حجر، والسخاوي، ومحمد بن عبد الوهاب[٢].

وجوّد إسناده: سليمان بن عبد الوهاب[٣].

= قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه حسماً لمادة الشرك، وسداً للطرق الموصلة إليه؛ حيث أفاد أن القبور لا يصلَّى عندها، ونهى عن الاجتماع عند قبره واعتياد المجيء إليه؛ لأن ذلك مما يوصل إلى الشرك.اهـ.

ومما تقدم تبين سبب إيراد المصنف لهذا الحديث بعد الآية؛ وذلك ليبين أن مما حرص النبي عليه هو إبعاد أمته عن تعظيم القبور.

قال سليمان بن عبد الله: تأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ومحاسنه الجمة التي تقتضي أن ينصح لأمته، ويبلغ البلاغ المبين، ويسد الطرق الموصلة إلى الشرك، ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية، ويبالغ أشد المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمة في الشرك، وأعظم ذلك الفتنة بالقبور، فإن الغلو فيها هو الذي جر الناس في قديم الزمان وحديثه إلى الشرك، لا جرم فعل النبي ﷺ ذلك، وحمى جناب التوحيد حتى في قبره الذي هو أشرف القبور، حتى نهى عن جعله عيداً، ودعا الله أن لا يجعله وثناً يعبد.اهـ.

التيسير (٤٤٧)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٤٥)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٨٥).

﴿١﴾ الأذكار (١٧٢)، الفتح لابن حجر (٦/ ٤٨٨).

﴿٢﴾ اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢١)، الصارم المنكي (١٦٤)، إغاثة اللهفان (١/ ١٩١)، الفتوحات الربانية (٣/ ٣١٢)، كتاب التوحيد (٢٧).

﴿٣﴾ التيسير فتح المجيد (١/ ٤٢٨).

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن عبد الله بن نافع مقل من الحديث[١]، وقد تكلم فيه أحمد والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم والعقيلي[٢]. وله أحاديث أُنكرت عليه[٣]، وقد تفرد بهذا الحديث كما قال الطبراني، ولم يتابعه أحد من كبار أصحاب ابن أبي ذئب كابن القطان وابن المبارك وغيرهما فإنهم لم يرووا هذا الحديث.

٢ ـ أن عبد الله بن نافع قد خولف في إسناد هذا الخبر، حيث إن هذا الحديث أصله حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة فيما يقال عند

﴿١﴾ قال أحمد: لم يكن صاحب حديث، كان ضيقاً فيه، وكان صاحب مالك.اهـ. وهذا مما يزيد في لينه؛ لأنه متكلم فيه وله منكرات. الجرح والتعديل (٥/ ٨٥٦).

﴿٢﴾ قال البخاري: في حفظه شيء. وقال أحمد: لم يكن بذاك في الحديث.

التاريخ الكبير (٥/ ٢١٣)، الجرح والتعديل (٥/ ١٨٣)، التهذيب (٦/ ٥١).

﴿٣﴾ منها:

أ ـ حديث: «**من مات بين الحرمين حاجّاً أو معتمراً لم يحاسب**»، قال الذهبي: وأنكر ما جاء عنه ـ ابن نافع ـ ما رواه محمد بن إسماعيل، عن عبد الله، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

ب ـ وحديث: «**نساءً كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة...**» قال الدارقطني: يرويه مالك واختلف عنه، فرواه ابن نافع، عن مالك، عن مسلم بن أبي مريم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، ووقفه أصحاب الموطأ وهو المحفوظ.

ج ـ قال البرذعي: قلت لأبي زرعة: حديث عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر: «أن النبي ﷺ نهى عن إخصاء الخيل»؟ فقال: هذا رواه أيوب ومالك بن عبد الله وبرد بن سنان وجماعة، عن نافع، عن ابن عمر فقط، وبمثل هذا يستدل على الرجل إذا روى مثل هذا. وأسند رجل واحد، يعني أن عبد الله في رفعه هذا الحديث يستدل على سوء حفظه وضعفه».ا هـ. العلل (١٠/ ١٥٠).

دخول المسجد[١]، والصواب فيه أنه عن ابن وهب، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد ابن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن كعب الأحبار[٢].

٣ ـ أن الحديث جاء في الصحيحين من طرق وليس فيها لفظة «عيداً». منها: ما رواه مسلم: «**من صلى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»[٣]. وما رواه مسلم: «**لا تتخذوا بيوتكم قبوراً**»[٤]. وما رواه البخاري ومسلم: «**صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً**»، وليس فيها: «**ولا تجعلوا قبري عيداً**»[٥].

---

[١] النسائي في الكبرى (٦/ ٢٧)، ابن ماجه (٧٧٣)، السنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٤٤٢).

[٢] السنن الكبرى (٦/ ٢٧)، الحلية (٨/ ١٢٨).

[٣] مسلم (٤٠٨)، من طريق العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة ﵁.

[٤] مسلم، من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ﵁.

[٥] **قال الشيخ عبد الله السعد:** حديث عبد الله بن نافع فيه ضعف؛ وذلك لأمرين:

أ ـ أن عبد الله بن نافع في حفظه لين.

ب ـ أن عبد الله بن نافع قد خولف في إسناد هذا الخبر، فالصواب في إسناد هذا الخبر أنه مرسل؛ لكن متن هذا الخبر محفوظ، وقد يكون عبد الله بن نافع روى هذا الخبر بالمعنى وقد كان فقيهاً، والفقهاء يروون الأخبار بالمعنى. والحديث جاء له شواهد كثيرة لفظاً ومعنًى، فاللفظ كأثر علي بن حسين وحسن بن حسن.

وأما من جهة المعنى، فالمعنى صحيح، وقد جاءت نصوص كثيرة تدل على معناه كحديث: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، وهذا يفيد عدم اتخاذها أعياداً ومكاناً للاجتماع والتعظيم الذي يتجاوز به الحد المشروع، وقد نهى النبي ﷺ عن البناء على القبور وتجصيصها ورفعها عن الحد المشروع، كما في حديث علي بن أبي طالب ﵁ عند مسلم «ألا أبعثك»، وفي =

وعن علي بن الحسين، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**»﴿١﴾. رواه في المختارة.

أخرجه: البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٨٦)، وأبو يعلى (١/ ٣٦١)، والضياء (٢/ ٤٩)﴿٢﴾، من طريق ابن أبي شيبة، عن زيد بن الحباب، عن جعفر بن إبراهيم (من ولد ذي الجناحين)، عن علي بن عمر بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن الحسين، به.

حسّنه: السخاوي، وجوّد إسناده: سليمان بن عبد الوهاب﴿٣﴾.

والحديث ضعيف، لأمور:

١ ـ أن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب﴿٤﴾ ليس بالمشهور، فقد سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وقال ابن حبان: روي عن علي بن عمر، عن أبيه، عن علي بن الحسين

= حديث جابر عند مسلم النهي عن البناء على القبور وتجصيصها، فكل هذا يدل على ثبوت المعنى الذي في حديث أبي هريرة السابق.

﴿١﴾ **علاقته بالباب**، قال العلامة ابن عثيمين: وكونه يظن أن الدعاء عند القبر له مزية فتح باب ووسيلة إلى الشرك.اهـ. قال صالح آل الشيخ: إن اعتياده ـ الرجل ـ الدعاء عند القبر نوع من الغلو، ووسيلة إلى تعظيم القبر، واتخاذه عيداً. وهذا من وسائل الشرك.اهـ.

القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٤٩)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٧٧).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): وشرطه ـ أي: المقدسي في كتابه ـ أحسن من الحاكم. الاقتضاء (٢/ ٦٦١).

﴿٣﴾ القول البديع (١٥٥)، تيسير العزيز الحميد (٢٩٠).

﴿٤﴾ فضل الصلاة على النبي لإسماعيل القاضي (٣٥).

بنسخة، روى عنه زيد بن الحباب، يعتبر حديثه من غير رواية عن هؤلاء. اهـ[١].

٢ ـ أن علي بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ليس بالمشهور، قال ابن حبان: روى عنه ابن الهاد، لست أحفظ له عن تابعي سماعاً قد رآه؛ فلذلك أدخلناه في هذه الطبقة، يعتبر حديثه من غير رواية أولاده عنه. اهـ. وقال: ابن حجر: مستور[٢].

٣ ـ أن ابن حبان والبزار تكلَّما على الأحاديث الواردة بهذا الإسناد[٣].

٤ ـ أن ابن حجر شكَّك في نسبة الخبر إلى جعفر بن إبراهيم[٤].

---

[١] قال المعلمي (١٣٨٦هـ): فإن من شأن البخاري ألا يخرج الخبر في التاريخ إلا ليدل على وهن راويه. اهـ. قال ابن كثير (٧٧٤هـ) في راوٍ سكت عنه ابن أبي حاتم: وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئاً من هذا، فهو مستور الحال. اهـ.

التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٤)، الثقات لابن حبان (٨/ ١٦٠)، الجرح والتعديل (٢/ ٤٧٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٤)، مجمع الزوائد (٤/ ٦).

[٢] الثقات (٨/ ٤٥٦).

[٣] الثقات لابن حبان (٨/ ٤٥٦)، البحر الزخار للبزار (٢/ ١٤٧).

[٤] قال ابن حجر (٨٥٢هـ): جعفر بن إبراهيم الجعفري: عن علي بن عمر، عن أبيه، عن علي بن الحسين نسخة، وعنه زيد بن الحباب، قال ابن حبان: يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه، وأخرج أبو يعلى، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن زيد بن الحباب بهذا السند، عن علي بن الحسين: حدثني أبي، عن جدي رفعه: «**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**»، وفي الحديث قصة، وأخرجه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب «فضل الصلاة على النبي ﷺ» عن إسماعيل بن أبي أويس، عن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر، عمن أخبره من أهل بيته، عن علي بن الحسين، فذكر القصة مطولة وفيها: قال علي بن الحسين: هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن جدي، فذكره وزاد بعد قوله قبوراً: «**وصلوا عليّ وسلموا** =

شاهد للحديث:

ـ «أن الحسن بن الحسن بن علي رأى قوماً عند القبر فنهاهم، وقال: إن النبي ﷺ قال: **لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**».

أخرجه: عبد الرزاق (٣/ ٧١)، من طريق الثوري، عن ابن عجلان، عن رجل يقال له سهيل، عن الحسن بن الحسن بن علي، به.

وهو معلول: لجهالة سهيل[١]، وإرساله[٢].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة. **الثانية:** إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد[٣]. **الثالثة:** ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته. **الرابعة:** نهيه عن

= حيث ما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم»، فلعل إبراهيم نسبه إلى جده الأعلى جعفر إن كان الخبر لجعفر، وقد أخرج المتن ابن أبي عاصم في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ من طريق سعيد بن أبي مريم، عن محمد بن جعفر: حدثني حميد بن أبي زينب، عن حسن بن الحسن اليمامي أبي عثمان، عن أبيه رفعه قال: «**حيث ما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني**»، ومحمد بن جعفر هذا هو ابن أبي كثير لا قرابة بينه وبين جعفر المذكور في سند إسماعيل ولا إبراهيم بن جعفر المذكور في سند أبي يعلى، وذكره ابن أبي طيّ في رجال الشيعة وقال: كان ثقة من رجال علي بن الحسين رضي الله عنهما، روى عنه عبد الله بن الحجاج. لسان الميزان (٢/ ١٣٥).

[١] ذكره ابن أبي حاتم ولم يزد على أنه روى عن الحسن بن علي وعنه ابن عجلان. وقال ابن حبان: سهيل شيخ يروي عن الحسن، روى عنه ابن عجلان.

الجرح والتعديل (٤/ ٢٤٩)، الثقات (٦/ ٤١٨).

[٢] قال البخاري: سهيل عن حسن بن حسن، روى عنه محمد بن عجلان، منقطع.اهـ.

التاريخ الكبير (٤/ ١٠٥). التيسير (٨/ ٤٨٤).

[٣] لقوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً**». القول المفيد (١/ ٤٥٢).

زيارة قبره على وجه مخصوص﴿١﴾، مع أن زيارته من أفضل الأعمال﴿٢﴾.

﴿١﴾ لقوله: «**ولا تجعلوا قبري عيداً**»؛ فقوله: «عيداً» هذا هو الوجه المخصوص.

القول المفيد (١/ ٤٥٢)، الاستغاثة (٢/ ٤٣٢)، الاقتضاء (٢/ ١٧٢).

﴿٢﴾ حكم السفر لزيارة القبور:

ذهب الغزالي، وإمام الحرمين، وابن قدامة، وغيرهم، إلى جواز السفر لزيارة القبور. واستدلوا بقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» رواه البخاري (١١٣٢)، ومسلم (١٣٩٧)، حيث إن الفضيلة في شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائز، والحديث في النهي عن شد الرحال لغير المساجد الثلاثة، أما غير المساجد فيجوز زيارتها.

وذهب أكثر العلماء إلى تحريم السفر لزيارة القبور، وهو اختيار ابن بطة (٣٨٧هـ)، وأبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي (٥١٣هـ)، وأبو محمد الجويني (٤٣٨هـ)، والقاضي حسين الشافعي (٤٦٢هـ)، والقاضي عياض المالكي (٥٤٤هـ)، وابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن عبد الهادي (٧٤٤هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، وأئمة الدعوة، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ) وغيرهم. واستدلوا بقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال...**». وأجابوا على أصحاب القول الأول: أن الحديث جاء فيه حصر شد الرحال لهذه المساجد الثلاثة فقط، أما ما عداها من المساجد وغيرها فلا تشد له الرحال للحصر الوارد في الحديث، فالاستثناء مفرغ، والتقدير: لا تشد الرحال إلى موضع إلا ما استثني؛ لأن المستثنى منه في المفرغ يقدر بأعم العام، كما قال القسطلاني في شرح البخاري.

حكم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ:

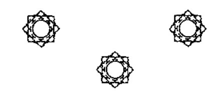
أ ـ زيارته بدون سفر سُنَّة بالإجماع، كما حكاه القاضي عياض، وابن حجر.

ب ـ اختلف أهل العلم في زيارة قبره بالسفر إليه:

فذهب النووي، وابن قدامة، وابن كج إلى جواز ذلك، مستدلين بقوله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له الجنة**» رواه الدارقطني.

وذهب إلى التحريم، مالك (١٧٩هـ)، وأبو الوفاء ابن عقيل (٥١٣هـ)، والقاضي عياض (٥٤٤هـ)، وابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن عبد الهادي (٧٤٤هـ)، =

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة﴿١﴾. **السادسة**: حثه على النافلة في البيت﴿٢﴾. **السابعة**: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة﴿٣﴾. **الثامنة**: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعُد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب﴿٤﴾. **التاسعة**: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه﴿٥﴾.



= وابن القيم (٧٥١هـ)، وعبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)، وغيرهم. وأجابوا عن أدلة القول الأول بأنه لا يصح منها شيء، وقد تكلم عليها ابن تيمية، وابن عبد الهادي.

إكمال المعلم (٤/ ٤٤٩)، الشفا (٢/ ٨٣)، المجموع (٨/ ٣٩٦)، الاقتضاء (٢/ ٦٧٢)، الفتاوى (٢٧/ ١٨٧)، الفتح (٣/ ٧٨، ٨٠)، التيسير (٢٩٣)، فتح الحميد (٢/ ٩٥٢).

﴿١﴾ لقوله: «**ولا تجعلوا قبري عيداً**».

﴿٢﴾ لقوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً**». التوضيح المفيد (١٣٠).

﴿٣﴾ لكونه جعل البيت الذي لا يصلى فيه مقبرة، فلولا أن ذلك متقرر عندهم لما حسن التشبيه. التوضيح المفيد (١٣٠).

﴿٤﴾ أي: كونه نهى ﷺ أن يجعل قبره عيداً، العلة في ذلك: أن الصلاة تبلغه حيث كان الإنسان؛ فلا حاجة إلى أن يأتي إلى قبره، ولهذا نسلم ونصلي عليه في أي مكان؛ فيبلغه السلام والصلاة. القول المفيد (١/ ٤٥٣).

﴿٥﴾ لقوله: «**وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**». التوضيح المفيد (١٣١).



باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعنَّ سُنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟». أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها. وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد، إذا

قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً».

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

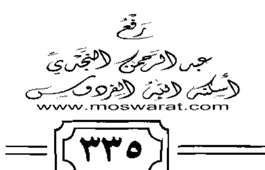
○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية النساء. الثانية: تفسير آية المائدة. الثالثة: تفسير آية الكهف. الرابعة: وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟. الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين. السادسة: وهي المقصود بالترجمة: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد. السابعة: تصريحه بوقوعها؛ أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة. الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول

حق، وأن القرآن حق، وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة. التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة. العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة. الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال. وإخباره بأنه أعطي الكنزين. وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين. وإخباره بأنه مُنع الثالثة. وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع. الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين. الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

۞ ۞ ۞





٢٣ ـ باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة﴿١﴾ تعبد الأوثان﴿٢﴾

. . . .

﴿١﴾ أي: أمة الإجابة، وليس المراد كل الأمة، فالأمة لا تجتمع على ضلالة ـ ولله الحمد ـ، بل يبقى فيها من يثبت على الحق، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»، فهذه الأمة لا تضل كلها، وإنما يضل الكثير؛ ولكن يبقى من هذه الأمة من يثبت على الحق إلى أن تقوم الساعة. فهذا من فضل الله ورحمته؛ ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن بعض هذه الأمة»، وهذا من دقة فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ. ولما جهل من جهل الفرق بين أمة الإجابة، وأمة الدعوة وقع في شبهة أن هذه الأمة لا يقع فيها الشرك وعبادة الأوثان والقبور والأصنام.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٩٣هـ): ليس كل من وصف بأنه من الأمة يكون من أهل الإجابة والقبلة، وفي الحديث: «**ما من أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني يسمع بي ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار**» رواه ابن ماجه. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء]، فدلت هذه الآية على أن هؤلاء الكافرين من الأمة التي يشهد عليهم ﷺ... والأمة في مقام المدح والوعد يراد بها أهل القبلة وأهل الإجابة، وتطلق في مقام التفرق والذم بها غيرهم. فلكل مقام مقال. اهـ.

فتح الحميد (٢/ ٩٦٧)، مصباح الظلام (٣٤١)، إعانة المستفيد (٢/ ٨٦)، التمهيد (٢٨٤).

﴿٢﴾ بفتح التاء، وفي بعض النسخ: «يعبد»؛ بفتح الياء المثناة من تحت، =

= فعلى قراءة «يعبد» لا إشكال فيها؛ لأن «بعض» مذكر. وعلى قراءة «تعبد»؛ فإنه داخل في قول ابن مالك:

وربما أكسب ثانٍ أو لا تأنيثاً ان كان لحذف موهلا

ومثَّلوا لذلك بقولهم: قُطِعَت بعض أصابعه؛ فالتأنيث هنا من أجل أصابعه لا من أجل بعض. فإذا صحت النسخة «تعبد»؛ فهذا التأنيث اكتسبه المضاف من المضاف إليه. القول المفيد (١/ ٤٥٤).

📖 الوثن: ما عبد من دون الله مما ليس له صورة؛ كالقبر والمشاهد والشجر والحجر والعمد والحيطان وغير ذلك، يدل عليه قوله ﷺ: «**اللَّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**»، وقوله ﷺ لعدي لما رأى في عنقه صليباً من ذهب: «**ألق هذا الوثن**». والصنم: هو ما عبد من دون الله على شكل صورة إنسان أو حيوان. وقد يسمى الصنم وثناً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾. وقال عبد الرحمٰن بن حسن: الوثن يطلق على كل من قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من صنم أو قبر أو غيره لقول الخليل ﷺ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء]. اهـ.

قال سليمان بن عبد الله: وقيل: الوثن هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعني به الآخر، وأما مع الاقتران فيفسر كل واحد بمعناه. اهـ. والمصنف هنا عرَّفه بالمعنى العام.

التمهيد «لابن عبد البر» (٥/ ٤٥)، تاج العروس (٣٢/ ٥٢٥)، الفروق اللغوية (٣٢٣)، لسان العرب (١٢/ ٣٤٩)، مجمع بحار الأنوار (٤/ ١٢)، التيسير (٢٧٣)، قرة عيون الموحدين (١٢٢)، حاشية ابن قاسم (١٧٥)، القول السديد (٩٦)، القول المفيد (١/ ٢٣٦، ٤١٩)، إعانة المستفيد (١/ ٣١٠)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٨٥).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من التوحيد الحذر من الوقوع في عبادة القبور؛ لأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة. قال العلامة عبد الرحمٰن السعدي (١٣٧٦هـ): مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة. اهـ. القول السديد (٧١).

علاقته بالباب السابق: لما حذر المصنف في الأبواب السابقة من الوقوع في الشرك وعبادة الأوثان، بيَّن المصنف في هذا الباب أن هذه الأمة ستقع في الشرك =

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[١] ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

= وعبادة الأوثان، وأنها غير معصومة من عبادتها، راداً بذلك على عبَّاد القبور الذين يقولون إن عبادة الأوثان والقبور لا تقع في هذه الأمة.

وقد أشار الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن إلى بعض الخصوم الآخرين ممن أورد هذه الشبهة، واعترض بها على الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، حيث قال: وممن أورد هذه الشبهة: عبد الله المويس في سدير، وابن إسماعيل في الوشم، وابن سحيم وابنه في الرياض، وسليمان بن عبد الوهاب في حريملاء، زعموا: أن هذه الأمة لا يقع فيها شرك ولا بدعة. اهـ.

قال سليمان بن عبد الله في مقدمة شرحه لهذا الباب: أراد المصنف بهذه الترجمة، الرد على عبَّاد القبور، الذين يفعلون الشرك ويقولون: أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية وهم يقولون لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، فبين في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة، ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى. اهـ.

التيسير (٢٩٧)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١١/ ٣٧٠)، القول السديد (١/ ٩٩)، حاشية ابن قاسم (١٧٥)، التعليق المفيد (١٣١)، القول المفيد (١/ ٤٥٤)، إعانة المستفيد (٢/ ٨٦)، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٦٦).

﴿١﴾ اختلف أهل العلم فيهما: هل هما اسمان لمسمًّى واحد أو لمسمَّيين؟

فقيل: إنهما اسمان لمسمَّيين، ويؤيده تفسير عمر رضي الله عنه حيث قال: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. فيكون المعنى أنهم يؤمنون بالباطل كالسحر، وعبادة غير الله، ومزخرف الباطل كالشيطان، والساحر، والكاهن، والأصنام، والأمراء، والعلماء. قال شيخ الإسلام: فإن الطاغوت هو: الطاغي من الأعيان، والجبت: هو من الأعمال والأقوال، كما قال عمر بن الخطاب: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**العيافة والطيرة، والطرق من الجبت**» رواه أبو داود. اهـ.

قال عبد الله بن عبد الرحمٰن أبا بطين (١٣٢٦هـ): اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال، يدعو إلى الباطل، ويحسنه، ويشمل =

سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]﴿٢﴾.

= أيضاً: كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله؛ ويشمل أيضاً: الكاهن، والساحر، وسدنة الأوثان، الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم، بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا، مما هو كذب أو من فعل الشياطين، ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده؛ فيوقعوهم في الشرك الأكبر وتوابعه. وأصل هذه الأنواع كلها، وأعظمها: الشيطان، فهو: الطاغوت الأكبر. والله ﷻ أعلم.اهـ.

قال ابن جرير (٣١٠هـ): الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها؛ كانت معظمة بالعبادة من دون الله؛ فقد كانت جبوتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ﷺ؛ فكانا جبتين وطاغوتين».اهـ.

تفسير ابن جرير (٥/ ١٣٣)، (٨/ ٤٦٥)، نزهة القلوب (١٩٧)، المفردات (١٨٢، ٥٢٠)، زاد المسير (٢٩١)، نزهة الأعين (٤١٠)، جامع الأصول (٧/ ٢٨١)، الفتاوى (٢٨/ ٢٠٠)، تفسير ابن كثير (٣٩٢)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٢)، روح المعاني (٥/ ٥٥)، فتح القدير (١/ ٧٦٣)، فتح الحميد (٢/ ٩٦٢)، الدرر السنية (٢/ ٢٨٩)، تفسير السعدي (١٨٢).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال الشيخ ابن عثيمين: وجه المناسبة في الآية للباب لا يتبين إلا بالحديث، وهو: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**»، فإذا كان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، وأن من هذه الأمة من يرتكب سنن من كان قبله، يلزم من هذا أن في هذه الأمة من يؤمن بالجبت والطاغوت فتكون الآية مطابقة للترجمة تماماً.اهـ. القول المفيد (١/ ٤٥٦).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): إنه إذا كان اليهود ممن =

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ [الكهف: ٢١] ﴿٣﴾.

عن أبي سعيد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعنَّ ﴿٤﴾ **سنن** ﴿٥﴾

= عبد الطاغوت، فكذلك يكون في هذه الأمة. اهـ. حاشية ابن قاسم (١٧٧). وعبادة الطاغوت يدخل فيها عبادة الأوثان من عبادة القبور، وتأليه أصحابها، والتوسل بهم إلى الله جل وعلا، والاستشفاع بهم إلى الله جل وعلا، أو طلب الشفاعة منهم، ونحو ذلك من الوسائل الشركية، أو ما هو من الشرك الأكبر. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٨٨).

﴿١﴾ قال أبو عبد الله القرطبي (٦٦٧هـ): فقال الملك: ابنوا عليهم بنياناً، فقال الذين هم على دين الفتية: اتخذوا عليهم مسجداً. وروي أن طائفة كافرة قالت: نبني بيعة أو مضيفاً، فمانعهم المسلمون وقالوا: لنتخذن عليهم مسجداً. اهـ. وذهب إلى أن الآمر بالبناء هم من كان له النفوذ والسلطة، القرطبي كما تقدم وهو ترجيح ابن كثير والسعدي وغيرهم.

زاد المسير (٨٤٥)، تفسير القرطبي (٢/ ١٨٩٣)، تفسير ابن كثير (٩٥٨)، تفسير السعدي (٤٧٣).

﴿٢﴾ والآية ليس فيها حمد الذين عزموا على اتخاذ المسجد عليهم، وإن وقع منهم فعل هذا الذي عزموا عليه فهو من جملة ما دلت عليه تلك الأحاديث المحكمة من ذم من فعل ذلك في الأمم السابقة، وقد نُهيت هذه الأمة عن فعلهم كما هو واضح في حديث جندب عند مسلم (١١٨٨)، مرفوعاً: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**». الإيضاح والتبيين لعبد المحسن العباد (٢٠).

﴿٣﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيها دليلاً على أنه سيكون في هذه الأمة من يتخذ المساجد على القبور، كما كان يفعله من كان قبلهم. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١٩٢).

﴿٤﴾ قوله: «**لتتبعن**»: اللام موطئة للقسم، والنون للتوكيد؛ فالكلام مؤكد بثلاثة مؤكدات: القسم المقدر، واللام، والنون، والتقدير: والله لتتبعن. القول المفيد (١/ ٤٦٣).

﴿٥﴾ قوله: «**سنن من كان قبلكم**»: فيها روايتان: «سَنَنَ» و«سُنَنَ». =

من كان قبلكم﴿١﴾، حذو القذة بالقذة﴿٢﴾، حتى لو دخلوا جُحر ضب

= أما «سنن»؛ بضم السين: جمع سُنَّة، وهي الطريقة. وأما «سنن»، بالفتح: فهي مفرد بمعنى الطريق.

القول المفيد (١/ ٤٦٣)، الفتح (٦/ ٤٩٨)، فتح المجيد (٢٣١).

﴿١﴾ ذهب سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ) إلى أن قوله: «**لتتبعن سنن من قبلكم**» ليس على ظاهره، بل هو عام مخصوص؛ لأننا لو أخذنا بظاهره كانت جميع هذه الأمة تتبع سنن من كان قبلها، لكننا نقول: إنه عام مخصوص؛ لأن في هذه الأمة من لا يتبع تلك السنن، كما أخبر النبي ﷺ؛ لأنه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق، ولا تجتمع هذه الأمة على ضلالة.

قال ابن عثيمين: وقد يقال: إن الحديث على عمومه وأنه لا يلزم أن تتبع هذه الأمة الأمم السابقة في جميع سننها، بل بعض الأمة يتبعها في شيء وبعض الأمة يتبعها في شيء آخر، وحينئذ لا يقتضي خروج هذه الأمة من الإسلام، وهذا أولى لبقاء الحديث على عمومه، ومن المعلوم أن من طرق من كان قبلنا ما لا يخرج من الملة، مثل: أكل الربا، والحسد، والبغي، والكذب. ومنه ما يخرج من الملة: كعبادة الأوثان.

التيسير (٣٠١)، فتح الحميد (٢/ ٩٧٧)، القول المفيد (١/ ٤٦٤).

﴿٢﴾ «**القذة**» ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركب في السهم، ومنه الحديث: «**لتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة**»؛ أي: كما تُقَدَّر كلُّ واحدة منهما على قَدْر صاحِبتها وتُقْطَع. يُضرب مثلاً للشَّيئين يَسْتويان ولا يتفاوتان. قال ابن عثيمين: قوله: «**حذو القذة بالقذة**»: حذو بمعنى: محاذياً، وهي منصوبة على الحال من فاعل تتبعن؛ أي: حال كونكم محاذين لهم حذو القذة بالقذة. والقذة: هي ريشة السهم، والسهم له ريش لا بد أن تكون متساوية تماماً، وإلا صار الرمي به مختلاً. اهـ.

قال سليمان بن عبد الله: والقذة ـ بضم القاف ـ واحدة القذذ، وهي: ريش السهم، وله قذتان متساويتان؛ أي: لتفعلن أفعالهم، ولتتبعن طرائقهم حتى تشبهوهم وتحاذوهم، كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى. اهـ.

النهاية في غريب الأثر (٤/ ٤٦)، المعجم الوسيط (٢/ ٧٢١)، التيسير (٣٠٠)، القول المفيد (١/ ٤٦٧)، شرح «عمدة الأحكام «الجبرين» (١٢/ ٣).

لدخلتموه﴿١﴾. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟﴿٢﴾ قال: **فمن؟»**﴿٣﴾﴿٤﴾ أخرجاه﴿٥﴾﴿٦﴾.

﴿١﴾ هذه الجملة تأكيد منه ﷺ للمتابعة. القول المفيد (١/ ٤٦٧).

﴿٢﴾ هو برفع اليهود خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني اليهود والنصارى.

﴿٣﴾ استفهام إنكار؛ أي: ليس المراد غيرهم. تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٢٥٧).

﴿٤﴾ فهذا الحديث للتوبيخ، والتحذير، والنهي، والذم من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب، كما قال ابن عبد البر، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وسليمان بن عبد الله، وابن عثيمين، وغيرهم.

فتح الباري «لابن رجب» (٢/ ٤٤)، التيسير (٣٠٠)، القول المفيد (١/ ٤٦٦).

﴿٥﴾ البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)، من طريق: زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي الله عنه. الذي في الصحيحين: «**شبراً بشبر وذراعاً بذراع**»، أما جملة: «**حذو القذة بالقذة**» ليست في «الصحيحين»، وهي في «المسند» (٤/ ١٢٥) من حديث شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن شداد بن أوس بلفظ: «**ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلكم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة**». وفيه شهر، وهو ضعيف. وجاء عند الطبراني «المعجم الكبير» (١٠/ ٣٩)، من طريق ليث، عن عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل، لتركبن طريقتهم حذو القذة بالقذة حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله، حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ويضحكون إليه**». وهو معلول فقد رواه سفيان، عن هزيل، عن ابن مسعود من قوله.

﴿٦﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال عبد الرحمن بن حسن (١٢٨٥هـ): بيَّن ﷺ في هذا أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه في هذه الأمة، وهو الشاهد للترجمة. اهـ.

وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): ووجه مطابقة الحديث للترجمة واضح؛ لأن الأمم قبلنا وجد فيها الشرك، فكذلك يوجد في هذه الأمة كما هو الواقع. اهـ. التيسير (٤٧١)، قرة عيون الموحدين (١/ ٢٣١).

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها﴿١﴾، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها﴿٢﴾. وأُعطيت الكنْزين: الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن

﴿١﴾ اختلف أهل العلم في ماهية الرؤية على قولين: القول الأول: أنها رؤية منامية. القول الثاني: أنها رؤية بصرية، وهو قول القاضي عياض، والقرطبي، وابن عثيمين. واختلف أصحاب القول الثاني في كيفية الرؤية على قولين:

القول الأول: أن الله جمع له الأرض، وإليه ذهب الخطابي، والقاضي عياض، والنووي، والسيوطي، وابن عثيمين. قال القاضي عياض: قوله: «**زويت لي الأرض**»: بتخفيف الواو؛ أي: جمعت وقبضت، وكذلك أن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار؛ أي: ينقبض، قيل: معناه وأهله وعمَّاره أي الملائكة؛ لاستقذار ذلك، ومنه: اللَّهم ازو لنا الأرض؛ أي: ضمها واطوها وقرِّبها لنا، وفي جهنم: فينزوي بعضها إلى بعض؛ أي: ينضم.

القول الثاني: أن الله قوَّى إدراك بصره فأدرك البعيد من موضعه كما أدرك بيت المقدس من مكة، وهو قول القرطبي.

شرح السُّنَّة (١٤/ ٢١٥)، مشارق الأنوار (١/ ٣١٣)، التيسير (٣٠٢)، التعليق المفيد (١٣٤)، القول المفيد (١/ ٤٧١).

﴿٢﴾ قال الخطابي: توهم بعض الناس أن «من» في «منها» للتبعيض، وليس ذلك كما توهمه، بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة، ومعناه أن الأرض زويت لي جملتها مرة واحدة فرأيت مشارقها ومغاربها، ثم هي تفتح لأمتي جزءاً فجزءاً حتى يصل ملك أمتي إلى كل أجزائها.

قال القاري: ولعل وجه من قال بالتبعيض هو أن ملك هذه الأمة ما بلغ جميع الأرض، فالمراد بالأرض أرض الإسلام، وأن ضمير منها راجع إليها على سبيل الاستخدام. تحفة الأحوذي (٦/ ٣٣٢).

بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً»[١].

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي[٢] بالمشركين[٣]، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان[٤]، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم

---

[١] مسلم (٢٨٨٩)، من طريق: حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان ﷺ.

[٢] يعني: أمة الإجابة. فتح الحميد (٢/ ١٠٠٢).

[٣] فيه أن السكون مع المشركين في دارهم مذموم، إلا أن يقدر على إظهار دينه. فتح الحميد (٢/ ١٠٠٣).

[٤] **جمع العلماء بين هذا الحديث وما جاء في معناه من وقوع الشرك في هذه الأمة وبين حديث جابر عند مسلم (٢٨١٢هـ) مرفوعاً: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب؛ لكن في التحريش بينهم».**

أ ـ قال ابن رجب (٧٩٥هـ)، وأبا بطين (١٣٢٦هـ): إن الشيطان قد أيس أن يجتمعوا كلهم على الكفر. قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبو بطين: قال ابن رجب على الحديث: أنه يئس أن يجتمعوا كلهم على الكفر الأكبر، وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، قال ابن عباس ﷺ: يعني: يئسوا أن تراجعوا دينكم. وأيضاً ففي الحديث نسبة اليأس إلى الشيطان مبيناً للفاعل لم يقل أيس بالبناء للمفعول، ولو قدر أنه يئس من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فإنما ذلك ظن منه وتخمين، لا عن علم؛ لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله. . ، كما أن أكثر العرب ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ فكثير منهم رجعوا إلى الكفر وعبادة الأوثان، وكثير صدقوا مسيلمة في دعواه الكاذبة للنبوة، ومن أطاع الشيطان في نوع من أنواع الكفر فقد عبده، لا تختص عبادة الشيطان بنوع من الشرك، كما أن المصطفى ﷺ أخبر أن هذه الأمة تفعل كما فعلت الأمم قبلها: اليهود والنصارى وفارس والروم. . .اهـ. مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٤٨٢ ـ ٤٨٧) بتصرف.

ب ـ وقال ابن عثيمين: إن النبي ﷺ أخبر عما وقع في نفس الشيطان من اليأس عندما رأى عز الإسلام وانتشاره، وهذا لا يلزم عدم وقوع الشرك وعبادة =

يزعم أنه نبي﴿١﴾ ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم﴿٢﴾ حتى يأتي أمر الله

= سوى الله.اهـ. وبهذ أجاب عبد الله بن حميد.

ج ـ وقال غيرهم: إن الشيطان لا يطمع أن يعبده المؤمنون في جزيرة العرب.

د ـ وقال القرطبي: إن المسلمين في جزيرة العرب ما أقاموا الصلاة وأظهروها لم يظهر فيها طائفة يرتدون عن الإسلام إلى عبادة الطواغيت والأوثان، فإن تركوا الصلاة وذهب عنهم اسم المصلين كانوا شرار الخلق، وهذا يتم إذا قبض الله المؤمنين بالريح الباردة، وحينئذ تضطرب أليات دوس حول ذي الخليصة وتعبد اللات والعزى.

هـ ـ وقال بعض أهل العلم: قد أيس أن يعبد هو لا أنه أيس أن يعبد غيره من المخلوقات كالأنبياء والأشجار.

و ـ وقال بعض أهل العلم: إن الألف واللام في «المصلين» للعهد، ويكون المراد بهم الصحابة دون غيرهم، أو تكون الألف واللام للجنس، كما قال ابن رجب، ويكون المراد جميع المصلين في جزيرة العرب، وهذا لا يتنافى مع رجوع بعضهم للشرك.

﴿١﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وليس المراد من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا، وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر.اهـ. وبه قال ابن باز. وقال ابن عثيمين: ذكر الثلاثين لبيان الحد الأدنى؛ أي: أنهم لا ينقصون عن ذلك العدد، وإنما عدلنا عن ظاهر اللفظ للأمر الواقع، وهذا ـ والله أعلم ـ.اهـ.

الفتح (١٠/ ٤١٠)، التعليق المفيد (١٣٦). القول المفيد (١/ ٤٨٧).

﴿٢﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): وقد اختلف في محل هذه الطائفة، فقال ابن بطال: إنّها تكون ببيت المقدس إلى أن تقوم الساعة، كما روى الطبري من حديث أبي أمامة: «قيل: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس**»»، وقال معاذ بن جبل ﷺ: «هم بالشام». وهذا قول أكثر الشارحين. وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً إلى أن يقاتلوا الدجال، بل قد تكون في موضع آخر، لكن لا تخلو الأرض منها حتى يأتي أمر الله. =

تبارك وتعالى«﴿١﴾﴿٢﴾﴿٣﴾.

= **قلت**: وهذا هو الحق، فإنه ليس في الشام منذ أزمان أحد بهذه الصفات، بل ليس فيه إلا عباد القبور، وأهل الفسق وأنواع الفواحش والمنكرات، ويمتنع أن يكونوا هم الطائفة المنصورة، وأيضاً فهم منذ أزمان لا يقاتلون أحداً من أهل الكفر، وإنما بأسهم وقتالهم بينهم. وعلى هذا فقوله في الحديث: «**هم ببيت المقدس**». وقول معاذ: (هم بالشام). المراد أنهم يكونون في بعض الأزمان دون بعض، وكذلك الواقع فدل على ما ذكرنا. اهـ.

وقال ابن باز: وقد جاء في روايات أنها تكون بالشام؛ لكن إن صح هذا فالمراد أحياناً وليس دائماً؛ ولكن غالبها روايات ضعيفة وليس لها مكان معين قد تجتمع وقد تفترق، وليس في حديث صحيح ما يدل على أنها تكون في مكان معين. اهـ.

التيسير (٣١٢)، التعليق المفيد (١٣٦).

﴿١﴾ والمراد به: الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة؛ لأن الساعة لا تقوم حتى لا يقال في الأرض: «الله، الله».

﴿٢﴾ أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبو داود (٤٢٥٢)، من طريق: حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة به. صححه (الحاكم (٤)/ ٤٤٩)، وأبو نعيم «الحلية» (٢/ ٢٨٩).

فائدة: الحديث أخرجه مسلم (٢٨٨٩)، من نفس الطريق، ولكن ليس فيه موضع الشاهد: «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**»؛ لكن يشهد للشاهد ما أخرجه البخاري (٧١١٦)، من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات دوس على ذي الخليصة**».

قال سليمان بن عبد الله: وفي معنى هذا ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**»، وفي «صحيح مسلم» عن عائشة مرفوعاً: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**». اهـ. التيسير (١٨٢).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال سليمان بن عبد الله: فيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك، وعبادة الأوثان في هذه الأمة. اهـ.

التيسير (١٨٢)، القول المفيد (١/ ٤٥٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء. **الثانية**: تفسير آية المائدة. **الثالثة**: تفسير آية الكهف. **الرابعة**، وهي أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟[١]. **الخامسة**: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين[٢]. **السادسة**، وهي المقصود بالترجمة: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد[٣]. **السابعة**: تصريحه بوقوعها؛ أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة[٤]. **الثامنة**، العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق، وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): أما إيمان القلب واعتقاده؛ فهذا لا شك في دخوله في الآية. وأما موافقة أصحابها في العمل مع بغضها ومعرفة بطلانها؛ فهذا يحتاج إلى تفصيل، فإن كان وافق أصحابه بناء على أنها صحيحة؛ فهذا كفر، وإن كان وافق أصحابها ولا يعتقد أنها صحيحة؛ فإنه لا يكفر، لكنه لا شك على خطر عظيم يخشى أن يؤدي به الحال إلى الكفر، والعياذ بالله. القول المفيد (١/ ٤٨٣).

لكن كلام العلامة ابن عثيمين لا يتفق مع تقريرات إمام الدعوة وتلاميذه، فمقصودهم ظاهر، وهو أن الإيمان بالجبت هو موافقة أصحابها، قال ابن قاسم: فالإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هو موافقة أصحابها مع بغضها، ومعرفة بطلانها، كفعل علماء السوء مع أهل الحق، حرفة يهودية، ووراثة غضبية. حاشية ابن قاسم (١٧٦).

﴿٢﴾ يعني: أنّ هذا القول كفر وردة. القول المفيد (١/ ٤٨٤).

﴿٣﴾ أي: الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل دين المشركين على المسلمين وعبادة الطاغوت وبناء المساجد على القبور. التوضيح المفيد (١٣٦).

﴿٤﴾ لقوله: «**حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**». التوضيح المفيد (١٣٦).

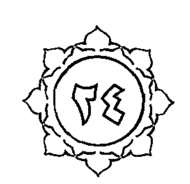
هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة. **التاسعة:** البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة. **العاشرة،** الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. **الحادية عشرة:** أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة[١].

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال. وإخباره بأنه أعطي الكنزين. وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين. وإخباره بأنه منع الثالثة. وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع. **الثالثة عشرة:** حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين. **الرابعة عشرة:** التنبيه على معنى عبادة الأوثان[٢].

۞ ۞ ۞

﴿١﴾ أي: ساعتهم وهو وقت موتهم إذا أرسل الله الريح التي تقبضهم في آخر الزمان، ثم لا يبقى إلا شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة. التعليق المفيد (١٣٧).

﴿٢﴾ يعني: أن عبادة الأوثان لا تختص بالركوع والسجود لها، بل تشمل اتباع المضلين الذين يحلون ما حرم الله فيحله الناس، ويحرمون ما أحله الله فيحرمه الناس. القول المفيد (١/ ٤٨٨).



باب: ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، قال عمر: «الجبت السحر، والطاغوت الشيطان». وقال جابر: «الطواغيت كهَّان كان ينْزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد».

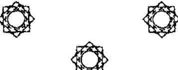
وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وعن جندب مرفوعاً: «حدُّ الساحر ضربة بالسيف»، رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري عن بَجَالة بن عَبَدَه قال: كتب عمر بن الخطاب: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر». وصح عن حفصة رضي الله عنها: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت». وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية البقرة. **الثانية**: تفسير آية النساء. **الثالثة**: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما. **الرابعة**: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس. **الخامسة**: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي. **السادسة**: أن الساحر يكفر. **السابعة**: أنه يقتل، ولا يستتاب. **الثامنة**: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟.







٢٤ ـ باب: ما جاء في السحر ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): أي من الوعيد وبيان منافاته للتوحيد، وتكفير فاعله. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٨٦).

السحر: هو عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه. قال المازري (٥٣٦هـ): والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك، بل إنما تقع غالباً اتفاقاً، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي. ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق. اهـ.

والسحر ينقسم إلى قسمين:

الأول: سحر تخييلي، ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

الثاني: سحر حقيقي، وهو ما يؤثر على القلب والعقل. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، و﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق]، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه، و«أن النبي ﷺ سُحر حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله» رواه البخاري. قال النووي (٦٧٦هـ): والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسُّنَّة الصحيحة المشهورة. اهـ. ونفاه أبو جعفر الإستراباذي من الشافعية، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري، وطائفة.

وهذا القسم ـ الحقيقي ـ له ثلاث مراتب:

١ ـ وقوع التفريق بين الزوجين، وهذا بالإجماع كما حكاه القرطبي، وابن تيمية.

=

. . . .

= ٢ ـ عدم التمكن مما هو من خصائص الله كالغيب وإحياء الموتى، وهذا بالإجماع كما حكاه ابن تيمية، وابن القيم.

٣ ـ قلب الأعيان كقلب الخشب ذهباً، وقد قال بمنعه الجمهور، وهو اختيار القرطبي، والشنقيطي، وابن عثيمين.

تفسير ابن جرير (١/ ٤٥٩)، الكافي (٤/ ١٦٤)، المطلع «للبعلي» (٣٥٨)، شرح صحيح مسلم «للنووي» (١٤/ ١٧٤)، النبوات (١١٥، ٢٧٣)، بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٧)، الكبائر «للذهبي» (١٤)، الفتح (١٠/ ٢٢٢)، كشاف القناع «للبهوتي» (٦/ ١٦٧)، نيل الأوطار (٧/ ٢٠١)، تحقيق التجريد (٢/ ٢٦٨)، القول المفيد (٢/ ٧)، السحر «للدميني» (٢٥).

📖 **علاقته الباب بكتاب التوحيد**: لما كان السحر ينافي أصل التوحيد أو كماله؛ لأنه لا يتأتى بدون الشرك، ناسب ذكره في كتاب التوحيد. قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): السحر من أنواع الشرك؛ إذ لا يأتي السحر بدونه؛ ولهذا جاء في الحديث: «**ومن سحر فقد أشرك**». وبنحوه قال السعدي، وابن عثيمين، والفوزان. قال السعدي: السحر يدخل في الشرك من جهتين: من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه. ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.اهـ. قال البيضاوي: هو ـ السحر ـ ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان، مما لا يستقل به الإنسان.اهـ.

علاقته بالأبواب السابقة: لما بيَّن المصنف في الأبواب السابقة السبب الأول من أسباب الوقوع في الشرك في بني آدم وهو تعظيم القبور والتبرك بها، شرع المصنف في ذكر السبب الثاني في وقوع الشرك في بني آدم وهو تعظيم الكواكب التي يجعلونها ستاراً لسحرهم. وهذان السببان اقتبسهما إمام الدعوة من شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين: والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين: أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون الشرك. والسبب الثاني: عبادة الكواكب، فكانوا يصنعون للأصنام طلاسم للكواكب ويتحرون الوقت المناسب لصنعة ذلك الطِّلَّسم، ويصنعونه من مادة تناسب ما يرونه من طبيعة ذلك الكوكب =

....

= ويتكلمون عليها بالشرك والكفر، فتأتي الشياطين فتكلمهم وتقضي بعض حوائجهم ويسمونها روحانية الكواكب، وهي الشيطان أو الشيطانة التي تضلهم.

والكتاب الذي صنفه بعض الناس وسمَّاه: السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم، فإن هذا كان شرك الكلدانيين والكشدانيين، وهم الذين بعث إليهم الخليل صلوات الله عليه، وهذا أعظم أنواع السحر؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**». اهـ. وقال في موضع آخر: صناعة «التنجيم» التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية صناعة محرمة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]، قال عمر وغيره: الجبت السحر. اهـ. ومما يقوي أنه اقتباسهما من شيخ الإسلام أنه في ذكره لألفاظ الأحاديث والحكم عليها يعتمد على شيخ الإسلام كما في اقتضاء الصراط المستقيم، وقد أشار لذلك ابن باز عند حديث في باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح. قال أبو بكر الرازي: كان أهل بابل قوماً صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم، وعملوا أوثاناً على أسمائها، ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام، وكانت علومهم أحكام النجوم، ومع ذلك فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر وينسبونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم. اهـ. قال ابن عباس: أوصيك بتقوى الله، وإياك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة، وإياك أن تذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير فيكبك الله على وجهك في جهنم، فإن الله أظهر بهم هذا الدين، وإياك والكلام في القدر فإنه ما تكلم فيه اثنان إلا أثما أو أثم أحدهما. اهـ.

الرد على المنطقيين (١/ ٢٨٥)، الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، مفتاح دار السعادة (٢/ ١٩٧)، الفتح (١٠/ ٢٢٢)، الدر المنثور (٣/ ٣٣٠)، التيسير (٣١٣)، فتح الحميد (٢/ ١٣١٠)، القول السديد (٩٧)، الدر النضيد «للحمدان» (١٦٨)، التعليق المفيد (١٢١)، القول المفيد (١/ ٤٩١).

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾﴿١﴾ [البقرة: ١٠٢]﴿٢﴾.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]﴿٣﴾، قال عمر: «الجبت السحر، والطاغوت الشيطان»﴿٤﴾. وقال جابر: «الطواغيت كهان كان ينْزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد»﴿٥﴾.

﴿١﴾ بيّن الشيخ حافظ الحكمي (ت١٣٧٧هـ) وجه الدلالة على كفر الساحر فقال: وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفى بدخول الجنة خلافاً، ولا يدخل إلا نفس مؤمنة.اهـ. معارج القبول (١/ ٥١٧).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): دلت الآية على تحريم السحر. واستدل بها بعضهم على كفر الساحر لعموم قوله: ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾.اهـ. التيسير (٣١٥). والمصنف أراد من هذا الآية والآية التي بعدها وحديث أبي هريرة ﷺ تقرير أن الساحر كافر، حيث نجده قال في المسائل: السادسة: أن الساحر كافر.اهـ.

﴿٣﴾ **علاقتها بالباب،** قال ابن قاسم: إن السحر داخل في الجبت، وفي الكليات: «الجبت الشيطان أو الساحر». اهـ، والجبت هو الباطل، والسحر منه؛ لأنه باطل خلاف الحق.اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٨٧).

﴿٤﴾ البخاري معلقاً، وابن جرير (٣/ ١٣) من طريق أبي إسحاق، عن حسان بن فائد العبسي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال ابن حجر: وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدد في مسنده، وعبد الرحمٰن بن رستة في كتاب الإيمان، كلهم من طريق أبي إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر مثله، وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق له من حسان، وسماع حسان من عمر في رواية رستة، وحسان بن فائد بالفاء عبسي بالموحدة، قال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في الثقات، وروى الطبري عن مجاهد مثل قول عمر وزاد: والطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه، ومن طريق سعيد بن جبير وأبي العالية قال: الجبت الساحر، والطاغوت الكاهن، وهذا يمكن رده بالتأويل إلى الذي قبله.اهـ. الفتح (٨/ ٢٥٢).

﴿٥﴾ ابن جرير (٣/ ١٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ٢٠٠)، بسند حسن، من =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر[١]**، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»**[٢].

وعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر ضربة بالسيف»، رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف[٣].

أخرجه: الترمذي (١٤٦٠)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والحاكم (٣/ ١١٤)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، من طريق: إسماعيل بن مسلم المكي، عن الحسن، عن جندب الخير.

= طريق حجاج المصيصي، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه. ابن أبي حاتم. عمدة القاري (١٨/ ١٧٥)، من طريق عقيل بن معقل، عن وهب بن منبه، عن جابر. والأثر علقه البخاري بصيغة الجزم.

علاقة الأثر بالباب، قال سليمان بن عبد الله: ومطابقة هذا للترجمة ظاهر من جهة أن الساحر طاغوت من الطواغيت؛ إذ كان هذا الاسم يطلق على الكاهن فالساحر أولى؛ لأنه أشر وأخبث.اهـ.

التيسير (٣١٧). حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (١٨٨).

[١] وعطف السحر على الشرك بالله ليس عطفاً بين متغايرين في الحقيقة، وإنما هو عطف بين خاص وعام، فالشرك بالله يكون بالسحر ويكون بغيره، فعطف السحر على الشرك للتنصيص عليه، والسحر ـ كما ذكرنا ـ أحد أفراد الشرك بالله ـ جل وعلا ـ.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٠٢).

[٢] البخاري (٢٧٦٤)، ومسلم (٨٩)، من طريق سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

علاقته بالباب، قال صالح آل الشيخ: وجه الاستدلال من ذلك: أن السحر من الموبقات، وعطف السحر على الشرك بالله ليس عطفاً بين متغايرين في الحقيقة، وإنما هو عطف بين خاص وعام.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٠٢).

[٣] **علاقته بالباب:** أن في قتله دليلاً على ردته.

صحَّحه: الحاكم، والسيوطي[١].
حسَّنه: البغوي.[٢]
ضعَّفه: البخاري، والترمذي، وابن عدي، وابن العربي، والذهبي، وابن حجر[٣].
وهو الصواب؛ لأمور:
١ ـ أن إسماعيل بن مسلم المكي متفق على ضعفه، كما قال الذهبي[٤].
٢ ـ أن إسماعيل بن مسلم اضطرب فيه، فرواه مرة عن الحسن مرسلاً[٥]، ومرة عن الحسن عن جندب.
٣ ـ أن الأئمة؛ كالترمذي والذهبي وابن حجر، أعلُّوه بالوقف[٦].
وفي صحيح البخاري عن بَجَالة بن عَبَدَه قال: كتب عمر بن الخطاب: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[٧].

---

[١] المستدرك (٤/ ٣٦٠)، فيض القدير (٣/ ٣٧٦).
[٢] مصابيح السُّنَّة (٢/ ٥٣٤). وقواه بمجموع الطرق مغلطاي. فيض القدير (٣/ ٣٧٧).
[٣] العلل الكبير للترمذي (٢٣٧)، الكامل (١/ ٢٨٥)، عارضة الأحوذي (٦/ ٢٤٦)، الكبائر للذهبي (٤٢)، الفتح (١٠/ ٢٣٦).
[٤] التهذيب (١/ ١٦٧)، التقريب (٨٢).
[٥] الدارقطني (٣/ ١١٤)، من طريق ابن عيينة، عن إسماعيل، عن الحسن مرسلاً.
[٦] العلل الكبير للترمذي (٢٣٧)، الكبائر للذهبي (٤٢)، الفتح (١٠/ ٢٣٦).
[٧] لفظة: «**اقتلوا كل ساحر وساحرة**» ليست في البخاري؛ لكن جاءت عند أحمد (١/ ١٩٠)، وأبي داود (٣٠٤٣)، من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن بجالة به. وعبد الرزاق (٩٩٧٢)، من طريق ابن جريج، عن عمرو بن =

وصح عن حفصة رضي الله عنها: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتلت»﴿١﴾. وكذلك صح عن جندب﴿٢﴾. قال أحمد: عن ثلاثة من

= دينار، عن بجالة، وعبد الرزاق (١٨٧٤٦)، من طريق معمر، عن عمرو به، وسعيد بن منصور (٢/ ٩١)، من طريق هشيم، عن عوف، عن عباد المازني، عن بجالة، وسعيد بن منصور (٢/ ٩١)، من طريق هشيم، عن داود بن أبي هند، عن قشير بن عمرو، عن بجالة.

والأثر قد صححه بقتل الساحر والسحرة: الشافعي، الترمذي، وابن حزم» الجارود، وابن الملقن.

المنتقى لابن الجارود (١/ ٢٧٨)، المحلى (٣٣/ ٣٩٦)، التتبع (٢٩١)، بيان أحاديث أودعها البخاري كتابه الصحيح للدارقطني (١٠٠)، البيهقي (٨/ ٢٤٨)، البدر المنير (١/ ١٩٠)، الفتح (٦/ ٢٦١)، النكت (٨/ ٢٠٨).

﴿١﴾ مالك «الموطأ» (٢/ ٨٧)، بلاغاً، ووصله البيهقي (٨/ ١٣٦)، بسند صحيح، من طريق عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الشيخ عبد الله السعد.

﴿٢﴾ أخرجه: البخاري «التاريخ» (٢/ ٢٢٢)، من حديث خالد الواسطي، والبيهقي، من طريق هشيم. كلاهما «خالد وهشيم»، عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان، قال: «كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنساناً وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله»، قال الذهبي: إسناده صحيح.اهـ. لكن فيه انقطاع؛ لأن خالداً الحذاء لم يسمع من أبي عثمان، كما قال أحمد.

وأخرجه: البخاري «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢)، من طريق عبد الواحد، عن عاصم، عن أبي عثمان النهدي بلفظ: فقتله جندب بن كعب. ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم (٤/ ٣١٦)، من طريق أشعث بن عبد الملك، عن الحسن قال: «أن أميراً من أمراء الكوفة دعا ساحراً يلعب بين يدي الناس، فبلغ جندب، فأقبل بسيفه واشتمل عليه، فلما رآه ضربه بسيفه، فتفرق الناس عنه، فقال: أيها الناس لن تراعوا، إنما أردت الساحر ـ فأخذه الأمير فحبسه. فبلغ ذلك سلمان، فقال: بئس ما صنعا! لم يكن ينبغي لهذا وهو إمام يؤتم به يدعو ساحراً يلعب بين يديه، ولا ينبغي لهذا أن يعاتب أميره بالسيف». وجندب هو ابن كعب الأزدي كما قال البخاري وابن منده وابن حجر، ذهب الذهبي إلى إثباته، وقال الشيخ عبد الله =

أصحاب النبي ﷺ﴿١﴾.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة. **الثانية**: تفسير آية النساء. **الثالثة**: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما﴿٢﴾. **الرابعة**: أن الطاغوت قد يكون

= السعد: المشهور صحبته، ورواية أبي عثمان النهدي وهو من كبار التابعين مما يُؤيد أنه من الصحابة. والأثر صحيح. اهـ.

تاريخ الإسلام (٣/ ٣)، التهذيب (٢/ ١١٨)، جامع التحصيل (١٧١).

﴿١﴾ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (٢/ ١٠٥).

علاقة هذه الآثار بالباب، أن في قتل الساحر دليلاً على ردته.

﴿٢﴾ اختلف أهل العلم فيهما: فقيل: إنهما اسمان لمسمَّيين، ويؤيده تفسير عمر ؓ حيث قال: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. فيكون المعنى أنهم يؤمنون بالباطل كالسحر، وعبادة غير الله، ومزخرف الباطل كالشيطان، والساحر، والكاهن، والأصنام، والأمراء، والعلماء. قال شيخ الإسلام: فإن الطاغوت هو: الطاغي من الأعيان، والجبت: هو من الأعمال والأقوال، كما قال عمر بن الخطاب: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**العيافة والطيرة، والطرق من الجبت**» رواه أبو داود. اهـ. قال عبد الله بن عبد الرحمٰن أبا بطين (١٣٢٦هـ): اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال، يدعو إلى الباطل، ويحسنه، ويشمل أيضاً: كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله؛ ويشمل أيضاً: الكاهن، والساحر، وسدنة الأوثان، الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم، بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا، مما هو كذب أو من فعل الشياطين، ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده؛ فيوقعوهم في الشرك الأكبر وتوابعه. وأصل هذه الأنواع كلها، وأعظمها: الشيطان، فهو: الطاغوت الأكبر. والله ﷻ أعلم. اهـ.

قال ابن جرير (٣١٠هـ): الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها؛ كانت معظمة =

من الجن، وقد يكون من الإنس﴿١﴾. **الخامسة**: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي. **السادسة**: أن الساحر﴿٢﴾ يكفر﴿٣﴾. **السابعة**: أنه

= بالعبادة من دون الله؛ فقد كانت جبوتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ﷺ؛ فكانا جبتين وطاغوتين». اهـ.

تفسير ابن جرير (٥/ ١٣٣)، (٨/ ٤٦٥)، نزهة القلوب (١٩٧)، المفردات (١٨٢، ٥٢٠)، زاد المسير (٢٩١)، نزهة الأعين (٤١٠)، جامع الأصول (٧/ ٢٨١)، الفتاوى (٢٨/ ٢٠٠)، تفسير ابن كثير (٣٩٢)، تفسير القرطبي (٥/ ٢٤٢)، روح المعاني (٥/ ٥٥)، فتح القدير (١/ ٧٦٣)، فتح الحميد (٢/ ٩٦٢)، الدرر السنية (٢/ ٢٨٩)، تفسير السعدي (١٨٢).

﴿١﴾ تؤخذ من قول جابر: الطواغيت كهان، وكذلك قول عمر: الطاغوت الشيطان، فإن الطاغوت إذا أطلق فالمراد به شيطان الجن، والكهان شياطين الإنس. قال شيخ الإسلام في الطاغوت: هو اسم جنس يدخل فيه الشيطان والوثن والكهان والدراهم والدينار. اهـ.

الفتاوى (١٦/ ٥٦٥)، القول المفيد (١/ ٥١١).

﴿٢﴾ ومثله الكاهن والعراف. الصارم المسلول (١/ ٣١٣).

﴿٣﴾ نقل إمام الحرمين والمتولي الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق. ونقل النووي الإجماع على حرمة عمله وأنه من الكبائر. ونقل ابن قدامة الاتفاق على تحريم تعلم السحر وتعلمه. وذهب الإمام أحمد والحنابلة إلى كفر من تعلم السحر وعلَّمه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ لأن تعلمه لا يمكن إلا بالشرك.

قال ابن باز: والسحر منكر وشرك؛ لأنه لا يتوصل إليه إلا بالشياطين والتقرب إليهم وعبادتهم من دون الله كما في الآية: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ فدل على أن تعلمه يوجب الكفر. اهـ. والساحر كافر؛ لأنه لا يعمل السحر إلا باستخدام الجن، وهم لا يخدمونه إلا بعد أن يشرك بالله بالتقرب للجن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ =

يقتل﴿١﴾**، ولا يستتاب**﴿٢﴾**. الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟.**

= ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وهذا هو المراد بالساحر، وهو مقصود المؤلف. أما ما يكون بالأدوية والتعاويذ فهذا ليس بساحر وإنما هو مشعوذ؛ لأن تأثيره يكون بالأدوية والتعويذات وليس بالاستعانة بالجن؛ فلذا ليس بكافر؛ ولكن فعله محرم.

قال سليمان بن عبد الله: وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سُمي سحراً فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً، ولكنه يكون حراماً لمضرته، يعزَّر من يفعله تعزيراً بليغاً.

تفسير القرطبي (٢/ ٤٥)، كشاف القناع (٦/ ١٨٦)، التيسير (٣١٦)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٦)، التمهيد (٢٩٩).

﴿١﴾ وبه قال أكثر أهل العلم، وهو قول عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وهو اختيار سليمان بن عبد الله، وسليمان بن حمدان، وابن باز، وابن عثيمين، والفوزان؛ لحديث جندب، وفعل عمر، قال ابن قدامة: وهذا اشتهر فلم ينكر، فكان إجماعاً.اهـ.

وقال سليمان بن عبد الله: الأولى القتل لأثر عمر وعمل به الناس في خلافته بلا نكير، فكان إجماعاً. وذهب إلى أنه لا يقتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر، وهو قول الشافعي، وأحمد في رواية عنه، وهو اختيار ابن المنذر، والشنقيطي. واستدلوا بما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن عائشة حيث باعت مدبرتها التي سحرتها. ونوقش: بأنه يحتمل أنها ليست التي عملت السحر بنفسها وإنما أمرت به، وجهل فاعل السحر العامل له، وهي لا تستحق القتل بذلك، ولهذا لما كانت جارية حفصة هي العاملة له أمرت بقتلها فقتلت.

الأم (١/ ٢٥٦)، المغني (٨/ ١٥٣)، (١٢/ ٣٠٢)، المجموع (٢٠/ ٣٠٧)، شرح النووي لمسلم، روضة الطالبين (٩/ ٣٤٦)، الفتاوى (٢٨/ ٣٤٦)، الفتح (١٠/ ٢٢٢)، التيسير (٣٢٣)، تفسير السعدي (٦١).

﴿٢﴾ لقوله: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»، فالحد إذا بلغ الإمام لا يستتاب ولا يسقط الحد، بخلاف الكفر فإنه يستتاب صاحبه. وقد ذهب إلى عدم استتابته مالك، وأحمد في رواية، وهو اختيار ابن باز، وابن عثيمين، وابن جبرين، والفوزان؛ لظاهر فعل عمر وجندب؛ ولأنه شر عظيم؛ ولأنه قد يخفي سحره ويتوب خوفاً من القتل. وذهب إلى استتابته: الشافعي، وأحمد في رواية، وهو اختيار =

. . . .

= النووي، وابن تيمية، وعبد الله بن حميد؛ لأنه صح قبول توبة سحرة فرعون، وقياساً على قبول توبة الكافر؛ ولأن النبي لم يقتل لبيد بن الأعصم.

قال سليمان بن عبد الله: وأما قياسه على المشرك فلا يصح؛ لأنه أكثر فساداً وتشويهاً من المشرك، وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، وهذا الخلاف إنما هو في إسقاط الحد عنه بالتوبة، أما فيما بينه وبين الله فإن كان صادقاً قبلت توبته. اهـ.

والنبي ﷺ لم يقتل لبيداً؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه؛ ولأنه خشي إذا قتله من الفتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار.

الكافي (٤/ ١٦٥)، الصارم المسلول (١/ ٣١٣)، الفتح (١٠/ ٢٩٠)، كشاف القناع (٦/ ١٨٧)، التيسير (٣٢٥)، مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٦٩).



باب: بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطَّرْق والطِّيَرَة من الجبت». قال عوف: العيافة: زجر الطير. والطرق: الخط يخط بالأرض. والجبت: قال الحسن: «رنة الشيطان». إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد». رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكِّل إليه».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العَضْه؟ هي النميمة القالة بين الناس». رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت. الثانية: تفسير العيافة والطرق. الثالثة: أن علم النجوم من نوع السحر. الرابعة: العقد مع النفث من ذلك. الخامسة: أن النميمة من ذلك. السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.





٢٥ ـ باب: بيان شيء من أنواع السحر ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ المصنف بهذا الباب أشار لمسألة الكرامة التي أثيرت حوله، حيث نجده بهذا الباب فضح من يسمونهم أولياء من السحرة والكهنة والمشعوذين وذلك ببيان علاماتهم، وأن مجرد ظهور الخوارق ليس دليلاً على أنهم من الأولياء. قال الشيخ عبد الظاهر أبو السمح: ومن جهل عباد القبور أنهم يعتقدون أن الكرامات هي الخوارق فقط لا أكثر ولا أقل. فهم يعتقدون كرامة كل من أظهر شيئاً خارقاً في نظرهم، وإن كان من السحرة والمشعوذين، ويعدونه ولياً، وإن لم يصم.اهـ. الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية (٢٥).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن أهل التوحيد الذين هم أولياء الرحمٰن من أبعد الناس عن جميع أعمال السحرة. وأن من عمل هذه الأعمال فليس من أهل التوحيد. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أن من صفات أهل الجاهلية أنهم يعتقدون في خوارق السحرة أنها من كرامات الأولياء الصالحين: العشرون: اعتقادهم في مخاريق السحرة... وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين.اهـ. مجموعة مؤلفات الشيخ (١/ ٣٤٠).

علاقته بالباب السابق: لما ذكر المصنف السحر وحكمه وعقوبته في الباب السابق ذكر المصنف في هذا الباب أعمالاً يتبين للناس بها السحر والساحر؛ وأن هذه الأعمال ليست من الكرامات التي تكون من أولياء الله؛ وإنما هي مما يستخدمها السحرة للكذب على الناس وأخذ أموالهم، قال سليمان بن عبد الله: أراد ـ المصنف ـ هنا أن يبين شيئاً من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها على الناس حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه الأمور فهو من الأولياء، وعدّوها من كرامات الأولياء، وآل الأمر إلى أن عُبد أصحابها ورُجي منهم النفع والضر، =

. . . .

= والحفظ والكلاءة والنصر أحياء وأمواتاً، بل اعتقد كثير في أناس من هؤلاء أن لهم التصرف التام المطلق في الملك، ولا بد من ذكر فُرقان يفرق به المؤمن بين ولي الله وبين عدو الله، من ساحر وكاهن وعائف وزاجر ومتطير، ونحوهم ممن قد يجري على يده شيء من الخوارق. فهذا الباب بيَّن فيه المصنف حقيقة السحر بالمثال بعد أن بينه إجمالاً. اهـ.

وصنيع المصنف هذا كصنيعه عندما بيَّن التوحيد في أول الكتاب ثم شرع بـ«باب: لبس حلقة والخيط وما بعده» في بيان التوحيد والشرك بالمثال. قال شيخ الإسلام: وباب الكذب في الحوادث الكونية أكثر منه في الأمور الدينية؛ لأن تشوف الذين يغلبون الدنيا على الدين إلى ذلك أكثر وإن كان لأهل الدين إلى ذلك تشوف لكن تشوفهم إلى الدين أقوى، وأولئك ليس لهم من الفرقان بين الحق والباطل من النور ما لأهل الدين. فلهذا كثر الكذابون في ذلك ونفق منه شيء كثير وأكلت به أموال عظيمة بالباطل وقتلت به نفوس كثيرة من المتشوفة إلى الملك ونحوها. ولهذا ينوِّعون طرق الكذب في ذلك ويتعمدون الكذب فيه: تارة بالإحالة على الحركات والأشكال الجسمانية الإلـٰهية من حركات الأفلاك والكواكب والشهب والرعود والبروق والرياح، وغير ذلك، وتارة بما يحدثونه هم من الحركات والأشكال كالضرب بالرمل والحصا والشعير والقرعة باليد، ونحو ذلك مما هو من جنس الاستقسام بالأزلام؛ فإنهم يطلبون علم الحوادث بما يفعلونه من هذا الاستقسام بها، سواء كانت قداحاً أو حصى أو غير ذلك مما ذكره أهل العلم بالتفسير. فكل ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام ليستخرج به علم ما يستقبله فهو من هذا الجنس. اهـ.

ومما يبين أن هذا الباب في ذكر شيء من أعمال الساحر ما قاله سليمان بن عبد الله عند قوله ﷺ عند الحديث الأول: «**من الجبت**»؛ أي: من أعمال السحر. اهـ.

الفتاوى (٤/ ٨٠)، التيسير (٣٢٦).

ضابط معرفة أولياء الرحمٰن:

١ ـ أنهم أهل صلاح وتقوى وتوحيد، قال سليمان بن سحمان (١٣٤٩): إن أولياء الرحمٰن لهم علامات يعرفون بها، فمن علامات أولياء الله محبة الله، ومحبة رسوله، والتزام ما أمر الله به ورسوله، وتقديم ما دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة على ما يخطر ببال أحدهم أنه كرامة. اهـ. الأسنة الحداد في الرد على علوي الحداد (١٢٨). =

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه؛ أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة والطَّرْق والطِّيَرَة[١] من الجبت[٢]». قال عوف: العيافة: زجر

= وقال عبد الله بن بليهد: إن أولياء الله هم المتقون العاملون لله بطاعته، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]، فمن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً ليس إلا. .اهـ.

وقال ابن القيم في بيان حال الكاهن والساحر: الكاهن والمنجم وأضرابهما ممن لهم مدد من إخوانهم من الشياطين فإن صناعتهم لا تصح من صادق ولا بار ولا متقيد بالشريعة، بل هم أشبه بالسحرة الذين كلما كان أحدهم أكذب وأفجر وأبعد عن الله ورسوله ودينه كان السحر معه أقوى وأشد تأثيراً بخلاف علم الشرع والحق فإن صاحبه كلما كان أبر وأصدق وأدين كان علمه به ونفوذه فيه أقوى.اهـ. زاد المعاد (٥/ ٦٩٩).

٢ ـ أن الخوارق التي تظهر على أيديهم من فعل الله، وليست من أفعالهم أو أفعال الشياطين وإعانتهم، قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): الكرامة أمر يجعله الله للعبد لا صنع للبشر فيه. فالذي أوجد الكرامة لمن شاء من عباده هو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، فإن الكرامة إنما تقع لبعض الموحدين المخلصين بسبب توحيدهم وإخلاصهم لله تعالى.اهـ. القول الفصل النفيس (٥٢).

قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): وأمّا السحر والكهانة: فهو من إعانة الشياطين لبني آدم، فإنّ الكاهن تُخْبِره الجن، وكذلك الساحر إنما يُقتل، ويُمرِض، ويَصْعَدُ في الهواء، ونحو ذلك، بإعانة الشياطين له؛ فأمورهم خارجة عما اعتاده الإنس بإعانة الشياطين لهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨].اهـ. النبوات (٨٣٠).

[١] والطيرة أعم من العيافة؛ لأن العيافة زجر الطير، فهي متعلقة بالطير من حيث إنه يحرك الطير ويزجره حتى ينظر أين يتحرك، وأما الطيرة فهي أن يتشاءم أو يتفاءل ويمضي أو يرجع بحركة تحصل أمامه ولو لم يزجر أو يفعل، أو بشيء يحصل أمامه، إما من الطير أو من غيره. التمهيد (٣٠٨، ٣٣٦).

[٢] قال الطيبي: «من» فيه إما ابتدائية أو تبعيضية، فعلى الأول المعنى =

الطير﴿١﴾. والطرق: الخط يخط بالأرض﴿٢﴾﴿٣﴾. والجبت: قال الحسن: «رنة الشيطان»﴿٤﴾. إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن

= الطيرة ناشئة من الساحر، وعلى الثاني المعنى الطيرة من جملة السحر والكهانة، أو من جملة عبادة غير الله؛ أي: الشرك يؤيده قوله في الحديث الآتي: «الطيرة شرك». اهـ. التيسير (٣٢٩).

﴿١﴾ قال القاضي عياض (٥٤٤هـ): هي زجر الطير والتخرص على الغيب بالحدس والظن. اهـ. وقال الطحاوي: العيافة هي شبيهة الكهانة وزجر الطير والسوانح والبوارح. اهـ. المشارق (٢/ ١٠٧)، تهذيب الآثار (١/ ١١٣).

﴿٢﴾ قال ابن الأثير (٦٠٦هـ): الطرق الضرب بالحصا، وقيل: هو الخط في الرمل، كما يفعله المنجم لاستخراج الضمير ونحوه. اهـ. وقال ابن منظور (٩١٠هـ): والطرق الضرب بالحصى، وهو ضرب من التكهن والخط في التراب الكهانة، والطراق المتكهنون والطوارق المتكهنات. اهـ. وقال ابن باز (١٤٢٠هـ): وهو في الحقيقة خدمة للشياطين وأخذ بأقوالهم وطاعتهم ودعوى علم الغيب. وتعلم الطرق محرم عند جمهور العلماء. اهـ.

غريب الحديث «للهروي» (٢/ ٤٦)، النهاية (٣/ ١٢١)، جامع الأصول (٧/ ٦٤٠)، لسان العرب، فتح الحميد (٣/ ١١٠٦)، التعليق المفيد (١٤٣).

﴿٣﴾ الخطّ على الرمل هو ـ كما عرفه ـ طاش كبري زاده: الاستدلال بأشكاله الاثنى عشر على أحوال المسألة حين السؤال.. وذلك لأنهم يقولون: إن البروج الاثنى عشر يقتضي كل منها حرفاً معيناً، وشكلاً معيناً من الأشكال المذكورة، فحين السؤال عن المطلوب، يقتضي أوضاع البروج وقوى الشكل المعين من الرمال، فتلك الأشكال بسبب مدلولاتها من البروج تدل على أحكام مخصوصة تناسب أوضاع البروج. اهـ. مفتاح السعادة (١/ ٣٣٦).

﴿٤﴾ هكذا في كل النسخ والمؤلفات، وفي المسند وسنن البيهقي: «إنه الشيطان» بالهمز بدل الراء. قال ابن جبرين: ويظهر أن في الكلمة تصحيف، فرجعنا إلى مسند أحمد فوجدنا بدل الراء ألفاً، وبدل التاء المربوطة هاء. وهذا هو الأقرب أن الجبت هو الشيطان. اهـ. ومما يدل على تصحيفها ما قاله عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): لم أجد فيه كلاماً. اهـ. التيسير (٣٣٠).

حبان في صحيحه المسند منه[١][٢].

أخرجه: أحمد (٥/ ٦٠)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي «الكبرى» (٦/ ٣٢٤)، من طريق: عوف ابن أبي جميلة، عن حيان بن العلاء، عن قطن بن قبيصة، عن أبيه.

صحَّحه: ابن حبان (١٤٢٦)، والسيوطي[٣].

حسَّنه: النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

وجوّد إسناده: ابن مفلح[٥]، والمناوي، وإمام الدعوة.

وسكت عليه: أبو داود[٦]، ....

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): يعني أن هؤلاء رووا الحديث واقتصروا على المرفوع منه ولم يذكروا التفسير الذي فسره به عوف.اهـ. التيسير (٤٠٠).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال سليمان بن عبد الله: قوله: «**من الجبت**»؛ أي: من أعمال السحر.اهـ. التيسير (٣٢٦). ووجه كونها سحراً لما فيها الاعتماد على أمر خفي لا حقيقة له، والتعويل على شعوذة ودجل، بل ربما صارت سحراً لما فيها من دعوى علم الغيب، ومنازعة الله في ربوبيته، فإن علم الغيب قد استأثر الله تعالى دون ما سواه، إضافة إلى أن بعضهم قد يعتقد في هذه الثلاثة أنها تضر أو تنفع بغير إذن الله تعالى.

نواقض الإيمان القولية والعملية (٥٢٣)، التعليق على فتح المجيد (٢٥) كلاهما لعبد العزيز آل عبد اللطيف.

﴿٣﴾ ابن حبان (١٤٢٦).

﴿٤﴾ رياض الصالحين (٥٣٥)، الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، فيض القدير (٤/ ٣٩٥).

﴿٥﴾ الآداب الشرعية (٣/ ٣٦٧).

﴿٦﴾ اعتبر سكوته من باب الحسن ابن عبد البر وابن الصلاح والمنذري والنووي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والعراقي وابن علان. وقد أطلق الحاكم وابن منده وابن السكن اسم الصحة على كتاب أبي داود.

علوم الحديث (٣٣)، الترغيب (١/ ٣٨)، الفتوحات الربانية (١/ ١٧٢، =

والنسائي﴿١﴾﴿٢﴾.

والحديث غريب؛ لأمور:

١ ـ جهالة حيان﴿٣﴾، وتفرده بهذا الحديث﴿٤﴾.

= ٣٠٤). الاقتضاء (١/ ٢٤٦)، تهذيب السنن (٥/ ٦٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٠)، رسالة في الرد على الصغاني (٢/ ٣٦٢). النكت (١٦٢)، فتح المغيث (١/ ١٥٣).

﴿١﴾ قال ابن حجر: وقد أطلق اسم الصحة على كتاب النسائي أبو علي النيسابوري وابن عدي والدارقطني والحاكم وابن منده وابن السكن والخطيب.اهـ. وكذلك الذهبي. النكت (١٦٣).

﴿٢﴾ **قال الشيخ عبد الله السعد**: هذا الحديث إسناده لا بأس به، ومتنه مستقيم، وقد قوى هذا الحديث جمع من أهل العلم، فقد أخرجه ابن حبان في كتابه الصحيح، ورواه أبو داود وسكت عنه، وقد قال أبو داود: وما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح.اهـ. وقال النسائي عن قطن بن قبيصة: لا بأس به. وأخرج حديثه في كتابه السنن، وهذا يدل على قوة هذا الحديث عند النسائي. وكتاب النسائي أصح الكتب بعد مسلم، قال ابن حجر: كتاب النسائي أقل الكتب بعد الصحيحين حديثاً ورجلاً مجروحاً.اهـ. وقد ذكرنا في تعليقنا على الأربعين النووية وتتمتها أن أحاديث السنن للنسائي تنقسم إلى أربعة أقسام، وأن ما سكت عليه النسائي يعتبر من الأحاديث القوية، وقد نص ابن حجر على أن الحديث الذي يخرجه النسائي ولم يتعقبه بشيء أنه لا علة له عند النسائي.اهـ.

رسالة أبي داود لأهل مكة (٢٧)، النكت (١٦٥)، اليواقيت والدرر (٨٨).

﴿٣﴾ فقد سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن حجر: مقبول.اهـ. قال ابن كثير في راوٍ سكت عنه ابن أبي حاتم: وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئاً من هذا، فهو مستور الحال.اهـ.

التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٤). التاريخ الكبير (٣/ ٥٧)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٤٨)، الثقات (٦/ ٢٣٠)، التقريب (١٧٠).

﴿٤﴾ تهذيب الكمال (٧/ ٤٧٥).

٢ ـ تفرد عوف به، والاختلاف عليه في نسبة والد حيان﴿١﴾.

٣ ـ أن قطن بن قبيصة قد تفرد بهذا الحديث، كما قال أبو الشيخ﴿٢﴾.

الخلاصة: والحديث وإن كان إسناده ليس بالقوي؛ لكن جاء ما يشهد له من حديث معاوية بن الحكم في الزجر من الطرق﴿٣﴾، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه في النهي عن الطيرة﴿٤﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة

﴿١﴾ قال ابن حجر: قيل: عن عوف عن حيان لم ينسب، وقيل عنه: عن حيان أبي العلاء، وقيل عنه عن حيان بن عمير.

الجرح والتعديل (٣/ ٢٤٨)، تهذيب الكمال (٧/ ٤٧٥)، التهذيب (١/ ٥٠٨)، التقريب (١٧٠).

﴿٢﴾ ثقات المحدثين بأصبهان (١/ ١٢٧).

﴿٣﴾ أخرجه مسلم (٣٣)، من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكهان، قال: **فلا تأتهم**، قال: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: **ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنَّهم**. قال: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: **كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك**»، قال الخطابي: قوله: «**فمن وافق خطه فذاك**» يحتمل أن يكون معناه الزجر عنه، إذا كان من بعد لا يوافق خطه، ولا ينال حظه من الصواب؛ لأن ذلك إنما كان آية لذلك النبي، فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعاً في نيله. اهـ.

وقال ابن عثيمين: فإن قيل: طريقة الرسول ﷺ أنه يسد الأبواب جميعاً خاصة في موضوع الشرك؛ فلماذا لم يقطع ويسد هذا الباب؟ فالجواب: كأن هذا، والله أعلم، أمر معلوم، وهو أن فيه نبياً من الأنبياء يخط؛ فلا بد أن يجيب عنه الرسول ﷺ.

معالم السنن (٤/ ٢٣٠)، القول المفيد (١/ ٥١٥).

﴿٤﴾ البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠)، من طريق الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر﴿١﴾**، زاد ما زاد»**﴿٢﴾﴿٣﴾. رواه أبو داود، وإسناده صحيح﴿٤﴾.

﴿١﴾ وإنما شبه ﷺ علم النجوم بالسحر لأن حرمته منصوصة ونطق به التنزيل، قال جل ذكره: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وفي رواية رزين، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس باباً من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر**»، المنجم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر. قال ابن عباس: أوصيك بتقوى الله، وإياك وعلم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة، وإياك أن تذكر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير فيكبك الله على وجهك في جهنم، فإن الله أظهر بهم هذا الدين، وإياك والكلام في القدر فإنه ما تكلم فيه اثنان إلا أثما أو أثم أحدهما.

شرح سنن ابن ماجه (١/ ٢٦٥)، الدر المنثور (٣/ ٣٣٠).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): يعني: كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر، أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاد اقتباس علم النجوم. قلت: والقولان متلازمان؛ لأن زيادة الإثم فرع عن زيادة السحر، وذلك لأنه تحكم على الغيب الذي استأثر الله بعلمه. اهـ. التيسير (٣٣١).

﴿٣﴾ أي: زاد اقتباس السحر بقدر اقتباسه علم النجوم، أو زاد من السحر ما زاد من النجوم. عون المعبود (١٠/ ٤٠٠).

﴿٤﴾ أخرجه: أحمد (١/ ٢٧٢)، وأبو داود (٣٩٠٥)، من طريق عبيد الله الأخنس، عن الوليد بن عبد الله، عن يوسف بن ماهك، عن ابن عباس.

وقد صححه: النووي، والعراقي، والمناوي، وإمام الدعوة. وجوَّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن مفلح. ويشهد لذم علم النجوم المنهي عنه ما رواه البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»، وقد بوَّب أبو داود عليه وعلى حديث ابن عباس، باب: في النجوم. وهذا فيمن نسب نزول المطر للنجم، فكيف من يتعلم أو يعلمها؟ فتحريمها أشد. وقال قتادة: إن الله تبَارك وَتَعَالَى إِنَّمَا خلق هَذِه النُّجُوم لثلاث خِصَال: جعلهَا زِينَة للسماء، وَجعلهَا =

وللنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك﴿١﴾، ومن تعلق شيئاً وكل إليه»﴿٢﴾.

= يهتدى بهَا، وَجعلهَا رجوماً للشياطين، فَمن تعاطى فِيهَا غير ذَلِك فقد قَالَ رَأْيه، وَأَخْطَأ حَظه، وأضاع نصِيبه، وتكلف مَا لَا علم لَهُ بِهِ، وَإِن نَاساً جهلة بِأَمْر الله فقد أَحْدَثُوا فِي هَذِه النُّجُوم كهَانَة من غرس بِنَجْم كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمن سَافر بِنَجْم كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، ولعمري مَا من النُّجُوم نجم إِلَّا يُولد بِهِ الطَّوِيل والقصير، والأحمر والأبيض، وَالْحسن والذميم، قَالَ: وَمَا علم هَذِه النُّجُوم وَهَذِه الدَّابَّة وَهَذَا الطَّائِر بِشَيْء من هَذَا الْغَيْب، وَقَضَى الله أنه: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. قال ابن عثيمين: وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند؛ لكن من حيث المعنى صحيح تشهد له النصوص الأخرى. اهـ.

رياض الصالحين (٦٣٧)، دليل الفالحين (٨٠٣)، تخريج الإحياء (٤/ ١١٧)، الفتاوى (٣٥/ ١٩٣)، تغليق التعليق (٣/ ٤٨٩)، فيض القدير (٨٦)، القول المفيد (١/ ٥٢١).

📖 **علاقته بالباب**، أن النبي ﷺ أخبر فيه أن التنجيم عملٌ من أعمال السحر، وأنه مما يتبين به الساحر. قال ابن باز (١٤٢٠هـ): والتنجيم شعبة من شعب دعوى علم الغيب، وهو من عمل العرافين والمشعوذين، قال فيه النبي ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٨٩).

﴿١﴾ أي: من الشرك الأكبر؛ لأن سحر النفث لا يكون إلا بالاستعانة بالجن والتقرب لهم بالعبادة، وبأدعية شركية.

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وفائدة هذه الجملة بعد ما قبلها الإشارة إلى أن الساحر متعلق على غير الله، فإنه متعلق على الشياطين. اهـ.

وقال ابن عثيمين: ومناسبة هذه الجملة للتي قبلها: أن النافخ في العقد يريد أن يتوصل بهذا الشيء إلى حاجته ومآربه، فيوكل إلى هذا الشيء المحرم. ووجه آخر: وهو أن من الناس من إذا سحر عن طريق النفخ بالعقد ذهب إلى السحرة وتعلق بهم، ولا يذهب إلى القراء والأدوية المباحة والأدعية المشروعة، ومن توكل على الله كفاه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، وإذا كان الله حسبك فلا بد أن تصل إلى ما تريد. لكن من تعلق =

أخرجه: النسائي (٤٠٧٩)، والطبراني «الأوسط» (٢/ ٢٨٠)، من طريق عباد بن ميسرة المنقري، عن الحسن البصري، عن أبي هريرة ﵁.

حسَّنه: ابن مفلح﴿١﴾.

ضعَّفه: الذهبي، والمنذري، وابن باز﴿٢﴾.

وهو منكر؛ وذلك لأمور:

١ ـ أن عبّاداً ضعفه الأئمة﴿٣﴾.

٢ ـ أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ﵁، كما قال أيوب، وأحمد، وأبو حاتم، وابن المديني، وأبو زرعة، وغيرهم﴿٤﴾.

٣ ـ أن جرير بن حازم وأبان العطار روياه عن الحسن مرسلاً، وهما أوثق من عبّاد، وروايتهما أرجح﴿٥﴾.

= شيئاً من المخلوقين وكل إليه، ومن وكل إلى شيء من المخلوقين وكل إلى ضعف وعجز وعورة، وقد يشمل الحديث من اعتمد على نفسه وصار معجباً بما يقول ويفعل؛ فإنه يوكل إلى نفسه، ويوكل إلى ضعف وعجز وعورة، ولهذا ينبغي أن تكون دائماً متعلقاً بالله في كل أفعالك وأحوالك حتى في أهون الأمور.

التيسير (٣٣٢)، القول المفيد (١/ ٥٢٢).

📖 **علاقته بالباب**، أن مما يدل ويكشف الساحر عقده العقد والنفث فيها.

﴿١﴾ الآداب الشرعية (٣/ ٧٨).

﴿٢﴾ وذكر الحديث ابن عدي في كامله. الكامل (٤/ ٣٤١)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٧٨)، التعليق المفيد (١٤٥).

﴿٣﴾ ضعفه أحمد وابن معين، وقال أبو داود: ليس بالقوي. واعتمد الذهبي تضعيف أحمد وابن معين. وقال ابن حجر: لين الحديث عابد.

الكامل (٤/ ٣٤١)، الضعفاء الكبير (٣/ ١٣٣)، تهذيب الكمال (١٤/ ١٦٧)، المغني للذهبي (١/ ٢١)، الميزان (٢/ ٣٧٨)، التهذيب (٥/ ١٠٧).

﴿٤﴾ النسائي (٦/ ١٦٨)، المراسيل لابن أبي حاتم (٣٨)، التهذيب (٢/ ٢٦٦)، جامع التحصيل (١٦٤)، المنذري (٤/ ٣٢).

﴿٥﴾ ابن وهب (٦٧٤)، من طريق جرير بن حازم، وعبد الرزاق (١١/ ١٧)، =

وعن ابن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العَضْه؟ هي النميمة القالة بين الناس» ﴿١﴾ رواه مسلم ﴿٢﴾.

ولهما عن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً» ﴿٣﴾ ﴿٤﴾.

= من طريق أبان، كلاهما عن الحسن، عن النبي ﷺ مرسلاً.

﴿١﴾ والنميمة حرام بالاتفاق، كما حكاه ابن حزم. التيسير (٣٣٣).

﴿٢﴾ مسلم (٢٦٠٦)، من طريق أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود ﷺ.

علاقته بالباب: العضه هي السحر، كما قال ابن مسعود وعكرمة، والسحر ينتج عنه التفرقة والشحناء بين الناس؛ لذا شبه النبي ﷺ النميمة التي هي نقل الكلام من أجل التفريق وزرع البغضاء بين الناس بالعضه، وهذا مثل قوله ﷺ في تعريفه المفلس وأنه من يأتي بأمثال الجبال من الحسنات؛ ولكنها تذهب بسبب ظلمه وتعديه على الناس. والمصنف ذكر هذا الحديث إشارة إلى أن من أعمال الساحر التي شبه النمام بها التفريق بين الناس. قال ابن باز: وذكره هنا؛ لأن السحر يحصل به بهتان وكذب وتلبيس وغش على الناس وخيانة.اهـ. التعليق المفيد (١٤٦).

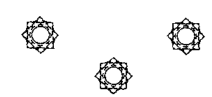
﴿٣﴾ أي: أن من صفات الساحر التمويه بالكلام وقلب الحقائق والتأثير على المستمع. قال شيخ الإسلام: الكاهن عند العرب هو الذي يتكلم بكلام مسجوع وله قرين من الجن.اهـ. النبوات (١/ ٢٨٨).

﴿٤﴾ رواه البخاري (٥١٤٦) عن ابن عمر ﷺ قال: جاء رجلان من المشرق فخطبا، فقال النبي ﷺ: **«إن من البيان لسحراً»**، ولم يروه مسلم؛ وإنما رواه مسلم (٢٠٠٦) من حديث عمار قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً»**.

علاقة الحديث بالباب، أن من صفات الساحر التي يروج به سحره وباطله الفصاحة؛ لأن الفصاحة وسيلة من وسائل تمرير الباطل وتحسينه، وخاصة إذا عرفنا أن النبي ﷺ قال هذا القول من باب الذم لا المدح، كما قال ابن رجب؛ لأنه شبه البيان بالسحر؛ فدل على أن الفصاحة من صفات السحرة، ومما يدل أن الفصاحة من صفات السحرة التي يستعملونها ما قاله النبي ﷺ لحمل بن النابغة لما حسن =

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت. **الثانية**: تفسير العيافة والطرق. **الثالثة**: أن علم النجوم من نوع السحر﴿١﴾. **الرابعة**: العقد مع النفث من ذلك﴿٢﴾. **الخامسة**: أن النميمة من ذلك﴿٣﴾. **السادسة**: أن من ذلك بعض الفصاحة﴿٤﴾.



= كلامه وسجعه: «**إنما هذا من إخوان الكهان**»، قال الخطابي: لم يرده رسول الله لأجل السجع نفسه، لكنه إنما أعاب منه رد الحكم وتزيينه بالسجع على مذهب الكهان في ترويج أباطيلهم بالأسجاع التي يروجون بها الباطل، ويوهمون الناس أن تحتها طائلاً. اهـ.

﴿١﴾ لقوله: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر**». التوضيح المفيد (١٤٤).

﴿٢﴾ لقوله: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر**». التوضيح المفيد (١٤٤).

﴿٣﴾ وهي من السحر؛ لأنها تفعل ما يفعل الساحر من التفريق بين الناس والتحريش بينهم. القول المفيد (١/ ٥٢٩).

﴿٤﴾ لأن منه ما هو حلال؛ وذلك إذا كان في توضيح الحق وإبطال الباطل.

إعلام الموقعين (٣/ ٣٣١)، فتح المجيد (٢٥٤)، قرة عيون الموحدين (١٣٩)، حاشية ابن قاسم (٢٠٠).



باب: ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدَّقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه أبو داود.

وللأربعة، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منّا من تطير أو تُطير له، أو تكهَّن أو تُكهِّن له، أو سَحر أو سُحر له؛ ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه البزار بإسناد جيد.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. وقيل: هو

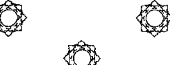
الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف: اسم الكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى...» إلى آخره.

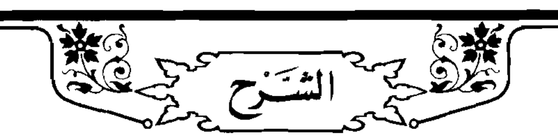
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن. الثانية: التصريح بأنه كفر. الثالثة: ذكر من تكهن له. الرابعة: ذكر من تطير له. الخامسة: ذكر من سحر له. السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد. السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.







٢٦ ـ باب: ما جاء في الكهان﴿١﴾ ونحوهم(*)

....

﴿١﴾ قال الخطابي (٣٨٨هـ): الكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار. اهـ. معالم السنن (٣/ ٧٩).

وقال ابن قدامة (٦٢٠هـ): فأما الكاهن الذي له رئي الجن تأتيه بالأخبار. اهـ. المغني (٨/ ١٥٥).

ومما يدل على أن الكهان تنزل عليهم الشياطين ما قاله شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): ولو تدبروا لعلموا أن الكاهن هو المذكور في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قيل له: إن منا قوماً يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتوهم**»، وسئل عن الكهان وما يخبرون به فأخبر أن الجن تسترق السمع وتخبرهم به. اهـ. النبوات (١/ ٢٨٧).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: لما كانت الكهانة مما ينافي أصل التوحيد؛ لأنها لا تتم إلا بالشرك الأكبر، وذلك بالتقرب للجن بالعبادات، ودعوى علم الغيب؛ ذكر المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد. قال السعدي: إن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب. فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما أو صدق من ادعى ذلك، فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله. وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك، والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله. اهـ. القول السديد (١٠٣).

علاقته بكتاب التوحيد: قال سليمان بن عبد الله: لما ذكر المصنف شيئاً مما =

روى مسلم﴿١﴾ في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرَّافاً﴿٢﴾ فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة﴿٣﴾

= يتعلق بالسحر ذكر ما جاء في الكهان ونحوهم كالعراف لمشابهة هؤلاء للسحرة. اهـ. لأن كلّاً منهما يستخدم الجن لغرضه؛ لكن أفعالهما تختلف، قال شيخ الإسلام: الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف؛ بقتل، وإمراض، وغير ذلك. اهـ.

النبوات (٢٨٧)، التيسير (٣٣٥)، حاشية ابن قاسم، إعانة المستفيد (٢/ ١٥٨)، التمهيد (٣١٧).

📖 قال السعدي (١٣٧٦هـ): أي: من كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق. اهـ. القول السديد (١٠٣).

وقال الشيخ صالح الفوزان: يعني: ومن كان مثلهم من العرّافين والرّمّالين وغير ذلك؛ لأن هذا باب يشمل كل ما هو من نوع الكِهانة. اهـ. إعانة المستفيد (٢/ ١٥٨).

﴿١﴾ رواية مسلم (٢٢٣٠)، ليس فيها «فصدقه».

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): والعراف قد قيل: إنه اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق، ولو قيل: إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي، كما قيل في اسم الخمر والميسر ونحوهما. اهـ.

قال الراغب: فإن الكهانة مختصة بالأمور المستقبلة، والعرافة بالأمور الماضية. اهـ.

قال سليمان بن عبد الله: والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم. اهـ.

قال الإمام أحمد: العراف طرف من السحر. والساحر أخبث؛ لأن السحر شعبة من الكفر.

النهاية (٣/ ٢١٨)، شرح السُّنّة (١٢/ ١٨٢)، المغني (١٢/ ٣٠٥)، شرح مسلم (١٤/ ٢٢٣)، الفتاوى (٣٥/ ١٨٣)، الفتح (١٠/ ٢٢٨)، التيسير (٣٣٥، ٣٤٠).

﴿٣﴾ «صلاة» نكرة في سياق النفي فتعم كل صلاة.

أربعين يوماً»[١][٢].

أخرجه بهذا اللفظ دون قوله: «فسأله عن شيء»: أحمد (٤/ ٦٨)[٣]،

﴿١﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): نفي القبول قد يكون لفوات الشرط وعدمه،
= وقد يكون لمقارنة محرم يمنع القبول كالإباق، وتصديق العراف، وشرب الخمر، وأما عدم القبول فمعناه عدم الاعتداد وأنه لم يترتب عليها أثره المطلوب منها، بل مردودة عليه، وهذا قد يحصل لعدم ثوابه عليها ورضا الرب عنها، وإن كان لا يعاقبه عقوبة تاركها بل عقوبة ترك ثوابه وفوات الرضا لها بعد دخولها فيها. اهـ.

وقال ابن رجب (٧٩٥هـ): القبول قد يُراد به الرضا بالعمل، ومدحُ فاعله، والثناءُ عليه بين الملائكة، والمباهاةُ به، وقد يُراد به حصولُ الثواب والأجر عليه، وقد يراد به سقوط الفرض به من الذمة، فإنْ كان المراد هاهنا القبولَ بالمعنى الأوَّل أو الثاني لم يمنع ذلك من سقوط الفرض به من الذمة، كما ورد أنَّه لا تقبل صلاة الآبق، ولا المرأة التي زوجها عليها ساخطٌ، ولا من أتى كاهناً، ولا من شرب الخمر أربعين يوماً، والمراد ـ والله أعلم ـ نفي القبول بالمعنى الأوَّل أو الثاني، وهو المراد ـ والله أعلم ـ من قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. ولهذا كانت هذه الآية يشتدُّ منها خوفُ السَّلف على نفوسهم، فخافوا أنْ لا يكونوا من المتَّقين الذين يُتقبل منهم. اهـ.

وبهذا التفصيل السابق في كلاميهما قال: ابن عبد البر وابن دقيق العيد والنووي وابن حجر والشوكاني وابن عثيمين.

شرح مسلم (٢/ ٥٨)، المنهج المبين (٢٨١)، الفتح لابن حجر (١/ ٢٨٣)، نيل الأوطار (١/ ١٨٥)، القول المفيد (١/ ٥٣٥).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول. اهـ. الفتاوى (٣٥/ ١٩٣). قال ابن قاسم: وإذا كانت هذه حال السائل فحال المسؤول أسوأ وأشر وأعظم. اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٠٣).

﴿٣﴾ قال ابن بطة: حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو ابن البختري قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن منصور الحارثي قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال: حدثني نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافاً فصدَّقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**». اهـ. الإبانة لابن بطة كتاب الإيمان (٢/ ٧٣٠). =

من طريق يحيى بن سعيد القطان، عن عبيد الله، عن نافع، عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ.

وأخرجه بهذا اللفظ دون قوله: «فصدقه»: مسلم (٢٢٣٠)، من طريق يحيى بن سعيد به. **والحديث صحيح؛ لكن زيادة «فصدقه» شاذة؛ لأمور:**

١ ـ أن محمداً بن المثنى، وأبا بكر محمد بن خلاد، وصدقة بن الفضل، وعلي بن المديني، وعبد الله بن هاشم رووه عن يحيى بن سعيد القطان دون لفظة «فصدقه»[١].

٢ ـ أن يحيى بن سعيد له زيادات أُنكرت عليه[٢].

٣ ـ أن عبد الله بن رجاء رواه عن عبيد الله دون لفظة «فصدقه»[٣].

٤ ـ أن أبا بكر بن نافع وعبد الله بن عمر روياه عن نافع دون لفظة «فصدقه»[٤].

٥ ـ أن لفظة «فصدقه» ليست موجودة في بعض النسخ[٥].

---

[١] التاريخ الأوسط (٢/ ٤٥)، مسلم (٢٢٣٠)، الحلية (١٠/ ٤٠٦)، مسند الفاروق «لابن كثير» (١/ ١٩٦).

[٢] فقد أنكر عليه الإمام أحمد والدارقطني زيادة «خلفك» في البزق أثناء الصلاة للمصلي. الفتح «لابن رجب» (٣/ ١٣٠).

وانظر أمثلة أخرى: الفتح «لابن رجب» (٧/ ١٦٩، ٨/ ١٣١)، الفصل «للخطيب البغدادي» (٢/ ٦٧)، الإرشادات «لطارق عوض الله» (٨٢).

[٣] التاريخ الأوسط (٢/ ٤٥)، المعجم الكبير (٢٣/ ٢١٥).

[٤] التاريخ الأوسط (٢/ ٤٥)، الضياء «المختارة» (١/ ١٤٦)، ابن وهب «الجامع» (٦٨٣).

[٥] **قال الشيخ عبد الله السعد:** زيادة «فصدقه» يشك في نسبتها لأحمد؛ لأنها ليست موجودة في كل النسخ.اهـ. لكن جاءت «فصدقه» في كتاب السُّنَّة «للخلال» (٤/ ١٥٣).

٦ ـ أن مسلماً لم يذكر هذه الزيادة[١].

٧ ـ مخالفتها للأحاديث الأخرى الواردة في الباب، حيث جاء فيها أن من صدق الكاهن فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه أبو داود[٣].

أخرجه: أحمد (٢/ ٤٠٨)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي «الكبرى» (٩٠١٦)، وابن ماجه (٦٣٩)، من طريق حماد بن سلمة، عن حكيم بن الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ضعفه: البخاري، والترمذي، والنسائي، والبيهقي، والبزار، والبغوي، والعقيلي، والنووي، والذهبي، وأبو الفتح اليعمري، وابن حجر[٤].

وهو الصواب؛ لأمور:

١ ـ أن أبا تميمة لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، كما قال البخاري[٥].

٢ ـ أن حكيم بن الأثرم متكلَّم فيه[٦]، وقد تفرد به كما قال

---

[١] قال ابن عبد البر عند حديث لم يخرجه البخاري ولا مسلم: وحسبك بذلك ضعفاً.اهـ. التمهيد (١٠/ ٢٧٦).

[٢] أشار لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

[٣] **علاقة الحديث بالباب**، أن هذا الوعيد إذا كان فيمن صدق الكاهن، فهو في الكاهن أشد وأبلغ.

[٤] التاريخ الكبير (٣/ ١٦)، الترمذي في العلل (٧٦)، والترمذي (١٣٥)، الضعفاء (١/ ٣١٨)، فيض القدير (٦/ ٢٤)، التلخيص الحبير (٣/ ٢٠٥، ٣٧٠).

[٥] التاريخ الكبير (٣/ ١٦).

[٦] ضعفه ابن معين، وقال البزار: في حديثه شيء، وذكره العقيلي وابن عدي في كتابيهما في الضعفاء.

=

البخاري[١].

وللأربعة[٢]، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم»[٣].

الأثر مداره على عوف بن أبي جميلة وقد اختلف عنه:

أ ـ فرواه يحيى بن سعيد القطان، والنضر بن شميل، والقاسم بن مالك عنه، عن خِلاس بن عمرو، عن أبي هريرة رضي الله عنه[٤].

ب ـ ورواه يحيى بن سعيد القطان عنه، عن الحسن مرسلاً[٥].

ت ـ ورواه عبيد الله بن موسى ورَوْح بن عبادة عنه، عن خلاس بن عمرو وابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه[٦].

وهذه الطرق كلها معلولة:

فالطريق « أ » ففيها خِلاس لم يسمع من أبي هريرة كما قال

= البزار (٨/ ٤٢٢)، الضعفاء (١/ ٣١٨)، وابن عدي في الضعفاء الكامل (٢/ ٢١٩)، الميزان (١/ ٥٨٦)، التهذيب (٢/ ٤١٢).

[١] التاريخ الكبير (٣/ ١٦).

[٢] قال الشيخ سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): عزو المصنف إلى الأربعة ليس كذلك، فإنه لم يروه أحد منهم.اهـ. التيسير (٣٣٨).

[٣] صححه الحاكم والعراقي، وقال الذهبي: إسناده قوي.
المستدرك (١/ ٨)، فيض القدير (٦/ ٢٣).

علاقة الحديث بالباب، أن هذا الوعيد إذا كان فيمن صدق الكاهن، فهو في الكاهن أشد وأبلغ.

[٤] أحمد (٢/ ٤٢٩)، إسحاق بن راهويه (١/ ٤٣٨)، تلخيص المتشابه للخطيب (٢/ ٦٥٢).

[٥] أحمد (٢/ ٤٢٩).

[٦] الحاكم (١/ ٨)، البيهقي (٨/ ١٣٥).

أحمد[١]. وأما الطريق «ب» فهي مرسلة. وأما الطريق «ت» فهي شاذة؛ لأمور:

١ ـ **أن محمد بن معمر** رواه عن رَوْح، عن عوف، عن خلاس، عن أبي هريرة، دون ذكر ابن سيرين[٢].

٢ ـ أن ابن القطان والنضر بن شُميل والقاسم بن مالك، رووه عن خلاس، عن أبي هريرة رضي الله عنه، دون ذكر ابن سيرين. وروايتهم تقدم على رواية عبيد الله بن موسى وروح بن عبادة؛ لأنهم أكثر ولم يختلف عليهم، وفيهم ابن القطان وهو من كبار الحفاظ.

٣ ـ أن عوف بن أبي جميلة قد تُكلم فيه إذا جمع بين الشيوخ[٣].

٤ ـ أن ابن القطان قد سأل عوف بن أبي جميلة عن حديث غير حديث الباب رواه عن خلاس وابن سيرين، فحدثه أنه عن خلاس فقط[٤].

---

[١] سؤالات الآجري (٣/ ٣٤٥)، جامع التحصيل (١٧٥). والمعروف عن خلاس أنه إذا روى عن أبي هريرة فأنه يروي عنه بواسطة أبي رافع الصائغ.
مسلم (٤٣٩)، أبو داود (٣٦١٨)، ابن خزيمة (١٥٥٥).

[٢] إتحاف المهرة (١٤/ ٤٧٥).

[٣] الجرح والتعديل (١/ ١٤٧)، شرح العلل لابن رجب (٢/ ٦٧٧). ومما يقوي إعلال الحديث أن الدارقطني قد أعل حديثاً لعوف شبيهاً بإسناد هذا الحديث. العلل (٨/ ٢٩٩).

[٤] قال الدارقطني: قال يحيى القطان «في حديث آخر غير حديث الباب»: كان معي في أَطراف عن عوف، عن الحسن مرسلاً، وعن خلاسٍ، ومحمد، عن أَبي هريرة هذا الحديث، فسأَلت عوفاً، فترك محمداً، وقال: خلاس مرسل، والصحيح عن الحسن مرسلاً. العلل للدارقطني (٨/ ٢٩٩).

وحديث الباب قد رواه القطان، عن عوف، عن الحسن مرسلاً، وعن عوف، عن خلاس مرسلاً.

الخلاصة: أن الحديث ضعيف؛ لأن خلاساً لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، ومتابعة محمد بن سيرين له وهم من عوف بن أبي جميلة أو من أحد الرواة؛ لكن الحديث يدل عليه ما جاء عن الصحابة من قولهم.

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً[١].

---

[١] أخرجه: أبو يعلى (٥٣٨٦)، والبزار (٥/ ٢٥٦)، والبيهقي (٨/ ١٣٦)، من طريق أبي إسحاق، عن هبيرة بن يريم، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

وأخرجه: البزار (٥/ ٣١٥)، ابن الجعد في مسنده (١/ ٢٨٩)، من طريق: الأعمش، عن همام، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. وأخرجه: الطبراني «الأوسط» (٢/ ٣٢٣)، من طريق شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن حيّة العرني، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. **وقد صححه عن ابن مسعود موقوفاً**: ابن كثير والمنذري، وابن حجر، وقال: مثله لا يقال بالرأي.اهـ. وقد حكى ابن عبد البر وتبعه الحاكم أن الصحابي إذا وصف شيئاً بالكفر أو العصيان؛ فإن له حكم الرفع بالإجماع. وقد جاء عن علي بن أبي طالب عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٤٢) قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الشيباني، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: قال علي: إن هؤلاء العرافين كهان العجم، فمن أتى كاهناً يؤمن بما يقول فقد برئ مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم. ورجاله رجال الشيخين.

قال ابن حجر: وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود بسند جيد، لكن لم يصرح برفعه ومثله لا يقال بالرأي ولفظه: «**من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً**».

فائدة: وقد جاء الحديث مرفوعاً عند ابن عدي «الكامل» (٣/ ٢٨٢)، من طريق أبي خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس، عن إسحاق، عن هبيرة، عن ابن مسعود. لكن أنكر رفعه ابن عدي. وجاء مرفوعاً عند البزار (٣٠٤٥) من طريق عقبة بن سيار، عن غسان بن مضر، عن سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن جابر رضي الله عنه، وهو حديث غريب، قال البزار: لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه، ولم نسمع أحداً يحدث به عن غسان إلا عقبة.اهـ.

قال ابن رجب: ونجد كثيراً ممن ينتسب إلى الحديث لا يعتني بالأصول الصحاح ونحوها، ويعتني بالأجزاء الغريبة وبمثل مسند البزار، ومعاجم الطبراني، أو أفراد الدارقطني، وهي مجمع الغرائب والمناكير.اهـ.

الكامل (٣/ ٢٨٢)، والدارقطني في العلل (٥/ ٣٢٩)، التفسير (١/ ١٤٨)، الفتح (١٠/ ٢٢٨).

وعن عمران بن حصين ﷺ مرفوعاً: «ليس منّا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سَحر أو سُحر له؛ ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». رواه البزار بإسناد جيد. **قال البغوي:** العرَّاف: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير[١]. **وقال أبو العباس ابن تيمية:** العراف: اسم الكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق[٢].

أخرجه: البزار (٩/ ٥٢)، من طريق أبي حمزة العطار «إسحاق بن الربيع»، عن الحسن، عن عمران بن حصين ﷺ.

حسَّنه: النووي.

جوَّد إسناده: المنذري، وابن حجر، وإمام الدعوة[٣].

وقوَّاه: الهيثمي[٤].

والإسناد معلول؛ لأمور:

١ ـ أن أبا حمزة العطار ضعفه الفلاس وابن عدي[٥]، وقد تفرد به كما قال البزار[٦].

---

[١] شرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ١٨٢).

[٢] مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣).

[٣] الترغيب (٤/ ٣٣).

[٤] المجمع (٥/ ١١٧).

[٥] التهذيب (١/ ٢٥٠)، الميزان (١/ ١٩١).

[٦] قال البزار: وهذا الحديث قد روي بعض كلامه من غير وجه، فأما بجميع كلامه ولفظه فلا نعلمه يروى إلا عن عمران بن حصين، ولا نعلم له طريقاً عن عمران بن حصين إلا هذا الطريق، وأبو حمزة العطار بصري لا بأس به.اهـ. (٩/ ٥٢).

٢ ـ أن مبارك بن فضالة وأبا عامر الخزاز رويا أصل الحديث[١] عن الحسن دون: «ليس منا من تطير...»[٢].

٣ ـ أن الحسن لم يسمع من عمران بن الحصين، كما قال ابن القطان وابن معين وابن المديني وأحمد وأبو حاتم والدارقطني والبيهقي[٣].

٤ ـ أن يونس بن عبيد[٤]، ومنصور بن زاذان، ومعمر، رووا أصل الحديث عن الحسن دون: «ليس منا...»[٥].

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى...» إلى آخره.

﴿١﴾ وأصل الحديث أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «**ما هذه؟**»، قال: من الواهنة. فقال: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**».

﴿٢﴾ أحمد (٤/ ٤٤٥)، ابن ماجه (٣٥٣١)، ابن حبان (٦٠٨٥)، الحاكم (٤/ ٢١٦)، البيهقي (٩/ ٣٥٠).

﴿٣﴾ قال علي بن المديني (٢٣٤هـ): لم يصح عن الحسن عن عمران بن حصين سماع من وجه صحيح يثبت.اهـ. وقال الحاكم (٤٠٥هـ): أكثر مشايخنا على أن الحسن سمع من عمران.اهـ. وأثبت سماعه البزار وابن خزيمة. وجاء تصريح الحسن من عمران عند أحمد من طريق خلف بن الوليد، عن ابن فضالة، وهذه الرواية شاذة؛ لأن وكيع وحبان بن هلال وأبو الوليد الطيالسي وحجاج بن منهال وغيرهم رووه عن ابن فضالة بدون لفظ التصريح.

المراسيل لابن أبي حاتم (٣٨)، صحيح ابن خزيمة (١/ ٣)، المستدرك (١/ ٢٩، ٢٦٧)، السنن للبيهقي (١٠/ ٧٠، ٨٠)، جامع التحصيل (١٣٥)، تحفة التحصيل (٧١)، الترغيب والترهيب (٦/ ١١٣)، نصب الراية (١/ ٩٠)، التيسير (١٢٧).

﴿٤﴾ قال أحمد: ما في أصحاب الحسن أثبت من يونس.اهـ.

شرح علل الترمذي لابن رجب (٢/ ٦٨٥).

﴿٥﴾ عبد الرزاق (١١/ ٢٠٩)، ابن أبي شيبة (٥/ ٣٥)، البزار (٩/ ٣٢)، الطبراني (١٨/ ١٧٩)، السُّنَّة للخلال.

أخرجه: البزار (٣/ ٣٩٩)، والطبراني «الأوسط» (٤/ ٣٠١)، وابن عدي «الكامل» (٣/ ٣٤٠)، من طريق زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

حسَّنه: المنذري[١].

ضعَّفه: أحمد، وابن عدي، والهيثمي[٢].

والإسناد معلول؛ لأمرين:

١ ـ أن زمعة بن صالح ضعفه أحمد، وهو كثير الغلط كما قال البخاري[٣]، وقد تفرد به كما قال البزار[٤].

٢ ـ أن زمعة تكلم في روايته عن سلمة بن وهرام: أحمد والبخاري وابن حبان وابن عدي[٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد[٦] و[٧] ينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق»[٨].

---

[١] الترغيب (٤/ ٣٣).

[٢] الكامل (٣/ ٣٤٠)، علل الترمذي الكبير (٢٦٧)، المجمع (٥/ ١١٧)، التهذيب (٣/ ١٦٥، ٤٤٦)، الميزان (٢/ ٨١، ١٩٣).

[٣] العلل الكبير للترمذي (٢٦٧).

[٤] قال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. اهـ. البزار (٣/ ٣٩٩).

[٥] الكامل (٣/ ٣٤٠).

[٦] هي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ. القول المفيد (١/ ٥٤٨).

وانظر: فتح الحميد (٣/ ١١٨٠).

[٧] «الواو» ليست عطفاً؛ ولكنها للحال، يعني: والحال أنهم ينظرون فيربطون ما يكتبون بسير النجوم وحركتها.

[٨] أخرجه: عبد الرزاق «المصنف» (١١/ ٢٦)، من طريق معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده: صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن﴿١﴾. **الثانية**: التصريح بأنه كفر﴿٢﴾. **الثالثة**: ذكر من تكهن له. **الرابعة**: ذكر من تطير له.

﴿١﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): وقد نهى النبي عن إتيان الكهان، وأخبر أن من أتى عرافاً فصدقه بما يقول كفر بما أنزل عليه، ولا ريب أن الإيمان بما جاء به محمد وبما يجيء به هؤلاء لا يجتمعان في قلب واحد، وإن كان أحدهم قد يصدق أحياناً فصدقه إلى كذبه قليل من كثير، وشيطانه الذي يأتيه بالأخبار لا بد له أن يصدقه ليغوي به الناس ويفتنهم به، وأكثر الناس مستجيبون لهؤلاء مؤمنون بهم، ولا سيما ضعفاء العقول كالسفهاء والجهال وأهل البوادي، ومن لا علم لهم بحقائق الإيمان، فهؤلاء هم المفتونون بهم منهم يحسن الظن بأحدهم ولو كان مشركاً كافراً بالله مجاهراً بذلك ويزوره وينذر ويلتمس دعاءه، فقد رأينا وسمعنا من ذلك كثيراً، وسبب هذا كله خفاء ما بعث الله به من الهدى ودين الحق على هؤلاء وأمثالهم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له نور.اهـ.

زاد المعاد (٥/ ٧٨٦ ـ ٧٨٩)، إغاثة اللهفان (١/ ٢٨٣).

﴿٢﴾ **حكم إتيان الكهان:**

أولاً: الكاهن كافر مشرك بالله؛ لأن الجن لا تخدمه إلا إذا تقرب إليها بأنواع العبادات. قال السعدي: وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك، والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله.اهـ. القول السديد (١٠٠).

ثانياً: نص أحمد على أن الكاهن يقتل.

ثالثاً: حكم من أتى إليهم:

أ ـ أن يأتي إليهم الآتي بدون تصديق لهم ولا سؤال؛ فهذا يحرم عليه الإتيان، كما قال ابن باز، وابن عثيمين؛ لما جاء في مسلم من حديث معاوية بن الحكم، أنه قال للنبي ﷺ: إنا منا رجالاً يأتون الكهان؟ فقال النبي ﷺ: «**فلا تأتوا الكهان**».

ب ـ أن يأتي إليهم لكي يمتحنهم؛ فهذا جائز الإتيان إليهم، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن عثيمين؛ لما ثبت في الصحيحين: أن النبي ﷺ سأل =

....

= ابن صَيَّاد فقال: «ما يأتيك؟» فقال: يأتيني صادق وكاذب، قال: «ما ترى؟» قال: أرى عرشاً على الماء، قال: «**فإني قد خبأت لك خبيئاً**»، قال: الدُّخُّ الدُّخُّ ـ والدُّخُّ بضم الدال وفتحها: الدُّخان ـ، قال: «**اخسأ فلن تعدو قدرك؛ فإنما أنت من إخوان الشياطين**».

ت ـ أن يأتي إليهم مصدقاً لهم في أمر مستقبلي، فهذا قد اختلف أهل العلم فيه على قولين:

القول الأول: أنه كفر، وبه قال أحمد في رواية، وابن تيمية، وأكثر أئمة الدعوة كسليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن، واختاره ابن باز، وابن عثيمين، وعبد العزيز العبد اللطيف؛ لأنه في الحقيقة مصدق للكاهن في معرفته للغيب؛ وهذا فيه تكذيب لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾.

القول الثاني: أنه كفر أصغر، وبه قال أحمد في رواية، واختاره ابن بطة، وابن قدامة، والمرداوي، والمناوي، وابن القيم، وعبد اللطيف بن عبد الرحمٰن، والبراك.

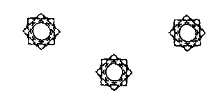
قال صالح آل الشيخ: قال طائفة من أهل العلم: كفره كفر مخرج من الملة، وهذا القول فيه نظر من جهتين:

الجهة الأولى: ما ذكرناه من الدليل؛ من أن قوله عليه الصلاة والسلام: «**لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يوماً**» يدل على أنه لم يكفر الكفر الأكبر، ولو كان كفر الكفر الأكبر يحدّ عدم قبول صلاته تلك المدة من الأيام.

والثانية: أن تصديق الكاهن فيه شبهة، وادّعاء علم الغيب أو تصديق أحد ممن يدعي علم الغيب كفر بالله جل وعلا كفر أكبر.

لكن هذا الكاهن الذي ادعى علم الغيب ـ كما نعلم أنه يخبر بالأمور المغيبة فيما سبق فيه ـ عن طريق استراق الجن للسمع، فيكون ـ إذن ـ هو نقل ذلك الخبر عن الجن، والجن نقلوه عمن سمعوه في السماء، وهذه شبهة قد يأتي الآتي الذي يأتي للكاهن ويقول: أنا أصدقه فيما أخبر من الغيب؛ لأنه قد جاءه علم ذلك الغيب من السماء عن طريق الجن، وهذه الشبهة تمنع من التكفير ـ تكفير تصديق الكاهن، تكفير من صدّق الكاهن ـ الكفر الأكبر. فصار عندنا أيضاً أن القول الأظهر أن كفره كفر أصغر وليس بأكبر لدلالة الأحاديث ولظهور التعليل في ذلك. اهـ. =

الخامسة: ذكر من سُحر له. **السادسة**: ذكر من تعلم أبا جاد﴿١﴾. **السابعة**: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف﴿٢﴾.



= قال المناوي: إن مصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تُلقي إليه ما سمعته من الملائكة وأنه بإلهام فصدقه من هذه الجهة لا يكفر. اهـ.

الإيمان «لابن بطة» (٢/ ٧٢٨)، النبوات (٢٨٧)، الفتاوى (١٩/ ٦٢)، الفروع (٦/ ١٨٠)، الصلاة «لابن القيم» (٦١)، التيسير (٣٣٨)، فتح الحميد (٣/ ١١٢٢، ١١٥١، ١١٦٧)، الرسائل والمسائل (٣/ ١٥)، اللجنة الدائمة للإفتاء (١/ ٥٨٢)، التمهيد.

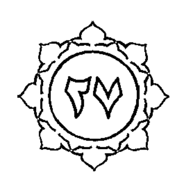
﴿١﴾ تعلُّم أبا جاد ينقسم إلى قسمين:

الأول: تعلم مباح بأن نتعلمها لحساب الجمل، وما أشبه ذلك؛ فهذا لا بأس به.

الثاني: تعلم محرم، وهو كتابة «أبا جاد» كتابة مربوطة بسير النجوم وحركتها وطلوعها وغروبها، وينظرون في النجوم ليستدلوا بالموافقة أو المخالفة على ما سيحدث في الأرض، إما على سبيل العموم؛ كالجذب والمرض والحرب وما أشبه ذلك، أو على سبيل الخصوص؛ كأن يقول لشخص: سيحدث لك مرض أو فقر أو سعادة أو نحس في هذا، وما أشبه ذلك؛ فهم يربطون هذه بهذه، وليس هناك علاقة بين حركات النجوم واختلاف الوقائع في الأرض.

التيسير (٣٤٣)، القول المفيد (١/ ٥٤٨).

﴿٢﴾ قال الشنقيطي (١٣٩٣هـ): والفرق بين العرافة والكهانة مع أنهما مشتركان في دعوى الاطلاع على الغيب: أن العرافة مختصة بالأمور الماضية، والكهانة مختصة بالأمور المستقبلية. اهـ. أضواء البيان (٤/ ٤٥٥).



باب: ما جاء في النُّشرة

عن جابر: «أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود.

وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: «رجل به طِب أو يُؤَخَّذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم ينه عنه». اهـ.

وروى عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحر».

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن النشرة. الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه عما يزيل الإشكال.





٢٧ ـ باب: ما جاء في النُّشرة ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ **النُّشرة**: بضم النون فعلة من النشر، وهو التفريق والكشف والإزالة.
والنُّشرة في الاصطلاح: حل السحر عن المسحور.
معالم السنن (٤/ ٢٠٤)، المشارق (٢/ ٢٩)، غريب الحديث «لابن الجوزي» (٢/ ٤٠٨)، النهاية (٥/ ٥٤)، الفتح (١٠/ ٢٤٤).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: لما كانت النشرة التي بغير الأدعية والأدوية المباحة لا يقدر عليها الساحر إلا بالتقرب بأنواع العبادات للجن كما قال الحسن وابن الجوزي، وهذا من الشرك الأكبر، ذكر المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد.
قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): ذكر ـ المصنف ـ ما جاء في النشرة، لأنها قد تكون من قبل الشياطين والسحرة، فتكون مضادة للتوحيد. اهـ. التيسير (٣٤٤).

وقال ابن باز (١٤٢٠هـ): حل السحر على يد الساحر، هو من عمل الشيطان؛ لأنه يحله بدعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، وعمل ما حرمه الله. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٩٠).

علاقته بالباب السابق: لما ذكر المصنف حكم الساحر والكاهن وأنهما مشتركان بتقربهما إلى الجن بأنواع العبادات، وأن الذهاب إليهما محرم، شرع المصنف في هذا الباب والبابين بعده في بيان ما يشتبه على الناس مما له تعلق بالسحر والذهاب للسحرة، حيث نجد المصنف في هذا الباب أوضح حال النشرة، فذكر المحرم منها وهي التي تكون بالسحر، والبديل عنها وهي التي تكون بالأدعية والأدوية المباحة.

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): لما ذكر المصنف حكم السحرة والكهانة =

عن جابر: «أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة﴿١﴾**؟ فقال: «هي من عمل الشيطان**﴿٢﴾**»**. رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود﴿٣﴾.

أخرجه: أحمد (٣/ ٢٩٤)، وأبو داود (٣٨٦٨)، من طريق عبد الرزاق، عن عَقيل بن مَعْقِل بن مُنّبه، عن وهب بن منبه، عن جابر رضي الله عنه ﴿٤﴾﴿٥﴾.

= ذكر ما جاء في النشرة، لأنها قد تكون من قبل الشياطين والسحرة، فتكون مضادة للتوحيد، وقد تكون مباحة.اهـ. التيسير (٣٤٤).

﴿١﴾ الألف واللام في النشرة للعهد؛ أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان، لا النشرة بالرقى والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة.

التيسير (٣٤٤)، قرة عيون الموحدين (٢٦٩).

﴿٢﴾ أي: من إغوائه، قال أبو عبد الله القرطبي (٦٦٧هـ) عند قول موسى لما قتل القبطي: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥]؛ أي: من إغوائه.اهـ. وقال ابن باز: لأن الساحر يتقرب إلى الشياطين بما يحبونه من عباداتهم والنذر لهم فيسعفونهم بإعطائهم الإجابات عما يسألونه مما يخفى عليهم من عمل الساحر وما فعله في المسحور.اهـ.

تفسير القرطبي (١٣/ ٢٦١)، التعليق المفيد (١٥٤).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إنه دل على تحريم النُّشرة التي هي من عمل الشيطان وهي نُشرة الجاهلية.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٢٢).

﴿٤﴾ جاء عن جابر أنه أجاز النُّشرة عند ابن عبد البر (٦/ ١٤٤)، من طريق ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: سألت جابر بن عبد الله عن الرجل يأبق له العبد، أيؤخذ؟ قال: نعم، أو: لا بأس.

﴿٥﴾ جاء الحديث عند الحاكم (٤/ ٤٦٤)، من طريق مسكين بن بكير، عن شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، عن أنس رضي الله عنه. وهو ضعيف، كما قال ابن عبد البر؛ لأن الصواب فيه أنه مرسل، كما قال أبو داود، وأبو حاتم.

المراسيل (٤٥٣)، العلل لابن أبي حاتم (٢/ ٢٩٥)، التمهيد (٢/ ٢٧٣).

صحَّحه: النووي[١].

حسَّنه: ابن حجر[٢].

جوَّده: ابن مفلح، وسكت عليه أبو داود والمنذري[٣].

أُعِلَّ؛ بأمور:

١ ـ الاختلاف في سماع وهب بن منبه من جابر رضي الله عنه[٤].

﴿١﴾ المجموع (٩/ ٦٧).

﴿٢﴾ الفتح (١٠/ ٢٤٤).

﴿٣﴾ الآداب الشرعية (٣/ ٧٧). وقد جود ابن القيم حديثاً لعقيل بن معقل، عن وهب، عن جابر، عن النبي ﷺ في تقديم عيسى عليه السلام للمهدي للصلاة بهم.
المنار المنيف (٣٣٨)، عون المعبود (١٠/ ٢٤٩).

﴿٤﴾ ذهب ابن معين إلى عدم سماع وهب بن منبه من جابر رضي الله عنه، قال ابن معين: لم يلق جابر بن عبد الله إنما هو كتاب، وقال في موضع آخر: هو صحيفة ليست بشيء. وذهب مسلم والحاكم والمزي إلى سماعه من جابر رضي الله عنه. وأثبت ابن عساكر أن وهب بن منبه رأى جابراً. وقال الإمام أحمد ـ عندما سئل عن أحاديث وهب عن جابر كيف هي ـ: أرجو، ولم يكن إسماعيل يحدث بها ونحن ثمة.

قال الشيخ عبد الله السعد: هذا التضعيف إنما هو من باب الصناعة الحديثية، وأن الإسناد ليس بالمتصل؛ وذلك لأنه صحيفة وكتاب، كما قال ابن معين؛ ولكن هذا لا يدل على تضعيف متن الخبر؛ لأن الصحيفة والكتاب قد تكون أثبت من مجرد السماع؛ ولذا قال ابن معين: عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده هو ثقة في نفسه، وما روى عن أبيه عن جده لا حجة فيه وليس بمتصل، وهو ضعيف من قبيل أنه مرسل، وجد شعيب كتب عبد الله بن عمرو فكان يرويها عن جده إرسالاً، وهي صحاح عن عبد الله بن عمرو، غير أنه لم يسمعها. اهـ؛ أي: صحيفة، وعبد الله بن عمرو قد صح أنه كتب عن النبي ﷺ في صحيفة وبقيت عند آله؛ ولكن ليس لها إسناد متصل عند يحيى بن معين. ويؤيد ثبوت هذا الخبر ما جاء عن الحسن عن أنس رضي الله عنه، وهو وإن كان مرسلاً؛ لكنه يدل على شهرة هذا الحديث. اهـ.

تاريخ ابن معين (٤٦٢، ٤٩٠)، بدائع الفوائد (٤/ ٨٨٦)، تهذيب الكمال =

٢ ـ أنه روي عن النبي ﷺ مرسلاً كما قال البيهقي، وقال: وهو أرجح﴿١﴾.

٣ ـ إعراض البخاري عنه﴿٢﴾، وكذلك مسلم والنسائي.

٤ ـ التفرد، حيث لا يوجد لعبد الرزاق، ولا لمعقل بن عقيل، ولا لوهب بن منبه متابع﴿٣﴾.

= (٣١/ ١٤٠)، التهذيب (١١/ ١٤٧)، تهذيب التهذيب (٢٤/ ٥٤)، جامع التحصيل (٨٦٢).

﴿١﴾ البيهقي «السنن» (٩/ ٣٥١)، علل ابن أبي حاتم (٢٣٩٣).

﴿٢﴾ فقد بوَّب البخاري في صحيحه باب: هل يستخرج السحر، وذكر أثر قتادة، فلو كان حديث جابر ثابتاً عنده وهو أصل في الباب لذكره، قال ابن حجر (٨٥٢هـ): قوله: «باب: هل يستخرج السحر»، كذا أورد الترجمة بالاستفهام إشارة إلى الاختلاف، وصدر بما نقله عن سعيد بن المسيب من الجواز، إشارة إلى ترجيحه.اهـ. قال ابن رجب: وقلَّ حديث تركاه إلا وله علة.اهـ. قال ابن عبد البر: البخاري ومسلم إذا اجتمعا على ترك إخراج أصل من الأصول فإنه لا يكون له طرق صحيحة، وإن وجد فهي معلولة.اهـ. وقال الحاكم: فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة في كتابي الإمامين البخاري ومسلم لزم صاحب الحديث التنقير عن علته ومذاكرة أهل المعرفة به لتظهر علته.اهـ.

ومما يدل على عدم ثبوت حديث جابر عند البخاري أنه ذكره في ترجمة عقيل بن معقل في التاريخ الكبير. قال المعلمي: إخراج الخبر في التاريخ لا يُفيد الخبر شيئاً بل يضرّه، فإنَّ من شأن البخاري أن لا يخرّج الخبر في التاريخ إلّا ليدلّ على وهن راويه.اهـ. وتعليل الحديث عموماً بإعراض البخاري، وخاصة إذا كان أصل في بابه قد جاء عن البيهقي والدارقطني وابن دحية وغيرهم.

التاريخ الكبير (٧/ ٥٣)، البيهقي (٧/ ٣٣٧)، التتبع (٢٥٤، ٤٢٠، ٤٧٧)، رفع الإشكال للعلائي (٤٩)، فتح الباري (١٠/ ٢٣٣)، الفوائد المجموعة (١٨٠)، البرق اليمني (٣٠).

﴿٣﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث ـ إذا تفرد به واحد وإن لم يرو الثقات خلافه ـ: إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلك علة فيه، اللَّهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته =

الخلاصة: الحديث ليس بذاك القوي﴿١﴾؛ لإعراض البخاري عنه، ولقول الإمام أحمد: أرجو ـ لما سُئل عن أحاديث وهب بن منبه عن جابر ـ؛ لكن معنى الحديث محفوظ، فقد جاء المنع عن النشرة بالسحر عن ابن عمر﴿٢﴾، وقال النخعي: كانوا يكرهون التمائم والرقى والنشر﴿٣﴾.

وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله﴿٤﴾.

= وحديثه، كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً. اهـ. شرح العلل للترمذي (١/ ٣٥٢).

﴿١﴾ قال القرطبي (٦٦٧هـ): وقد روى أبو داود من حديث جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة؟ فقال: «**من عمل الشيطان**». قال ابن عبد البر: وهذه آثار لينة ولها وجوه محتملة. اهـ. تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٩).

﴿٢﴾ رواه عبد الرزاق (١١/ ٢٠٨)، من طريق معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين قال: سئل ابن عمر عن الأخذة، فقال: ما أراها إلا سحراً. وإسناده صحيح، وقد تابع أيوب محمد بن سيف عند ابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٢٤٤). وقد حكى ابن عبد البر وتبعه الحاكم أن الصحابي إذا وصف شيئاً بالكفر أو العصيان؛ فإن له حكم الرفع بالإجماع. النكت «لابن حجر» (٢/ ٥٣٠).

﴿٣﴾ ابن أبي شيبة (٥/ ٣٦)، من طريق وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم. وإسناده صحيح.

﴿٤﴾ الآداب الشرعية (٣/ ٧٧). علاقة ما جاء عن أحمد بالباب، فيه النهي عن النشرة.

قال ابن قاسم: أراد أحمد أن ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان، كما يكره تعليق التمائم مطلقاً، فدل على أنه يذهب إلى ما ذهب إليه ابن مسعود، وهو تحريم هذا كله، ومستنده الحديث. اهـ.

وقال صالح آل الشيخ: وقوله: «يكره هذا كله» يعني: أن تكون النشرة عن طريق التمائم التي فيها القرآن؛ لأنه مر بنا أن ابن مسعود كان يكره جميع أنواع التمائم حتى من القرآن، كما قال إبراهيم النخعي رحمه الله: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن ومن غير القرآن. يعني: أصحاب ابن مسعود، فابن مسعود كان يكره التمائم من القرآن، وهو أن يعلق شيئاً من القرآن لأي غرض، لدفع العين، أو لإزالة =

وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: «رجل به طِب﴿١﴾ **أو يُؤخَّذ عن امرأته**﴿٢﴾ **أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، أما ما ينفع فلم يُنه عنه». اهـ**﴿٣﴾.

= السحر، ورفع الضرر؛ لهذا قال الإمام أحمد لما سئل عن النشرة التي تكون بالتمائم من القرآن، قال: ابن مسعود يكره هذا كله. أما النشرة باستخدام النفث، والرقية من غير تعليق، فلا يمكن للإمام أحمد ولا لابن مسعود أن يكرها ذلك؛ لأن النبي ﷺ استخدم ذلك، وأذن به عملاً في نفسه، وكذلك في غيره ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٢٠٩). التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٣٠).

﴿١﴾ أي: سحر. التيسير (٣٤٥).

﴿٢﴾ أي: يحبس عن امرأته، ولا يقدر على جماعها. والأُخذ: الكلام الذي يقوله الساحر. التيسير (٣٤٥)، تحقيق التجريد (٢/ ٢٩٤).

﴿٣﴾ رواه بهذا اللفظ ابن جرير «تهذيب الآثار» من طريق حميد بن مسعدة، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به، وإسناده صحيح، وقد تابع سعيد بن أبي عروبة هشام الدستوائي وأبان العطار، والأثر رواه البخاري بصيغة الجزم وصححه ابن حجر.

علاقة الأثر بالباب، أن فيه النهي عن النشرة، لأنها لا يراد بها الإصلاح؛ لأن النشرة من عمل الشيطان.

قال سليمان بن عبد الله: وهذا الكلام من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم هل هو نوع من السحر أم لا؟ فأما أن يكون ابن المسيب يفتي بجواز قصد الساحر الكافر المأمور بقتله ليعمل السحر، فلا يظن به ذلك، حاشاه منه، ويدل على ذلك قوله: إنما يريدون به الإصلاح، فأي إصلاح في السحر؟! بل كله فساد وكفر والله أعلم. اهـ.

وحمل ابن عثيمين كلام ابن المسيب على خلاف قول سليمان بن عبد الله، فقال: قوله: «لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح»: كأن ابن المسيب رحمه الله، قسم السحر إلى قسمين: ضار ونافع، فالضار محرم، قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾، والنافع لا بأس به، وهذا ظاهر ما روي عنه.

التغليق (٥/ ٥٠)، الفتح (١٠/ ٢٣٢)، تيسير العزيز الحميد (٣٤٥)، القول المفيد (١/ ٥٥٦).

وروى عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحر»﴿١﴾.

قال ابن القيم﴿٢﴾: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز﴿٣﴾.

فيه مسائل﴿٤﴾:

. . . .

﴿١﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن: هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد. اهـ.

التغليق (٥/ ٥٠)، الفتح (١٠/ ٢٣٢) التوحيد وقرة عيون الموحدين (٢٧١).

علاقة الأثر بالباب، أن فيه بيان للنشرة المنهي عنها، وهي التي تكون بالسحر.

﴿٢﴾ إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٣٩٦).

﴿٣﴾ قال البيهقي: إن رقى بما لا يُعرف، أو على ما كان من أمر الجاهلية من إضافة العافية إلى الرقى لم يجز، وإن بكتاب الله، أو بما يعرف من ذكر الله متبركاً به وهو يرى نزول الشفاء من الله تعالى فلا بأس به. ثم قال: والقول فيما يكره من النشرة وما لا يكره كالقول في الرقية. اهـ. السنن الكبرى (٩/ ٣٥١).

قال ابن القيم: ومن أنفع علاجات السِّحر الأدوية الإلـٰهية، بل هي أدويتُه النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السُّفْلية، ودفعُ تأثيرها يكون بما يُعارِضُها ويُقاومها من الأذكار، والآيات، والدعواتِ التى تُبْطِلُ فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشدّ، كانت أبلغَ فى النُّشْرةِ، وذلك بمنزلة التقاءِ جيشين مع كلِّ واحدٍ منهما عُدَّتُه وسلاحُه، فأيُّهما غلب الآخر، قهره، وكان الحكم له. اهـ. الطب النبوي (١١٩).

﴿٤﴾ قال عبد الله الدويش (١٤٠٨هـ): واعلم أن المؤلف لم يذكر إلا مسألتين مع أنه قال: فيه مسائل. والجواب ـ والله أعلم ـ أنه فعل ذلك لتتفق عبارته المطردة في جميع الأبواب مع قصده المثنى؛ فإن العرب تطلق لفظ الجمع وتريد به =

الأولى: النهي عن النشرة﴿١﴾. **الثانية**: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه عما يزيل الإشكال.

= المثنى، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؛ أي: قلباكما، والمراد عائشة وحفصة، أو على قول من يجعل أقل الجمع اثنان كما حمل بعض الصحابة قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] على الأخوين. اهـ. التوضيح المفيد (١٤٩).

﴿١﴾ **مسألة: حكم حل السحر:**

أولاً: حل السحر بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز، وهو مبني على حكم التداوي. وقد سبق الكلام عليه.

ثانياً: حل السحر بواسطة الساحر، وقد اختلف فيه أهل العلم على قولين:

القول الأول: الجواز، وهو قول ابن المسيب، وعطاء الخراساني، ورواية لأحمد، والطبري، وابن الجوزي، وابن مفلح، والمزني، والمازري، وابن بطال، والسهيلي، واختاره ابن حجر، وعبد الرحمٰن الدوسري، وهو ظاهر تبويب البخاري، قال ابن حجر: أورد الترجمة بالاستفهام إشارة إلى الاختلاف، وصدر بما نقله ابن المسيب من الجواز، إشارة إلى ترجيحه. اهـ.

قال ابن عثيمين في شرحه للبلوغ في الحدود: قيل لا يحل السحر بالسحر؛ لأن السحر حرام، فيقال: إن الله بيَّن سبب التحريم، فقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فإذا كان في هذا السحر منفعة لا مضرة انتفى التحريم؛ ولذا أجازه ابن المسيب، وعبد الرحمٰن الدوسري؛ لأن هذه مصلحة، وقال: نحن لا نفتي به فتوى عامة نخشى من غوائل هذا. والعلماء أجازوا حل السحر بالسحر للضرورة. اهـ. واستدلوا بما رواه البخاري عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ: «**أفلا تنشرت؟**»، وأن هذا ينفع والمنهي عنه الضار؛ وبقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ وبما رواه مسلم من حديث جابر مرفوعاً: «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**».

قال ابن عثيمين: ما الجمع بين قول الفقهاء، رحمهم الله، يجوز حل السحر بالسحر وبين قولهم يجب قتل الساحر؟ الجمع أن مرادهم بقتل الساحر من يضر بسحره دون من ينفع؛ فلا يقتل، أو أن مرادهم بيان حكم حل السحر بالسحر للضرورة، وأما الإبقاء على الساحر؛ فله نظر آخر. اهـ.

القول الثاني: عدم الجواز، وهو قول عائشة (٥٧هـ)، والنخعي (٩٦هـ)، =

. . . .

= والحسن (١١٠هـ)، وعطاء بن أبي رباح (١١٤هـ)، وأبو حنيفة (١٥٠هـ)، ومالك (١٧٩هـ)، والشافعي (٢٠٤هـ)، ورواية لأحمد (٢٤١هـ)، وكثير من المالكية والشافعية والحنابلة، وهو اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ)، وسليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، ومحمد بن إبراهيم (١٣٨٩هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، وعبد الله بن حميد١٤٠٢هـ)، وحافظ الحكمي (١٣٧٧هـ)، والشنقيطي (١٣٩٣هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن جبرين (١٤٣٠هـ)، والبراك، والفوزان، وعبد الكريم الخضير، وبه قالت اللجنة الدائمة للإفتاء، وهو الصواب.

واستدلوا بأحاديث الباب، وبما أخرجه البخاري تعليقاً عن ابن مسعود موقوفاً: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**»، والسحر مما حرم الله، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. قال العلامة محمد بن إبراهيم ـ في ردّ قول بعض الحنابلة: ويجوز الحل بسحر ضرورة ـ: والقول الآخر أنه لا يحل، وهذا هو الصحيح. . . وكلام الأصحاب هنا بيّن أنه حرام، ولا يجوز إلا لضرورة فقط؛ لكن هذا يحتاج إلى دليل، ولا دليل إلا كلام ابن المسيب، ومعنا حديث جابر في ذلك. . . والسحر حرام وكفر. أفيعمل الكفر لتحيا نفس مريضة أو مصابة؟ مع أن الغالب في المسحور أنه يموت أو يختل عقله، فالرسول منع وسدّ الباب، ولم يفصّل في عمل الشيطان، ولا في المسحور. اهـ.

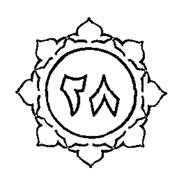
وأجاب صالح آل الشيخ على من أجازها للضرورة: بأن هذا القول ليس بصواب، بل هو غلط؛ لأن الضرورة لا تكون جائزة ببذل الدين والتوحيد عوضاً عنها، ومعروف أن الضروريات الخمس التي جاءت بها الشرائع أولها: حفظ الدين، وغيره أدنى منه مرتبة ـ ولا شك ـ، فلا يبذل ما هو أعلى لتحصيل ما هو أدنى، وضرورة الحفاظ على النفس وإن كانت من الضروريات الخمس، لكنها دون حفظ الدين مرتبة؛ ولهذا لا يقدم ما هو أدنى على ما هو أعلى، أو أن يبذل ما هو أعلى لتحصيل ما هو أدنى من الضروريات الخمس، والأنفس لا يجوز حفظها بالشرك، ولأن يموت المرء وهو على التوحيد خير له من أن يعافى وقد أشرك بالله ـ جل وعلا ـ؛ لأن السحر لا يكون إلا بشرك، والذي يأتي الساحر ويطلب منه حل السحر فقد رضي قوله وعمله، ورضي أن يعمل به ذاك، ورضي أن يشرك ذاك بالله لأجل منفعته، وهذا غير جائز. اهـ. =

. . . .

= وقال عبد الكريم الخضير: إن حل السحر بسحر مثله لا يجوز البتة؛ لأنه تواطأ ـ الساحر والمسحور ـ على الشرك الأكبر، فالذي حرم الذهاب إلى الساحر في المرة الأولى يحرمه في المرة الثانية؛ لأن السحر لا يختلف لا يمكن أن يوجد سحر إلا بشرك ولا يمكن أن يحل السحر عن طريق ساحر إلا بشرك مثله، لا يمكن أن يقع هذا، لا يمكن أن يحل السحر إلا بتقديم وتقريب، والساحر بدلاً من أن يكون مجرماً أثيماً حده القتل يكون محسناً متفضلاً ينبغي أن تسهل له الأمور ويفتح عيادات لأنه محسن يكشف الضرورات عن الناس، يكشفها بإيش؟ بالشرك الأكبر، نسأل الله السلامة والعافية. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذلك محرم في كل حال، وليس هذا كالتكلم به عند الإكراه، فإن ذلك إنما يجوز إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، والتكلم به إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه، ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر. اهـ.

غريب الحديث «لابن الجوزي» (٢/ ٤ ـ ٨)، تفسير القرطبي (٢/ ٤١)، المفهم (٥/ ٥٧٥)، شرح النووي على مسلم (٤/ ١٧٠)، الفتاوى (١٩/ ٦٤)، الفتح (١٠/ ٢٤٤)، فتح الحميد (٣/ ١١٨٨)، فتح المجيد (٢/ ٥٠١)، معارج القبول (١/ ٥٢٩)، الفتاوى «لابن إبراهيم» (١/ ١٦٥)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٣١)، القول المفيد (١/ ٥٥٧)، فتاوى مهمة لعموم الأمة (١٠٦).



باب: ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقوله: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى، ولا طِيَرَة، ولا هَامَة، ولا صَفَرَ» أخرجاه. زاد مسلم: «ولا نَوء، ولا غُول».

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة».

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللَّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل». رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَن رَدَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: «اللَّهم لا خير إلا خيرُك، ولا طير إلا طيرُك، ولا إلٰه غيرك».

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردَّك».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾. **الثانية**: نفي العدوى. **الثالثة**: نفي الطيرة. **الرابعة**: نفي الهامة. **الخامسة**: نفي الصفر. **السادسة**: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب. **السابعة**: تفسير الفأل. **الثامنة**: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل. **التاسعة**: ذكر ما يقول من وجده. **العاشرة**: التصريح بأن الطيرة شرك. **الحادية عشرة**: تفسير الطيرة المذمومة.

۞ ۞ ۞





٢٨ ـ باب: ما جاء في التطيُّر﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال السعدي (١٣٧٦هـ) بأن التطير: هو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع وغيرها.اهـ. وقال النووي (٦٧٦هـ): والتطير التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينفرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم، وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم.اهـ.

وقال العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ): التطير الظن السيئ الذي يقع في النفس، والطيرة هو الفعل المرتب على الظن السيئ.اهـ؛ أي: من فرار أو غيره.

قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وأصل التطير: التشاؤم، لكن أضيفت إلى الطير؛ لأن غالب التشاؤم عند العرب بالطير، فعلقت به، وإلا فإن تعريفها العام: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم.اهـ.

الذريعة (١٩١)، شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٧٧)، الفروق «للقرافي» (٤/ ٤٣٨)، الفتاوى (٢٣/ ٦٧)، الفتوحات الربانية (٦/ ٢٧٤)، عون المعبود (١٠/ ٢٨٩)، القول السديد (١٠٥)، القول المفيد (١/ ٥١٥).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** ابن قاسم: لما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه يتعلق القلب به خوفاً وطمعاً، ولكونه منافياً للتوكل على الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه، أفرده المصنف بالترجمة.اهـ. حاشية ابن قاسم (٢١٢)، التيسير (٣٤٨).

وقال ابن القيم: والطيرة تنقص التوحيد وتضعفه.اهـ. زاد المعاد (١/ ٤٩٦). =

وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾﴿١﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾﴿٢﴾ [يس: ١٩]﴿٣﴾﴿٤﴾.

= قال ابن رحب: الطيرة من أعمال أهل الشرك والكفر، وقد حكاها الله في كتابه عن قوم فرعون وقوم صالح وأصحاب القرية التي جاءها المرسلون.اهـ. اللطائف (١٤٢).

علاقته بالباب السابق:

لما ذكر المصنف في الباب السابق عملاً من الأعمال التي يشتبه أمره على الناس مما له تعلق بالسحر والسحرة ألا وهي النشرة، ذكر المصنف عملاً آخر مما يشتبه أمره على الناس مما له تعلق بالسحر ألا وهو الطيرة، حيث بين فيه المصنف ضابطها والتفريق بينها وبين الفأل وعلاجها. ويتبين وجه شبه الطيرة بالسحر بما قاله الطيبي عند حديث: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**»: «من» فيه إما ابتدائية أو تبعيضية، فعلى الأول المعنى الطيرة ناشئة من الساحر، وعلى الثاني المعنى الطيرة من جملة السحر والكهانة. . .اهـ. التيسير (٣٢٩، ٣٤٨).

﴿١﴾ قال ابن عباس (٦٨هـ): أي: إن الذي أصابهم من الله.اهـ. وقال الزجاج (٣١٦هـ): المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا. زاد المسير (٥١٤).

﴿٢﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): المعنى ـ والله أعلم ـ: حظكم وما نابكم من شر معكم، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا؛ بل ببغيكم وعدوانكم. ويحتمل أن يكون المعنى: طائركم معكم؛ أي: راجع عليكم، فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم، وهذا من باب القصاص في الكلام، ونظيره قوله ﷺ: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**». ذكره ابن القيم اهـ. التعليق المفيد (١٥٦).

﴿٣﴾ ولا منافاة بين هذه الآية والتي ذكرها المؤلف قبلها؛ لأن الأولى تدل على أن المقدر لهذا الشيء هو الله، والثانية تبين سببه، وهو أنه منهم.اهـ. القول المفيد (١/ ٥٦٢).

﴿٤﴾ قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ومناسبة الآيتين للترجمة أن التطير من عمل الجاهلين المشركين، وقد ذمهم الله به ومقتهم.اهـ. حاشية ابن قاسم (٢١٢).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى﴿١﴾، ولا طِيَرَة﴿٢﴾، ولا هَامَة﴿٣﴾، ولا صَفَرَ»﴿٤﴾ ....

﴿١﴾ **العدوى:** اسم من الإعداء كالرعوى والبقوى من الإرعاء والإبقاء. يقال: أعداه الداء يعديه إعداء وهو: أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء. وذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً فتتقى مخالطته بإبل أخرى حذاراً أن يتعدى ما به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه. النهاية (٣/ ٤٢١).

﴿٢﴾ قال النووي (٦٧٦هـ): بكسر الطاء وفتح الياء على وزن العنبة، هذا هو الصحيح المعروف في رواية الحديث وكتب اللغة والغريب، وحكى القاضي وابن الأثير أن منهم من سكن الياء، والمشهور الأول. قالوا: وهي مصدر تطير طيرة قالوا: ولم يجئ في المصادر على هذا الوزن إلا تطير طيرة، وتخير خيرة بالخاء المعجمة. قال ابن القيم: وهذا يحتمل أن يكون نفياً وأن يكون نهياً؛ أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «**ولا عدوى ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه. اهـ.

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٧٧)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤).

﴿٣﴾ فيه تأويلان: أحدهما: أن العرب تتشاءم بالهامة، وهي الطائر المعروف من طير الليل، وقيل: هي البومة. قالوا: كانت إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له نفسه، أو بعض أهله، وهذا تفسير مالك بن أنس. والثاني: أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت ـ وقيل: روحه ـ تنقلب هامة تطير، وهذا تفسير أكثر العلماء، وهو المشهور. ويجوز أن يكون المراد النوعين، فإنهما جميعاً باطلان، فبين النبي ﷺ إبطال ذلك، وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك. اهـ. شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٧٢).

﴿٤﴾ قيل: هو شيء يصيب البطن فيجعله أصفر اللون، وبه قال مطرف، وابن وهب، وأبو عبيد، والثوري، وأحمد، والبخاري، والنووي. وعلى هذا القول يحمل النفي على التأثير المستقل، فيكون بمعنى العدوى. وقيل: وهو شهر صفر، حيث يعتقدون أنه شهر الآفات، وبه قال ابن رجب، واختاره ابن عثيمين. وعلى هذا القول يكون النفي على نفي الصحة؛ أي: نفي صحة هذا الاعتقاد. وقيل: =

أخرجاه﴿١﴾. زاد مسلم: «**ولا نَوء**﴿٢﴾، **ولا غُول**»﴿٣﴾.

= هو بمعنى الأخير، حيث إنهم إذا أرادوا في الأشهر الحرم القتال استباحوها وأخروا الحرمة إلى صفر، وبه قال مالك، وأبو عبيدة. ورد هذا القول ابن عثيمين؛ لأن الحديث في سياق التطير وليس في سياق التغيير. شرح النووي على مسلم، لطائف المعارف (٨٣)، القول المفيد (١/ ٥٦٣).

📖 قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وهذا النفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفياً للوجود؛ لأنها موجودة، ولكنه نفي للتأثير؛ فالمؤثر هو الله، فما كان منها سبباً معلوماً؛ فهو سبب صحيح، وما كان منها سبباً موهوماً؛ فهو سبب باطل، ويكون نفياً لتأثيره بنفسه إن كان صحيحاً، ولكونه سبباً إن كان باطلاً.اهـ. القول المفيد (١/ ٥٦٤).

﴿١﴾ البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠)، من طريق الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿٢﴾ قوله: «لا نوء» واحد الأنواء، والأنواء: هي منازل القمر، وهي ثمانٍ وعشرون منزلة، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة. وهذه النجوم بعضها يسمى النجوم الشمالية، وهي لأيام الصيف، وبعضها يسمى النجوم الجنوبية، وهي لأيام الشتاء، وأجرى الله العادة أن المطر في وسط الجزيرة العربية يكون أيام الشتاء، أما أيام الصيف فلا مطر.

فالعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء، ويتفاءلون بها؛ فبعض النجوم يقولون: هذا نجم نحس لا خير فيه، وبعضها بالعكس يتفاءلون به فيقولون: هذا نجم سعود وخير، ولهذا إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا، ولا يقولون: مطرنا بفضل الله ورحمته، ولا شك أن هذا غاية الجهل. ألسنا أدركنا هذا النوء بعينه في سنة يكون فيه مطر، وفي سنة أخرى لا يكون فيه مطر؟ ونجد السنوات تمر بدون مطر مع وجود النجوم الموسمية التي كانت كثيراً ما يكون في زمنها الأمطار. فالنوء لا تأثير له؛ فقولنا: طلع هذا النجم، كقولنا: طلعت الشمس؛ فليس له إلا طلوع وغروب، والنوء وقت تقدير، وهو يدل على دخول الفصول فقط.اهـ. القول المفيد (١/ ٥٦٨).

﴿٣﴾ قوله: «ولا غول»: جمع غولة أو غولة، ونحن نسميها باللغة العامية: «الهولة»؛ لأنها تهول الإنسان. والعرب كانوا إذا سافروا أو ذهبوا يميناً أو شمالاً تلونت لهم الشياطين بألوان مفزعة مخيفة، فتدخل في قلوبهم الرعب والخوف، =

ولهما عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»﴿١﴾. قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»﴿٢﴾.

= تجدهم يكتئبون ويستحسرون عن الذهاب إلى هذا الوجه الذي أرادوا، وهذا لا شك أنه يضعف التوكل على الله، والشيطان حريص على إدخال القلق والحزن على الإنسان بقدر ما يستطيع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠]. وهذا الذي نفاه الرسول ﷺ هو تأثيرها؛ وليس المقصود بالنفي نفي الوجود، وأكثر ما يبتلى الإنسان بهذه الأمور إذا كان قلبه معلقاً بها، أما إن كان معتمداً على الله غير مبالٍ بها؛ فلا تضره ولا تمنعه عن جهة قصده. اهـ. الغول والخل والعنقاء ثلاثة... أسماء وأشياء لم توجد ولم تكن. القول المفيد (١/ ٥٦٩).

📖 قوله: «ولا نوء»، رواه مسلم (٢٢٢٠)، من طريق العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ. وكأن العلاء رواه بالمعنى؛ لأن أصحاب أبي هريرة رووه بلفظ: «لا طيرة». انظر: تخريجي لبلوغ المرام (حديث ٨٢)، حول الكلام على سلسلة العلاء بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة.

وقوله: «لا غول»، رواه مسلم (٢٢٢٢)، من طريق أبي الزبير، عن جابر ﷺ.

📖 **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على إبطال الطيرة، وأنها اعتقادٌ جاهليٌّ. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٢٩).

﴿١﴾ وقال الحليمي (٤٠٣هـ): «إنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال». قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): الفأل يعجب النبي ﷺ وهو أن يخرج متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الطيبة: «كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة» لأن الفأل تقوية لما فعله بإذن الله والتوكل عليه، والطيرة معارضة لذلك. اهـ.

الفتاوى (٤/ ٨١)، الفتح (١٠/ ٢١٥)، التيسير (٣٦٢)، ابن قاسم (٢١٧).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): والفأل الذي يحبه هو أن يفعل أمراً أو يعزم عليه متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره: مثل أن يسمع: يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك، وأما الطيرة بأن يكون قد فعل أمراً متوكلاً على الله أو يعزم عليه فيسمع كلمة مكروهة مثل: ما يتم، أو ما يفلح، =

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر﴿١﴾ قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل﴿٢﴾﴿٣﴾، ولا ترد مسلماً؛ فإذا

= ونحو ذلك فيتطير ويترك الأمر، فهذا منهي عنه. اهـ. وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): الفأل كل ما ينشط الإنسان على شيء محمود؛ من قول، أو فعل مرئي، أو مسموع. اهـ.

الفتاوى (٢٣/ ٦٦)، القول المفيد (١/ ٥٨٢).

📖 قال ابن القيم (٧٥١هـ): فقال: لا طيرة، وخيرها الفأل، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها، ولكنه خيرها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه من الرقاء بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركاً لما فيها من المنفعة الخالية عن المفسدة. اهـ. مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٥).

📖 حديث أنس أخرجه: البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤)، من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه بيان أن الفأل ليس من الطيرة المنهي عنها. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٠).

﴿١﴾ لعل إمام الدعوة قد نقله عن ابن السني (٢٩٣)، والصواب أنه عروة بن عامر وليس عقبة بن عامر. وقد استدرك ذلك على إمام الدعوة صاحب التيسير (٣٦٢).

﴿٢﴾ ظاهر الحديث يدل أن في الطيرة خير، ويجاب على ذلك بما قال ابن حجر: إن أفعل التفضيل في ذلك إنما هو بين القدر المشترك بين شيئين، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل: تأثير كل منهما فيما هو فيه، والفأل في ذلك أبلغ. اهـ. الفتح (١٠/ ٢١٥).

﴿٣﴾ ذهب ابن القيم (٧٥١هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ) إلى أن الفأل من الطيرة؛ لكنه مستثنى منها؛ لقوله ﷺ: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**». قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**».

رواه البخاري (٥٤٢٢)، ومسلم (٢٢٢٣). وذهب الكرماني (٧٨٦هـ) إلى أن الفأل ليس من الطيرة؛ لقوله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح**». مفتاح دار السعادة (٣/ ٢٤٥).

الفرق بين الطيرة والفأل:

أ ـ أن التطير تشاؤم وسوء ظن بالله، والفأل حسن ظن بالله. =

. . . .

= ب ـ أن التطير فيه تعلق بغير الله، أما الفأل فليس فيه اعتماد على المخلوق، بل هو توكل على الله تعالى وحده، مع أنس واستبشار بالكلمة الطيبة يسمعها.

قال الطرطوشي (٥٢٠هـ): الفأل الحسن هو ما يعرض من غير كسب، مثل قائل يقول: يا مفلح، ونحوه. والتفاؤل حرام.اهـ. قال ابن حجر (٨٥٢هـ): الشرع خص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر، ومن شرطه أن لا يُقصد فيصير من الطيرة».اهـ. قال السعدي (١٣٧٦هـ): والفرق بينهما: أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة: النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.اهـ. القول السديد (١٠٦)، قال ابن القيم (٧٥١هـ): ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، ومن حب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم أنه حبب إليه من الدنيا النساء والطيب.اهـ. قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ): وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر، ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطيرة.اهـ. قال ابن قاسم: بخلاف ما يمضيه أو يرده فإن للقلب عليه نوع اعتماد، وهذا فرق واضح بين الطيرة والفأل.اهـ. قال الحكمي (١٣٧٧هـ): ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصوداً بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال.اهـ.

قال سليمان بن عبد الله: الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس، فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله، فإن ذلك من الطيرة.اهـ.

قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إن كان سبب المضي كلاماً سمعه أو شيئاً شاهده يدل على تيسير هذا الأمر له؛ فإن هذا فأل، وهو الذي يعجب النبي ﷺ، لكن إن اعتمد عليه وكان سبباً لإقدامه؛ فهذا حكمه حكم الطيرة، وإن لم يعتمد عليه ولكنه فرح ونشط وازداد نشاطاً في طلبه؛ فهذا من الفأل المحمود.اهـ.

قال صالح آل الشيخ: وكذلك في باب التفاؤل إذا رأى شيئاً، فجعله ذلك الشيء يقدم، ولولا ذلك الشيء الذي رآه ما أقدم، فإن ذلك أيضاً من الطيرة وهي نوع من أنواع التأثيرات الخفية على القلوب، وذلك ضرب من السحر.اهـ.

إكمال المعلم (٧/ ١٤٤)، تفسير القرطبي (١٦/ ١٨١)، الفتاوى (٢٣/ ٦٦)، =

رأى أحدكم ما يكره فليقل: **اللَّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**[١]»[٢].

أخرجه: أبو داود (٣٩١٩) من حديث سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة بن عامر.

= مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٥). الفتح (١٠/ ٢١٥)، الفتح (١٠/ ٢٥٥)، التيسير (٣٦٦)، القول المفيد (١/ ٥٨٠)، التمهيد (٣٠٩).

فائدة:

هناك من المبتدعة من قاس طلب الحاجات من الموتى والاستغاثة بهم على التطير بجامع الاعتقاد، ففند شبهتم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، حيث قال: أين الجامع بين شرك من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه ويسأله قضاء حاجاته وكشف كرباته. فيقول: هذا وسيلتي إلى الله وباب حاجتي إليه. وبين من عبد الله وحده لا شريك له ودعاه خوفاً وطمعاً، وأنزل به حاجاته كلها وتبرأ من عبادة كل معبود سواه؟ ولكن وقع في قلبه شيء من الطيرة، فالأول: هو دين أبي جهل وأصحابه وهو دين أعداء الرسل من لدن نوح إلى يومنا هذا..اهـ.

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥/ ١٥١).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قوله: «**ولا حول ولا قوة إلا بك**» في معناها وجهان:

الأول: أنه لا يوجد حول ولا قوة إلا بالله؛ فالباء بمعنى في، يعني: إلا في الله وحده، ومن سواه ليس لهم حول ولا قوة، ويكون الحول والقوة المنفيان عن غير الله هما الحول المطلق والقوة المطلقة؛ لأن غير الله فيه حول وقوة، لكنها نسبية ليست بكاملة؛ فالحول الكامل والقوة الكاملة في الله وحده.

الثاني: أنه لا يوجد لنا حول ولا قوة إلا بالله؛ فالباء للاستعانة أو للسببية، وهذا المعنى أصح، وهو مقتضى ورودها في مواضعها؛ إذ إننا لا نتحول من حال إلى حال، ولا نقوى على ذلك إلا بالله، فيكون في هذه الجملة كمال التفويض إلى الله، وأن الإنسان يبرأ من حوله وقوته إلا بما أعطاه الله من الحول والقوة. القول المفيد (١/ ٥٧٣).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه إبطال الطيرة، وبيان ما تدُفع به، واستثناء الفأل منها.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٢).

صحَّحه: النووي[١].

ضعَّفه: ابن أبي حاتم، والمنذري، وأبو أحمد العسكري، والبيهقي، وأبو موسى المديني، وعبد الرحمٰن بن حسن[٢].

ومما تقدم يتضح أن الحديث معلول لأمرين:

١ ـ أن عروة ليس بصحابي؛ وإنما هو تابعي كما قال ابن معين ومسلم وأبو حاتم وابن حبان وابن قانع وابن عساكر والمزي والذهبي[٣].

٢ ـ أن حبيب بن أبي ثابت كثير الإرسال والتدليس، وقد عنعن، وقد جزم ابن معين بأن روايته عن عروة مرسلة، واستظهره ابن حجر[٤].

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك[٥]،

﴿١﴾ دليل الفالحين (٨٠٦)، شرح مسلم (١٤/ ٢٢٤).

﴿٢﴾ تاريخ الدوري (٢/ ٤١٥)، المراسيل (١٤٩)، مختصر سنن أبي داود (٥/ ٣٧٩)، الدعوات للبيهقي (٥٠٠)، أسد الغابة (٣/ ٥٢٥)، الإصابة (٢/ ٤٧٦).

﴿٣﴾ المراسيل لابن أبي حاتم (١٤٩)، الطبقات لمسلم (١١١٥)، الثقات لابن حبان (٥/ ١٩٥)، التمهيد (٢/ ٢٦٨)، مختصر المنذري (٥/ ٣٧٩)، معجم الصحابة (٢/ ٢٦٢)، التجريد (١/ ٣٧٩)، الرواة المختلف في صحبتهم «للجزائري» (٢/ ٦٤١).

﴿٤﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة. تاريخ الدوري (٢٨١٥)، التهذيب (٧/ ١٨٥).

﴿٥﴾ والمراد بالشرك في الطيرة هو: الأصغر، وبه قال ابن القيم (٧٥١هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)، وابن جبرين (١٤٣٠هـ). التيسير (٣٦٤)، عون المعبود (١٠/ ٢٨٨)، التعليق المفيد (١٥٥)، التمهيد (٣٣٥).

قال ابن القيم (٧٥١هـ): إن الطيرة نوع من الشرك كما هو في أثر مرفوع: مَن ردته الطيرة فقد قارن الشرك، وفي أثر: من أرجعته الطيرة من حاجة فقد أشرك.. اهـ. مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤).

=

وما منا إلا﴿١﴾**، ولكن الله يذهبه بالتوكل»**﴿٢﴾. رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

= وقال ابن عثيمين: وقوله: «شرك»: أي: إنها من أنواع الشرك، وليست الشرك كله، وإلا لقال: الطيرة الشرك. هل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر المخرج عن الملة، أو أنها نوع من أنواع الشرك؟ نقول: هي نوع من أنواع الشرك؛ كقوله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر»؛ أي: ليس الكفر المخرج عن الملة، وإلا لقال: «هما بهم الكفر»، بل هما نوع من الكفر. اهـ. القول المفيد (١/ ٥٧٤).

وجه كون الطيرة شركاً أمران:

١ ـ قال ابن العربي (٥٤٣هـ): «الطيرة زجر، وهو نوع من التعلق بأسباب يزعم المتعلق بها أنها تطلعه على الغيب، وهي كلها كفر؛ ولذلك جعله رسول الله ﷺ من الشرك، فإنهم يريدون أن يَشرَكوا الله في غيبه ويساووه في علمه». اهـ. عارضة الأحوذي (٧/ ١١٦).

٢ ـ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): «إنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً؛ فكأنهم أشركوا مع الله تعالى». اهـ. الفتح (١٠/ ٢١٣).

٣ ـ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): والقاعدة: «إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً؛ فإنه مشرك شركاً أصغر». وهذا نوع من الإشراك مع الله؛ إما في التشريع إن كان هذا السبب شرعياً، وإما في التقدير إن كان هذا السبب كونياً. اهـ. قال السعدي ـ في تعليل كون التمائم والحلق ونحوها شركاً ـ: إن التعلق لها جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً. اهـ. القول السديد (٣٧).

٤ ـ أن فيه صرفاً لعمل من أعمال القلب وهو التوكل. قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): بخلاف ما يمضيه أو يرده فإن للقلب عليه نوع اعتماد. اهـ.

يكون التطير شركاً أكبر عندما:

يعتقد في ذلك علم الغيب، وأن الطير تخبره عما هو صائر إليه في المستقبل، وأن الأفلاك تدبر أمر الخلائق، فليس هذا من الشرك الأصغر؛ بل هذا من الشرك الأكبر؛ نظير شرك عباد الكواكب. قال ذلك حمد بن ناصر بن معمر. الدرر السنية (١١/ ٤١).

﴿١﴾ قال الخطابي (٣٨٨هـ): قوله: وما منا، معناه إلا من قد تعتريه الطيرة، وتسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصاراً للكلام واعتماداً على فهم السامع. اهـ. معالم السنن (٤/ ٢٣٢).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان في إعانة المستفيد: =

أخرجه: أحمد (١/ ٣٨٩)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، والبخاري «الأدب» (٩٠٩)، والدارقطني (٥/ ٣٤٤)، من حديث سلمة بن كهيل، عن عيسى بن عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه [١].

صحّحه: الترمذي، وابن حبان، والحاكم، وابن القيم، والعراقي، والمناوي [٢]. **وقوله**: «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»، الصواب أنها من قول ابن مسعود رضي الله عنه، كما قال البخاري، والترمذي، وسليمان بن حرب، والمنذري، والهيثمي، وابن القيم، والسيوطي، وابن حجر، وسليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن [٣].

= إنه يدل على أن الطيرة شركٌ.اهـ. وقال في الملخص: فيه كيفية دفع التطير.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٣).

[١] وجاء وصف الطيرة بأنها من الشرك عن سعد بن أبي وقاص عند ابن أبي شيبة (٦/ ٢٢٥)، من طريق الفرات بن سليمان، عن عبد الكريم، عن زياد بن أبي مريم قال: خرج سعد بن أبي وقاص في سفر، قال: فأقبلت الظباء نحوه حتى إذا دنت منه رجعت، فقال له رجل: أيها الأمير! ارجع، فقال له سعد: أخبرني من أيها تطيرت؟ أمن قرونها حين أقبلت، أم من أذنابها حين أدبرت؟ ثم قال سعد عند ذلك: «إن الطيرة لشعبة من الشرك». وعن فضالة بن عبيد عند ابن عبد البر «التمهيد» (٢٤/ ١٩٥)، من طريق الليث بن سعد ومفضل بن فضالة، عن عياش بن عباس، عن عمران بن عبد الرحمٰن بن شرحبيل بن حسنة، عن أبي خراش الحميري، عن فضالة بن عبيد سمعه يقول: من ردته الطيرة فقد قارب الشرك، وإسناده ليس بالقوي لجهالة أبي خراش وعمران بن عبد الرحمٰن؛ لكن يتقوى بما رواه الليث، عن عياش بن عباس، عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، عن فضالة. وجاء مرفوعاً عند البزار (٣/ ٤٠٠)، ومن طريق رويفع بن ثابت رضي الله عنه؛ لكنه لا يصح، قال أبو حاتم: حديث منكر. العلل لابن أبي حاتم (٢/ ٢٨٢).

[٢] الترمذي (١٤٢٧)، وابن حبان (١٤٢٧)، والحاكم (١/ ٢١٧)، فتاوى إمام المفتين (١٣٣)، فيض القدير (٤/ ٢٩٤)، التيسير للمناوي (٢/ ١٢٤).

[٣] قال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ): قد رواه علي بن الجعد وغندر =

والخلاصة: الحديث ليس بالقوي؛ لأن عيسى بن عاصم قد تفرد به، وهو ليس بذاك الحافظ، حيث ذكره البخاري في التاريخ، وقال أبو حاتم: صالح، ولم يتابعه أحد من أصحاب زر بن حبيش، وقد استنكر الحديث سليمان بن حرب. وربما يكون أصل الحديث: «السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب»، حيث رواه زر بن حبيش وعمران عن عبد الله بن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»[١]. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: «**اللَّهم لا خير إلا**

= وحجاج بن محمد ووهب بن جرير والنضر بن إسماعيل، وجماعة عن شعبة فلم يذكروا فيه: وما منا إلا، وهكذا رواه إسحاق بن راهويه، عن أبي نعيم، عن سفيان الثوري، وذهب ابن القطان الفاسي إلى أنها من قول النبي ﷺ. البخاري «المنذري» (٤/ ٦٤)، والترمذي وسليمان بن حرب والمنذري؛ ولكن الصواب هو ما ذهب إليه البخاري ومن تابعه.

موارد الظمآن (٣٤٥)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤)، فيض القدير (٤/ ٢٩٤)، عون المعبود (٤/ ٢٤)، الفتح (١٠/ ٢١٣)، التيسير، قرة عيون الموحدين (١٥٢)، توضيح الأفكار (٢/ ٦٢).

﴿١﴾ ومع كون الطيرة شركاً، فصاحبها في الغالب لا يسلم مما يتطير به، كما قال ابن مسعود، وشيخ الإسلام، وابن القيم، وابن رجب، والسعدي وغيرهم. وجاء عند ابن حبان (٧/ ٦٤٢)، مرفوعاً بلفظ: «**الطِّيَرَةُ على من تطيَّر**»، قال ابن حجر: فى صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبد الله بن أبي بكر عن أنس وعتبة مختلف فيه. اهـ. الفتح (٦/ ٦٣).

قال شيخ الإسلام: وإنما تضر الطيرة من تطير لأنه أضر نفسه. اهـ. وقد نقل القرافي في الحديث عن بعض العلماء، قال: سأل بعض المتطيرين بعض العلماء عن كونه يتطير بالشيء فيتضرر به، ويقع ذلك السبب لغيره فلا يتضرر، هل لذلك أصل في الشريعة؟ فقال: نعم، فذكر له الحديث: «**أنا عند ظن عبدي المؤمن فليظنن بي ما شاء**». اهـ.

وقال سليمان بن عبد الله: من تطير تطيراً منهيّاً عنه، وهو أن يعتمد على ما يسمعه ويراه حتى يمنعه مما يريده من حاجته، فإنه قد يصيبه ما يكرهه عقوبة له، فأما من توكل على الله، ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفاً ورجاء، وقطعه عن الالتفات إلى غير الله. وقال وفعل ما أمر به، فإنه لا يضره ذلك. =

خيرك، ولا طير إلا طيرك﴿١﴾، ولا إلـٰه غيرك»﴿٢﴾.

أخرجه: أحمد (٢/ ٢٢٠)، من طريق ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي، عن ابن عمرو ﷺ مرفوعاً.

حسَّنه: السيوطي، والمناوي﴿٣﴾.

الحديث معلول؛ وذلك لأمور:

١ ـ أن ابن لهيعة ضعيف كما قال ابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والفلاس، وابن حبان﴿٤﴾.

٢ ـ أن ابن لهيعة قد اضطرب فيه﴿٥﴾.

٣ ـ أن الأثر جاء عن ابن عمرو موقوفاً﴿٦﴾.

= الفتاوى (٤/ ٨١)، اللطائف (١٤٤ ـ ١٤٦)، التيسير (٣٥٥).

﴿١﴾ يحتمل معنيين:

١ ـ أن الطيور كلها ملكك ومسخرة بيدك؛ فسواء ذهب الطير يميناً أو شمالاً فلا علاقة له بالحوادث.

٢ ـ أنه في مقابل «ولا خير إلا خيرك» بمعنى: أن كل ما يحدث للإنسان من الشر والحوادث المكروهة؛ فإنه من الله كما أن الخير منه كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾. القول المفيد (١/ ٥٧٨).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** أن فيه بياناً لحقيقة الطيرة الشركية. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٥).

﴿٣﴾ فيض القدير (٦/ ١٣٦)، التيسير للمناوي (٢/ ٨١٢).

﴿٤﴾ الجرح والتعديل (٢/ ١٤٧)، المجروحين (٢/ ١٢)، تهذيب الكمال، التهذيب، التقريب (٣٣٧)، الفوائد المجموعة (٢١٥).

﴿٥﴾ فروى عن ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن أبي عبد الرحمٰن، عن ابن عمرو. ورواه ابن وهب عنه، عن عياش بن عباس، عن أبي الحصين، عن فضالة بن عبيد من قوله، ولم يأتِ فيه ذكر الدعاء. الجامع لابن وهب (٦٥٨).

﴿٦﴾ رواه البيهقي «الشعب» (٣/ ٣٧٦)، من طريق عمرو بن الحارث، عن الجلاح، عن أوس بن بشر، عن ابن عمرو موقوفاً. ورواه ابن وهب «الجامع» (٦٤٠)، من طريق عمرو بن الحارث، عن الجلاح، عن أوس بن بشر، عن ابن =

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»﴿١﴾﴿٢﴾.

أخرجه: أحمد (١/ ٢١٣)، والطيالسي (١/ ٣٤٨)، من حديث محمد بن عبد الله بن عُلاثة، عن مسلمة بن عبد الله الجهني، عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما﴿٣﴾.

= عمرو موقوفاً. ورواه أبو نعيم «الحلية» (٦/ ٢١)، من طريق سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن ابن عمرو. وأقوى ما جاء في الدعاء لإذهاب التطير هو ما رواه البزار من طريق أبي كامل، عن عمرو بن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا طائر إلا طائرك**»؛ **لكنه حديث ضعيف**؛ لأن ابن أبي سلمة ضعفه شعبة وابن مهدي وابن سعد وابن معين في رواية، وقد تفرد به، ومثله لا يقبل تفرده. ومما يدل على ضعفه أن النهي عن الطيرة جاء من طريق الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عند البخاري (٥٧١٧)، مسلم (٢٢٢٠)، بدون ذكر الدعاء. وتفرد البزار يقوي أنه حديث ضعيف، قال ابن رجب: ونجد كثيراً ممن ينتسب إلى الحديث لا يعتني بالأصول الصحاح ونحوها، ويعتني بالأجزاء الغريبة وبمثل مسند البزار، ومعاجم الطبراني، أو أفراد الدارقطني، وهي مجمع الغرائب والمناكير.اهـ. وجاء الدعاء عند ابن أبي شيبة (٧/ ١٤٢)، من طريق محمد بن الحسن قال: حدثنا مهدي بن ميمون، عن غيلان، عن ابن عباس، أنه كان إذا نعق الغراب قال: «**لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إلٰه غيرك**». شرح علل الترمذي (٢/ ٦٤٢).

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): هذا حد للطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده ولو من الفأل، فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس، فأما أن يعتمد عليه ويمضي لأجله مع نسيان التوكل على الله فإن ذلك من الطيرة. وكذلك إذا رأى أو سمع ما يكره فتشاءم به ورده عن حاجته، فإن ذلك أيضاً من الطيرة.اهـ. التيسير (٣٦٦).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** أن فيه بياناً لحقيقة الطيرة الشركية. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٥).

﴿٣﴾ وجاء له شاهد عند ابن حجر «المطالب العالية» (٧/ ٣١٣)، من حديث جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما الطيرة ما ردك أو أمضاك**». وفي سنده جعفر بن الزبير الحنفي. قال ابن حجر: متروك الحديث، ونقل ابن الجوزي الإجماع على أنه متروك.

ضعفه: ابن مفلح، وإمام الدعوة، وسليمان بن عبد الله[١].

والصواب أنه ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن محمد بن عبد الله بن عُلاثة متكلم فيه[٢]، وقد تفرد به[٣].

٢ ـ أن مسلمة الجهني لم يوثقه أحد[٤].

٣ ـ الانقطاع بين مسلمة الجهني والفضل بن عباس رضي الله عنهما[٥].

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾[٦] ....

---

[١] الآداب الشرعية (٣/ ٣٧٧)، التيسير (٣٦٦).

[٢] قال البخاري (٢٥٦هـ): في حفظه نظر. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال الدارقطني: متروك. وقال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات ويأتي بالمعضلات عن الأثبات، لا يحل ذكره في الكتب إلا من جهة القدح فيه ولا كتابة حديثه إلا من جهة التعجّب. وذكره ابن عدي في الكامل، والعقيلي في الضعفاء، والذهبي في المغني، وقال ابن حجر: صدوق يخطئ.

التاريخ الكبير (١/ ١٣٢)، المجروحين (٢/ ٢١٨)، الضعفاء الكبير (٤/ ٩٣)، المغني في الضعفاء (١/ ٢٧)، الكاشف (٢/ ١٨٩)، التقريب (٥٤٥).

[٣] بلوغ الأماني (١٧/ ١٩٩).

[٤] فقد سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم والذهبي، وقال ابن حجر: مقبول. قال ابن كثير في راوٍ سكت عنه ابن أبي حاتم: وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئاً من هذا، فهو مستور الحال.اهـ.

التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٤). التاريخ الكبير (٧/ ٣٨٨)، الجرح والتعديل (٨/ ٢٦٩)، الكاشف (٢/ ٢٦٢)، التقريب (٥٩٢).

[٥] ذكره ابن حجر في «التقريب» في الطبقة السادسة، وهم من عاصر صغار التابعين ولم يلق أحداً من الصحابة.

التهذيب (٨/ ٢٨٠)، التقريب (٥٩٢)، بلوغ الأماني (١٧/ ١٩٩).

[٦] قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): أي: لكي يتنبه الإنسان، فإن ظاهر الآيتين التعارض، وليس كذلك؛ فالقرآن والسُّنَّة لا تعارض بينهما ولا تعارض في ذاتهما، =

الثانية: نفي العدوى﴿١﴾ . . . .

= إنما يقع التعارض حسب فهم المخاطب، فقوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أن الله هو المقدر ذلك، وليس موسى ولا غيره من الرسل، وأن قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ من باب السبب؛ أي: أنتم سببه. القول المفيد (١/ ٥٨١).

﴿١﴾ **جمع أهل العلم بين أحاديث نفي العدوى، وأحاديث إثباتها كـ«فر من المجذوم فرارك من الأسد»، و«عدم الدخول على أرض وقع فيها الطاعون»، و«لا يورد ممرض على مصح»؛ بأمور:**

١ ـ أن المراد بالنفي هو نفيها جملة، فهي لا تعدي لا بطبعها دون الله، ولا بكونها سبباً بتقدير الله، والمراد بالفرار هو رعاية خاطر المجذوم إذا رأى الصحيح حيث تعظم مصيبته؛ لما رواه أحمد ـ بسند ضعيف كما قال ابن حجر ـ، من حديث ابن عباس مرفوعاً: «**لا تديموا النظر إلى المجذومين**». ونوقش: بأن الإنسان لا يفر من الأسد من أجل خاطر الأسد؛ بل خوفاً منه.

٢ ـ أن الأمر بالفرار ليس من أجل العدوى؛ بل لأمر جِبِلِّي هو انتقال المرض بواسطة الملامسة والرائحة. وقوله: «**لا عدوى**» المراد منه النهي عن الخروج من بلد الطاعون خوفاً من العدوى وظناً أن الفرار من قدر الله ينجيه، وبهذا الجواب قال ابن قتيبة، والخطابي. ونوقش: بأن انتقال المرض بواسطة الملامسة والرائحة هو بعينه العدوى، وقد نص ابن القيم أن الرائحة أحد أسباب العدوى.

٣ ـ أن قوله: «**لا عدوى**» نهي لا نفي؛ أي: لا تتعرضوا له واتقوا مكانه؛ ويدل قوله في الحديث: «**لا طيرة**»، فهذا نهي عن الطيرة، لا أن الطيرة غير موجودة. ونوقش بما ورد في الحديث: «**فمن أعدى الأول؟**».

٤ ـ أن العدوى لا تكون إلا فيما ورد في الأحاديث فقط، ولا عدوى في غيرها، وبهذا الجواب قال الباقلاني، وابن بطال، والشوكاني. ونوقش: بأن العدوى تكون في غيرها كالملاريا.

٥ ـ وحملت طائفة أخرى الإثبات والنفي على حالتين مختلفتين، فحيث جاء «**لا عدوى**» كان المخاطب بذلك من قوي يقينه، وصح توكله بحيث لا يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل واحد، لكن القوي اليقين لا يتأثر به، وهذا كما أن قوة الطبيعة تدفع العلة وتبطلها. وحيث جاء الإثبات كان المراد به ضعيف الإيمان والتوكل. قال سليمان بن عبد الله: ذكره بعض أصحابنا واختاره، وفيه نظر.اهـ. وذلك أن «**لا عدوى**» نكرة في سياق النفي، فهي تفيد =

الثالثة: نفي الطيرة[١]. **الرابعة:** نفي الهامة. **الخامسة:** نفي الصفر.

= العموم فيشمل قوي اليقين وضعيفه؛ ويترتب على هذا القول نفي العدوى أصلاً.

٦ ـ أن نفي العدوى باقٍ على عمومه، أما الفرار من المجذوم فمن باب سد الذرائع؛ لئلا يصاب الشخص المخالط للمجذوم بتقدير الله فيظن أنه بسبب العدوى، وبهذا الجواب قال الطحاوي، وأبو عبيد، وابن جرير، وابن خزيمة، والطبري، وابن حجر، والمباركفوري. ونوقش: بمخالفته للواقع وللطب.

٧ ـ أن الأحاديث المثبتة للعدوى منسوخة بأحاديث إثبات العدوى. وهذا القول رده القاضي عياض، والنووي، وابن رجب، وابن حجر.

٨ ـ أن المراد بنفي العدوى هو نفي ما يعتقده أهل الجاهلية من أن الأمراض تنتقل بطبعها دون تقدير الله، والأمر بالفرار من المجذوم ففيه إثبات أن العدوى سبب لانتقال الأمراض بتقدير الله، **وبهذا قال البيهقي، والنووي، وابن رجب، وابن القيم، والبغوي، وابن الصلاح، وابن مفلح، والطيبي، والقسطلاني، وهو اختيار سليمان بن عبد الله، وصديق حسن خان، وابن قاسم، والجطيلي، وابن باز، وابن عثيمين**. قال ابن القيم: ويشبه هذا نفيه ﷺ الشفاعة في قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وإثباتها في قوله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فإنه سبحانه نفى الشفاعة الشركية التي كانوا يعتقدونها وأمثالهم من المشركين وهي شفاعة الوسائط لهم عند الله في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم بذواتها وأنفسها بدون توقف ذلك على إذن الله ومرضاته لمن شاء أن يشفع فيه الشافع، وأثبت سبحانه الشفاعة التي لا تكون إلا بإذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع قوله وعمله.اهـ.

فائدة: ممن قال بنفي حقيقة العدوى: الطحاوي، وابن بطال، وابن حجر، والحكمي.

الفتح (١٠/ ١٥٩)، مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٧٥)، عارضة الأحوذي (٧/ ١١٧)، التيسير (٣٥١)، فتح الحميد (٣/ ١٢٠٥)، معارج القبول (٣/ ٩٨٤)، التعليق المفيد (١٥٧).

[١] جمع أهل العلم بين أحاديث نفي الطيرة وأحاديث إثباتها كـ: «**الشؤم في ثلاث: في المرأة، والفرس، والدار**» رواه البخاري (٥٧٧٢)، ومسلم (٢٢٢٥)؛ بأمور:

أ ـ أن أحاديث الشؤم مخصصة لأحاديث نفي الطيرة، وبهذا قال مالك، وابن عيينة، والخطابي، الشوكاني. ونوقش: بأنه يمكن الجمع بين أحاديث النفي =

. . . .

= وأحاديث الشؤم، والجمع أولى من التخصيص.

ب ـ أن حديث الشؤم سيق لبيان اعتقاد الناس في ذلك لا أنه إخبار من النبي ﷺ بثبوت ذلك. ونوقش: قال ابن العربي: هذا جواب ساقط؛ لأن النبي ﷺ لم يبعث ليخبر عن معتقداتهم الماضية والجاهلية؛ وإنما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه. اهـ.

ت ـ أن حديث الشؤم فيه إخبار عن الأسباب المثيرة للطيرة في الغرائز لا أن الشؤم فيها. ونوقش: بأن النبي ﷺ أخبر أن الشؤم فيها لا أنها مثيرة.

ث ـ أن نفي الطيرة باقٍ على عمومه، أما ما جاء من أن الشؤم في الدار والدابة والمسكن فهو من باب سد الذرائع؛ لئلا يصاب الشخص بشيء بتقدير الله فيظن أنه بسبب الدار أو الدابة أو المسكن؛ لذا فعليه التحول من الدار إذا تشاءم بها لكي لا يعلق ما يصيبه بها، وبهذا الجواب قال ابن حجر.

ج ـ أن الشؤم بهذه الأشياء إنما يقع على من تشاءم بها، ويدل عليه ما رواه ابن حبان مرفوعاً: «**الطيرة على من تطير**». ونوقش: أن الحديث الذي استدلوا به لا يصح كما قال ابن حجر؛ والأحاديث التي فيها ذكر الشؤم بهذه الأشياء لم تذكر هذا القيد.

ح ـ أن الشؤم في هذه الأشياء هو لعدم موافقتها، مثل أن يكون الجار سيئاً، والدار ضيقة، والمرأة غير مطيعة. . .، وقد أشار البخاري إلى هذا القول حيث إنه قرن بالاستدلال بهذا الحديث قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا﴾ [التغابن: ١٤]، وذكر حديث أسامة: «**ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء**». **ونوقش**: بأن الشؤم فيها ليس راجعاً لذاتها بل لأمور أخرى، وحملها على أمور ترجع لذاتها أولى لمطابقة ظاهر الأحاديث.

خ ـ أن المراد بنفي الطيرة هو نفي ما يعتقده أهل الجاهلية من أنها مؤثرة بطبعها دون تقدير الله، وأن المراد بالشؤم في هذه الأشياء أنها أعيان وأسباب محسوسة يقدر الله تعالى بها الشؤم واليُمن والضر والنفع، فمن ابتلي بشؤم شيء منها فوجد في نفسه الكراهة لذلك أُبيح له تركه، وبهذا قال الخطابي، وابن القيم، وابن رجب، وسليمان بن عبد الله. وهذا قريب من الجواب السابق.

د ـ أن الأحاديث المثبتة للشؤم منسوخة، وبه قال عيسى بن دينار المالكي. **ونوقش**: بأن الجمع بين الأحاديث أولى من النسخ.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك﴿١﴾، بل مستحب. **السابعة**: تفسير الفأل﴿٢﴾. **الثامنة**: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر،

ذ ـ ترجيح الأخبار الدالة على نفي العدوى وتزييف الأخبار الدالة على ضد النفي، وبهذا قالت عائشة. وقد رد هذا القول ابن الجوزي وابن القيم وابن حجر وسليمان بن عبد الله. وقد اعتذر ابن القيم لعائشة فقال: لما ظنت أن الحديث يقتضي إثبات الطيرة التي هي من الشرك لم يسعها غير تكذيبه ورده. اهـ.

ر ـ أن الأحاديث المثبتة للشؤم مردودة؛ لأنه الحديث جاء عند مسلم (٢٢٢٥)، عن ابن عمر وسهل وجابر ﷺ بصيغة التعليق بلفظ: «**إن يكن الشؤم في شيء حق ففي الفرس والمرأة والدار**»، وبهذا قال الطحاوي، والطبري، وابن عبد البر. **فائدة**: وممن قال بنفي الشؤم بهذه الثلاث الزركشي، والقاضي عياض.

التمهيد (٩/ ٢٩٠)، شرح السُّنَّة (١٢/ ١٧٨)، مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٣٩)، الفتح (٦/ ٦٣)، فيض القدير (٣/ ٣٢).

فائدة: قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): فإن قيل: ما الفرق بين الدار وبين موضع الوباء حيث رخص في الارتحال عن الدار دون موضع البلاء؟ أجاب بعضهم أن الأمور بالنسبة إلى هذا المعنى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما لا يقع التطير منه إلا نادراً، أو لا مكرراً، فهذا لا يُصغى إليه كنعي الغراب في السفر، وصراخ بومة في دار، وهذا كانت العرب تعتبره.

ثانيها: ما يقع به ضرر، ولكنه يعم ولا يخص، ويندر ولا يتكرر، كالوباء، فهذا لا يقدم عليه ولا يفر منه.

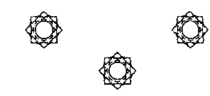
وثالثها: سبب محض ولا يعم ويلحق به الضرر لطول الملازمة كالمرأة والفرس والدار، فيباح له الاستبدال، أو التوكل على الله والإعراض عما يقع في النفس، ذكره في «شرح السنن». اهـ. التيسير (٣٥٨، ٣٥٥).

قال ابن رجب (٧٩٥هـ) في بيان ما يجتنب من أسباب الشر: والمشروع: اجتناب ما ظهر منها واتقاؤه بقدر ما وردت به الشريعة مثل: اتقاء المجذوم والمريض والقدوم على مكان الطاعون، وأما **ما خفي منها** فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه، فإن ذلك من الطيرة المنهي عنها. اهـ. لطائف المعارف (١٤٢).

﴿١﴾ أي: ليس من الطيرة المذمومة. التوضيح المفيد (١٥٢).

﴿٢﴾ فسره النبي ﷺ بأنه: الكلمة الطيبة، وسبق أن هذا التفسير على سبيل =

بل يذهبه الله بالتوكل﴿١﴾. **التاسعة**: ذكر ما يقول من وجده﴿٢﴾. **العاشرة**: التصريح بأن الطيرة شرك. **الحادية عشرة**: تفسير الطيرة المذمومة﴿٣﴾.



= المثال لا على سبيل الحصر؛ لأن الفأل كل ما ينشِّط الإنسان على شيء محمود؛ من قول أو فعل مرئي أو مسموع. القول المفيد (١/ ٥٨٢).

﴿١﴾ أي: إذا وقع في قلبك وأنت كاره له؛ فإنه لا يضرك ويذهبه الله بالتوكل؛ لقول ابن مسعود: وما منا إلا... ولكن الله يذهبه بالتوكل. القول المفيد (١/ ٥٨٢).

﴿٢﴾ قال ابن كثير: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]؛ أي: تعاطيه فسق وغي وضلالة وجهالة وشرك. وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه.اهـ. قال ابن القيم: فعوض رسول الله ﷺ أمته بهذا الدعاء عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والاستقسام بالأزلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها إخوان المشركين يطلبون بها علم ما قسم لهم في الغيب؛ ولهذا سمي ذلك استقساماً، وهو استفعال من القسم والسين فيه للطلب، وعوضهم بهذا الدعاء الذي هو توحيد وافتقار وعبودية وتوكل وسؤال لمن بيده الخير كله الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يصرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحد حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليه، من التطير والتنجيم واختيار الطالع ونحوه. فهذا الدعاء هو الطالع الميمون السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق الذين سبقت لهم من الله الحسنى، لا طالع أهل الشرك والشقاء والخذلان الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون.

زاد المعاد (٢/ ٤٤٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٧).

﴿٣﴾ أي: ما أمضاك أو ردك. القول المفيد (١/ ٥٨٣).



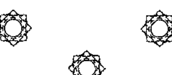
باب: ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به» انتهى. وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، ومصدِّق بالسحر، وقاطع الرحم»، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: الحكمة في خلق النجوم. الثانية: الرد على من زعم غير ذلك. الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل. الرابعة: الوعيد فيمن صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.





٢٩ ـ باب: ما جاء في التنجيم ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): التنجيم مصدر نجم ينجم تنجيماً؛ أي: حرز وحدس بما يعتقده في النجوم.اهـ. التعليق المفيد (١٦٧). قال شيخ الإسلام (٨٢٨هـ): وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية.اهـ. الفتاوى (٣٥/ ١٩٢). وقال ابن خلدون (٨٠٨هـ) بأنّه: ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوى الكواكب، وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة؛ فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالّة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية.اهـ. مقدمة ابن خلدون (٥١٩).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: لما كان التنجيم منه ما هو شرك أكبر ينافي التوحيد، أو أصغر ينافي كماله، ذكر المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد. قال الشيخ صالح الفوزان: لمّا كان بعض التنجيم باطلاً، لِما فيه من دعوى مشاركة الله في علم الغيب، وتعلُّق القلب بغير الله، ونسبة التصرف إلى النجوم، وذلك ينافي التوحيد، ناسب أن يعقد له باب هنا.اهـ.

علاقة الباب بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق عملاً من الأعمال التي يشتبه أمرها على الناس مما له تعلق وتشبه بالسحر والسحرة، ذكر المصنف عملاً آخر مما يشتبه أمره على الناس مما له تعلق بالسحر ألا وهو التنجيم، حيث بيَّن فيه المصنف الجائز منه والمحرم مما يختص بالنجوم، وعقوبة مصدقه. وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية وجه شبه المنجم بالساحر، حيث قال: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] قال =

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها﴿١﴾. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ﴿٢﴾، ....

= عمر وغيره: الجبت السحر. وروى أبو داود في سننه بإسناد حسن عن قبيصة بن مخارق عن النبي ﷺ قال: «**العيافة والطرق والطيرة من الجبت**»، قال عوف راوي الحديث: العيافة زجر الطير؛ والطرق الخط يخط في الأرض. وقيل بالعكس. **فإذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت؛ فكيف بالنجامة؟** وذلك أنهم يولدون الأشكال في الأرض؛ لأن ذلك متولد من أشكال الفلك. وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وغيرهم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر؛ زاد ما زاد**»، فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر. . وروى أحمد ومسلم في الصحيح؛ عن صفية بنت عبيد؛ عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**»، والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه. فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول. وروى أيضاً في صحيحه «عن معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله إن قوماً منا يأتون الكهان، قال: **فلا تأتوهم**»، فنهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان، والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي.اهـ. وقال صالح الفوزان: إن التنجيم نوعٌ من السحر؛ لما يأتي في الحديث: «**من اقتبس شُعبة من النجوم فقد اقتبس شُعبة من السحر، زاد ما زاد**».اهـ.

الفتاوى (٣٥/ ١٩٣)، حاشية ابن قاسم (٢٢٣). الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٦).

﴿١﴾ قال القحطاني في نونيته (ص٢٦):

إن النجوم على ثلاثة أضرب	فاسمع مقال الناقد الدهقان
بعض النجوم جعلن زيناً للسما	كالدر فوق قلائد النسوان
ومعالماً تهدي المسافر للسرى	ورجوم كل مثابر شيطان

﴿٢﴾ لأن الله لم يخلقها لهذا؛ لأنه أراد أن يحمِّلها شيئاً لم تُخلق من أجله، كأن يعتقد فيها أنها تدلُّ على حوادث في الأرض، أو هُبوب رياح، أو نُزول مطر، أو موت أحد، أو حياة أحد، أو توفيق في أمر، أو انخذال في أمر؛ فهذا كله من =

وأضاع نصيبه﴿١﴾، وتكلف ما لا علم له به»﴿٢﴾ انتهى﴿٣﴾. وكره قتادة

= التقوُّل والتطاوُل، والخَرْص والتخمين، وادّعاء لعلم الغيب الذي ما أنزل الله به من سلطان. والنجوم لا تدلُّ على هذا لأنها لم تُخلق لهذا، وإنما هذا يرجع إلى علّام الغيوب ﷻ. يعني: من اعتقد فيها غير ذلك من هذه الأمور الثلاثة التي دلّ عليها كتاب الله؛ فقد أخطأ. إعانة المستفيد (٣/ ٢٣).

﴿١﴾ في معناه أقوال:

القول الأول: أضاع حظه من الخير الشرعي كزيادة الحسنات ورفع الدرجات وتكفير السيئات الذي يكون له في الدنيا وقد يكون له في الآخرة، وبهذا المعنى قال ابن العربي.

القول الثاني: أضاع حظه من الانتفاع في الدنيا كحصول منفعة وفائدة، والآخرة كزيادة الحسنات ورفع الدرجات وتكفير السيئات، وبهذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

القول الثالث: أضاع حظه في الآخرة فيقدم على ربه وليس له حظ ولا نصيب ولا مقدار عند الله تعالى. قال الدراوردي: قول قتادة في النجوم حسن إلا قوله: «أخطأ وأضاع نصيبه» فإنه قصر في ذلك، بل قائل ذلك كافر.اهـ. القبس، التيسير (٣٦٩).

﴿٢﴾ «وتكلّف ما لا علم له به»؛ لأن هذه خَرْصٌ وتخمين وحَدْسٌ وظن لا يُغني من الحق شيئاً أبداً. إعانة المستفيد (٣/ ٢٣).

﴿٣﴾ رواه البخاري تعليقاً. ووصله الطبري «التفسير» (٧/ ٥٧١) من طريق بشر، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل]، والعلامات النجوم، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقدَ رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. ورواه أيضاً بنفس السند (١٢/ ١٦٦) في تفسيره. ورواه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره (١١/ ١٨٦). ووصله عبد بن حميد «التغليق» (٣/ ٤٨٩)، من طريق يونس بن محمد، عن شيبان، عن قتادة به، كما قال ابن حجر. وإسناده: صحيح.

الفتح (١٠/ ٢٩٥)، التغليق (٣/ ٤٨٩).

علاقة الأثر بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه بيان الحكمة في خلق النجوم ـ كما ذكرها الله في كتابه ـ والرد على من زعم في النجوم حكمةً تخالف =

تعلم منازل القمر ﴿١﴾، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما ﴿٢﴾، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق ﴿٣﴾.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة ﴿٤﴾: ....

= ما ذكره الله فيها. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٧).

﴿١﴾ الثمانية والعشرين التي ينزلها في سيره من المغرب إلى المشرق. فتح الحميد (٣/ ١٢٩٠).

﴿٢﴾ ذكر صاحب التيسير أن هذين الأثرين عن قتادة وابن عيينة ربما رواهما حرب في كتابه «المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد». التيسير (٤٤٩).

﴿٣﴾ الفتح لابن رجب (٣/ ١٤٣)، فضل علم السلف على الخلف لابن رجب (٣١).

علاقة سياق خلاف أهل العلم في علم التسير بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: بيان خلاف العلماء في حكم تعلم منازل القمر الذي هو: «علم التسيير» الذي الغرض منه الاستدلال به على القبلة، وأوقات الصلوات، ومعرفة الفصول. فإذا كان هذا اختلافهم في هذا النوع الذي لا محذور فيه حسْماً للمادة؛ ـ لئلا يتوصل إلى الممنوع ـ فما بالك بمنعهم من تعلُّم علم التأثير الذي هو ضلالٌ وخطَرٌ. اهـ.

حاشية ابن قاسم (٢٢٦)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٨).

﴿٤﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): اختلف الناس في هذا الحديث وما يشبهه من أحاديث الوعيد على أقوال:

القول الأول: مذهب المعتزلة والخوارج الذين يأخذون بنصوص الوعيد، فيرون الخروج من الإيمان بهذه المعصية.

القول الثاني: أن هذا الوعيد فيمن استحل هذا الفعل بدليل النصوص الكثيرة الدالة على أن من في قلبه إيمان وإن قل؛ فلا بد أن يدخل الجنة، وهذا القول ليس بصواب؛ لأن من استحله كافر ولو لم يفعله، فمن استحل قطيعة الرحم أو شرب الخمر مثلاً؛ فهو كافر وإن لم يقطع الرحم ولم يشرب الخمر.

القول الثالث: أن هذا من باب أحاديث الوعيد التي تمر كما جاءت ولا يتعرض لمعناها، بل يقال: هكذا قال الله وقال رسوله ونسكت.

القول الرابع: أن هذا نفي مطلق، والنفي المطلق يحمل على المقيد؛ فيقال: =

مدمن الخمر، ومصدِّق بالسحر﴿١﴾**، وقاطع الرحم»**، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه﴿٢﴾.

أخرجه: أحمد (٤/٤٩٩)، وأبو يعلى (١٣/٢٢٣)، من طريق

= لا يدخلون الجنة دخولاً مطلقاً يعني لا يسبقه عذاب، ولكنهم يدخلون الجنة دخولاً يسبقه عذاب بقدر ذنوبهم، ثم مرجعهم إلى الجنة؛ وذلك لأن نصوص الشرع يُصدّق بعضها بعضاً، ويلائم بعضها بعضاً، وهذا أقرب إلى القواعد وأبين حتى لا تبقى دلالة النصوص غير معلومة؛ فتقيد النصوص بعضها ببعض.

وهناك احتمال: أن من كانت هذه حاله حري أن يختم له بسوء الخاتمة، فيموت كافراً، فيكون هذا الوعيد باعتبار ما يؤول حاله إليه، وحينئذ لا يبقى في المسألة إشكال؛ لأن من مات على الكفر؛ فلن يدخل الجنة، وهو مخلد في النار، وربما يؤيده قوله ﷺ: «**لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»، فيكون هذا قولاً خامساً. اهـ.

القول المفيد (٢/ ١٥، ١٤)، التيسير (٣٧٤).

ومما يجدر التنبيه له أن مذهب المرجئة في نصوص الوعيد متنوع، فقد يتوقفون فيها كالباقلاني، وقد يعطلون الوعيد كما نسب إلى مقاتل بن سليمان، وربما قالوا هذا تهديد. وشيخ الإسلام ابن تيمية استوعب هذه الأقوال. انظر: آراء المرجئة في كتب شيخ الإسلام لعبد الله السند.

﴿١﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: فإنْ قلتَ: الحديث في مصدِّق السحر، والباب في باب التنجيم، فما المناسبة؟ قلنا: المناسبة أن التنجيم نوعٌ من السحر؛ لما يأتي في الحديث: «**من اقتبس شُعبة من النجوم فقد اقتبس شُعبة من السحر، زاد ما زاد**»، فالتنجيم نوعٌ من السحر، فلذلك أورده المصنِّف في هذا الباب. اهـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بعد إيراده لحديث ابن عباس مرفوعاً: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر**»: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر. اهـ. الفتاوى (٣٥/ ١٩٣)، القول المفيد (٢/ ١٣)، إعانة المستفيد (٣/ ٢٩). الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٩).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه وعيد المصدق بالسحر، ومنه التنجيم الذي هو موضوع الباب. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٣٩).

المعتمر، عن الفضيل بن ميسرة، عن أبي حُريز، عن أبي بُردة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

صحَّحه: ابن حبان، والحاكم[١].

الحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن أبا حُريز «عبد الله بن الحسين الأزدي» قد ضعَّفه جمهور أئمة الجرح والتعديل[٢]. وقد تفرد به، ومثله لا يحتمل منه التفرد[٣].

٢ ـ جهالة الواسطة بين الفضيل وأبي حريز، قال ابن القطان: قلت للفضيل: أحاديث أبي حريز؟ قال: سمعتها فذهب كتابي فأخذتها بعد ذلك من إنسان[٤].

٣ ـ أن معتمراً روى عن الفضيل عن أبي حريز أحاديث مناكير، كما قال الإمام أحمد[٥].

٤ ـ أن الأئمة، كابن عدي والذهبي، ضعَّفوا هذا الحديث[٦].

---

[١] وابن حبان (١٣٨٠)، المستدرك (٤/ ١٤٦).

[٢] قال أحمد: منكر الحديث، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو داود: ليس حديثه بشيء، وقال الجوزجاني: غير محمود في الحديث، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه أحد، وقال الذهبي: فيه شيء. علل الإمام أحمد رواية عبد الله (١/ ١٦٨)، الجرح والتعديل (٥/)، الضعفاء للعقيلي (٤/ ٢٤٠)، الكامل (٤/ ١٥٨)، تهذيب الكمال (١٤/ ٤٢٠)، الميزان (٢/ ٤٠٧)، التهذيب (٥/ ١٨٨).

[٣] قال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وقال ابن حجر: صدوق يخطئ. الكامل (٤/ ١٥٨)، التقريب (٣١٢).

[٤] الكامل (٤/ ١٥٨).

[٥] قال عبد الله بن أحمد: سمعتُ أَبي يقول: روى معتمر، عن فضيل، عن أبي حريز أحاديث مناكير. اهـ. العلل (٢٦٥٢).

[٦] فقد ذكر ابن عدي والذهبي هذا الحديث في كتابيهما في الضعفاء. قال المعلمي: ومن عادة الأئمة أن يذكروا في ترجمة الرجل في كتب الجرح والتعديل ما ينكر عليه. اهـ. قال ابن القيم ـ في رجل ذكر ابن عدي له حديثاً في ترجمته ـ: =

والخلاصة: أن الحديث لا يصح؛ لكن لفظة «قاطع الرحم» جاء ما يشهد لها عند البخاري[١]، وكذلك لفظة «مدمن الخمر»[٢]؛ لكن لفظة «مصدق بالسحر» لم يأتِ ما يشهد لها من حيث اللفظ[٣]؛ لكن جاء ما يشهد لها من حيث المعنى[٤].

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم[٥]. **الثانية**: الرد على من زعم

= ذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكر عليه. اهـ. الكامل (٤/ ١٥٨)، حادي الأرواح (٣٣٢)، الميزان (٢/ ٤٠٧)، الفوائد (١٨٠).

[١] رواه البخاري (٥٩٨٤)، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

[٢] رواه مسلم (٢٠٠٢)، من طريق أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه، أن رجلاً قدم من جيشان: فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر؟ فقال النبي ﷺ: «**أوَمسكر هو؟**» قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**كل مسكر حرام، إن على الله ﷻ عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**»، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار**».

[٣] جاء ما يشهد لها عند أحمد (٣/ ١٤)، من طريق عطية العوفي، عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان**»؛ الحديث لا يصح فيه عطية العوفي، قال الذهبي في الكاشف: ضعفوه.

[٤] كالأثر السابق عن ابن مسعود رضي الله عنه في أن من صدق كاهناً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ. حيث قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المنجم داخل في الساحر حيث قال ـ بعد إيراده لحديث ابن عباس مرفوعاً: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر**»: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر. اهـ. الفتاوى (٣٥/ ١٩٣).

[٥] أنها زينة للسماء، ورجوم للشياطين، وعلامات يهتدى بها، كما قال قتادة، وابن جرير الطبري، وابن تيمية وغيرهما. وقال ابن عثيمين: وربما يكون هناك حكم أخرى لا نعلمها. اهـ. تفسير الطبري (٢٩/ ٤٠٣)، الفتاوى (٣٥/ ١٦٨)، القول المفيد (٢/ ١٦).

غير ذلك[١]. **الثالثة**: ذكر الخلاف في تعلم المنازل[٢]. **الرابعة**:

﴿١﴾ لقول قتادة: «من تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به». القول المفيد (٢/١٦).

﴿٢﴾ **أقسام التنجيم**:

القسم الأول: أن يعتقد أن الموجودات مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة، وهو كفر بالإجماع، كما حكاه ابن مفلح؛ لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا خالق إلا الله، ونقل النووي وابن العربي الإجماع على أن الله هو المتفرد بالخلق.

القسم الثاني: علم التأثير، وهو نوعان:

النوع الأول: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، وهو محرم بالإجماع، كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية، بل نقل رحمه الله، أن هذا القسم محرم على لسان جميع المرسلين في جميع الملل، وذهب أبو عبد الله القرطبي، وسليمان بن عبد الله إلى أن هذا النوع كفر أكبر؛ لأنه ادعاء للغيب، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ولقوله ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم اقتبس شعبة من السحر**»، فدل هذا الحديث على أن علم النجوم من السحر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾. وقيل: هو كفر أصغر، وهذا الذي يفهم من كلام القرافي، وابن حجر.

النوع الثاني: نسبة الحوادث الأرضية الماضية للكواكب معتقداً أنها سبب والله هو الفاعل، فهذا النوع شرك أصغر، كما قال ابن عثيمين، والفوزان. والفرق بين النوع الأول والثاني: أن النوع الأول، إخبار لما سيحدث في المستقبل، وأما النوع الثاني، فهو لحوادث وقعت.

ـ نبَّه شيخ الإسلام ابن تيمية لخطأ من يقول أنه لا أثر لشيء من العلويات في السفليات أصلاً، ولخطأ من أنكر أن يكون شيء من حركات الكواكب وغيرها من الأسباب.. فقال: كثير من الناس ذم الأحكام النجومية ولا ريب أنها مذمومة بالشرع مع العقل، وأن الخطأ فيها أضعاف الصواب، وأن من اعتمد عليها في تصرفاته وأعرض عما أمر الله به ورسوله خسر الدنيا والآخرة؛ لكن قد يردونها على طريقة الجهمية ونحوهم بأن يدعوا أنه لا أثر لشيء من العلويات في السفليات أصلاً. ـ إلى أن قال ـ وكذلك كون كسوف الشمس وغيره سبباً لبعض الحوادث هو مما دلت عليه النصوص الصحيحة، ففي الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه =

. . . .

= قال: «**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله ﷻ يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة**». اهـ. منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤). وقال ـ في كتاب آخر ـ: قد أخبر سبحانه في كتابه من منافع النجوم فإنه يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وأخبر أنها زينة للسماء الدنيا وأخبر أن الشياطين ترجم بالنجوم. . . ـ إلى أن قال ـ فمن أراد بقوله: إن لها [أي: النجوم] تأثيراً، ما قد علم بالحس وغيره من هذه الأمور فهذا حق؛ ولكن الله قد أمر بالعبادات التي تدفع عنا ما يرسل به من الشر. ـ ثم قال ـ وأما إنكار بعض الناس أن يكون شيء من حركات الكواكب وغيرها من الأسباب فهو أيضاً قول بلا علم؛ وليس له في ذلك دليل من الأدلة الشرعية ولا غيرها؛ فإن النصوص تدل على خلاف ذلك. . . اهـ. مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٨، ١٦٩، ١٧٤)، وانظر: زاد المعاد (٤/ ٤٠).

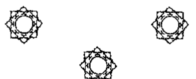
القسم الثالث: علم التسيير: وهو نوعان:

الأول: الاستدلال بالنجوم على المصالح الدينية كالاستدلال بالنجوم على القبلة، وهذا مستحب تعلمه ومعرفته.

النوع الثاني: الاستدلال بالنجوم على المصالح الدنيوية كمعرفة الجهات الأربع والفصول الزراعية، فذهب قتادة وابن عيينة إلى كراهة تعلمه؛ وذلك من باب سد الذريعة؛ لأن علم التنجيم كثر في زمانهما. وذهب النخعي، ومجاهد، والخطابي، وأحمد، وإسحاق، والخطيب البغدادي، وابن تيمية، وابن رجب، وسليمان بن عبد الله، والسعدي، وعبد الله بن حميد، وابن باز، وابن عثيمين إلى جوازه؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾، وهي عامة في الاهتداء الديني والدنيوي؛ ولكون حركة النجوم والتقائها وافتراقها وطلوعها وغروبها زمناً ووقتاً لا سبباً. قال ابن العربي: من انتظر الأنواء وتوكف المطر منها على أنها عادة أجراها الله فلا شيء عليه، فإن الله قد أجرى العوائد في السحاب في العادة. اهـ. ومثله قال الشافعي والبيهقي والباجي.

ـ نبَّه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الاشتغال بمعرفة أقدار الأفلاك ومسافاتها قليل النفع، فقال: لا ريب أن النجوم «نوعان»: حساب وأحكام. فأما الحساب فهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب. وصفاتها ومقادير حركاتها وما يتبع ذلك فهذا في الأصل علم صحيح لا ريب فيه كمعرفة الأرض وصفتها ونحو ذلك؛ لكن جمهور التدقيق منه كثير التعب قليل الفائدة؛ كالعالم مثلاً بمقادير الدقائق والثواني =

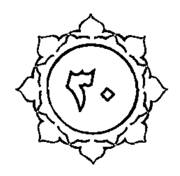
الوعيد فيمن[1] صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.



= والثوالث. . .اهـ. الفتاوى (٣٥/ ١٨١).

معالم السنن (٤/ ٢٢٦)، سنن البيهقي (٣/ ٣٥٨)، المنتقى (١/ ٣٣٥)، القول في علم النجوم للخطيب البغدادي (١٦١، ١٢٧)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٩)، الفتاوى (٣٥/ ١٩٢، ١٩٤)، الفروع (٢/ ١٦٣)، فضل علم السلف على الخلف «لابن رجب» (٢٠)، التيسير (٣٦٧)، فتح الحميد (٣/ ٣٧٣، ١٢٧٨)، القول السديد (١٠٨)، القول المفيد (٢/ ٥).

﴿١﴾ الأنسب في العبارة أن تكون هكذا: الوعيد «لمن» صدق بشيء. . .



باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد ﷺ قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ



ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٧٥، ٨٢]».

○ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة. الثانية: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية. الثالثة: ذكر الكفر في بعضها. الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة. الخامسة: قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» بسبب نزول النعمة. السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع. السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع. الثامنة: التفطن لقوله: لقد صدق نوء كذا وكذا. التاسعة: إخراج العالِم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟». العاشرة: وعيد النائحة.







٣٠ ـ باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ **الاستسقاء في اللغة**: من سقى يسقي، والسين والتاء للطلب، والاستسقاء في استعمال الشرع: طلب السقيا؛ أي: إنزال الغيث.

والأنواء: واحدها نوء، وهي ثمانية وعشرون نجماً، معروفة المطالع في أزمنة السنة الشمسية كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]؛ وذلك أن القمر ينزل في كل ليلة منزلةً منها وتحل الشمس في نجم منها ثلاثة عشر يوماً، وكلما حلَّت في نجم طلع نجمٌ وغرب آخر، والنوء قيل: هو الطالع، وقيل: هو الغارب. وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك النوء مطر ينسبونه إليه، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. وأول الأنواء السرطان ثم البطين ثم الثريا.... وآخرها الحوت. قال ابن قاسم: والنوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر ناء ينوء نوءاً نهض وطلع، فالنوء هو الطالع سمي نوءاً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء مقابله الطالع بالمشرق، وقيل: ناء سقط وغاب، ولا تخالف بين القولين. اهـ.

الاستسقاء بالأنواء: هو نسبة السقيا «المطر» إلى النوء الذي نزل هذا الغيث فيه.

التمهيد (١٦/ ٢٨٧)، تفسير القرطبي، الفتح (٧/ ١٩٧)، التيسير (٣٧٦)، حاشية ابن قاسم (٢٢٩).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: من كمال التوحيد عدم نسبة ما وقع من الحوادث الأرضية إلى حركة النجوم؛ لأن حركتها ليست سبباً لوقوع الحوادث الأرضية كنزول المطر وهبوب الرياح. قال السعدي: من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولاً واعترافاً بها على طاعته كان قول القائل: =

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ﴿١﴾ [الواقعة: ٨٢] ﴿٢﴾.

= مطرنا بنوء كذا وكذا، ينافي هذا المقصود أشد المنافاة لإضافة المطر إلى النوء.اهـ. القول السديد شرح كتاب التوحيد (١١٢).

علاقة الباب بالباب السابق: أن الاستسقاء بالأنواء داخل في التنجيم الذي هو من أنواع السحر؛ لكن لما ذكر المصنف في الباب السابق حكم الاستدلال لحدوث الأمور المستقبلية بالأحوال الفلكية، ذكر في هذا الباب حكم نسبة الحوادث الأرضية الماضية للأحوال الفلكية.

﴿١﴾ قال ابن عطية (٥٤١هـ): أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر الذي ينزله الله رزقاً: هذا بنوء كذا وكذا.اهـ. وهذا المعنى هو الذي أراده المصنف؛ لأنه ذكره في باب الاستسقاء بالأنواء، ولذكره حديث زيد بن ثابت بعده وفيه نسبة المطر للأنواء بقولهم: «مطرنا بنوء كذا وكذا». وقيل: المراد بالرزق هو القرآن، ويدل عليه سياق الآية. وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرزق ها هنا بمعنى الشكر، وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، والفراء، ونسبه النووي للأكثرين. قال الفراء: وهو في العربية حسن أن تقول: جعلت زيارتي إياك أنك استخفت بي، فيكون المعنى: جعلت ثواب الزيارة الجفاء، كذلك جعلتم ثواب الرزق التكذيب.اهـ. قال القرطبي: وإنما صلح أن يوضع اسم الرزق مكان شكره؛ لأن شكر الرزق يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقاً على هذا المعنى.اهـ.

والثاني: أن المعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم؛ كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهل القرية. وذلك أنهم كانوا يمطرون فيقولون: مطرنا بنوء كذا. وبه قال الأزهري، وأبو علي الفارسي، ونسبه ابن الجوزي للأكثرين.

والثالث: أن الرزق بمعنى الحظ، فالمعنى: وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، ذكره الثعلبي.

نزهة القلوب «للسجستاني» (١٧٢)، زاد المسير (٨/ ١٥٤)، شرح النووي على مسلم (٢/ ٦٢)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٩٨٦)، التيسير (٣٧٦)، تفسير السعدي (٨٣٦)، التحرير والتنوير (١٤/ ٤٤٣)، القول المفيد (٢/ ٤٠).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): قال =

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي﴿١﴾ من أمر الجاهلية﴿٢﴾ لا يتركونهنَّ﴿٣﴾: الفخر بالأحساب﴿٤﴾،

= رسول الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شكركم، ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، روي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية.اهـ. قال الشيخ صالح الفوزان: إن الله سبحانه أنكر نزول المطر إلى غيره من النجوم والأنواء وسمّاه كذباً.اهـ. قرة عيون الموحدين (٢٩٢)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٤٢).

﴿١﴾ أي: أمة الإجابة، وبه قال عثمان بن منصور، وابن عثيمين، والفوزان. فتح الحميد (٣/ ١٣١٦، ١٣٣٨)، القول المفيد (٢/ ٢٣).

﴿٢﴾ **والجاهلية:** هي الحالة التي تكون عليها أمة من الأمم قبل مجيئها هدى الله، والحالة التي تمتنع فيها أمة من الأمم أو بعض أمة من الاستجابة لهدى الله. قال ابن عثيمين: الغرض من الإضافة هنا أمران: ١ ـ التنفير. ٢ ـ بيان أن هذه الأمور كلها جهل وحمق بالإنسان؛ إذ ليست أهلاً بأن يراعيها الإنسان أو يعتني بها؛ فالذي يعتني بها جاهل.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٢)، المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية «تحقيق: ليوسف السعيد» (١/ ٥٩).

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذماً لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن في ذلك ذماً للتبرج، وذماً لحال الجاهلية الأولى، وهذا يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.اهـ. وقال ابن عثيمين: واعلم أن كل ما ينسب إلى الجاهلية؛ فهو مذموم ومنهي عنه.اهـ. قال الفوزان: إن من كان فيه شيء من أمور الجاهلية لا يقتضي ذلك كفره، لكن يكون هذا ذنباً مذموماً يجب عليه التخلّي عنه والتوبة منه، لكنه لا يقتضي الكفر؛ لأنه قال: «من أمتي»، فمن كان فيه شيء من أمور الجاهلية فهذا لا يقتضي كفره، إلّا إذا بلغ مبلغ المكفِّرات كالشرك بالله جل وعلا، أو بلغ ناقضاً من نواقض الإسلام المعروفة، فهذا يكفُر به.اهـ. اقتضاء الصراط المستقيم (٢٣٥)، القول المفيد (٢/ ٢٤)، إعانة المستفيد (٣/ ٤١).

﴿٤﴾ أي: التشرف بالآباء والتعاظم بعدّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم. ووجه =

والطعن في الأنساب﴿١﴾، والاستسقاء بالنجوم﴿٢﴾، والنياحة﴿٣﴾».
وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب﴿٤﴾»، ....

= كون الفخر بالأحساب من أمر الجاهلية: ١ ـ لأنه افتخار وتعاظم بأشياء لا يجوز التعاظم فيها؛ لأن لا شرف إلا بالتقوى.. ٢ ـ لأنه افتخار بعمل غيره. قال إمام الدعوة: إذا كان لا يجوز للإنسان أنه يفتخر بعمله هو، فكيف بعمل أبيه وجده؟.اهـ. التيسير (٣٧٧).

﴿١﴾ أي: الوقوع فيها بالذم والعيب، أو يقدح في نسب أحد من الناس فيقول: ليس هو من ذرية فلان أو يعيره بما في آبائه من المطاعن. التيسير (٣٧٨).

﴿٢﴾ أي: نسبة السقيا ومجيء المطر إلى النجوم والأنواء، والمراد به أن يعتقد أن نزول المطر نزل بسبب النجم مع تقدير الله له، وهو من الشرك الأصغر، وبهذا قال سليمان بن عبد الله، وعثمان بن منصور (١٢٨٢هـ). قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): فالاستسقاء بالنجوم نوعان: أحدهما: أن يعتقد أن المنَزل للمطر هو النجم، فهذا كفر ظاهر، إذ لا خالق إلا الله، وما كان المشركون هكذا، بل كانوا يعلمون أن الله هو المنزل للمطر، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]. وليس هذا معنى الحديث، فالنبي ﷺ أخبر أن هذا لا يزال في أمته، ومن اعتقد أن النجم ينَزل المطر فهو كافر.اهـ. التيسير (٣٧٩)، فتح الحميد (٣/ ١٣٣٨).

﴿٣﴾ أي: رفع الصوت بالندب على الميت. وهي محرمة بالإجماع، كما حكاه ابن عبد البر (٤٦٣هـ)، والنووي (٦٧٦هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ). وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): والخلاف في هذه المسألة شاذ مردود.اهـ. وهي من الكبائر، كما قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، والذهبي (٧٤٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، والقرطبي، وابن النحاس. الاستذكار (٨/ ٣١٤)، تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر «لابن الجوزي» (٢٥٣)، المغني (٣/ ٤٩٠)، شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٣٨)، عدة الصابرين (١٢٠)، المبدع في شرح المقنع (٢/ ٢٨٨)، معجم الكبائر (١٨٩).

﴿٤﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): أي: تقام من قبرها، والسربال: الثوب السابغ كالدرع، والقطران معروف، ويسمى «الزفت»، وقيل: إنه النحاس المذاب. قوله: «ودرع من جرب»: الجرب: مرض معروف يكون في الجلد، يؤرق الإنسان، =

رواه مسلم﴿١﴾.

ولهما عن زيد بن خالد ﷺ **قال**: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **هل تدرون ماذا قال ربكم**؟﴿٢﴾ قالوا: الله ورسوله أعلم»﴿٣﴾. قال: قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من**

= وربما يقتل الحيوان، والمعنى: إن كل جلدها يكون جرباً بمنزلة الدرع، وإذا اجتمع قطران وجرب زاد البلاء؛ لأن الجرب أي شيء يمسه يتأثر به؛ فكيف ومعه قطران؟! والحكمة أنها لما لم تغط المصيبة بالصبر غطيت بهذا الغطاء سربال من قطران ودرع من جرب؛ فكانت العقوبة من جنس العمل.اهـ. وقال ابن باز (١٤٢٠هـ): وذكر القطران؛ لأنه أشد في الاشتعال والأذى، وكذلك الدرع من الجرب مُؤذٍ، وهذا بيان لسوء عاقبتها ومنقلبها إلا إذا تابت.اهـ. التعليق المفيد (١٧٠)، القول المفيد (٢/ ٢٥).

﴿١﴾ مسلم (٩٣٤)، من حديث يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن أبي مالك ﷺ.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه دليلاً على تحريم الاستسقاء بالأنواء، وأنه من أمور الجاهلية.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٤٤).

﴿٢﴾ هذا فيه: مشروعية الموعظة بعد الصلاة إذا صار لها مناسبة، كتنبيهٍ على خطأ وقع، أو بيان لواجب، أو موعظةٍ عامة، وحثٍّ على تقوى الله. إعانة المستفيد (٣/ ٤٢).

﴿٣﴾ وقوله: «الله ورسوله أعلم»: فيه إشكال نحوي؛ لأن «أعلم» خبر عن اثنين، وهي مفرد؛ فيقال: إن اسم التفضيل إذا نوي به معنى «من»، وكان مجرداً من «أل» والإضافة؛ لزم فيه الإفراد والتذكير. وفيه أيضاً إشكال معنوي، وهو أنه جمع بين الله ورسوله بالواو، مع أن الرسول ﷺ لما قال له الرجل: «ما شاء الله وشئت. قال: **أجعلتني لله نداً؟!**». فيقال: إن هذا أمر شرعي، وقد نزل على الرسول ﷺ. وأما إنكاره على من قال: ما شاء الله وشئت؛ فلأنه أمر كوني، والرسول ﷺ ليس له شأن في الأمور الكونية.

قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[١] .

---

[١] ذهب ابن قتيبة (٢٧٦هـ)، وأكثر أهل العلم كما قال ابن حجر (٨٢٨هـ) إلى أن المراد بالكفر في الحديث هو الأكبر. وذهب ابن مفلح (٧٦٢هـ)، وسليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ) إلى أن المراد بالكفر هو الأصغر، وقد نسب ابن تيمية إلى عامة السلف أن المراد بالأحاديث التي فيها إطلاق الكفر على من ارتكب بعض الكبائر أنه كفر دون كفر. الفتاوى (٧/ ٣٥٠).

قال سليمان بن عبد الله: المراد بالكفر هنا هو الأصغر بنسبة ذلك إلى غير الله وكفران نعمته.. بدليل قوله في الحديث «**فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته...**» إلى آخره، فلو كان المراد هو الأكبر، لقال: أنزل علينا المطر نوء كذا، فأتى بباء السببية ليدل على أنهم نسبوا وجود المطر إلى ما اعتقدوه سبباً.. وروى النسائي والإسماعيلي نحوه. وقال في آخره: «**وكفر بي أو كفر نعمتي**»، وفي رواية أبي صالح عن أبي هريرة عند مسلم: «**قال الله تعالى: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين**». وله من حديث ابن عباس: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر...**».اهـ.

وذهب ابن عبد البر (٤٦٣هـ)، وابن الأثير (٦٠٦هـ)، والنووي (٦٧٦هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ)، وهو ظاهر كلام الشافعي (٢٠٤هـ) إلى أن المراد بالكفر يحتمل أنه الأصغر أو الأكبر؛ لأن هذا القول لا يخالف ما قبله، ولأن الأصل بقاء النصوص على عمومها. الفروع (٢/ ١٦٣)، الأنواء (١٤)، مغني المحتاج (١/ ٣٢٦)، التمهيد (١٦/ ٢٨٦)، جامع الأثير (١١/ ٥٧٨)، شرح صحيح مسلم (٢/ ٦٠)، الفتح (٢/ ٦٠٨)، التيسير (٣٨١).

حكم أحوال قول: «**مطرنا بنوء كذا وكذا**»:

الحال الأولى: أن يقول: «**مطرنا بنوء كذا وكذا**»، **معتقداً أن النوء هو الموجد للمطر**، فهذا كفر أكبر بالإجماع، كما حكاه ابن مفلح؛ ولقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾، وقد نقل ابن العربي (٥٤٣هـ)، والنووي (٦٧٦هـ) الإجماع على أن الله هو المتفرد بالخلق.

الحال الثانية: أن يقول: «مطرنا بنوء كذا وكذا»، معتقداً أن النوء سبب للمطر بتقدير الله، فقال أنه كفر أصغر «كفر نعمة» ابن عبد البر، وابن العربي؛ لأن الله هو الخالق، قال عبد الله بن حميد: وهذا هو الذي رجحه الشارح ـ سليمان بن عبد الله ـ وهو مقتضى ما رجحه ابن مفلح.اهـ. وبه قال ابن قاسم. وقال أنه شرك أصغر =

. . . .

= ابن رجب، وعبد الله بن حميد، وابن باز، وابن عثيمين، والفوزان؛ لأنه جعل شيئاً سبباً لم يجعله الله سبباً؛ ولما رواه أحمد (٣/ ٤٢٩)، من طريق عمران بن قتادة عن نصر بن عاصم عن معاوية الليثي مرفوعاً: «**يكون الناس مجدبين فينَزل الله عليهم رزقاً من رزقه فيصبحون مشركين، يقولون: مُطِرْنَا بنوء كذا**». قال ابن رجب: من أضاف شيئاً إلى غير الله مع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شِركٍ خفي.اهـ. لطائف المعارف (١٤٢).

الحال الثالثة: أن يقول: «مطرنا بنوء كذا وكذا» مريداً: مطرنا في وقت كذا وكذا، وهذا اختلف أهل العلم فيه على أقوال:

القول الأول: الجواز، وبه قال ابن قتيبة (٢٦٧هـ)، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، وابن عبد البر (٤٦٣هـ)، والبغوي (٥١٦هـ)، وابن الأثير (٦٠٦هـ)، واستدلوا بأن الباء جاءت والمراد بها الظرفية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِالَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]. وبما أخرجه عبد الرزاق (٦/ ٥٢٢)، بإسناد صحيح كما قال ابن حزم، من طريق ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير، أن مجاهداً أخبره أن رجلاً جاء ابن عباس فقال: لما ملكت امرأتي أمرها طلقتني ثلاثاً، فقال: «خطأ الله نوءها، إنما الطلاق لك عليها وليس لها عليك»؛ أي: حرمها الله الخير كما حرم من لم يُمطر وقت المطر. وبما رواه الحميدي في مسنده (٢/ ٤٣٢)، والبيهقي (٣/ ٣٥٩)، من طريق سعيد بن المسيب قال: حدثني من لا أتهم، عن عمر ﷺ أنه قال للعباس حين استسقى به: «يا عم رسول الله، كم بقي من نوء الثريا؟». ونوقش: بأن ما جاء عن عمر وابن عباس ليس فيهما قول: «مطرنا بنوء كذا وكذا» المنهي عنه؛ وإنما فيه تحرٍّ ونسبة المطر لوقت نزوله. قال ابن كثير معلقاً على قول عمر: وهذا محمول على السؤال عن الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر، فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده.اهـ. وقال عثمان بن منصور: فهذا منه محمول على سؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك مؤثر بنفسه في نزول المطر، فإن هذا هو المنهي عنه، والصحابة أبعد شيء عنه.اهـ.

القول الثاني: يستحب تركه، وبه قال الشافعي وأصحابه، وبعض الحنابلة، وهو اختيار النووي (٦٧٦هـ)، والعجيلي (١٢٦٢هـ) وعبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ)؛ لأنه من ألفاظ الكفار، ومن شعار الجاهلية، وظاهر حديث زيد بن مالك. =

. . . .

= **القول الثالث**: التحريم: وبه قال أحمد (٢٤١هـ)، وأكثر الحنابلة، والباجي (٤٧٤هـ)، وهو اختيار ابن عثيمين (١٤٢١هـ)، والفوزان، وقال ابن رجب (٧٩٥هـ): النصوص تدل عليه. اهـ؛ وللذم الوارد في حديث أبي مالك، كما قال الباجي والقرطبي؛ ولما فيه من الإيهام للسامع كما قال الباجي؛ ولأن الباء كونها للسببية أظهر، كما قال ابن عثيمين.

القول الرابع: **شرك أصغر، وبه قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، وهو الصواب؛ لحديث أبي مالك**؛ ولأنه من باب سد ذرائع الشرك؛ ولأن فيه تشبهاً بالمشركين، كما قال القرطبي، قال سليمان بن عبد الله: إن معنى الحديث هو نسبة السقيا إلى الأنواء لفظاً، وإن كان القائل لذلك يعتقد أن الله هو المنَزل للمطر، فهذا من باب الشرك الخفي في الألفاظ، كقوله: لولا فلان لم يكن كذا. اهـ.

ـ حكم قول: «مطرنا في نوء كذا وكذا»، اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: الجواز، وبه قال القاضي أبو يعلى، وهو اختيار ابن قاسم، وابن عثيمين، والفوزان؛ لما ذكر مالك في الموطأ (١٣٦)، أنه بلغه أن النبي ﷺ كان يقول: إذا نشأت بَحْريتها فشامت فتلك عين غديقة. قال ابن رجب: وهذا من البلاغات لمالك حتى قيل: إنه لا يعرف إسنادها. وقد ذكره الشافعي، عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، عن إسحاق بن عبد الله، عن النبي ﷺ ـ مرسلاً ـ، قال: «إذا نشأت بحرية، ثم استحالت شامية، فهو أمطر لها». قال ابن عبد البر: ابن أبي يحيى مطعون عليه متروك. وإسحاق هو: ابن أبي فروة، ضعيف ـ أيضاً ـ متروك. وهذا لا يحتج به أحد من أهل العلم. قلت: وقد خرجه ابن أبي الدنيا من طريق الواقدي، عن عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة: سمعت عوف بن الحارث: سمعت عائشة تقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إذا أنشأت السحابة بحرية، ثم تشاءمت، فتلك عين**»، أو قال: «**عام غديقة**». يعني: مطراً كثيراً. والواقدي متروك أيضاً. والمعنى: أن السحابة إذا طلعت بالمدينة من جهة البحر، ثم أخذت إلى ناحية الشام، جاءت بمطر كثير، وهو الغدق. قال تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. اهـ.

القول الثاني: يكره إلا أن يقول مع ذلك: «برحمة الله ﷻ»، وبه قال أبو الحسن الآمدي الحنبلي. =

....

= الفرق بين كون الشيء سبباً لوجود المسبب، وبين كون الشيء وقتاً لوجود المسبب:

السبب يكون له تأثير في وجود المسبب، ولأن السبب جزء من المسبب؛ كوجود المطر بسبب تجمع السحب، وكوجود الولد بسبب الجماع. أما كون الشيء وقتاً للمسبب فلا يكون له تأثير في وجود المسبب؛ وإنما يكون وقتاً يكثر فيه وجود الشيء، مثل ظهور النوء ليس له تأثير في وجود المطر؛ ولكنه وقتاً لنزول المطر، قد يوجد المطر عند ظهوره وقد لا يوجد. ومثل كون الشتاء وقتاً لنزول المطر، فقد يأتي الشتاء ولا ينزل المطر.

الأم (١/ ٢٨٨)، التمهيد (١٦/ ٢٨٦، ٢٤/ ٣٨٠)، شرح السُّنَّة (٤/ ٤٢١)، النهاية (٥/ ١٢٢)، المنتقى (١/ ٣٣٥)، الفروع (٢/ ١٦٣)، مغني المحتاج (١/ ٣٢٦)، جامع الأصول (١١/ ٥٧٨)، شرح النووي على مسلم (٢/ ١٦٠)، تفسير القرطبي (٢/ ٢٩٨٦)، الفتح «لابن رجب» (٩/ ٢٦٤)، القبس «لابن العربي» (١/ ٣٨٧)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٢٩)، الفتح (٢/ ٦٠٨)، التيسير (٣٧٨)، فتح الحميد (٣/ ١٣٣١)، حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢٣١)، حاشية ابن قاسم على الروض المربع (٤/ ٣٨)، تحقيق التجريد (٣٢٨).

📖 قال ابن عثيمين: وفي عصرنا الحاضر يعلق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهذا وإن كان قد يكون سبباً حقيقياً، ولكن لا يفتح هذا الباب للناس، بل الواجب أن يقال: هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٨]. فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه. فذهبت أنواء الجاهلية، وجاءت المنخفضات الجوية، وما أشبه ذلك من الأقوال التي تصرف الإنسان عن ربه ﷻ. نعم، المنخفضات الجوية قد تكون سبباً لنزول المطر، لكن ليست هي المؤثر بنفسها، فتنبه.اهـ.

قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن سلم العلوي، قال: كنا عند أنس، فقال رجل: إنها لمخيلة للمطر. فقال أنس: إنها لربها لمطيعة. يشير أنس إلى أنه لا يضاف المطر إلى السحاب، بل إلى أمر الله ومشيئته. وذكر =

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾[١] ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ

= ابن عبد البر عن الحسن، أنه سمع رجلاً يقول: طلع سهيل، وبرد الليل، فكره ذلك، وقال: إن سهيلاً لم يأتِ قط بِحَرٍّ ولا برد. قال: وكره مالك أن يقول الرجل للغيم والسحابة: ما أخلقها للمطر. قال: وهذا يدل على أن القوم احتاطوا، فمنعوا الناس من الكلام بما فيه أدنى متعلق من كلام الجاهلية في قولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا. انتهى.اهـ.

قال صالح آل الشيخ: وهنا تنبيه في هذه المسألة: وهو ما يحصل أحياناً من بعض الناس من أنهم يقولون في الوسمي مثلاً: إذا طلع يأتي المطر، ونجم سهيل إذا طلع فسيحصل كذا، ونحو ذلك، فهذا القول كما علمت له حالان:

الحال الأولى: أن يقول ذلك معتقداً أن النجم أو البرج الذي أتى هو زمن جعل الله سُنَّته فيه أنه يأتي فيه المطر، وإن شاء الله سيأتي مطر ونحو ذلك، فهذا جعل للوسم زمناً، وهذا جائز.

الحال الثاني: أن يقول: الوسم جاء وسيأتي المطر، أو طلع النجم الفلاني وسيأتينا كذا وكذا، معتقداً أن هذا الفصل أو ذلك البرج أو ذلك النجم سبباً، فهذا كفر ونسبة للنعمة لغير الله، واعتقاد تأثير أشياء لا تأثير لها.اهـ. الفتح «لابن رجب» (٩/ ٢٦٤)، القول المفيد (١/ ٥٦٨)، التمهيد (٣٥٧).

📖 حديث زيد بن خالد أخرجه: البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)، من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الفوزان: إن فيه تحريم نسبة المطر إلى النجم وتسميته كفراً وكذباً.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٤٨).

﴿١﴾ في «لا» أقوال:

القول الأول: أنها للتنبيه، والجملة بعدها مثبتة؛ لأن «لا» بمعنى: انتبه أقسم بمواقع النجوم، وهذا القول هو الراجح.

القول الثاني: أنها على أصلها، ثم في معناها قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى ما تقدم ومعناها النهي، وتقدير الكلام: فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج، قاله الماوردي.

والثاني: أن «لا» رد لما يقوله الكفار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم، قاله علي بن أحمد النيسابوري.

﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾».

أخرجه: مسلم (٧٣)، دون البخاري[١]، من حديث عكرمة بن عمار، عن أبي زُمَيْل «سماك الحنفي»، عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

والحديث معلول؛ لأن الوارد عن ابن عباس تفسير الآية لا حكاية رفع الحديث؛ ويدل على ذلك أمور:

١ ـ أن عكرمة بن عمار صدوق يغلط كما قال ابن حجر[٣]، وهو مضطرب الحديث عن غير إياس بن سلمة كما قال أحمد[٤]، وذكر له ابن عدي والعقيلي والذهبي أحاديث أنكرت عليه[٥]، منها عدة أحاديث في صحيح مسلم[٦]، وكذلك أنكر عليه الأئمة؛ كابن حزم والقاضي

---

[١] وقد نبَّه عبد الله بن حميد (١٤٠٢هـ) أنه ليس في البخاري؛ وإنما هو في مسلم، وقول المصنف «ولهما» هو سبق قلم منه.

[٢] ولفظه: «مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**»، قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا». قال فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

[٣] التقريب (٤٣٦).

[٤] الجرح والتعديل (٧/ ١٠)، التهذيب (٤/ ١٦٠).

[٥] الكامل (٥/ ٢٧٤)، الضعفاء الكبير (٣/ ٣٧٨)، والميزان (٣/ ٩٢، ٩٣).

[٦] كحديث:

أ ـ «**ويل للأعقاب من النار**» رواه مسلم (٢٤٠)، من طريق عكرمة، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن سالم مولى المهري، عن عائشة.

ب ـ «استفتاح النبي ﷺ الصلاة بالليل» أخرجه مسلم (٧٧٠)، من طريق عكرمة، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن عائشة. علل الأحاديث لابن عمار (٨٢، ٥٠)، شرح علل الترمذي (٢/ ٦٤١).

عياض وطائفة من الحفاظ، حديثه الذي في صحيح مسلم عن أبي زميل عن ابن عباس في الثلاثة أشياء التي طلبها أبو سفيان من النبي ﷺ[١].

٢ ـ أن عكرمة بن عمار تفرد به عن أبي زميل، وأبو زميل عن ابن عباس.

٣ ـ أن كبار أصحاب ابن عباس؛ كعمرو بن دينار[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، وعكرمة[٤]، رووا معنى الحديث من قول ابن عباس تفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾. وهؤلاء أوثق من أبي زميل وعكرمة بن عمار[٥].

﴿١﴾ قال الذهبي (٧٤٨هـ): وفي صحيح مسلم قد ساق له أصلاً منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس في الثلاثة التي طلبها أبو سفيان، وثلاثة أحاديث أخر بالإسناد.اهـ. جلاء الأفهام (١٣٠)، زاد المعاد (١/ ١٠٩)، الميزان (٣/ ٩٣)، المفهم (٦/ ٤٥٦)، فتح المغيث (٢٥).

﴿٢﴾ أخرجه: الطحاوي «مشكل الآثار» (١٣/ ١١٢)، من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾، قال: هو الاستسقاء بالأنواء.

﴿٣﴾ أخرجه: الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٤)، من طريق شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ما مُطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾، وصحح إسناده ابن كثير. تفسير ابن كثير (١٥٥٤)، الفتح «لابن حجر» (٣/ ٤٨٠).

﴿٤﴾ عمدة القاري (١٠/ ٤٨٧).

﴿٥﴾ قال ابن عاشور: فلعل قوله: فنزلت، تأويل منه؛ لأنه أراد أن الناس مُطروا في مكة في صدر الإسلام، فقال المؤمنون قولاً وقال المشركون قولاً، فنزلت آية: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ تنديداً على المشركين منهم بعقيدة من العقائد التي أنكرها الله عليهم، وأن ما وقع في الحديبية مطر آخر لأن السورة نزلت قبل الهجرة. ولعل الراوي عنه لم يحسن التعبير عن كلامه فأوهم بقوله فنزلت: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ بأن يكون ابن عباس قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾، أو نحو تلك العبارة. التحرير والتنوير (٥/ ٢٢٩).

٤ ـ جاء عن ابن عباس سبب آخر لنزول قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[١]. وهذا يدل على أن المراد بقول ابن عباس: «فأنزل الله...» التفسير لا ذكر السبب.

٥ ـ أن مسلماً ذكره آخر الباب، وهو من الشواهد؛ لأن مسلماً لا يشدد في أحاديث الشواهد والمتابعات[٢].

٦ ـ إعراض البخاري عنه[٣].

٧ ـ النكارة في متنه[٤].

---

[١] عمدة القاري (١٠/ ٤٨٧).

[٢] قال ابن الصلاح: عاب عائبون مسلماً بروايته في صحيحه عن جماعة من الضعفاء أو المتوسطين الواقعين في الطبقة الثانية الذين ليسوا من شرط الصحيح أيضاً، والجواب أن ذلك لأحد أسباب لا معاب عليه معها... الثاني: أن يكون ذلك واقعاً في الشواهد والمتابعات لا في الأصول، وذلك بأن يذكر الحديث أولاً بإسناد نظيف رجاله ثقات ويجعله أصلاً، ثم يتبع ذلك بإسناد آخر أو أسانيد فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد بالمتابعة أو لزيادة فيه. اهـ.

قال المعلمي: عادة مسلم أن يرتب روايات الحديث بحسب قوتها يقدم الأصح فالأصح. اهـ. قال المباركفوري: أخرج مسلم عن بعض الضعفاء، ولا يضره ذلك، فإنه يذكر أولاً الحديث بأسانيد نظيفة ويجعله أصلاً، ثم يتبعه بأسانيد فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد. اهـ. صيانة صحيح مسلم (٩٠)، الأنوار الكاشفة (٢٩)، عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح (٢١ ـ ٩٠).

[٣] قال البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾، قال ابن عباس: شكركم. اهـ. ثم ذكر حديث زيد بن خالد. ولم يذكر حديث ابن عباس مع أن فيه ذكراً لسبب الآية.

[٤] قال ابن عاشور: ووقع في صحيح مسلم عن ابن عباس أنه قال: «مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي: **أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر**، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صَدق نَوْء كذا وكذا. قال فنزلت: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ حتى بلغ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾. فزاد على ما في حديث زيد بن خالد قوله فنزلت: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ إلخ. وزيادة الراوي مختلف في =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة. **الثانية**: ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية. **الثالثة**: ذكر الكفر في بعضها﴿١﴾. **الرابعة**: أن من الكفر ما لا يخرج من الملة﴿٢﴾. **الخامسة**: قوله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» بسبب نزول النعمة﴿٣﴾. **السادسة**: التفطن للإيمان في هذا الموضع﴿٤﴾. **السابعة**: التفطن للكفر في هذا الموضع﴿٥﴾. **الثامنة**:

= قبولها: بدون شرط، أو بشرط عدم اتحاد المجلس، أو بشرط أن لا يكون ممن لا يغفل مثلُه عن مثل تلك الزيادة عادةً، وهي أقوال لأئمة الحديث وأصول الفقه، وابن عباس لم يكن في سن أهل الرواية في مدة نزول هذه السورة بمكة فعل قوله: فنزلت تأويل منه؛ لأنه أراد أن الناس مُطرواً في مكة في صدر الإسلام فقال المؤمنون قولاً وقال المشركون قولاً، فنزلت آية: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ تنديداً على المشركين منهم بعقيدة من العقائد التي أنكرها الله عليهم، وأن ما وقع في الحديبية مطر آخر؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة. ولعل الراوي عنه لم يحسن التعبير عن كلامه فأوهم بقوله فنزلت: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ بأن يكون ابن عباس قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾، أو نحو تلك العبارة. وقد تكرر مثل هذا الإيهام في أخبار أسباب النزول، ويتأكد هذا صيغة ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ لأن قولهم: مطرنا بنوء كذا، ليس فيه تكذيب بشيء؛ ولذلك احتاج ابن عطية إلى تأويله بقوله: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق: ١٠، ١١] فهذا معنى ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: تكذبون بهذا الخبر. اهـ. التحرير والتنوير (٥/ ٢٢٩)، البرهان (١/ ٣١)، شرح مقدمة التفسير «لابن عثيمين» (٤٨)، شرح مقدمة التفسير «للطيار» (١٣٦).

﴿١﴾ وهي الاستسقاء بالأنواء، وكذلك الطعن في النسب، والنياحة على الميت؛ كما في حديث: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**». القول المفيد (٢/ ٤١).

﴿٢﴾ كالطعن في النسب، والنياحة. التوضيح المفيد (١٥٨).

﴿٣﴾ أي: لما نزلت النعمة منهم من آمن لما أضافها إلى فضل الله ورحمته، ومنهم من كفر لما أضافها إلى النوء. التوضيح المفيد (١٥٨).

﴿٤﴾ وهو نسبة المطر إلى فضل الله ورحمته. القول المفيد (٢/ ٤٢).

﴿٥﴾ وهو نسبة المطر إلى النوء؛ فيقال هذا بسبب النوء الفلاني، وما أشبه =

التفطن لقوله: لقد صدق نوء كذا وكذا[١] . **التاسعة**: إخراج العالِم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها[٢] ؛ لقوله: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**» . **العاشرة**: وعيد النائحة.

= ذلك. القول المفيد (٢/ ٤٢).

﴿١﴾ لأن الثناء بالصدق على النوء مقتضاه أن هذا المطر بوعده، ثم بتنفيذ وعده. القول المفيد (٢/ ٤٢).

﴿٢﴾ ليكون أوقع في النفس، وأعظم تنبيهاً لهم. التوضيح المفيد (١٥٩).



باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». أخرجاه.

ولهما عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار». وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى...» إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله،

ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال وَلاية الله بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً». رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، قال: المودة.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية البقرة. الثانية: تفسير آية براءة. الثالثة: وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال. الرابعة: نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام. الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها. السادسة: أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها. السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا. الثامنة: تفسير ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾. التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً. العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه. الحادية عشرة: أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.





٣١ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ (*)

. . . .

﴿١﴾ أي: يحبون أندادهم كما يحبون الله، فالضمير عائد على المتخذين الأنداد؛ أي: يسوون بين الله سبحانه وبين الأوثان في المحبة، وهذا التفسير رجحه كثير من المفسرين، واختاره ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، والمقريزي (٨٤٥هـ) وابن عثيمين (١٤٢١هـ)؛ لدلالة سياق الآية وظاهرها وإتيان نظائر لها كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء].

وقيل: يحبون أندادهم كحب المؤمنين لله، وهذا التفسير اقتصر عليه ابن جرير. قال ابن عثيمين: وهذا وإن احتمله اللفظ، لكن السياق يأباه؛ لأنه لو كان المعنى ذلك؛ لكان مناقضاً لقوله تعالى فيما بعد: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، وكانت محبة المؤمنين لله أشد؛ لأنها محبة خالصة ليس فيها شرك؛ فمحبة المؤمنين أشد من حب هؤلاء لله. جامع البيان (٣/ ٢٨٠)، الفتاوى (٨/ ٣٥٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٣)، مدارج السالكين (٣/ ٤٥٣)، روضة المحبين (٢٠٠)، تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (٤٦)، القول المفيد (٢/ ٤٧).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): جعل المؤلف، رحمه الله تعالى، الآية هي الترجمة، ويمكن أن يعني بهذه الترجمة باب المحبة. اهـ. القول المفيد (٢/ ٤٤).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): لما كان من المحبة محبة خاصة لا تصلح إلا لله ﷻ، وهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، ولا يجوز تعليقها بغير الله أصلاً، ومتى أحب العبد بها غيره تعالى كان مشركاً شركاً لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وقد سوّى المشركون بين الله وبين آلهتهم فيها، ترجم لها المصنف بهذه الآية الكريمة؛ ليظهر =

. . . .

= ويوضح ما دلت عليه من للشرك باتخاذ الند، وهو المثل والشرك في محبة التأله والتعظيم التي هي أصل دين الإسلام، وبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص. اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٣٦).

قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): أصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة. اهـ.

قال المقريزي (٨٤٥هـ): فالشرك في الإلـٰهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك... وأصله الشرك في محبة الله. اهـ. تجريد التوحيد (٤٦).

وقال ابن القيم: الحب مع الله فهو نوعان، نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك، ونوع يقدح في كمال الإخلاص ومحبة الله ولا يخرج من الإسلام، فالأول كمحبة المشركين لأوثانهم وأندادهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، وهؤلاء المشركون يحبون أوثانهم وأصنامهم وآلهتهم مع الله كما يحبون الله، فهذه محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء، وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله ولا يتم الإيمان إلا بمعاداة هذه الأنداد وشدة بغضها وبغض أهلها ومعاداتهم ومحاربتهم... اهـ. الروح (١/ ٢٥٣).

قال الشيخ صالح الفوزان: هذا الباب بابٌ عظيم، يجب على المسلم أن يَزِن نفسه به، ولهذا يسمى بباب الامتحان، فكلٌّ يَدّعي الإيمان، وكلٌّ يَدّعي الإسلام، وكلٌّ يدّعي الزهد والورع، ولكن الميزان ما ذكر في هذا الباب. اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ٧٥).

علاقة الباب بالأبواب السابقة: لما ذكر المصنف معنى التوحيد ـ والشهادتين ـ بذكر ما ينافيه من أنواع الشرك، ذكر في هذا الباب والأبواب التي بعده مقتضى الشهادتين وهو أن يعبد الله محبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وإخلاصاً ومتابعة. قال ابن رجب (٧٩٥هـ): فتحققه بقول: لا إلـٰه إلا الله أن لا يأله القلب غير الله حباً ورجاء وخوفاً وتوكلاً واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً، وتحققه بأن محمداً رسول الله ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ... وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إلـٰه إلا الله يقتضي أن لا إلـٰه غير الله، والإلـٰه الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ﷻ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه =

....

= الأمور التي هي من خصائص الإلـٰهية كان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وهذا كله من فروع الشرك؛ ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه والعمل من أجله، كما ورد في إطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله، والاعتماد عليه وعلى من سوَّى بين الله وبين المخلوقين في المشيئة، مثل من يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: ما لي إلا الله وأنت.اهـ. كتاب التوحيد «لابن رجب» (٤٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): ومن تحقيق التوحيد: أن يعلم أن الله تعالى أثبت له حقاً لا يشركه فيه مخلوق؛ كالعبادة والتوكل، والخوف والخشية، والتقوى.اهـ. الرسالة التدمرية (٢/ ١١٦). وقال أيضاً: دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا.اهـ. الفتاوى (١٠/ ٢١٢). وبعبارة أخرى: بعد أن وضح معنى التوحيد بذكر ضده بين أركان التوحيد وما يقوم عليه.

مناسبة ذكر المؤلف باب المحبة قبل غيره:

١ ـ قال عثمان بن منصور: لما ذكر المصنف باب الاستسقاء وأن النعمة لا توجد إلا من الله تعالى، وأنه هو المشكور عليها، أعقبه بباب المحبة إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، ولا أعظم إحساناً على العبد من الله.اهـ. فتح الحميد (٣/ ١٣٥٩).

٢ ـ ولأن المحبة مقصودة لذاتها، قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): وهي ـ المحبة ـ مقصودة لذاتها في الدنيا والآخرة، والخوف المقصود منه الزجر والمنع عن الخروج عن الطريق.اهـ. الفتاوى (١/ ٩٥). قال ابن القيم (٧٥١هـ): والخوف ليس مقصوداً لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل؛ ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.اهـ. مدارج السالكين (١/ ٥٥١).

٣ ـ أن المحبة يتبعها الخوف والرجاء والتوكل، قال ابن القيم عند بيانه للمحبة التي تخرج من الإسلام التي هي محبة المشركين لأوثانهم: فهذه محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء.اهـ. الروح (١/ ٢٥٣).

وقـولـه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾﴿١﴾ [التوبة: ٢٤]﴿٢﴾.

﴿١﴾ قال المقريزي (٨٤٥هـ): ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهو الإشراك الذي لا يغفره، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ...﴾. تجريد التوحيد (١٠١).

قال الشيخ صالح الفوزان: فقوله في هذه الأشياء إذا كانت ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، ﴿أَحَبَّ﴾ يدل على أن محبة هذه الأشياء في الأصل لا حرج فيها، فالإنسان يحب والده، ويحب ولده، ويحب أخاه، ويحب قبيلته، ويحب ماله، ويحب تجارته، ويحب مسكنه. فأصل المحبة لهذه الأشياء مباح لأنه من المحبة الطبيعية، لكن إنما يأتي اللوم إذا قدّم محبة هذه الأشياء على محبة الله فأخّرته هذه الأشياء عن طاعة الله ورسوله، وعن الهجرة إلى الله ورسوله. إعانة المستفيد (٣/ ٦١).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله: واعلم أن هذه الآية شبيهة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عمران: ٣١] فلما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة، فجاءت هذه الآية ونحوها. اهـ. التيسير (٣٩١). قال ابن رجب: إنما تتم المحبة بالطاعة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾. سئل بعضهم عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال. اهـ. الفتح (١/ ٤٩). قال المقريزي (٨٤٥هـ): وإذا كانت المحبة له هي: حقيقة عبوديته وسرها؛ فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة. اهـ. تجريد التوحيد (١٠١).

قال شيخ الإسلام: جعل الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول؛ والجهاد في سبيله.. فلا يكون محباً لله إلا من يتبع رسوله وطاعة الرسول ومتابعته تحقق العبودية.. و«الجهاد» يتضمن كمال محبة ما أمر الله به وكمال بغض ما نهى الله عنه ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤].. فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة الله ناظراً إلى عموم ربوبيته أو متبعاً لبعض البدع المخالفة لشريعته. اهـ. رسالة العبودية =

عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن﴿١﴾ أحدكم حتى

= (١٩، ٢٨). وقال في موضع آخر: وأما «المحبة الشركية» فليس فيها متابعة للرسول ولا بغض لعدوه ومجاهدة له كما يوجد في اليهود والنصارى والمشركين يدعون محبة الله ولا يتابعون الرسول ولا يجاهدون عدوه. وكذلك «أهل البدع» المدعون للمحبة لهم من الإعراض عن اتباع الرسول بحسب بدعتهم وهذا من حبهم لغير الله وتجدهم من أبعد الناس عن موالاة أولياء الرسول ومعاداة أعدائه والجهاد في سبيله لما فيهم من البدع التي هي شعبة من الشرك. اهـ. الفتاوى (٨/ ٣٦٥).

📖 **علاقة الآية بالباب،** قال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): دلت الآية على أن محبة هؤلاء، وإن كانت من غير محبة العبادة؛ إذا فضلت على محبة الله صارت سبباً للعقوبة. اهـ.

قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيها وجوب تقديم محبة الله ومحبة ما يحبه الله من الأشخاص والأعمال على محبة ما سوى ذلك. اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٨)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٥٠).

﴿١﴾ كلام أهل العلم في الإيمان المنفي:

جاء عن الزهري، وأحمد، والبغوي، وإمام الدعوة، وغيرهم التوقف عن تفسير أحاديث الوعيد، وقالوا بإمرارها كما جاءت من غير تعرض لتأويلها. السُّنَّة للخلال (٣/ ٥٧٨)، شرح السُّنَّة (١/ ٩١)، الدرر السنية (١/ ١٨٥).

قال شيخ الإسلام: عامة السلف يقرون هذه الأحاديث ويمرونَها كما جاءت ويكرهون أن تتأول تأويلات تخرجها عن مقصود رسول الله ﷺ. اهـ. الفتاوى (٧/ ٦٧٤). **لكن جاء عن العلماء تأويلها:**

القول الأول: أن المنفي الإيمان كله، وبه قال القاضي عياض؛ قال ابن حجر: لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال. اهـ. ونوقش: قال ابن حجر: وتعقبه صاحب المفهم: بأن ذلك ليس مراداً هنا؛ لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزماً للمحبة؛ إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته، ثم استدل بحديث عمر: «لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي»، فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية فقط، فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك. اهـ.

القول الثاني: أن المنفي كمال الإيمان الواجب، وبه قال أبو عبيد، وابن قتيبة، وابن عبد البر، والنووي، والقرطبي، وابن تيمية، وإمام الدعوة، وسليمان بن عبد الله، وعبد الرحمن بن حسن، وابن قاسم، وابن عثيمين، والفوزان؛ =

أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»﴿١﴾. أخرجاه﴿٢﴾.

= لقول عمر: «لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي»، فعمر على مكانته لم يكن بالغاً هذه المرتبة، فكيف بغيره؟. كتاب الإيمان (٤٠)، تأويل مختلف الحديث (١٦٠)، التمهيد (٩/ ٢٤٣)، شرح صحيح مسلم (٢/ ٤٠١)، الفتاوى (١٩/ ٢٩٣)، فتح المجيد (٢٩٤).

﴿١﴾ ومحبة الله ورسوله واجبة بالإجماع: كما حكاه القرطبي. قال ابن رجب (٧٩٥هـ): ومحبة الرسول ﷺ على درجتين:

إحداهما: فرض، وهي ما اقتضى طاعته في امتثال ما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات والرضا بذلك، وأن لا يجد في نفسه حرجاً مما جاء به ويسلم له تسليماً، وأن لا يتلقى الهدى من غير مشكاته، ولا يطلب شيئاً من الخير إلا مما جاء به.

الدرجة الثانية: فضل مندوب إليه، وهي: ما ارتقى بعد ذلك إلى اتباع سُنَّته وآدابه وأخلاقه والاقتداء به في هديه وسمته وحسن معاشرته لأهله وإخوانه، وفي التخلق بأخلاقه الظاهرة في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وفي جوده وإيثاره وصفحه وحلمه واحتماله وتواضعه، وفي أخلاقه الباطنة من كمال خشيته لله ومحبته له وشوقه إلى لقائه ورضاه بقضائه وتعلق قلبه به دائماً وصدق الالتجاء إليه والتوكل والاعتماد عليه، وقطع تعلق القلب بالأسباب كلها، ودوام لهج القلب واللسان بذكره، والأنس به، والتنعم بالخلوة بمناجاته ودعائه وتلاوة كتابه بالتدبر والتفكر. وفي الجملة: فكان خلقه ﷺ القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، فأكمل الخلق من حقق متابعته وتصديقه قولاً وعملاً وحالاً وهم الصديقون من أمته الذين رأسهم: أبو بكر. اهـ. القرطبي (٨/ ٩٥)، الفتح «لابن رجب» (١/ ٥٢).

﴿٢﴾ البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، من حديث شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): مناسبة هذا الحديث ظاهرة؛ إذ محبة الرسول من محبة الله، ولأنه إذا كان لا يكمل الإيمان حتى يكون الرسول أحب إلى الإنسان من نفسه والناس أجمعين؛ فمحبة الله أولى وأعظم. اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥٣). وقال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه دليلاً على وجوب تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل مخلوق، وأن تحقيق الإيمان مشروط بذلك. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٥٢).

ولهما عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان﴿١﴾: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما

﴿١﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى. ومن قال إن اللذة إدراك الملائم، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء، فقد غلط في ذلك غلطاً بيناً؛ فإن الإدراك يتوسط بين المحبة واللذة، فإن الإنسان مثلاً يشتهي الطعام، فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة، فاللذة تتبع النظر إلى الشيء، فإذا نظر إليه التذ، فاللذة تتبع النظر ليست نفس النظر، وليست هي رؤية الشيء؛ بل تحصل عقيب رؤيته، وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]. اهـ. الفتاوى (١٠/ ٢٠٥).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): سمعت شيخ الإسلام يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتهمه، فإن الله تعالى شكور. اهـ. مختصر مدارج السالكين (٣١٢).

وقال ابن رجب (٧٩٥هـ): فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره... فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي. اهـ. فتح الباري «لابن رجب» (١/ ٤٥).

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): قال ابن أبي جمرة: إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. قلت: والشجرة لها ثمرة، والشجرة لها حلاوة، فكذلك شجرة الإيمان لا بد لها من ثمرة، ولا بد لتلك الثمرة من حلاوة. لكن قد يجدها المؤمن وقد لا يجدها، وإنما يجدها بما ذكر في الحديث. اهـ. التيسير (٣٩٤).

سواهما﴿١﴾﴿٢﴾، ....

﴿١﴾ قال ابن حجر: عبر بـ«ما» دون «من» لعمومها، وما سواهما جميع المخلوقات. الفتح (١/ ٦١).

﴿٢﴾ اختلف أهل العلم في حكم الجمع بين اسم الله والمخلوق في ضمير واحد على أقوال:

القول الأول: الجواز، وبه قال الطحاوي، وابن الجزري، وابن عطية. واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦] فيصلون فيها جمع بين اسم الله واسم الملائكة في ضمير واحد، وبما رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، من حديث أنس مرفوعاً: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**». وبقوله ﷺ: «**من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه**» رواه أبو داود (١٠٩٧)، بإسناد ضعفه المنذري، وابن القيم، من حديث ابن مسعود. وبقول ابن مسعود رضي الله عنه - لما قضى في بروع بنت واشق -: إن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من الخطأ». وأجابوا على حديث عدي بن حاتم: بأن الخطيب وقف على: «**بئس الخطيب أنت**»، فجمع بين من أطاع الله ورسوله ومن عصى، والأولى أن يقف على: «**رشد**» ثم يقول: «**ومن يعصهما فقد غوى**».

القول الثاني: لا يجوز إلا في كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ دون غيرهما من الناس، وبه قال الشافعي، والخطابي، والبغوي، والقاضي عياض، وابن الأثير، وأبو العباس القرطبي، وأبو عبد الله القرطبي، وزين الدين العراقي، والعز بن عبد السلام، وابن حجر، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي. واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾. وبما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس مرفوعاً: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...**». وعلة نهي سائر الناس عن الجمع بينهما أن ذلك يقتضي التسوية بين الله ورسوله، كما قال الشافعي، والخطابي، وابن حجر، والسيوطي. ونوقش: بأن التخصيص يحتاج لدليل يدل على التخصيص، وبما جاء عن ابن مسعود - لما قضى في بروع -: إن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من الخطأ.

القول الثالث: لا يجوز مطلقاً، وبه قال أبو جعفر النحاس، واستدلوا بما خرجه مسلم (٧٨٠)، من حديث عدي بن حاتم، أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ =

....

= فقال: ومن يعصهما فقد غوى، فقال النبي ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله**». ونوقش: قال ابن رجب: وقد قيل بأن قوله: «**قل: ومن يعص الله ورسوله**» مدرجة في الحديث؛ وإنما أنكر عليه وقفه على قوله: «**ومن يعصهما**».اهـ. لأنه يقتضي التسوية بين الله ورسوله. وقول: «**قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى**» ذكرها وكيع عن سفيان الثوري، ولم يذكرها يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمٰن بن مهدي، والفريابي، وعبد الله بن الوليد، قال أبو حاتم: ابن مهدي أثبت من يحيى بن سعيد، وأتقن من وكيع.اهـ.

القول الرابع: أنه لا يمتنع في واو الجمع أو ألف التثنية المتصلين بالأفعال نحو: يفعلون، وتفعلان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، وبه قال أبو بكر الجصاص. ونوقش: قال ابن رجب: ومن منع ذلك: أجاب بأن في الكلام حذفاً تقديره: إن الله يصلي وملائكته يصلون.اهـ.

القول الخامس: أن الجمع يجوز إذا كان في تثنية الضمير إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب، كحديث: «**وأن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما**»؛ فمجموع المحبتين مراد، ولا تستقل محبة أحدهما عن الآخر، وأما إذا كان أحدهما مستقلاً عن الآخر أو لا يصح أن يجتمعا فلا يجوز تثنية ضميرهما، وبه قال البيضاوي، والطيبي، واستحسنه: ابن حجر، وسليمان بن عبد الله.

القول السادس: إذا كان المقام يحتاج إلى البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز فلا يثنِّيهما في الضمير، وعليه يحمل حديث الخطيب؛ لأن الخطابة تحتاج إلى بسط، وأما إن كان المقام لا يحتاج للبسط فلا يثنيهما كتعليم حكم وذلك للحفظ، وعليه يحمل حديث أنس رضي الله عنه، وبه قال النووي، والشوكاني، وأبو الطيب محمد بن شمس الحق العظيم آبادي. ونوقش: قال السندي: إنه ضعيف جداً إذ لو كان ذلك سبباً للإنكار لكان في محل حصل فيه بالضمير نوع اشتباه، وأما في محل لا اشتباه فيه فليس كذلك، وإلا لكان ذكر الضمير في الخطبة منكراً منهياً عنه مع أنه ليس كذلك، بل الإظهار في بعض المواضع في الخطب يكون منكراً، فتأمل.اهـ.

إكمال المعلم (٣/ ٧٥)، شرح النووي على مسلم (٦/ ٤٠٩)، الفتح «لابن رجب» (١/ ٦٣)، الفتح «لابن حجر» (١/ ٦٢)، التيسير (٣٧٩)، فتح الحميد (٣/ ١٣٧٣)، خطبة الحاجة (١٨).

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله﴿١﴾ **، وأن يكره أن يعود في الكفر**﴿٢﴾ **بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**﴿٣﴾ **»**﴿٤﴾ . وفي رواية:

﴿١﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وإنما كانت هذه الخصلة تالية لما قبلها؛ لأن من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقد صار حبه كله له، ويلزم من ذلك أن يكون بغضه لله وموالاته له ومعاداته له، وأن لا تبقى له بقية من نفسه وهواه، وذلك يستلزم محبة ما يحبه الله من الأقوال والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك، وكذلك من الأشخاص، ويلزم من ذلك معاملتهم بمقتضى الحب والبغض، فمن أحبه الله أكرمه وعامله بالعدل والفضل، ومن أبغضه لله أهانه بالعدل.اهـ. قال ابن قاسم: وحقيقة الحب في الله أن لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر.اهـ. الفتح «لابن رجب» (١/ ٥٦)، حاشية ابن قاسم (٢٣٦).

﴿٢﴾ قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) في بيان معنى كراهية ما يكرهه الله تعالى: واعلم أن القدر الواجب من كراهة الكفر والفسوق والعصيان هو أن ينفر من ذلك ويتباعد منه جهده ويعزم على أن لا يلابس شيئاً من جهده لعلمه بسخط الله له وغضبه على أهله. فأما ميل الطبع إلى ما يميل من ذلك ـ خصوصاً لمن اعتاده ثم تاب منه ـ فلا يؤاخذ به إذا لم يقدر على إزالته.اهـ. فتح الباري (١/ ٥٣).

﴿٣﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وقوله: «**بعد إذ أنقذه الله منه**» لا يستلزم أنه كان واقعاً فيه، فإن كل من أدخل الله الإسلام في قلبه فقد أنقذه الله من الكفر وإن لم يكن قد وقع في الكفر قبل ذلك؛ وهذا كما قال شعيب ﷺ: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. والمراد: أنه ينجيهم من الشرك ويدخلهم في الإيمان؛ وكثير منهم لم يكن داخلاً في الشرك قط.اهـ. الفتح (٩٣).

قال ابن عثيمين: قوله: «**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»، هذه الصورة في كافر أسلم؛ فهو يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار، وإنما ذكر هذه الصورة؛ لأن الكافر يألف ما كان عليه أولاً؛ فربما يرجع إليه، بخلاف من لا يعرف الكفر أصلاً.اهـ. القول المفيد (٢/ ٥٥).

﴿٤﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله؛ وذلك =

. . . .

= بثلاثة أمور، تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها. «فتكميلها» أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. و«تفريعها» أن يحب المرء لا يحبه إلا لله. و«دفع ضدها» أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار. اهـ. الفتاوى (١٠/٢٠٦).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابِّك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صَعُب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة؛ ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلـٰهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ. =

«لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى...»﴿١﴾ إلى آخره﴿٢﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «من أحب في الله﴿٣﴾، وأبغض في الله، ووالى في الله﴿٤﴾، وعادى في الله، فإنما تنال وَلاية﴿٥﴾ الله

= فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة.اهـ. مدارج السالكين (٣/ ١٧)، الفتح «لابن رجب» (١/ ٥٣).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): أتى المؤلف بهذه الرواية؛ لأن انتفاء وجدان حلاوة الإيمان بالنسبة للرواية الأولى عن طريق المفهوم، وهذه عن طريق المنطوق، ودلالة المنطوق أقوى من دلالة المفهوم. القول المفيد (٢/ ٥٥).

﴿٢﴾ البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، من حديث أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال صالح آل الشيخ: إن محبة الله ورسوله يجب أن تكون مقدمة على محبة ما سواهما، وأنها من كمال الإيمان، وأن العبد لن يجد كمال الإيمان إلا بذلك.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٦٤).

وقال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه فضيلة تقديم محبة الله ورسوله محمد ﷺ على محبة ما سواهما.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١/ ٢٥٤).

﴿٣﴾ سئل الإمام أحمد عن الحب في الله فقال: هو ألا يحبه لطمع الدنيا. طبقات الحنابلة (١/ ٥٦).

﴿٤﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): هذا بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة. فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب، وهي النصرة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً.اهـ. التيسير (٣٩٨).

﴿٥﴾ الولاية ـ بالفتح ـ هي: المحبة والنصرة. يقال: والى ولاية يعني: أحب محبة، ونصر نصرة، وأما الولاية ـ بالكسر ـ فهي: الملك والإمارة قال ـ جل وعلا ـ: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]؛ يعني: أن المحبة والنصرة إنما هي لله ـ جل وعلا ـ وليست لغيره، فقوله: «فإنما تنال ولاية الله بذلك»؛ يعني: تنال محبة الله ونصرته بذلك، بأن يأتي بالمحبة في الله والبغض في الله. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٦٥). =

بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك؛ وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً»﴿١﴾ . ...

= - بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وعبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٩٣هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ) أن الموالاة لازم الحب في الله، والمعاداة لازم البغض في الله. فقال شيخ الإسلام (ت٧٢١هـ): وأصل الموالاة هي المحبة، كما أن أصل المعاداة البغض، فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف.اهـ. قاعدة في المحبة (٣٨٧). وانظر: الفتاوى (١٤/ ٢٨٠)، (١٨/ ٢٧٢).

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن (ت١٢٩٣هـ): أصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك من الأعمال.اهـ. الدرر السنية (٢/ ١٥٧).

وقال العلامة السعدي (ت١٣٧٦هـ): فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل.اهـ. الفتاوى السعدية (٩٨).

﴿١﴾ **أقسام محبة الأشخاص:**

القسم الأول: المحبة الخالصة، وهي أن يحبه لله، ويدل عليها حديث أنس رضي الله عنه.

القسم الثاني: المحبة المشتركة، وهي أن يحبه لله وللمنافع التي يحصلها من ورائه. قال شيخ الإسلام: يجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه ومعاداته وموالاته تبعاً لحب الله ورسوله ولأمر الله ورسوله.اهـ. مختصر الفتاوى المصرية (٤٧١). قال ابن القيم بعد أن عدد أنواع المحبة: الرابع: المحبة مع الله وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئاً مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه نداً من دون الله، وهذه محبة المشركين.اهـ. الجواب الكافي (١٣٤).

وقال شيخ الإسلام حول المحبة التي تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى: لا شك أنه نقص في توحيد المحبة لله، وهو دليل على نقص محبة الله تعالى إذ لو كملت محبته لم يحب سواه. فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى.اهـ. الفتاوى (١/ ٩٤). =

رواه ابن جرير[١].

أخرجه: ابن المبارك «الزهد» (٣٥٣)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٤)، من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والأثر معلول؛ لأمور:

١ ـ أن ليث بن أبي سليم مجمع على سوء حفظه، كما قال الحاكم[٢].

٢ ـ أن ليث بن أبي سليم قد اضطرب فيه، فرواه مرة عن مجاهد عن ابن عباس موقوفاً، ومرة عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً[٣]، ومرة

= **القسم الثالث**: المحبة الدنيوية، وهي أن يحبه من أجل المصالح فقط، وهذه المحبة يدل عليها حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهي محرمة؛ لأن محبة المسلم واجبة؛ لقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**» رواه مسلم (٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال مالك: المحبة في الله من واجبات الإسلام. وانظر كلام شيخ الإسلام السابق. قال شيخ الإسلام: وأما من أحب شخصاً لهواه مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه أو لحاجة يقوم له بها أو لمال يتآكله به، أو بعصبية فيه، ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة لله؛ بل هذه محبة لهوى النفس، وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان. اهـ. الفتاوى (١١/ ٥٢٠).

[١] لم أعثر عليه في تفسير الطبري، وممن عزاه إليه ابن رجب في جامع العلوم والحكم.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه أن حصول محبة الله لعبده ونصرته له مشروطٌ بأمرين: أحدهما: محبة أولياء الله وبغض أعدائه بالقلب. ثانيهما: إظهار محبة أولياء الله وبغض أعدائه بالفعل من مناصرة أوليائه وجهاد أعدائه. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٥٦).

[٢] قال الإمام أحمد: مضطرب الحديث، ولكن حدث عنه الناس، وقال ابن معين والنسائي: ضعيف، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره، وقال ابن معين أيضاً: لا بأس به. المغني في الضعفاء (١/ ١٢٧)، التهذيب (٨/ ٤٦٧).

[٣] الطبراني «المعجم الكبير» (١٢/ ٤١٧)، من طريق الثوري، عن ليث، عن ابن عمر موقوفاً.

عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً[١].

٣ ـ أن زُبَيْد اليامي ـ ثقة ـ رواه عن مجاهد من قوله بلفظ: «إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[٢]، وزبيد أوثق من ليث بن أبي سليم[٣].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، قال: المودة[٤][٥].

﴿١﴾ رواه أبو نعيم، رواه عن ليث كل من حماد بن زيد وزائدة بن قدامة وزهير بن معاوية والثوري. الحلية (١/ ٣١٢)، ابن المبارك «الزهد» (٣٥٣)، العدني «الإيمان» (١٢٨).

﴿٢﴾ تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٠٧).

﴿٣﴾ وجاء ما يشهد للحديث؛ لكن بأسانيد ضعيفة، من أقواها:

ما رواه أبو داود (٤٦٨١)، من طريق يحيى بن الحارث، عن القاسم بن عبد الرحمٰن الشامي، عن أبي أمامة مرفوعاً بلفظ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**». **والحديث ضعفه العراقي**؛ لأن فيه القاسم بن عبد الرحمٰن الشامي، قال ابن حجر: صدوق يُغرب كثيراً.اهـ. وقال الذهبي: قال أحمد بن حنبل: روى عنه علي بن يزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قبل القاسم. وقال ابن حبان: يروي عن أصحاب رسول الله المعضلات.اهـ. وقال ابن حبان: واهٍ.اهـ. وقد تفرد به. المجروحين (٢/ ٢٨٢)، المغني (١/ ١٢٠)، فيض القدير (٦/ ٢٩).

﴿٤﴾ وبه قال قتادة (١١٧هـ). قال ابن القيم (٧٥١هـ): قال عطاء عن ابن عباس: المودة، وقال مجاهد: تواصلهم في الدنيا، وقال الضحاك: يعني تقطعت بهم الأرحام وتفرقت بهم المنازل في النار، وقال أبو صالح: الأعمال، والكل حق، فإن الأسباب هي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت بهم أحوج ما كانوا إليها، وأما أسباب الموحدين المخلصين لله فاتصلت بهم ودام اتصالها بدوام معبودهم ومحبوبهم، فإن السبب تبع لغايته في البقاء والانقطاع.اهـ. زاد المسير (٩٩)، إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٣).

﴿٥﴾ رواه ابن جرير الطبري «التفسير» (٢/ ٣٤)، الحاكم (٢/ ٢٧٢)، من حديث عيسى بن أبي عيسى، عن قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس. =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة. **الثانية**: تفسير آية براءة. **الثالثة**: وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال. **الرابعة**: نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام﴿١﴾. **الخامسة**: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها. **السادسة**: أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها. **السابعة**: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا. **الثامنة**: تفسير ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾. **التاسعة**: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً﴿٢﴾.

= **وإسناده صحيح**؛ لأن عيسى بن أبي عيسى هو «ابن الجرشي»، وقد وثقه أبو حاتم. وليس هو «الحناط» المتروك، وتصحيح الحاكم يدل على أنه ابن ميمون الجرشي لا الحناط. وقد نص ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٤٩٣) على أن عيسى هو «ابن ميمون».

علاقة الأثر بالباب: أن المحبة الباقية والنافعة هي التي تكون من أجل الله، قال الشيخ محمد بن عثيمين (١٤٢١هـ): إن جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون لتنجيهم تتقطع بهم، ومنها محبتهم لأصنامهم وتعظيمهم إياها؛ فإنها لا تنفعهم.اهـ. وهذه الآية وإن كانت نزلت في المشركين عباد الأوثان الذين يحبون أندادهم وأوثانهم كحب الله، فإنها عامة؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ولهذا «قال قتادة: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ قال: أسباب الندامة يوم القيامة». والأسباب: المواصلة التي يتواصلون بها ويتحابون بها، فصارت عداوة يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً. رواه عبد بن حميد وابن جرير، فهذا حال من كانت مودته لغير الله، فاحذر من ذلك.اهـ. التيسير (٤٠٠)، القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٦١).

﴿١﴾ في كلام إمام الدعوة هنا تفسير للمراد من نفي الإيمان، وهو خلاف ما جاء عنه لما سئل عن أحاديث الوعد والوعيد، فقال: وفي القرآن آيات في الوعد والوعيد.. ومن أحسن ما قيل في ذلك: أمِرُّوها كما جاءت، معناه: لا تتعرضوا لها بتفسير.اهـ. الدرر السنية (١/ ١٨٥).

﴿٢﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾؛ ولقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، فأشد اسم تفضيل يدل على =

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه﴿١﴾. **الحادية عشرة**: أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر﴿٢﴾.

= الاشتراك. مدارج السالكين (٣/ ٢٠)، القول المفيد (٢/ ٦٠).

﴿١﴾ لقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

﴿٢﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

ـ **والمحبة تنقسم إلى ثلاثة أنواع:**

النوع الأول: **المحبة الخاصة**، وهي محبة العبودية، وهي التي يجب أن تكون خالصةً لله ﷻ، وهي التي يكون معها ذل وتعظيم للمحبوب، وحب للمحبوب لكماله وأنه أهل أن يحب لذاته وصفاته كما قال ابن القيم. فهذه لا يجوز صرفها لغير الله، كما لا يجوز السجود لغير الله، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، فإنه لا تجوز محبة غير الله محبة عبودية يصحبها ذلٌّ وخضوع وطاعةٌ للمحبوب، وإنما هذه حقٌّ لله ﷻ. ولهذا يقول العلامة ابن القيم، رحمه الله في «النونية»:

وعبادة الرحمٰن غاية حبه ... مع ذلٌّ عابده هما قطبان
وعليه فَلَك العبادة دائر ... وما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان

وقال ابن القيم: المحبة الخاصة، التي لا تصلح إلا لله وحده، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله، فهي محبة العبودية، المستلزمة للذل والخضوع، والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره. فهذه المحبة لا يجوز تعليقها بغير الله أصلاً، وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها.اهـ طريق الهجرتين (٤٤١).

النوع الثاني: **المحبة الجائزة**، وهي التي ليستْ محبة عبودية؛ لأنها لا تتضمن ذلّاً وخضوعاً لغير الله، وهي **قسمان**:

القسم الأول: محبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالب لها محبة الله؛ أي: كون الشيء محبوباً لله تعالى من أشخاص؛ كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين. أو أعمال؛ كالصلاة، والزكاة، وأعمال الخير، أو غير ذلك. قال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ) عن حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك: وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد بها الإنسان ربه.اهـ. الدرر السنية (١٣/ ٧٣).

وقال ابن القيم في بيان المحبة في الله ولله: المحب في الحب تابع لمحبة الله =

. . . .

= فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة ان يحب ما يحبه الله، فإذا أحب ما أحبه ربه ووليه، كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسله وأنبياءه وملائكته وأوليائه لكونه تعالى يحبهم، ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم.

وعلامة هذا الحب والبغض في الله أنه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حباً لإحسانه إليه وخدمته له وقضاء حوائجه، ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضاً إذا وصل إليه من جهته من يكرهه ويؤلمه إما خطأ وإما عمداً مطيعاً لله فيه أو متأولاً أو مجتهداً أو باغياً نازعاً تائباً. اهـ. الروح (١/ ٢٥٣).

وقال شيخ الإسلام: وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه مثل أن يحب مع الله غيره. فإن كانت محبته لله مثل حب النبيين والصالحين والأعمال الصالحة فليست من هذا الباب؛ **لأن هذه تدل على حقيقة المحبة**؛ لأن حقيقة المحبة أن يحب المحبوب وما أحبه ويكره ما يكرهه. اهـ. الفتاوى (١/ ٩٣).

القسم الثاني: المحبة المشتركة: كمحبة الطعام والمسكن والزوجة «وتسمى محبة طبيعية»، ومحبة الوالد، والمعلم، والكبير من أهل الخير «وتسمى محبة إجلال»، ومحبة الولد، والضعفاء، والمرضى «وتسمى محبة رحمة وإشفاق»، ومحبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضاً ومحبة الإخوة بعضهم بعضاً «وتسمى محبة أنس وألفة». طريق الهجرتين (٤٤١)، الدرر السنية (٢/ ٣٢٢).

قال ابن عثيمين: وأشرف هذه الأقسام القسم الأول، والبقية من قسم المباح؛ إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة؛ فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب؛ من أجل أن يقوم ببر والده، صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله بإصلاح هذا الولد صارت عبادة. اهـ. قال إمام الدعوة عن محبة الولد والوالد: إذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تعن على محارم الله، فهي مباحة. اهـ. الدرر السنية (١٣/ ٧٣).

قال ابن القيم: الحب مع الله نوعان، نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك، ونوع يقدح في كمال الإخلاص ومحبة الله ولا يخرج من الإسلام.. والنوع الثاني ـ التي تقدح في كمال الإخلاص: محبة ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيحبها محبة شهوة؛ كمحبة الجائع =

= للطعام والظمآن للماء، فهذه المحبة ثلاثة أنواع؛ فإن أحبها لله **توصلاً بها إليه واستعانة على مرضاته وطاعته** أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه ويلتذ بالتمتع بها، وهذا حاله أكمل الخلق الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عوناً له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره، وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته **ولم يؤثرها** على ما يحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه، وإن كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها **وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه** كان ظالماً لنفسه متبعاً لهواه؛ فالأولى محبة السابقين، والثانية محبة المقتصدين، والثالثة محبة الظالمين.اهـ. الروح (١/ ٢٥٤).

وقال شيخ الإسلام حول المحبة التي تتعلق بالنفوس لغير الله تعالى: لا شك أنه نقص في توحيد المحبة لله، وهو دليل على نقص محبة الله تعالى إذ لو كملت محبته لم يحب سواه. فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى.اهـ. الفتاوى (١/ ٩٤).

النوع الثالث: المحبة المحرمة:

١ ـ **المحبة التي تدفعك لفعل محرم أو ترك واجب**: كترك صلاة محبة للمال، أو ترك أمر بمعروف محبة للمنصب، فهذه محبة محرمة. ومن أهل العلم من قال: إنها من الشرك الأصغر؛ لقوله ﷺ: «**تعس عبد الدينار...**»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن المتحابين يحب أحدهما ما يحب الآخر بحسب الحب، فإذا اتبع أحدهما صاحبه على محبته ما يبغضه الله ورسوله، نقص من دينهما بحسب ذلك إلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾، **والذين قدموا محبة المال الذي كنزوه، والمخلوق الذي اتبعوه، على محبة الله ورسوله**، كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك، فلهذا ألزمهم محبوبهم، كما في الحديث: «**يقول الله تعالى: أليس عدلاً مني أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا**».اهـ. وقال ابن القيم في أحكام المحبة المشتركة: وإن كانت هي مقصودة ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها **وقدمها على ما يحبه الله ويرضاه منه** كان ظالماً لنفسه متبعاً لهواه.اهـ. وهذه ليست من الشرك الأكبر؛ لأن حال هؤلاء هو إيثار هذه الأشياء على فعل أمر الله ورسوله لا محبة هذه الأشياء محبة تأله وتعظيم وذل؛ لأن من ساوى بين الله وبين =

. . . .

= غيره في هذا الحب فهو مشرك، قال بمعناه سليمان بن عبد الله.

٢ ـ محبة المعاصي، مثل محبة الزنا أو الخمر: فقيل: إن هذه المحبة ليست من باب الشرك الأصغر، لأنه يلزم من ذلك أن تكون المعاصي التي هي من الكبائر من الشرك الأصغر، وهذا لم يقل به أحد، وإنما المعاصي منها ما هو كبائر ومنها ما هو صغائر. اهـ. لكن جاء ما يدل على أن محبة المعاصي شرك، قال ابن القيم عند بيان أقسام المحبة: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية وكل من أحب شيئاً مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه نداً من دون الله وهذه محبة المشركين. اهـ. الجواب الكافي (١/ ١٣٤).

وقال شيخ الإسلام: الإنسان لا يفعل الحرام إلا لضعف إيمانه. . لكن إذا كان أصل الإيمان صحيحاً وهو التصديق فإن هذه المحرمات يفعلها المؤمن **مع كراهته وبغضه لها** فهو إذا فعلها لغلبة الشهوة عليه فلا بد أن يكون مع فعلها **فيه بغض لها** وفيه خوف من عقاب الله عليها، وفيه رجاء لأن يخلص من عقابها إما بتوبة وإما حسنات. . وهو فيما يفعله ـ من الحرام ـ متبع للشيطان فيما زينه له حتى رآه حسناً وفيما أمره به فأطاعه، **وهذا من الشرك بالشيطان** كما قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس]؛ ولهذا لم يخلص من الشيطان إلا المخلصون لله كما قال تعالى عن إبليس: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل]، فإذا كان الشيطان ليس له سلطان إلا على من أشرك به **فكل من أطاع الشيطان في معصية الله** فقد تسلط الشيطان عليه وصار فيه من الشرك بالشيطان بقدر ذلك. . فجميع ما نهى الله عنه هو من شعب الكفر وفروعه كما أن كل ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص لدين الله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، لكن قد يكون ذلك شركاً أكبر وقد يكون شركاً أصغر بحسب ما يقترن به من الإيمان، فمتى اقترن بما نهى الله عنه الإيمان لتحريمه وبغضه وخوف العقاب ورجاء الرحمة لم يكن شركاً أكبر، وأما إن =

....

= اتخذ الإنسان ما يهواه إلهاً من دون الله وأحبه كحب الله فهذا شرك أكبر، والدرجات في ذلك متفاوتة. اهـ. قاعدة في المحبة (١٠٤ ـ ١٠٦).

والمحبة عمل من أعمال القلوب، والاستمرار على هذه محبة المعاصي هو من الإصرار على المعصية، وقد قرر ابن القيم أن الإصرار على المعصية يؤدي إلى الشرك، حيث قال: ولا يمكن مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد حتى لا يشرك بالله شيئاً هذا من أعظم المحال ولا يلتفت إلى جدلي لا حظ له من أعمال القلوب بل قلبه كالحجر أو أقسى يقول: وما المانع وما وجه الإحالة ولو فرض ذلك واقعاً لم يلزم منه محال لذاته فدع هذا القلب المفتون بجدله وجهله. واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله ورجائه لغير الله وحبه لغير الله وذله لغير الله وتوكله على غير الله: ما يصير به منغمساً في بحار الشرك والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه إن كان له عقل، فإن ذل المعصية لا بد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفاً من غير الله تعالى وذلك شرك ويورثه محبة لغير الله واستعانة بغيره في الأسباب التي توصله إلى غرضه فيكون عمله لا بالله ولا لله، وهذا حقيقة الشرك نعم. اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٢٦).

الإيمان (٧٠)، الفتاوى (١٥/ ٢٩٣)، روضة المحبين (٢٨٢)، التيسير (٣٨٩، ٣٩١)، القول المفيد (٢/ ٤٥)، إعانة المستفيد (٣/ ٥٢).



باب: قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

[آل عمران]

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره».

وعن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس». رواه ابن حبان في صحيحه.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية آل عمران. الثانية: تفسير آية براءة. الثالثة: تفسير آية العنكبوت. الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى. الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث. السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض. السابعة: ذكر ثواب من فعله. الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

❁ ❁ ❁





٣٢ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴿١﴾ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ ﴿٢﴾ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

....

﴿١﴾ والمعنى: يخوفكم أولياءه. قال ابن الأنباري: تقول العرب: قد أعطيت الأموال، يريدون: أعطيت القوم الأموال، فيحذفون القوم، ويقتصرون على ذكر المفعول الثاني. زاد المسير (٢٤٢).

﴿٢﴾ قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): الخوف: مصدر خاف إذا فزع ووجل، لكن الخوف يتعلق بالمكروه، والفزع بما فجأ منه، وهو: انزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل، والوجل من غير متعد، والخوف من متعد. حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم (٥٩). وقال ابن القيم: الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله؛ كالذلّ والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب. اهـ. والخوف: هو الحذر من المرهوب والمكروه، فالخوف من الله: خوف من عذابه ومن سخطه. وقال الراغب الأصفهاني: الخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب؛ كاستشعار الخوف من الأسد، بل يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات؛ ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً. اهـ. المفردات (٣٠٣).

وقال ابن القيم: الخوف المحمود ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط...

ثم قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الخوف المحمود ما حجزكم عن محارم الله. اهـ. مدارج السالكين (١/ ٥٥١).

وقال ابن رجب: ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضاً؛ ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفضل ما يحبه وترك ما يكرهه. اهـ. التخويف من النار «لابن رجب» (١٨). =

. . . .

= فتبين مما تقدم أن الخوف النافع المحمود هو الذي يؤدي إلى البعد عن الذنوب ويحث على أداء الواجبات، قال ابن القيم: وهو ـ الخوف ـ ينشأ من ثلاثة أمور، **أحدها**: معرفته بالجناية وقبحها، **والثاني**: تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها، **والثالث**: أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب. فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف، وبحسب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفه، فإن الحامل على الذنب إما أن يكون عدم علمه بقبحه، وإما عدم علمه بسوء عاقبته، وإما أن يجتمع له الأمران لكن يحمله عليه اتكاله على التوبة وهو الغالب من ذنوب أهل الإيمان، فإذا علم قبح الذنب وعلم سوء مغبته وخاف أن لا يفتح له باب التوبة بل يمنعها ويحال بينه وبينها اشتد خوفه. اهـ. طريق الهجرتين (٢٨٣).

ومما يزيل الخوف من غير الله ما قاله ابن القيم: والذي يحسم مادة الخوف: هو التسليم لله، فإن من سلم لله واستسلم له وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع. اهـ. التفسير القيم لابن القيم (٢/ ٢١٠). وقال أيضاً: إن ذكر الله ﷻ يذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله ﷻ إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف ومن له أدنى حس قد جرب هذا. اهـ. الوابل الصيب (١٠٥).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال السعدي (١٣٧٦هـ): هذا الباب عقده المصنف لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك. اهـ. القول السديد (١١٧). وقال ابن عثيمين: مناسبة الخوف للتوحيد: أن من أقسام الخوف ما يكون شركاً منافياً للتوحيد. القول المفيد (٢/ ٧٠).

وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): فمن سوى بين الخالق والمخلوق، في الحب له، أو الخوف منه، والرجاء له، فهو مشرك. اهـ. الفتاوى (٢٧/ ٣٣٩).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): ومن أنواعه ـ الشرك ـ: **الخوف من غير الله**، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابة والخضوع والذل لغير الله، وابتغاء =

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴿١﴾ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴿٢﴾ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ

= الرزق من عند غيره، وحمد غيره على ما أعطى والغنية بذلك عن حمده سبحانه.اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٤٥).

علاقة الباب بالباب السابق: ذكر المصنف باب الخوف والرجاء بعد باب المحبة؛ لأن من حقق المحبة فلا بد أن يكون خائفاً من فقدانها وراجياً بقاءها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً. كما قال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾؛ إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وعدم حصول مرغوبه، فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء؛ قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء].اهـ. الفتاوى (١٠/ ٢١٥)، رسالة العبودية لابن تيمية (٣٠).

﴿١﴾ قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): والمراد بالعمارة قولان: أحدهما: دخوله والجلوس فيه. والثاني: البناء له وإصلاحه.اهـ.

قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): والمراد بالعمارة العمارة المعنوية، وهي عمارتها بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ونحوها، وكذلك الحسية بالبناء الحسي.اهـ. زاد المسير (٥٧٢)، القول المفيد (٢/ ٧١).

﴿٢﴾ قال ابن عطية (٥٤١هـ): يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة.اهـ. قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): قلت: ولهذا قال ابن عباس في الآية: لم يعبد إلا الله، فإن الخوف كما قال ابن القيم: عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله؛ كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب.اهـ.

قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): الخشية نوع من الخوف؛ لكنها أخص منه، والفرق بينهما:

١ ـ أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، والخوف قد يكون من الجاهل.

٢ ـ أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي، بخلاف الخوف؛ فقد يكون من =

﴿ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [التوبة]﴿١﴾.

وقــولــه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]﴿٢﴾.

عن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً: «إن من ضعف اليقين﴿٣﴾ أن ترضي

= ضعف الخائف لا من قوة المخوف. اهـ. قال الخفاجي: والخشية هي خوفه مع الإجلال والتعظيم. اهـ.

٣ ـ وقيل: الخوف التطلع لنفس الضرر، والخشية التطلع لفاعل الضرر، ذكره القرطبي. المفهم «للقرطبي» (٣/ ١٦٥)، التيسير (٤٠٨)، تيسير اللطيف المنان (٢٨٤)، القول المفيد (٢/ ٧٣).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالترجمة،** قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): إنه لا يعمر مساجده حقيقة إلا الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وداوموا على إقام الصلاة بأركانها وواجباتها وسننها، وأعطوا الزكاة مستحقيها، وأخلصوا لله الخشية؛ أي: المخافة والهيبة التي ينبني عليها أساس العبادة، والتي هي مخ عبودية القلب، ولا تصلح إلا لله وحده، وهي الشرط الذي هو وجه مناسبة الآية للترجمة. اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٤٥). وقال الشيخ صالح الفوزان: إن فيها وجوب إخلاص الخشية؛ أي الخوف والهيبة التي هي أساس العبادة لله وحده. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١/ ٢٦٣).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالترجمة،** قال ابن قاسم: ومطابقة الآية للترجمة: أن الخوف من الناس أن ينالوه بما يكره بسبب الإيمان بالله من جملة الخوف من غير الله. اهـ. حاشية كتاب التوحيد «لابن قاسم» (٢٤٦).

وقال ابن عثيمين: فهذا يجعل فتنة الناس كعذاب الله؛ فيفر من إيذائهم بموافقة أهوائهم وأمرهم جعلاً لهذه الفتنة كالعذاب؛ فحينئذ يكون قد خاف من هؤلاء كخوفه من الله؛ لأنه جعل إيذاءهم كعذاب الله، ففر منه بموافقة أمرهم؛ فالآية موافقة للترجمة. اهـ. القول المفيد (٢/ ٧٥).

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): اليقين: طمأنينة القلب واستقرار العلم فيه، وينتظم اليقين منه أمران: علم القلب وعمل القلب. اهـ.

قال ابن القيم: واليقين: استقرار الإيمان في القلب علماً أو عملاً. اهـ. قال أيضاً: فإن اليقين يراد به العلم المستقر في القلب، ويراد به العمل بهذا العلم، =

الناس بسخط الله﴿١﴾، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»﴿٢﴾.

أخرجه: أبو نعيم «الحلية» (٥/ ١٠٦)، والبيهقي «الشعب» (١/ ٥٢٥)، من طريق علي بن محمد بن مروان، عن أبيه «محمد بن مروان السدي»، عن عمرو بن قيس، عن عطية بن سعد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ضعَّفه: أبو نعيم، والبيهقي، وسليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن﴿٣﴾.

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن علي بن محمد﴿٤﴾ قد تفرد به، كما قال أبو نعيم﴿٥﴾.

= فلا يطلق الموقن إلا على من استقر في قلبه العلم والعمل.اهـ. الفتاوى (٣/ ٣٢٩، ١٦/ ٣٣٧).

وقال سليمان بن عبد الله: واليقين المراد به: الإيمان كله، كما قال ابن مسعود: «اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان»، رواه الطبراني بسند صحيح.اهـ. التيسير (٤١١).

﴿١﴾ وهذا مثل ما ذكر في الآية: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾. إعانة المستفيد (٣/ ٩٢).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال صالح آل الشيخ: إن إرضاء الناس بسخط الله معصية وذنب ومحرم؛ لأن هذا الذي أرضى الناس بسخط الله خافهم أو رجاهم، وهذا مناسبة إيراد الحديث في الباب.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد.

﴿٣﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: وحديث أبي سعيد حديث ضعيف؛ ولكنّ الشيخ رحمه الله، من قاعدته أن لا يذكر الحديث الضعيف إلّا إذا كان له ما يؤيِّده، وهذا الحديث تؤيِّده الآية التي قبله.اهـ. الشعب (٥٢٧)، التيسير (٤١٠)، إعانة المستفيد (٣/ ٩٥).

﴿٤﴾ لم أجد له ترجمة.

﴿٥﴾ قال أبو نعيم (٤٣٠هـ): غريب من حديث عمرو، تفرد به علي بن =

٢ ـ أن محمد بن مروان السدي متروك، كما قال أبو حاتم، والنسائي[١].

٣ ـ أن عطية بن سعد العوفي ضعفه هشيم، والقطان، وأحمد، والثوري، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، وابن حبان، والدارقطني، وغيرهم[٢].

٤ ـ الإشكال في متنه[٣].

وعن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس[٤]؛ ومن التمس رضا

= محمد بن مروان، عن أبيه.اهـ. حلية الأولياء (٥/ ١٠٦).

[١] الجرح والتعديل (٨/ ٨٦)، الكامل (٦/ ٢٦٣)، المغني (١/ ٤٦)، التقريب (٥٦٣).

[٢] العلل لأحمد (١٣٠٦)، التاريخ الكبير (٨/ ٧)، الطبقات الكبرى (٦/ ٢١٧)، المجروحين (٢/ ١٠٦)، الميزان (٣/ ٧٩).

[٣] قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ولا ينافي هذا الحديث: «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»؛ لأن شكرهم إنما هو بالدعاء لهم؛ لكون الله ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث: «**من صنع إليكم معروفاً فكافؤوه، فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**». فإضافة الصنيعة إليهم إنما هو لكونهم صاروا أسباباً في إيصال المعروف إليك، وإلا فالذي قدره وساقه هو الله وحده.اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٤٤).

وقال الشيخ صالح الفوزان: وليس معنى ذلك أن الإنسان لا يحرص على طلب الخير، قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله**»، فجمع بين الأمرين: الحرص والاستعانة. فالحرص ليس مذموماً، وإنما المذموم: الاعتماد على الحرص واعتقاد أنه يحصل به المطلوب. إعانة المستفيد (٣/ ٩٥). وسيأتي إن شاء الله الكلام على حكم إضافة النعم لغير الله.

[٤] «التمس»: طلب، ومنه قوله ﷺ في ليلة القدر: «**التمسوها في العشر**». «**والناس**»: الألف واللام للعهد، ويقصد بالناس الذين يسخطون فعل الطاعات لا كل الناس. القول المفيد (٢/ ٨١).

الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس». رواه ابن حبان في صحيحه[١].

أخرجه: ابن حبان (/ ٢٧٦)، من طريق عثمان بن واقد، عن أبيه، عن محمد بن المنكدر، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها.

ضعَّفه: العقيلي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، والبيهقي، والدارقطني[٢].

والصواب أنه موقوف؛ لأمور:

١ ـ أن شعبة رواه عن عثمان بن واقد، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة موقوفاً[٣]، وشعبة أوثق من عثمان بن واقد، وقد رجح أبو حاتم وأبو زرعة رواية شعبة[٤].

٢ ـ أن هشام بن عروة رواه عن عروة، عن عائشة من قولها[٥].

٣ ـ أن الأئمة، كأبي حاتم، وأبي زرعة، والبيهقي، والدارقطني، والعقيلي، رجحوا أنه من قول عائشة رضي الله عنها[٦].

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال ابن عثيمين: مناسبة الحديث للترجمة: قوله: «**ومن التمس رضا الناس بسخط الله**»؛ أي: خوفاً منهم حتى يرضوا عنه؛ فقدم خوفهم على مخافة الله تعالى.اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٨٢).

﴿٢﴾ علل الدارقطني (١٤/ ١٨٣)، علل ابن أبي حاتم (١٨٠٠، ١٨٢٧)، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٣٤٣).

﴿٣﴾ علل ابن أبي حاتم (٢/ ١٠٣).

﴿٤﴾ ذكر الدارقطني الاختلاف على شعبة، ثم رجح أنه عنه لا يثبت مرفوعاً. العلل (١٤/ ١٨٣).

﴿٥﴾ الترمذي (٢٤١٤).

﴿٦﴾ علل الدارقطني (١٤/ ١٨٣)، علل ابن أبي حاتم (١٨٠٠، ١٨٢٧)، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٣٤٣). وقال العقيلي: ولا يصح في الباب مسنداً، وهو موقوف من قول عائشة رضي الله عنها.

الخلاصة: الحديث الراجح فيه أنه عن عائشة ﵂ من قولها؛ لكن جاء ما يشهد لمعناه عند البخاري (٢٨٨٧)، من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعاً بلفظ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران. **الثانية**: تفسير آية براءة. **الثالثة**: تفسير آية العنكبوت. **الرابعة**: أن اليقين يضعف ويقوى. **الخامسة**: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث. **السادسة**: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض[٢].

﴿١﴾ قال العجيلي (١٢٦٢هـ): واعلم أن من التمس رضا الناس بسخط الله فقصده الدنيا وحطامها فيصير من عبيدها، ومن عبيد الهوى الذين أطاعوا هواهم وعصوا مولاهم، قال ﷺ: «**تعس عبد الدرهم**...».اهـ. تحقيق التجريد (٢/ ٣٥٠).

﴿٢﴾ وتؤخذ من قوله: «**من التمس**...» الحديث، ووجهه ترتيب العقوبة على من قدم رضا الناس على رضا الله تعالى.

أقسام الخوف:

القسم الأول: **الخوف الشركي**، وهو خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر؛ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): ومعنى خوف السر، هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقادٌ للنفع والضر في غير الله.اهـ. التيسير (٣١).

وقال السعدي (١٢٧٦هـ): فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد، وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه، كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله.اهـ. القول السديد (١١٧).

القسم الثاني: **الخوف المحرم**، وهو أن يترك ما يجب عليه من جهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر لغير عذر خوفاً من بعض الناس، مثل أن يترك الأمر =

= بالمعروف خوفاً على عرضه، وأن يطيل ثوبه أو يحلق لحيته خوفاً من انتقادات الناس، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾، وذكر ابن باز (١٤٢٠هـ) أن الترجمة معقودة لهذا القسم. وقد اختلف أهل العلم هل هو من الشرك الأصغر أو لا، على قولين:

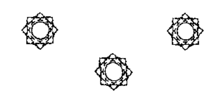
القول الأول: أنه لا يدخل في الشرك الأصغر، بل هو معصية. وبه قال ابن باز، وابن عثيمين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

القول الثاني: أنه شرك أصغر، وبه قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، وسليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ)، والفوزان، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾، وبقوله ﷺ: «**لا يحقر أحدكم نفسه**»، قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه. فيقول الله** ﷻ له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى». خرجه ابن ماجه (٤٠٠٨) بسند ضعيف عن أبي سعيد رضي الله عنه.

قال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ) في معنى قولهم: من الشرك الخوف من المخلوق: وأما خوف المخلوق فالمراد به: الخوف الذي يحملك أن تترك ما فرض الله عليك، وتفعل ما حرم الله عليك، خوفاً من ذلك المخلوق.. فهذا يختلف باختلاف الأحوال، وقد يتصنع لمخلوق فيخافه، أو يرجوه، فيدخل في الشرك الأصغر، وقد يتزايد ذلك ويتوغل فيه، حتى يصل إلى الشرك الأكبر. اهـ. الدرر السنية (٢/ ١٤٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه. والخوف الذي يحصل في قلوب الناس هو الشرك الذي في قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١]. اهـ. وقال ابن القيم: إن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله ورجائه لغير الله وحبه لغير الله وذله لغير الله وتوكله على غير الله ما يصير به منغمساً في بحار الشرك، والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه إن كان له عقل، فإن ذل المعصية لا بد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفاً من غير الله تعالى، وذلك =

السابعة: ذكر ثواب من فعله﴿١﴾. **الثامنة**: ذكر عقاب من تركه.



= شرك ويورثه محبة لغير الله واستعانة بغيره في الأسباب التي توصله إلى غرضه، فيكون عمله لا بالله ولا لله، وهذا حقيقة الشرك.اهـ. قال ابن رجب: ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله، أو خوفه، أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله.اهـ. وأجاب الشيخ عبد الله الغنيمان عن وجه كون من ترك العمل **خوفاً من الرياء أو أن يقال له**: **مراءٍ** من الشرك: لأنه جعل الخوف من الناس كالخوف من الله، فترك العمل لله خوفاً من الناس ومن أقوالهم؛ فدخل في الشرك من هذه الناحية.اهـ.

القسم الثالث: **الخوف الطبيعي**، وهو الخوف الذي **لم يقارنه تعظيم وذل** ممن خيف منه، وكان سبباً صحيحاً؛ كالخوف من عدو، ولص، وسبع، وغرق، ونحو ذلك، فهذا لا يذم، ودليله قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١]. والخوف الطبيعي ليس بمذموم مطلقاً إلا حين يصل إلى حد ترك ما أوجب الله تعالى، فيكون مذموماً، كمن يترك الجهاد الواجب في سبيل الله خوف القتل أو العدو.

القسم الرابع: **الخوف الوهمي**، وهو الخوف الذي ليس له سبب صحيح؛ كالخوف من الليل ذاته لا لما يقع فيه، قال السعدي: وإن كان هذا ـ الخوف الطبيعي ـ خوفاً وهمياً كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف، فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء.اهـ.

وقال ابن عثيمين: وهناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف، مثل أن يرى ظل شجرة تهتز، فيظن أن هذا عدو يتهدده؛ فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها فإنها تهلكك.اهـ.

الفتاوى (١٠/ ٢١٥، ٢٨/ ٣٥)، مدارج السالكين (١/ ٣٢٧)، التيسير (٤٠٧)، حاشية ابن قاسم (٢٤٤)، التعليق المفيد (١٧٧)، القول المفيد (٢/ ٦٨)، إعانة المستفيد (٣/ ٧٦).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وهو رضا الله عنه، وأنه يرضي عنه الناس، وهو العاقبة الحميدة.اهـ. قال الفضيل بن عياض: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف من الله خوفه من كل شيء. إحياء علوم الدين (٤/ ١٧٠)، القول المفيد (٢/ ٨٥).

٣٣

باب: قول الله تعالى:
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾
[المائدة: ٢٣]

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤﴾ [الأنفال].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾» [آل عمران: ١٧٣]. رواه البخاري والنسائي.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: أن التوكل من الفرائض. الثانية: أنه من شروط الإيمان. الثالثة: تفسير آية الأنفال. الرابعة: تفسير الآية في آخرها. الخامسة: تفسير آية الطلاق. السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد.





٣٣ ـ باب: قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾﴿١﴾ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

....

﴿١﴾ **التوكل في اللغة**: هو كما قال ابن فارس: إظهار العجز والاعتماد على الغير. معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٣٦). **واصطلاحاً**: هو كما قال السعدي (١٣٧٦هـ): أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة. اهـ. القول السديد (١٢٠).

وبيّن المقريزي (٨٤٥هـ) حقيقة التوكل، حيث قال: فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً؟ قلنا: هي التي يعبر عنها بالتوكل، وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى، وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فتوجب اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وثقة به، فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته، فلو دهمه ما عسى أن يدهَمَهُ إلى الآفات لم يلتجئ إلى غيرها. فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]؛ أي: كافيه. اهـ. تجريد التوحيد (٧٧). والتوكل يشمل مع بذل الأسباب علم القلب وعمله.

قال ابن القيم (٧٥١هـ): التوكل يجمع أصلين: **علم القلب وعمله**، أما علمه فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وأما عمله فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه وأن غيره =

. . . .

= لا يقوم مقامه في ذلك ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه، فبهذين الأصلين **يتحقق التوكل** وهما جماعه، وإن كان التوكل دخل في عمل القلب من عمله، كما قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ولكن لا بد فيه من العلم، وهو إما شرط فيه وإما جزء من ماهيته. اهـ. طريق الهجرتين (٣٣٥)، مدارج السالكين (١/ ٨٢).

وقال ابن رجب (٧٩٥هـ): فالتوكل: علم وعمل، والعلم: معرفة القلب بتوحيد الله بالنفع والضر، وعامة المؤمنين تعلم ذلك، والعمل: هو ثقة القلب بالله، وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين. اهـ. لطائف المعارف (٧٠).

وقال صالح آل الشيخ: والتوكل على الله من العبادات العظيمة التي تطلب من المؤمن؛ لهذا نقول: إن إحداث التوكل في القلب يرجع إلى التأمل في آثار الربوبية، فكلما كان العبد أكثر تأملاً في ملكوت الله: في السماوات والأرض، والأنفس، والآفاق، كان علمه بأن الله هو ذو الملكوت، وأنه هو المتصرف، وأن نصره لعبده شيء يسير جداً بالنسبة إلى ما يجريه الله ـ جل وعلا ـ في ملكوته، فيعظم المؤمن بهذا التدبر الله ـ جل وعلا ـ، ويعظم التوكل عليه، ويعظم أمره ونهيه، ويعتقد أن الله ﷻ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﷻ. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٧٩).

ـ الفرق بين التوكل والاستعانة:

قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): والتوكل يتناول التوكل عليه ليعينه على فعل ما أمر، والتوكل عليه ليعطيه ما لا يقدر العبد عليه، فالاستعانة تكون على الأعمال، وأما التوكل فأعم من ذلك، ويكون التوكل عليه لجلب المنفعة ودفع المضرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾. الفتاوى (٨/ ١٧٧).

📖 قال الشيخ صالح الفوزان: قدّم المعمول وهو الجارّ والمجرور ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾، وأخّر العامل وهو ﴿تَوَكَّلُوٓا۟﴾؛ ممّا يفيد الحصْر؛ أي: توكّلوا على الله ولا تتوكّلوا على غيره. اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ١٠٢). =

= قال العلامة ابن عثيمين: قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ «إن»: شرطية، وفعل الشرط ﴿كُنتُمْ﴾، وجوابه قيل: إنه محذوف دل عليه ما قبله، وتقدير الكلام: إن كنتم مؤمنين فتوكلوا، وقيل: إنه في مثل هذا التركيب لا يحتاج إلى جواب اكتفاء بما سبق؛ فيكون ما سبق كأنه فعل معلق بهذا الشيء، وهذا أرجح؛ لأن الأصل عدم الحذف.اهـ. القول المفيد (٢/ ٩١).

قال الشيخ صالح آل الشيخ: لما أمر بالتوكل علمنا أنه من العبادة.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٧٦).

وقال ابن القيم: فذكر اسم الإيمان هاهنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد.اهـ. طريق الهجرتين (١/ ٣٨٦).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال الشيخ صالح الفوزان: لَمّا كان التوكل على الله عبادةً لله ﷻ وجب إخلاصه لله، وترك التوكُّل على مَن سواه؛ لأن العبادة حقٌّ لله، فإذا صُرفت لغيره صار ذلك شركاً؛ فالتوكُّل على غير الله شرك.اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ٩٨).

وقال شيخ الإسلام: إن تعتمد على الأسباب وتتوكل عليها فهذا شرك محرم.اهـ. منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٣٦٧).

علاقة الباب بالباب السابق: لما ذكر المصنف وجوب الخوف من الله وحده وعدم الخوف من غيره، ذكر المصنف في هذا الباب كيفية تحقيق الخوف من الله وحده ودفع الخوف من غيره، وأنه يكون بالتوكل. قال السعدي: وإن كان هذا خوفاً وهمياً كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن، فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام **والتوكل** والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى إن خواص المؤمنين وأقويائهم تنقلب المخاوف في حقهم أمناً وطمأنينة؛ لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، **وكمال توكلهم**، ولهذا أتبعه بهذا الباب.اهـ. قال عثمان بن منصور: لما ذكر المصنف الخوف أعقبه بالتوكل، إذ لا بد له من ملجأ يلجأ إليه.اهـ.

علاقة التوكل بالمحبة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والقلب فقير بالذات =

وقــولــه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢] ﴿١﴾.

وقــولــه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤﴾ ﴿٢﴾

= إلى الله من وجهين: من جهة العبادة وهي العلة الغائية. ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي العلة الفاعلية. فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يسر ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، ومن حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة، وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله، فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، فإنه لو أعين على حصول ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده ولم يحصل له عبادته لله بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول وكل ما سواه إنما يحبه لأجله لا يحب شيئاً لذاته إلا الله، فمتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة «لا إلـٰه إلا الله»، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة، وكان فيه من النقص والعيب بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك. ولو سعى في هذا المطلوب ولم يكن مستعيناً بالله متوكلاً عليه مفتقراً إليه في حصوله لم يحصل له، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فهو مفتقر إلى الله من حيث هو المطلوب المحبوب المراد المعبود، ومن حيث هو المسؤول المستعان به المتوكل عليه، فهو إلهه لا إلـٰه له غيره، وهو ربه لا رب له سواه. ولا تتم عبوديته لله إلا بهذين. اهـ. الفتاوى (١٠/ ١٩٥)، القول السديد (١١٨).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب:** قال الشيخ صالح الفوزان: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قدم المعمول وهو الجار والمجرور على العامل وهو ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ ليُفيد الحصر، وبيان أن التوكّل عبادة يجب إفراد الله ﷻ فيها، ولا يجوز التوكُّل على غير الله؛ لأن من توكّل على غير الله فقد أشرك. وقد جعل سبحانه التوكل شرطاً في صحة الإيمان؛ فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فمن توكّل على غير الله فليس بمؤمن. اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ١٠٤).

﴿٢﴾ قوله تعالى: ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: حسبك الله ومتبعوك، قاله مجاهد (١٠٤هـ)، والحسن (١١٠هـ)، والنحاس (٣٣٨هـ). =

. . . .

= **والثاني**: حسبك الله، وحسبك من اتبعك، وهذا قول ابن عباس (٦٨هـ)، ومقاتل (١٥٠هـ)، ونسبه للأكثرين ابن الجوزي، ونسبه للجمهور ابن تيمية، وهو اختيار ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ). وصدر به صاحب الكشاف (٥٢٨هـ)، واقتصر عليه ابن كثير (٧٧٤هـ). زاد المسير (٥٦٠)، الفتاوى (١/ ١٨١)، زاد المعاد (١/ ٣٦)، التيسير (٤٢٠).

قال الشنقيطي (١٣٩٣هـ): والآيات القرآنية تدل على تعيين الوجه الأخير، وأن المعنى كافيك الله وكافي ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لدلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية لله وحده، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾، فجعل الإيتاء لله ورسوله، كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: وقالوا حسبنا الله ورسوله، بل جعل الحسب مختصاً به وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، فخص الكفاية التي هي الحسب به وحده، وتمدح تعالى بذلك في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال]، ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده. اهـ. أضواء البيان (٢/ ١٠٤).

وقال ابن عثيمين: قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، «من»: اسم موصول مبنية على السكون، وفي عطفها رأيان لأهل العلم: قيل: حسبك الله، وحسبك من اتبعك من المؤمنين؛ فـ«من» معطوفة على لفظ الجلالة لأنه أقرب، ولو كان العطف على الكاف في (حسبك)؛ لوجب إعادة الجار، وهذا كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فالله أيد رسوله بالمؤمنين، فيكونون حسباً له هنا كما كان الله حسباً له.

وهذا ضعيف [بل قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): وهذا خطأ قبيح مستلزم للكفر، فإن الله وحده حسب جميع الخلق كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾؛ أي: الله وحده كافينا كلنا. اهـ. منهاج السُّنَّة (٧/ ٢٠٤)]، **والجواب عنه من وجوه**:

أولاً: قولهم: عطف عليه لكونه أقرب ليس بصحيح؛ فقد يكون العطف على شيء سابق، حتى إن النحويين قالوا: إذا تعددت المعطوفات يكون العطف على الأول. =

[الأنفال: ٦٤] ﴿١﴾.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ﴿٢﴾ ....

= **ثانياً**: قولهم: لو عطف على الكاف لوجب إعادة الجار، والصحيح أنه ليس بلازم، كما قال ابن مالك:

وليس عندي لازماً إذ قد أتى   في النثر والنظم الصحيح مثبتاً

ثالثاً: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فالتأييد لهم غير كونهم حسبه؛ لأن معنى كونهم حسبه أن يعتمد عليهم، ومعنى كونهم يؤيدونه؛ أي: ينصرونه مع استقلاله بنفسه، وبينهما فرق.

رابعاً: أن الله ـ سبحانه ـ حينما يذكر الحسب يخلصه لنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، ففرق بين الحسب والإيتاء، وقال تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، فكما أن التوكل على غير الله لا يجوز؛ فكذلك الحسب لا يمكن أن يكون غير الله حسباً، فلو كان؛ لجاز التوكل عليه، ولكن الحسب هو الله، وهو الذي عليه يتوكل المتوكلون.

خامساً: أن في قوله: «**ومن اتبعك**» ما يمنع أن يكون الصحابة حسباً للرسول (وذلك لأنهم تابعون؛ فكيف يكون التابع حسباً للمتبوع؟! هذا لا يستقيم أبداً؛ فالصواب أنه معطوف على الكاف في قوله: «حسبك»؛ أي: وحسب من اتبعك من المؤمنين، فتوكلوا عليه جميعاً أنت ومن اتبعك.اهـ. القول المفيد (٢/ ٩٤).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب**، قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): الرغبة والتوكل والحسب ونحو ذلك لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود لا يكون إلا لله وحده، وبه يظهر مطابقة الآية للترجمة.اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٥٢). وقال صالح آل الشيخ: ووجه مناسبة الآية لهذا الباب: أن الله حسب من توكل عليه، قال ـ جل وعلا ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ فالله حسب من توكل عليه، فدل على أن الله ـ جل وعلا ـ أمر عباده بالتوكل عليه حتى يكون كافيهم من أعدائهم؛ ولهذا أعقبها المؤلف بالآية الأخرى وهي قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٨٠).

﴿٢﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): أي: كافية، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بد منه؛ كالحر والبرد والجوع والعطش. وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً، وفرق بين الأذى الذي هو في =

[الطلاق: ٣] ﴿١﴾.

وعن ابن عباس ﷺ، قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها

= الظاهر إيذاء له، وهو في الحقيقة إحسان إليه، وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه. قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله، وكادته السمٰوات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً، من ذلك وكفاه ونصره.اهـ. قال شيخ الإسلام: والحسب الكافي فبين أنه كافٍ من توكل عليه وفي الدعاء يا حسب المتوكل، فلا يقال هو حسب غير المتوكل كما هو حسب المتوكل؛ لأنه علق هذه الجملة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع في مثل ذلك أن يكون وجود الشرط كعدمه، ولأنه رتب الحكم على الوصف المناسب له فعلم أن توكله هو سبب كونه حسباً له؛ ولأنه ذكر ذلك في سياق الترغيب في التوكل كما رغب في التقوى، فلو لم يحصل للمتوكل من الكفاية ما لا يحصل لغيره لم يكن ذلك مرغباً في التوكل، كما جعل التقوى سبباً للخروج من الشدة وحصول الرزق من حيث لا يحتسب.اهـ. رسالة في تحقيق التوكل (٨٨)، التفسير القيم «لابن القيم» (٢/ ٣٠١).

﴿١﴾ هذه الآية أعظم آية في القرآن تفويضاً، كما قال ابن مسعود.

علاقة الآية بالباب، قال سليمان بن عبد الله: وفي الآية دليل على فضل التوكل وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الله علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط، فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له، فعلم أن توكله هو سبب كون الله حسباً له، ذكره شيخ الاسلام.اهـ. التيسير (٤٢١). قال ابن القيم (٧٥١هـ): قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ أي: كافيه، فلم يقل: فله كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السماوات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً وكفاه ونصره.اهـ. تفسير الطبري (٢٨/ ١٤٠)، قرة عيون الموحدين (٣٢٢).

إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣][١]». رواه البخاري والنسائي[٢].

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض[٣]. ....

﴿١﴾ وثمرة هذا القول هو ما جاء في الآية التي بعدها، قال ابن كثير (٧٧٤هـ): قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]؛ أي: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم وردّ عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾؛ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤]. تفسير ابن كثير (٣٢٨).

﴿٢﴾ رواه البخاري (٤٥٦٣)، ورواه النسائي «الكبرى» (٦/ ١٥٤)، من حديث أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

علاقة الحديث بالباب، فيه فضل التوكل على الله والحث عليه؛ لأن الخليلين لجآ إلى التوكل للتخلص من الشدائد. قال إمام الدعوة في المسائل: المسألة السادسة: عظم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد.اهـ.

﴿٣﴾ لقوله: ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ وهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب.

قال ابن عثيمين: والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توكل عبادة وخضوع، وهو الاعتماد المطلق على من توكل عليه، بحيث يعتقد أن بيده جلب النفع ودفع الضر؛ فيعتمد عليه اعتماداً كاملاً، مع شعوره بافتقاره إليه؛ فهذا يجب إخلاصه لله تعالى، ومن صرفه لغير الله فهو مشرك شركاً أكبر؛ كالذين يعتمدون على الصالحين من الأموات والغائبين، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون، فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار.

الثاني: الاعتماد على شخص في رزقه ومعاشه وغير ذلك، وهذا من الشرك الأصغر، مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه، ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار؛ فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر؛ فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب، بل جعله فوق السبب. =

. . . .

= **الثالث**: أن يعتمد [الأحسن أن يقول الشيخ: «أن يوكل شخصاً»؛ لأن الاعتماد والالتفات لا يكون للأسباب، وقد قرر ابن تيمية في غير موطن أن الالتفات إلى الأسباب شرك] على شخص فيما فوض إليه التصرف فيه، كما لو وكلت شخصاً في بيع شيء أو شرائه، وهذا لا شيء فيه؛ لأنه اعتمد عليه وهو يشعر أن المنزلة العليا له فوقه؛ لأنه جعله نائباً عنه، وقد وكل النبي ﷺ علي ابن أبي طالب أن يذبح ما بقي من هديه، ووكل أبا هريرة على الصدقة، ووكل عروة بن الجعد أن يشتري له أضحية، وهذا بخلاف القسم الثاني؛ لأنه يشعر بالحاجة إلى ذلك، ويرى اعتماده على المتوكل عليه اعتمادَ افتقارٍ.اهـ. وأيضاً: توكَّل فعل لازم، وأما من وَكَلَ ففعل متعدٍّ. والتوكل فيه إظهار للعجز بخلاف الوكالة فليس العجز شرطاً فيها. وأن الموكِّل متوكل مباشر لسبب جائز مع اعتماده على الله، قال سليمان بن عبد الله: والوكالة الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه؛ ولكن ليس له أن يتوكل عليه، وإن وكله بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه، كما قرره شيخ الإسلام.اهـ. القول المفيد (٢/ ٨٩).

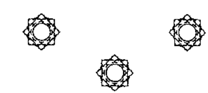
ـ **إشكال**: السلف عرَّفوا التوكل بأنه اعتماد على الله في حصول المطلوب مع بذل السبب، ونجدهم في القسم الثاني جعلوه من الشرك الأصغر مع أنه فعل للسبب. **والجواب**: أن فعل الأسباب ينقسم إلى قسمين:

أ ـ اعتماد على السبب، وهو ما يسميه بعض السلف بالتفات القلب إلى غير الله. وهذا شرك أصغر؛ لأن فيه صرف نوع من العبادة لغير الله.

ب ـ فعل للسبب مع النظر والتفويض والاعتماد على المسبب وهو الله في تحقق المطلوب، وهذا ليس بشرك؛ لأنه طَرْق للسبب الشرعي أو القدري بالجارحة والتفات بالقلب إلى مسببه وهو الله.

ـ قول: «**توكلت على الله ثم عليك**» لا يجوز، وهو شرك أصغر كما قال محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ)؛ لأن التوكل عبادة؛ إذ التوكل هو الاعتماد والتعلق والالتفات، وذلك لا يكون إلا بالله وحده، فأساس الشرك التعلق بغير الله تعالى، والالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، لا سيما وأن السبب لا يستقل بنفسه في حصول المطلوب. وقال عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٣٨٥هـ): أما التوكل على الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر، والمباح أن يوكل شخصاً بالنيابة عنه في =

الثانية: أنه من شروط الإيمان[١]. **الثالثة**: تفسير آية الأنفال. **الرابعة**: تفسير الآية في آخرها. **الخامسة**: تفسير آية الطلاق. **السادسة**: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد[٢].



= التصرف فيما له التصرف فيه من أمور دنياه؛ كالبيع والشراء والإجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك، فهذا جائز بالإجماع، لكن لا يقول: توكلت عليه بل يقول: وكلته، فإنه لو وكله فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه.اهـ. قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (١/ ٣٢٠). الفتاوى (٨/ ١٦٩)، مدارج السالكين (١/ ٤٥٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٩٢)، التيسير (٤١٩)، التوضيح المفيد (١٦٩)، فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٧٠)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٧٦)، التعليق على فتح المجيد «لعبد العزيز آل الشيخ» (٣٢).

﴿١﴾ لقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): وفي الباب مسائل غير ما ذكره المؤلف:

منها: زيادة الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

ومنها: أنه عند الشدائد ينبغي للإنسان أن يعتمد على الله مع فعل الأسباب؛ لأن الرسول ﷺ وأصحابه قالوا ذلك عندما قيل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، ولكنهم فوضوا الأمر إلى الله، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ومنه: أن اتباع النبي ﷺ مع الإيمان سبب لكفاية الله للعبد.اهـ. القول المفيد (٢/ ٩٩).

٣٤

باب: قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف]

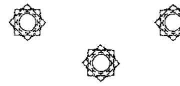
وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ [الحجر].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، واليأس من رَوح الله، والأمن من مكر الله».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله». رواه عبد الرزاق.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية الأعراف. الثانية: تفسير آية الحجر. الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله. الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.





٣٤ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأعراف: ٩٩]

. . . .

﴿١﴾ قال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ): وأما مكر الله، فهو: أنه إذا عصاه وأغضبه، أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه.اهـ. تاريخ ابن غنام (٢/ ٣١١). وهو نحو كلام ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) في تفسيره (٩/ ٩). وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): ومكر الله أن يعاقبه على سيئاته... ومكره أن يعاقبه على الذنب لكن من حيث لا يشعر.اهـ. وقال ابن القيم (٧٥١هـ): مكر الله أن يقطع عن عبده مواد توفيقه، ولا يحركه إلى مراضيه ومحابه.اهـ. وقال ابن باز (١٤٢٠هـ): والمراد من مكر الله بهم كونه يملي لهم ويزيدهم من النعم والخيرات وهم مقيمون على معاصيه وخلاف أمره.اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٦٥). وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): والمكر هو: التوصل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، ومنه ما جاء في الحديث: «الحرب خدعة».اهـ. القول المفيد (٢/ ١٠١). ومما تقدم يتبين معنى «الأمن من مكر الله» وأنه: الاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة وعدم الخوف من معاقبة الله له.

وبهذا يتبين الفرق بين الأمن من مكر الله والرجاء؛ لأن الرجاء فعل للطاعات مع خوف فوات ما رجاه ومع عدم أمن العقوبة. قال ابن القيم: فإنه ـ الرجاء ـ دائر بين ذنب يرجو غفرانه، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله، ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها.اهـ. مدارج السالكين (١/ ١١٣، ٢/ ٤١، ١٤٧).

وقال ابن القيم: وأما حبس الرجاء: أن يخرج إلى الأمن فهو أن **لا يبلغ به الرجاء إلى حد يأمن معه العقوبة**، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، وهذا إغراق في الطرف الآخر بل حد الرجاء: ما طيب لك العبادة وحملك على السير =

= فهو بمنزلة الرياح التي تسيِّر السفينة، فإذا انقطعت وقفت السفينة، وإذا زادت ألقتها إلى المهالك، وإذا كانت بقدر: أوصلتها إلى البغية.اهـ. مدارج السالكين (٢/ ٣٩٤). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً.اهـ. المستدرك على مجموع الفتاوى، لمحمد بن قاسم (١/ ٢٨). بيان الدليل على بطلان التحليل (٢٣١)، إعلام الموقعين (٣/ ٢١٨)،فتح الحميد (٣/ ١٤٦٧)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ١٥٣).

📖 قال ابن القيم (ت٧٥١هـ): إن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه.اهـ. مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٤).

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إن المكر في محله محمود، يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه، ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق؛ فلا يجوز أن تقول: إن الله ماكر، وإنما تذكر هذه الصفة في مقام تكون فيه مدحاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ [النمل]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾، ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحاً؛ يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحاً لا يوصف بها، وكذلك لا يسمى الله بها؛ فلا يقال: إن من أسماء الله الماكر.اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٠٢).

📖 الأمن من مكر الله محرم بالاتفاق، كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وهو من الكبائر، كما قال الجوزي (٥٩٧هـ)، والذهبي (٧٤٨هـ)، والنووي (٦٧٦هـ)، وابن الرفعة، وابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ). قال ابن القيم (٧٥١هـ): ويعد بعض السلف أن من أكبر الكبائر الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمته سبحانه.اهـ. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي ـ بعض الكبائر المتعلقة بالقلب ومنها الأمن من مكر الله ـ أشد تحريماً من الزنا وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة.اهـ. وقال ابن حجر الهيتمي: إن الكبائر الباطنة أخطر من الكبائر الظاهرة.اهـ. والأمن من مكر الله من سمات الكافرين، وقد روى ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل (خاسر) فإنما يعني به الكفر. وقال ابن عثيمين: تحريم الأمن من مكر الله ـ من الآية ـ، وذلك لوجهين:

الأول: أن الجملة بصيغة الاستفهام الدال على الإنكار والتعجب. =

....

= **الثاني**: قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. اهـ.

أحوال الناس مع الأمن من مكر الله:

١ ـ إن صدر الأمن من مكر الله من الكافر أو المنافق، فصاحبه كافر؛ لأنهم في الأصل كفار.

٢ ـ إن صدر الأمن من مكر الله من المسلم؛ فصاحبه:

أ ـ إن كان الأمن من مكر الله متمكناً في القلب، بحيث يعتقد أنه في مأمن من عذاب الله ومكره، ومقتضى ذلك ترك العمل والاستخفاف بوعد الله تعالى، فهذا صاحبه كافر؛ لأنه قد عطل العمل الذي هو أحد عناصر الإيمان؛ ولأن مضمونه التكذيب بنصوص الوعيد في القرآن والسُّنَّة، ولذا قال الإمام الطحاوي (ت٣٢١هـ): والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام. اهـ.

ب ـ وإن كان الأمن من مكر الله عارضاً ناتجاً عن الغفلة، وليس عن اعتقاد أنه في مأمن من عذاب الله، ولم يصل لحد الإخلال بالواجبات، فهذا صاحبه مرتكب لمحرم هو من كبائر الذنوب.

تفسير ابن عباس (١١٨٥)، المنهاج في شعب الإيمان «للحليمي» (١/ ٥١٨)، تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر (٢٧٩)، الفوائد (١/ ١٥٩)، زاد المعاد (٣/ ٢٣٠)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٥٦)، الكبائر «للذهبي» (١٠٣)، الزواجر (١/ ١٨٥و٥٢)، نور اليقين في شرح عقائد الطحاوي «لحسن البوسنوي» (١٩١)، معجم الكبائر (٧٩)، القول المفيد (٢/ ١٠٢)، الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله في ضوء عقيدة أهل السُّنَّة «للجديع» (٢٩)، التعليق على فتح المجيد لـ«عبد العزيز آل عبد اللطيف» (٣٣).

📖 المصنف في هذا الباب قد اقتدى بالإمام النووي، حيث ذكر النووي في كتابه رياض الصالحين هاتين الآيتين وعنون لها بـ«باب الجمع بين الخوف والرجاء». رياض الصالحين (١٦٨).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال صالح آل الشيخ: المراد بهذا الباب بيان أن الجمع بين الخوف والرجاء واجب من واجبات الإيمان، ولا يتم التوحيد إلا بذلك، فعدم الجمع بين الخوف والرجاء منافٍ لكمال التوحيد. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): فإن الـمُخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة =

. . . .

= غيره؛ إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً، كما قال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق]؛ إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وعدم حصول مرغوبه، فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ .اهـ. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً فأيهما غلب هلك صاحبه، ونص عليه الإمام أحمد لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله .اهـ. الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٥٩).

وقال ابن القيم: إن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راجٍ خائف وكل خائف راجٍ، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف، قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾، قال كثير من المفسرين: المعنى ما لكم لا تخافون لله عظمة؟ قالوا: والرجاء بمعنى الخوف. والتحقيق: أنه ملازم له، فكل راجٍ خائف من فوات مرجوه، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤]، قالوا في تفسيرها: لا يخافون وقائع الله بهم كوقائعه بمن قبلهم من الأمم .اهـ.

وقال الحسن البصري: هما ـ الخوف والرجاء ـ مطيّتا المؤمن .اهـ. وقال أحمد المقدسي: الخوف ليس ضد الرجاء بل رفيق له .اهـ. وقال ابن كثير: لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات .اهـ.

علاقة الباب بالباب السابق: لما بيَّن المصنف في الباب السابق أن دفع المؤثر الأول ـ الخوف من غير الله ـ المخل بتحقيق الخوف من الله يكون بالتوكل عليه ﷻ، بيَّن المصنف في هذا الباب كيفية دفع المؤثر الثاني ـ الإفراط في الخوف المؤدي إلى القنوط من رحمة الله، والتفريط في الخوف بترك الواجبات وارتكاب المحرمات الناتجة عن الأمن من مكر الله ـ المخل بتحقيق الخوف، وأنه يكون بالجمع بين الخوف؛ لكي يندفع الأمن من مكر الله، وبالرجاء؛ لكي يندفع القنوط من رحمة الله.

وبعبارة أخرى: لما بيَّن المصنف في الباب السابق أنه لا بد من الجمع بين الخوف =

وقولـــــه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ﴿١﴾ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾

= والتوكل؛ لنفي الخوف من غير الله، ذكر في هذا الباب أنه لا بد من الرجاء للجمع بينه وبين الخوف؛ وذلك لنفي الإفراط في الخوف المؤدي إلى القنوط من رحمة الله، والتفريط في الخوف المؤدي إلى الأمن من مكر الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله. اهـ. قال ابن حجر معلقاً على تبويب البخاري: باب الرجاء مع الخوف على حديث أبي هريرة ﷺ: «فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»: قوله: «باب الرجاء مع الخوف» أي: استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء، لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم. اهـ. الحلية (٢/ ١٥٦)، مختصر منهاج السالكين (٣١٨)، الفتاوى (١٠/ ٢١٥)، الاختيارات (٨٥)، مدارج السالكين (٢/ ٥١)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٨)، الفتح (١١/ ٣٠١).

﴿١﴾ قال أبو السعود (٩٨٢هـ): القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر؛ أي: مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته. اهـ. تفسير أبي السعود (٥/ ٥١)، وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له، إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنبه، وإما بأن يقول نفسه لا تطاوعه على التوبة بل هو مغلوب معها والشيطان قد استحوذ عليه فهو ييأس من توبة نفسه. اهـ. الفتاوى (١٦/ ٢٠). وقال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): القنوط استبعاد الفرَج. اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٥٦).

قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): فالقنوط من رحمة الله لا يجوز؛ لأنه سوء ظن بالله، [وهو إساءة أدب على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه وجهل بها، كما قال ابن القيم. مدارج السالكين (٢/ ٣٩٤)]، وذلك من وجهين:

الأول: أنه طعن في قدرته سبحانه؛ لأن من علم أن الله على كل شيء قدير لم يستبعد شيئاً على قدرة الله.

الثاني: أنه طعن في رحمته سبحانه؛ لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله ـ سبحانه ـ، ولهذا كان القانط من رحمة الله ضالاًّ. اهـ. القول المفيد (٢/ ١٠٣).

=

[الحجر: ٥٦]﴿١﴾ .

= **والقنوط يختلف عن الخوف**؛ لأن الخوف هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله مع أداء ما طلب منه من الأعمال، وأما القنوط فهو يمنع صاحبه من العمل؛ لأنه قاطع للرجاء بالله. قال الرّاغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة. والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب؛ كاستشعار الخوف من الأسد، بل يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات؛ ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً. اهـ. المفردات (٣٠٣). وقال ابن رجب: ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضاً؛ ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفضل ما يحبه وترك ما يكرهه. اهـ. التخويف من النار (١٨).

وقال ابن القيم: الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. اهـ. وذكر أحمد المقدسي من أقسام الخوف: الخوف المفرط، ثم قال شارحاً له: هو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، فهو مذموم؛ لأنه يمنع من العمل. اهـ. مختصر منهاج القاصدين (٣٢٤).

وقد نص على أن القنوط كبيرة كل من الرافعي، والنووي، وابن الرفعة، وابن القيم، والذهبي. وقال ابن القيم: هي ـ بعض الكبائر المتعلقة بالقلب ومنها القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله ـ أشد تحريماً من الزنا وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة. اهـ. مدارج السالكين (١/ ١١٣، ٥١٤).

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله: نبّه المصنف رَحِمَهُ اللهُ، بهذه الآية على الجمع بين الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط من رحمة الله، بل يرجوها مع العمل الصالح. اهـ. التيسير (٤٢٧).

وقال ابن عثيمين: وتبين مما سبق أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أراد أن يجمع الإنسان في سيره إلى الله تعالى بين الخوف فلا يأمن مكر الله، وبين الرجاء فلا يقنط من رحمته؛ فالأمن من مكر الله ثلم في جانب الخوف، والقنوط من رحمته ثلم في جانب الرجاء. اهـ. القول المفيد (٢/ ١٠٤).

وقال شيخ الإسلام: وينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه، ونص عليه الإمام أحمد؛ لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله. اهـ. الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٥٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر﴿١﴾؟ فقال: «الشرك بالله﴿٢﴾، واليأس من رَوح الله﴿٣﴾، والأمن من

﴿١﴾ **الكبائر**: هي كل ما يوجب حدّاً في الدنيا أو وعيداً في الآخرة، وبه قال ابن عباس، والضحاك، وأبو عبيد، وسفيان بن عيينة، وأبو ثور، والإمام أحمد بن حنبل، والماوردي، وزاد ابن تيمية، وابن القيم، وعبد الله بن حميد، وابن عثيمين، أو فيه نفي للإيمان أو لعن.

قال الحجاوي:

فما فيه حدٌّ في الدنا أو توعد ... بأخرى فسم كبرى على نصِّ أحمد
وزاد حفيدُ المجدِ أو جا وعيدهُ ... بنفي لإيمان ولعن مبعَّد

وقال الذهبي (٧٤٨هـ): والذي يتَّجه ويقوم عليه الدليل: أنَّ من ارتكب حوباً من هذه العظائم: مما فيه حدٌّ في الدنيا: كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيدٌ في الآخرة: من عذاب، وغضب وتهديد ولعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرةٌ ولا بدّ.اهـ. وقال أبو العباس القرطبي (٦٢٦هـ): إنَّ كلَّ ذنبٍ أطلق الشرع عليه أنه كبيرٌ أو عظيم، أو أخبر بشدَّة العقاب عليه، أو علَّق عليه حدَّاً، أو شدَّد النكير عليه وغلَّظه، وشهد بذلك كتاب الله أو سنَّةٌ أو إجماع فهو كبيرة.اهـ. وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): ومن أحسن التعاريف قول القرطبي في المفهم.اهـ.

تفسير الطبري (٨/ ٢٤٧)، رسائل ابن نجيم (٢٥٣)، مرقاة المفاتيح «للقاري» (١/ ٢٢١)، مغني المحتاج «للشربيني» (٤/ ٤٢٧)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام «للعز بن عبد السلام» (٥٠)، المغني (١٤/ ١٥١)، منح الجليل «العليش» (٨/ ٣٩٢)، المفهم (١/ ٢٨٤)، شرح صحيح مسلم (٢/ ٨٥)، فتاوى ابن الصلاح (١/ ١٤٧)، الفتاوى (١١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٨)، مدارج السالكين (١/ ٣٢١ ـ ٣٢٧)، التمهيد في أصول الفقه «لأبي الخطاب الحنبلي» (٣/ ٢١٠٨)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٣٣٣)، الزواجر «للهيتمي» (١/ ٩)، الفتح (١٢/ ١٩١)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٦٣)، القول السديد (٩٦).

﴿٢﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن: وهو أكبر الكبائر، ولهذا بدأ به. قال ابن القيم: الشرك هضم للربوبية، وتنقص للإلٰهية، وسوء ظن برب العالمين.اهـ. قرة عيون الموحدين (٣٢٥).

﴿٣﴾ قال ابن جرير (٣١٠هـ) مفسراً قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: لا يقنط من فرحه ورحمته، ويقطع رجاءه منه. ثم روى عن عدد من علماء =

مكر الله»﴿١﴾.

= السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾، قال بعضهم: أي من رحمة الله. وقال بعضهم: أي من فرج الله. تفسير الطبري (٣/ ٤٩).

📖 وهناك فرق بين الإياس والاستيئاس: قال شيخ الإسلام: وقد يقال: الاستيئاس ليس هو الإياس؛ لوجوه:

«**أحدها**» أن إخوة يوسف لم ييأسوا منه بالكلية، فإن قول كبيرهم: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠] دليل على أنه يرجو أن يحكم الله له، وحكمه هنا لا بد أن يتضمن تخليصنا ليوسف منهم، وإلا فحكمه له بغير ذلك لا يناسب قعوده في مصر لأجل ذلك. وأيضاً: فـ«اليأس» يكون في الشيء الذي لا يكون ولم يجئ ما يقتضي ذلك فإنهم قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف]؛ فامتنع من تسليمه إليهم، ومن المعلوم أن هذا لا يوجب القطع بأنه لا يسلم إليهم فإنه يتغير عزمه ونيته، وما أكثر تقليب القلوب، وقد يتبدل الأمر بغيره حتى يصير الحكم إلى غيره، وقد يتخلص بغير اختياره، والعادات قد جرت بهذا على مثل من عنده من قال لا يعطيه، فقد يعطيه وقد يخرج من يده بغير اختياره، وقد يموت عنه فيخرج، والعالم مملوء من هذا.

«**الوجه الثاني**» قال لهم يعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف]، فنهاهم عن اليأس من روح الله ولم ينههم عن الاستيئاس وهو الذي كان منهم. وأخبر أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ومن المعلوم أنهم لم يكونوا كافرين، فهذا هو «**الوجه الثالث**» أيضاً، وهو أنه أخبر أنه ﴿لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾؛ فيمتنع أن يكون للأنبياء يأس من روح الله وأن يقعوا في الاستيئاس، بل المؤمنون ما داموا مؤمنين لا ييأسون من روح الله، وهذه السورة تضمنت ذكر المستيئسين، وأن الفرج جاءهم بعد ذلك لئلا ييأس المؤمن؛ ولهذا فيها: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١] فذكر استيئاس الإخوة من أخي يوسف، وذكر استيئاس الرسل يصلح أن يدخل فيه ما ذكره ابن عباس وما ذكرته عائشة جميعاً. قال شيخ الإسلام: اليأس يزيل الطمع، فتضعف الإرادة، فيضعف الحب. اهـ. الفتاوى (١٠/ ١٣٢)، الفتاوى (١٥/ ١٨١).

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب**: أن فيه بيان شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله، =

أخرجه: ابن أبي حاتم «التفسير» (٤/ ١٢٥)، من طريق شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

حسَّنه: العراقي، والسيوطي[١].

ضعَّفه: ابن كثير[٢].

الحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن شبيب بن بشر ليَّنه أبو حاتم[٣]، وقد تفرد به، ومثله لا يحتمل منه التفرد[٤].

٢ ـ أن شبيب بن بشر قد تكلم ابن أبي حاتم في روايته عن عكرمة[٥].

٣ ـ أن ابن كثير مال إلى أنه من قول ابن عباس رضي الله عنهما[٦].

= وشدة الوعيد في القنوط، قال إمام الدعوة في المسائل: الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله. الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

[١] تخريج الإحياء (٤/ ١٩)، الدر المنثور (٢/ ١٤٧).

[٢] تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤).

[٣] قال أبو حاتم (٢٧٧هـ): لين الحديث. وقال ابن حبان: يخطئ. الجرح والتعديل (٤/ ٣٥٧)، الثقات (٤/ ٣٥٩).

[٤] قال ابن رجب (٧٩٥هـ): أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث ـ إذا تفرد به واحد وإن لم يرو الثقات خلافه ـ: إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلك علة فيه، اللَّهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً.اهـ. شرح العلل الترمذي (١/ ٣٥٢).

[٥] قال ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ): ومن تثبت عمر بن الوليد أن عامة حديثه عن عكرمة فقط ما أقل ما يجوز به إلى ابن عباس، لا شبه شبيب بن بشر الذي جعل عامة حديثه عن عكرمة عن ابن عباس.اهـ. الجرح والتعديل (٦/ ١٣٩).

[٦] قال ابن باز (١٤٢٠هـ): يروى مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف له حكم الرفع؛ لأنه لا يقال بالاجتهاد وربما قاله ابن عباس عن نفسه اجتهاداً واستدلالاً =

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله»﴿١﴾. رواه

= بالنصوص، والكلام صحيح على كل حال.اهـ. التعليق المفيد (١٨٤). وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤).

﴿١﴾ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الهيتمي (٩٧٣هـ): وَإِنَّمَا كان اليَأس من رحمة الله من الكبائر لأَنَّه يستَلزم تَكذيب النُّصوص القطعية. ثُمَّ هَذا اليَأس قد ينضم إليه حالَة هي أَشدُّ منه، وهِي التَّصميمُ عَلَى عدَم وقوع الرَّحمة لهُ، وهذا هو القُنوط، بحسب ما دلَّ عليه سياق الآية: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩].اهـ. قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾: فيؤوس من روح الله وقَنوط من رحمته. وقيل: فيؤوس من زوال ما به من المكروه، و﴿قَنُوطٌ﴾؛ أي: يظن أنه يدوم، والمعنى متقارب.اهـ. فيكون اليأس هو استبعاد الرجاء لا قطعه، والقنوط هو قطع الرجاء. قال ابن عثيمين: المراد بالقنوط: أن يستبعد رحمة الله ويستبعد حصول المطلوب، والمراد باليأس هنا أن يستبعد الإنسان زوال المكروه.اهـ.

وقال صالح آل الشيخ: هنا فصل في القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، فجعل القنوط من رحمة الله شيئاً، وجعل اليأس من روح الله شيئاً آخر، وهذا باعتبار بعض الصفات لا باعتبار أصل المعنى، وإلا فإن القنوط من الرحمة واليأس من الروح بمعنى واحد، لكن يختلفان من حديث ما يتناوله هذا ويتناوله هذا، فالقنوط من رحمة الله عام؛ لأن الرحمة أعم من الروح، والرحمة تشمل جلب النعم ودفع النقم، وروح الله ـ جل وعلا ـ يطلق في الغالب في الخلاص من المصائب، فقوله: القنوط من رحمة الله هذا أعم؛ ولهذا قدمه فيكون ما بعده من عطف الخاص على العام، أو أن يكون هناك ترادف في أصل المعنى، واختلاف في الصفات، أو بعض ما يتعلق باللفظ.اهـ.

قال سليمان بن عبد الله: قوله: «والقنوط من رحمة الله». قال أبو السعادات: هو أشد اليأس من الشيء. قلت ـ سليمان بن عبد الله ـ: فعلى هذا يكون الفرق بينه وبين اليأس كالفرق بين الاستغاثة والدعاء، فيكون القنوط من اليأس، وظاهر القرآن أن اليأس أشد لأنه حكم لأهله بالكفر ـ لقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ـ، ولأهل القنوط بالضلال.اهـ.

قال الشيخ عبد الله الغنيمان: وقد جاء ما يدل أن كل واحد منهما ضلال وكفر.اهـ.

=

عبد الرزاق﴿١﴾.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف. **الثانية:** تفسير آية الحجر. **الثالثة:** شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله﴿٢﴾. **الرابعة:** شدة الوعيد في القنوط﴿٣﴾.

= تفسير القرطبي (٢/ ٢٧٣٠)، التيسير (٣٢٩)، القول المفيد (٢/ ١٠٧)، تقييد الشوارد لعبد العزيز الراجحي (١٥٠)، التمهيد (٣٨٧).

﴿١﴾ أخرجه: عبد الرزاق (١٠/ ٤٥٩)، من طريق أبي إسحاق، عن وبرة بن عبد الرحمٰن، عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير، وعبد الرحمٰن بن حسن.

وأخرجه: الطبراني (٨٧٨٥)، من طريق عاصم بن أبي النجود، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، وإسناده حسن.

وأخرجه: اللالكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٥/ ٣٥)، من طريق عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الهيثمي: وإسناده صحيح.

علاقة الحديث بالباب، أن فيه بيان شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله، وشدة الوعيد في القنوط، قال إمام الدعوة في المسائل: الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله. الرابعة: شدة الوعيد في القنوط. تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٤)، مجمع الزوائد (١/ ٢٩٤).

﴿٢﴾ أي: أنه من الكبائر. التوضيح (١٧١).

﴿٣﴾ قال ابن القيم مبيناً فوائد الرجاء: وأما قوله ـ أبي زكريا ـ: وإنما نطق به التنزيل ـ الرجاء ـ لفائدة وهي كونه يبرد حرارة الخوف، فيقال: بل لفوائد كثيرة أخرى مشاهدة:

منها: إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.

ومنها: أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد أجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأحب ما إلى الجواد: =

= أن يرجى ويؤمل ويسأل، وفي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه»، والسائل راجٍ وطالب، فمن لم يرج الله يغضب عليه. فهذه فائدة أخرى من فوائد الرجاء وهي التخلص به من غضب الله.

ومنها: أن الرجاء حادٍ يحدو به في سيره إلى الله ويطيب له المسير ويحثه عليه ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، فإن الخوف وحده لا يحرك العبد وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.

ومنها: أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة ويلقيه في دهليزها، فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له ورضى به وعنه.

ومنها: أنه يبعثه على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية، فإنه إذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره.

ومنها: أنه يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها، فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى متعبد بها وداعٍ بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا ينبغي أن يعطل دعاؤه بأسمائه الحسنى، وهي أعظم ما يدعو بها الداعي، فالقدح في مقام الرجاء تعطيل لعبودية هذه الأسماء وتعطيل للدعاء بها.

ومنها: أن الخوف مستلزم للرجاء والرجاء مستلزم للخوف، فكل راجٍ خائف، وكل خائف راجٍ، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف، قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ⑬﴾ [نوح: ١٣]، قال كثير من المفسرين: المعنى ما لكم لا تخافون لله عظمة؟ قالوا: والرجاء بمعنى الخوف. والتحقيق: أنه ملازم له، فكل راجٍ خائف من فوات مرجوه، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾، قالوا في تفسيرها: لا يخافون وقائع الله بهم كوقائعه بمن قبلهم من الأمم.

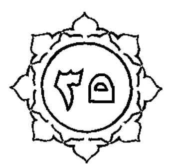
ومنها: أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربه فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطف موقعاً وأحلى عند العبد وأبلغ من حصول ما لم يرجه، وهذا أحد الأسباب، والحكم في جعل المؤمنين بين الرجاء والخوف في هذه الدار، فعلى قدر رجائهم وخوفهم يكون فرحهم في القيامة بحصول مرجوهم واندفاع مخوفهم.

ومنها: أن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته، وتنقل القلب في رياضها =

....

= الأنيقة، وأخذه بنصيبه من كل اسم وصفة، كما تقدم بيانه، فإذا فني عن ذلك وغاب عنه فاته حظه ونصيبه من معاني هذه الأسماء والصفات.

إلى فوائد أخرى كثيرة يطالعها من أحسن تأمله وتفكره في استخراجها. اهـ. مدارج السالكين (٢/ ٥٠). وقال ابن قدامة: فالرجاء: هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده، ولكن ذلك المتوقع لا بد له من سبب حاصل، فإن لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء سمي تمنياً؛ لأنه انتظار من غير سبب. اهـ. مختصر منهاج القاصدين «للمقدسي» (٥٧).



باب: من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت».

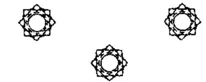
ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافِيَ به يوم القيامة».

وقال ﷺ: «إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سَخِطَ فله السخط». حسنه الترمذي.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية التغابن. **الثانية**: أن هذا من الإيمان بالله. **الثالثة**: الطعن في النسب. **الرابعة**: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية. **الخامسة**: علامة إرادة الله بعبده الخير. **السادسة**: إرادة الله به الشر. **السابعة**: علامة حب الله للعبد. **الثامنة**: تحريم السخط. **التاسعة**: ثواب الرضى بالبلاء.







٣٥ ـ باب: من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله ﴿١﴾

. . . .

﴿١﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): الصبر هو حبس النفس عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله. اهـ. الروح (١/ ٢٤١)، مدارج السالكين (٢/ ١٥٧).

وينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **صبر على طاعة الله.** والصبر على طاعة الله وترك معصيته أعلى من الصبر على أقدار الله، كما قال ابن تيمية وابن القيم؛ لأن الصبر على أقدار الله ليس باختيار العبد، بخلاف الصبر على الطاعة وترك المعصية فهو باختياره. والصبر على طاعة الله أعلى من الصبر عن معاصي الله، كما قال ابن تيمية وابن القيم وابن عثيمين، وهذا مبني عندهم على مسألة أن جنس فعل الطاعات أفضل من جنس ترك المحرمات، قال ابن القيم: وكان يقول ـ شيخ الإسلام ـ: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية. اهـ. قال ابن الجوزي: والصبر على العافية أشد؛ لأنه لا يتم إلا بالقيام بحق الشكر. اهـ.

٢ ـ **صبر عن معصية الله.**

٣ ـ **صبر على أقدار الله المؤلمة.** وهو نوعان، قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨هـ): نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذا يسهل الصبر فيها؛ لأن العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وأنه لا مدخل للناس فيها فيصبر إما اضطراراً أو اختياراً... النوع الآخر: أذى يحصل له بفعل الناس في ماله، أو عرضه، أو نفسه، وهذا النوع يصعب الصبر عليه جداً؛ لأن النفس تستشعر =

. . . .

= المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون. . . وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والهدى والسرور والأمن والقوة في ذات الله، وزيادة في محبة الله، ومحبة الناس له، وزيادة في العلم. المجموعة العلية (١/ ٣٥).

قال سليمان بن عبد الله: فإن قلت: كيف يبتلي الله أحبابه؟

قيل: لما كان أحد لا يخلو من ذنب كان الابتلاء تطهيراً لهم، كما صحت بذلك الأحاديث. وفي أثر إلٰهي: «أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب»؛ ولأنه زيادة في درجاتهم لما يحصل مع المصيبة للمؤمن من الأعمال الصالحة، كما تقدم في حديث: «**إذا سبقت للعبد من الله منْزلة. . .**» الحديث. ولأن ذلك يدعو إلى التوبة فإن الله تعالى يبتلي العباد بعذاب الدنيا ليتوبوا من الذنوب، كما قال تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. فمن رزقه الله التوبة بسبب المصيبة كان ذلك من أعظم نعم الله عليه، ولأن ذلك يحصل به دعاء الله والتضرع إليه؛ ولهذا ذم الله من لا يستكين لربه، ولا يتضرع عند حصول البأساء، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون]. ودعاء الله والتضرع إليه من أعظم النعم، فهذه النعمة والتي قبلها من أعظم صلاح الدين، فإن صلاح الدين في أن يعبد الله وحده ويتوكل عليه، وأن لا تدعو مع الله إلهاً آخر لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة. فإذا حصلت لك التوبة التي مضمونها أن تعبد الله وحده، وتطيع رسله بفعل المأمور، وترك المحظور، كنت ممن يعبد الله، وإذا حصل لك الدعاء الذي هو سؤال الله حاجاتك، فتسأله ما تنتفع به، وتستعيذ به مما تستضر به، كان هذا من أعظم نعم الله عليك، وهذا كثيراً ما يحصل بالمصائب. وإذا كانت هذه النعم في المصائب، فأولى الناس بها أحبابه، فعليهم حينئذ أن يشكروا الله. لخصت ذلك من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.اهـ. التيسير (٤٤١).

الفتاوى (٢/ ١١، ٢٠/ ٥٠١)، إعلام الموقعين (٢/ ١٥٨)، جامع العلوم والحكم (١/ ٢٤٨)، الفتح (١٢/ ٢٦٢).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال ابن قاسم: أراد المصنف بيان وجوب الصبر على الأقدار وبيان فضله، وتحريم ضده المنقص لكمال التوحيد.اهـ. ووجه كون عدم الصبر منقصاً للتوحيد أن النبي ﷺ جعله من شعب الكفر، كما في حديث أبي هريرة الوارد في الباب. =

. . . .

= قال ابن القيم: الصبر آكد المنازل في طريق التوحيد وألزمها، وبقوة الصبر على المكاره في مراد المعبود يعلم صحة عبادته ومحبة، فالصابرون تحملوا المشاق، وتجشموا المكاره فتثبت صحة عبادتهم ومحبتهم، فأعظمهم محبة وتوحيداً أشدهم صبراً. مدارج السالكين (٢/ ١٦٣). وقال أيضاً: والصبر والمحبة لا يتناقضان بل يتواخيان ويتصاحبان، والمحب صبور بل علة الصبر في الحقيقة المناقضة للمحبة المزاحمة للتوحيد أن يكون الباعث عليه غير إرادة رضى المحبوب، بل إرادة غيره أو مزاحمته بإرادة غيره أو المراد منه لا مراده، هذه هي وحشة الصبر ونكارته.اهـ. مدارج السالكين (٢/ ١٦٢). وقال عثمان بن منصور: إذا تحقق الإنسان وجد الصبر الإيمان كله؛ لأن الشريعة على قسمين: مأمور ومزجور، ولا يطاق فعل المأمور ولا الانكفاف عن المزجور إلا بالصبر.اهـ.

علاقة الباب بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق وجوب جمع الرجاء مع الخوف، ذكر بعده باب الصبر؛ إشارة منه إلى أن الرجاء ينبغي أن يُغلّب عند المصائب والأقدار المؤلمة، وأن الجمع بين الخوف والرجاء يكون حال الصحة والسلامة.

ـ وقد اختلف أهل العلم أيهما أفضل تغليب الرجاء أم الخوف على أقوال:

القول الأول: عدم تغليب أحدهما على الآخر، قال ابن رجب: فأكثر السلف على أنهما يستويان لا يرجح أحدهما على الآخر، قاله مطرف، والحسن، وأحمد، وغيرهم.اهـ. وعزاه ابن حجر للبخاري؛ لأنه بوب: باب الخوف مع الرجاء، واختاره ابن تيمية، ونقل ابن حجر الاتفاق على تسويتها في حال الصحة. ونقله ابن حجر الهيتمي عن الشافعية في حال الصحة، وأما في حال المرض فالرجاء. واستدلوا بأن الله ﷻ يذكرهما مقترنين كقوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال ابن تيمية: لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله.اهـ.

القول الثاني: يغلب جانب الخوف، وبه قال الشافعية، وأبو سليمان الداراني، وسليمان بن عبد الله. وقالوا: لكي يحمله الخوف على اجتناب المعاصي.

القول الثالث: يغلب جانب الرجاء؛ لأن الرجاء، وهو المختار عند المالكية؛ لأنه مقصود لذاته بخلاف الخوف؛ وليكون متفائلاً والرسول ﷺ يعجبه التفاؤل؛ =

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]﴿١﴾.
قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى

= ولئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله.

القول الرابع: يغلب الشاب الرجاء والشيخ الخوف، وبه قال الحنفية.

القول الخامس: يغلب الخوف في الصحة والرجاء في الموت، وبه قال الفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، والقرطبي، وابن عبد القوي الحنبلي، وابن مفلح الحنبلي. قال ابن عثيمين: وهذا أقرب شيء ولكن ليس بذاك القرب الكامل. اهـ. وقال في شرحه لرياض الصالحين: والإنسان يجب أن يكون طبيب نفسه، إذا رأى من نفسه أنه أمن من مكر الله، وأنه مقيم على معصية الله، ومتمنٍّ على الله الأماني، فليعدل عن هذه الطريق، وليسلك طريق الخوف. وإذا رأى أن فيه وسوسة، وأنه يخاف بلا موجب، فليعدل عن هذا الطريق، وليغلب جانب الرجاء حتى يعتدل خوفه ورجاؤه. اهـ.

قال ابن رجب: والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أو همّاً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله ﷻ لم يكن محموداً فلا. اهـ.

مسائل أحمد برواية إسحاق بن إبراهيم النيسابوري (١٧٨)، التذكار في أفضل الأذكار (٨٩)، الاختيارات «لابن تيمية» (٨٥)، مستدرك فتاوى ابن تيمية (١٢٤)، الفروع (٢، ١٨٠)، الآداب الشرعية (٢/ ٣٠)، تهذيب مدارج السالكين (٢٧٢)، التخويف من النار لابن رجب (٢١، ٢٤)، الفتح لابن حجر (٣/ ٢٨٤٠)، دليل الفالحين «لابن علان» (٦٧٨)، غذاء الألباب «للسفاريني» (١/ ٤٥١)، فتح القوي (٦٠٩)، حاشية ابن قاسم (٢٥٨)، شرح رياض الصالحين «لابن عثيمين» (٥٠٥).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيها دليلاً على فضيلة الصبر على أقدار الله المؤلمة. اهـ. حيث إن الصبر من الإيمان والتوحيد؛ لأن من صبر وسلم إنما يصبر ويسلم لينال محبة ورضى ربه التي هي أساس التوحيد. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٧٨).

ويسلم﴿١﴾.

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر﴿٢﴾: الطعن في النسب، والنياحة على

﴿١﴾ ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه. ووصله ابن جرير «التفسير» (٢٨/ ٧٩)، من طريق عن الأعمش، عن أبي ظبيان «حصين بن جندب»، عن علقمة، **وسنده صحيح** كما قال سليمان بن عبد الله. التيسير (٤٣٣). وقال البيهقي «السنن الكبرى»: وروي هذا عن ابن مسعود. وقال ابن حجر «التغليق» (٣/ ٥٧): وقد رواه البرقاني في مستخرجه على البخاري ولفظه عن علقمة قال: شهدنا عنده، يعني عند عبد الله، عرض المصاحف، فأتى على هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قال: هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم ويرضى. وبنحوه جاء عن ابن عباس ولفظه: «يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه». تفسير الطبري (٢٨/ ١٢٣)، الفتح (٨/ ٦٥٢).

﴿٢﴾ مسائل متعلقة بالكفر:

الأولى: تعريفه:

لغة: قال ابن فارس: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية.اهـ. ومنه قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، والزراع هم الزراع يسترون الحب في التراب.

اصطلاحاً:

أ ـ الكفر الأكبر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الكفر هو عدم الإيمان باتفاق المسلمين.اهـ. الفتاوى (٢٠/ ٨٦).

ب ـ الكفر الأصغر: قال الشيخ صالح الفوزان: هي الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسُّنَّة كفراً وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر.اهـ. وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن: ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالاة والمعاداة والركون والشرك، ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسُّنَّة، قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يراد بها مطلق الحقيقة، والأول هو الأصل عند الأصوليين، والثاني لا يحمل الكلام عليه إلا بقرينة لفظية أو معنوية؛ وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي وتفسير السُّنَّة.اهـ. وهو قول شيخ الإسلام.

=

. . . .

= **الثانية: الكفر يكون بالقول والفعل كما يكون بالاعتقاد:**
قال ابن حزم ـ متعقباً من قال أن الكفر لا يكون بالقول والفعل ـ: فهذه دعوى كاذبة مفتراة لا دليل لهم عليها ولا برهان لا من نص ولا سُنَّة صحيحة ولا سقيمة ولا من إجماع ولا من قياس ولا منقول أحد من السلف قبل اللعين جهم بن صفوان. اهـ.
وقال أبا بطين (١٣٢٦هـ): المرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه بكلام أو اعتقاد أو فعل أو شك. . . وهذا ظاهر بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع. اهـ.
وقال ابن إبراهيم (١٣٨٩هـ): فهذه المذكورات في هذا الباب ـ أي: باب المرتد ـ إجماع منهم أنه يخرج من الملة ولو معه الشهادتان لأجل اعتقاد واحد أو عمل واحد أو قول واحد، يكفي بإجماع أهل العلم لا يختلفون فيه. اهـ.
الثالثة: الفرق بين الكفر الأكبر والأصغر:
١ ـ الأكبر محبط للعمل.
٢ ـ الأكبر موجب للخلود في النار.
٣ ـ الأكبر إذا مات ولم يتب لم يغفر له.
٤ ـ الأكبر في الدنيا يحل الدم والنفس والمال، ويمنع التوارث بينه وبين قريبه المسلم.
٥ ـ الأكبر مخرج من الملة.
٦ ـ الأكبر كفره اعتقادي؛ لأن علاقته بالقلب، والأصغر كفره عملي؛ لأن علاقته بالجوارح.
الرابعة: أنواع الكفر الأكبر:
١ ـ **كفر الجحود**: قال ابن عابدين: وهو أن يعرف ما ذكر بقلبه ولا يقر بلسانه، ككفر إبليس واليهود. اهـ. وقال ابن يعيش النحوي: ولا يكون الجحود إلا مع علم الجاحد، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]. اهـ. والجحود ليس محصوراً على التكذيب فقط، بل يتناول الامتناع عن الإقرار والالتزام، كما بيّن ذلك شيخ الإسلام في الفتاوى (٧/ ٥٣٠، ٢٠/ ٩٨)، وانظر: رسالة في الإرجاء للحوالي (١٥٨ ـ ١٦٢).
٢ ـ **كفر التكذيب**، قال ابن القيم: فهو اعتقاد كذب الرسل. اهـ. وهو كفر بإجماع العلماء، كما حكاه ابن إسحاق؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت]. ونقل =

....

= ابن حزم، والقاضي عياض، وشيخ الإسلام أن من جحد شيئاً مما هو مجمع عليه فهو كافر. قال ابن القيم: وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة.اهـ. وكفر الجحود هو كفر التكذيب، إلا أن كفر الجحود يكون بعد معرفة الحق، كما قال ابن القيم، ويكون مصحوباً بالعناد، كما قال الخفاجي. قال شيخ الإسلام: والتكذيب أخص من الكفر، فكل مكذب لما جاءت به الرسل فهو كافر، وليس كل كافر مكذباً.اهـ.

٣ ـ **كفر الإعراض**، قال ابن القيم: يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة.اهـ. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]. وقال شيخ الإسلام معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٨﴾ [النور]: فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول.اهـ. الفتاوى (٧/ ١٤٢). وقال سليمان بن سحمان: إن الإنسان لا يكفر إلا بالإعراض عن تعلم الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام لا ترك الواجبات والمستحبات.اهـ.

٤ ـ **كفر الشك والظن**، قال ابن القيم: لا يجزم بصدقه ﷺ ولا يكذبه، بل يشك في أمره.اهـ. وهو كفر بإجماع العلماء، كما حكاه ابن حزم والقاضي عياض؛ ولقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ۝٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ﴾ [الكهف: ٣٥ ـ ٣٧]. والفرق بينه وبين كفر الإعراض: قال شيخ الإسلام: وليس كل كافر مكذباً، بل قد يكون مرتاباً؛ إن كان ناظراً فيه، أو معرضاً عنه بعد أن لم يكن ناظراً فيه.

٥ ـ **كفر الامتناع والاستكبار**، قال ابن القيم: من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباءً واستكباراً.اهـ. وهو كفر بإجماع العلماء، كما حكاه إسحاق بن راهويه وابن تيمية؛ ولقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة].

٦ ـ **كفر البغض**، وهو كره الإسلام، وهو كفر بإجماع العلماء، كما حكاه ابن تيمية؛ ولقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩﴾ [محمد]. وهذا فيمن كره الدين كاملاً، أما من كره شيئاً منه فقد اختلف فيه أهل العلم على قولين. =

. . . .

= **٧ ـ كفر النفاق،** قال ابن القيم: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب. اهـ. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون].

٨ ـ كفر الموالاة للكافرين.

٩ ـ كفر الجهل، قال ابن القيم: كفر صادر عن جهل وضلال وتقليد الأسلاف، وهو كفر أكثر الأتباع والعوام. اهـ. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤﴾ [الأنبياء].

الخامسة: أنواع الكفر الأصغر:

١ ـ كفر النعمة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

٢ ـ إتيان الكاهن والساحر.

٣ ـ الطعن في النسب.

٤ ـ وغير ذلك.

السادسة: ما المراد بالكفر الذي جاء إطلاقه على من ارتكب بعض الكبائر؟

كحديث: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»، «**من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**».

القول الأول: أن المراد به كفر دون كفر، وبه قال ابن عباس، وطاوس، وعطاء، ونسبه شيخ الإسلام ابن تيمية لعامة السلف.

القول الثاني: أن المراد به بيان أن هذه المعاصي من الأخلاق التي عليها الكفار، وبه قال أبو عبيد القاسم بن سلام والنووي.

القول الثالث: أن المراد به الكفر اللغوي وهو الستر والتغطية للإحسان والنعم، فيكون الكفر هو كفر النعمة؛ ويشهد له قوله ﷺ: «**إنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير**»، وبه قال الطحاوي.

القول الرابع: أن المراد به أن هذه المعاصي تؤول به إلى الكفر؛ لأن المعاصي بريد الكفر.

القول الخامس: أن المراد به من فعل ذلك أو لم يفعل مستحلّاً لها.

القول السادس: إمرارها كما جاءت من غير تفسير، مع اعتقادهم أن المعاصي لا تخرج من الملة، وبه قال الزهري، وهو رواية عن أحمد. =

....

= **السابعة: من قام به الكفر الأصغر هل يسمى كافراً كفراً لا ينقل من الملة؟**

القول الأول: لا يسمى كافراً، وبه قال جابر، وعمار، وأحمد في رواية، وابن المبارك، والقاضي أبو يعلى، وابن حجر.

القول الثاني: يسمى كافراً مع القطع بإسلامه، وبه قال محمد بن نصر، وابن القيم، قال ابن القيم: فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ؛ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمي الله الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً ولا يطلق عليهما اسم الكفر. اهـ. واستدلوا بأن ابن عمرو سمى شارب الخمر كافراً؛ لكن أحمد ما روى عن ابن عمرو.

القول الثالث: يسمى كافراً تسمية مقيدة، ولا يدخل في الاسم المطلق، وبه قال شيخ الإسلام ابن تيمية. قال شيخ الإسلام: فقوله: «**يضرب بعضكم رقاب بعض**» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفاراً تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر، ومؤمن، كما أن قوله تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] سمى المني ماء تسمية مقيدة، ولم يدخل في الاسم المطلق، حيث قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾ [المائدة: ٦]. اهـ.

الثامنة: قال ابن القيم: الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه. وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده. فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر، بنص رسول الله ﷺ، ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد. اهـ.

الفصل (٣/ ٢٠٠)، مراتب الإجماع، الشفا (٢/ ٥٢٠)، التمهيد (٤/ ٢٢٦)، تعظيم قدر الصلاة (٣٣٧)، شرح المفصل «لابن يعيش» (١/ ١٠)، الفتاوى (٢/ ٧٩، ٧/ ٦٦٨، ٢٠/ ٩٧)، الاقتضاء (١/ ٢١١، ٢١٢)، الصارم المسلول (٥٢١)، شفاء الغليل (٢/ ٥٠)، مفتاح دار السعادة (١/ ٣٣١)، كتاب الصلاة (٣٦)، حاشية الشفاء (٢/ ١١٠)، الفتح «لابن رجب» (١/ ١٣٨)، جامع العلوم والحكم (١/ ٨٤، ٢/ ٥٤٩)، الفتح (١/ ٤٠٦، ١٣/ ١٢٠)، منح ذي الجلال (١٤٦)، مجموعة الرسائل =

الميت»﴿١﴾.

ولهما عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب﴿٢﴾، ودعا بدعوى الجاهلية﴿٣﴾»﴿٤﴾.

= (١/ ٦٥٩، ٣/ ٧)، الدرر السنية (٢/ ٣٦٠، ١٠/ ٤١، ٤٧٣)، كشف الشبهات «لابن إبراهيم» (١٠٢)، عقيدة التوحيد (١٠١)، أعلام السُّنَّة المنشورة (١٧٩)، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية «للبريكان» (١٥٥).

﴿١﴾ مسلم (٦٧)، من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن قاسم: فيه تحريم الجزع المنافي لكمال التوحيد، وفيه دليل على وجوب الصبر.اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٢٦٠).

﴿٢﴾ جمع جيب، وهو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب. التيسير (٤٣٤).

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): هو ندب الميت.اهـ. وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور. وقال الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ): أي: من النياحة ونحوها. وكذا الندب به كقولهم: واجبلاه، وكذا الدعاء بالويل والثبور.اهـ. وقال ابن القيم (٧٥١هـ): الدعاء بدعوى الجاهلية والتعزي بعزائهم كالدعاء إلى القبائل والعصبية لها وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب والطرائق والمشايخ وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية وكونه منتسباً إليه، فيدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية.اهـ. وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): الصحيح أن دعوى الجاهلية يعم ذلك كله.اهـ.

وللفقهاء فيمن دعا بدعوى الجاهلية أقوال ثلاثة:

أحدها: يجلد من استجاب لها خمسين سوطاً؛ لفعل أبي موسى رضي الله عنه لما جلد النابغة حين سمع: يا آل عامر.

الثاني: يجلد دون العشرة أسواط؛ لنهيه ﷺ أن يجلد فوق عشرة أسواط.

الثالث: يرجع إلى اجتهاد الإمام على حسب ما يراه من سد الذريعة، وبه قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ).

زاد المعاد (٢/ ٤٢٨)، التيسير (٣٤٣)، حاشية ابن قاسم (٢٦١)، فتح الحميد (٣/ ١٥٠٠).

﴿٤﴾ البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣)، من طريق مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. =

وعن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا﴿١﴾، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافِيَ به يوم القيامة﴿٢﴾»﴿٣﴾.

= **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح آل الشيخ: إن كلمة «**ليس منا**» تدل على أن الفعل من الكبائر؛ ولهذا فإن ترك الصبر وإظهار التسخط كبيرة من الكبائر، والمعاصي تنقص الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ونقص الإيمان قد ينقص كمال التوحيد، بل إن ترك الصبر منافٍ لكمال التوحيد الواجب. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٩٤).

﴿١﴾ لكي يأتي يوم القيامة وقد طهره الله من الذنوب. ومن فوائد إرادة الله بعبده البلاء لكي لا يتعطل قلبه وجوارحه عن الطاعات، قال ابن القيم (٧٥١هـ): إذا أراد الله بعبده خيراً سلط على قلبه إذا أعرض عنه واشتغل بحب غيره أنواع العذاب حتى يرجع قلبه إليه، وإذا اشتغلت جوارحه بغير طاعته ابتلاها بأنواع البلاء، وهذا من غيرته ﷻ على عبده. اهـ. روضة المحبين (٣٠٤)، تحفة الأحوذي (٧/ ٧٧).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وهذا مما يزهد العبد في الصحة الدائمة خوفاً أن تكون طيباته عجلت له في الحياة الدنيا، والله تعالى لم يرض الدنيا لعقوبة أعدائه، كما لم يرضها لإثابة أوليائه، بل جعل ثوابهم أن أسكنهم في جواره ورضي عنهم. التيسير (٤٣٨).

﴿٣﴾ قال الطحاوي في بيان مشكل الآثار (٥/ ١٣١) في الجمع بين حديث أنس ﷺ، قال: رأى النبي ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ، فقال: **هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟** فقال: يا رسول الله، كنت أقول: اللَّهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا، فقال: **سبحان الله، لا تستطيعه ولا تطيقه، فهلَّا قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟!** وبين حديث أنس: **إذا أراد الله تعالى بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا... وإذا أراد الله تعالى بعبده شراً أمسك عنه بذنبه حتى يوفيه يوم القيامة**. قال: فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله ﷻ وعونه أن الذي ذكر من الحديث الثاني كما ذكر والذي في الحديث الأول غير مخالف لذلك، غير أن رسول الله ﷺ اختار لأمته إشفاقاً عليهم ورحمة لهم ورأفة بهم أن يدعوا الله ﷻ بالمعافاة في الدنيا مما مثل ذلك الرجل فيه، وأن يؤتيهم في الآخرة ما يؤمنهم من عذاب الآخرة، وهذه الحال فهي أعلى الأحوال كلها، فبان بحمد الله =

أخرجه: الترمذي (٢٣٩٦)، من حديث سعد بن سنان [١]، عن أنس رضي الله عنه.

والحديث ضعيف لأمور:

١ ـ أن سعد بن سنان قد ضعفه أئمة الجرح والتعديل كما قال الذهبي [٢]، وقد تفرد بهذا الحديث، ولم يقبل تفرداته الإمام أحمد [٣].

٢ ـ أن الإمام أحمد والجوزجاني والسعدي تكلموا في أحاديث سعد بن سنان عن أنس رضي الله عنه [٤].

= أن لا تضاد في شيء من هذه الآثار ولا اختلاف، والله عز وجل نسأله التوفيق.

📖 **علاقة الحديث بالباب،** أن البلاء من الخير الذي يناله العبد من الله، قال إمام الدعوة في المسائل: الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير. اهـ.

[١] ذهب البخاري وابن يونس إلى أن الصواب في اسمه هو: سنان بن سعد. قال ابن عدي: والليث يروي عن يزيد بن أبي حبيب فيقول: عن سعد بن سنان، وعمرو بن الحارث وابن لهيعة يرويان عن ابن أبي حبيب فيقولان: عن سنان بن سعد.

التاريخ الكبير (٤/ ١٦٣)، الثقات (٤/ ٣٣٦)، الكامل في الضعفاء (٣/ ٣٥٦)، إكمال الكمال (٤/ ٤٤٣)، التهذيب (١٤/ ٤٣).

[٢] المغني (١/ ١٢١).

[٣] قال أحمد: روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها لا أعرف منها واحداً، وتركت حديثه لأنه مضطرب غير محفوظ. بحر الدم (٦١)، التهذيب (١٤/ ٤٢).

[٤] قال أحمد: تشبه أحاديثه أحاديث الحسن. وقال الجوزجاني: أحاديثه واهية لا تشبه أحاديث أنس. اهـ. ومما يدل على قول الإمام أحمد أن الحديث جاء عند هناد «الزهد» لهناد (١/ ٢٥٠)، من حديث أبي معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن قال: «كان رجل من أصحاب رسول الله يمشي في طريق من طريق المدينة، فعرضت امرأة فأتبعها بصره وهو يمشي، فشغل بالنظر إليها، فعرض له حائط فأصاب وجهه فشجه، فأتى النبي فذكر ذلك له، فقال رسول الله: **إن الله إذا أراد بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد به شراً أَخَّر عقوبته إلى يوم** =

٣ ـ أن الأئمة؛ كأحمد﴿١﴾، والترمذي﴿٢﴾، والجوزجاني﴿٣﴾، وابن عدي﴿٤﴾، ضعفوا حديثه﴿٥﴾.
٤ ـ النكارة في متنه﴿٦﴾.

= القيامة حتى يأتيه كأنه عير فيطرحه في النار». العلل لأحمد (٢/ ٥١٧)، الكامل (٣/ ٣٥٥).

﴿١﴾ قال أحمد: حديثه مضطرب، ويشبه حديثه حديث الحسن، لم أكتب حديثه لأنهم اضطربوا، فقال بعضهم: سعد بن سنان، وبعضهم: سنان بن سعد. روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها ما أعرف منها واحداً. العلل لأحمد (٢/ ٥١٧)، الكامل (٣/ ٣٥٥)، بحر الدم (٦١).

﴿٢﴾ فالترمذي قد حكم على الحديث بالضعف حيث قال: حديث حسن غريب، وحسن غريب تضعيف عند الترمذي، ويدل لذلك ما نقله ابن القيم وابن حجر عن الترمذي أنه قال عن حديث أنه حديث حسن، ثم قال الترمذي: وإنما لم نقل لهذا الحديث: صحيح؛ لأنه يقال: إن الأعمش دلس فيه. اهـ. قال المعلمي: الترمذي له اصطلاح في التحسين والتصحيح، وهو أن الحديث إذا روي من طريقين ضعيفين يسميه حسناً. اهـ. وقال بشار عواد: وكل حديث اقتصر على تحسينه الترمذي فهو معلول عنده، وقد تتبعت ذلك وعرفته بالدراسة والبحث والتقصي. اهـ. فكيف وقد وصفه مع الحسن بالغرابة. مفتاح دار السعادة (١/ ٧١)، علل الترمذي «لابن رجب» (١/ ٣٨٤)، رفع الاشتباه (١٥٧)، الفتح «لابن حجر» (١/ ١٦٠)، والنكت (١/ ٤٠٣)، النقد الحديثي عند الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام «لعمر مكي» (٤٦).

﴿٣﴾ وقال الجوزجاني: سعد بن سنان أحاديثه واهية. التهذيب (١٤/ ٤٣).

﴿٤﴾ فابن عدي ذكر هذا الحديث في ترجمة سعد بن سنان في كتابه الكامل (٣/ ٣٥٥). قال ابن حجر: من عادة ابن عدي في الكامل أن يخرج الأحاديث التي أنكرت على الثقة أو غير الثقة. اهـ. هدي الساري (٤٢٩).

﴿٥﴾ والحديث ضعفه الشيخ عبد الله السعد.

﴿٦﴾ وذلك لمخالفته لقوله ﷺ: **«والشر ليس إليك»** رواه مسلم. قال ابن القيم: **«والشر ليس إليك»** ولم يقف على المعنى المقصود من قال: الشر لا يتقرب به إليك، بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في =

الخلاصة: الحديث ضعيف، ويغني عنه ما أخرجه البخاري (٥٦٤٥)، من طريق ابن أبي صعصعة، عن أبي الحباب، عن أبي هريرة ﵁ مرفوعاً: «**من يرد الله به خيراً يصب منه**»، وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن مغفل[١]، صححه ابن حبان، والحاكم، وابن القطان الفاسي، واستغربه أبو نعيم[٢].

وقال ﷺ: «إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء[٣]، وإن الله تعالى إذا

= أفعاله، ولا في أسمائه، فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه.اهـ. وقال أيضاً: الطريقة المعهودة في القرآن الكريم وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ، فيذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يبنى الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدباً في الخطاب.اهـ. ونوقش: بأن المراد بالخير في الحديث لذاته، وأما الشر فمراد لغيره. بدائع الفوائد (٣/ ٢٨)، القواعد الكلية «للبريكان» (١٠٩).

[١] ولفظه: «أن رجلاً لقي امرأة كانت بغياً في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها، فقالت المرأة: مه، فإن الله ﷿ قد ذهب بالجاهلية وجاءنا بالإسلام، فولى الرجل فأصاب وجهه الحائط فشجه، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: **أنت عبد أراد الله بك خيراً، إذا أراد الله ﷿ بعبد خيراً عجَّل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عليه بذنبه حتى يوفى به يوم القيامة**». أحمد (٤/ ٨٧).

[٢] قال أبو نعيم (٤٣٠هـ): غريب من حديث يونس عن الحسن تفرد به حماد.اهـ. وقال الذهبي (٧٤٨هـ): كأنه غير صحيح.اهـ. ويونس ليس من شيوخ حماد بن سلمة الذين مدح حماد بالرواية عنهم، وقد خولف حماد بن سلمة، فرواه هناد «الزهد» (١/ ٢٥٠) من طريق أبي معاوية، عن إسماعيل بن مسلم، عن الحسن مرسلاً. ابن حبان (٧/ ١٧٣)، المستدرك (١/ ٥٠٠)، حلية الأولياء (٣/ ٢٥)، النظر في أحكام النظر (٢٤).

[٣] **ذهب الجمهور، كما قال النووي والدمياطي، إلى أن الشخص يثاب على نفس المصائب وعلى الصبر عليها**، واستدلوا بما أخرجه مسلم مرفوعاً: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة**».

ونوقش:

أ ـ بأن الأحاديث التي فيها الأجر على المصيبة محمولة على من صبر على =

. . . .

= المصيبة لا على مجرد المصيبة فقط، كما قال القرافي.

ب ـ بأن الأحاديث التي فيها الأجر على المصيبة محمولة على المصائب والأسقام الناتجة عن عمل صالح فعله المكلف باختياره كالجهاد وغيره، كما قال شيخ الإسلام وابن القيم، وحديث عائشة السابق هو في رجل أصيب في الحج.

وذهب كثير من الصحابة كما قال ابن رجب، وابن مسعود، والقرافي، والعز بن عبد السلام إلى أن الإثابة على الصبر فقط؛ لأن المصائب ليست من فعل الإنسان. قال ابن رجب (٧٩٥هـ): إن المصائب يثاب على الصبر عليها والرضى بها، وأما نفس المصيبة فقد قيل: إنه يثاب عليها. وقيل: إنه لا يثاب عليها؛ وإنما يكفر عنه ذنوبه، وهذا هو المنقول عن كثير من الصحابة. اهـ. الفتح «لابن رجب» (١/ ١٦١). قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وفي هذا الحديث: «**ما من مصيبة تصيب المسلم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها**» تعقب على الشيخ عز الدين بن عبد السلام حيث قال: ظن بعض الجهلة أن المصاب مأجور، وهو خطأ صريح، فإن الثواب والعقاب إنما هو على الكسب والمصائب ليست منها، بل الأجر على الصبر والرضا، ووجه التعقب أن الأحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر بمجرد حصول المصيبة، وأما الصبر والرضا فقدر زائد يمكن أن يثاب عليهما زيادة على ثواب المصيبة، قال القرافي: المصائب كفارات جزماً، سواء اقترن بها الرضا أم لا، لكن إن اقترن بها الرضا عظم التكفير وإلا قل، كذا قال. والتحقيق أن المصيبة كفارة لذنب يوازيها وبالرضا يؤجر على ذلك، فإن لم يكن للمصاب ذنب عوض عن ذلك من الثواب بما يوازيه. اهـ. وممن قال إن المصيبة يكفر بها الذنوب شيخ الإسلام، وابن القيم، وسليمان بن عبد الله، وابن باز.، قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ورجح ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط، إلا إذا كانت سبباً لعمل صالح كالصبر والرضى والتوبة والاستغفار فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها.

وقال شيخ الإسلام: المصائب نعمة؛ لأنها مكفرات للذنوب؛ ولأنها تدعو إلى الصبر فيثاب عليها. اهـ. حاشية ابن قاسم (٢٦١). وقال شيخ الإسلام: والدلائل على أن المصائب كفارات كثيرة إذا صبر عليها أثيب على صبره، فالثواب والجزاء إنما يكون على العمل وهو الصبر، وأما نفس المصيبة فهي من فعل الله لا من فعل العبد، وهي من جزاء الله للعبد على ذنبه وتكفيره ذنبه بها. وفي المسند «أنهم دخلوا على أبي عبيدة بن الجراح وهو مريض. فذكروا أنه يؤجر على مرضه، =

أحب قوماً ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سَخِطَ فله السخط﴿١﴾». حسنه الترمذي﴿٢﴾.

= فقال: ما لي من الأجر ولا مثل هذه. ولكن المصائب حطة»، فبين لهم أبو عبيدة رضي الله عنه أن نفس المرض لا يؤجر عليه، بل يكفر به عن خطاياه.اهـ. قال ابن حجر: الأمراض والأوجاع والآلام بدنية كانت أو قلبية تكفر ذنوب من تقع له، وسيأتي في الباب الذي بعده من حديث ابن مسعود: «**ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه**»، وظاهره تعميم جميع الذنوب، لكن الجمهور خصوا ذلك بالصغائر للحديث الذي تقدم التنبيه عليه في أوائل الصلاة: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**» فحملوا المطلقات الواردة في التكفير على هذا المقيد، ويحتمل أن يكون معنى الأحاديث التي ظاهرها التعميم أن المذكورات صالحة لتكفير الذنوب، فيكفر الله بها ما شاء من الذنوب ويكون كثرة التكفير وقلته اعتبار شدة المرض وخفته، ثم المراد بتكفير الذنب ستره أو محو أثره المرتب عليه من استحقاق العقوبة.اهـ. الفتاوى (٣٠/ ٣٦٣).

قال ابن حجر: تقرر من قواعد الشريعة أن مرتكب المعصية لا يسمى كافراً ولا يسمى أيضاً ظالماً؛ لأن الظلم قد فسر بالشرك.

شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٢٨)، عدة الصابرين (٦٩)، الفتح «لابن حجر» (١٠/ ١٠٥، ١٠٨، ١٣/ ١٢٠)، تسلية أهل المصائب «للمنبجي» (١٧٣)، الجواهر اللؤلؤية (١٩١)، التيسير (٤٤٠)، التعليق المفيد (١٨٧).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): ولم يقل هنا «فعليه السخط» مع أن مقتضى السياق أن يقول فعليه؛ كقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦]، فقال بعض العلماء: إن اللام بمعنى على؛ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]؛ أي: عليهم اللعنة. وقال آخرون: إن اللام على ما هي عليه، فتكون للاستحقاق؛ أي: صار عليه السخط باستحقاقه له، فتكون أبلغ من «على»؛ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾؛ أي: حقت عليهم باستحقاقهم لها، وهذا أصح.اهـ. القول المفيد (٢/ ١٢١).

﴿٢﴾ الترمذي (٢٧٩هـ) قال فيه: حسن غريب. تحفة الأشراف (٣/ ١٧٣).

علاقة الحديث بالباب، أن البلاء ينال به الصابر محبة الله والأجر العظيم، وهذا دليل على وجوب الصبر؛ لأن الساخط يغضب الله، ويأثم بعدم صبره.

أخرجه: الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، من حديث سعد بن سنان عن أنس رضي الله عنه.

والحديث: ضعيف[١]؛ لأن فيه سعد بن سنان، والنكارة في متنه[٢]؛ لكن الحديث جاء ما يشهد له من حديث محمود بن لبيد[٣]، ويدل على معناه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**من يرد الله به خيراً يصِب منه**».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن. **الثانية**: أن هذا من الإيمان بالله[٤]. **الثالثة**: الطعن في النسب. **الرابعة**: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية[٥]. **الخامسة**: علامة إرادة الله بعبده الخير. **السادسة**: إرادة الله به الشر. **السابعة**: علامة حب الله للعبد. **الثامنة**: تحريم السخط[٦]. **التاسعة**: ثواب الرضى بالبلاء.

---

[١] انظر الحديث السابق.

[٢] لأن المتقرر أن المصائب يكفر بها الذنوب كما تقدم.

[٣] رواه أحمد (٥/٤٢٨)، من حديث عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع**». صححه: الدمياطي، وقال المنذري، والهيثمي: رواته ثقات. الترغيب (٤/ ٢٨٣)، مجمع الزوائد (٣/ ١١)، المتجر الرابح (٨٢٩).

[٤] أي: علم أنها بقدر الله فصبر واحتسب فقد آمن بالله. التوضيح المفيد (١٧٤).

[٥] وهي محرمة بالإجماع. فتح الحميد (٣/ ١٥٠٠).

[٦] **الصبر** على أقدار الله واجب بالاتفاق، كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والسفاريني. واختلفوا في وجوب **الرضا** بأقدار الله ـ بعد اتفاقهم على استحبابه، كما حكاه ابن القيم ـ على قولين:

القول الأول: أنه مستحب، وهو قول أكثر العلماء، كما قال شيخ الإسلام، =

. . . .

= وهو الأصح في مذهب أحمد، وبه قال القاضي، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم؛ لأن الرضا لم يجئ الأمر في القرآن ولا في السُّنَّة، بخلاف الصبر، فإن الله أمر به في مواضع من كتابه، وأما الرضا فإنما جاء في القرآن مدح أهله والثناء عليهم لا الأمر به.

القول الثاني: أنه واجب، وهو رواية للإمام أحمد، وبه قال ابن عقيل، وابن عبد البر، وابن قدامة؛ لأن السخط حرام، ولا خلاص إلا بالرضا، وما لا خلاص عن الحرام إلا به فهو واجب. ونوقش: بأن هذا ليس بلازم، فإن مراتب الناس في المقدور ثلاثة: الرضا وهو أعلاها، والسخط وهو أسفلها، والصبر عليه بدون الرضا به وهو أوسطها، فالأولى للمقربين السابقين، والثالثة للمقتصدين، والثانية للظالمين، وكثير من الناس يصبر على المقدور فلا يسخط وهو غير راضٍ به، فالرضا أمر آخر.

وهذا الخلاف في الرضا من جهة المقضِي؛ أي: الرضا بالمصيبة، وأما الرضا من جهة فعل الله؛ أي: الرضا بقدر الله الذي هو فعله فهذا يجب الرضى به.

قال ابن القيم: وهذا الخلاف بينهم إنما هو في الرضا بقضائه الكوني، وأما الرضا به رباً وإلٰهاً والرضا بأمره الديني فمتفق على فرضيته بل لا يصير العبد مسلماً إلا بهذا الرضا أن يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. اهـ.

* **الفرق بين الصبر والرضا**: قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وحقيقة الفرق بين الصبر والرضا: أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، والرضا يوجب انشراح الصدر وسعته، وإن وجد الإحساس بأصل الألم؛ لكن الرضا يخفف الإحساس بالألم لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وقد زيل الإحساس به بالكلية؛ ولهذا قال طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز، والفضيل، وأبو سليمان، وابن المبارك، وغيرهم: إن الرضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر. وقد روي عن طائفة من الصحابة هذا المعنى أيضاً، وأنهم كانوا لا يتمنون غير ما هم عليه من الحال، منهم عمر، وابن مسعود. وكما أن الصبر يكون عند الصدمة الأولى، كما صح ذلك عن النبي ﷺ، فالرضا إنما يكون بعد نزول البلاء، كما كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**وأسألك الرضا بعد القضاء**». اهـ. قال ابن القيم: وقد أشكل على بعض الناس اجتماع الرضا مع التألم وظن أنهما متباينان وليس كما ظنه، فالمريض الشارب للدواء الكريه متألم به راضٍ به، والصائم في شهر رمضان في شدة الحر متألم بصومه راضٍ به، والبخيل متألم بإخراج زكاة ماله =

. . . .

= راضٍ بها، فالتألم كما لا ينافي الصبر لا ينافي الرضا به. اهـ.

* **كيفية الانتقال من الصبر على المصائب إلى الشكر لها والرضا بها**: قال شيخ الإسلام: . . . فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها، وما في حشوها من النعم والألطاف، انتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلب حينئذ في حقه نعمة، فلا يزال هجِّيرى قلبه ولسانه فيها: «**رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**». وهذا يقوى ويضعف بحسب قوة محبة الله وضعفها، بل يجد أحدنا في الشاهد كما قال بعض الشعراء يخاطب محبوباً له ناله ببعض ما يكره:

لئن ساءني أن نلتني بمساءةٍ لقد سرَّني أني خطرت ببالكا

* **والشكوى تنقسم إلى قسمين**:

القسم الأول: الشكوى إلى الله، وهذه لا تنافي الصبر، كما قال ابن الجوزي، وابن تيمية، وابن القيم؛ لقوله تعالى على لسان أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وعلى لسان يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

القسم الثاني: الشكوى لغير الله، وهي على نوعين:

النوع الأول: إذا كانت الشكوى من باب التضجر والتسخط، فهذه الشكوى محرمة بالاتفاق كما حكاه القرطبي، وقال الهيتُمي: بل ربما يخشى من ذلك الكفر. اهـ.

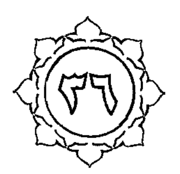
النوع الثاني: إذا كانت الشكوى من باب الإخبار، فهذه مباحة بالاتفاق، كما حكاه القرطبي. قال سفيان بن عيينة: من شكا إلى الناس، وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً، ألم تسمع قول النبي ﷺ لجبريل في مرضه: «**أجدني مغموماً، وأجدني مكروباً**». وقوله لعائشة كما في الصحيحين: «**بل أنا وارأساه**». اهـ. واحتج أحمد لجواز الشكوى بقول عائشة السابق. واحتج ابن المبارك بقول ابن مسعود عن النبي ﷺ: إنك لتوعك وعكاً شديداً، كما في الصحيحين، قال ﷺ: «**أجل كما يوعك الرجلان منكم**».

* **ذهب** مجاهد، والحنابلة، وبعض الشافعية إلى كراهة الأنين؛ لأنه ينافي الصبر. ونوقش: قال النووي: وهذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه هو الذي ثبت فيه نهي مقصود، ولم يثبت في هذا نهي، بل في صحيح البخاري عن عائشة قالت: =

. . . .

= وارأساه، فقال النبي: «**بل أنا وارأساه**»، فالصواب أنه لا كراهة فيه؛ لكن الاشتغال بالتسبيح ونحوه أولى، فلعلهم أرادوا بالمكروه هذا.اهـ. وذهب الشافعية، وهو رواية عن أحمد، إلى عدم الكراهة. قال السفاريني: أنين المريض تارة يكون عن تبرم وتضجر فيكره، وتارة يكون عن تسخط بالمقدور فيحرم فيما يظهر، وتارة يكون لأجل ما يجد به نوع استراحة بقطع عن التضجر والتبرم فيباح، وتارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين وانكسار وخضوع وافتقار ومسكنة واحتقار مع حسم مادة العون إلا من بابه والشفاء إلا من عنده فهذا لا يكره بل يندب.اهـ. وقال أحمد في أنين المريض: أرجو ألا يكون شكوى، ولكنه اشتكى إلى الله.اهـ. وقال ابن القيم: والتحقيق أن الأنين على قسمين: أنين شكوى فيكره، وأنين استراحة وتفريج فلا يكره.اهـ. وسبقه إلى نحو ذلك ابن جرير الطبري.

الثبات عند الممات (٥٥)، شرح صحيح مسلم «للنووي» (١١/ ٧٦)، المجموع (٥/ ١١١)، إحياء علوم الدين (٤/ ٢٩٢)، المنتقى (٩/ ٣٥٥)، منهاج السُّنَّة (٣/ ٢٠٤)، قاعد في الصبر «لابن تيمية» ضمن جامع المسائل، المجموعة الأولى (١٦٦)، مختصر مدارج السالكين (٨٥)، مدارج السالكين (٢/ ١٨٢)، عدة الصابرين (٢٣٢)، الفروع (٢/ ١٨٣)، الآداب الشرعية (٢/ ٣٨٣)، المنهج القويم «للهيتمي» (٣٣٩)، شرح ابن بطال (٩/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥)، الفتح (٥/ ٣٦٨، ١٠/ ١٢٩)، فيض القدير (٢٣٢)، كشاف القناع (٢/ ٧٩)، غذاء الألباب (١/ ٤٤٥، ٢/ ٢٧٩).



باب: ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل». رواه أحمد.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية الكهف. الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله. الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى. الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء. الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء. السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله؛ لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.



٣٦ ـ باب: ما جاء في الرياء ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): الرياء مشتق من الرؤية، والمراد به: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها. اهـ. الفتح (١١/ ٣٤٤). وقال القرافي (٦٨٤هـ): هو إيقاع القربة يقصد بها الناس. اهـ. الذخيرة (١٣/ ٢٥١). وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): الرياء والسمعة هو إرادة أن يرى الناس عمله، وأن يسمعوا ذكره. اهـ. شرح العمدة (٤/ ٥٧٧).

والفرق بين الرياء والنفاق: أن النفاق إظهار الإيمان مع إبطان الكفر، والرياء إظهار الطاعة مع إبطان المعصية. تفسير الخازن (٢/ ٣١٧). قال النووي (٦٧٦هـ): وكما أن الرياء محبط للعمل كذلك التسميع، وهو أن يعمل لله في الخلوة ثم يُحدثُ الناس بما عمل. قال ﷺ: «**من سمَّعَ سمع الله به، ومن راءى راءى الله به**»، قال العلماء: فإن كان عالماً يقتدى به وذكر ذلك تنشيطاً للسامعين ليعملوا به فلا بأس. اهـ. «شرح الأربعين» للنووي (١٥). قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة والصدقة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك التحدث به. وهذه الترجمة والتي بعدها في الشرك في النية، وهو البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، أو نوى شيئاً غير التقرب إلى الله وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإراداته ونياته. حاشية ابن قاسم (٢٦٤).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): لما كان خلوص العمل من الشرك والرياء شرطاً في قبوله لمنافاة الشرك والرياء للتوحيد نبَّه المصنف على ذلك تحقيقاً للتوحيد. اهـ. التيسير (٤٤٤). وقال إمام الدعوة =

. . . .

= (١٢٠٦هـ) في معنى قولهم: «من الشرك التصنع للمخلوق»: وأما قول من قال: من الشرك التصنع للمخلوق؛ فلعل مراده: التصنع بطاعة الله الذي يسمى: الرياء، وهو كثير جداً، فهذا صحيح في أمور لا يفطن لها صاحبها. اهـ. الدرر السنية (٢/ ١٥١). وقال ابن باز: إن الرياء شرك، ولا يجوز فعله. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٤٠٤).

علاقة الباب بما سبق: لما بيَّن المصنف أن التوحيد لا يتحقق إلا بالمحبة والتوكل والخوف والرجاء، ذكر المصنف هذا الباب والأبواب الثلاثة التي بعده ليبين أن المحبة والخوف والرجاء لا تصلح ولا تقبل إلا إذا كانت خالصة له وموافقة لشريعته وحكمه. وبعبارة أخرى: لما ذكر ما يحقق التوحيد ذكر ركني التوحيد، وهما: الإخلاص والمتابعة. قال ابن رجب (٧٩٥هـ): فتحققه بقول: لا إلٰه إلا الله، أن لا يأله القلب غير الله حباً ورجاء وخوفاً وتوكلاً واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً، وتحققه بأن محمداً رسول الله ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان محمد ﷺ. . . وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إلٰه إلا الله يقتضي أن لا إلٰه غير الله، والإلٰه الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ﷻ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلٰهية كان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وهذا كله من فروع الشرك؛ ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه والعمل من أجله، كما ورد في إطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوقين في المشيئة، مثل من يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: ما لي إلا الله وأنت. اهـ. كتاب التوحيد (٤٩).

وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا؛ وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل. فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله، ولا يكون لله =

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴿١﴾ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾﴿٢﴾ [الكهف: ١١٠]﴿٣﴾.

= إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع. فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين: أن يكون لله، وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب... وكثيراً ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له، كما قال شداد بن أوس: يا بقايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية، قيل لأبي داود السجستاني: وما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة، وعن كعب بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.اهـ. الفتاوى (١٠/ ٢١٢)، فتح الحميد (٣/ ١٥١١).

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله: قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: من كان يخاف لقاء الله يوم القيامة. قال شيخ الإسلام: أما اللقاء، فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته ﷻ وأطال في ذلك واحتج له.اهـ. التيسير (٤٤٤).

﴿٢﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ): وقال جميع أهل التأويل: معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ إنه لا يرائي بعمله أحداً.اهـ. وذهب أبو السعود (٩٨٢هـ)، والشنقيطي (١٣٩٣هـ) إلى أن الآية عامة في الشرك الأكبر والأصغر؛ لعموم الآيات في الشرك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، قال صالح آل الشيخ: قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هذا نهي عن الإشراك، والنهي هنا عام لجميع أنواع الشرك ومنها شرك الرياء؛ ولهذا يستدل السلف بهذه الآية على مسائل الرياء، كما أوردها الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ هنا؛ لأنه قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ يعني: بما يشمل ترك المراءاة، فإن الرياء شرك، وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ هذا عموم يعم أنواع الشرك جميعاً؛ لأن ﴿يُشْرِكْ﴾ نكرة جاءت في سياق النهي، فعمَّت أنواع الشرك. تفسير القرطبي (١١/ ٧٠)، أضواء البيان (٤/ ١٩٩)، التمهيد (٣٩٩).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): تضمنت الآية النهي عن الشرك كله قليله وكثيره.اهـ. قرة عيون الموحدين (٣٣٨). وقال =

وعن أبي هريرة ﵁ مرفوعاً: «قال تعالى﴿١﴾**: أنا أغنى الشركاء عن الشرك**﴿٢﴾**؛ من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه».** رواه مسلم﴿٣﴾.

وعن أبي سعيد ﵁ مرفوعاً: «ألا﴿٤﴾ **أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك**

= ابن عثيمين: إن الرياء من الشرك، فيكون داخلاً في النهي عنه.اهـ. القول المفيد (٢/ ١٢٩).

﴿١﴾ وهذا الحديث يسمى بالحديث القدسي: والحديث القدسي الصواب فيه أن لفظه ومعناه من الله، وهو قول كثير من أهل العلم؛ لأن هذا القول يتفق مع مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في كلام الله، وأما قول بعض أهل العلم أن الحديث القدسي معناه من الله ولفظه من النبي ﷺ فهو يتفق مع مذهب الأشاعرة بأن كلام الله نفسي يلقيه في رُوع جبريل أو النبي ﷺ. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (٢١٦)، دليل الفالحين (١١٩)، فتح القوي (٣٦٦)، شرح الأربعين (٢٣٦).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قوله: «أغنى»: اسم تفضيل، وليست فعلاً ماضياً، ولهذا أضيفت إلى الشركاء؛ يعني: إذا كان بعض الشركاء يستغني عن شركته مع غيره؛ فالله أغنى الشركاء عن المشاركة.اهـ. قال عثمان بن منصور: إضافة أفعل التفضيل هنا يجوز أن تكون للفصل إلى الزيادة المطلقة؛ أي: أنا أغنى من بين الشركاء عن الشرك، ويجوز أن تكون الزيادة على من أضيف إليه؛ أي: أكثر الشركاء استغناء عن الشرك، والمعنى: أنا أكثر من تصدق على الشريك أن يحتاج إلى الشريك، والأول أولى للسلامة من الاعتراض.اهـ. فتح الحميد (٣/ ١٥١٨)، القول المفيد (٢/ ١٢٩).

﴿٣﴾ مسلم (٢٩٨٥)، من حديث العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة ﵁.

علاقة الحديث بالباب، قال الفوزان: إنه يدل على عدم قبول العمل الذي داخله رياءٌ أو غيره من أنواع الشرك. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٨٧).

﴿٤﴾ «ألا»: أداة عرض، والغرض منها تنبيه المخاطب؛ فهو أبلغ من عدم الإتيان بها. القول المفيد (٢/ ١٣١).

الخفي﴿١﴾؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل».

﴿١﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: ووجهُ كونه خفيّاً: أنه في النيّات والمقاصد وأعمال القلوب، وهذه لا يعلمها إلَّا الله ﷻ، لا أحد يعلم النيّات ويعلم المقاصد إلَّا الله ﷻ .اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ١٦٢). وذهب سليمان بن عبد الله وعبد الرحمٰن بن حسن إلى أن الرياء خفي على المرائين. وقيل: هو خفي على المرائي نفسه؛ لأنه ملتفت لغير الله وهو لا يشعر، ويدل له ما رواه ابن خزيمة مرفوعاً: «**إياكم وشرك السرائر**». وكلا القولين وجيه. التيسير (٤٤٧)، فتح المجيد (٣٠٨)، وقال ابن باز (١٤٢٠هـ): هناك شرك يقال له: الشرك الخفي ذكر بعض أهل العلم أنه قسم ثالث، واحتج عليه بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري ﵁: أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفي؛ يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**»، خرجه الإمام أحمد. والصواب: أن هذا ليس قسماً ثالثاً، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفياً؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يرائي، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك.

وقد يكون خفياً من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلى بعض الناس كالأنواع التي في حديث ابن عباس السابق. وقد يكون خفياً وهو من الشرك الأكبر كاعتقاد المنافقين.. فإنهم يراءون بأعمالهم الظاهرة، وكفرهم خفي لم يظهروه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]. فاتضح أن الشرك الخفي لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سمي خفياً. فالشرك يكون خفياً ويكون جلياً. فالجلي: دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات والنذر لهم، ونحو ذلك. والخفي: ما يكون في قلوب المنافقين يصلون مع الناس، ويصومون مع الناس، وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، وهم على دين المشركين. فهذا هو الشرك الخفي؛ لأنه في القلوب. وهكذا الشرك الخفي الأصغر؛ كالذي يقصد بقراءته ثناء الناس، أو بصلاته أو بصدقته أو ما أشبه ذلك، فهذا شرك خفي، لكنه شرك أصغر. فاتضح بهذا أن الشرك شركان: أكبر وأصغر، وكل منهما يكون خفياً: كشرك المنافقين.. وهو أكبر، ويكون خفياً أصغر كالذي يقوم يرائي في صلاته أو صدقته أو دعائه لله، أو دعوته إلى الله أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو نحو ذلك. مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٤٦).

رواه أحمد[١].

أخرجه: أحمد (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، من طريق كثير بن زيد، عن رُبيح بن عبد الرحمٰن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه.

صحَّحه: الحاكم، وابن باز[٢].

حسَّنه: البوصيري[٣].

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن كثير بن زيد ليس بالقوي، كما قال ابن معين وابن المديني وأبو حاتم[٤]، وقد تفرد به.

٢ ـ أن رُبيح بن عبد الرحمٰن تكلم فيه أحمد والبخاري وغيرهما[٥]، وقد تفرد به، ولا يحتمل تفرده[٦].

---

[١] **علاقة الحديث بالباب،** أن فيه التحذير من الرياء؛ لأن النبي ﷺ خافه على أصحابه، وفيه تفسير الرياء، قال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ) في المسائل: الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء. السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.اهـ. قال صالح الفوزان: إنه يدل على عدم قبول العمل الذي داخله رياءٌ أو غيره من أنواع الشرك.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٨٧).

[٢] المستدرك (٤/ ٣٢٩)، فتح المجيد (٣٢٧).

[٣] مصباح الزجاجة (٣/ ٢٩٥).

[٤] قال الذهبي (٧٤٨هـ): قال أبو زرعة (٢٦٤هـ): صدوق فيه لين. وقال النسائي (٣٠٣هـ): ضعيف، وقال آخر: جائز الحديث. الجرح والتعديل (٧/ ١٥١)، سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني (٩٥)، المغني في الضعفاء (١/ ١٢٤).

[٥] قال البخاري (٢٥٦هـ): منكر الحديث.اهـ. وقد نقل ابن القطان الفاسي عن البخاري أنه قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه. الجرح والتعديل (٣/ ٥١٨)، الكامل (٣/ ١٧٣)، الكاشف (١/ ٣٩١)، التقريب (١٩٢).

[٦] قال ابن حجر: مقبول.اهـ. ومقبول عند ابن حجر لا يقبل تفرده إذا لم =

٣ - أن الأئمة؛ كابن عدي، ضعفوا حديثه﴿١﴾ .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف. **الثانية**: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله﴿٢﴾ . **الثالثة**: ذكر السبب الموجب لذلك

= يتابع، وقد بيَّن ابن حجر مصطلحه فيمن قال فيه مقبول في مقدمة التقريب، فقال: من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ: مقبول، حيث يتابع، وإلا فلين الحديث. التقريب (١).

﴿١﴾ الكامل (٣/ ١٧٤). **والحديث ضعفه الشيخ عبد الله السعد.**

﴿٢﴾ **حكم الرياء:**

قال الشنقيطي:

هل الرياء مبطل للعمل ... وأجره حتى كأن لم يحصل؟

أو مبطل للأجر دون عمل ... فحج من راءى به لم يبطل

الرياء نوعان:

النوع الأول: الرياء الأكبر:

قال ابن رجب (٧٩٥هـ): إنَّ العمل لغيرِ الله أقسامٌ: فتارةً يكونُ رياءً محضاً، بحيثُ لا يُرادُ به سوى مراءاة المخلوقين لغرضٍ دُنيويٍّ، كحالِ المنافِقين في صلاتهم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون]. وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرِّياء في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. وهذا الرِّياءُ المحضُ لا يكاد يصدُرُ من مُؤمنٍ في فرض الصَّلاةِ والصِّيامِ، وقد يصدُرُ في الصَّدقةِ الواجبةِ أو الحجِّ، وغيرهما من الأعمال الظاهرةِ، أو التي يتعدَّى نفعُها، فإنَّ الإخلاص فيها عزيزٌ، وهذا العملُ لا يشكُّ مسلمٌ أنَّه حابِطٌ، وأنَّ صاحبه يستحقُّ المقتَ مِنَ اللهِ والعُقوبة.اهـ. جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦). وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي: الرياء يكون شركاً أكبر، وشركاً أصغر، والفرق بينهما: أن الرياء الأكبر يكون مع عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، والرياء الأصغر يكون مع الإيمان بالله واليوم الآخر. فالرياء الأكبر يكون مع ناقض من نواقض الإسلام، كحال عبد الله بن أُبي، ومن معه من المنافقين في زمن =

....

= النبي ﷺ. اهـ. قال العلامة ابن عثيمين: الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن الإنسان قصد بعبادته غير الله، وقد يصل إلى الأكبر، وقد مثل ابن القيم للشرك الأصغر؛ فقال: «مثل يسير الرياء»، وهذا يدل على أن الرياء الكثير قد يصل إلى الأكبر. اهـ.

النوع الثاني: الرياء الأصغر، وهو على أحوال:

أ ـ التسميع، وهو أن يعمل لله في الخلوة ثم يُحدثُ الناس بما عمل، فلا يبطل العمل بذلك، وبه قال الغزالي (٥٠٥هـ)، وابن قدامة (٦٢٠هـ)، والعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)؛ لأنه بعد الانتهاء من العمل؛ لكن يأثم كما قال الغزالي، وابن قدامة، قال الغزالي: الأقيس أنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها. اهـ. ويدل عليه قوله: «**من سمع سمع الله به**» أخرجه البخاري ومسلم. وقال ابن قدامة: أما إن تحدث به بعد تمامه وأظهره فهذا مخوف، والغالب عليه أنه كان في قلبه وقت مباشرة العمل نوع رياء، فإن سلم من الرياء نقص أجره. اهـ.

ب ـ إذا كان الرياء من بداية العمل، وهو أنواع:

١ ـ إذا لم يرد بعمله المعين إلا مراءاة الناس، فهذا لا خلاف في بطلان عمله كما حكاه ابن تيمية. وذهب الغزالي (٥٠٥هـ)، وابن رجب (٧٩٥هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ) إلى أن نوع الشرك في هذا الرياء هو الأصغر؛ لأن صاحبه لم يخضع ولم يتذلل لأحد ولم يعظمه وإنما أراد تحقيق ما تهواه نفسه من المدح. وذهب حافظ الحكمي إلى أنه شرك أكبر. ومع بطلان العمل هو آثم، قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ولا يظن الظان أنه يكتفي فيه بحبوط عمله فلا له ولا عليه، قال الشيخ ـ ابن تيمية ـ: بل هو مستحق للذم والعقاب، وقد دل الكتاب والسُّنَّة على حبوط العمل بالرياء، وجاء الوعيد عليه. اهـ. قال ابن القيم (٧٥١هـ): وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً فإنه ينزله منزلة من لم يعلمه فيعاقب على ترك الأمر. اهـ. وبالإثم مع بطلان العمل قال به النووي، وعليه الإعادة، وبه قال ابن القيم.

٢ ـ إذا أراد بعمله المعين الثواب والرياء، فذهب عبادة بن الصامت (٣٤هـ)، وأبو الدرداء (٣٢هـ)، وابن المسيب (٩٤هـ)، والحسن (١١٠هـ)، والعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) إلى بطلان عمله، قال ابن رجب: لا يعرف عن السلف في هذا خلافاً وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين. واستدلوا بعموم قوله ﷺ: =

. . . .

= «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، قال النووي: وَالْمُرَاد أَنَّ عَمَل الْمُرَائِي بَاطِل لَا ثَوَاب فِيهِ، وَيَأْثَم بِهِ. وقال ابن القيم: وذهب الغزالي إلى الموازنة بين الرياء والإخلاص فله من الأجر والإثم بحسبهما.

٣ ـ أن يكون الباعث على العمل هو الرياء. ثم يعرض له قلب النية لله، قال ابن القيم: فهذا لا يحتسب له بما مضى من العمل ويحتسب له من حين قلب نيته، ثم إن كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة وإلا لم تجب كمن أحرم لغير الله ثم قلب نيته لله عند الوقوف والطواف. اهـ.

ج ـ إذا كان الرياء طارئاً أثناء العبادة، وهو على أنواع:

١ ـ أن يكون خاطراً ثم يدفعه، فهذا لا يضره بلا خلاف، كما حكاه ابن رجب.

٢ ـ أن يطرأ الرياء في العبادة، والعمل مرتبط أوله بآخره: فذهب الحسن (١١٠هـ) فيما حكي عنه، والإمام أحمد (٢٤١هـ)، وابن جرير (٣١٠هـ)، والعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ) إلى أن عمله لا يبطل ويجازى بنيته الأولى. وذهب ابن قدامة (٦٢٠هـ)، وابن تيمية (٧٢٨هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ) إلى بطلان عمله؛ لعموم: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»، قال ابن تيمية: المحفوظ عن السلف عدم الإعادة؛ لأنه يفتح باب الوسواس. اهـ. قال ابن القيم: حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها؛ أعني: قطع ترك استصحاب حكمها. اهـ.

٣ ـ أن يطرأ الرياء في العبادة، والعمل ليس أوله مرتبطاً بآخره؛ كالحج والصدقة، فهذا عمله الأول صحيح والباقي باطل.

٤ ـ أن يكون الرياء في الزيادة في العبادة، كمن أطال الركوع، فهذا أصل عمله لا يبطل؛ ولكن ما زاده من التطويل فباطل، ويأثم بالرياء.

ـ اختلف العلماء فيمن ترك فعل الطاعة لأجل الناس ـ تجنباً لمدحهم ـ هل يدخل في الرياء؟ على قولين:

القول الأول: أنه يدخل في الرياء، وبه قال الغزالي، قال الفضيل بن عياض، كما في الحلية (٨/ ٩٥): العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء، قال النووي: ومعنى كلامه أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس فهو =

= مُراء؛ لأنه ترك العمل لأجل الناس، وأما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب، إلا أن تكون فريضة أو زكاة واجبة أو يكون علماً يقتدى به فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل.اهـ. وقال شيخ الإسلام: **ومن كان له ورد** مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرّاً لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص، ولهذا قال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك.اهـ. الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٦٢). واستدلوا بالآية والحديث الأول اللذين ذكرهما المصنف في الباب. وقد استشكل قول الفضيل أن «ترك العمل رياء»، والجواب: أن ذلك محمول على من تركه خوفاً من كلام الناس أن يصفوه بالرياء، أو أنه محمول على من ترك المعصية لكي يقال أنه صالح أو عاقل.

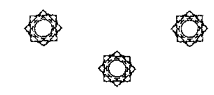
القول الثاني: إذا وقع للإنسان حالة ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه؛ لئلا يظن به ما يضره فليس هذا الرياء، بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به، أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي، وبهذا قالت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة ابن باز.

ـ ترك المعصية من أجل الناس:

قال ابن رجب: أما إن همَّ بمعصية ثم ترك عملها **خوفاً من المخلوقين أو مراءاة** لهم، فقد قيل: أنه يعاقب على تركها بهذه النية؛ لأن تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرم، وكذلك قصد الرياء للمخلوقين محرم، فإذا اقترن به ترك المعصية لأجله عوقب على هذا الترك، وقد خرج أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس قال: يا صاحب الذنب لا تأمنن من مدقق سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، وذكر كلاماً وقال: خوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا فعلته، وقال الفضيل بن عياض: كانوا يقولون: ترك العمل للناس رياء، والعمل لهم شرك.اهـ. قال الغزالي: ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائياً.اهـ.

ـ وقد تقدم في باب الخوف من الله التفصيل في مسألة ترك الواجب خوفاً من الناس، فحبذا الرجوع إليها ليتم تصور المسألة. =

وهو كمال الغنى﴿١﴾. **الرابعة**: أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء. **الخامسة**: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء﴿٢﴾. **السادسة**: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله؛ لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.



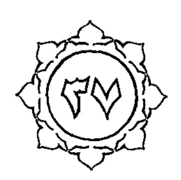
= **فائدة:**

ثناء الناس ومدحهم لما يقوم به الإنسان من دون قصد منه لا يدخل في الرياء، كما قال ابن القيم: لقوله ﷺ لما سئل عن الرجل يعمل العمل فيحمده الناس: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**». أخرجه مسلم.

الإحياء للغزالي (٣/ ١٠٣، ٢٨٤، ٣٢٥)، قواعد الأحكام (١/ ١٢٤)، مختصر منهاج القاصدين «للمقدسي» (٣٩٣)، شرح مسلم للنووي، الفتاوى (٢٢/ ٦١٢، ٥٠٧)، الاختيارات لابن تيمية (٩٠)، إعلام الموقعين (٢/ ١٦٣)، الفروع (٣/ ١٥٣٠)، الجواب الكافي (١٣٨)، شرح الأربعين «للنووي» (١٥)، جامع العلوم والحكم «لابن رجب» (١/ ٤٨، ٤٩، ٢/ ٣٤٦)، الفروق «للقرافي» (٢/ ١٧٠)، نسيم الرياض «للخفاجي» (٢/ ١٧٠)، الإعلام لابن الملقن (١/ ١٩٧)، معارج القبول (٢/ ٤٩٣)، القول السديد (٢٨)، حاشية ابن قاسم، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٢٠٦)، القول المفيد (١/ ١١٨، ٢/ ١٢٤)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٧٦٩).

﴿١﴾ لقوله: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**».

﴿٢﴾ قال صالح آل الشيخ: الرياء جاء فيه الحديث وخافه النبي عليه الصلاة والسلام على أمته، فهو في وقوعه كثير، والخوف منه جلل. اهـ. التمهيد (٤٠٤).
وقيل: أن العمل من أجل الدنيا أعظم من الرياء؛ لأن العمل من أجل الدنيا يطول بخلاف العمل من أجل ثناء الناس فهو في عمل دون عمل؛ ولهذا سمى طالب الدنيا عبداً بخلاف المرائي فلم يسمِّه عبداً.



باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعِس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شَفَعَ لم يشفّع».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة. الثانية: تفسير آية هود. الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة. الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعطَ سخط. الخامسة: قوله: «تعس وانتكس». السادسة: قوله: «وإذا شيك فلا انتقش». السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.





٣٧ ـ باب: من الشرك ﴿١﴾ إرادة الإنسان بعمله الدنيا ﴿٢﴾

. . . .

﴿١﴾ «من الشرك» أي: من أنواع الشرك، والمراد: الشرك الأصغر. قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): إن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب. اهـ. فتح المجيد (٢/ ٦٢٥). وقال ابن القيم (٧٥١هـ): وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام. اهـ. الجواب الكافي (١/ ٩٤)، تجريد التوحيد للمقريزي (٥٩)، إعانة المستفيد (٣/ ١٦٧)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٠٥).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً يريد به الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك. اهـ. التيسير (٤٥٣). وقال عبد الرحمٰن بن حسن: كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم؛ كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح أمر دنيا. اهـ. قرة عيون الموحدين (١٨٤هـ). وقال الشيخ صالح الفوزان: والفرق بين هذا الباب والذي قبله: أن الباب الذي قبله في الرياء وهذا في إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وهما يجتمعان في العمل لغير وجه الله، وفي أنهما شرك خفي؛ لأن الإرادة والقصد من أعمال القلوب، فهما يجتمعان في هذا، لكن يفترقان في أن الرياء يراد به الجاه والشهرة، وأما طلب الدنيا فيراد به الطمع والعرض العاجل، قالوا: والذي يعمل من أجل الطمع والعرض العاجل أعقل من الذي يعمل للرياء؛ =

. . . .

= لأن الذي يعمل للرياء لا يحصل له شيء، وأما الذي يعمل من أجل الدنيا فقد يحصل له طمع في الدنيا ومنفعة في الدنيا. اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ١٦٧).

وهو أعظم من الرياء؛ لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، كما قال عبد الرحمٰن بن حسن، وابن قاسم، وسليمان بن حمدان، وفيصل بن مبارك. وقد ذهب الغزالي، وابن قدامة، وابن رجب، والسيوطي، والبغوي، والقرافي، وإمام الدعوة، والصنعاني، وسليمان بن عبد الله إلى التفريق بين الرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا. وذهب الشاطبي، وعبد الرحمٰن بن حسن، وابن قاسم إلى أن الرياء من إرادة الدنيا فبينهما تداخل. وذهب الحسن والقرطبي إلى عدم التفريق، قال الحسن: الرياء طلب حظ النفس من عملها في الدنيا. اهـ. وقال القرطبي: حقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس. اهـ. تفسير القرطبي (٥/ ١٨١).

وقد نبَّه ابن القيم إلى أنه: لا يمكن ارادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الايمان بالله ورسوله ولقائه أبداً فإن الإيمان بالله والدار الآخرة يستلزم إرادة العبد لرحمة الله والدار الآخرة بأعماله، فحيث كان مراده بها الدنيا فهذا لا يجامع الإيمان أبداً، وإن جامع الإقرار والعلم فالإيمان وراء ذلك والإقرار والمعرفة حاصلان لمن شهد الله سبحانه له بالكفر مع هذه المعرفة؛ كفرعون وثمود واليهود الذين شاهدوا رسول الله وعرفوه كما عرفوا أبناءهم وهم من أكفر الخلق بإرادة الدنيا وعاجلها بالأعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم؛ ولكن الإيمان الذى هو وراء ذلك لا بد أن يريد صاحبه بأعماله الله والدار الآخرة. اهـ.

عدة الصابرين (١٣٨). الموافقات (٢/ ٢١٧)، جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩)، الفروق «للقرافي» (٣/ ٢٢)، العدة (١/ ٥٨).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** قال عبد الرحمٰن بن حسن: أراد المصنف بهذه الترجمة أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال. اهـ. فتح المجيد (٣١٠).

علاقة الباب بالباب السابق: لما ذكر المصنف أن الرياء وحب ثناء الناس مما يبطل قبول العمل الصالح أو ينقص أجره، ذكر المصنف في هذا الباب صورة أخرى لما يبطل العمل الصالح أو ينقص أجره ألا وهي إرادة المنافع الدنيوية بالعمل الصالح. فالباب السابق في إرادة الثناء والسمعة، وهذا الباب في إرادة المنافع =

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾[١] ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾[٢][٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦][٤].

= الدنيوية؛ كالصحة، وطول العمر، والمال. قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): قوله: «باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا». أراد المصنف بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل. اهـ. قرة عيون الموحدين (٣٤٢)، حاشية ابن قاسم (٢٦٤)، التمهيد (٤٠٤).

[١] **للعلماء فيمن نزلت أقوال:**

أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين كما قال ابن الجوزي. زاد المسير (٦٤٥).

والثاني: أنها في أهل القبلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، قال مجاهد: هم أهل الرياء. وقال الضحاك: من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوى عجل له ثواب عمله في الدنيا، واختاره ابن القيم. عدة الصابرين (١٦٣). وهذا القول لا يخالف القول الأول، وهو من اختلاف النوع لا اختلاف التعارض.

والثالث: أنها في الكفار، وبه قال قتادة، والفراء، وهو اختار ابن عثيمين؛ ويدل لهذا سياقها والجزاء المرتب. القول المفيد (٢/ ١٢٦). والآية وإن قيل إنها في الكفار فقد تقرر فيما سبق الاستدلال فيما نزل في الكفار على أفعال المسلمين التي فيها شبه بالكفار.

[٢] والمعنى: أنهم يعطون ما يريدون في الدنيا ومن ذلك الكفار لا يسعون إلا للدنيا وزينتها، فعجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]. القول المفيد (٢/ ١٣٩).

[٣] قال ابن عثيمين: وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾، مخصوصة بقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء]. اهـ. القول المفيد (٢/ ١٤٠).

[٤] وقد سُئل إمام الدعوة عن هذه الآية فأجاب بما حاصله: ذُكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم. =

....

= **فمن ذلك**: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صلاة وصدقة وإحسان ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله، لكنه لا يريد به ثواب الآخرة وإنما يريد به أن يحفظ الله ماله وينميه، أو حفظ أهله وعياله، ولا همّة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب، وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحج لمال يأخذه، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر هذا النوع أيضاً في تفسير هذه الآية.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يُكَفِّره كفراً يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا تصدقوا أو عبدوا الله أو صاموا ابتغاء وجه الله، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم. فهذا النوع قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره. وكان السلف يخافون منها. انتهى ملخصاً. الدر النضيد (٢٢٦).

علاقة الآيتين بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إنهما بيَّنتا حكم من أراد بعمله الدنيا، ومآله في الدنيا والآخرة.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٩١). وقال ابن القيم في وصف من توسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا: وهذا شر معكوس من كل وجه، وقلب منكوس غاية الانتكاس، وهذا هو الذى انطبق عليه حذو القذة بالقذة قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى]، فهذه ثلاث آيات يشبه بعضها بعضاً وتدل على =

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تعِس عبد الدينار﴿١﴾، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة﴿٢﴾، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط؛ تعس وانتكس﴿٣﴾، وإذا شيك فلا انتقش﴿٤﴾. طوبى﴿٥﴾ لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرَّة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة﴿٦﴾، إن استأذن لم

= **معنى واحد وهو أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة فحظه ما أراد وهو نصيبه ليس له نصيب غيره.** اهـ. عدة الصابرين (٢٢١).

﴿١﴾ قال ابن حجر: أي طالبه، الحريص على جمعه القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده. اهـ. الفتح (١١/ ٢٥٤).

﴿٢﴾ وفي البخاري (٢٨٨٥)، «والقطيفة»، من طريق أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ.

﴿٣﴾ قال شيخ الإسلام: تعس فلا انتكس، فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه. اهـ. وقال ابن عثيمين: قوله: «**تعس وانتكس**»: تعس؛ أي: خاب وهلك، وانتكس؛ أي: انتكست عليه الأمور بحيث لا تتيسر له، فكلما أراد شيئاً انقلبت عليه الأمور خلاف ما يريد، ولهذا قال: «**وإذا شيك فلا انتقش**»؛ أي: إذا أصابته شوكة؛ فلا يستطيع أن يزيل ما يؤذيه عن نفسه. الفتاوى (١٠/ ١٨٠)، القول المفيد (٢/ ١٤٣).

﴿٤﴾ وهو دعاء بلفظ الخبر، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية. الفتاوى (١٠/ ١٨٠).

﴿٥﴾ و«طوبى» فعلى من الطيب، وهي اسم تفضيل، فأطيب للمذكر وطوبى للمؤنث، والمعنى: أطيب حال تكون لهذا الرجل، وقيل: إن طوبى شجرة في الجنة، والأول أعم؛ كما قالوا في ويل: كلمة وعيد، وقيل: وادٍ في جهنم، والأول أعم. القول المفيد (٢/ ١٤٤).

﴿٦﴾ **الساقة**: آخر الجيش، والجيش يسمى خميساً لأنهم أخماس: مقدمة، وقلب، وميمنة، وميسرة، وساقة. تحقيق التوحيد (٢/ ٣٨٤).

يؤذن له، وإن شَفَعَ لم يشفّع﴿١﴾»﴿٢﴾.

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله: وفيه أن هذه الأمور ونحوها لا تكون لهوان المؤمن على الله بل لكرامته. اهـ. التيسير (٤٥٩).

﴿٢﴾ البخاري تعليقاً (٢٨٨٦)، من طريق عمرو بن مرزوق عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ. بدون تكرار تعس. وقد وصله أبو نعيم من طريق الكجي وغيره عن عمرو بن مرزوق عن عبد الرحمٰن به. الفتح (٦/ ٨٢). وصححه البغوي شرح السُّنَّة (١٤/ ٢٦١)؛ لكن فيه:

١ ـ عمرو بن مرزوق البصري ثقة له بعض الأوهام كما قال ابن حجر في التقريب (٤٧٢)، وقال فيه ابن حجر في مقدمة الفتح: لم يخرج له البخاري احتجاجاً. اهـ. وقال الذهبي: ثقة فيه بعض الشيء. اهـ. وقال الدارقطني: كثير الوهم. اهـ. المغني (١/ ١٠٥). وقد تفرد عمرو بن مرزوق بذكر «**تعس وانتكس**..» كما البخاري. الفتح (٦/ ٨٦).

٢ ـ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن دينار لين الحديث كما قال أبو حاتم. وقال ابن حجر: صدوق يُخطئ. التقريب (٣٦٦). وقال المعلمي: فيه ضعف. اهـ. الفوائد (٣٥٣). وقال ابن عدي: وهو في جملة من يكتب حديثه من الضعفاء. اهـ. الكامل (٤/ ٢٩٩).

والحديث رواه البخاري (٢٨٨٥)، من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة، مختصراً بلفظ: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض**». وذكر البخاري أن إسرائيل لم يرفعه عن أبي حصين، وذكر البغوي أن محمد بن جحادة أيضاً لم يرفعه عن أبي حصين. قال الإسماعيلي: وافق أبا بكر على رفعه شريك القاضي، وقيس بن الربيع عن أبي حصين، وخالفهم إسرائيل فرواه عن أبي حصين موقوفاً. اهـ. قال أحمد بن حنبل عندما سئل أيهما أحب إليك، إسرائيل، أو أبو بكر بن عياش؟: فقال: إسرائيل. قيل: لم؟ قال: إن أبا بكر كثير الخطأ جداً. قلت: كان في كتبه خطأ. قال: لا، كان إذا حدث من حفظه. تاريخ بغداد (١٤/ ٣٧٩). قال ابن حجر: إسرائيل أثبت منهم، ولكن اجتماع الجماعة يقاوم ذلك، وحينئذ تتم المعارضة بين الرفع والوقف فيكون الحكم للرفع والله أعلم. اهـ. الفتح (١١/ ٢٥٤). وقد أثنى الإمام أحمد على رواية أبي بكر بن عياش عن أبي حصين. المعرفة والتاريخ (٢/ ١٧٣).

=

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة﴿١﴾. ....

= **علاقة الحديث بالباب،** قال صالح آل الشيخ: إنه دعا على عبد الدينار، وعلى عبد الدرهم، وعلى عبد الخميصة. وعبد الدينار والدرهم هو الذي يعمل العمل لأجل الدينار، ولولا الدينار لما تحركت همته في العمل، لولا هذه الخميصة لما تحركت همته في العمل، فهو إنما عمل لأجل هذا الدينار، لأجل هذه الدنيا، وما فيها من الدرهم والجاه والمكانة ونحو ذلك، وقد سماه النبي عليه الصلاة والسلام عابداً للدينار، فدل ذلك على أنه من الشرك؛ لأن العبودية درجات، منها: عبودية الشرك الأصغر، ومنها عبودية الشرك الأكبر، فالذي يشرك بغير الله ـ جل وعلا ـ الشرك الأكبر هو عابد له؛ كأهل الأوثان، وعبدة الأصنام، وعبدة الصليب، وكذلك من يعمل الشرك الأصغر، ويتعلق قلبه بشيء من الدنيا فهو عابد؛ لذلك يقال: عبد هذا الشيء؛ لأنه هو الذي حرك همته.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤١٠).

﴿١﴾ **أقسام إرادة الإنسان بعمله الدنيا:**

القسم الأول: أن يريد بعمله الصالح الدنيا فقط، فلا يريد وجه الله ولا الثواب في الآخرة، وصاحبه على أحوال:

أ ـ أن يريد بإسلامه الدنيا، وأعماله كلها الدنيا، فهذا شرك أكبر، وهو من المنافقين. قال السعدي (١٣٧٦هـ): فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب. وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن؛ فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لا بد أن يريد الله والدار الآخرة.اهـ. القول السديد (١٢٩). وقال ابن القيم (٧٥١هـ): من لم يرد بعمله وجه الله؛ وإنما أراد به الدنيا وزينتها، فهذا لا يدخل فى دائرة أهل الايمان، وهذا هو الذي فهمه معاوية من الآية، واستشهد بها على حديث أبي هريرة ﷺ، الذى رواه مسلم في صحيحه: «**في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: القارئ الذي قرأ القرآن ليقال فلان قارئ، والمتصدق الذي أنفق أمواله ليقال فلان جواد، والغازي الذي قتل في الجهاد ليقال هو جريء**».اهـ. عدة الصابرين (١٦٤).

ب ـ أن يريد الإنسان بعمله الدنيا مطلقاً وهو الغالب على حاله، فهذا شرك أكبر، قال الشيخ عبد الله الغنيمان: ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل =

. . . .

= الصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج ابتغاء وجه الله، طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا، مثل: أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما، وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلص، وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين: وهو هذا وأمثاله؛ يعني: إذا كان الغالب عليه الإخلاص والتقى فيكون ناجياً بإخلاصه وتقاه، **وإذا كان الغالب عليه المراءاة وإرادة الدنيا فيكون هالكاً**، فهو خاضع لما غلب عليه بالعمل، وهو ما يختم له به؛ لأنه قد يختم للإنسان بعمل صالح يكفِّر عنه ما سبق، كما قال الرسول ﷺ: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»، وقد ينعكس الأمر فيختم للإنسان بأعمال سيئة يموت عليها، وتكون خاتمته أنه مات على أسوأ أعماله، نسأل الله العافية! .اهـ.

ت ـ أن يريد الإنسان بعمله الدنيا فقط في عمل من الأعمال، كمن يجاهد من أجل الدنيا، أو يدرس من أجل الوظيفة، أو يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله، أو مكسبهم، أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، فذهب الصنعاني إلى عدم الإثم. وذهب إلى التحريم الغزالي، والسيوطي، وقال إنه شرك: ابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، وسليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن؛ لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾، ولحديث الباب.

القسم الثاني: أن لا يريد بعمله وجه الله ولا الدنيا؛ كالصدق، والعفو، والعلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): من فعل هذا أو غيره مما هو خير في نفسه لما فيه من المحبة له لا لله ولا لغيره من الشركاء فليس مذموماً بل قد يثاب بأنواع من الثواب إما بزيادة فيها وفي أمثالها فيتنعم بذلك في الدنيا، ولو كان كل فعل حسن لم يفعل لله مذموماً لما أطعم الكافر بحسناته في الدنيا؛ لأنها تكون سيئات وقد يكون من فوائد ذلك وثوابه في الدنيا أن يهديه الله إلى أن يتقرب بها إليه وهذا معنى قول بعضهم: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله. وقول آخر: طلبهم له نية؛ يعني: نفس طلبه حسنة تنفعهم، وهذا قيل في العلم لأنه الدليل المرشد فإذا طلبه بالمحبة وحصله وعرفه بالإخلاص فالإخلاص لا يقع إلا بالعلم، فلو كان طلبه لا يكون إلا بالإخلاص لزم الدور وعلى هذا ما حكاه أحمد وهو حال النفوس المحمودة، ومن هذا قول خديجة للنبي ﷺ: كلا والله لا يخزيك الله، فعلمت أن =

. . . .

= النفس المطبوعة على محبة الأمر المحمود وفعله لا يوقعه الله فيما يضاد ذلك.اهـ. الفروع (١/ ٤٦٦). وقال أبو سليمان الداني: من عمل عمل خير من غير نية كفاه نية اختياره للإسلام على غيره من الأديان.اهـ. وقال الإمام أحمد لما قال له أبو داود طلبت هذا العلم ـ أو قال ـ جمعته لله: لله عزيز؛ ولكن حُبِّب إليَّ أمر ففعلته.اهـ. جامع المسائل (٥/ ١٩١). وقال ابن عثيمين ـ عند قوله ﷺ: «**وتميط الأذى، عن الطريق صدقة**» ـ: يؤجر بمجرد الفعل ولو لم ينو.اهـ. شرح الأربعين «لابن عثيمين» (٢٥٧).

القسم الثالث: **أن يريد وجه الله**، وهذا صاحبه على أحوال:

أ ـ أن يكون إرادته وجه الله وسيلة لا غاية وقصداً لحصول منفعة دنيوية، أن يجعل الإخلاص مطية ووسيلة ـ لحصول المنفعة ـ لا غاية وقصداً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: حكي أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، قال: فأخلصت أربعين يوماً فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي: إنما أخلصت للحكمة ولم تخلص لله! قال شيخ الإسلام: وذلك لأن الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة أو نيل المكاشفات والتأثيرات أو نيل تعظيم الناس له ومدحهم إياه أو غير ذلك من المطالب قد عرف أن ذلك يحصل بالإخلاص لله وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص وإرادة وجهه كان متناقضاً؛ لأن من أراد شيئاً لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالماً أو عارفاً أو ذا حكمة أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك فهو هنا لم يرد الله، بل جعل الله وسيلة إلى ذلك المطلوب الأدنى.اهـ، فهذا ينافي كمال الإخلاص، وهو من الشرك الأصغر.

ب ـ أن يريد بعمله الصالح وجه الله؛ لكنه لا يريد الثواب الأخروي، بل المنفعة الدنيوية؛ كحفظ ماله، وأهله، وصحته، وإدامة النعم عليه، ويقطع النظر عن الآخرة، فلا تهمه، قال إمام الدعوة: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله، من صلاة وصدقة وصلة وإحسان وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله لكن لا يريد به ثواب الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا هم له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا قد يُعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة =

. . . .

= من نصيب. اهـ. قال الغنيمان: فقد يريد بها ـ الأعمال الصالحة ـ أن يجزيه الله مقابل عمله جزاءً عاجلاً في هذه الدنيا فقط، ويقطع النظر عن الآخرة، فلا تهمه الآخرة وإنما يريد الدنيا فقط، فمثل هذا يجزى بعمله الذي عمله إذا كان صالحاً في هذه الدنيا، ولكن الجزاء في الآخرة حابط والعمل باطل فهو من الخاسرين. . . المقصود هنا من يقطع رجاءه في الآخرة فلا يريد ثواب الآخرة إنما يريد بعمله الدنيا، فهذا يكون مشركاً. اهـ. قال صالح آل الشيخ: والأعمال التي يعملها العبد ويستحضر فيها ثواب الدنيا على قسمين: القسم الأول: أن يكون العمل الذي عمله واستحضر فيه ثواب الدنيا وأراده ولم يرد ثواب الآخرة، لم يرغب الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا، مثل: الصلاة والصيام ونحو ذلك من الأعمال والطاعات، فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا، ولو أراد به الدنيا فإنه مشرك ذلك الشرك. والقسم الثاني: أعمال رتب الشارع عليها ثواباً في الدنيا، ورغب فيها بذكر ثواب لها في الدنيا، مثل: صلة الرحم، وبر الوالدين، ونحو ذلك، فهذا النوع إذا استحضر في عمله حين يعمل ذلك العمل، استحضر ذلك الثواب الدنيوي، وأخلص لله في العمل ولم يستحضر الثواب الأخروي، فإنه داخل في الوعيد، فهو من أنواع هذا الشرك، لكن إن استحضر الثواب الدنيوي والثواب الأخروي معاً، واستحضر ثواب هذا العمل في الدنيا، فإنه لا بأس بذلك؛ لأن الشرع ما رغب فيه بذكر الثواب في الدنيا إلا للحض عليه. اهـ.

ت ـ أن تكون إرادة وجه الله غايته وقصده، والمنفعة الدنيوية تبعاً، وهي على أحوال:

١ ـ أن يكون العمل الصالح قد ذكر الشارع فيه منفعة دنيوية؛ كالغنيمة لمن جاهد، ومن وصل رحمه ليبسط له في رزقه، فليس فعله شركاً، ولا إثم عليه؛ لكن أجره ليس بالكامل، وهذا قول ابن جرير، والشاطبي، وابن قدامة المقدسي، وابن القيم، وابن حجر، والسيوطي؛ لأن الشرع أذن في ذلك، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] وهذا في الحج، وقد نقل القرافي الإجماع على جواز التشريك في الحج. وقال ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**» رواه البخاري ومسلم. ومما يدل على أن أجره ليس بالكامل ما رواه مسلم عن النبي ﷺ: «**ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثُلُثي أجرِهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرُهم**». قال ابن رجب: فإنْ خالطَ نيَّةَ الجهادِ مثلاً نيّة غير =

....

= الرِّياءِ، مثلُ أخذِ أجرة للخِدمَةِ، أو أخذ شيءٍ مِنَ الغنيمةِ، أو التِّجارة، نقصَ بذلك أجرُ جهادهم، ولم يَبطُل بالكُلِّيَّة، وفي «صحيح مسلم» عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**إنَّ الغُزَاةَ إذا غَنِموا غنيمةً، تعجَّلوا ثُلُثي أجرِهِم، فإنْ لم يغنَمُوا شيئاً، تمَّ لهُم أجرُهم**». وقد ذكرنا فيما مضى أحاديثَ تدلُّ على أنَّ مَنْ أراد بجهاده عَرَضاً مِنَ الدُّنيا أنَّه لا أجرَ له، وهي محمولةٌ على أنَّه لم يكن له غرَضٌ في الجهاد إلَّا الدُّنيا.اهـ. وممن ذهب إلى نقصان أجر المجاهد إن غَنِم: ابن بطال، وابن دقيق العيد، والنووي، والطِّيبي، وأبو زرعة العراقي، والكرماني، وابن حجر، والعيني، والسيوطي، والمناوي، والآلوسي. وذهب إلى كمال أجر المجاهد وإن غنم: ابن عبد البر، والباجي، والقاضي عياض، وأبو العباس القرطبي، وأبو عبد الله القرطبي، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ [النساء]، وقوله ﷺ: «**تكفل الله لمن جاهد في سبيله، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر أو غنيمة**» رواه البخاري ومسلم، وأن هذه الأمة أحلت لها الغنائم بالإجماع كما قال ابن عبد البر، فلو كانت الغنيمة تحبط الأجر أو تنقصه ما كانت فضيلة له.

وأما من جاهد للذكر ـ الرياء ـ والأجر، فهذا لا أجر له، ويدل له ما أخرجه النسائي (٦/ ٥٢)، بسند حسن، عن أبي أمامة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أريت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر؟ فقال النبي ﷺ: «**لا شيء له**».

٢ ـ أن يكون العمل الصالح لم يذكر فيه الشارع منفعة دنيوية، قال صالح آل الشيخ: والأعمال التي يعملها العبد ويستحضر فيها ثواب الدنيا على قسمين: القسم الأول: أن يكون العمل الذي عمله، واستحضر فيه ثواب الدنيا وأراده، ولم يرد ثواب الآخرة، لم يرغب الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا، مثل: الصلاة والصيام ونحو ذلك من الأعمال والطاعات، فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا، ولو أراد به الدنيا، فإنه مشرك ذلك الشرك..اهـ.

٣ ـ أن يكون العمل الصالح مما يكون فيه جُعل، قال السعدي: وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً، ولكنه يأخذ على عمله جعلاً ومعلوماً يستعين به على العمل والدين؛ كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على =

. . . .

= المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معيناً له على قيام الدين. اهـ. قال الذهبي: من طلب العلم لينال به ما يقوم به ويقويه بالمعروف وبأهله ليتفرغ بذلك المعلوم لتكملة المعارف، وليتوفر على العلم، فهذا قد يباح ـ إن شاء الله ـ لمن حسنت نيته، وغلبت عليه محبة العلم لذاته. . . اهـ.

ث ـ أن الباعث على العمل الصالح الأجر من الله والدنيا معاً، فذهب ابن حزم لعدم قبول العمل؛ لأن العمل ليس خالصاً لله. وذهب الغزالي، والقرافي، والصنعاني، والسعدي، وابن عثيمين إلى قبول عمله، واختلفوا في الإثم وحبوط العمل: فذهب الغزالي إلى أنه آثم مع قبول العمل، وأنه لو تساوى القصدان بطل عمله. وذهب الشاطبي والسعدي إلى أنه لو تساوى القصدان أو غلب قصد الثواب فالعمل مقبول، وليس بآثم؛ لكن ليس بتام الأجر كما قال السعدي. وذهب القرافي إلى قبول العمل مهما كانت نسبة القصدان؛ لكنه ليس بتام الأجر.

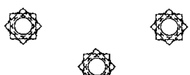
ج ـ أن يعمل العمل الصالح لله من أجل عبادة أخرى، كمن صام من أجل العفة عن الحرام، وإطالة الإمام الركوع من أجل المأموم، فهذا ليس بشرك.

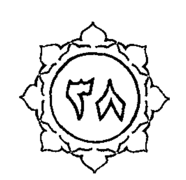
القسم الرابع: إذا عمل العمل الصالح لله ثم طرأ عليه إرادة الدنيا، انظر ما تقدم في الرياء.

القسم الخامس: إذا عمل العمل لله وبعد الانتهاء من العمل كوفئ، فهذا عاجل بشرى المؤمن.

الاستذكار (١٤/ ١٠)، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٥٥)، المنتقى «للباجي» (٣/ ١٦٠)، المفهم (٣/ ٧٤٩)، الموافقات (٢/ ٢١٩)، مختصر منهاج السالكين (٣٩٣)، شرح صحيح مسلم (١٣/ ٧٨)، الفروع (٢/ ٢٩٩)، الجواب الكافي (١٤١)، تفسير القرطبي (٥/ ١٧٩)، إعلام الموقعين (٢/ ١٦٣)، مسائل في طلب العلم (٢١٠)، الفتح «لابن رجب» (١/ ٤٥)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٢ ـ ٤٥)، شرح البخاري «لابن بطال» (٥/ ٨)، إحكام الأحكام (٢/ ٣٠٤)، طرح التثريب (٧/ ١٩٦)، الفتح «لابن حجر» (٦/ ٣٤)، شرح البخاري «للكرماني» (١/ ١٥٧)، عمدة القاري (١٤/ ٨٥)، الديباج على مسلم «للسيوطي» (٤/ ٥٠١)، منتهى الآمال (١٧٧)، العدة (١/ ٥٨)، المعين «لابن الملقن» (٧٧)، فيض القدير (٥/ ٤٩٢)، روح المعاني (١١/ ٤٠)، الشرك الأصغر «للسليم» (١١٠).

الثانية: تفسير آية هود. **الثالثة**: تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة. **الرابعة**: تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعطَ سخط. **الخامسة**: قوله: «**تعس وانتكس**». **السادسة**: قوله: «**وإذا شيك فلا انتقش**». **السابعة**: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.





باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرَّم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يُوشِك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟».

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم: «أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم؟ قال: أليس يحرِّمون ما أحل الله فتحرِّمونه؟ ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم». رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية النور. **الثانية**: تفسير آية براءة. **الثالثة**: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي. **الرابعة**: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان. **الخامسة**: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

۞ ۞ ۞





٣٨ ـ باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله﴿١﴾

. . . .

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم مقدماً له ساخطاً لحكم الله، فهو كافر؛ لأنه كره ما أنزل الله، وكراهة ما أنزل الله كفر لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر.

القسم الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله، وعالماً بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه تابعهم في ذلك فهذا لا يكفر؛ ولكنه فاسق.

فإن قيل: لماذا لا يكفر؟ أجيب: بأنه لم يرفض حكم الله؛ ولكنه رضي به وخالفه لهوى في نفسه فهو كسائر أهل المعاصي.

القسم الثالث: أن يتابعهم جاهلاً يظن أن ذلك حكم الله فينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يمكنه معرفة الحق بنفسه فهو مفرط أو مقصر فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

القسم الثاني: أن يكون جاهلاً ولا يمكنه معرفة الحق بنفسه فيتابعهم بفرض التقليد يظن أن هذا هو الحق، فلا شيء عليه؛ لأنه فعل ما أمر به وكان معذوراً بذلك؛ ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ: «**أن من أفتى بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه**». ولو قلنا بإثمه بخطأ غيره، للزم من ذلك الحرج والمشقة ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطأه.اهـ. =

. . . .

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»، وقال: «**على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية**»، وقال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، وقال: «**من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه**».اهـ. قال الشيخ عبد الرحمٰن المحمود معلقاً على كلام شيخ الإسلام: وعلى هذا فالأتباع المحكومون بغير شرع الله لا يكفرون إلا بشروط، **أهمها**:

١ ـ أن يعلموا أن الحكام الحاكمين بغير شرع الله مبدلون ومغيرون لشرع الله فيتبعوهم على هذا التبديل أو التغيير.

٢ ـ وجود ما يدل على القبول والرضا منهم، بحيث يشاركون المشرعين ـ من دون الله ـ في اعتقاد التحليل والتحريم اتباعاً لهم.اهـ.

الإيمان (٦٧)، المجموع الثمين (١٢٩)، الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه (٢٠٧)، التمهيد (٤٢٠).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال الشيخ عبد الرحمٰن الجطيلي (١٤٠٤هـ): لما كانت طاعة العلماء والعباد والملوك وغيرهم على غير شرع الله شرك؛ لأن الله ذكر أن طاعتهم بمنزلة اتخاذهم أرباباً من دون الله، ناسب أن يبوب له المصنف في كتاب التوحيد لمنافاته للتوحيد.اهـ. وقال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ): إنه إذا دخل الشرك في عبادتك، بطلت ولم تقبل.. ومن نوع هذا الشرك: تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، واعتقاد ذلك.اهـ. الدرر السنية (٦/٢، ٨). وقال =

. . . .

= سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): لما كانت الطاعة من أنواع العبادة.. والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول فهو مشرك.اهـ. التيسير (٤٦٠) وقال الشنقيطي (١٣٩٣هـ): فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته، قال في حكمه: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: «وَلا تُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً» بصيغة النهي. وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فالأمران سواء.اهـ. أضواء البيان (٤٨/٧).
وقال ابن حزم: فإن قال قائل: كيف اتخذ اليهود والنصارى أرباباً من دون الله وهم ينكرون هذا، وقلنا وبالله تعالى التوفيق: إن التسمية لله ﷻ، فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف.اهـ. الفصل «لابن حزم» (٣/ ١٢٥).
قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وأكثرهم ـ اليهود ـ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فأحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم؛ لأن من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق واعتقد جواز طاعته أو وجوبها فقد أشرك بهذا الاعتبار، حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله.اهـ. الحكم الجديرة بالإذاعة (٧/١).

علاقة الباب بالبابين السابقين: لما ذكر المصنف الركن الأول من ركني التوحيد وهو الإخلاص، ذكر في هذا الباب الركن الثاني وهو المتابعة، وهو ألا يطاع الله إلا بما أتى به النبي ﷺ. قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): وجماع الدين «أصلان» ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾. وذلك تحقيق «الشهادتين»: شهادة أن لا إلـٰه إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله. ففي الأولى أن لا نعبد إلا إياه وفي الثانية أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه. فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره، وقد بيّن لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة. قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة]. كما أننا مأمورون ألا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين إلا بالله، وألا تكون =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما[١]: «يُوشِك أن تنْزل عليكم حجارة من

= عبادتنا إلا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه.اهـ. قال ابن القيم (٧٥١هـ): فرأس الأدب معه ـ ﷺ ـ: كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً أو يحمله شبهة أو شكاً أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل ﷻ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول، **فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره**، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه.اهـ. الفتاوى (١٠/ ٢٣٤)، مدارج السالكين (٢/ ٣٨٧). وقال ابن كثير (٧٧٤هـ): وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وقد روى الترمذي في تفسيرها، عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله، ما عبدوهم، فقال: «**بلى، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**».اهـ.

[١] **الأثر بهذا اللفظ لا وجود له في كتب السُّنَّة**؛ لكن أوردهُ شيخُ الإسلامِ في الفتاوى (٢٠/ ٢١٥، ٢٦/ ٥٠، ٢٨١)، والإمامُ ابنُ القيمِ في إعلام الموقعين (٢/ ٢٣٨)، الزاد (٢/ ١٩٥)، الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٣)؛ لكن جاء معناه عن ابن عباس بلفظ: «تَمَتَّعَ النَّبِيُّ فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنْ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَى أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنْ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ، أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، رواه أحمد (١/ ٣٣٧)، من طريق شريك، عن الأعمش، عن الْفُضيل بن عمرو قال: أُراه عن سعِيد بنِ جبَير، عن ابن عبَّاس. وقد حسنه ابن مفلح؛ لكن إسناده ضعيف، فيه شريك بن عبد الله، قال الحافظ في «التقريب»: صدوق يخطئ كثيراً. وبلفظ: «قال عروة لابن عباس: ألا تتقي الله ترخص في المتعة؟! فقال ابن عباس: سل أمك يا عُرَيَّةُ، فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا، فقال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، أحدثكم عن رسول الله وتحدثونا عن أبي بكر وعمر؟ فقال عروة: لهما أعلم بسُنَّة رسول الله، وأتبع لها منك». أورده ابن عبد البر =

السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟»﴿١﴾﴿٢﴾.

= في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٣٧٧)، من طريق عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أيوب قال: قال عروة به، ورواه الخطيب «الفقيه والمتفقه» كلاهما من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، أن عروة بن الزبير به. ورواه الطبراني «الأوسط ١٧١٨ كما مجمع البحرين»، عن عروة بن الزبير أنه أتى ابن عباس فقال: يا ابن عباس طالما أضللت الناس! قال: وما ذاك يا عريَّة؟ قال: الرجل يخرج محرماً بحج أو بعمرة، فإذا طاف زعمت أنه قد حل، فقد كان أبو بكر وعمر ينهيان عن ذلك؟ فقال: أهما ـ ويحك ـ آثر عندك أم ما في كتاب الله وما سن رسول الله ﷺ في أصحابه وفي أمته؟ فقال عروة: هما كانا أعلم بكتاب الله وما سن رسول ﷺ مني ومنك، قال ابن أبي مليكة: فخصمه عروة. قال الهيثمي «المجمع» (٣/ ٢٣٤): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وجاء معناه عند البيهقي «السنن الكبرى» (٥/ ٢١)، من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم قال: سئل ابن عمر عن متعة الحج فأمر بها، فقيل له: إنك تخالف أباك؟ قال: إن أبي لم يقل الذي تقولون، إنما قال أفردوا العمرة من الحج؛ أي: أن العمرة لا تتم في شهور الحج إلا بهدي، وأراد أن يزار البيت في غير شهور الحج فجعلتموها أنتم حراماً وعاقبتم الناس عليها وقد أحلها الله ﷻ وعمل بها رسول الله ﷺ، قال: فإذا أكثروا عليه قال: أفكتاب الله ﷻ أحق أن يتبع أم عمر».

﴿١﴾ قال ابن القيم (ت٧٥١هـ): فهذا... فهلا قال ابن عباس: أبو بكر وعمر أعلم برسول الله ﷺ مني، ولم يكن أحد من الصحابة، ولا أحد من التابعين يرضى بهذا الجواب في دفع نص رسول ﷺ، وهم كانوا أعلم بالله ورسوله، وأتقى له من أن يقدِّموا على قول المعصوم رأي غير المعصوم.اهـ. زاد المعاد (٢/ ١٩٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥، ٢١٦).

﴿٢﴾ **علاقة الأثر بالباب،** قال الفوزان: إنه يدل على تحريم طاعة العلماء والأمراء فيما خالف هدي الرسول ﷺ وأنه موجبةٌ للعقوبة.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٩٦). قال صالح آل الشيخ: إن الواجب على المسلم إذا سمع حديثاً عن النبي ﷺ وعلم فقهه، أو بينه له أهل العلم ألا يترك ذلك الحديث وفقهه لقول أحد كائناً من كان.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤١٢).

وقال الإمام أحمد: عجبت﴿١﴾ لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴿٢﴾ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴿٣﴾ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾﴿٤﴾، أتدري ما

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): العجب نوعان:

الأول: عجب استحسان؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: كان الرسول ﷺ يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله.

الثاني: عجب إنكار؛ كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾، والعجب في كلام الإمام أحمد هنا عجب إنكار.اهـ. قال عثمان بن منصور: فعجب الإمام أحمد تعجب إنكار.اهـ. فتح الحميد (٣/ ١٥٦٨)، القول المفيد (٢/ ١٥٢).

﴿٢﴾ العرب تقول: خالف أمره وخالف عن أمره. وقال بعضهم: ﴿يُخَالِفُونَ﴾: مضمن معنى يصدون؛ أي: يصدون عن أمره. قال ابن عاشور: وتعدية فعل المخالفة بحرف (عن) لأنَّه ضُمّن معنى الصدود.اهـ. التحرير والتنوير (١٠/ ١١٦). قال ابن عثيمين: فإن قيل: لماذا عدي الفعل بـ«عن» مع أن «يخالف» يتعدى بنفسه؟ أجيب: أن الفعل ضمن معنى الإعراض؛ أي: يعرضون عن أمره زهداً فيه، وعدم مبالاة به.اهـ. القول المفيد (٢/ ١٥٣). قال شيخ الإسلام: غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤]؛ أي: مع نعاجه. والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين، فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه.اهـ. قال ابن عثيمين ـ معلقاً على هذا الكلام ـ: وذلك لأن علماء النحو اختلفوا فيما إذا تعدى الفعل بغير ما يتعدى به في الأصل، هل يكون التجوز بالحرف أو أنه في الفعل؟ والصحيح كما قال أنه بالفعل، فيضمن الفعل معنى يتعدى بمثله إلى ما هو متعدٍّ إليه الآن.اهـ. فالتضمين: هو أن يقصد بلفظ معناه الحقيقي، ويلاحظ معه في اللغة معنى آخر يناسبه، ويدل على هذا المعنى الآخر حرف الجر المذكور مع اللفظ الأول. شرح ابن عثيمين لمقدمة التفسير لابن تيمية (٥٩). وانظر: أضواء البيان (٥/ ٥٥٨)،

﴿٣﴾ قال ابن كثير (٧٤٤هـ): ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة.اهـ. تفسير ابن كثير (٦/ ٥٠٦).

﴿٤﴾ قال ابن كثير: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.اهـ. تفسير ابن كثير (٦/ ٥٠٦).

الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله﴿١﴾ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك﴿٢﴾﴿٣﴾.

﴿١﴾ أي: بعض قول الرسول ﷺ: «**أن يقع في قلبه شيءٌ من الزَّيْغ فيَهْلِك**». إعانة المستفيد (٣/ ١٩٦).

﴿٢﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: فمن ردّ قول الرسول ﷺ متعمِّداً تَبعاً لهواه، أو تعصُّباً لشيخه الذي يقلِّده، فإنه مهدّد بعقوبتين:

العقوبة الأولى: الزيغ في قلبه؛ لأنه إذا ترك الحق ابتُلي بالباطل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

والعقوبة الثانية: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في أبدانهم، بالقتل في الدنيا، بأن يسلِّط الله عليهم من يستأصِل شأفتهم ويقتلهم، إما من المؤمنين، وإما من غير المؤمنين، عقوبةٌ لهم ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، إن ماتوا ولم يُقتلوا بأن يعذبوا في النار. فهذا وعيدٌ شديد على مخالفة أمر الرسول ﷺ.اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ١٩٦).

قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨هـ): فإذا كان المخالف لأمره قد حذر من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم، دل على أنه قد يكون مفضياً إلى الكفر والعذاب الأليم، ومعلوم أن إفضاءه إلى العذاب الأليم هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الأمر؛ كما فعل إبليس لعنه الله تعالى».اهـ. الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ (٢/ ١١٧). ولشيخ الإسلام ابن تيمية تقريرٌ آخر في معنى الآية حيث يقول: من لم يحفظ أمر الله ونهيه، ويدفع عنها ما يعارضها، وإلا كان مخالفاً لأمر الله ورسوله، وقد قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فالفتنة أو العذاب الأليم وعيد من خالف عن أمره، فمن أعرض عما أخبر به الرسول ﷺ عن الله واليوم الآخر، وأبى تصديق ذلك، وقع في فتنة البدع الكلامية، أو العذاب الأليم، ومن أعرض عما أمره به ونهى عنه وقع في فتن الشهوات والرأي الفاسد أو العذاب الأليم. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩]، فجمع الله بينهما فيما يأمر به الشيطان، فمن أعرض عما جاء به الرسول في الحلال والحرام وقع في السوء والفحشاء، ومن لم يصدقه فيما جاء به، وتكلم برأيه، فقد قال على الله ما لا يعلم.اهـ. نظرية العقد (١٥٠، ١٥١).

﴿٣﴾ الصارم المسلول (٢/ ١١٧)، الفروع (٦/ ٣٧٥). وقد جاء عن مالك =

عن عدي بن حاتم﴿١﴾ : «أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾﴿٢﴾ ....

= قريباً من هذا اللفظ. الفقيه والمتفقه (١/ ٣٧٩)، اعتقاد أهل السُّنَّة «للالكائي» (١/ ١٤٤).

علاقة الآية بالباب، قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): إذا علمت أن مخالفة أمره سبب للشرك، علمت أن من رد قوله وخالف أمره لقول أحمد أو غيره له النصيب الكامل، والحظ الوافر من هذه الآية.اهـ. حاشية كتاب التوحيد «لابن قاسم» (٢٨٠). قال الشيخ صالح الفوزان: التحذير من تقليد العلماء من غير دليل، وترك العمل بالكتاب والسُّنَّة أن ذلك شرك في الطاعة.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٢٩٨).

﴿١﴾ وكان رضي الله عنه نصرانياً قبل إسلامه. تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٩).

﴿٢﴾ قال صالح آل الشيخ: والأرباب جمع الرب، والرب والإلـه لفظان يفترقان إذا اجتمعا، ويجتمعان إذا افترقا؛ لأن الرب هو: السيد الملك المتصرف في الأمر، والإلـه هو: المعبود، وقد سئل المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب عن الفرق بينهما الإلـه والرب في مثل هذه السياقات في نحو قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، وفي نحو قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ما معنى الربوبية هنا؟ قال: الربوبية هنا بمعنى الألوهية؛ بمعنى المعبود؛ لأن من أطاع على ذلك النحو فقد عبد؛ لقول النبي ﷺ لعدي حين قال: «إنا لسنا نعبدهم»، فعدي فهم من كلمة «أرباباً» العبادة، وقال النبي ﷺ مقرراً لذلك: «**أليس يحرمون...**» إلخ، فهو إقرار منه عليه الصلاة والسلام بأن معنى الربوبية هنا العبودية. فلهذا قال الشيخ حينما سئل: الألوهية والربوبية أو كلمة الرب والإلـه من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت؛ يعني: كلفظ الفقير والمسكين، والإسلام والإيمان، ونحوهما؛ لأن الإلـه يطلق على المعبود، وجاء في نصوص كثيرة إطلاق الرب على المعبود، كما ذكرنا في الآيات وفي الحديث، وكقوله عليه الصلاة والسلام في مسائل القبر: «**فيأتيه ملكان فيسألانه: من ربك؟**» يعني: من معبودك؟ لأن الابتلاء لم يقع في الرب الذي هو الخالق الرازق المحيي المميت. إذا لفظ (الرب) و(الإلـهية) من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، فقد يطلق على الأرباب آلهة وعلى الآلهة أرباب، وهل هذا الإطلاق لأجل اللغة؟ يعني: =

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾﴿١﴾، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم؟ قال: **أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه؟ ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟** فقلت: بلى. قال: **فتلك عبادتهم**»﴿٢﴾. ....

= أن أصله في اللغة يدخل هذا في هذا وهذا في ذاك، أو أنه لأجل اللزوم والتضمن؟ الظاهر ـ عندي ـ الأخير، وهو أنه لأجل اللزوم والتضمن، فإن الربوبية مستلزمة للألوهية، والألوهية متضمنة للربوبية، فإذا ذكر الإلـٰه فقد تضمن ذلك ذكر الرب، وإذا ذكر الرب استلزم ذلك ذكر الإلـٰه، ولهذا قال ـ جل وعلا ـ هنا: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾؛ يعني: آلهة؛ لاستلزام لفظ الربوبية للإلـٰهية، وكذلك قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾؛ يعني: آلهة معبودين كما أتى تفصيله في الحديث. اهـ. التمهيد (٤١٦)، الدرر السنية (٣/ ١٢).

﴿١﴾ قال ابن حزم (٤٥٦هـ): فإن قال قائل: كيف اتخذ اليهود والنصارى أرباباً من دون الله وهم ينكرون هذا، وقلنا وبالله تعالى التوفيق: إن التسمية لله ﷻ، فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف. اهـ. قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وأكثرهم ـ اليهود ـ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فأحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم؛ لأن من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق واعتقد جواز طاعته أو وجوبها فقد أشرك بهذا الاعتبار، حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله. اهـ. ومما يبين أن طاعة غير الله تسمى عبادة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾. الفصل «لابن حزم» (٣/ ١٢٥)، الحكم الجديرة بالإذاعة (١/ ٧).

﴿٢﴾ **الفرق بين العبادة والطاعة**: قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): اسم العبادة يتناول غاية الحب بغاية الذل، وهكذا الدين الذي يدين به الناس في الباطن والظاهر لا بد فيه من الحب والخضوع، بخلاف طاعتهم للملوك ونحوهم، فإنها خضوعاً ظاهراً فقط. اهـ. جامع المسائل (٢/ ٢١٩). قال ابن باز (١٤٢٠هـ): أن الطاعة أوسع من العبادة، فكل عبادة لله موافقة لشريعته تسمى طاعة، وليس كل طاعة بالنسبة إلى غير الله تسمى عبادة، بل في ذلك تفصيل؛ أما بالنسبة إلى الله سبحانه فهي عبادة له لمن أراد بها وجهه، لكن قد تكون صحيحة وقد تكون فاسدة على حسب اشتمالها على الشروط المرعية في العبادة وتخلف بعض الشروط عنها. =

رواه أحمد﴿١﴾، والترمذي وحسنه﴿٢﴾.

أخرجه: الترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي (١٠/ ١١٦)، من طريق عبد السلام، عن غُطَيف بن أَعْيَن، عن مصعب بن سعد، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

حسَّنه: ابن تيمية﴿٣﴾.

ضعَّفه: الترمذي، والدارقطني، وذكره البخاري في التاريخ﴿٤﴾.

= ومما يزيد الأمر وضوحاً أن من أطاع الله في بعض الأمور وهو متلبس بالشرك يستحق أن تنفي عنه العبادة. كما قال الله سبحانه في حق المشركين: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون]، فنفى عنهم العبادة من أجل شركهم، ومعلوم أنهم يعبدون الله في الشدة بالتوحيد وبالحج والعمرة وبالصدقات في بعض الأحيان ونحو ذلك. ولكن لما كانت هذه العبادة مشوبة بالشرك في الرخاء وعدم الإيمان بالآخرة إلى غير ذلك من أنواع الكفر جاز أن تنفى عن أصحابها. ومما يزيد الأمر بياناً أيضاً أن من أطاع الأمراء وغيرهم في معاصي الله لا يسمى عابداً لهم إذا لم يعتقد جواز طاعتهم فيما يخالف شرع الله، وإنما أطاعهم خوفاً من شرهم أو اتباعاً للهوى، وهو يعلم أنه عاصٍ لله في ذلك، فإن مثل هذا يعتبر عاصياً بهذه الطاعة ولا يعتبر مشركاً إذا كانت الطاعة في غير الأمور الشركية، كما لو أطاعهم في ضرب أحد بغير حق، أو قتل أحد بغير حق، أو أخذ مال بغير حق، ونحو ذلك، والأمثلة في هذا الباب كثيرة. اهـ. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٥/ ١٧).

📖 **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إن طاعة المخلوق في معصية الله عبادة له من دون الله، لا سيّما في تشريع الأحكام، وسنّ القوانين المخالفة لحكم الله. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٠٠).

﴿١﴾ قال العلامة أبو الأشبال أحمد شاكر (١٣٧٧هـ) في تعليقه على «الإحكام في أصول الأحكام»: وهذا الحديث لم يروه أحمد في مسنده على سعته. اهـ.

﴿٢﴾ الترمذي لم يقل حسن؛ بل قال: حسن غريب، كما في نسخة الكروخي. الحديث الحسن للدريس (٣/ ١٦٣٥).

﴿٣﴾ الإيمان (٦٤).

﴿٤﴾ قال المعلمي (١٣٨٦هـ): إخراج الخبر في التاريخ لا يُفيد الخبر شيئاً =

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن عبد السلام بن حرب تفرد به كما قال الترمذي[١]، وقد وصفه وكيع وابن حجر برواية الغرائب والمناكير[٢].

٢ ـ أن غُطيف بن أعين ضعفه الترمذي والدارقطني وابن حجر[٣]، وقد تفرد به، ومثله لا يحتمل تفرده.

٣ ـ أن الأئمة؛ كالترمذي والدارقطني وغيرهما، ضعفوا حديثه.

قال الشيخ عبد الله السعد: الحديث ضعيف؛ لكن معناه صحيح، فقد جاء من طريق أبي البختري عن حذيفة رضي الله عنه وإسناده صحيح إلى أبي البختري؛ لكنه لم يسمع من حذيفة رضي الله عنه[٤]؛ ولكن يستأنس به، وقد

= بل يضرّه؛ فإنَّ من شأن البخاري أن لا يخرّج الخبر في التاريخ إلّا ليدلّ على وهن راويه.اهـ. التاريخ الكبير (٧/ ١٠٦)، الفوائد المجموعة (١٨٠).

[١] قال الترمذي (٢٧٩هـ): حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.اهـ. وقول الترمذي حديث غريب هو تضعيف للحديث كما قال ابن القيم. تهذيب السنن (٢/ ٢٧١).

[٢] قال العقيلي (٣٢٢هـ): قال وكيع: كل حديث حسن عبد السلام بن حرب يرويه.اهـ. ضعفاء العقيلي (٣/ ٦٩)، التقريب (٣٨٤).

[٣] المغني (١/ ١١٤)، التقريب (٤١٩).

[٤] أخرجه: ابن عبد البر «الجامع» (١٨٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٨١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٤)، والبيهقي «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٦)، من طريق الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، عن حذيفة رضي الله عنه. وتابع الأعمش: العوام بن حوشب عند سعيد بن منصور في «سننه» (٥/ ٢٤٥)، وعطاء بن السائب عند البيهقي «الشعب» (٧/ ٤٥)، من طريق سفيان بن عطاء به. ورجاله ثقات لكنه منقطع، أبو البَخْتَري لم يسمع من حذيفة. قال ابن سعد «الطبقات» (٦/ ٢٩٢): وكان أبو البَخْتَري كثير الحديث؛ يرسل حديثه، ويروي عن أصحاب رسول الله ﷺ ولم يسمع من كبير أحد، فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن، وما كان عن غيره فهو ضعيف».اهـ. وأرسل عن حذيفة. =

أيده ما جاء عن ابن عباس، وأبي العالية، والحسن، وغيرهم من السلف. اهـ[١]. ويدل على صحة معناه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤][٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١][٣].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور. **الثانية**: تفسير آية براءة. **الثالثة**: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي. **الرابعة**: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان. **الخامسة**: تغير الأحوال إلى هذه الغاية

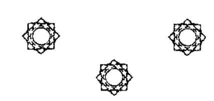
= تهذيب الكمال (١١/ ٣٢). ورواه ابن أبي شيبة (٣٤٩٣٦)، من طريق ابن فضيل، والطبري، من طريق جرير، وابن عبد البر «الجامع» من طريق الأحوص، ثلاثتهم عن عطاء، عن أبي البختري قوله.

[١] تفسير ابن جرير (١٤/ ٢١٠)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٥).

[٢] قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى. وهو نظير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معناه: أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله. اهـ. تفسير القرطبي (٤/ ١٠٦).

[٣] قال ابن كثير (٧٧٤هـ): وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾؛ أي: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وقد روى الترمذي في تفسيرها، عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله، ما عبدوهم، فقال: «**بلى، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**». اهـ. تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٠).

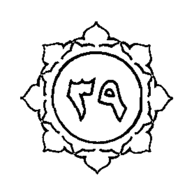
حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية[١]، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه[٢]، ثم تغيرت الحال إلى أن عُبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعُبد بالمعنى الثاني[٣] من هو من الجاهلين.



[١] قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): يشير إلى ما يعتقده كثير من الناس فيمن ينتسب إلى الولاية من الضر والنفع، والعطاء والمنع، ويسمون ذلك الولاية والسر ونحو ذلك وهو الشرك. اهـ. التيسير (٤٦٦).

[٢] قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): أي: هي التي تسمى اليوم العلم والفقه المؤلف على مذاهب الأئمة ونحوهم، فيطيعونهم في كل ما يطيعونك سواء وافق حكم الله أم خالفه، بل لا يعبؤون بما خالف ذلك من كتاب وسُنَّة، بل يريدون كلام الله وكلام رسوله لأقوال من قلدوه، ويصرحون بأنه لا يحل العمل بكتاب ولا سُنَّة، وأنه لا يجوز تلقي العلم والهدى منهما، وإنما الفقه والهدى عندهم هو ما وجدوه في هذه الكتب. بل أعظم من ذلك وأطم رمي كثير منهم كلام الله وكلام رسوله بأنه لا يفيد العلم ولا اليقين في باب معرفة أسماء الله وصفاته وتوحيده، ويسمونها ظواهر لفظية، ويسمون ما وضعه الفلاسفة المشركون القواطع العقلية، ثم يقدِّمونها في باب الأسماء والصفات والتوحيد على ما جاء من عند الله، ثم يرمون من خرج عن عبادة الأحبار والرهبان إلى طاعة رب العالمين وطاعة رسوله وتحكيم ما أنزل الله في موارد النِّزاع بالبدعة أو الكفر. التيسير (٤٦٦).

[٣] وهو الطاعة والاتباع، فأطيع الجاهل في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، كما يوجد في بعض النظم والقوانين المخالفة للشريعة الإسلامية؛ فإن واضعيها جهال لا يعرفون من الشريعة ولا الأديان شيئاً، فصاروا يعبدون بهذا المعنى، فيطاعون في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله. القول المفيد (٢/ ١٦٥).



باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء]

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ لأنه عرف أنه لا

يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ الآية». وقيل: «نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر رضي الله عنه. فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله».

○ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة على معرفة فهم الطاغوت. **الثانية**: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾. **الثالثة**: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾. **الرابعة**: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾. **الخامسة**: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى. **السادسة**: تفسير الإيمان الصادق والكاذب. **السابعة**: قصة عمر مع المنافق. **الثامنة**: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.

۞ ۞ ۞





٣٩ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴿١﴾ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ ﴿٢﴾

. . . .

﴿١﴾ وقال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ): و﴿الطَّاغُوتَ﴾ مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد. فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ فقد حكم بالطاغوت، وحاكم إليه. وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكماً بما جاء به النبي ﷺ فقط لا بخلافه. كما أنه من حق كل أحد أن يحاكم إلى ما جاء به النبي ﷺ، فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه، فقد طغى، وجاوز حده حُكماً أو تحكيماً، فصار بذلك طاغوتاً لتجاوزه». اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ٢٩٧).

وقال ابن عثيمين: وقوله: ﴿إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: صيغة مبالغة من الطغيان؛ ففيه اعتداء وبغي، والمراد به هنا كل حكم خالف حكم الله ورسوله، وكل حاكم يحكم بغير ما أنزل الله على رسوله، أما الطاغوت بالمعنى الأعم؛ فقد حده ابن القيم بأنه: «كل ما تجاوز العبد به حده من معبود أو متبوع أو مطاع» القول المفيد (٢/ ١٦٨).

﴿٢﴾ و﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١]، قال شيخ الإسلام (ت٧٢٨هـ) معلقاً على الآيتين: بيّن ﷻ أن من تولى عن طاعة الرسول، وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فالنفاق يثبت =

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝﴾ [البقرة: ١١]﴿١﴾.

= ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره.اهـ. الصارم المسلول (٢/ ٨١).

علاقة الباب بكتاب التوحيد: قال عبد الرحمٰن الجطيلي (١٤٠٤هـ): لما كان التحاكم إلى الطاغوت من الكفر بالله، وكذا الحكم بغير ما أنزل الله، ناسب أن يذكره المصنف في كتاب التوحيد.اهـ. وقال السعدي (١٣٧٦هـ): فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي كل الحقوق. . . فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك رباً، وقد حاكم إلى الطاغوت.اهـ. القول السديد (١٣٦).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ): إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين؛ لقول الله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ٢٩٥).

علاقته بالباب السابق: لما بيَّن المصنف في الباب السابق الركن الثاني من أركان الشهادة والتوحيد وهو متابعة النبي ﷺ، ذكر المصنف أن من لوازم هذه المتابعة تحكيمه في موارد النزاع وعند الخصومات، وهذا هو حقيقة المتابعة. قال محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ): وتحكيم الشرع وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه، إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له، وأن يكون رسول الله ﷺ هو المتَّبع المُحكَّم ما جاء به فقط، ولا جردت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك، والقيام به فعلاً وتركاً وتحكيماً عند النزاع.اهـ. فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٥١). قال الشيخ صالح الفوزان: هذا الباب من جنس الباب الذي قبله كلاهما في تغيير شرع الله، لكن هذا الباب يخص التحاكم في الخصومات خاصة، والباب الذي قبله في التحليل والتحريم عموماً.اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ٢٠٢).

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٣٨٥هـ): ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض.اهـ. قرة عيون الموحدين (٣٦٣).

وقــــولــــه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾﴿١﴾ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]﴿٢﴾.

وقــــولــــه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾﴿٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]﴿٤﴾.

عن عبد الله بن عمرو ﵄؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن

﴿١﴾ الصلاح إذا أطلق يتناول جميع الخير، وإذا أطلق الفساد تناول جميع الشر، كما أن أصل الصلاح التوحيد والإيمان، وأصل الفساد الشرك والكفر ـ كما حرره ابن تيمية في غير موضع ـ. الإيمان (٧٩)، الفتاوى (١٨/ ١٦٣)، جامع المسائل (٤/ ٤٥). قال ابن القيم: فساد الأرض في الحقيقة؛ إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره.اهـ. بدائع الفوائد (٣٥٠).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ووجه مطابقة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد في الأرض من المعاصي، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسُنَّة رسوله وهو سبيل المؤمنين.اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٢٦٤).

﴿٣﴾ و﴿يَبْغُونَ﴾: يطلبون، والإضافة في قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ تحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى: أفحكم أهل الجاهلية الذين سبقوا الرسالة يبغون، فيريدون أن يعيدوا هذه الأمة إلى طريق الجاهلية التي أحكامها معروفة، ومنها: البحائر، والسوائب، وقتل الأولاد.

ثانيها: أن يكون المعنى: أفحكم الجهل الذي لا يبنى على العلم يبغون، سواء كانت عليه الجاهلية السابقة أم لم تكن، وهذا أعم. القول المفيد (٢/ ١٧٤).

﴿٤﴾ قال الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣٨٩هـ): فتأمل هذه الآية الكريمة، وكيف دلت على أن قِسمة الحكم ثنائية، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية.اهـ. تحكيم القوانين (٤).

علاقة الآية بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن من ابتغى غير حكم الله ـ من الأنظمة والقوانين الوضعية ـ فقد ابتغى حكم الجاهلية.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٠٦).

أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح[١].

أخرجه: ابن أبي عاصم «السُّنَّة» (١/ ١٢)، والبغوي (١/ ٢١٢)، من طريق نعيم بن حماد، عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن عقبة بن أوس، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

صحَّحه: أبو نعيم، والنووي[٢].

ضعَّفه: السجزي، والهروي، وابن عساكر، وابن رجب[٣].

والحديث معلول؛ لأمور:

١ ـ أن نعيم بن حماد لين الحديث[٤]، وهو كثير الخطأ، كما قال النسائي والدارقطني وابن حجر[٥].

٢ ـ أن نعيم بن حماد قد تفرد به، وقد تكلم الأئمة في تفرداته.

---

[١] **علاقة الحديث بالباب**، قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): ومطابقة الحديث للباب ظاهرة من جهة أن الرجل لا يؤمن حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ في كل شيء حتى في الحكم وغيره.اهـ. التيسير (٢٥٤). وقال عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٨٥هـ): ومناسبة الحديث للترجمة: بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي، في أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم.اهـ. فتح المجيد (٢/ ٦٦٧).

[٢] جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٣١)، الفتح القوي (٦٠١).

[٣] ذم الكلام (٢/ ٢٥٦)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٣١)، تحقيق مشكاة المصابيح للألباني (١/ ٣٦).

[٤] قال الذهبي: أحد أئمة الأعلام على لين فيه.اهـ. الكامل (٧/)، التهذيب (١٠/ ٤٥٩)، الميزان (٤/ ٤٦٧).

[٥] تهذيب الكمال (٢٩/ ٤٧٦)، سؤالات الحاكم (٥٠٣)، التهذيب (٤/ ٢٣٥)، الفوائد المجموعة (٤٠٥).

قال ابن رجب: أين كان أصحاب الثقفي وأصحاب هشام وأصحاب ابن سيرين عن هذا الحديث حتى يتفرد به نعيم. وقال المعلمي: فيه كلام يوجب التوقف عما يتفرد به[١].

٣ ـ الاختلاف على نعيم، فرواه أبو زيد المرادي عن نعيم عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام عن ابن سيرين عن عقبة عن ابن عمرو، ورواه ابن وارة عن نعيم عن عبد الوهاب حدثنا بعض مشيختنا هشام أو غيره عن ابن سيرين عن ابن عمرو، قال ابن رجب: وعلى هذه الرواية يكون شيخ الثقفي غير معروف عينه، وروي عن نعيم عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره[٢].

٤ ـ أن عقبة بن أوس وثقه العجلي وابن حبان، وجهَّله ابن عبد البر، وقد اضطرب في إسناده. وقال الغلابي: إنه لم يسمع من ابن عمرو[٣].

والخلاصة: قال الشيخ عبد الله السعد: الحديث ضعيف، كما بيَّن ابن رجب[٤]، ويضاف إليه النكارة في متنه حيث أن الهوى كله ضلالة وقد ذمه الله، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [النازعات]، وقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: «الهوى كله مذموم». فكيف يجعل الهوى تبعاً لما جاء به الشرع.

﴿١﴾ الفوائد (٤٠٥).

﴿٢﴾ جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٣٢).

﴿٣﴾ جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٣٢).

﴿٤﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): ومعناه صحيح قطعاً وإن لم يصح إسناده. وأصله في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠]. وغير ذلك من الآيات، فلا يضر عدم صحة إسناده. التيسير (٥٠٥).

وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنَزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ الآية»﴿١﴾. **وقيل**: «نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر رضي الله عنه. فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله»﴿٢﴾.

﴿١﴾ أخرجه: الطبراني (٥/ ٩٧)، عن الشعبي. وإسناده صحيح إلا أنه مرسل. وقد قواه ابن حجر. الفتح (٥/ ٤٨)، الإصابة (٤/ ١٩).

علاقة الأثر بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن التحاكم إلى غير شرع الله يناقض الإيمان بالله وكتبه. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣١١).

﴿٢﴾ أخرجه: الواحدي «أسباب النزول» ١٠٧ من طريق الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس. وفيه الكلبي وهو كذاب، وأبو صالح وتقدم الكلام عليه عند حديث: «**لعن الله زوارات القبور**». وقد قوى هذه القصة شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر. قال ابن باز: وفي القصتين نظر؛ لكن المعنى صحيح. اهـ. الصارم المسلول (٢/ ٨١، ٥/ ٤٨)، التعليق المفيد (٢٠١).

علاقة الأثر بالباب، قال الفوزان: إن فيه دليلاً على كفر من احتكم إلى غير شرع الله واستحقاقه للقتل؛ لأنه مرتدٌّ عن دين الإسلام. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣١٢). وقال سعد بن حمد بن عتيق (١٣٤٩هـ): وهكذا ينبغي أن يفعل بالمتحاكمين إلى الطواغيت؛ فإذا كان هذا الخليفة الراشد، قد قتل هذا الرجل، بمجرد طلبه التحاكم إلى الطاغوت، فمن هذا عادته التي هو عليها، ولا يرضى لنفسه وأمثاله سواها، أحق وأولى أن يقتل، لردته عن الإسلام، وعموم فساده في الأرض. فإنه لا صلاح للخليقة، إلا بأن يكون الله معبودها، والإسلام دينها، ومحمد نبيها الذي تتبعه، وتتحاكم إلى شريعته، ومتى عدم ذلك عظم فسادها، وظهر خرابها. اهـ. الدرر السنية (١٠/ ٥٠٦).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء، وما فيها من الإعانة على معرفة فهم الطاغوت﴿١﴾. **الثانية**: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾. **الثالثة**: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾. **الرابعة**: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾. **الخامسة**: ما قال الشعبي في سبب نزول الآية الأولى. **السادسة**: تفسير الإيمان الصادق والكاذب﴿٢﴾. **السابعة**: قصة عمر مع المنافق﴿٣﴾. **الثامنة**: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ﴿٤﴾.

﴿١﴾ أي: أن الطاغوت مشتق من الطغيان، وإذا كان كذلك؛ فيشمل كل ما تجاوز به العبد حده من متبوع أو معبود أو مطاع؛ فالأصنام والأمراء والحكام الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال طواغيت. القول المفيد (٢/ ١٨٠).

﴿٢﴾ فالإيمان الصادق يستلزم الإذعان التام والقبول والتسليم لحكم الله ورسوله، والإيمان الكاذب بخلاف ذلك. القول المفيد (٢/ ١٨١).

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله: وفي القصة من الفوائد أن الدعاء إلى تحكيم غير الله ورسوله من صفات المنافقين. التيسير (٤٨٠).

﴿٤﴾ **حكم الحكم والتحاكم بغير ما أنزل الله:**

أولاً: عندما يكون كفراً أكبر، وهو على أقسام:

القسم الأول: أن يجحد أحقية حكم الله ورسوله ﷺ، وقد ذكر العلامة محمد بن إبراهيم هذا القسم أنه من الكفر الأكبر، حيث قال: إن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم ـ أهل العلم ـ أن من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه، أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ قطعيّاً، فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة. اهـ. حكيم القوانين (٦).

القسم الثاني: أن يعتقد أن حكم غير الله ورسوله ﷺ أحسن وأتم وأشمل لما يحاجه الناس من الحكم عند التنازع، إما مطلقاً، وإما بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث، قال إمام الدعوة: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، =

. . . .

= أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.اهـ. الدرر السنية (٢/ ٣٦١). وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بعد أن ذكر أنه من الكفر الأكبر الناقل عن الملة: وهذا لا ريب أنه كفر؛ لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصِرْفُ حثالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد.اهـ. حكيم القوانين (٦). وذكر العلامة ابن باز أن هذا القسم يدخل فيه من قال: إن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى، ومن يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر.اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (١/ ١٣٢).

القسم الثالث: أن يعتقد أن حكم غير ما أنزل الله مثل حكم ما أنزل الله، وقد قال الشيخ محمد بن إبراهيم بعد أن ذكر أنه من الكفر الأكبر الناقل عن الملة: لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ونحوها من الآيات الدالة على تفرد الرب بالكمال، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه.اهـ. تحكيم القوانين (٧).

القسم الرابع: أن يعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، قال ابن القيم: وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله تعالى، فهذا كفر أكبر.اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٣٦). وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بعد أن ذكر أن هذا القسم من الكفر الأكبر الناقل عن الملة: لاعتقاده جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمة.اهـ. تحكيم القوانين (٧). وقال ابن باز: لكونه استحل ما حرم الله.اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٤١٦).

القسم الخامس: أن يُشَرِّع الحكم بغير الله ما أنزل الله ـ وهو من زعم أن له حق التحليل والتحريم من دون الله، ومن سن القوانين الوضعية العامة وجعلها نظاماً عاماً يتحاكم إليه، سواء جاء بهذا النظام من عنده أو استورده ـ، وهذا حكمه أنه كفر أكبر كما قال ابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وعبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن، وحمد بن عتيق، والشوكاني، والشنقيطي، وأحمد شاكر، وعبد الرزاق عفيفي، وابن عثيمين، وحكى الإجماع عليه ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير. الحكم بغير ما أنزل الله للمحمود (١٧٥ ـ ٢١٤، ٢٤٢، ٣٤٧). =

....

= قال شيخ الإسلام: والإنسان متى حلل الحرام ـ المجمع عليه ـ أو حرم الحلال ـ المجمع عليه ـ أو بدل الشرع ـ المجمع عليه ـ كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء. اهـ. الفتاوى (٣/ ٢٦٧). وقال ابن كثير: من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد ﷺ، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين. اهـ. البداية والنهاية (١٣/ ١١٩).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: إن من الكفر الأكفر المستبين تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين. اهـ. رسالة تحكيم القوانين (١). وقال أيضاً: إن من أقبح السيئات وأعظم المنكرات التحاكم إلى غير شريعة الله من القوانين الوضعية، والنظم البشرية، وعادات الأسلاف والأجداد التي قد وقع فيها كثير من الناس اليوم **وارتضاها بدلاً من شريعة الله** التي بعث بها رسوله محمداً ﷺ، ولا ريب أن ذلك من أعظم النفاق، ومن أكبر شعائر الكفر والظلم والفسوق. اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (١٢/ ٢٦٦).

وقال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» تعليقاً على الثلاث آيات ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ...﴾ ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: ظاهر الآيات يدل على أن من فعل مثل ما فعلوا **واخترع حكماً يخالف به حكم الله وجعله ديناً يعمل به** فقد لزمه مثل ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره. اهـ. الفتح (١٣/ ١٢٠). وقال الشنقيطي (١٣٩٣هـ): **فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته**، قال في حكمه: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾، وفي قراءة ابن عامر من السبعة: «وَلا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَداً» بصيغة النهي. وقال في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، فالأمران سواء. اهـ. أضواء البيان (٧/ ٤٨).

وقال العلامة محمد بن إبراهيم عند تعداده لما هو من الكفر الأكبر مما هو متعلق بالحكم بغير ما أنزل الله: الخامس: وهو أعظمها وأشملها، وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعداداً وإمداداً وأرصاداً، وتأصيلاً وتفريعاً، وتشكيلاً وتنويعاً، وحكماً وإلزاماً، ومراجع مستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستمدات مرجعها كلها إلى =

. . . .

= كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة؛ كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض المدعين المتتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف السُّنَّة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، فأي كفر فوق الكفر، وأي مناقضة للشهادة أن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة.

القسم السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها «سلومهم» يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به، ويحملون على التحاكم إليه عند النزاع بقاء على أحكام الجاهلية، وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ. تحكيم القوانين (٧، ٨).

القسم السابع: أن يطيع المُشرِّع والحاكم راضياً مع علمه أنه مخالف لشريعة الله وحكمه، وقال الشنقيطي: إن من أطاع غير الله في تشريع مخالف لما شرعه الله فقد أشرك به مع الله. اهـ. أضواء البيان (٧/ ١٧٣). وقال الشيخ صالح الفوزان: ومن أطاع هذا المشرِّع من دون الله وهو يعلم بذلك ووافقه على فعله، فقد أشركه مع الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾؛ يعني: الذين يُحلون ما حرَّم الله من الميتات، مَن أطاعهم في ذلك فهو مشرك، كما أخبر سبحانه أن من أطاع الأحبار والرهبان في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحله الله؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]. اهـ. عقيدة التوحيد (٣٣).

وقال شيخ الإسلام مبيناً لشرط العلم لمن أطاع الحاكم بغير ما أنزل الله: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلُّون لهم =

....

= ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء. اهـ. الإيمان (٦٧).

وقال ابن عثيمين مبيناً لشرط وجود القبول والرضا منهم: اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم مقدماً له، ساخطاً لحكم الله فهو كافر؛ لأنه كره ما أنزل الله، وكراهية ما أنزل الله كفر؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾ [محمد]، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر. اهـ. المجموع الثمين (٢/ ١٢٩).

ثانياً: عندما يكون كفراً أصغر، وهو على أقسام:

القسم الأول: أن يحكم في قضية أو عدة قضايا. واشترط العلماء لهذا القسم عدة شروط:

١ ـ أن لا يجعل قانوناً عاماً، قال ابن عثيمين مبيناً للحكم بغير ما أنزل الله الذي لا يكون كفراً أكبر: أن يستبدل بحكم الله تعالى حكماً مخالفاً له في قضية معينة دون أن يجعل ذلك قانوناً يجب التحاكم إليه. اهـ. المجموع الثمين (١/ ٣٧).

وقال ابن أبي العز: وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر. اهـ. شرح العقيدة الطحاوية (٣٦٤). وقال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر **إذا استقر وغلب** على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا. اهـ. قرة عيون الموحدين (٤٠٢).

٢ ـ أن يقر أنه آثم مخالف لحكم الله، قال ابن القيم: إن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصياناً؛ لأنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر. وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله تعالى، فهذا كفر أكبر. اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٣٦).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بعد أن بيّن الحكم بغير ما أنزل الله الذي لا يكون كفراً أكبر: وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير =

. . . .

= ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى. اهـ. تحكيم القوانين (٨).

٣ ـ أن تكون السيادة للشريعة، وأصل التحاكم مبنيّاً على الكتاب والسُّنَّة، ومما يدل على هذا الشرط تقيد أهل العلم الكفر الأصغر لمن حكم بغير الله بالقضية والواقعة الواحدة أو المحددة. فإذا حكم بغير ما أنزل الله في جميع القضايا لم تكن السيادة للشريعة الإسلامية.

القسم الثاني: أن يطيع المُشرّع والحاكم بغير ما أنزل الله ويتحاكم إليهما مع اعتقاده ورضاه بحكم الله وشرعه؛ لكن اتبعهم لهوى في نفسه، قال شيخ الإسلام مبيناً حكم هذا القسم: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً؛ لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. اهـ. الإيمان (٦٧). وانظر: المجموع الثمين (٢/ ١٢٩). وقال سعد بن حمد بن عتيق: إن كثيراً من الطوائف المنتسبين إلى الإسلام، قد صاروا يتحاكمون إلى عادات آبائهم، ويسمون ذلك الحق بشرع الرفاقة، كقولهم شرع عجمان، وشرع قحطان، وغير ذلك، وهذا هو الطاغوت بعينه، الذي أمر الله باجتنابه. اهـ. الدرر السنية (١٠/ ٥٠٣).

القسم الثالث: أن يكون مطيع المشرع والحاكم جاهلاً لا يمكنه معرفة الحق بنفسه، قال العلامة محمد بن عثيمين عند ذكره أصناف من اتبع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله إن منهم من يتابعهم: جاهلاً يمكنه معرفة الحق بنفسه، فهو مفرط أو مقصر، فهو آثم؛ لأن الله أمر بسؤال العلم عند عدم العلم. اهـ. المجموع الثمين (٢/ ١٣٠).

ثالثاً: عندما يكون جائزاً، ولا شيء عليه، وهو أقسام:

القسم الأول: أن يكون مطيع المشرع والحاكم جاهلاً لا يمكنه معرفة الحق بنفسه، قال ابن عثيمين عند ذكره أصناف من اتبع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله إن منهم من يتابعهم: جاهلاً ولا يمكنه معرفة الحق بنفسه، فيتابعهم بغرض التقليد، يظن أن هذا هو الحق فلا شيء عليه، لأنه فعل ما أمر به، وكان معذوراً بذلك. اهـ. المجموع الثمين (٢/ ١٣٠).

القسم الثاني: أن يتحاكم لدى من يحكم بغير شرع الله وهو مجبر كاره. أجاب ابن باز عن حكم المتحاكم إلى من يحكم بالقوانين الوضعية إذا كانت =

. . . .

= المحاكم في بلده كلها تحكم بالقوانين الوضعية ولا يستطيع الوصول إلى حقه إلا إذا تحاكم إليها، هل يكون كافراً؟: إذا اضطر إلى ذلك لا يكون كافراً، ولكن ليس له أن يتحاكم إليهم إلا عند الضرورة، إذا لم يتيسر له الحصول على حقه إلا بذلك، وليس له أن يأخذ خلاف ما يحله الشرع المطهر. مجموع فتاوى ابن باز (٢٣/ ٢١٤).

وقال ابن عثيمين: ذكر ابن القيم في أول كتاب الطرق الحكمية أن من الفقهاء من قال: لا نتحاكم إليهم، هذا لا يمكن أن تصلح به أحوال الناس لا سيما مع كثرة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، فلك أن تتحاكم إليهم؛ لكن لو حكم لك بغير ما أنزل الله فرده، وأما أن تضيع حقوق الناس فلا، لأنه ربما تكون أملاك وفيها ورثة كثيرون فلا يجوز أن نضيعها من أجل أن هذا يحكم بالقانون، بل نتحاكم إليه فإن حكم بالحق فالحق مقبول من أي إنسان، وإلا فلا. اهـ. الممتع (٤/ ٢٤٤).

القسم الثالث: أن لا يريد التحاكم لغير شرع الله ولا يرضاه؛ لكنه علم أن الحق له في الشرع، فرفع الأمر إلى القاضي في القانون لعلمه أنه يوافق حكم الشرع، قال صالح آل الشيخ: فهذا الذي رفع أمره في الدعوى على خصمه إلى قاضٍ قانوني لعلمه أن الشرع يعطيه حقه وأن القانون وافق الشرع في ذلك، فهذا الأصح أيضاً ـ عندي ـ أنه جائز. وبعض أهل العلم يقول: يتركه ولو كان الحق له، والله ـ جل وعلا ـ وصف المنافقين بقوله: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور]. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٣١).

٤٠

باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وفي صحيح البخاري: قال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُهُ؟».

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات ـ استنكاراً لذلك ـ فقال: ما فَرَق هؤلاء؟ يجدون رقة عند مُحكمه، ويهلكون عند مُتشابهه» انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر «الرحمٰن» أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات. الثانية: تفسير آية الرعد. الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع. الرابعة: ذكر العلة: أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله،

ولو لم يتعمد المنكر. الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وأنه أهلكه.

۞ ۞
۞





٤٠ ـ باب: من جحد ﴿١﴾ شيئاً من الأسماء والصفات ﴿٢﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ): والجحد إنكارك بلسانك ما تستيقنه نفسك. اهـ. تفسير غريب القرآن «لابن قتيبة» (١٢٧). والجحود هو التكذيب إلا أن الجحود يكون بعد معرفة الحق، كما قال ابن القيم والفيومي وأبو السعود، ويكون مصحوباً بالعناد كما قال الخفاجي. الفروق «للعسكري» (٥٨)، المصباح المنير (٩١)، تفسير أبي السعود (٢/ ١٩٧)، التسعينية «لابن تيمية» (٢/ ٦٧٠)، بدائع الفوائد (٤/ ١١٨). والجحود ليس محصوراً على التكذيب فقط، بل يتناول الامتناع عن الإقرار والالتزام، كما بيّن ذلك شيخ الإسلام في الفتاوى (٧/ ٥٣٠، ٢٠/ ٩٨)، وانظر: رسالة في الإرجاء للحوالي (١٥٨ ـ ١٦٢).

﴿٢﴾ أي: من أسماء الله وصفاته، والمراد ما حكمه هل هو ناجٍ أو هالك؟. التيسير (٤٨٢).

(*) علاقة الباب بكتاب التوحيد: أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الأسماء والصفات، وأن من جحد أسماءه وصفاته فهو كافر ومشرك. قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): ولما كان التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته، نبَّه عليه المصنف. اهـ. وقال السعدي (١٣٧٦هـ): أصل التوحيد ـ توحيد العبادة ـ إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة. اهـ. وقال ـ أيضاً ـ: أصل الإيمان وقاعدته التي ينبني عليها هو الإيمان بالله، وبأسمائه وصفاته. وكلما قوي علم العبد بذلك وإيمانه به، وتعبد لله بذلك قوي توحيده، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال ليس له في كماله مثيل، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإلـٰه الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، فمن جحد شيئاً من أسماء الله =

. . . .

= وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر. اهـ.

قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): فكل من جعل مخلوقاً مثلاً للخالق في شيء من الأشياء، فأحبه مثل ما يحب الخالق، أو وصفه بمثل ما يوصف فهو مشرك سوّى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فعدل به. اهـ. الفتاوى (١٣/ ١٦٠ ـ ١٦٣).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله ـ أو بعضه ـ وظن السوء به لما أشرك به. . . والمقصود أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله، فمستقل ومستكثر. اهـ. مدارج السالكين (٣/ ٣٤٧). وقال أيضاً: ولهذا كان مرض التعطيل ومرض الشرك أخوين متصاحبين لا ينفك أحدهما عن صاحبه، فإن المعطل قد جعل آراء الرجال وعقولهم نداً لكتاب الله، والمشرك قد جعل ما يعبده من الأوثان نداً له، ومما يبين تلازم التعطيل والشرك أن القلوب خلقت متحركة طالبة للتأله والمحبة، فهي لا تسكن إلا بمحبوب تطمئن إليه وتسكن عنده يكون هو غاية محبوبها ومطلوبها ولا قرار لها ولا طمأنينة ولا سكون بدون هذا المطلوب والظفر به والوصول إليه، ولو ظفرت بما ظفرت به سواه لم يزدها ذلك إلا فاقة وفقراً وحاجة وقلقاً واضطراباً. . . وهذا الطلب والإرادة هو بحسب الشعور والمعرفة بالمطلوب المراد وصفات كماله ونعوت جلاله وجماله، فكيف إذا انضاف إلى ذلك معرفته بشدة الحاجة إليه والفاقة والضرورة، وأنه لا حياة له في الحقيقة ولا فلاح ولا لذة ولا سرور ولا نعيم إلا بقربه والإنس به والتنعم بذكره. . . فالرسل ذكروا من صفات هذا الرب الذي تألهه القلوب وتطمئن إليه الأرواح ما يكون داعياً إلى محبته وأمروا الناس من توحيده وعبادته وحده لا شريك له بما إذا فعلوه أحبهم عليه فجاءت النفاة المعارضون للوحي بعقولهم وآرائهم فوقفوا في طريق الرسل وأتوا بما يضاد دعوتهم، فنفوا صفاته التي تعرَّف بها إلى عباده، وجعلوا إثباتها تجسيماً وتشبيهاً، ووصفوه من السلوب والنفي بما حال بين القلوب وبين معرفته، وأكدوا ذلك بأنه لا يحب ولا يُحب ولا له وجه يراه العابدون المحبون له يوم القيامة، فضلاً عن أن يحصل لهم لذة هناك بالنظر إليه، ولا يكلمهم ولا يخاطبهم ولا يسلم عليهم من فوقهم، فلما استقر هذا النفي في قلوبهم تعلقت بغيره من أصناف المحبوبات فأشركت به في المحبة ولا بد، وكان أعظم الأسباب الحاملة لها على =

. . . .

= الشرك هو التعطيل، فانظر إلى تلازم الشرك والتعطيل وتصادقهما وكونهما:

رضيعي لبان ثدي أم تقاسما　　بأسحم داج عوض لا نتفرق. اهـ.

وقال ابن القيم في نونيته:

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ　　كانا هما لا شك مصطحبان
أبداً فكل معطل هو مشرك　　حتماً وهذا واضح التبيان
فالعبد مضطر إلى من يكشف البـ　　ـلوى ويغني فاقة الإنسان
وإليه يصمد في الحوائج كلها　　وإليه يفزع طالب لأمان
فاذا انتفت أوصافه وفعاله　　وعلوه من فوق كل مكان
فزع العباد إلى سواه وكان ذا　　من جانب التعطيل والنكران

علاقة الباب بالباب السابق: لما بيَّن المصنف في الباب السابق أن التحاكم لغير الله وشرعه وكتابه من الشرك؛ لأن التحاكم لغير الله من جنس اتخاذ الأنداد من دون الله؛ لأن الله هو الحكم وهو خير الحاكمين، بيَّن المصنف في هذا الباب أن جحد أسمائه وصفاته من الشرك؛ لأنه في الحقيقة تحاكم للعقل وآرائهم وتقديم لها على ما شرعه الله ورسوله. قال ابن القيم: إن المعطل قد جعل آراء الرجال وعقولهم نداً لكتاب الله، والمشرك قد جعل ما يعبده من الأوثان نداً له. اهـ. وقال أيضاً: إن هؤلاء الذين لم يكتفوا بكتابه حتى سلكوا بزعمهم طريقة العقل وعارضوه به وقدموه عليه، من جنس الذين لم يكتفوا به سبحانه إلٰهاً حتى جعلوا له أنداداً يعبدونهم كما يعبدون الله، بل أولئك لم يقدموا أندادهم على الله، فهؤلاء جعلوا لله نداً يطيعونه ويعظمونه ويعبدونه كما يعظمون الله ويعبدونه، وهؤلاء جعلوا لكتابه نداً يتحاكمون إليه ويقبلون حكمه ويقدمونه على حكم كتابه، بل الأمران متلازمان، فمن لم يكتف بكتابه لم يكتف به فمتى جعل لكتابه نداً فقد جعل له نداً لا يكون غير ذلك البتة، فلا ترى من عارض الوحي برأيه وجعله نداً له إلا مشركاً بالله قد اتخذ من دون الله أنداداً. اهـ.

وهناك مناسبة أخرى: أن المصنف لما بيّن في الباب السابق وجوب التحاكم بما أنزل الله؛ لأنه من تمام إفراد الله وعدم إشراك غيره فيما هو من خصائصه، ذكر المصنف في هذا الباب أن من لم يتحاكم إلى ما أنزل فهو كافر؛ لأن من تحاكم لغيره وترك حكمه فهو مع إشراكه لجاحد لصفة من صفاته وهي أنه خير الحاكمين، ولاسم من أسمائه وهو اسم الحكم. الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٥٣)، متن القصيدة النونية (٢/ ٢٩٤)، حاشية ابن قاسم (٢٩٢)، القول السديد (١٦٠، ١٣٨).

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]﴿١﴾.

وفي صحيح البخاري: قال علي: «حدِّثوا الناس بما يعرفون﴿٢﴾، أتريدون﴿٣﴾ أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه؟»﴿٤﴾.

﴿١﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ): ومطابقة الآية للترجمة ظاهرة؛ لأن الله تعالى سمَّى جحود اسم من أسمائه كفراً، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر. اهـ. والتيسير (٤٨٢). حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٢٩٢).

﴿٢﴾ أي: يفهمون. الفتح (١/ ٢٢٥).

﴿٣﴾ لفظه في البخاري: «أتحبون».

﴿٤﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي. وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب ـ والله أعلم ـ. اهـ. الفتح (١/ ٢٢٥).

قال الشيخ صالح الفوزان: ولا يدخل في هذا ذكر نصوص الأسماء والصّفات بدليل قول ابن عباس الآتي لما ذكر حديثاً عن النبي ﷺ في الصّفات؛ وإنما هذا خاص بأحاديث القصاص. اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ٢٤٩).

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وما ذكره عن مالك في أحاديث الصفات ما أظنه يثبت عن مالك، وهل في أحاديث الصفات أكثر من آيات الصفات التي في القرآن؟ فهل يقول مالك أو غيره من علماء الإسلام: إن آيات الصفات لا تتلى على العوام، وما زال العلماء قديماً وحديثاً من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يقرؤون آيات الصفات، وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم، بل شرط الإيمان هو الإيمان بالله، وصفات كماله التي وصف بها نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، فكيف يكتم ذلك عن عوام المؤمنين؟! بل نقول: من لم يؤمن بذلك =

. . . .

= فليس من المؤمنين، ومن وجد في قلبه حرجاً من ذلك فهو من المنافقين.اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما وجدت أحداً من أهل العلم من السلف جعل آيات الصّفات من المتشابه».اهـ. وقد اعتذر شيخ الإسلام عن الإمام مالك في نهيه عن التحدث عن حديث في الصفات، بأن مالكاً يكره التحدث بالصفات عموماً عند من يفتنه ذلك ولا يحتمله عقله، وأما أن مالك يكره التحدث بها مطلقاً فهذا مردود على من قاله، فقد حدث بهذه الأحاديث من هم أجل من مالك عند نفسه وعند المسلمين كعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وسرد جمعاً من السلف.اهـ.

قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): مناسبة هذا الأثر لباب الصفات: مناسبته ظاهرة؛ لأن بعض الصفات لا تحتملها أفهام العامة، فيمكن إذا حدثتهم بها كان لذلك أثر سيئ عليهم؛ كحديث النزول إلى السماء الدنيا مع ثبوت العلو، فلو حدَّثت العامي بأنه تعالى نفسه ينزل إلى السماء الدنيا مع علوه على عرشه، فقد يفهم أنه إذا نزل؛ صارت السماوات فوقه وصار العرش خالياً منه، وحينئذ لا بد في هذا من حديث تبلغه عقولهم، فتبين لهم أن الله ﷻ ينزل نزولاً لا يماثل نزول المخلوقين مع علوه على عرشه، وأنه لكمال فضله ورحمته يقول: «**من يدعوني فأستجيب له...**»، الحديث. والعامي يكفيه أن يتصور مطلق المعنى، وأن المراد بذلك بيان فضل الله ﷻ في هذه الساعة من الليل.اهـ. القول المفيد (٢/ ١٩٣).

الأصل هو نشر الدين لعموم النصوص في نشره وعدم كتمه؛ ولكن من العلم ما لا ينشر بقيود، قال الشاطبي (٧٩٠هـ): فمنه ـ العلم ـ ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص.اهـ. الموافقات (٤/ ١٨٩).

وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): إن المسائل الخبرية العلمية قد تكون واجبة الاعتقاد، وقد تجب في حال دون حال وعلى قوم دون قوم؛ وقد تكون مستحبة غير واجبة، وقد تستحب لطائفة أو في حال، كالأعمال سواء. وقد تكون معرفتها مضرة لبعض الناس فلا يجوز تعريفه بها، كما قال علي ؓ: «حدثوا الناس بما يعرفون...»اهـ. الفتاوى (٦/ ٥٩). وأما ما هو واجب فهذا يجب إيصاله؛ ولكن برفق، قال ابن قاسم: وفي الأثر دليل على أنه إذا خشي ضرراً من تحديث الناس ببعض ما لا يعرفون فلا ينبغي، وليس على إطلاقه؛ فإن كثيراً من الدين والسنن يجهله الناس، فإذا حدثوا به كذبوا بذلك وأعظموه، فلا يترك العالم تحديثهم، =

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس ﵄: «أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات ـ استنكاراً لذلك ـ فقال: ما فَرَق هؤلاء؟﴿١﴾ يجدون رقة عند

= بل يعلمهم برفق ويدعوهم بالتي هي أحسن. اهـ. بتصرف. حاشية ابن قاسم (٢٩٥).

فإن قيل: هل ندع الحديث بما لا تبلغه عقول الناس، وإن كانوا محتاجين لذلك؟ أجيب: لا ندعه، ولكن نحدثهم بطريق تبلغه عقولهم، وذلك بأن ننقله رويداً رويداً؛ حتى يتقبلوا هذا الحديث ويطمئنوا إليه، ولا ندع ما لا تبلغه عقولهم ونقول: هذا شيء مستنكر لا نتكلم به. ومثل ذلك: العمل بالسُّنَّة التي لا يعتادها الناس ويستنكرونها؛ فإننا نعمل بها، ولكن بعد أن نخبرهم بها؛ حتى تقبلها نفوسهم، ويطمئنوا إليها. التمهيد (٤٤٠).

📖 حديث علي أخرجه: البخاري (١٢٧)، من طريق عبيد الله بن موسى، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن علي ﵁. وقال ابن حجر: وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له، عن عبد الله بن داود، عن معروف في آخره: ودعوا ما ينكرون. اهـ. وجاء معناه عند مسلم من قول ابن مسعود ﵁ بلفظ: «ما أنت محدث قوم حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة؟».

علاقة الحديث بالباب، قال صالح آل الشيخ: إن من أسباب جحد الأسماء والصفات أن يحدث المرء الناس بما لا يعقلونه من الأسماء والصفات؛ لأن عامة الناس عندهم إيمان إجمالي بالأسماء والصفات يصح معه توحيدهم وإيمانهم وإسلامهم، فالدخول في تفاصيل ذلك غير مناسب إلا إذا كان المخاطب يعقل ذلك ويعيه، وليس أكثر الناس كذلك. الفتح (١/ ٢٢٥). التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٤١).

﴿١﴾ قوله: «ما فرق هؤلاء» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون «ما» استفهامية إنكارية. وفرق بفتح الفاء والراء وهو الخوف والفزع؛ أي: ما فزع هذا وأضرابه من أحاديث الصفات واستنكارهم لها؟ والمراد الإنكار عليهم، فإن الواجب على العبد التسليم والإذعان والإيمان بما صح عن الله وعن رسوله ﷺ وإن لم يحط به علماً.

والثاني: أن يكون بفتح الفاء وتشديد الراء، ويجوز تخفيفها. و«ما» نافية؛ أي: ما فرق هذا وأضرابه بين الحق والباطل ولا عرفوا ذلك، فلهذا قال: يجدون =

محكمه، ويهلكون عند متشابهه» انتهى ﴿١﴾.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر «الرحمٰن» أنكروا ذلك ﴿٢﴾، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿٣﴾.

= رقة وهي ضد القسوة؛ أي: ليناً وقبولاً للمحكم، ويهلكون عند متشابهه؛ أي: ما يشتبه عليهم فهمه. التيسير (٤٨٥).

﴿١﴾ أخرجه: عبد الرزاق (١١/ ٤٢٣)، من طريق معمر به. وصححه ابن رجب.

علاقة الأثر بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: بعدما ذكر المؤلف أثر عليّ رضي الله عنه الذي يدل على أنه لا ينبغي تحديث الناس بما لا يعرفون، ذكر هذا الأثر الذي يدل على أن نصوص الصفات ليست مما نهى عن التحديث به؛ بل ينبغي ذكرها وإعلانها؛ فليس استنكار بعض الناس لها بمعناه من ذكرها، فما زال العلماء قديماً وحديثاً يقرأون آيات الصفات وأحاديثها بحضرة العوام والخواص. الفتح «لابن رجب» (٧/ ٢٣٢)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣١٨).

﴿٢﴾ قال عثمان بن منصور (١٣٨٢هـ): وإنكار قريش «للرحمٰن» إنما هو إنكار جحود، إذ العرب تعرفه وقد ذكرته في أشعارها، قال حاتم الطائي:

كلوا اليوم من رزق العباد وأبشروا ... فإن على الرحمٰن رزقكم غدا

فتح الحميد (٤/ ١٦٢٩).

﴿٣﴾ أخرجه: ابن جرير «التفسير» (١٣/ ١٠١)، من طريق الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: «قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾ [الرعد: ٣٠] الآية، قال: هذا لمّا كاتب رسول الله ﷺ قريشاً في الحديبية، كتب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، قالوا: لا تكتب «الرحمٰن»، وما ندري ما «الرحمٰن»، ولا تكتب إلا «باسمك اللّهم». قال الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، الآية. وفيه الحسين بن داود «سنيد» ضعفه أبو حاتم وابن حجر. وقصة إنكار قريش لاسم الرحمٰن في البخاري (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة ومروان في قصة صلح الحديبية: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم. قال سهيل: أما الرحمٰن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللّهم**...». قال البغوي: قال قتادة، ومقاتل، =

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات﴿١﴾.

= وابن جريج: الآية ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ـ مدنية نزلت في صُلح الحديبية. والمعروف أن الآية مكية، وسبب نزولها: أن أبا جهل سمع النبي وهو في الحِجْر يدعُو يا الله يا رحمٰن، فرجع إلى المشركين فقال: إن محمداً يدعو إلهين؛ يدعو الله، ويدعو إلٰهاً آخر يسمى الرحمٰن، ولا نعرف الرحمٰن إلا رحمٰن اليمامة، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وروى الضحاك عن ابن عباس ﷺ: أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ: اسجدوا للرحمٰن، قالوا: وما الرحمٰن؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد، إنَّ الرحمٰن الذي أنكرتم معرفته ﴿هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدتُ ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾؛ أي: توبتي ومرجعي.اهـ. تفسير البغوي (٤/ ٣١٨)، التقريب (٢٥٨).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): الإنكار ـ للأسماء والصفات ـ نوعان:

الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحداً أنكر اسماً من أسماء الله أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسُّنَّة، مثل أن يقول: ليس لله يد، أو أن الله لم يستو على عرشه، أو ليس له عين، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة بالإجماع.

الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا ينكرها، ولكن يتأولها إلى معنى يخالف ظاهرها، وهذا نوعان:

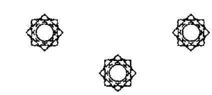
١ ـ أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة العربية؛ فهذا لا يوجب الكفر.

٢ ـ أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية؛ فهذا حكمه الكفر؛ لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار في الحقيقة تكذيباً، مثل أن يقول: المراد بقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، تجري بأراضينا؛ فهذا كافر لأنه نفاها نفياً مطلقاً، فهو مكذب.اهـ. القول المفيد (٢/ ١٨٣).

وسئلت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة ابن باز عن ما هو الكفر في الصفات؟ وهل هناك فرق بين العالم المعاند والمتأول في ذلك؟

فأجابت عن **الأول**: بأن الكفر في صفات الله تعالى هو إنكار ما علم ثبوته منها بعد البلاغ أو الإلحاد فيه بتحريفه عن المقصود بدون شبهة يعذر بمثلها. =

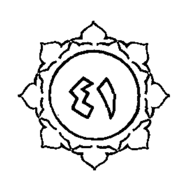
الثانية: تفسير آية الرعد. **الثالثة**: ترك التحديث بما لا يفهم السامع[١]. **الرابعة**: ذكر العلة: أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر[٢]. **الخامسة**: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وأنه أهلكه.



= **ثانياً**: من خالف الحق في ذلك عناداً بعد البيان وإقامة الحجة فهو كافر غير معذور، ومن خالف في ذلك متأولاً لشبهة يعذر بمثلها فهو مخطئ معذور، ويؤجر على اجتهاده. فتاوى اللجنة الدائمة في السعودية (٣/ ١٧٤).

﴿١﴾ وهذا ليس على إطلاقه، وقد سبق التفصيل فيه عند شرح الأثر. القول المفيد (٢/ ١٩٩).

﴿٢﴾ أي: ولو لم يقصد المنكر تكذيب الله ورسوله، ولكن كذب نسبة هذا الشيء إلى الله ورسوله، وهذا يعود بالتالي إلى رد خبر الله ورسوله. القول المفيد (٢/ ٢٠٠).

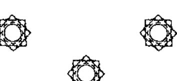


باب: قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل]

قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي». وقال عون بن عبد الله: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا». وقال قتيبة: «يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا». وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر... الحديث» وقد تقدم ـ: وهذا كثير في الكتاب والسُّنَّة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها. **الثانية**: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير. **الثالثة**: تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة. **الرابعة**: اجتماع الضدين في القلب.







٤١ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ﴾ ﴿١﴾ ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿٢﴾ (*)

. . . .

﴿١﴾ أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية أن لفظ (المعرفة) يستعمل في القرآن وفي السُّنَّة غالباً فيما يذم من أخذ المعلومات كقوله ـ جل وعلا ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وكقوله في هذه الآية: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾. وهذا على جهة الأكثرية، وإلا فقد وردت المعرفة بمعنى العلم كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس: «أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: **إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يعرفوا الله، فإن هم عرفوا الله..**»، فهذا يدل على أن بعض من روى الحديث من التابعين جعل المعرفة بمعنى العلم، وهم حجة في هذا المقام، فيدل على أن استعمال المعرفة بمعنى العلم لا بأس به. التمهيد (٤٤٧).

﴿٢﴾

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من التوحيد إثبات أسماء الله وصفاته، ومن إنكار كمال أسمائه وصفاته إضافة النعم لغيره؛ لأن من صفاته سبحانه الإنعام على الحقيقة، حيث أن تسخير الإنعام على يد المخلوق من إنعام الله، فإذ أضاف العبد الإنعام لغير الله لم يكن واصفاً الله بكمال الأنعام وجاحداً لكمالها، وكان بإضافته النعم لغير الله أيضاً مشركاً بقوله، ملتفتاً بقلبه لغير الله. قال ابن القيم (٧٥١هـ): ومن أنواعه ـ الشرك ـ: الخوف من غير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره وحمد غيره على ما أعطى والغنية بذلك عن حمده سبحانه **وإضافة نعمه إلى غيره**. اهـ. مدارج السالكين (١/ ٣٤٥). قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): إن من صفاته المنعم، نبه =

قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي»﴿١﴾. **وقال عون بن عبد الله:** «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا»﴿٢﴾. **وقال قتيبة:** «يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا»﴿٣﴾﴿٤﴾. وقال أبو

= بهذه الترجمة.. ومن كفر بنعمة الله بعد معرفتها، فقد تطرق بذلك لإنكار صفة منصفاته وجحدها.اهـ. فتح الحميد (٤/ ١٦٨٠). وقال سليمان بن حمدان (١٣٩٣هـ): ترجم المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية من سور النحل المسماة سورة النعم؛ ليبيّن أن إنكار النعمة بعد معرفتها كفر كنسبة النعمة إلى غير المنعم بها، وهو من الشرك الخفي المنافي لكمال التوحيد.اهـ. الدر النضيد (٢٥٥).

علاقة الباب بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته وعدم الإلحاد فيها، شرع المصنف في هذا الباب والأبواب التي بعده في ذكر أنواع من الإلحاد في أسماء الله وصفاته. قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): لما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ باب الأسماء والصفات وعلم أن من صفاته المنعم، نبَّه بهذه الترجمة بأن من كفر نعمة الله بعد معرفتها، فقد تطرق بذلك لإنكار صفة من صفاته وجحدها، فأعقبه بهذا الباب، وكذا ما بعده من الأبواب فإن فيها إشارة إلى نفي الإلحاد عن أسمائه وصفاته جل وعلا.اهـ. وقال ابن القيم (٧٥١هـ): الإلحاد في أسماء الله تارة يكون بجحد معانيها وحقائقها، وتارة يكون بإنكار المسمى بها، وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره.اهـ. الصواعق المرسلة (١/ ٢١٧)، التيسير (٤٨٨)، فتح الحميد (٤/ ١٦٨٠)، القول المفيد (٢/ ٢٠٢).

﴿١﴾ تفسير مجاهد (١/ ٣٥٠)، تفسير ابن جرير (١٤/ ١٥٨).

﴿٢﴾ أخرجه: ابن جرير «التفسير» (١٤/ ١٥٨)، من طريق ليث بن أبي سليم عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: إنكارهم إياها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا ما أصبت كذا وكذا.اهـ. قال الشيخ صالح الفوزان: والذي يجوز ما أرشد إليه النّبي ﷺ، أن تقول: «لولا الله، ثُمَّ فلان»، لأنّك نسبت النعمة إلى الله، وذكَرْتَ أنّ فلاناً إنّما هو سببٌ فقط، لأنّ (ثُمَّ) للترتيب والتعقيب.اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ٢٦١).

﴿٣﴾ تفسير ابن الجوزي (٤/ ٤٧٩).

﴿٤﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): اختار ابن جرير القول الأول =

العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر... الحديث» وقد تقدم ـ: وهذا كثير في الكتاب والسُّنَّة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به[١].

= ـ أن المراد بالنعمة هو محمد ﷺ ـ، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها، وهو الصواب.اهـ. قرة عيون الموحدين (٢٠٤).

ولابن القيم (ت٧٥١) تعليق وشرح لهذه الأقوال الثلاثة، حيث قال: وأما على القول الأول والثاني والثالث فإنهم لما أضافوا النعمة إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره، فإن الذي قال إنما كان هذا لآبائنا ورثناه كابراً عن كابر جاحداً لنعمة الله عليه غير معترف بها... فكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم، إذ أنعم بها على آباءهم ثم ورثهم اياها فتمتعوا هم وآباؤهم بنعمة.

وأما قول الآخرين: لولا فلان لما كان كذا فيتضمن قطع إضافة النعمة إلى من لولاه لم تكن، وأضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرّاً ولا نفعاً، وغايته أن تكون جزءًا من أجزاء السبب أجرى الله تعالى نعمته على يده، والسبب لا يستقل بالإيجاد، وجعله سبباً هو من نعم الله عليه... فالسبب والمسبب من أنعامه... وهو سبحانه قد ينعم بذلك السبب، وقد ينعم بدونه فلا يكون له أثر... وقد يجعل لها معارضاً يقاومها... فهو وحده المنعم على الحقيقة.

وأما قول القائل: بشفاعة آلهتنا، فتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليِّها، فالآلهة التي تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله، وهي محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها، وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه، فالشفاعة بإذنه من نعمه، فهو المنعم بالشفاعة، وهو المنعم بقَبولها، وهو المنعم بتأهيل المشفوع له، إذ ليس كل أحد أهلاً أن يشفع له، فمن المنعم على الحقيقة سواه! قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] فالعبد لا خروج له عن نعمته وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين لا في الدنيا ولا في الآخرة.اهـ. شفاء العليل (٨٢، ٨٣).

[١] الفتاوى (٨/ ٣٣). وقال عبد الرحمٰن بن حسن: وكلام شيخ الإسلام يدل على حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله، وأسند أسبابها إلى غيره مما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا، وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى.اهـ. قرة عيون الموحدين (٢٠٤).

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير﴿١﴾.

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله: بأنه لم يقف على قائله. التيسير (٥٨٥).

ـ أحوال إضافة النعم لغير الله:

الحال الأولى: أن يعتقد أن المنعم هو الفاعل، فهذا شرك أكبر، قال ابن رجب: فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي. اهـ.

الحال الثانية: أن يعتقد أن الله هو المنعم، وأضاف النعمة لغير سببها الحقيقي، كمن نسب المطر للنوء، فهذا شرك أصغر؛ لما رواه البخاري ومسلم من حديث زيد بن خالد مرفوعاً: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

الحال الثالثة: إن اعتقد أن المنعم هو الله؛ لكن أضاف النعمة لسببها الحقيقي ولم ينسبها لله، كقوله: بمهارة الطبيب شفيت، أو وصلت من السفر سريعاً بالسيارة الجديدة، فاختلف أهل العلم على قولين:

القول الأول: جواز ذلك وأنه ليس من الشرك الأصغر، لما جاء في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب أن رسول ﷺ قال في عمه أبي طالب: «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»، حيث أضاف النعمة لنفسه، وقول عمر رضي الله عنه لحفصة: لولا أنا لطلَّقكِ رسول الله ﷺ. قال ابن عثيمين: أن يضيفه إلى سبب صحيح ثابت شرعاً أو حساً؛ فهذا جائز بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه، وأن لا يتناسى المنعم بذلك. اهـ. ونوقش حديث العباس: بأنه من باب الإخبار وليس من باب إضافة النعمة لغير الله. قال صالح آل الشيخ: حديث: «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»، هذا لم يدخل من جهتين:

الجهة الأولى: أنَّ النبي ﷺ مُتَفَضِّل، والأحاديث التي فيها النهي إنما هو في المنتفع بالنعمة أو اندفاع النِّقمة.

الجهة الثانية: أنَّ قوله: «**لولا أنا**» يقصد به لولا شفاعتي له، وشفاعته ﷺ تُقبَلْ ابتداءً أم بفضل الله؟ بفضل الله، يعني شفاعته ما تُقْبَل إلا بإذن الله، فرجع الأمر ـ ولو لم يذكر ظاهراً ـ إلى الله وكذا قول عمر لولا أنا لطلَّقكِ رسول الله ﷺ»؛ لأنَّهُ المُتفضِّل عليها. اهـ.

=

....

= **القول الثاني**: أنه من الشرك الأصغر. وهو الصواب، قال شيخ الإسلام: فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته. ولكن إذا أراد التخلص من هذا الشرك فلينظر إلى المعطي الأول مثلاً فيشكره على ما أولاه من النعم وينظر إلى من أسدى إليه المعروف فيكافئه عليه لقوله ﷺ: «**من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**»؛ لأن النعم كلها لله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠]، فالله سبحانه هو المعطي على الحقيقة، فإنه هو الذي خلق الأرزاق وقدرها وساقها إلى من يشاء من عباده، فالمعطي هو الذي أعطاه وحرك قلبه لعطاء غيره. فهو الأول والآخر.اهـ.

وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]، وقيل: معناها أنهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة، فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، ولولا الكلب لدخل علينا اللص، ونحو هذا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان، ووقايته منسوبة إلى الكلب. قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.اهـ.

وقال ابن القيم: ومن أنواعه ـ أي الشرك الأصغر ـ: الخوف من غير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غيره، وحمد غيره على ما أعطى والغنية بذلك عن حمده سبحانه، والذم والسخط على ما لم يقسمه ولم يجر به القدر وإضافة نعمه إلى غيره.اهـ.

وقال ابن رجب: فمن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة، ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي.اهـ.

وقال سليمان بن عبد الله: يجب على الإنسان أن لا يضيف نعم الله إلى غيره ولا يحمدهم عليها بل يضيفها إلى خالقها ومقدرها الذي أنعم بها على العبد بفضله ورحمته، ولا ينافي ذلك الدعاء لمن أحسن بها إليك، وذكر ما أولاكم من المعروف إذا سلم لك دينك، والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أن العبد يتعلق قلبه بمن يظن حصول الخير له من جهته وإن كان لا صنع له في ذلك، وذلك نوع شرك خفي فمنع من ذلك.اهـ.

وقال الغنيمان: ما يحصل للإنسان من نعم يجب إضافتها إلى الله جل وعلا، =

. . . .

= ولا يجوز إضافتها إلى السبب؛ فإن الأسباب خلقها الله جل وعلا، وهو الذي رتب عليها المسببات، وجعلها جزءاً مما يترتب عليه وجود النعم، فإضافتها إلى غير مسديها ومموليها يكون من باب الكفر الذي هو كفر النعمة، ويكون أيضاً شركاً من الشرك الخفي الذي يكون ذاهباً بكمال التوحيد؛ لأن كمال التوحيد أن يكون الإنسان عبداً لله في جميع تصرفاته أفعاله وأقواله، وأن يضيف جميع ما يحدث إلى الله جل وعلا، ولكن هذا في الشيء الذي يكون فيه ثناء على الله جل وعلا فهو نعمة. اهـ.

وقال عبد الرحمٰن بن حسن: وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله، وأسند أسبابها إلى غيره مما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا، وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى. اهـ.

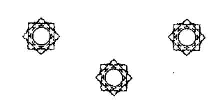
وقال الشيخ صالح الفوزان: أما نسبة الأشياء إلى غيرِه فهذا شركٌ إمّا أكبر وإمّا أصغر. والواجب على المسلمين أن يتنبّهوا لذلك، لأنّه يكثُر على الألسنة الآن مدح الأشياء وأنّه بفضلها حصل كذا وكذا، بفضل الطبِّ بفضل كذا وكذا، بفضل تضافُر الجهود، بفضل المجهودات الفلانية حصل كذا وكذا، والله لا يُذكر أبداً، ولا يُثنى عليه في هذه الأُمور، وهذا خطأٌ كبيرٌ في العقيدة، ويُخشى على مَنْ قالَه من الشّرك الأكبر، هو لا يسلم من الشرك: إمّا الشرك الأصغر وإمّا الشرك الأكبر. . اهـ.

وقال سليمان بن حمدان مبيناً **مناسبة الباب لكتاب التوحيد**: إن إنكار النعمة بعد معرفتها كفر كنسبة النعمة إلى غير المنعم بها وهو من الشرك الخفي المنافي لكمال التوحيد. اهـ. الدر النضيد (٢٥٥).

قال صالح آل الشيخ: إضافة النعم إلى غير الله نقص في كمال التوحيد، ونوع شرك بالله جل وعلا . . . والله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، وهذا نص صريح في العموم؛ لأن مجيء النكرة في سياق النفي يدل على العموم ظهوراً، فإن سبقت النكرة بـ(من) دلت على العموم نصاً، والتنصيص في العموم معناه أنه لا يخرج شيء من أفراده، فدلت الآية على أنه لا يخرج شيء من النعم أياً كان ذلك الشيء . . . فكل النعم صغرت أو عظمت هي من الله ﷻ وحده، وأما العباد فإنما هم أسباب تأتي النعم على أيديهم، وأسباب في إيصال النعمة إليك، فمن كان سبباً في معالجتك، أو سبباً في تعيينك، أو سبباً في نجاحك، أو نحو ذلك لا يدل على أنه هو ولي النعمة، أو هو الذي أنعم، فإن ولي النعمة هو الرب =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها ﴿١﴾. **الثانية**: معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير. **الثالثة**: تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة. **الرابعة**: اجتماع الضدين في القلب ﴿٢﴾.



= جل وعلا... فالواجب إذاً أن تنسب النعمة إلى المسدي لا إلى السبب؛ لأن السبب لو أراد الله ـ جل وعلا ـ لأبطل كونه سبباً. اهـ.

الحال الرابعة: إضافة النعمة للمنعم بها على سبيل الإخبار لا الثناء والمدح، فهذا جائز، لما جاء في الصحيحين من حديث العباس بن عبد المطلب أن رسول ﷺ قال في عمه أبي طالب: «**لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»، حيث أضاف النعمة لنفسه، قال ابن باز: قال مجاهد: «هو قول الرجل: ورثته عن آبائي»؛ أي: يقول ذلك تبجحاً وتعظيماً بهذا الشيء من غير أن يعترف بنعم الله ويغفل عن ذلك، وليس المراد أن يقولها بقصد الإخبار؛ لأنه لا بأس أن يخبر بهذا على أنه سبب. اهـ.

فائدة: قال ابن رجب: أسباب الشر: فلا تضاف إلا إلى الذنوب؛ لأن جميع المصائب إنما هي بسبب الذنوب كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، فلا تضاف إلى شيء من الأسباب سوى الذنوب: كالعدوى أو غيرها. اهـ.

تفسير القرطبي (٩/ ٢٧٣)، الفتاوى (١/ ٩٢)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٥)، لطائف المعارف (١٤٢)، التيسير (٣٨٣)، فتح الحميد (٤/ ١٧٠٦)، قرة عيون الموحدين (٣٨٣)، التعليق المفيد (٢٠٧)، القول المفيد (٢/ ٢٠٤)، إعانة المستفيد (٣/ ٤١٠)، التمهيد (٤٤٦ ـ ٤٤٨)، إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، بعض أنواع الشرك الأصغر «للمعتق» (٤٩).

﴿١﴾ أي: أنهم يعرفون أن الله هو المنعم بما ذكر في سورة النحل وغيرها ثم ينكرونها بإضافتها إلى غيره. التوضيح المفيد (١٩٣).

﴿٢﴾ أي: معرفة النعمة وإنكارها. التوضيح المفيد (١٩٣).

٤٢

باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

قال ابن عباس رضي الله عنهما، في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل». وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان؛ هذا كله به شرك». رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً».

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله

وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا: لولا الله وفلان».

○ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد. الثانية: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر. الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك. الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس. الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.





٤٢ ـ باب: قول الله تعالى:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ﴾[١] أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]

....

﴿١﴾ **الأنداد:** جمع ند بكسر النون وهو النظير. الفتح (٨/ ١٦٣).

قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): اعلم أن اتخاذ الند على قسمين:
الأول: أن يجعله لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها، كما تقدم، وهو شرك أكبر.
والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء، فقد ثبت أن النبي ﷺ لما قال له رجل: «ما شاء الله وشئت، قال: **أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده**»، رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه. اهـ. فتح المجيد (١/ ٧٢).

وقال صالح آل الشيخ: فهذا الباب فيه بيان أن التنديد يكون في الألفاظ، والتنديد هنا المراد به: التنديد الأصغر الذي هو شرك أصغر في الألفاظ وليس التنديد الكامل الذي هو الشرك الأكبر. اهـ. التمهيد (٤٥٣).

﴿٢﴾ قال العلامة عبد الرحمٰن السعدي (١٣٧٦هـ): ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: نظراء وأشباهاً من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة، فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه. اهـ. تفسير السعدي (٤٤).

ـ **الفرق بين هذا الباب وباب قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]:

=

. . . .

= قال السعدي (١٣٧٦هـ): الترجمة السابقة على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله نداً في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات. وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ. اهـ. القول السديد (١٤٣).

وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): ففي أولها ـ أي: سورة البقرة ـ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، وفي أثنائها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ فـ«الأول» نهي عام و«الثاني» نهي خاص. اهـ. أي: في الشرك في المحبة. الفتاوى (١٤/ ٤٣).

📖 **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ، كالحلف بغير الله؛ لأنه من اتخاذ غير الله نداً له. قال سليمان بن عبد الله: من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ، وإن لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد، كمن يجري على لسانه ألفاظ من أنواع الشرك الأصغر لا يقصدها. اهـ. التيسير (٤٩٢).

علاقة الباب بالباب السابق: لا يزال المصنف يبين أنواعاً من الإلحاد في الأسماء والصفات، فلما بيَّن في الباب السابق أن من الإلحاد في أسمائه وصفاته إضافة النعم لغيره؛ لأن فيه جحداً لكمال صفة من صفات الله وهي كونه سبحانه منعماً، بين في هذا الباب أن إضافة النعم لغير الله هو من التنديد.

قال ابن عثيمين: قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، و«لا» هذه ناهية؛ أي: فلا تجعلوا له أنداداً في العبادة، كما أنكم لم تجعلوا له أنداداً في الربوبية، وأيضاً لا تجعلوا له أنداداً في أسمائه وصفاته. اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٠٨).

وقال الخطابي ـ معلقاً على حديث: «من حلف بالأمانة فليس منا» ـ: هذا يشبه أن يكون الكراهة فيها من أجل أنه إنما أُمر أن يحلف بالله وصفاته وليست الأمانة من صفاته؛ وإنما هي أمر من أمره وفرض من فروضه، فنهوا عنه لما في ذلك من التسوية بينها وبين أسماء الله وصفاته. اهـ. معالم السنن (٣/ ٥٧٣).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ): الحلف بالأمانة إذا أطلق فهو مكروه أو حرام، لأن الأمانة فيها اشتراك، وذلك أن الأمانة بالنسبة إلى المخلوق كمال، ومن المعلوم أن كل كمال اتصف به المخلوق فالله أحق وأولى به، =

قال ابن عباس ﷺ في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل»﴿١﴾. وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان﴿٢﴾؛ هذا كله به شرك﴿٣﴾»﴿٤﴾. رواه ابن أبي حاتم﴿٥﴾.

= أما إذا قال: وأمانة الله فليس من ذلك.اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٥٠).

﴿١﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه مثل أن يحب مع الله غيره.اهـ. الفتاوى (١/ ٩٢).

وقال سليمان بن عبد الله: قوله: «**هو الشرك أخفى من دبيب النمل**...» إلى آخره؛ أي: إن هذه الأمور من الشرك خفية في الناس، لا يكاد يتفطن لها ولا يعرفها إلا القليل، وضرب المثل لخفائها بما هو أخفى شيء وهو أثر النمل، فإنه خفي، فكيف إذا كان على صفاة؟ فكيف إذا كانت سوداء، فكيف إذا كانت في ظلمة الليل؟ وهذا يدل على شدة خفائه على من يدعي الإسلام وعسر التخلص منه.اهـ. التيسير (٤٩٣).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): هكذا ثبت في نسخة المصنف بلا تنوين.اهـ. وقيل أن هذا على سبيل الحكاية. وقيل: «لا تجعل» فعل مبني للمجهول. التيسير (٤٩٤).

﴿٣﴾ أي: أي كله بالله شرك أصغر. فتح الحميد (٤/ ١٦٩٩).

﴿٤﴾ **علاقة الأثر بالباب،** قال صالح آل الشيخ: قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، هذا عام يشمل اتخاذ الأنداد بالشرك الأكبر ويشمل أيضاً اتخاذ الأنداد بأنواع الإشراك التي دون الشرك الأكبر؛ لأن قوله: ﴿أَندَادًا﴾ نكرة في سياق النهي فتعم جميع أنواع التنديد، والتنديد منه ما هو مخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة؛ ولهذا ساق عن ابن عباس أنه قال: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل»، فجعل مما يدخل في هذه الآية الشرك الخفي أو شرك الألفاظ التي تخفى على كثير من الناس.اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤١٥).

﴿٥﴾ أخرجه: ابن أبي حاتم «التفسير» (١/ ٩٢، ٢٢٩)، من طريق شبيب بن =

وعن عمر بن الخطاب ﷺ﴿١﴾؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف﴿٢﴾ بغير الله فقد كفر أو أشرك»﴿٣﴾ . رواه الترمذي، وحسنه

= بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس. وإسناده لا بأس به، وقد جوَّد إسناده سليمان ابن حسن. ولا يضره تفرد شبيب بن بشر؛ لأن الأثر من قول ابن عباس وليس من قول النبي ﷺ. وأئمة الحديث يتساهلون في كلام غير النبي ﷺ. قال الإمام أحمد في «صدقة السمين»: ما كان من حديثه مرفوعاً منكر، وما كان من حديثه مرسلاً عن مكحول فهو أسهل.اهـ. وقال في «جويبر»: ما كان عن الضحاك فهو على ذلك أيسر، وما كان يسند عن النبي ﷺ فهي منكرة.اهـ. وقال القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث...اهـ.

فائدة: قوله: «**الشرك أخفى من دبيب النمل**» جاء مرفوعاً من طرق ليست بالقوية، وظاهر كلام الدارقطني، والعقيلي تضعيف الحديث.

المعرفة والتاريخ (٢/ ١٧٤)، العلل لعبد الله بن أحمد (١/ ٣٠٠)، الضعفاء «للعقيلي» (٣/ ٦٠)، العلل للدارقطني (١٤/ ١٩٢). التهذيب (٢/ ١٢٤)، التيسير (٤٩٣).

﴿١﴾ صوابه عن ابن عمر. المسند (١/ ٤٧، ٢/ ٣٤)، سنن أبي داود (٣٢٥١)، الترمذي (١٥٣٥)، تحفة الأشراف (٧/ ٣٣٩).

﴿٢﴾ الحلف هو اليمين: وهو توكيد الكلام بذكر معظم على وجه مخصوص. قال ابن حجر: وعُرفت شرعاً بأنها توكيد الشيء بذكر اسم الله أو صفة الله، وهذا أخص التعاريف أو أقربها.اهـ. الفتح (١١/ ٥٢٥)، الإقناع «للحجاوي» (٤/ ٣٢٩).

﴿٣﴾ والشرك هنا ليس هو الشرك الأكبر كما قال الجمهور، واختاره الطحاوي (٣٢١هـ)، وابن العربي (٥٤٣هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ). واستدل من قال أن المراد بالشرك هو الأكبر بما رواه البخاري ومسلم مرفوعاً: «**من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إلٰه إلا الله**»، حيث إنه أمر بتجديد إسلامه. وأجاب عليه سليمان بن عبد الله بأن هذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره.

التيسير (٤٩٩)، قرة عيون الموحدين (٣٨٥)، تحقيق التجريد (٢/ ٤٢٣)، التعليق المفيد (٢١٠)، التمهيد (٤٥٦).

وصححه الحاكم﴿١﴾.

أخرجه: أحمد (٢/ ٣٤)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، من طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر رضي الله عنهما﴿٢﴾.

صحَّحه: ابن حبان، والحاكم، وابن الملقن﴿٣﴾.

حسَّنه: الترمذي﴿٤﴾، وقال العراقي: إسناده ثقات.

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على أنه من حلف بغير الله فقد اتخذ المحلوف به نداً لله.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٢٦).

﴿٢﴾ رواه الحسين بن عبيد الله (في رواية أبي خالد الأحمر، ومسعود بن سعد، وابن حسان)، عن سعد بن عبيدة بلفظ: «فقد كفر أو أشرك». ورواه الحسين بن عبيد الله (في رواية سليمان بن حيان)، عن سعد بن عبيدة بلفظ: «كفر وأشرك». ورواه الحسين بن عبيد الله (في رواية جرير)، عن سعد بن عبيدة بلفظ: «فقد كفر». ورواه منصور، والأعمش، ووالد الثوري، والحسين بن عبيد الله (في رواية ابن إدريس، وعبد الرحيم بن سليمان، وشريك) عن سعد بن عبيدة بلفظ: «فقد أشرك». ورواه أبو عبد الرحمٰن عن ابن عمر بلفظ: «لا تحلف بها فإنها شرك». ورجح ابن باز أن رواية «فقد كفر أو أشرك» شك من ابن عمر أو أحد الرواة.

أحمد (١/ ٤٧، ٢/ ٣٤، ١٢٥)، سنن أبي داود (٣٢٥١)، ابن حبان (٤٣٥٨)، المستدرك (١/ ٦٥)، مصنف عبد الرزاق (٤٦٧)، علل الدارقطني (١٣/ ١٣٣)، تاريخ أصفهان (٢٥٥).

﴿٣﴾ ابن حبان (١١٧٧)، والمستدرك (١/ ١٨)، البدر المنير (٩/ ٤٥٩).

﴿٤﴾ قول الترمذي للحديث أنه حسن دليل أن الحديث فيه كلام وأنه ليس بصحيح عنده. ويدل لذلك ما نقله ابن القيم وابن حجر عن الترمذي أنه قال عن حديث أنه حديث حسن، ثم قال الترمذي: وإنما لم نقل لهذا الحديث: صحيح؛ لأنه يقال: إن الأعمش دلس فيه.اهـ. قال المعلمي: الترمذي له اصطلاح في التحسين والتصحيح وهو أن الحديث إذا روي من طريقين ضعيفين يسميه حسناً.اهـ.

انظر: علل الترمذي «لابن رجب»، رفع الاشتباه (١٥٧)، وقال بشار عواد: وكل حديث اقتصر على تحسينه الترمذي فهو معلول عنده، وقد تتبعت ذلك وعرفته =

ضعَّفه: البيهقي، والطحاوي، ومقبل بن هادي الوادعي ﴿١﴾.

الحديث معلول؛ لأمور:

١ ـ أن سعد بن عبيدة لم يسمعه من ابن عمر، كما قال الطحاوي والبيهقي ﴿٢﴾.

٢ ـ أن سالم بن عبد الله رواه عن ابن عمر ﵄ بلفظ: «من حلف بغير الله فقال فيه قولاً شديداً» ﴿٣﴾.

٣ ـ أن أصل الحديث جاء في الصحيحين دون ذكر: «فقد كفر أو أشرك» ﴿٤﴾.

= بالدراسة والبحث والتقصي. اهـ. النقد الحديثي عند الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام «لعمر مكي» (٤٦). دار السعادة (١/ ٧١)، الفتح (١/ ١٦٠)، والنكت (١/ ٤٠٣).

﴿١﴾ السنن للبيهقي (١٠/ ٢٩)، مشكل الآثار (٢/ ٣٠٠)، الأحاديث المعلة (٢٣٩).

﴿٢﴾ فقد رواه منصور، عن سعيد بن عبيدة، عن الكندي، عن ابن عمر ﵄، والكندي مجهول كما قال أبو حاتم. وقد تابع الكندي أبو عبد الرحمٰن عند الدارقطني «العلل» (١٢/ ٢٣٣)، من طريق محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن، عن ابن عمر، وهذه متابعة ضعيفة؛ لأن محمد بن فضيل تفرد به كما قال الدارقطني، وهو كثير الخطأ كما قال أبو حاتم، وقد خالفه الثوري فرواه عن الأعمش به بذكره بدون ذكر أبي عبد الرحمٰن، وكذلك رواه منصور عن سعد بن عبيد بدون ذكر أبي عبد الرحمٰن.

أحمد (٢/ ٦٩)، شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٩٦)، الحلية (٩/ ٢٥٢)، الجرح والتعديل (٨/ ١٣٢)، العلل للدارقطني (١٣/ ٢٣٣)، أطراف الغرائب (٣/ ٥٣٤)، من تكلم فيه وهو موثوق للذهبي (١٦٧).

﴿٣﴾ رواه أحمد (٢/ ٦٧)، من طريق ابن المبارك، عن موسى بن عقبة، عن سالم به.

﴿٤﴾ رواه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦)، من طريق نافع، والبخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (١٢٦٦)، من طريق سالم، والبخاري ومسلم (٦٦٤٨)، ومسلم (١٢٦٧)، من طريق ابن دينار، ثلاثتهم عن ابن عمر ﵄. قال الحاكم ـ بعد أن =

وقال ابن مسعود ﷺ: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً﴿١﴾»﴿٢﴾﴿٣﴾.

= ذكرحديث سعد بن عبيدة ـ: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ وإنما أودعته كتاب الإيمان للفظ الشرك فيه. فأما الشيخان فإنما أخرجاه من حديث سالم ونافع وعبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال لعمر: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**» فقط، وهذا غير ذاك.اهـ. والصواب أنهما حديث واحد، ومما يدل على أنهما حديث واحد لفظ سعيد بن مسروق، عن سعيد بن عبيدة، عن ابن عمر قال: قال عمر: لا وأبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بشيء دون الله فقد أشرك**». المستدرك (١/ ١١٧)، شرح علل الترمذي (٢/ ٨٤٣).

﴿١﴾ قوله: «لأن أحلف بالله كاذباً»: اللام: لام الابتداء، و«أن» مصدرية؛ فيكون قوله: «أن أحلف» مؤوّلاً بمصدر مبتدأ، تقديره: لحلفي بالله. «أحب إلي»: خبر المبتدأ. قوله: «كاذباً»: حال من فاعل أحلف. قال ابن عثيمين: قوله: «أحب إلي»: هذا من باب التفضيل الذي ليس فيه شيء من الجانبين، وهذا نادر في الكلام؛ لأن التفضيل في الأصل يكون فيه المعنى ثابتاً في المفضل وفي المفضل عليه، وأحياناً في المفضل دون المفضل عليه، وأحياناً لا يوجد في الجانبين؛ فابن مسعود ﷺ لا يحب لا هذا ولا هذا.اهـ.

قاعدة في التوسل والوسيلة (٨٥)، التيسير (٥٠٠)، فتح الحميد (٤/ ١٧٣١)، القول المفيد (٢/ ٢١٧).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك.اهـ. وقال أيضاً: لأن الحلف بغير الله شرك والحلف بالله توحيد. وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق؛ ولهذا كان غاية الكذب أن يعدل بالشرك كما قال النبي ﷺ: «**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله**» مرتين أو ثلاثاً، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].اهـ.

الفتاوى (١/ ٨١)، مدارج السالكين (١/ ٣٠٨)، إعلام الموقعين (٤/ ٤٠٣)، الفروع (٦/ ٣٠٣)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٣٦)، التيسير (٥٠٠)، التمهيد (٤٥٧).

﴿٣﴾ **علاقة الأثر بالباب**، أن فيه بيان أن الشرك الأصغر أعظم من الكبائر، =

أخرجه: الطبراني (٩/ ١٨٣)، من طريق مسعر، عن وبرة بن عبد الرحمٰن، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [١].

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا [٢]: ما شاء الله وشاء فلان [٣]، ....

= قال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ) في المسائل: الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس. اهـ.

﴿١﴾ هكذا رواه أبو نعيم والحكم بن مروان وسفيان بن عيينة، عن مسعر، عن وبرة، عن ابن مسعود موقوفاً. وروي عن مسعر، عن وبرة، عن ابن عمر موقوفاً. ورواه وكيع، عن مسعر، عن عبد الملك بن ميسرة، عن أبي بردة، عن عبد الله. ورواه الثوري، عن أبي سلمة، عن وبرة قال: قال عبد الله: لا أدري ابن مسعود أو ابن عمر. قال صاحب طبقات المحدثين بأصبهان: رواه الناس عن ابن مسعود موقوفاً. اهـ. ومثله قال صاحب تاريخ أصفهان. وقال الثقفي في الثالث من الثقفيات: رواه الناس عن مسعر، عن وبرة، عن ابن عمر موقوفاً من قوله. اهـ. وهذا الأثر لا بأس به؛ لأنه إن كان من قول ابن مسعود فتضعف علة الانقطاع بين وبرة وابن مسعود برواية مجاهد عن ابن مسعود، وإن كان عن ابن عمر فإسناده صحيح متصل، خاصة وأن وبرة معروف بالرواية عن ابن عمر. ويزداد الأثر قوة بما رواه مالك «الموطأ» أنه بلغه عن ابن عباس قال: «لأن أحلف بالله فآثم أحب إلي من أن أظاهر». قال ابن عبد البر: فالمظاهرة أن يحلف بغير الله تعظيماً للمخلوق. وقد نسب معنى الأثر لابن مسعود وابن عمر وابن عباس ابن تيمية وابن حجر. ونسبه لابن مسعود وابن عمر ابن عبد البر. وجاء وصف الحلف بغير الله أنه من الشرك من قول كعب والمسور.

عبد الرزاق «المصنف» (٨/ ٤٦٩)، المحلى (٨/ ٣٩)، ابن أبي شيبة «المصنف» (٣/ ٤٨٠)، الاستذكار (٥/ ٢٠٣)، الحلية (٧/ ٢٦٧)، المدونة (٢/ ١٠٨)، الفتاوى (١/ ٢٠٣)، الفتح (٢/ ١٩)، المداوي للغماري (١/ ٢٣١).

﴿٢﴾ «لا»: ناهية، ولهذا جُزم الفعل بعدها بحذف النون. القول المفيد (٢/ ٢١٩).

﴿٣﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة؛ لأنها في وضعها لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم، وتسوية =

ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»﴿١﴾. رواه أبو داود بسند صحيح﴿٢﴾.

أخرجه: أحمد (٥/ ٣٨٥)، وأبو داود الطيالسي (٤٣٠)، والنسائي

= المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك، وهذا ونحوه من الشرك الأصغر.اهـ. قرة عيون الموحدين (٣٨٧). قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): لأن الواو تقتضي تسوية المعطوف بالمعطوف عليه؛ فيكون القائل: ما شاء الله وشئت؛ مسوياً مشيئة الله بمشيئة المخلوق، وهذا شرك، ثم إن اعتقد أن المخلوق أعظم من الخالق، أو أنه مساوٍ له فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه أقل فهو شرك أصغر.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢١٩).

ـ جاء في الطاعة قرن اسم الرسول باسم الله تعالى بحرف «الواو» كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] **وموجب التفريق:** أن طاعة الرسول طاعة لله، فمن يطع الرسول فقط أطاع الله، وطاعة الله طاعة للرسول، بخلاف المشيئة، فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة لله، ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العباد، بل ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لم يكن إلا أن يشاء الله. التدمرية لابن تيمية (٢٠٦).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: لأن «ثم» للترتيب والتراخي، فتفيد أن المعطوف أقل مرتبة من المعطوف عليه. وأما بالنسبة لقوله: «ما شاء الله فشاء فلان»؛ فالحكم فيها أنها مرْتَبَة بين مرتبة «الواو» ومرتبة «ثم»؛ فهي تختلف عن «ثم» بأن «ثم» للتراخي والفاء للتعقيب، وتوافق «ثم» بأنها للترتيب؛ فالظاهر أنها جائزة؛ ولكن التعبير بـ«ثم» أولى؛ لأنه اللفظ الذي أرشد إليه النبي ﷺ، ولأنه أبين في إظهار الفرق بين الخالق والمخلوق.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢١٩).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** أن فيه بيان الفرق بين العطف «بالواو» والعطف بـ«ثم»؛ لأن العطف بـ«الواو» تدل على التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه؛ و«ثم» تفيد بأن المعطوف أقل مرتبة من المعطوف عليه. قال إمام الدعوة في المسائل: الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.اهـ. وقال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الحديث والأثر ـ الآتي ـ للباب: أنهما يدلان على النهي عن قول: «ما شاء الله وشاء فلان» ونحو ذلك؛ لأنه من اتخاذ الأنداد لله الذي نهتْ عنه الآية التي في أول الباب على ما فسرها به ابن عباس.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٣٠).

«الكبرى» (٩٨٥)، والبيهقي (٣/ ٢١٦)، من طريق شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار الجهني، عن حذيفة رضي الله عنه [١].

وجاء عن إبراهيم النخعي رحمه الله: «أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك [٢]. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا: لولا الله وفلان» [٣].

﴿١﴾ **صححه**: النووي. وقال الذهبي: إسناده صالح. والحديث إسناده صحيح؛ لكن لم يرد التصريح بالسماع بين عبد الله بن يسار وحذيفة رضي الله عنه. فقد ذكر عثمان بن سعيد الدارمي أنه سأل ابن معين عن عبد الله بن يسار الذي يروي عنه منصور عن حذيفة: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان»، ألقي حذيفة؟ فقال: «لا أعلمه». اهـ. قال سليمان بن عبد الله: الحديث رواه أحمد وأبو داود ـ أي: الطيالسي ـ، والنسائي والبيهقي، وله علة، وله شواهد، وهو صحيح المعنى بلا ريب. اهـ.

ومما يدل على وجود علة فيه أن البخاري أعرض عنه، فقد بوب في صحيحه باب: «لا يقول ما شاء الله وشئت، وهل يقول أنا بالله ثم بك؟». اهـ. قال المهلب: إنما أراد البخاري أن قوله: «ما شاء الله ثم شئت»، جائز مستدلاً بقوله: «أنا بالله ثم بك»، وقد جاء هذا المعنى عن النبي ﷺ، وإنما جاز بدخول «ثم» لأن مشيئة الله سابقة على مشيئة خلقه، ولما لم يكن الحديث المذكور على شرطه استنبط من الحديث الصحيح الذي على شرطه ما يوافقه. اهـ.

والحديث الذي ذكره هو: «أَنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ مَلَكاً فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فَلَا بَلَاغَ لِي إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ» فذكر الحديث.

تاريخ الدارمي (١٦٠)، المراسيل لابن أبي حاتم (١٠٥)، الأذكار (٣٠٨)، المهذب (٣/ ١٩٠)، الفتح (١١/ ٥٤٠)، التيسير (٥٠٠)، التابعون الثقات (٦١٤).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين: وهو محرم؛ لأنه جمع بين الله والمخلوق بحرف يقتضي التسوية، وهو الواو. اهـ. وهذا في أمر يقدر عليه المخلوق. القول المفيد (٢/ ٢٢١).

﴿٣﴾ **علاقة الأثر بالباب**، أن فيه بيان الفرق بين العطف «بالواو» والعطف بـ«ثم»؛ لأن العطف بـ«الواو» يدل على التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه؛ =

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد. **الثانية**: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر﴿١﴾. **الثالثة**: أن

= و«ثم» تفيد بأن المعطوف دون مرتبة من المعطوف عليه. قال إمام الدعوة في المسائل: الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.اهـ.

قال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الحديث ـ حديث حذيفة ـ والأثر للباب: أنهما يدلان على النهي عن قول: «ما شاء الله وشاء فلان» ونحو ذلك؛ لأنه من اتخاذ الأنداد لله الذي نهتْ عنه الآية التي في أول الباب على ما فسرها به ابن عباس.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٣٠).

📖 أخرجه: ابن أبي الدنيا «كتاب الصمت» (١/ ١٩٣)، من طريق إسماعيل بن إبراهيم، عن مغيرة قال: كان إبراهيم رحمه الله يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويرخص أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، ويكره أن يقول: لولا الله وفلان، ويرخص أن يقول: لولا الله ثم فلان. وإسناده ضعيف؛ لأن إسماعيل بن إبراهيم مجمع على ضعفه، كما قال الذهبي. وأخرجه عبد الرزاق «المصنف» (١١/ ٢٧)، من طريق معمر، عن مغيرة بن مقسم، عن إبراهيم النخعي: أنه كان يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، حتى يقول: ثم بك. فيه المغيرة بن مقسم، قال ابن حجر: ثقة متقن إلا أنه كان يدلس ولا سيما عن إبراهيم.اهـ. وباجتماع هذين الإسنادين يتقوى الأثر عن النخعي؛ لأن أئمة الحديث يتساهلون في كلام غير النبي ﷺ. قال أحمد في «صدقة السمين»: ما كان من حديثه مرفوعاً منكر، وما كان من حديثه مرسلاً عن مكحول فهو أسهل.اهـ. وقال في «جويبر»: ما كان عن الضحاك فهو على ذلك أيسر، وما كان يسند عن النبي ﷺ فهي منكرة.اهـ. وقال القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث. . .اهـ.

التاريخ الكبير (١/ ٤٣٢)، المغني (١/ ٣٦)، التقريب (٦٠٦).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): لأن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نازلة في الأكبر؛ لأن المخاطب بها هم المشركون، وابن عباس فسرها بما يقتضي الشرك الأصغر؛ لأن الند يشمل النظير المساوي، على سبيل الإطلاق، أو في بعض الأمور.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٢٢).

قال سليمان بن عبد الله: يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر كما استدل =

الحلف بغير الله شرك﴿١﴾. **الرابعة**: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو

= حذيفة وابن عباس وغيرهما. اهـ. التيسير (١١٨، ١٤٠، ٤٩٢).

قال القرطبي في آية نزلت في الكفار استدل بها: فإن قيل: فعلى هذا يجوز الاستدلال على المسلمين بما أنزل في الكافرين، ومعلوم أن أحكامهم مختلفة.

قيل له: لا يستبعد أن ينتزع مما أنزل الله في المشركين أحكام تليق بالمسلمين. وقد قال عمر: إنا لو شئنا لاتخذنا سلائق وشواء، وتوضع صحفة وترفع أخرى، ولكنا سمعنا قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وهذه الآية نص في الكفار، ومع ذلك ففهم منها عمر الزجر عما يناسب أحوالهم بعض المناسبة، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.. وهذا نفيس وبه يزول الإشكال ويرتفع الإبهام، والله أعلم. اهـ. تفسير القرطبي (٨/ ٩٢).

﴿١﴾ **حكم الحلف بغير الله:**

أولاً: إذا عظم المحلوف به كتعظيم الله، فهذا شرك أكبر بالاتفاق.

قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): الذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً. فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذباً. فهذا شرك أكبر بلا ريب؛ لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله. وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام؛ لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٨٣]، فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته أو تربته، فهو أكبر شركاً منهم. اهـ.

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ): فلو حلف بغير الله لكان ذلك شركاً أصغر.. ما لم يكن في قلبه من تعظيم غير الله مثل ما في قلوب الموحدين من تعظيم الله، فإن كان كذلك فهو شرك أكبر. اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١١/ ١١١).

وقال ابن باز (١٤٢٠هـ): وقد يكون الشرك الأصغر شركاً أكبر إذا اعتقد صاحبه أن من حلف بغير الله أو قال: ما شاء الله وشاء فلان، فإن له التصرف في الكون، أو أن له إرادة تخرج عن إرادة الله وعن مشيئته سبحانه، أو أن له قدرة يضر وينفع من دون الله، أو اعتقد أنه يصلح أن يعبد من دون الله وأن يستغاث به، فإنه يكون بذلك مشركاً شركاً أكبر بهذا الاعتقاد. أما إذا كان مجرد حلف بغير الله من دون اعتقاد آخر، لكن ينطق لسانه بالحلف بغير الله؛ تعظيماً لهذا الشخص، يرى أنه =

. . . .

= نبي أو صالح، أو لأنه أبوه أو أمه وتعظيمها لذلك، أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون من الشرك الأصغر وليس من الشرك الأكبر. اهـ. مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٣٧٠).

ثانياً: إذا كان المحلوف به مذموماً في الشرع، كاللات والعزى، فهذا محرم بالإجماع، وإذا كان معظماً لها كتعظيم الله فهو شرك أكبر.

ثالثاً: إذا كان المحلوف به ممدوحاً في الشرع أو غير ممدوح؛ لكن تعظيمه ليس كتعظيم الله، فهذا اختلف فيه أهل العلم على أقوال:

القول الأول: الجواز، وهو قول عند الحنفية والحنابلة؛ لما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال للرجل الذي قال أنه لن يزيد على أركان الإسلام: «**أفلح وأبيه إن صدق**»؛ ولما جاء عند مسلم أن النبي ﷺ قال للرجل الذي قال: نبئني بأحق الناس مني بحسن صحبتي: «**نعم وأبيك لتنبأن**»؛ ولما جاء عند مسلم أن النبي ﷺ قال للرجل الذي سأله: أي الصدقة أعظم أجراً؟ «**أما وأبيك لتنبأن**».

ونوقشت:

أ ـ بأن هذا مما يجري على ألسنتهم بدون قصد اليمين، وأما ما كان بقصد فلا يجوز، وبهذا أجاب البغوي، والمازري، والخطابي، والبيهقي، والقرطبي، وابن حجر. قال سليمان بن عبد الله: هذا جواب فاسد، أحاديث النهي عامة ليس فيها تفريق بين من قصد القسم وبين من لم يقصد. اهـ.

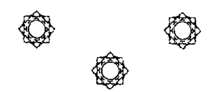
ب ـ أن أحاديث الجواز منسوخة بأحاديث النهي، وبه أجاب الطحاوي، والماوردي، وسليمان بن عبد الله، وابن باز، وابن عثيمين. ونسبه السهيلي لأكثر الشراح.

ت ـ أن أحاديث النهي ضعيفة، وبه قال ابن عبد البر.

القول الثاني: الكراهة: وهو المشهور عند المالكية، وقول جمهور الشافعية، وقول عند الحنفية والحنابلة، واستدلوا بنفس أدلة القول الأول.

القول الثالث: التحريم، وهو المشهور عند الحنفية، وقول للمالكية والشافعية، والمشهور عند الحنابلة، وبه قال الظاهرية، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والصنعاني، واستدلوا بما رواه البخاري ومسلم مرفوعاً: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»، وبما أخرجه أبو داود مرفوعاً: «**من حلف بالأمانة فليس منا**»، صححه الحاكم وابن حبان، وبحديث الباب. وذهب إلى أنه من الكبائر: ابن النحاس، وابن الجوزي، والذهبي. وهو شرك أصغر كما قال: ابن عباس، =

أكبر من اليمين الغموس﴿١﴾. **الخامسة**: الفرق بين الواو وثم في اللفظ﴿٢﴾.



= والطحاوي، وابن العربي، وإمام الدعوة، وسليمان بن عبد الله.

التمهيد (١٤/ ٣٦٦)، تنبيه الغافلين (٢٠١)، المغني (١٣/ ٤٧٢)، تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر «لابن الجوزي» (١٨٩)، النهاية (١/ ١٩)، شرح النووي على مسلم (١/ ١٦٨)، الفروع (٢/ ١٥٩)، إعلام الموقعين (٤/ ٤٠٣)، الفتح (١١/ ٥٤٣)، التيسير (٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩)، فتح الحميد (٤/ ١٧٢٢ ـ ١٧٢٧).

﴿١﴾ قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): أجمع العلماء على أن اليمين إذا لم يقتطع بها مال أحد ولم يحلف بها على مال فإنها ليست اليمين الغموس التي ورد فيها الوعيد والله أعلم. وقد تسمى غموساً على القرب وليست عندهم كذلك، وإنما هي كذبة. اهـ.

شرح السُّنَّة (١/ ٨٥)، التمهيد (٢٠/ ٢٦٧)، النهاية (٣/ ٣٨٦)، الفتاوى (٣٣/ ١٢٨)، الفتح (١١/ ٥٥٥)، بدائع الصنائع (٣/ ٣)، مغني المحتاج (٤/ ٣٢٥)، حاشية الجمل (٥/ ٢٩٤) الآداب الشرعية (١/ ٥٣١)، القاموس الفقهي (٣٩٥).

﴿٢﴾ قول: «لولا فلان...» له ثلاث أحوال:

الحال الأولى: أن تفرد الله ولا تضيف إليها شيئاً، وهذه أفضل الأحوال وأكملها.

الحال الثانية: أن يضاف إليها شيء بحرف «ثم»، كقول القائل: «لولا الله ثم فلان...»، وهذه الحالة جائزة؛ ولكن التي قبلها أكمل.

الحال الثالثة: أن يضاف إليها شيء بحرف «الواو»، كقول القائل: «لولا الله وفلان...»، و«ما شاء الله وشئت»، وهذه محرمة، وهي من الشرك الأصغر.

التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥٥). وقال عبد الرحمن بن حسن مبيناً سبب كون الأكمل أن يفرد الله: وهذا الحديث والذي قبله فيه ـ في باب: ما شاء الله وشاء فلان ـ أن يقولوا: ما شاء الله وحده، ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: ثم شاء فلان، لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد في كل وجه، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص. اهـ. فتح المجيد (٢/ ٧٠٢).

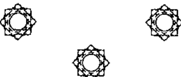


باب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم؛ من حُلِف له بالله فليصدِّق، ومن حُلِف له بالله فليْرضَ، ومن لم يرض فليس من الله». رواه ابن ماجه بسند حسن.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء. الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى. الثالثة: وعيد من لم يرضَ.







٤٣ ـ باب: ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ﴿١﴾(*)

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم**﴿٢﴾؛

﴿١﴾ أي: من الوعيد، كما قال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ)، وسليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، قال إمام الدعوة (١٢٠٦هـ) في المسائل: الثالثة: وعيد من لم يرض.اهـ. التيسير (٥٠١)، حاشية ابن قاسم (٣٠٥).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إن عدم الاقتناع بالحلف بالله فيه شيء من نقص تعظيم الله، وهذا ينافي كمال التوحيد.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٢٤). وأن الاقتناع بغيره عز وجل من الشرك. قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): قوله: «ومن لم يرض»؛ أي: بالحلف بالله تعالى أو بأن يحلف له بالله تعالى، فيطلب أن يحلف له بغير الله تعالى من الآباء والأنداد التي تدعى من دون الله سبحانه ممن يخافها ويرجوها كالمقامات ومن جعلت له، فليس ذلك الطالب الذي لم يرض في اليمين إلا يُحلف له بغيره من الله تعالى في شيء.اهـ. فتح الحميد (٤/ ١٧٣٧).

علاقة الباب بالباب السابق: لا يزال المصنف يبين أنواعاً من الإلحاد في الأسماء والصفات وعدم تعظيمها، ففي الباب السابق بيَّن المصنف حكم من سوَّى بين أسماء الله وصفاته وأسماء وصفات غيره وأنها من التنديد، وفي هذا الباب بين حال المخاطب وأن عليه تعظيم أسماء الله وصفاته، كقبول قول من حلف بأسماء الله، وعدم طلب الحلف له بغير أسماء الله وصفاته.

﴿٢﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: ليس هذا خاصّاً بالآباء، فالحلف بغير الله لا يجوز، سواء كان بالآباء أو بغيرهم، وسواء كان بالآدميِّين من الرُّسل والصالحين، أو كان بالكعبة، أو غير ذلك، فالمخلوق لا يجوز له أن يحلف إلّا بالله عز وجل، فذكره الآباء هو من باب ذكر بعض أفراد المنهي عنه، لأنّ عادتهم أن يحلفوا بالآباء. التوضيح المفيد (٢١٣)، إعانة المستفيد (٣/ ٢٩٠).

من حُلِف له بالله فليصدِّق﴿١﴾ **، ومن حُلِف له بالله فليْرضَ، ومن لم يرض فليس من الله»**﴿٢﴾ . رواه ابن ماجه بسند حسن﴿٣﴾ .

أخرجه: ابن ماجه (٢١٠١)، من طريق أسباط بن محمد، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما﴿٤﴾ .

﴿١﴾ أي: وجوباً، كما قال سليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن؛ لأن الصدق واجب ولو لم يحلف بالله، فكيف إذا حلف به؟ وأيضاً فالكذب حرام لو لم يؤكد الخبر باسم الله، فكيف إذا أكده باسم الله؟ اهـ. التيسير (٥٠٢)، قرة عيون الموحدين (٢٠٨).

﴿٢﴾ قال عثمان بن منصور: قوله: «ومن لم يرض» أي: بالحلف بالله تعالى أو بأن يحلف له بالله تعالى، فيطلب أن يحلف له بغير الله تعالى من الآباء والأنداد التي تدعى من دون الله سبحانه ممن يخافها ويرجوها كالمقامات ومن جعلت له، فليس ذلك الطالب الذي لم يرض في اليمين إلا يُحلف له بغيره من الله تعالى في شيء. اهـ. فتح الحميد (٤/ ١٧٣٧).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه الوعيد الشديد في حق من لم يقنع بالحلف بالله. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٣٢).

﴿٤﴾ ومما يدل على تعظيم الله الرضا به إذا حُلف به، ما رواه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٢٣٦٨)، من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إلـٰه إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني**». اهـ. قوله: «**كذبت عيني**». قَالَ اِبْن التِّين: قَالَ عِيسَى ذَلِكَ عَلَى الْمُبَالَغَة فِي تَصْدِيق الْحَالِف. اهـ. قال سليمان بن عبد الله: وفيه وجهان:

أحدهما: قال القرطبي: ظاهر قول عيسى عليه السلام للرجل سرقت أنه خبر جازم لكونه أخذ مالاً من حرز في خفية، وقول الرجل: كلا، نفي لذلك، ثم أكده باليمين، وقول عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني؛ أي: صدقت من حلف بالله وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ سرقة، فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه حق، أو ما أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء. قلت: وهذا فيه نظر، وصدق الحديث يرده، وهو قول النبي ﷺ: «**رأى عيسى رجلاً يسرق**»، فأثبت ﷺ سرقته. =

صحّحه: البوصيري[١].

حسّنه: ابن حجر، وإمام الدعوة[٢].

جوّد إسناده: سليمان بن عبد الله[٣].

والحديث؛ شاذ؛ لأمور:

١ ـ أن محمد بن عجلان سيئ الحفظ كما قال الحاكم[٤]، وقد تفرد به، ومثله لا يحتمل تفرده[٥].

= **الثاني**: ما قاله ابن القيم: إن الله تعالى كان في قلبه أجلَّ من أن يحلف به أحد كاذباً، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له أنه ناصح، قلت: هذا القول أحسن من الأول، وهو الصواب إن شاء الله تعالى. اهـ. الفتح (١٠/ ٢٤٥)، التيسير (٥٠٣).

﴿١﴾ مصباح الزجاجة (٢/ ١٣٣).

﴿٢﴾ الفتح (١١/ ٥٣٦).

﴿٣﴾ التيسير (٥٠١).

﴿٤﴾ وثقه أحمد، وابن معين، وابن عيينة، وأبو حاتم. وقد تكلم المتأخرون من أئمتنا في سوء حفظه. ومع كون ابن عجلان متوسطاً في الحفظ، فقد ورد ما يدل على جودة ذكائه، من تكلم فيه وهو ثقة للذهبي (١٦٥)، الميزان (٣/ ٦٤٤)، التقريب (٥٥٢).

﴿٥﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): فالذي يدل عليه كلام الإمام أحمد في هذا الباب ـ زيادة الثقات ـ أن زيادة الثقة للفظة في حديث من بين الثقات إن لم يكن مبرزاً في الحفظ والتثبت على غيره ممن لم يذكر الزيادة ولم يتابع عليها فلا يقبل تفرده. اهـ. وقال أيضاً: وانفراد الراوي بالحديث، وإن كان ثقة، هو علة في الحديث يوجب التوقف فيه، وأن يكون شاذاً ومنكراً، إذا لم يرو معناه من وجه يصح. وهذه طريقة أئمة الحديث المتقدمين كالإمام أحمد والقطان وابن معين وابن المديني وغيرهم. اهـ.

وقال الذهبي (٧٤٨هـ): وقد يعد مفرد الصدوق منكراً. شرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ٢٣٧)، سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث لابن المبرد (٢٨)، الموقظة (٣٤).

٢ ـ أن محمد بن عجلان مضطرب الحديث في حديث نافع، كما قال يحيى بن سعيد القطان﴿١﴾.

٣ ـ أن كبار أصحاب نافع؛ كمالك، والليث، وعبيد الله بن عمر، وأيوب، وعبد الله بن نمير، وابن أبي ذئب، وغيرهم، رووه عن نافع عن ابن عمر ولم يذكروا ما ذكره محمد بن عجلان﴿٢﴾.

٤ ـ أن سالم بن عبد الله وعبد الله بن دينار روياه عن ابن عمر ولم يذكرا ما ذكره محمد بن عجلان﴿٣﴾.

٥ ـ أن ابن ماجه انفرد برواية هذا الحديث، وقد تكلم المزي، وابن تيمية، وابن القيم، والسري فيما تفرد به ابن ماجه دون أصحاب الكتب الخمسة﴿٤﴾.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء. **الثانية**: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى﴿٥﴾. **الثالثة**: وعيد من لم يرضَ.

﴿١﴾ الضعفاء للعقيلي (٤/ ١١٨)، المغني في الضعفاء (١/ ٢٦).

﴿٢﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وقع في رواية محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر في آخر هذا الحديث زيادة أخرجها ابن ماجه من طريقه بلفظ: «سمع النبي ﷺ رجلاً يحلف بأبيه، فقال: **لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض بالله فليس من الله**». اهـ. وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وأصل هذا الحديث في الصحيحين عن ابن عمر بلفظ: «**لا تحلفوا بآبائكم**»، وليس فيه هذه الزيادة. اهـ. البخاري (٥٧٥٧، ٦٢٧٠)، ومسلم (١٦٤٦)، الفتح (١١/ ٥٣٥)، التيسير (٥٠٢).

﴿٣﴾ البخاري (٦٢٧٢)، ومسلم (١٦٤٦).

﴿٤﴾ الفتاوى (١/ ٤٣٢)، الروح (١/ ٣٥٢)، التهذيب (٩/ ٥٣١)، تدريب الراوي (١/ ١٣٨).

﴿٥﴾ **حكم الرضا باليمين وتصديق من حلف له بالله:**

أولاً: إذا كانت اليمين في الدعاوى والخصومات، فيجب الرضا باليمين =

. . . .

= **والتسليم**، وبه قال إمام الدعوة، وعبد الرحمٰن بن حسن، وابن قاسم، وابن عثيمين؛ لقوله ﷺ: «**البينة على المدعي، وعلى المنكر اليمين**»، فالمدعى عليه يقسم بالله، ويبرأ، فإذا حصل الحلف بالله يجب على المحلوف له أن يرضى؛ لأن هذا حكم شرعي شرعه الرسول ﷺ، فيجب أن يرضى به.

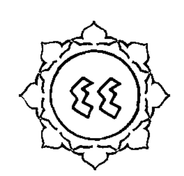
ثانياً: إذا كانت اليمين في الاعتذارات والتهم التي لا خصومة فيها، وهو على أحوال:

الحال الأولى: أن يكون الحالف معروفاً بالصدق أو يترجح صدقه، فهذا يجب الرضى بيمينه ويقبل عذره، وبه قال سليمان بن عبد الله، والسعدي، وابن عثيمين، والفوزان، والغنيمان. وذهب إمام الدعوة إلى عدم وجوب قبول يمينه في غير الخصومات والدعاوى.

الحال الثانية: أن يكون معروفاً بالكذب أو يترجح كذبه، فهذا لا يجب تصديقه كما قال السعدي، وابن عثيمين؛ لقوله ﷺ: «**من حلف له بالله فيصدق**». ويدل عليه الرجل الذي جاء يخاصم آخر في أرض قد استولى عليها أحدهم، قال له: «**ألك بينة؟**»، قال: لا. قال: «**إذاً لك يمينه**»، فقال: إذاً يأكل مالي؛ لأنه رجل فاجر، فلم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك، ولا قال: يلزمك أن ترضى بهذا، بل قال: «**ليس لك إلا يمينه**»، فدل هذا على أن المتهم في دينه لا يلزم أن يصدق يمينه إذا حلف.

الحال الثالثة: أن لا يعرف الحالف بعدالة ولا كذب، فيجب تصديقه كما قال ابن عثيمين.

التيسير (٥٠٣)، القول المفيد (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧)، التمهيد (٤٦٠).



باب: قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتَيْلة: «أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت». رواه النسائي وصححه.

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده».

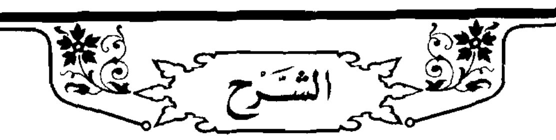
ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال: «رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا

أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

❍ **فيه مسائل:**

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر. **الثانية**: فهم الإنسان إذا كان له هوى. **الثالثة**: قوله ﷺ: «أجعلتني لله نداً؟» فكيف بمن قال: «يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به... سواك» والبيتين بعده. **الرابعة**: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا». **الخامسة**: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي. **السادسة**: أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام.





٤٤ ـ باب: قول: ما شاء الله وشئت ﴿١﴾(*)

عن **قُتَيْلَة**: «أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون:

﴿١﴾ أي: ما حكم التكلم بذلك، هل يجوز أم لا؟ وإذا قلنا: لا يجوز فهل هو من الشرك أم لا؟. التيسير (٥٠٤).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن قول: «ما شاء الله وشئت» من الشرك في توحيد الأسماء والصفات. قال الغنيمان: لا يجوز أن يشرك مع الله أحداً من خلقه في مشيئته وإرادته سبحانه، أو صفاته وأفعاله؛ ولذا أنكر النبي ﷺ على قول الرجل: «ما شاء الله وشئت»، وقال: «**أجعلتني لله نداً؟!**». اهـ. وقال ابن عثيمين: إن قول: «ما شاء الله وشئت» من الشرك الأكبر، أو الأصغر؛ لأنه إن اعتقد أن المعطوف مساوٍ لله فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ فهو أصغر. اهـ.

علاقة الباب بما قبله: لما ذكر المصنف أن من الشرك التسوية بين أسماء الله وصفاته وأسماء وصفات غيره، وأن ذلك من اتخاذ الأنداد مع الله، أفرد في هذا الباب التسوية في المشيئة مع أنها داخلة فيما سبق؛ ليبين حكمها، والبديل الصحيح عنها. وقد أشار السعدي إلى أنها داخلة فيما سبق حيث قال: باب: قول: «ما شاء الله وشئت». هذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾. اهـ.

وبنحوه قال الفوزان. وأشار سليمان بن عبد الله إلى فائدة إيرادها حيث قال: باب قول ما شاء الله وشئت؛ أي: ما حكم التكلم بذلك هل يجوز أم لا؟ وإذا قلنا لا يجوز فهل هو من الشرك أم لا؟. اهـ.

التيسير (٥٣٤)، القول السديد (١٤٧)، القول المفيد (٢/ ٢٢٨)، الملخص لشرح كتاب التوحيد (٣٣٣).

ما شاء الله وشئت﴿١﴾، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا

﴿١﴾ **حكم قول: «ما شاء الله وشئت»:**

القول الأول: التحريم، وبه قال جمهور العلماء، وهو شرك أصغر كما قال المقريزي (٨٤٥هـ)، وإمام الدعوة (١٢٠٦هـ)، وابن قاسم (١٣٩٣هـ)، وسليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)، والفوزان، والغنيمان؛ لأن الواو تقتضي المساواة بالمشيئة، قال ابن عثيمين: وذلك أن الواو تقتضي التسوية إذا قلت: ما شاء الله وشاء فلان، كأنك جعلت فلاناً مساوياً لله ﷻ في المشيئة، والله تعالى وحده له المشيئة التامة يفعل ما يشاء.اهـ؛ ولقول اليهودي: «إنكم تشركون»، قال سليمان بن عبد الله: هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك؛ لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديداً أو شركاً.اهـ.

القول الثاني: الجواز، وقد حكي عن أبي جعفر الداودي؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤]، وقوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. ونوقش: قال سليمان بن عبد الله: والصواب القول الأول ـ التحريم ـ، فإن النبي ﷺ أنكر ذلك وقال لمن قال له ذلك: أجعلتني لله نداً. وأقر اليهودي على تسميته تنديداً وشركاً، ومن المحال أن يكون هذا أمراً جائزاً. وأما ما احتج من القرآن، فقد ذكروا عن ذلك جوابين:

أحدهما: أن ذلك لله وحده لا شريك له، كما أنه تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته فكذلك هذا.

الثاني: أن قوله: «ما شاء الله وشئت»، تشريك في مشيئة الله، وأما الآية فإنما أخبر بها عن فعلين متغايرين، فأخبر تعالى أنه أغناهم وأن رسوله أغناهم. وهو من الله حقيقة؛ لأنه الذي قدر ذلك، ومن الرسول ﷺ حقيقة باعتبار تعاطي الفعل، وكذا الإنعام أنعم الله على زيد بالإسلام، والنبي ﷺ أنعم عليه بالعتق، وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد، فالكلام إنما هو فيه، والمنع إنما هو منه.اهـ.

ـ **حكم قول**: «أنا متوكل على الله وعليك»، و«أنا في حسب الله وحسبك»، و«ما لي إلا الله وأنت»، و«هذا من الله ومنك»، و«هذا من بركات الله وبركاتك»، و«الله لي في السماء وأنت لي في الأرض»، «والله وحياة فلان»، «ونذراً لله ولفلان»، «وأنا تائب لله ولفلان»، «أرجو الله وفلاناً»، ونحو ذلك:

قال ابن القيم (٧٥١هـ): ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه أحمد وأبو داود عنه أنه قال: من حلف بغير الله فقد أشرك، =

أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة﴿١﴾، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم

= وصححه الحاكم وابن حبان، ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: **أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده**، وهذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير]، فكيف من يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ويقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذراً لله ولفلان، وأنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلاناً، ونحو ذلك، فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيهما أفحش يتبين لك أن قائلها أولى لجواب النبي لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله نداً لله بها فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله في شيء من الأشياء بل لعله أن يكون من أعدائه نداً لرب العالمين. اهـ.

ـ **حكم قول**: «الله ورسوله أعلم»، «ومن كانت هجرته لله ورسوله»، قول الأنصار: «الله ورسوله أمنّ»، و«من يطع الله ورسوله»، وهل هي مثل قول: «ما شاء الله وشئت»، و«ما لي إلا الله وأنت»؟ قول: «الله ورسوله أعلم»، «ومن كانت هجرته لله ورسوله»، وقول الأنصار: «الله ورسوله أمنّ»، و«من يطع الله ورسوله» ليست مثل قول: «ما شاء الله وشئت»، و«ما لي إلا الله وأنت»؛ لأن قول: «ما شاء الله وشئت»، و«ما لي إلا الله وأنت» للمخلوق دخل في وقوعها، بخلاف قول: «الله ورسوله أعلم»، فهي أمور شرعية، قال ابن عثيمين: جواز قول الإنسان: الله ورسوله أعلم، ولا يلزمه أن يقول: الله ثم رسوله أعلم؛ لأن علم الشريعة الذي يصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام من علم الله، فصح أن يقال الله ورسوله أعلم، كما قال الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٥٩] ولم يقل: ثم رسوله؛ لأن الإيتاء هنا إيتاء شرعي، وإيتاء النبي ﷺ الشرعي من إيتاء الله، فالمسائل الشرعية يجوز أن تقول: الله ورسوله بدون (ثم)، أما المسائل الكونية كالمشيئة وما أشبهها فلا تقال: الله ورسوله، بل: الله ثم رسوله؛ ولهذا لما قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده. اهـ.

الجواب الكافي (١/ ٩٣)، تجريد التوحيد للمقريزي (٥٧)، فضل الله الصمد (٢/ ٢٥٣)، التيسير (٥٠٥)، التعليق المفيد (٢١٥)، شرح رياض الصالحين «لابن عثيمين» (١٤٩).

﴿١﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): وفيه: بيان النهي عن الحلف =

شئت[١]». رواه النسائي وصححه[٢].

أخرجه: النسائي (٣٧٧٣)، والبيهقي (٣/ ٢١٧)، والطبراني (١٨/ ١٩٢)، من طريق معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قُتَيْلة رضي الله عنها.

وهذا الحديث وحديث حذيفة السابق حديث واحد؛ لأمور:

١ ـ أن مداره على عبد الله بن يسار[٣].

٢ ـ أن حديث حذيفة وقتيلة حدثا أثناء ما كان النبي ﷺ يخطب[٤].

= بالكعبة مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة، وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شيء، لا لملَك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه... وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإن النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله: إنكم تشركون.اهـ. فتح المجيد (١/ ٤٠٧).

[١] قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): قال سليمان بن عبد الله: ولو أتى بـ«ثم» وأراد أنه شريك لله تعالى في المشيئة فالنهي باقٍ بحاله، بل يكون في هذه الصورة أشد ممن أتى بالواو، مع عدم هذا الاعتقاد.اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٣٠٧).

[٢] الفتح (١١/ ٥٣٥).

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه بيان أن قول: «ما شاء الله وشئت» شركٌ.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٣٤).

[٣] فرواه منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة. ورواه معبد، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة. ورواه جابر الجعفي، عن عبد الله بن يسار، عن عائشة. ورواه أبو حمزة السكري، عن عبد الله بن يسار، عن امرأة. النسائي «الكبرى» (٦/ ٢٤٥)، مسند إسحاق بن راهويه (٥/ ٢٥٤)، علل الدارقطني (١٥/ ٤٢٠).

[٤] ويدل على ذلك:

أ ـ تبويب البيهقي عليهما، حيث قال باب: ما يكره من الكلام في الخطبة. فذكر حديث حذيفة وقتيلة. سنن البيهقي (٣/ ٢١٧).

ب ـ ما رواه إسحاق بن راهويه (٥/ ٢٥٤)، من طريق أبي حمزة السكري، =

٣ ـ أن البخاري، والترمذي[١]، والنسائي[٢]، والمزي[٣]، يرون أنه حديث واحد.

الخلاصة: تبين مما سبق أن حديثَي حذيفة وقتيلة حديث واحد، وأن مداره على عبد الله بن يسار. وقد ذهب البخاري إلى أنه عن عبد الله بن يسار عن حذيفة. وظاهر صنيع النسائي أنه عن عبد الله بن يسار عن قتيلة[٤]. فإن كان عن حذيفة فقد تقدم الكلام عليه، وإن كان عن قتيلة فالحديث ليس بالقوي[٥].

= عن عبد الله بن يسار قال: أخبرتني امرأة منا أنها سمعت النبي ﷺ يخطب وهو يقول: «. . .».

﴿١﴾ قال الترمذي: سألت مُحمداً ـ البخاري ـ عن هذا الحديث ـ حديث قتيلة ـ فقال: هكذا روى معبد بن خالد، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة. وقال منصور: عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة. قال محمد: حديث منصور أشبه عندي وأصح.اهـ. ولم يتعقبه الترمذي. علل الترمذي الكبير (٢٥٤).

﴿٢﴾ النسائي «الكبرى» (٩٨٥)، قال النسائي: ذكر الاختلاف على عبد الله بن يسار فيه. ثم ذكره النسائي من حديث حذيفة وقتيلة.

﴿٣﴾ تحفة الأشراف (٥/ ٤٠، ١٤/ ٢٢٣). قال المزي: حديث «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان. . .» الحديث. أخرجه أبو داود، عن أبي الوليد الطيالسيِّ، عن شعبة، عن منصور، عنه به. . . رواه غيره في النسائي عن عبد الله بن يسار، عن قُتَيْلة.

﴿٤﴾ فالنسائي ذكر الاختلاف على عبد الله بن يسار في السنن الكبرى (٦/ ٢٤٥)، وختم بطريق قتيلة، وفي المجتبى (٣٧٧٣)، اقتصر على حديث قتيلة.

﴿٥﴾ وذلك لتفرد عبد الله بن يسار به، والاختلاف عليه، وترجيح البخاري أنه عن حذيفة، وإعراض البخاري ومسلم عنه، والإشكال في متنه، قال ابن عثيمين: إشكال وجوابه: وهو أن يقال: كيف لم ينبه على هذا العمل إلا هذا اليهودي؟ وجوابه: أنه يمكن أن الرسول ﷺ لم يسمعه ولم يعلم به؛ ولكن يقال: بأن الله يعلم؛ فكيف يقرهم؟ فيبقى الإشكال؛ لكن يجاب: إن هذا من الشرك الأصغر دون الأكبر؛ فتكون الحكمة هي ابتلاء هؤلاء اليهود الذين انتقدوا المسلمين =

وله أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: **أجعلتني لله نداً**﴿١﴾؟﴿٢﴾ **ما شاء الله وحده**﴿٣﴾»﴿٤﴾.

أخرجه: أحمد (١/ ٢١٤)، والنسائي «الكبرى» (٦/ ٢٤٦)، وابن ماجه (٢١١٧)، والبيهقي (٣/ ٢١٧)، من طريق الأجلح بن عبد الله، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس.

= بهذه اللفظة، مع أنهم يشركون شركاً أكبر ولا يرون عيبهم. اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٢٩).

﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): قوله: «**أجعلتني لله نداً؟**»، هذه رواية ابن مردويه، والرواية عند النسائي وابن ماجه: «**أجعلتني لله عدلاً؟**»، والمعنى واحد. اهـ. التيسير (٥٠٦).

﴿٢﴾ الاستفهام للإنكار، وقد ضُمِّن معنى التعجب، ومن جعل للخالق نداً فقد أتى شيئاً عجاباً. والند: هو النظير والمساوي؛ أي: أجعلتني لله مساوياً في هذا الأمر؟!. اهـ. قال عثمان بن منصور: وجه جعله نداً حيث عطف مشيئة المخلوق وهي الجملة من الفعل والفاعل على مشيئة الخالق بواو التشريك؛ لأنه ليست مشيئة أحد مشيئة لله تعالى، ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العباد، بل ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ الله تعالى. اهـ. فتح الحميد (٤/ ١٧٤٦)، القول المفيد (٢/ ٢٣٠).

﴿٣﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد في كل وجه، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص. اهـ. فتح المجيد (١/ ٤٠٧).

وقال ابن عثيمين: قوله: «بل ما شاء الله وحده» أرشده النبي ﷺ إلى ما يقطع عنه الشرك، ولم يرشده إلى أن يقول: ما شاء الله ثم شئت؛ حتى يقطع عنه كل ذريعة عن الشرك وإن بَعُدَت. اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٣٠).

﴿٤﴾ **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إن قول: «ما شاء الله وشئت» وما أشبه هذا اللفظ من اتخاذ الند لله المنهي عنه بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٣٥).

الحديث إسناده ليس بالقوي؛ لما يأتي:

١ ـ أن الأجلح بن عبد الله الكندي ليس بالقوي، كما قال النسائي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، والعجلي[١].

٢ ـ أن الأجلح بن عبد الله الكندي قد تفرد بهذا الحديث[٢]، ولم يتابعه أحد من أصحاب يزيد بن الأصم، وهو كثير الخطأ كما قال أبو حاتم[٣]، وعنده غير حديث منكر كما قال الإمام أحمد[٤].

الخلاصة: الحديث إسناده ليس بالقوي؛ لكن معناه صحيح كما قال سليمان بن عبد الله[٥]. ومما يدل على أن معناه صحيح أن الأئمة؛ كالبخاري، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة وغيرهم بوَّبوا بمعنى هذا الحديث[٦].

﴿١﴾ وقد ضعفه أحمد وأبو داود وابن سعد، وقال يعقوب: ثقة، في حديثه لين. وقال الساجي: ضعيف، وهو صدوق. وقال ابن حجر: هو لين، وقال ابن معين والدارقطني والذهبي: لا بأس به. وقد ذكره ابن عدي وابن حبان والعقيلي وأبو القاسم البلخي وأبو العرب والذهبي في جملة الضعفاء.

تاريخ الدوري (٢/ ١٩)، النسائي «الكبرى» (٢/ ٢٧٤)، الجرح والتعديل (٩/ ١٦٢)، الكامل (١/ ٤٢٦)، الضعفاء (١/ ٢٣)، إكمال الضعفاء لمغلطاي (٨/ ١٤).

﴿٢﴾ ليس له في كتب السُّنَّة عن يزيد بن الأصم إلا هذا الحديث. قال ابن رجب (٧٥١هـ): وقد ذكر الترمذي أن هؤلاء وأمثالهم ممن تكلم فيه من قبل حفظه وكثرة خطئه لا يحتج به أحد إذا انفرد، يعني في الأحكام الشرعية والأمور العملية. . .اهـ. وقد قال أبو حاتم والمنذري ـ في الأجلح ـ: لا يحتج به. الجرح والتعديل (٩/ ١٦٢)، شرح علل الترمذي، عون المعبود (٦/ ٢٥٧).

﴿٣﴾ الجرح والتعديل (٩/ ١٦٢).

﴿٤﴾ التهذيب (١/ ٩٨).

﴿٥﴾ التيسير (٥٠٠).

﴿٦﴾ بوَّب البخاري: لا يقول ما شاء الله وشئت. وبوَّب النسائي: النهي أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان. وبوَّب ابن ماجه: باب النهي أن يقال: ما شاء الله =

ولابن ماجه﴿١﴾ **عن الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال:** «رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: **هل أخبرت بها أحداً؟** قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى عليه﴿٢﴾، ثم قال: **أما بعد، فإن طفيلاً رأى**

= وشئت. وبوَّب ابن أبي شيبة: في الرجل يقول: ما شاء الله وشاء فلان.

البخاري (١١/ ٥٣٩)، النسائي «الكبرى» (٦/ ٢٤٦)، سنن ابن ماجه (١/ ٦٨٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٤٠).

﴿١﴾ ابن ماجه لم يذكر لفظ الطفيل وإنما ذكر إسناده؛ وقد ذكره من حديث حذيفة مختصراً، ولفظ المصنف جاء عند أحمد بنحو ما ذكره المصنف. التيسير (٥٠٨).

﴿٢﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): بين الحمد والثناءِ فرقٌ، ولهذا يقولُ الله ﷻ: «**حمدني عَبدي**» ثم يقول: «**أثنَى عليَّ عَبدي**»، فالثناءُ تكريرُ الحمد وتثنيتُه.. وفُرِّق بين المدح والحمد بوجوه:

أحدها: أنَّ الحمدَ لا يكون إلا للحيِّ، والمدحُ يكون للحيِّ والميِّت.. والرَّابع: أنَّ قولَك: مدحتُ زيداً، لا يصدق بدُون سابقة مَدحٍ، بخلافِ قولِك: الحمدُ لله، فإنَّ هذا خبرٌ يَحصُلُ به إنشاءُ الحمدِ، ففيه معنى الخبر ومعنى الإنشاءِ. والخامسُ: أنَّ الحمدَ: الإخبارُ بمحاسن المحمُودِ معَ المحبَّةِ لها والرِّضا بها، والمدحُ: الإخبارُ بمحاسنِه فقط. قاله أبو عَبد الله ابن القيِّم. وقيل: الحمدُ: هو الشكر على النِّعم، قالَه ابنُ جريرٍ والمبرِّدُ، وغيرُهما وأسنده ابنُ جريرٍ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ، وموقوفاً على ابنِ عبَّاسٍ. ولكن بين الحمدِ والشُكرِ فرقٌ من وَجهين:

أحدُهما: أن الحمدَ يكون على النِّعم وغيرِها، بخلاف الشُكر فإنَّه لا يكونُ إلَّا على النِّعم. وقد نازع في ذلك مَنْ نازع: أن جميعَ أفعالِ الله ﷻ نِعَمٌ.

والثاني: أنَّ الحمدَ يكون باللسان والقلب، والشُّكر يكون باللسان والقلب =

رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا﴿١﴾ أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده﴿٢﴾»﴿٣﴾﴿٤﴾.

= والعمل.. والتحقيقُ: أنَّ الحمدَ: هو ارتضاء صفاتِ المحمُودِ الحسنة والإخبارُ عنها باللسان، فهو إذاً: الإخبارُ بمحاسن المحمود مع المحبَّة لها والرِّضا بها. والحمدُ يكون على النِّعَم بالاتفاق، ويكونُ على غير النِّعَم أيضاً على المشهور من الأفعال الحسَنة وإن لم تكن نعماً على الحامد، بخلاف الشُّكر فإنَّه لا يكونُ إلَّا على النِّعم، هذا هو المشهورُ؛ ولكن التحقيق أنَّ جميعَ ما يفعلُه اللهُ سبحانه فهو نعمة أو فيه مِن النِّعمة ما يَستحق به الحمدَ والشُّكرَ، فإنَّ المصائبَ والأمراضَ كفاراتٌ وطَهُورٌ، فهي نعمةٌ، وإهلاكُ المكذِّبين وعُقوبةُ الكافِرين نِعمةٌ على المؤمنين يحصلُ لهم بها الاعتبارُ، ولهذا قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمٰن]، والآلاءُ: النِّعَمُ، قاله بعدَ ذِكر جهنمَ وغيرها. اهـ. تفسير سورة الفاتحة لابن رجب (٣٩ ـ ٤١).

﴿١﴾ عند أحمد: «كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم»، قال سليمان بن عبد الله: وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من الإنكار عليهم، بل كان ﷺ يكرهها ويستحيي أن يذكرها؛ لأنه لم يأمر بإنكارها، فلما جاء الأمر الإلـٰهي بالرؤيا الصالحة أنكرها، ولم يستحِ في ذلك. اهـ. قال العجيلي: وهذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله: «يمنعني كذا وكذا»، إذ لو كان من الأكبر لما منعه شيء عن النهي عنه. اهـ.

التيسير (٥١٠)، تحقيق التجريد (٢/ ٤٣٠)، القول المفيد (٢/ ٢٣٤).

﴿٢﴾ الصارف للوجوب حديث قتيلة. قال ابن باز: الأكمل: ما شاء الله وحده، وما شاء الله ثم شاء فلان، وهذا جائز. وما شاء الله وشاء فلان لا يجوز، وهو من الشرك الأصغر ومنقص للتوحيد، وهكذا أمثاله. اهـ. التعليق المفيد (٢١٥).

﴿٣﴾ لفظ ابن ماجه: أن رجلاً من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب فقال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أما والله إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**».

﴿٤﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه أفاد أن التلفظ بما شاء الله وشاء محمد وما أشبهها من الألفاظ شركٌ أصغر. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٣٣).

أخرجه: أحمد (٥/ ٧٢)، من طريق عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن الطفيل بن سخبرة رضي الله عنه[١][٢].

الحديث ليس بالقوي؛ لما يأتي:

١ ـ أن عبد الملك بن عمير تفرد به، وقد وصفه أحمد بأنه روى خمس مئة حديث، قد غلط في كثير منها[٣].

٢ ـ الاختلاف على عبد الملك، فقد جاء عنه عن ربعي عن الطفيل، وعنه عن ربعي عن سمرة، وعنه مرسلاً.

٣ ـ أن معمراً رواه عن عبد الملك بن عمير مرسلاً[٤].

٤ ـ أن البخاري في التاريخ الكبير ذكر هذا الحديث في ترجمة الطفيل[٥].

---

[١] ليس له إلا هذا الحديث، كما قال الخطيب البغدادي. المتفق والمفترق (١/ ١٥٩).

[٢] رواه أحمد (٥/ ٣٩٣)، وابن ماجه (٢١١٨)، من حديث ابن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة رضي الله عنه؛ لكن هذه الطريق ضعفها إبراهيم الحربي والبخاري والبزار والمزي. ورواه أحمد من حديث معمر، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن سمرة؛ لكن هذه الطريق ضعفها البزار.

التاريخ الكبير (٤/ ٣٦٥)، مسند البزار (٧/ ٢٥٣)، المتفق والمفترق (١/ ١٥٩)، الفتح (١١/ ٥٤٠)، أحاديث معلة للوادعي (١١٩).

[٣] قال ابن رجب: وانفراد الراوي بالحديث، وإن كان ثقة، هو علة في الحديث يوجب التوقف فيه، وأن يكون شاذاً ومنكراً، إذا لم يرو معناه من وجه يصح. وهذه طريقة أئمة الحديث المتقدمين كالإمام أحمد والقطان وابن معين وابن المديني وغيرهم. اهـ.

الجرح والتعديل (٥/ ٣١٦)، سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث لابن المبرد (٢٨).

[٤] مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٨).

[٥] قال المعلمي (١٣٨٦هـ): إخراج الخبر في التاريخ لا يُفيد الخبر شيئاً =

٥ ـ أن ابن ماجه انفرد برواية هذا الحديث دون أصحاب الكتب الخمسة، وقد تكلم المزي، وابن تيمية، وابن القيم، والسري فيما تفرد به ابن ماجه دون أصحاب الكتب الخمسة[١].

الخلاصة: الحديث وإن كان إسناده ليس بالقوي؛ لكن معناه صحيح كما قال سليمان بن عبد الله[٢]. ومما يدل على أن معناه صحيح أن الأئمة؛ كالبخاري، والنسائي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، والنووي وغيرهم، بوَّبوا بمعنى هذا الحديث[٣].

= بل يضرّه، فإنَّ من شأن البخاري أن لا يخرّج الخبر في التاريخ إلّا ليدلّ على وهن راويه اهـ. ومما يدل على عدم قوة الحديث أن البخاري أعرض عنه؛ فقد بوب في صحيحه، باب: لا يقول: ما شاء الله وشئت، وهل يقول: أنا بالله ثم بك؟».اهـ.

قال المهلب: إنما أراد البخاري أن قوله: «ما شاء الله ثم شئت، جائز مستدلاً بقوله: أنا بالله ثم بك»، وقد جاء هذا المعنى عن النبي ﷺ، وإنما جاز بدخول «ثم» لأن مشيئة الله سابقة على مشيئة خلقه، ولما لم يكن الحديث المذكور على شرطه استنبط من الحديث الصحيح الذي على شرطه ما يوافقه.اهـ.

والحديث الذي ذكره هو: «أَنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ مَلَكاً فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ، فَلَا بَلَاغَ لِي إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ» فذكر الحديث.

التاريخ الكبير (٤/ ٣٦٥)، الفوائد المجموعة (١٨٠).

[١] الفتاوى (١/ ٤٣٢)، الروح (١/ ٣٥٢)، التهذيب (٩/ ٥٣١)، تدريب الراوي (١/ ١٣٨).

[٢] التيسير (٥٠٠).

[٣] بوَّب البخاري: لا يقول: ما شاء الله وشئت. وبوَّب النسائي: النهي أن يقال: ما شاء الله وشاء فلان. وبوَّب ابن ماجه: باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت. وبوَّب ابن أبي شيبة: في الرجل يقول: ما شاء الله وشاء فلان.اهـ. وبوَّب النووي في رياض الصالحين: باب كراهة قول: ما شاء الله وشاء فلان.اهـ.

قال الكوسج لأحمد: تكره أن يقول الرجل: ما شئت؟ قال: كان عثمان رضي الله عنه يكرهه، وإن قال: إن شئت أحسن. قال إسحاق بن راهويه: نهيهما واحد إلا أنه =

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر﴿١﴾. **الثانية**: فهم الإنسان إذا كان له هوى﴿٢﴾. **الثالثة**: قوله ﷺ: «**أجعلتني لله نداً؟**»، فكيف بمن قال: «يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به... سواك» والبيتين بعده﴿٣﴾.

= يبدأ: ما شاء الله ﷻ، ثم شئت.اهـ. وأثر عثمان ﷺ رواه عبد الرزاق «المصنف» (١١/ ٢٧)، من طريق أبي الحلال العتكي قال: انطلقت إلى عثمان فكلمته في حاجة. فقال لي حين كلمته: ما شئت، ثم قال: بل الله أملك، بل الله أملك.

البخاري (١١/ ٥٣٩)، النسائي «الكبرى» (٦/ ٢٤٦)، سنن ابن ماجه (١/ ٦٨٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣٤٠)، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه (٢/ ٥٩٦)، رياض الصالحين (٤٨٤).

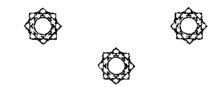
﴿١﴾ قال سليمان بن عبد الله: وكثير ممن يدعي الإسلام لا يعرف الشرك الأكبر، بل يصرف خالص العبادات من الدعاء والذبح والنذر لغير الله، ويظن أن ذلك من دين الإسلام، فعلمت أن اليهود في ذلك الوقت أحسن حالاً ومعرفة منهم.اهـ. التيسير (٥٠٦).

﴿٢﴾ لقول اليهودي للمسلمين: «إنكم تشركون...»، قال ابن باز: فيه أن أهل الباطل قد يفهمون أشياء ومسائل إذا كان عندهم هوى.اهـ. التعليق المفيد (٢١٥).

﴿٣﴾ يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي   فضلاً وإلا فقل: يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

قال عبد الرحمٰن بن حسن: فانظر إلى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله، وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه ﷺ بقوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» رواه مالك وغيره، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسُّنَّة، والمحادة لله ورسوله، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير خصوصاً ممن يدعون العلم والمعرفة ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات، فإنا لله وإنا إليه راجعون.اهـ. فتح المجيد (٢/ ٦٩٣).

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا»﴿١﴾.
الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي. **السادسة**: أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام.



﴿١﴾ قال صالح آل الشيخ: والنهي عن الشرك في الألفاظ أتى بالتدريج في تاريخ بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وتبليغه أمته بالأوامر والنواهي، فكان الحلف بالآباء جائزاً، ثم نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك. وكذلك قول: ما شاء الله وشئت، ثم نهاهم عن ذلك؛ ولهذا قال المصنف في مسائل كتاب التوحيد: فيه أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لقوله: «كان يمنعني كذا وكذا»، «وأما الشرك الأكبر فلا يجوز أن يؤخر إنكاره أو أن يمنع عنه مانع، أما شرك الألفاظ فقد تكون المصلحة والفقه ـ فقه الدعوة وفقه ترتيب الأهم والمهم وتقديم الأهم على المهم ـ أن يؤخر بعضه لتتم المصلحة العظمى، أما الشرك الأكبر فلا مصلحة تبقى مع وجوده». اهـ. التمهيد (٤٦٦).



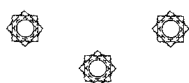
باب: من سبَّ الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار».
وفي رواية: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر».

○ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر. الثانية: تسميته آذى الله. الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر». الرابعة: أنه قد يكون سابّاً ولو لم يقصده بقلبه.







٤٥ ـ باب: من سب﴿١﴾ الدهر فقد آذى الله﴿٢﴾(*)

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ

﴿١﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمة (٧٢٨هـ): السب هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم؛ كاللعن والتقبيح ونحوه. اهـ. الصارم المسلول (١/ ٥٦٣). وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): السب هو الشتم، وهو نسبة الإنسان إلى عيب ما. اهـ. الفتح (١٠/ ٤٨٠). وضابط السبّ هو العرف، فما عدّه أهل العرف سبّاً أو انتقاصاً أو عيباً أو طعناً فهو السب، فالاسم إذا لم يكن له حدّ في اللغة ولا في الشرع، فإنه يرجع في حده إلى العُرف. الصارم المسلول (٣/ ٩٩٢، ٩٩٣).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): لا يلزم من الأذية الضرر؛ فالإنسان يتأذى بسماع القبيح أو مشاهدته، ولكنه لا يتضرر بذلك، ويتأذى بالرائحة الكريهة كالبصل والثوم ولا يتضرر بذلك، ولهذا أثبت الله الأذية في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وفي الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار**»، ونفى عن نفسه أن يضره شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**» رواه مسلم. اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٤١). وقال شيخ الإسلام: الآذى اسم لقليل الشر وخفيف المكروه بخلاف الضرر فلذلك أطلق على القول لأنه لا يضر المؤذي في الحقيقة. اهـ. الصارم المسلول (٥٨)، التيسير (٥١١).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من تمام التوحيد عدم سب الدهر؛ لأن ما يحدث في الدهر والزمان بأمر الله وتدبيره، وهو منقص لكماله لا ناقضاً لأصله؛ لأن الساب للدهر يعتقد أن السب لا يقع على الله أو لم يرد الله عندما سب الدهر. =

. . . .

= قال شيخ الإسلام: فإن سب موصوفاً بوصف أو مسمى باسم، وذلك يقع على الله سبحانه أو بعض رسله خصوصاً أو عموماً؛ لكن قد ظهر أنه لم يقصد ذلك: إما لاعتقاده أن الوصف أو الاسم لا يقع عليه أو لأنه وإن كان يعتقد وقوعه عليه؛ لكن ظهر أنه لم يرده لكون الاسم في الغالب لا يقصد به ذلك بل غيره، فهذا القول وشبهه حرام في الجملة. لكن لا يكفر بذلك.

مثال الأول: أن يسب الدهر الذي فرق بينه وبين الأحبة أو الزمان الذي أحوجه إلى الناس، أو الوقت الذي أبلاه بمعاشرة من ينكد عليه ونحو ذلك مما يكثر الناس قوله نظماً ونثراً، فإنه إنما يقصد أن يسب من يفعل ذلك به ثم إنه يعتقد أو يقول إن فاعل ذلك هو الدهر الذي هو الزمان فيسبه، وفاعل ذلك إنما هو الله سبحانه فيقع السب عليه من حيث لم يعتمده المرء. اهـ. الصارم المسلول (٥٦٢).
وسب الدهر منقص لكمال التوحيد أيضاً؛ لأن فيه تشبهاً بأفعال المشركين، وفيه نوع مشاركة لله في أسمائه وصفاته؛ لأن من صفات الله أنه المدبر والخالق لهذا الكون، وفي سب الدهر إثبات بأن له شيئاً من التدبير والخلق، وفيه إثبات بأن الدهر سبب في حدوث الأشياء وهذا من الشرك بالله؛ لأنه لم يسبه إلا لظنه أنه يضر وينفع، كما قال ابن القيم، وابن قاسم. قال ابن القيم (ت٧٥١) في بيان مفاسد سب الدهر: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع. اهـ. زاد المعاد (٢/ ٣٥٤).

وقال السعدي (١٣٧٦هـ) في بيان الرابط بين البابين الآتيين بهذا الباب: باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه، وباب: احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك، وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق ـ باب: من سب الدهر فقد آذى الله ـ، وهو أنه يجب أن لا يُجعل لله ندٌ في النيات والأقوال والأفعال. اهـ. القول السديد (١٥٤).

علاقة الباب بما قبله: المصنف في هذا الباب يبين نوعاً آخر من أنواع الإلحاد في الأسماء والصفات، فهو لمّا بيَّن في الباب السابق أن من الإلحاد في أسمائه وصفاته التسوية بينها وبين خلقه وهو من الشرك الأصغر، بيَّن في هذا الباب أن من الإلحاد في أسمائه وصفاته منازعة الله فيما هو من خصائصه من كونه هو المريد لما في الكون والمدبر والخالق له. فسب من لا إرادة له ولا صنع هو في الحقيقة تنقص لله وإشراك لغيره في خلق وتدبير شيء مما هو من خصائصه ﷻ. قال ابن القيم: كان ﷺ يتخير في خطابه ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها، =

إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾﴿١﴾ [الجاثية: ٢٤]﴿٢﴾.

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال تعالى﴿٣﴾: يؤذيني ابن﴿٤﴾ ....

= وألطفها، وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش، فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله... وأما القسم الثاني وهو أن تطلق ألفاظ الذم على من ليس من أهلها، فمثل نهيه ﷺ عن سب الدهر. فساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما: إما سبه لله أو الشرك به، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله. اهـ. زاد المعاد (٢/ ٣٢٠)، التيسير (٥١١).

﴿١﴾ ما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي، وطول العمر. التيسير (٥١١).

﴿٢﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): مناسبة الآية للباب: أن في الآية نسبة الحوادث إلى الدهر، ومن نسبها إلى الدهر؛ فسوف يسب الدهر إذا وقع فيه ما يكرهه. اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٤٣). وقال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): فإن قلت: فأين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبراً عن الدهرية المشركين؟ قيل: المطابقة ظاهرة؛ لأن من سب الدهر فقد شاركهم في سبه، وإن لم يشاركهم في الاعتقاد. اهـ. التيسير (٥١٣).

﴿٣﴾ وهذا الحديث يسمى بالحديث القدسي: والحديث القدسي الصواب فيه أن لفظه ومعناه من الله، وهو قول كثير من أهل العلم؛ لأن هذا القول يتفق مع مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في كلام الله، وأما قول بعض أهل العلم أن الحديث القدسي معناه من الله ولفظه من النبي ﷺ فهو يتفق مع مذهب الأشاعرة بأن كلام الله نفسي يلقيه في رُوع جبريل أو النبي ﷺ.

الوسيط في علوم ومصطلح الحديث (٢١٦)، دليل الفالحين (١١٩)، فتح القوي (٣٦٦)، شرح الأربعين (٢٣٦).

﴿٤﴾ قال شيخ الإسلام: ومما ينبغي أن يتفطن له أن لفظ الأذى في اللغة هو لما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه، ذكره الخطابي وغيره وهو كما قال، واستقراء موارده يدل على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾.. وقيل لبعض النسوة العربيات: القر أشد أم الحر؟ فقالت: من يجعل البؤس كالأذى؟ =

آدم يسب الدهر وأنا الدهر﴿١﴾، أقلب الليل والنهار»﴿٢﴾. وفي رواية:

= والبؤس خلاف النعم وهو ما يشقي البدن ويضره بخلاف الأذى فإنه لا يبلغ ذلك ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. اهـ. الصارم المسلول (٥٧).

﴿١﴾ الدهر ليس من أسماء الله، كما قال شيخ الإسلام، وسليمان بن عبد الله، وابن عثيمين؛ لأن السياق يأبى ذلك؛ لأنه فسره بقوله: «**أقلب الليل والنهار**»؛ ولأن أسماء الله حسنى، والدهر اسم جامد، لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات، فلا يحمل المعنى الذي يوصف بأنه أحسن؛ ولأنه لو كان من أسماء الله لكان كلام الكفار صحيحاً. وذهب ابن حزم، ونعيم بن حماد إلى إثبات كون الدهر من أسماء الله. قال شيخ الإسلام: والقول الثاني ـ في معنى حديث الباب ـ: قول نعيم بن حماد وطائفة معه من أهل الحديث والصوفية: إن الدهر من أسماء الله تعالى ومعناه القديم الأزلي. ورووا في بعض الأدعية: يا دهر، يا ديهور، يا ديهار، وهذا المعنى صحيح؛ لأن الله سبحانه هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء؛ فهذا المعنى صحيح إنما النزاع في كونه يسمى دهراً بكل حال. اهـ. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان؛ فإن الزمان مقدار الحركة. والحركة مقدارها من باب الأعراض والصفات...

وأكثر العلماء أن هذا الحديث خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم؛ فإنهم إذا أصابتهم مصيبة أو منعوا أغراضهم أخذوا يسبون الدهر والزمان... وكثيراً ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا كقولهم: يا دهر فعلت كذا. وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ويضيفونها إلى الدهر فيقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمور وأحدثها والدهر مخلوق له هو الذي يقلبه ويصرفه... قد أجمع المسلمون ـ وهو مما علم بالعقل الصريح ـ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس هو الدهر الذي هو الزمان. اهـ. الفتاوى (٢/ ٤٩٢، ٤٩٣)، تحقيق التجريد (٢/ ٤٣٣)، القول المفيد (٢/ ٢٤٦).

﴿٢﴾ أخرجه: البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦)، من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. واللفظ لمسلم. ولفظ البخاري: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار، ولفظ آخر للبخاري: «**بيدي الليل والنهار**». ومعنى الحديث: هو ما ذهب إليه الشافعي، وأبو عبيد، والخطابي، وابن عبد البر، وأكثر أهل العلم، وهو اختيار سليمان بن عبد الله، وابن باز، ابن عثيمين أن الحديث خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم؛ فإنهم إذا أصابتهم مصيبة أو منعوا أغراضهم أخذوا يسبون الدهر والزمان، =

«لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر»[١].

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سبِّ الدهر[٢]. **الثانية:** تسميتُه

= يقول أحدهم: قبح الله الدهر الذي شتت شملنا، ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا. وكثيراً ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا كقولهم: يا دهر فعلت كذا. وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ويضيفونها إلى الدهر فيقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمور وأحدثها، والدهر مخلوق له هو الذي يقلبه ويصرفه. والتقدير: أن ابن آدم يسب من فعل هذه الأمور وأنا فعلتها؛ فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل وإن أضاف الفعل إلى الدهر فالدهر لا فعل له؛ وإنما الفاعل هو الله وحده.

﴿١﴾ أخرجه: مسلم (٢٢٤٦)، من حديث هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه أن من سبّ الدهر فقد آذى الله؛ أي: تنقصه. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٤١).

﴿٢﴾ حكم سب الدهر:

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم؛ فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]. قال العلامة محمد بن إبراهيم (١٣٨٩هـ): أما وصف الدهر بالشدة والرخاء والخير والشر فلا بأس بذلك، كقوله سبحانه: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، وقوله: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨]، وقوله ﷺ: «**لَا يأْتِي زمانٌ إِلَّا الَّذي بعْده شر مِنْه**»، والأدلة على ذلك كثيرة جداً. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٥١).

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر، وقال محمد بن إبراهيم: لو قصد ـ المتكلم ـ أن الدهر يفعل حقيقة فهذا لا شك أنه إشراك مع الله سبحانه. اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٥١). قال ابن عثيمين: لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلهاً يستحق أن يعبد فإنه كافر. اهـ. =

آذى الله[١]. **الثالثة**: التأمل في قوله: «**فإن الله هو الدهر**»[٢].

= **الثالث**: **أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده وسبب كوني له**؛ فهذا محرم. وممن قال بأن القسم الثالث محرم ابن عبد البر، وذهب ابن حجر إلى كراهته؛ لأن فيه تشبهاً بأهل الكفر. الفتح (١٠/ ٥٨١). ومع القول بالتحريم هل يسمى القسم الثالث شركاً أصغر؟ الظاهر أنه يسمى شركاً أصغر، ويدل عليه حديث الباب، حيث جعل مناط الأذى السب، والحديث يدخل فيه سب الدهر، سواء قصد ما كان يقصده الجاهلون أم لا؟ ولولا أن سبهم للدهر متضمن إضافة شيء من التدبير إلى الدهر ما صح أن يقول الله: «بيدي الأمر». فسب الدهر فيه منازعة لله في الربوبية فصار شركاً من هذا الوجه، إضافة على أنه وسيلة للشرك الأكبر، وهذا علة أخرى لكون سب الدهر شركاً.

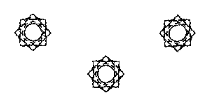
الاستذكار (٢٧/ ٣٠٦)، التيسير (٥١١، ٥١٣)، القول المفيد (٢/ ٢٤٠)، الشرك الأصغر «للسليم» (٢٠٢).

📖 هل من سب الدهر يُعزّر؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): فهذا القول وشبهه حرام في الجملة يستتاب صاحبه منه إن لم يعلم أنه حرام، ويعزر مع العلم تعزيراً بليغاً؛ لكن لا يكفر بذلك ولا يقتل وإن كان يخاف عليه الكفر.اهـ. الصارم المسلول (٥٦٢).

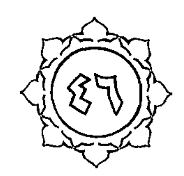
[١] قال ابن عثيمين: لا يلزم من الأذية الضرر؛ فالإنسان يتأذى بسماع القبيح أو مشاهدته، ولكنه لا يتضرر بذلك، ويتأذى بالرائحة الكريهة كالبصل والثوم ولا يتضرر بذلك، ولهذا أثبت الله الأذية في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾. وفي الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار**» ونفى عن نفسه أن يضره شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾، وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**» رواه مسلم.اهـ. التيسير (٥١١)، القول المفيد (٢/ ٢٤١).

[٢] فإذا تأملنا فيه؛ وجدنا أن معناه أن الله مقلب الدهر ومصرفه، وليس معناه أن الله هو الدهر. القول المفيد (٢/ ٢٤٨). =

الرابعة: أنه قد يكون سابّاً ولو لم يقصده بقلبه﴿١﴾.



﴿١﴾ قال ابن عثيمين: تؤخذ من قوله: «**يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر**» ولم يذكر قصداً، ولو عبر الشيخ بقوله: أنه قد يكون مؤذياً لله وإن لم يقصده؛ لكان أوضح وأصح؛ لأن الله صرح بقوله: «**يسب الدهر**»، والفعل لا يضاف إلا لمن قصده. اهـ. القول المفيد (٢/٢٤٨). ونوقش: بأن ظاهر الحديث أنه سبّ وإن لم يقصد.

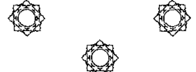


باب: التَّسمِّي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أخنع اسم عند الله رجل تسمَّى مَلِك الأملاك. لا مالك إلا الله». قال سفيان: مثل: شاهان شاه. وفي رواية: «أغيَظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه». قوله: «أخنع» يعني: أوضع.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن التسمِّي بـ«مِلِك الأملاك». الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان. الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه. الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.







٤٦ ـ باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه ﴿١﴾(*)

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع

﴿١﴾ يعني: كلّ اسم فيه تعظيمٌ شديد للمخلوق من الألقاب والأسماء التي فيها التعظيم الذي لا يليق إلّا بالله ﷻ، مثل: «ملِك الأملاك» و«سيِّد السادات»، وما أشبه ذلك من الألقاب الضّخمة التي يتلقّب أو يتسمّى بها بعض الجبابرة أو المستكبرين. اهـ. إعانة المستفيد (٣/ ٣١٧).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: قال ابن عثيمين: إن من تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكاً مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله ﷻ؛ فالله هو القاضي فوق كل قاضٍ، وهو الذي له الحكم، ويُرجَع إليه الأمر كله، كما ذكر الله ذلك في القرآن. اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٤٩). وقال عبد الرحمٰن بن حسن: وهذا المذكور ـ التسمي بملك الأملاك ـ ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبر. اهـ. قرة عيون الموحدين (٤٠٠). وقال المقريزي (٨٤٥): وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له؛ كملك الملوك، وحاكم الحكام، وقاضي القضاة.. ونحوه.. وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك. اهـ.

تجريد التوحيد (٦٦).

علاقة الباب بما قبله: المصنف في هذا الباب يبيِّن نوعاً آخر من أنواع الإلحاد في الأسماء والصفات، قال الشيخ صالح الفوزان: هذا الباب مشابهٌ للباب الذي قبله «باب من سبّ الدهر فقد آذى الله»؛ لأن الباب الذي قبله فيه النّهي عن مسبّة الدهر، لأنّ ذلك يؤذي الله ﷻ. وهذا الباب في النّهي عن التسمِّي بالأسماء الضخمة التي فيها العَظَمة التي لا تليق إلّا بالله ﷻ؛ لأنّ هذا يغيظُ الله ﷻ، فسبّ =

اسم﴿١﴾ عند الله رجل تسمَّى مَلِك الأملاك. لا مالك إلا الله»﴿٢﴾. قال سفيان: مثل: شاهان شاه﴿٣﴾. وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه»﴿٤﴾﴿٥﴾. ....

= الدهر يؤذي الله، وهذا يغيظ الله ﷻ، وكلا الأمرين محرّم شديد التحريم. ثم يأتي بعد هذا الباب: «باب احترام أسماء الله»، وهو كذلك يُشبِه هذين البابين.اهـ.

وقال السعدي: باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه، وباب: احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك، وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق، وهو أنه يجب أن لا يجعل لله ند في النيات والأقوال والأفعال، فلا يسمى أحد باسم فيه نوع مشاركة لله في أسمائه وصفاته، كقاضي القضاة وملك الملوك ونحوها، وحاكم الحكام، أو بأبي الحكم.اهـ. القول السديد (١٥١)، إعانة المستفيد (٣/ ٣١٧).

﴿١﴾ المراد بالاسم المسمى كما قال العجيلي، وابن عثيمين، ويدل عليه الرواية الثانية: «أغيظ رجل على الله». تحقيق التجريد (٢/ ٤٣٥)، القول المفيد (٢/ ٢٥٢).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على تحريم التَّسمِّي بقاضي القضاة ونحوه قياساً على تحريم التسَمِّي بملك الملوك الوارد ذمُّه والتحذير منه. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٤٤).

﴿٣﴾ أخرجه البخاري (٦٢٠٦) ومسلم (٢١٤٣)، من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ. وقوله: «لا مالك إلا الله» عند مسلم فقط. قال ابن حجر: وقد تعجب بعض الشراح من تفسير سفيان بن عيينة اللفظة العربية باللفظة العجمية، وأنكر ذلك آخرون وهو غفلة منهم عن مراده، وذلك أن لفظ شاهان شاه كان قد كثر التسمية به في ذلك العصر، فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدى معناه بأي لسان كان فهو مراد بالذم.اهـ. علاقته بالباب، قال ابن قاسم: فمراده ـ أي: المصنف ـ أن الحديث متناول لمثل هذا بأي لسان كما هو ظاهر، فلا ينحصر في لفظ بعينه، بل كل ما أدى إلى هذا المعنى فهو داخل في الحديث.اهـ. الفتح (١٠/ ٥٩٠)، حاشية كتاب التوحيد «لابن قاسم» (٣٥).

﴿٤﴾ قال صالح آل الشيخ: وسبب كونه أغيظ رجل وأخبث رجل أنه جعل نفسه مماثلاً لله ـ جل وعلا ـ في الحق بهذه التسمية.اهـ. التمهيد (٤٧٤).

﴿٥﴾ أخرجه: مسلم (٢١٤٣)، من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن =

قوله: «أخنع» يعني: أوضع﴿١﴾.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بـ«ملك الأملاك»﴿٢﴾. **الثانية**: أن ما

= همام، عن أبي هريرة ﵁. ولفظه: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله**». علاقة هذه الرواية بالباب: بيان التغليظ الوارد في التسمي بملك الأملاك، ونحوه كالتسمي بقاضي القضاة، قال إمام الدعوة في المسائل: الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه.اهـ.

﴿١﴾ قال مسلم (٢١٤٣): قال أحمد: سألت أبا عمرو عن أخنع؟ فقال: أوضع.

﴿٢﴾ وهو شرك أصغر، كما قال ابن قاسم. قال عبد الرحمٰن بن حسن: وهذا المذكور ـ التسمي بملك الأملاك ـ ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبر.اهـ. قرة عيون الموحدين (٤٠٠).

وقال العلامة ابن عثيمين: إن من تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكاً مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله ﷻ؛ فالله هو القاضي فوق كل قاضٍ، وهو الذي له الحكم، ويُرجَع إليه الأمر كله، كما ذكر الله ذلك في القرآن.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٤٩).

وقال ابن رجب: ذكر ابن الجوزي في تاريخه: أن جلال الدولة أمره أن يكتب شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، وخطب له بذلك. فنفر العامة، ورجموا الخطباء، ووقعت فتنة، وذلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة. فاستفتى الفقهاء فكَتَبَ الصَّيْمري: أن هذه الأسماء يُعتبر فيها القصد والنية. وكتب أبو الطيب الطبري: أن إطلاق ملك الملوك جائز، ويكون معناه ملك ملوك الأرض. وإذا جاز أن يُقال: قاضي القضاة، وكافي الكفاة، جاز أن يُقال: ملك الملوك. وكتب التميمي نحو ذلك، وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني: أن القاضي الماوردي مَنع من جواز ذلك. قال ابن الجوزي: والذي ذكره الأكثرون هو القياس إذا قصد به ملوك الدنيا، إلا أني لا أرى إلا ما رآه الماوردي لأنه قد صحَّ في الحديث ما يدل على المنع، لكنهم عن النقل بمعزل. ثم ساق حديثَ أبي هريرة الذي في الصحيحين. =

. . . .

= وابن الجوزي وافق على جواز التسمية بقاضي القضاة ونحوه. وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله ابن القيم قال: وقال بعض العلماء: وفي معنى ذلك ـ يعني: ملك الملوك ـ كراهية التسمية بقاضي القضاة، وحاكم الحكام، فإنَّ حاكم الحكام في الحقيقة هو الله تعالى. وقد كان جماعةٌ من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة، وحاكم الحكام، قياساً على ما يبغضه اللهُ ورسولُه من التسمية بملك الأملاك. وهذا محض القياس.

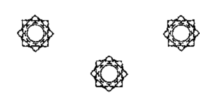
قلتُ: وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي ـ قاضي الديار المصرية، وابن قاضيها ـ يمنع الناس أن يخاطبوه بقاضي القضاة، أو يكتبوا له ذلك، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بقاضي المسلمين. وقال: إنَّ هذا اللفظَ مأثورٌ عن علي ﷺ. يوضح ذلك: أن التلقيب بملك الملوك إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم. وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم «موبَذ مُوبَذان» يَعنُون بذلك: قاضي القضاة. فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بهما. والله أعلم.اهـ. وكذلك ذكر ابن مفلح أن علة النهي عن التسمي بـ«قاضي القضاة» أنه من شعائر الفرس.

ذيل طبقات الحنابلة «لابن رجب» (١/ ٨٤).

وانظر: تحفة الودود (٩١)، زاد المعاد (٣٤٠، ٣٤١)، الفروع ٣/ ٥٥٧، ٥٥٨.

ـ ذهب ابن باز وابن عثيمين إلى جواز التسمي بقاضي القضاة إذا قيدت، كقاضي القضاة في المدينة ونحو ذلك؛ لقوله ﷺ: **«أقضاكم علي»**، قال ابن عثيمين: إذا أضفنا القضاة وحصرناها بطائفة معينة، أو ببلد معين، أو بزمان معين، مثل أن يقال: قاضي القضاة في الفقه، أو قاضي قضاة المملكة العربية السعودية، أو قاضي قضاة مصر، أو الشام، أو ما أشبه ذلك؛ فهل يجوز هذا؟ فالجواب: أن هذا جائز؛ لأنه مقيد، ومعلوم أن قضاء الله لا يتقيد، فحينئذ لا يكون فيه مشاركة لله ﷻ، على أنه لا ينبغي أيضاً أن يتسمى الإنسان بذلك، أو يسمى به، وإن كان جائزاً؛ لأن النفس قد تصعب السيطرة عليها، فيما إذا شعر الإنسان بأنه موصوف بقاضي قضاة الناحية الفلانية. فإذا قُيِّد بزمان أو مكان ونحوهما؛ قلنا: إنه جائز، ولكن الأفضل ألا يفعل. لكن إن قُيد بفن من الفنون؛ هل يكون جائزاً؟ مقتضى التقييد أن يكون جائزاً، لكن إن قُيِّد بالفقه، بأن قيل: عالم العلماء في الفقه، وقلنا: إن الفقه =

في معناه مثله، كما قال سفيان﴿١﴾. **الثالثة:** التفطن للتغليظ في هذا ونحوه﴿٢﴾، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه. **الرابعة:** التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.

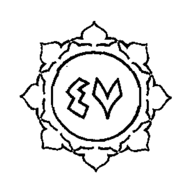


= يشمل أصول الدين وفروعه على حد قول الرسول ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، صار فيه عموم واسع، ومعنى هذا أن مرجع الناس كلهم في الشرع إليه؛ فهذا في نفسي منه شيء، والأولى التنزه عنه. وأما إن قُيد بقبيلة؛ فهو جائز، لكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف؛ أن لا يغتر ويعجب بنفسه، ولهذا قال النبي ﷺ للمادح: «**قطعت عنق صاحبك**». اهـ.

البداية والنهاية (٤٧)، التيسير (٥١٨)، حاشية ابن قاسم (٣١٤)، القول المفيد (٢/ ٢٥٠)، معجم المناهي اللفظية (٣١١).

﴿١﴾ وابن القيم، وابن أبي جمرة، وسليمان بن عبد الله، وابن قاسم، قال ابن القيم: وفي معنى ذلك ـ أي: التسمي بملك الأملاك ـ كراهية التسمية بقاضي القضاء، وحاكم الحكام، فإن حاكم الحكام في الحقيقة هو الله، وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة وحاكم الحكام قياساً على ما يبغضه الله ورسوله من التسمية بملك الأملاك، وهذا محض القياس. تحفة المودود (١/ ١١٥).

﴿٢﴾ أي: التسمي بملك الأملاك ونحوه، كالتسمي بقاضي القضاة.

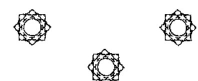


باب: احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُرَيح، أنه كان يُكْنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحُكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ قال: شريح ومسلم وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح». رواه أبو داود وغيره.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه. الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك. الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.







٤٧ ـ باب: احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك ﴿١﴾(*)

....

﴿١﴾ قوله: (باب احترام أسماء الله تعالى) أي: عن التسمي بها، (وتغيير الاسم لأجل ذلك). القصد السديد لفيصل آل مبارك (١١٧). وقال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): واحترمه: رعى حرمته وهابه، وغير الاسم: حوّله وبدله، وجعل غيره مكانه. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٣١٦).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من التوحيد عدم التسمي والاتصاف بما هو من خصائص الله، حيث إن التسمية بما هو من خصائص الله من التنديد. قال السعدي (١٣٧٦هـ): باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه، وباب: احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك، وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق، وهو أنه يجب أن لا يجعل لله ند في النيات والأقوال والأفعال، فلا يسمى أحد باسم فيه نوع مشاركة لله في أسمائه وصفاته؛ كقاضي القضاة وملك الملوك ونحوها، وحاكم الحكام، أو بأبي الحكم. اهـ.

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان: تعظيم أسماء الله تعالى وصفاته من تعظيم الله تعالى، ويكون ذلك باحترامها، وعدم امتهانها، وعدم مشاركة الله تعالى فيها بالتسمي بها، فمن تسمى بشيء من أسماء الله تعالى أو اتصف بصفة من صفاته وجب عليه تغيير ذلك؛ لأن فيه نقصاً في توحيد العبد، وعدم تعظيم لله تعالى. اهـ. وقال البغوي (ت٥١٦): والحكم هو الحاكم الذي إذا حكم لا يُردّ حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير ﷻ، ومن أسمائه الحكم. اهـ.

شرح السُّنَّة (١٢/ ٣٤٣).

علاقة الباب بالذي قبله: المصنف في هذا الباب يذكر صورة أخرى من صور =

عن أبي شُرَيح، أنه كان يُكْنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحُكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين﴿١﴾. فقال: ما أحسن

= الإلحاد في أسمائه وصفاته، قال الشيخ عبد الله الغنيمان: الفرق بين هذا الباب والذي قبله: أن الذي قبله من باب المنازعة ومن باب مشاركة الرب جل وعلا فيما هو خاص به، وهذا أمره عظيم جداً. أما هذا فليس من باب المنازعة؛ لأنه قد يكون غير مقصود، وقد يكون لأمر يفعله الفاعل فيسمى باسم مأخوذ من الفعل كما في هذا الحديث، وقد يكون أيضاً عن قصد حسن، ولكنه ما فهم معنى هذا التكني أو هذا التسمي، فيكون غير آثم حتى يطلع على الحكم، فإذا اطلع على ذلك وجب عليه أن يغير الاسم، تعظيماً لله جل وعلا واحتراماً لأسمائه، فيكون هذا الباب في الخطورة أقل من الباب الذي قبله، ومع ذلك فهذا من كمال التوحيد؛ أي: تغيير الاسم احتراماً لأسماء الله جل وعلا وتعظيماً له يكون من كمال التوحيد. اهـ.

قال صالح آل الشيخ: إن من الأدب ألا يسمى أحد بشيء يختص الله ـ جل وعلا ـ به؛ ولذلك أورد المؤلف هذا الباب إثر الباب الذي قبله، لأجل هذه المناسبة، فتسمية «ملك الأملاك» مشابهة لتكنيه «أبي الحكم» من جهة أن في كل منهما اشتراكاً في التسمية، لكن فيها اختلاف من جهة أن «أبا الحكم» راجع إلى شيء يفعله هو، وهو أنه يحكم فيرضون بحكمه وذاك «ملك الأملاك» ادعاء ليس له شيء؛ ولهذا كان أخنع اسم عند الله ﷻ.. وبعبارة أخرى: أن الباب السابق فيما يختص بالله من الأسماء، وهذا الباب فيما يلحظ فيه الصفة من الأسماء. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٧٨).

﴿١﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): والمعنى ـ والله أعلم ـ أن أبا شريح كان مرضياً عندهم يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا، فيرضون صلحه فسموه حكماً، وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب لما فيه من النهي الشديد والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا. اهـ. قرة عيون الموحدين (٤٠٢).

هذا[١][٢]، **فما لك من الولد؟ قال: شريح ومسلم وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال: فأنت أبو شريح**»[٣]. رواه أبو داود وغيره.

أخرجه: أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٢/ ٢٢٦)، من طريق يزيد بن المقدام بن شريح بن هانئ، عن أبيه «المقدام»، عن جده «شريح»، عن أبيه «هانئ بن يزيد أبي شريح الحارثي»[٤].

﴿١﴾ الإشارة تعود إلى إصلاحه بين قومه لا إلى تسميته بهذا الاسم كما قال ابن قاسم، وابن باز، وابن عثيمين؛ لأن النبي ﷺ غيره.

حاشية ابن قاسم (٣١٨)، التعليق المفيد (٢٢٣)، القول المفيد (٢/ ٢٦٢).

﴿٢﴾ قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن (ت١٢٩٣هـ): وأما قوله لأبي شريح: «ما أحسن هذا»، فليس فيه ما يدل على تحسين الباطل والحكم به، بل ذكروا وجوهاً متعددة في معنى ذلك، كلها تفيد البعد والتحريم لمثل فعل البوادي. ومِن أحسن ما قيل: إن هذا تحسين لفعل صدر في الجاهلية، قبل ظهور الشرائع الإسلامية، فلما جاء الشرع أبطل ذلك، و«إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل». اهـ.

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٣١٥).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الفوزان: إنه يدل على المنع من إهانة أسماء الله بالتسمي بأسمائه تعالى المختصة به، والتكني بذلك. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٤٦).

﴿٤﴾ صححه: ابن حبان، وقال الحاكم: حديث مستقيم. اهـ. وجوَّده ابن مفلح. وذكره الدارقطني في الإلزامات. قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: ظاهر كلام المؤلف أنه يرى أن الحديث صالح للحجة؛ ولهذا اعتمده واكتفى به واستدل به أنه لا يسمى بالحكم وأبي الحكم؛ لأن هذا وصف لله تعالى وهو الحاكم بين عباده في الدنيا بشرعه وفي الآخرة يحكم بنفسه؛ ولكن يرد على هذا ما جاء في الأحاديث الصحيحة الكثيرة من أسماء الحكم والحكيم ولم يردها ﷺ. وهي أصح من هذه الرواية. وهذا مما يدل على أن الحديث في صحته نظر؛ لأن النبي ﷺ قد أقر ببعض الأسماء كحكيم بن حزام، والحكم بن عمرو، وأسماء أخرى ولو كانت منكرة لغيَّرها؛ ولأنِ الحكم يكون بالشرع بين الناس ولا يضره أن يتسمى بذلك =

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته، ولو لم يقصد معناه﴿١﴾.

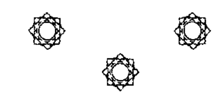
= وأن يسمي الحاكم والقاضي وما أشبه ذلك.اهـ. وقد أنكر ابن التين حديثاً في ذم اسم خالد؛ لأن من الصحابة من تسمى بخالد. وقد تابع يزيد بن المقدام: قيس بن الربيع، وشريك. وقد رواه الخرائطي «مكارم الأخلاق» (١/ ٢٨)، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله الأشجعي، عن سفيان، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن جده بلفظ: «عليك بحسن الكلام، وبذل السلام» بدون ذكر قصة تغير كنية أبي شريح.اهـ. قال الهيثمي: فيه أبو عبيدة بن عبد الله الأشجعي روى عنه أحمد بن حنبل وغيره، ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح.اهـ. وقد تابع عبد الله الأشجعي: إسماعيل بن خليفة بدون ذكر تغير كنية أبي شريح.

والخلاصة: أن معنى الحديث محفوظ، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. قال صالح آل الشيخ: أسماء الله تعالى يجب احترامها، بمعنى يجب ألا تمتهن، ويستحب احترامها أيضاً فيما كان من الأدب ألا يوصف به غير الرب جل وعلا. وهذا راجع إلى تعظيم شعائر الله ﷻ قال سبحانه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، وقال ـ جل وعلا ـ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، قال أهل العلم: الشعائر: جمع شعيرة، وهي: كل ما أشعر الله بتعظيمه؛ يعني: أعلم بتعظيمه فهو شعيرة، ومما أشعر الله بتعظيمه أسماؤه الحسنى ـ جل وعلا ـ فيجب احترامها وتعظيمها.اهـ.

الطبراني «الكبير» (٢/ ١٨٧)، ابن حبان (٢/ ٢٤٤)، الحاكم (١/ ٢٣)، تاريخ أصفهان (٢/ ١٥٩)، مجمع الزوائد (٨/ ٢٩)، الفتح (١٠/ ٥٨٩)، التعليق المفيد على كتاب التوحيد (٢٢٤)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٧٨).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: هذا في النفس منه شيء؛ لأنه إذا لم يقصد معناه فهو جائز، إلا إذا سمي بما لا يصح إلا لله، مثل: الله، الرحمٰن، رب العالمين، وما أشبهه؛ فهذه لا تطلق إلا على الله مهما كان. وأما ما لا يختص بالله؛ فإنه يسمى به غير الله إذا لم يلاحظ معنى الصفة، بل كان المقصود مجرد العَلَمية فقط؛ لأنه لا يكون مطابقاً لاسم الله؛ ولذلك كان في الصحابة من اسمه «الحكم»، ولم يغيره النبي ﷺ؛ لأنه لم يقصد إلا العلمية، وفي الصحابة من اسمه «حكيم» وأقره النبي ﷺ. فالذي يحترم من أسمائه تعالى ما يختص به، أو ما يقصد به ملاحظة الصفة.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٦٤).

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك(١). **الثالثة**: اختيار أكبر الأبناء للكنية(٢).



(١) **أقسام تغيير الاسم الذي يتسمَّى به الله**:

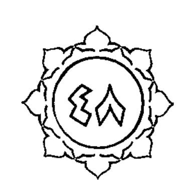
القسم الأول: أن يكون الاسم مما لا يصلح إلا لله؛ كالرحمٰن، والقدوس، والرب، فهذا لا يجوز التسمي به، وعلى من تسمى به أن يغيره؛ لأن التسمية بها من باب الشرك في توحيد الأسماء والصفات؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

القسم الثاني: أن يكون الاسم مما يتسمى به الله ويصلح أن يتسمى به المخلوق؛ لكن تسمى به المخلوق بناء على ملاحظة الصفة، مثل أن يشتهر بالحكم بين الناس فيسمى بالحكم، أو يشتهر بالرحمة فيسمى بالرحيم، فلا يجوز التسمية به، وعلى من تسمى به أن يغيره؛ لأن المتسمي به شارك الله في الصفة.

القسم الثالث: أن يكون الاسم مما يتسمى به الله ويصلح أن يتسمى به المخلوق ولم تلحظ الصفة عند التسمية به، فهذا يجوز أن يتسمى به. قال ابن عثيمين: أما بقية الأسماء فهي إن قصد بها مما يقصد بأسماء الله من الدلالة على العلمية والوصفية فإنها ممنوعة. وإن قصد بها مجرد العَلَمية فليست ممنوعة، فالحكم والحكيم من أسماء الله، فإذا سمينا شخصاً بالحكم أو الحكيم ولم يقصد معنى الحكمة فيه ولا الحكم، فهنا لا بأس به، وفي الصحابة من اسمه حكيم، ومنهم من اسمه الحكم. اهـ.

تحفة المودود (١٤٥)، التعليق المفيد (٢٢٣)، شرح السفارينية «لابن عثيمين» (١٦٣).

(٢) فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك المرأة. قاله إمام الدعوة (١٢٠٦هـ) في «شرح السُّنَّة». الدر النضيد (٢٧٢).



باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه «قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه».

○ **فيه مسائل:**

الأولى، وهي العظيمة: أن من هزل بهذا إنه كافر. **الثانية**: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك، كائناً من كان. **الثالثة**: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله. **الرابعة**: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله. **الخامسة**: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل.

۞ ۞ ۞





٤٨ ـ باب: من هزل بشيء ﴿١﴾ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﴿٢﴾(*)

....

﴿١﴾ قال صالح آل الشيخ: «الباء هذه، هل هي التي يذكر بعدها وسيلة الهزل، أو الباء التي يذكر بعدها المهزول به؟ الظاهر هو الثاني، فعلى الأول يكون المعنى: أنه ذكر الله بشيء فيه هزل، وذكر الرسول بشيء فيه هزل؛ يعني: هزل، وهو يذكر هذه الأشياء. وعلى الثاني يكون معنى: «من هزل بشيء فيه ذكر الله» أن المستهزئ به أو المهزول به هو ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول، ومعلوم أن المعنى المراد هو الثاني؛ لأن الشيخ يريد أن المستهزئ به هو الله، أو الرسول، أو القرآن، اتباعاً لنص الآية.اهـ. التمهيد (٤٨١).

﴿٢﴾ أي: باب بيان حكم من هزل بشيء فيه ذكر الله ﷻ أو القرآن أو الرسول ﷺ.اهـ. حاشية ابن قاسم (٣١٩).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن مما ينافي أصل التوحيد الاستهزاء بالله وما يتعلق به من الأسماء والصفات كصفة الكلام التي أنزل به كتابه؛ لأن الاستهزاء لا يصدر إلا من المعظمين لغير الله من المنافقين والمشركين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): إن الاستهزاء بالله وبرسوله ينافي الانقياد له؛ لأنه قد بلغ عن الله أنه أمر بطاعته، فصار الانقياد له من تصديقه في خبره، فمن لم ينقد لأمره فهو إما مكذب له أو ممتنع عن الانقياد لربه، وكلاهما كفر صريح، ومن استخف به واستهزأ بقلبه امتنع أن يكون منقاداً لأمره، فإن الانقياد إجلال وإكرام والاستخفاف إهانة وإذلال، وهذان ضدان، فمتى حصل في القلب أحدهما انتفى الآخر، **فعلم أن الاستخفاف والاستهانة به ينافي الإيمان منافاة الضد للضد**.اهـ. الصارم المسلول (٥٢١).

=

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾﴿١﴾ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾﴿٢﴾ [التوبة: ٦٥]﴿٣﴾ .

= وقال السعدي (١٣٧٦هـ): إن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة. اهـ. تفسير السعدي (٣٤٢).

علاقة الباب بما قبله: المصنف في هذا الباب يبين صورة أخرى للإلحاد في أسماء الله وصفاته وعدم تعظيمها وإجلالها، فبعد أن بيَّن المصنف في الأبواب السابقة أن الإنسان يقع فيما ينافي كمال التوحيد، وذلك بالتنديد في أسمائه وصفاته؛ ولو لم يقصد المكلف ذلك، بين المصنف في هذا الباب أن الإنسان قد يقع فيما ينافي التوحيد المطلق والمخرج من الملة بالإجماع مع أنه لم يقصد الطعن والعيب بالله وما يتعلق به من أسمائه وصفاته؛ وإنما أراد الهزل واللعب. وهناك علاقة أخرى وهي: أن المصنف لمَّا بيَّن في الباب السابق وجوب احترام أسماء الله وصفاته، بيَّن في هذا الباب ما يخالف الاحترام ويناقضه وهو الهزل بالله وما يتعلق به من أسمائه وصفاته ورسوله.

﴿١﴾ قال السعدي: أي: نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب. اهـ. تفسير السعدي (١/ ٣٤٢). فتح الحميد (٤/ ١٧٧٩).

﴿٢﴾ ذهب ابن تيمية في الصارم المسلول وهو من كتبه المتقدمة التي ألفها عام (٦٩٣هـ)، وحافظ الحكمي، وابن عثيمين في فتاوى العقيدة، وصالح آل الشيخ إلى أن الآية نزلت في المنافقين، وبهذا فسرها ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وقتادة، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وسعيد بن جبير، والضحاك، ويدل على ذلك ـ أيضاً ـ سياق الآية حيث جاءت ضمن الآيات المتعلقة بالمنافقين. وذهب ابن تيمية في كتاب الإيمان، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب، وسليمان بن عبد الله، وعبد الرحمٰن بن حسن، وابن عثيمين في شرحه للتوحيد إلى أن الآية نزلت في رجال من المسلمين كفروا من أجل الاستهزاء.

تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٤)، زاد المسير (٥٩٣)، الإيمان (٢٥٩)، الصارم، التيسير (٥٢٣)، القول المفيد، التمهيد (٤٨٣).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب،** أن الاستهزاء بالله وما يتعلق به كفر منافٍ للتوحيد.

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه «قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض﴿١﴾ ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا﴿٢﴾ الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب. فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه»﴿٣﴾.

﴿١﴾ في نسخة المصنف: «ونلعب». فتح الحميد (٤/ ١٧٧٩).

﴿٢﴾ في نسخة المصنف: «عناء». فتح الحميد (٤/ ١٧٨٠).

﴿٣﴾ رواه ابن جرير «التفسير» (١٤/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم (٧/ ٣١٢)، من طريق ابن وهب، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر مرفوعاً. قال ابن عيينة: ما سمع زيد بن أسلم من ابن عمر إلا حديثين.اهـ. ورواه الليث، عن هشام، عن زيد بن أسلم مرسلاً. ورواه ابن جزي (١٤/ ٣٣٣)، من طريق أبي معشر، عن محمد بن كعب. ورواه ابن أبي حاتم (٧/ ٣١٣)، من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة. ورواه ابن جرير (١٤/ ٣٣٤)، من طريق محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة. ورواه ابن أبي حاتم (٧/ ٣١٢)، من طريق عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك، عن أبيه. **وهذه الآثار وإن كانت مراسيل، فهي تشبه الموصول، ويشد بعضها بعضاً**، وهذه طريقة البيهقي وابن تيمية وابن القيم. قال ابن عبد الهادي ـ تعليقاً على كلام الشافعي في المرسل ـ: فقد تضمن كلام الشافعي أموراً: أن المرسل إذا لم يسند من وجه آخر نظر هل يوافقه مرسل أم لا، فإن وافقه مرسل آخر قوي؛ لكنه يكون أنقص درجة. وأن المرسل إذا وُجد خلق =

فيه مسائل:

الأولى، وهي العظيمة: أن من هزل بهذا إنه كافر﴿١﴾. ....

= كثير من أهل العلم يفتون بما يوافق المرسل دل على أن له أصلاً.اهـ. قال أبو داود: إذا لم يكن مسند ضد المراسيل ولم يوجد المسند فالمرسل يُحتج به وليس هو مثل المتصل في القوة.اهـ.

قال شيخ الإسلام: والْمراسِيل إذَا تَعَددت طُرقُهَا وخَلَت عن المواطَأة قَصداً أَو الاتِّفَاقِ بِغَير قَصد كَانَت صحِيحةً قطعاً، فَإِن النَّقْل إما أَن يكون صدقاً مطَابِقاً لِلْخَبر، وإِما أَن يكون كَذباً تعمد صاحِبه الكَذب أَو أَخطَأ فيه؛ فَمتى سلِم من الكَذب العمد والخَطأ كَان صدقاً بِلَا ريب.اهـ. قال الزيلعي: والمرسل إذا وجد له ما يوافقه فهو حجة باتفاق.اهـ.

رسالة أبي داود لأهل مكة، الضعفاء للعقيلي (١/ ٩٤)، سنن البيهقي (٤/ ٩)، علل الدارقطني (١٢/ ٣٣٢)، الفتح لابن رجب (٩/ ٣٦٠)، جامع التحصيل (١٧٨)، الفتاوى (١٣/ ٣٤٧)، منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٤٣٦)، تحفة المولود (٢٣٦)، جلاء الأفهام (٣٦١)، مجموع رسائل الحافظ ابن عبد الهادي (١٢٠)، نصب الراية (١/ ٢٦٤)، الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي (١٢٢).

📖 **علاقة الأثر بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه بياناً وتفسيراً للآية الكريمة.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٥٢).

﴿١﴾ أي: من هزل بالله وآياته ورسوله. وقد حكى الإجماع على كفر من استهزأ بشيء من الدين، ولو كان هازلاً أو لاعباً أو مجاملاً: ابن حزم، وابن تيمية، والألوسي، وسليمان بن عبد الله.

الفصل (٣/ ٢٥٥)، المغني (١٢/ ٢٩٨)، الصارم المسلول (٤)، روح المعاني (١٠/ ١٣١)، التيسير، القول المفيد (٢/ ٢٧٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): قال تعالى في حق المستهزئين: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، فبيَّن أنهم كفار بالقول مع أنهم لم يعتقدوا صحته وهذا باب واسع والفقه فيه ما تقدم من أن التصديق بالقلب يمنع إرادة التكلم وإرادة فعل فيه استهانة واستخفاف كما أنه يوجب المحبة والتعظيم واقتضاؤه وجود هذا وعدم هذا أمر جرت به سُنَّة الله في مخلوقاته كاقتضاء إدراك الموافق للذة وإدراك المخالف للألم فإذا عدم المعلول كان مستلزماً لعدم العلة وإذا وجد الضد كان =

. . . .

= مستلزماً لعدم الضد الآخر، فالكلام والفعل المتضمن للاستخفاف والاستهانة مستلزم لعدم التصديق النافع ولعدم الانقياد والاستسلام فلذلك كان كفراً.اهـ. الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/ ٩٧٦).

وقال ابن عثيمين: والكفر كفران: كفر إعراض، وكفر معارضة، والمستهزئ كافر كفر معارضة؛ فهو أعظم ممن يسجد لصنم فقط.اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٦٧).

مسألة: الاستهزاء بالفقيه، أو العالم، أو المطوع، أو بأهل الدين، وهو على نوعين:

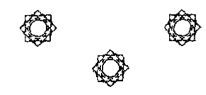
النوع الأول: السخرية والاستهزاء بأشخاصهم، كالاستهزاء بصفتهم الخَلقية أو الخُلقية، فهذا محرَّم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ﴾ [الحجرات: ١١]. قال ابن عثيمين فيمن استهزأ بالملتزمين: إن كان هذا الاستهزاء بما التزموا به فهذا كفر، يعني لو استهزأ بالصلاة التي التزموا بها أو الشرائع التي التزموا بها فهذا كفر لا شك فيه. وأما إذا استهزأ بالرجل نفسه فهذا لا يصل إلى حد الكفر؛ لكنه لا شك أنه آثم باستهزائه برجل ممن تمسكوا بدينهم.اهـ.

النوع الثاني: السخرية والاستهزاء بأهل الصلاح لأجل صلاحهم، وبأهل العلم لأجل علمهم، فهذا كفر وردَّة عن الملَّة، لأن المقصود منه استهزاء بدين الله الذي يحملونه، فلم يقع الاستهزاء على أشخاصهم، وإنما وقع على استقامتهم وعلمهم.

قال حمد بن عتيق (١٣٠١هـ) فيمن قال للفقيه أو للعالم أو للمطوع، «فُقَيِّه» أو «عُوَيْلِم» أو «مطَيْوِيع» ونحو ذلك: إذا كان قصد القائل الهزل، أو الاستهزاء بالفقه، أو العلم، أو الطاعة، فهذا كفر، ينقل عن الملة، فيستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتداً. . . وأن ظاهر هذا القول أن مراد قائله الفقه، أو العلم، أو الطاعة، لا شخص العالم والفقيه والمطوع؛ ولأنه يمكنه الاستهزاء بالشخص، بدون هذه العبارات، فلما عدل إليها عما هو دونها، أعطيناه حكمها.اهـ. الدرر السنية (١٠/ ٤٢٨).

وقد بيّن العلامة محمد بن إبراهيم بن آل الشيخ (١٣٨٩هـ) متى يكون الاستهزاء بأهل العلم والخير كفراً: وبعض أهل العلم ذكر أنه يكون ردة إذا كان هذا ديدنه، أما كونه من أعظم العظائم ومن آية النفاق فظاهر.اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ١٧٩). وقال الشيخ محمد بن إبراهيم بن =

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك، كائناً من كان. **الثالثة**: الفرق بين النميمة وبين النصيحة لله ولرسوله. **الرابعة**: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله. **الخامسة**: أن من الاعتذار ما لا ينبغي أن يقبل.



= آل الشيخ: المهزلة دالة على عدم عظمة المهزول به، ولهذا تجد الناس الذين يهزل بعضهم ببعض لا تراهم يهزلون بأهل المقامات العالية. ثم نعلم هنا أن الذين من شأنهم الاستهزاءُ بأهل الدين هذا قد يصل إلى الكفر الذي يكون ديدنه ـ لا يسمع بأحد من أهل الخير إلا وتكلم فيهم ـ فهذا لا يكاد يصدر إلا من منافق. اهـ. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ١٥٤).



باب: ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فصلت]

قال مجاهد: «هذا بعملي، وأنا محقوق به». وقال ابن عباس: «يريد من عندي».

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾. قال قتادة: «على علم مني بوجوه المكاسب». وقال آخرون: «على علم من الله أني له أهل». وهذا معنى قول مجاهد: «أوتيته على شرف».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملَكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لوناً

حسناً وجلداً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأعطي ناقة عُشَراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا. فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلوغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلَّغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت،

فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك».

○ فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية. الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾. الثالثة: ما معنى قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

۞ ۞ ۞





٤٩ ـ باب: ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]﴿١﴾

. . . .

﴿١﴾ **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من كمال احترام وتعظيم أسماء الله وصفاته أن ينسب الإنعام لفضل الله وجوده واختياره وإرادته، وشكره على ذلك، لا أن ينسب الإنعام لفضل الإنسان وعمله وشرفه؛ لأن من أضاف الإنعام لغير الله فقد وصفه بالمنعم، وهذا فيه نوع مشاركة لغير الله فيما هو من أوصافه.

علاقة الباب بما قبله من الأبواب: لا يزال المصنف يذكر صوراً أخرى للإلحاد في أسماء الله وصفاته وعدم تعظيمها، فبعد أن بيَّن المصنف أن الاستهزاء بها يدل على عدم تعظيمها واحترامها، بيَّن في هذا الباب أن من عدم تعظيمها واحترامها نسبة الإنعام بعد الضر لغير الله.

ـ هذا الباب وباب قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] تشابها؛ لأنهما في إثبات أن الله هو المنعم؛ لكن باب قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ في إضافة النعم لغير الله؛ لكن بسبب لا يتعلق بالإنسان نفسه كنسبة الإنعام للآلهة، والريح والملاح، وأما هذا الباب فهو في إضافة النعم لغير الله؛ ولكن لسبب يتعلق بالإنسان نفسه، كفضله وشرفه وعمله. والله أعلم.

وهناك فرق آخر: وهو أن هذا الباب في نسبة النعم لغير الله بعد ضراء وبلاء، بخلاف باب قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، قال ابن قاسم: أراد =

قال مجاهد: «هذا بعملي، وأنا محقوق به»﴿١﴾. وقال ابن عباس: «يريد من عندي»﴿٢﴾.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨]. قال قتادة: «على علم مني بوجوه المكاسب»﴿٣﴾. وقال آخرون: «على علم من الله أني له أهل»﴿٤﴾. وهذا معنى قول مجاهد: «أوتيته على شرف»﴿٥﴾.

= المصنف بهذه الترجمة بيان أن زعم الإنسان استحقاقه ما حصل له من النعم بعد الضراء مناف لكمال التوحيد. اهـ.

حاشية ابن قاسم (٣٢٤)، التيسير (٤٨٨)، فتح الحميد (٤/ ١٦٨٠)، القول السديد (١١٥)، القول المفيد (٢/ ٢٠٢)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٨٨).

﴿١﴾ أخرجه: ابن جرير «التفسير» (٢١/ ٤٩١)، من ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وسنده صحيح. وذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم بلفظ: «بعلمي». قال ابن حجر: وصله الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا؛ ولكن لفظه بعملي بتقديم الميم على اللام وهو الأشبه. وأثر مجاهد سنده صحيح، وقد سكت عليه ابن حجر في الفتح. وسكوته تقوية للحديث عنده. قال ابن حجر: فإذا تحررت هذه الفصول وتقررت هذه الأصول افتتحت شرح الكتاب مستعيناً بالفتاح الوهاب، فأسوق إن شاء الله تعالى الباب وحديثه أولاً ثم أذكر وجه المناسبة بينهما إن كانت خفية، ثم أستخرج ثانياً ما يتعلق به غرض صحيح في ذلك الحديث من الفوائد المتنية والإسنادية من تتمات وزيادات وكشف غامض وتصريح مدلس بسماع ومتابعة سامع من شيخ اختلط قبل ذلك منتزعاً كل ذلك من أمهات المسانيد والجوامع والمستخرجات والأجزاء والفوائد بشرط الصحة أو الحسن فيما أورده من ذلك. اهـ. هدي الساري (٤)، الفتح (٨/ ٥٦٠).

﴿٢﴾ تفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٣).

﴿٣﴾ أخرجه: ابن جرير الطبري «التفسير» (١٩/ ٦٢٦)، من طريق أبي سفيان، عن معمر، عن قَتادة قال: على خُبْرٍ عندي. تفسير القرطبي (١٣/ ٣١٥)، تفسير ابن الجوزي (٦/ ٢٤٢)، تفسير الشوكاني (٤/ ١٨٧).

﴿٤﴾ المحرر الوجيز (٤/ ٦٠٤).

﴿٥﴾ تفسير مجاهد (٢/ ٥٥٩)، الدر المنثور (٧/ ٢٣٤). وقال عبد الرحمٰن بن حسن: وليس بين ما ذكروه اختلاف؛ وإنما هو أفراد المعنى. اهـ. قرة عيون الموحدين (٤٠٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملَكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ فأعطي ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل. فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا. فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلوغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر[1]. فقال: إن كنت كاذباً

---

[1] قال ابن القيم (ت٧٥١): وهذا حال أكثر الناس لا يعترف بما كان عليه أولاً من نقص أو جهل وفقر وذنوب، وأن الله سبحانه نقله من ذلك إلى ضد ما كان عليه، وأنعم عليه.اهـ. شفاء العليل (٨١). وقال ـ في جاحدي النعم ـ: وقد أحاطت به من كل جانب، وهو يشتكي حاله، ويسخط مما هو فيه، وربما أنكر النعمة، فضلال النفوس وغيها لا حدّ لها تنتهي إليه.اهـ. شفاء العليل (٤٣١).

فصيَّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[١].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية. **الثانية**: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾[٢]. **الثالثة**: ما معنى قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[٣]. **الرابعة**: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة[٤].

﴿١﴾ أخرجه: البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤)، من طريق همام، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، عقوبة من نسب النعمة لنفسه، قال صالح آل الشيخ: إن الله ـ جل وعلا ـ عافى هؤلاء الثلاثة في أبدانهم، ورزقهم من فضله، ثم نسب اثنان منهم النعمة إلى أنفسهم، وثالث نسبها إلى الله، فجزى الله الأخير خيراً، وأدام عليه النعمة، ورضي عنه، وعاقب الآخرين، وسخط عليهما. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٩١).

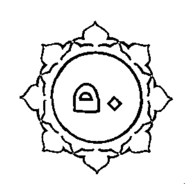
﴿٢﴾ أي: هذا بعملي وأنا محقوق به. التوضيح المفيد (٢١٤).

﴿٣﴾ أي: على علم مني بوجوه المكاسب. التوضيح المفيد (٢١٤).

﴿٤﴾ أي: قصة الثلاثة، فإن الأولين جحدا نعمة الله فحل عليهما ما حل من سخط الله، والثالث اعترف بنعمة الله وشكرها فحصل له رضا الله عز وجل عنه. التوضيح المفيد (٢١٤). قال ابن القيم: فأظهر الابتلاء حقائقهم التي كانت في علمه قبل أن يخلقهم، فأما الأعمى فاعترف بأنعام الله عليه وأنه أعمى فقيراً فأعطاه الله =

. . . .

= البصر والغنى وبذل للسائل ما طلبه شكراً لله، وأما الأقرع والأبرص فكلاهما جحدا ما كان عليه قبل ذلك من سوء الحال والفقر، وقال في الغنى: إنما أوتيته كابراً عن كابر وهذا حال أكثر الناس لا يعترف بما كان عليه أولاً من نقص أو جهل وفقر وذنوب، وأن الله سبحانه نقله من ذلك إلى ضد ما كان عليه وأنعم بذلك عليه. شفاء العليل (١/ ٣٦).



باب: قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٩٠﴾ [الأعراف]

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية: «قال: لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرنَيْ أيلٍ، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمِّياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمَّياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾». رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته».

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله قال: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا

صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] «أشفقا أن لا يكون إنساناً». وذكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تحريم كل اسم معبّد لغير الله. **الثانية:** تفسير الآية. **الثالثة:** أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها. **الرابعة:** أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم. **الخامسة:** ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.





٥٠ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف]﴿١﴾

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة﴿٢﴾، وما أشبه ذلك حاشا﴿٣﴾ ....

﴿١﴾ **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من الإشرك في أسماء الله أن يُعبَّد اسم الولد لغير الله؛ لأن من عبّد اسم المولود لغير أسماء الله، فقد سوى المخلوق بالخالق.

علاقة الباب بما قبله من الأبواب: لما بيَّن المصنف أن من تمام تحقيق صفة الإنعام لله أن تنسب النعم له ويشكر عليها، بيَّن في هذا الباب أن من تمام إثبات صفة الإنعام ألا تستعمل في معصيته وطاعة غيره. القول السديد (١١٨)، شرح فتح المجيد «للغنيمان».

﴿٢﴾ قال صالح آل الشيخ: وقد يصل ذلك ـ تعبيد الولد لغير الله ـ إلى حد الشرك الأكبر، إذا عبد الولد لولي أو لعبد صالح، وهو يعني حقيقة العبودية التي هي أن هذا عبد لذاك؛ لأن ذاك إله. كمن يعبد لبعض المشايخ، فيقول: عبد السيد، ويعنون به: السيد البدوي، ويقولون: عبد زينب، وعبد علي، وعبد عمرو، ونحو ذلك من الأسماء التي فيها اعتقادات.اهـ. التمهيد (٤٩٦).

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): يحتمل أن مراده حكاية الخلاف فيه، ويكون التقدير: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله حاشا عبد المطلب؛ أي فإنهم لم يتفقوا على تحريمه بل اختلفوا، وعلى تقدير أن مراده حكاية الإجماع من جواز ذلك فليس كل من حكى إجماعاً يسلم له، ولا كل إجماع يكون حجة أيضاً.اهـ. ومما يؤيد أن مراد ابن حزم أن اسم عبد المطلب فيه خلاف ما جاء عنه من حكاية الإجماع في مسائل ثم يستثني شيئاً منها، ومن ذلك قوله: اتفقوا على =

عبد المطلب﴿١﴾.

وعن ابن عباس في الآية: «قال: لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرنَيْ أيلٍ، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمِّياه عبد الحارث. فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت فأتاهما فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمَّياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾». رواه ابن أبي حاتم﴿٢﴾.

= أن أكل النجاسة وشربها حرام حاشا النبيذ المسكر. وقوله: أجمعوا أنه لا يجوز وضوء بشيء من المائعات وغيرها حاشا الماء والنبيذ.

﴿١﴾ مراتب الإجماع لابن حزم (١٥٤).

علاقته بالباب، فيه بيان تحريم كل اسم معبد لغير الله.

﴿٢﴾ **أخرجه**: ابن أبي حاتم (٦/ ٣١٠)، من طريق شريك (ضعيف)، عن خُصيف بن عبد الرحمٰن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وأخرجه: ابن جرير «التفسير» (٦/ ١٤٤)، من طريق محمد بن حميد (ضعيف)، عن ابن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس..

وأخرجه: الطبري «التفسير» (١٣/ ٣١٠)، من طريق محمد بن سعد العوفي قال: حدثني أبي «سعد بن محمد» قال: حدثني عمي «الحسين بن الحسن» قال: حدثني أبي «الحسن بن عطية»، عن أبيه «عطية بن سعد»، عن ابن عباس، وفيه العوفي وهو لين الحديث، وسعد بن محمد ضعيف، والحسين بن الحسن ضعيف، والحسن بن عطية متفق على ضعفه، وعطية بن سعد ضعيف مدلس.

وأخرجه: الطبري (١٣/ ٣١١)، من طريق الحسين بن داود، عن حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس. وفيه الحسين بن داود ضعيف.

وأخرجه: ابن أبي حاتم «التفسير» (٦/ ٣٠٩)، من طريق سعيد بن بشير، عن عقبة، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أُبَي بن كعب. وصحح إسناده سليمان بن عبد الله.

وأخرجه: الطبري «التفسير» (١٣/ ٣١٠)، من طريق سليمان التيمي، عن =

....

= أبي العلاء بن الشخّير، عن سمرة بن جندب، قال: سمى آدمُ ابنه: «عبد الحارث». وقد صححه موقوفاً الإيجي، وسليمان بن عبد الله؛ ولكن أعل ابن كثير هذه الآثار؛ لأنها مما أُخذ من أهل الكتاب. وقد ذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم خليفة رئيس قسم التفسير بالأزهر أن ابن عباس رضي الله عنهما ثبت عنه الأخذ عن بني إسرائيل. وذكر على ذلك دليلين:

١ ـ ما ذكره غير واحد من الحفاظ عند ترجمتهم لكعب الأحبار من كون ابن عباس هو أحد الرواة عنه.

٢ ـ ما جاء عنه من الإسرائيليات، منها:

أ ـ قصة خاتم سليمان الذي أخذه الشيطان ودانت له الإنس والجن حتى زوجات سليمان.

ب ـ ما جاء عنه في شأن الملكين والمرأة التي مسخت فكانت كوكب الزهرة.

ونوقش: بما رواه البخاري (٧/ ١٧)، من طريق ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: هو من عند الله: ﴿لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ﴾ [البقرة: ٧٩]، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

وقد جاء هذا الأثر مرفوعاً عند أحمد (٥/ ١١)، والترمذي (٣٠٧٧)، من طريق عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بلفظ: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره».

وهو حديث معلول؛ لأمور:

١ ـ أن عمر بن إبراهيم مختلف في توثيقه، قال الدارقطني: لين يُترك، وهو ضعيف في قتادة كما قال أحمد، وابن حبان، والعقيلي، وابن عدي، وابن حجر، وقد تفرد به كما قال الترمذي وابن عدي.

٢ ـ أن سعيد بن أبي عروبة وهو من كبار أصحاب قتادة رواه عن قتادة قال: «ذكر لنا أن آدم كان لا يعيش له ولد...»، وتابع سعيد بن أبي عروبة معمر عند عبد الرزاق «التفسير» (٢/ ٢٤٥).

٣ ـ قال ابن كثير: إنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال =

وله بسند صحيح عن قتادة قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته»﴿١﴾.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: قال: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ «أشفقا أن لا يكون إنساناً»﴿٢﴾. وذكر معناه عن الحسن﴿٣﴾،

= ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب قال: سمى آدم ابنه عبد الحارث. اهـ. وقد تابع المعتمر إسماعيل ابن علية عند ابن جرير الطبري.

٤ ـ قال ابن كثير: إن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه. قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم. انظر تخريج أثر الحسن الآتي.

٥ ـ الكلام في سماع الحسن من سمرة؛ حيث لم يثبت سماعه شعبة، وابن حبان. وقال النسائي، والبزار، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن عساكر: لم يسمع منه إلا حديث العقيقة.

٦ ـ أن الترمذي، وابن عدي، والذهبي، وابن كثير استغربوا هذا الحديث.

المجروحين (٥/ ١٧٠)، الضعفاء للعقيلي (٣/ ١٤٦)، الكامل (٣/ ٢٩٨)، الكمال (٢١/ ٢٦٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٦، ٣٣٥)، الميزان (٥/ ٢١٦)، التهذيب (٨/ ٤٣٨)، جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٢٤٥)، التيسير (٥٣١، ٥٣٦)، مصطلحات علوم القرآن للقرعاوي (٧٩).

📖 **علاقته بالباب**، أن فيه تفسيراً للآية وبياناً لها.

﴿١﴾ أخرجه: ابن أبي حاتم «التفسير» (٦/ ٣١١)، يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: «جعلا له شركاء فيما آتاهما، فكان شركاً في طاعته، ولم يكن شركاً في عبادته». وإسناده صحيح.

علاقته بالباب، قال ابن قاسم: فيه أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها. اهـ. حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٣٣٥).

﴿٢﴾ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٣٠٧)، ابن يمان، عن سفيان، عن ابْن أبِي نجيح، عن مجاهد.

﴿٣﴾ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٣٠٨)، محمد بن عبد الأعلَى الصنعاني، =

وسعيد﴿١﴾، وغيرهما﴿٢﴾﴿٣﴾.

= عن محمد بن ثور، عن معمر، قال: وقال الحسن: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾، قال: غلاماً. ولفظه عند الطبري «التفسير» (١٣/ ٣١٥)، من طريق محمد بن عبد الأعلى، عن محمد بن ثور، عن معمر قال: قال الحسن: «عنى بهذا ذرية آدم، من أشرك منهم بعده». وإسناده صحيح كما قال ابن كثير؛ ولكن قال الإمام أحمد: «لم يسمع ـ معمر ـ من الحسن ولم يره، بينهما رجل ويقال إنه عمرو بن عبيد». اهـ. وكذلك قال ابن معين بأنه لم يسمع من الحسن. وأخرجه الطبري «التفسير» (١٣/ ٣١٥)، من طريق يزيد، عن سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا. وإسناده صحيح كما قال ابن كثير؛ لكن قال شعبة: كنت أعرف إذا جاء ما سمع قتادة مما لم يسمع، إذا جاء ما سمع يقول: حدثنا أنس بن مالك، وحدثنا الحسن، وحدثنا سعيد، وحدثنا مطرف، وإذا جاء ما لم يسمع يقول: قال سعيد بن جبير، قال أبو قلابة. اهـ. وأخرجه ابن جرير: من طريق عمرو بن عبيد، عن الحسن قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم. وفيه عمرو بن عبيد، قال ابن عون: عمرو بن عبيد يكذب على الحسن.

سؤالات ابن الجنيد لابن معين رقم (٦٣٩)، الكامل (٥/ ١٠١)، المعرفة والتاريخ «للفسوي» (٣/ ٢٠٩)، العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٢٤٢)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٥١٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٥)، الجرح والتعديل (٦/ ٢٤٦)، تهذيب الكمال (٢٢/ ١٢٣)، جامع التحصيل في أحكام المراسيل «للعلائي» (٢٨٣).

﴿١﴾ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٣٠٧)، عبيد الله بن محمد، عن عبد الواحد، عن سالم بن أَبِي حفصة، قَال: سمعت سعيد بن جبير.

﴿٢﴾ تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ٣٠٧)، تفسير ابن جرير الطبري (١٣/ ٢٠٨).

﴿٣﴾ اختلف أهل العلم بالمراد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ على قولين:

القول الأول: أن المعني به آدم وحواء، وهو قول سمرة بن جندب (٥٨هـ)، وابن عباس (٦٨هـ)، وسعيد بن جبير (٩٥هـ)، وعبد الرحمٰن بن أسلم (٨٢هـ)، وعكرمة (١٠٤هـ)، ومجاهد (١٠٤هـ)، وبكر بن عبد الله المزني (١٠٦هـ)، وابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، وأبي المظفر السمعاني (٤٨٩هـ)، والبغوي (٥١٦هـ)، وابن عطية (٥٤١هـ)، وابن الجوزي (٥٩٧هـ)، والسيوطي (٩١١هـ)، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ)، وسليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، والألوسي (١٢٧٠هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وصديق حسن خان (١٣٧٠هـ)، =

. . . .

= وسليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وذكر ابن جرير أن هذا إجماع لأهل التأويل، ونسبه ابن الجوزي للجمهور. واستدلوا:

أ ـ بحديث سمرة بن جندب. ونوقش: بأن الحديث ضعيف.

ب ـ أن هذا مروي عن سمرة، وأُبي بن كعب، وابن عباس، وهذا لا يقال بالرأي، فلها حكم الرفع.

ت ـ أن ابن جرير حكى إجماع أهل التأويل على ذلك. ونوقش: بأن أبا إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين، وابن قدامة ذكروا أن ابن جرير يرى أن الإجماع ينعقد بقبول الأكثرين ولا يعتد بمخالفة الواحد والاثنين ويعده شذوذاً.

القول الثاني: أن المعنيّ به غير آدم وحواء، حيث ذهب الحسن (١١٠هـ)، وابن حزم (٤٥٦هـ)، والزمخشري (٥٢٨هـ)، وأبو عبد الله القرطبي (٦٦٧هـ)، والنسفي (٧١٠هـ)، وابن جزي (٧٥٧هـ)، وابن القيم (٧٥١هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ)، والثعالبي، وأبو السعود (٩٨٢هـ)، والمباركفوري (١٣٢٧هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ)، والشنقيطي (١٣٩٣هـ) إلى أن أول الكلام في آدم وحواء وآخرها في أولادهما من المشركين، فهو من باب الانتقال من النوع إلى الجنس. وذهب النحاس (٣٣٨هـ)، والقفال (٥٣٦هـ)، وابن حزم (٤٥٦هـ)، وابن العربي (٥٤٣هـ)، وابن المنير، والقاسمي، وابن عثيمين إلى أن الآيات كلها في بني آدم وليس فيها تعرض لآدم وحواء. واستدلوا:

أ ـ أن الأنبياء معصومون من الشرك بالإجماع، كما قال ابن جزي. ونوقش: قال البغوي: جعلا له شريكاً إذ سمياه عبد الحارث، ولم يكن هذا إشراكاً في العبادة ولا أن الحارث ربهما، فإن آدم كان نبياً معصوماً من الشرك، ولكن قصد إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك، كما يطلق اسم الرب على ما لا يراد به أنه معبود هذا، كالرجل إذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف، على وجه الخضوع لا على أن الضيف ربه، ويقول للغير: أنا عبدك. وقال يوسف لعزيز مصر: إنه ربي، ولم يرد به أنه معبوده، كذلك هذا.اهـ. قال صالح آل الشيخ: والإشكال الذي أورده بعض أهل التفسير من المتأخرين، وهو أن آدم وحواء جعلا لله شركاء، وهذا نص الآية لا يمنع؛ لأن التشريك هنا تشريك فيما يدل عليه المعنى اللغوي، وليس شركاً أصغر، ولا شركاً أعظم، وحاشاهما من ذلك، وإنما هو تشريك في الطاعة، كما قال ـ جل وعلا ـ: =

. . . .

= ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان]، وكما قال أيضاً في الآية الأخرى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، فكل من جعل هواه متبعاً فقد جعله مطاعاً، وهذا نوع تأليه، لكن لا يقال: عبد غير الله، أو ألَّه غير الله، أو أشرك بالله ـ جل وعلا ـ لكن هو نوع تشريك، فكل طاعة للشيطان أو للهوى فيها هذا النوع من التشريك، إذ الواجب على العبد أن يعظم الله ـ جل وعلا ـ وأن لا يطيع إلا أمره ـ جل وعلا ـ وأمر رسوله ﷺ.اهـ. ونوقش: بأن الألفاظ في الأصل تحمل على الحقيقة الشرعية، فالشرك هنا هو الشرك الشرعي لا اللغوي.

ب ـ أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة، فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية، ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى.

ت ـ أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: «أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة»، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء.

ث ـ أن الله تعالى أسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]؛ أي: بتصويرنا لأبيكم آدم، بدليل قوله بعده: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾.

ج ـ قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء؛ لقال: عما يشركان. ونوقش: قال سليمان بن عبد الله: وقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا والله أعلم عائد إلى المشركين من القدرية فاستطرد من ذلك الشخص إلى الجنس وله نظائر في القرآن.اهـ. وبهذا أجاب ابن جرير، والسيوطي. ويدل عليه ما جاء عند ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٣)، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «ما أشرك آدم، إن أولها شكر، وآخرها مثل ضربه الله لمن بعده». وقال ابن عطية: وجاء الضمير في «يشركون» ضمير جمع؛ لأن إبليس مدبر معهما تسمية الولد عبد الحارث.

ح ـ الاستطراد في الآيات التي بعد هذه الآيات في وصف حال مشركي العرب.

الكشاف (٢/ ١٨٠)، تفسير ابن جرير (٦/ ١٤٧)، المحرر الوجيز (٢/ ٤٨٧)، زاد المسير (٣/ ٢٣١)، تفسير البغوي (٣/ ٣١٣)، أحكام القرآن «لابن عربي» (٢/ ٢٨٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣١٦)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٦)، روح المعاني =

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبَّد لغير الله﴿١﴾. **الثانية**: تفسير الآية. **الثالثة**: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها﴿٢﴾. **الرابعة**: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم. **الخامسة**: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة﴿٣﴾.

= (٩/ ١٨٩)، محاسن التأويل (٥/ ٢٣٥)، تحفة الأحوذي (٨/ ٣٦٧)، فتح البيان «لصديق حسن» (٥/ ١٠٠)، التيسير (٥٣١)، روح المعاني (٥/ ١٣٩)، فتح المجيد (٤٣٤)، أضواء البيان (٢/ ٣٤٠)، تفسير السعدي (٤٨٩)، القول المفيد (٢/ ٣٠٩)، التمهيد (٤٩٧)، الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم «للقصير» (٦٠٧).

﴿١﴾ وقد نقل الاتفاق عليه ابن حزم، وأما التسمية بعبد المطلب، فللعلماء قولان فيه:

القول الأول: الجواز، لقول النبي ﷺ: «**أنا ابن عبد المطلب**» وفي هذا إقرار من النبي ﷺ لهذا الاسم. ونوقش: أن هذا من باب الإخبار وليس من باب الإقرار والإنشاء، كما قال ابن القيم. وأن عبد المطلب ليس من باب التسمية وإنما هو وصف بأنه عبدٌ للمطلب، قال ابن رجب: قيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب بن عبد مناف قدم به من المدينة على مكة، فقالت قريش: هذا عبد المطلب. فقال: ويحكم؛ إنما هو ابن أخي شيبة بن عمرو. اهـ. الفتح «لابن رجب» (١/ ١٦٥).

القول الثاني: عدم الجواز، وبه قال سليمان بن عبد الله، وابن عثيمين، لدخوله بالقياس فيما نقله ابن حزم. التيسير (٥٣٥).

﴿٢﴾ وأتى المؤلف بالبنت دون الولد؛ لأن بعض الناس يرون أن هبة البنت من النقم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل]. القول المفيد (٢/ ٣١٢).

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): قوله ـ أي: قتادة ـ: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته؛ أي: لكونهما أطاعاه في التسمية بعبد الحارث، لا أنهما عبداه فهو دليل على الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة. قال بعضهم: تفسير قتادة في هذه الآية بالطاعة؛ لأن المراد بها على كلام كثير من المفسرين آدم =

. . . .

= وحواء ﷺ، فناسب تفسيرها بالطاعة؛ لأنهما أطاعا الشيطان في تسمية الولد بعبد الحارث. وقد استشكله بعض المعاصرين بما حاصله أنهم قد فسروا العبادة بالطاعة، فيلزم على قول قتادة أن يكون الشرك في العبادة. والجواب: أن تفسير العبادة بالطاعة من التفسير اللازم، فإنه لازم العبادة أن يكون العابد مطيعاً لمن عبده بها، فلذا فسرت بالطاعة. أو يقال: هو من التفسير بالملزوم وإرادة اللازم؛ أي: لما كانت الطاعة ملزوماً للعبادة، والعبادة لازمة لها، فلا تحصل إلا بالطاعة، جاز تفسيرها بذلك وهو أصح. وبالجملة فلا إشكال في ذلك بحمد الله.اهـ. التيسير (٥٣١، ٥٣٧). لكن الفرق ثابت بين العبادة والطاعة، **ولعل مما يجلي الفرق بين العبادة والطاعة:**

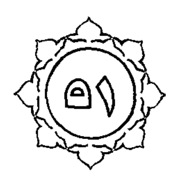
أن العبادة غاية الحب وغاية الذل، بخلاف الطاعة، فقد تكون مجرد خضوع في الظاهر فحسب. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اسم العبادة يتناول غاية الحب بغاية الذل، وهكذا الدين الذي يدين به الناس في الباطن والظاهر لا بد فيه من الحب والخضوع، بخلاف طاعتهم للملوك ونحوهم، فإنها خضوعاً ظاهراً فقط.اهـ. جامع المسائل (٢/ ٢١٩). كما أن العبادة حق لله تعالى وحده لا شريك له، وأما جنس الطاعة فهي لله ورسله ﷺ. قال ابن باز (١٤٢٠هـ): أن الطاعة أوسع من العبادة، فكل عبادة لله موافقة لشريعته تسمى طاعة، وليس كل طاعة بالنسبة إلى غير الله تسمى عبادة، بل في ذلك تفصيل؛ أما بالنسبة إلى الله سبحانه فهي عبادة له لمن أراد بها وجهه، لكن قد تكون صحيحة وقد تكون فاسدة على حسب اشتمالها على الشروط المرعية في العبادة وتخلف بعض الشروط عنها.

ومما يزيد الأمر وضوحاً أن من أطاع الله في بعض الأمور وهو متلبس بالشرك يستحق أن تنفي عنه العبادة. كما قال الله سبحانه في حق المشركين: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾، فنفى عنهم العبادة من أجل شركهم، ومعلوم أنهم يعبدون الله في الشدة بالتوحيد وبالحج والعمرة وبالصدقات في بعض الأحيان ونحو ذلك. ولكن لما كانت هذه العبادة مشوبة بالشرك في الرخاء وعدم الإيمان بالآخرة إلى غير ذلك من أنواع الكفر جاز أن تنفى عن أصحابها. ومما يزيد الأمر بياناً أيضاً أن من أطاع الأمراء وغيرهم في معاصي الله لا يسمى عابداً لهم إذا لم يعتقد جواز طاعتهم فيما يخالف شرع الله، وإنما أطاعهم خوفاً من شرهم أو اتباعاً للهوى، وهو يعلم أنه عاصٍ لله في ذلك، فإن مثل هذا يعتبر عاصياً بهذه الطاعة ولا يعتبر مشركاً إذا =

. . . .

= كانت الطاعة في غيرالأمور الشركية، كما لو أطاعهم في ضرب أحد بغير حق، أو قتل أحد بغير حق، أو أخذ مال بغير حق، ونحو ذلك، والأمثلة في هذا الباب كثيرة. اهـ.

مجموع فتاوى ابن باز (٥/ ١٧). وانظر: السبعينية (٥٠٣ ـ ٥٠٧)، التدمرية (١١٩)، قاعدة في المحبة (٣٢)، التعليق على فتح المجيد لـ«عبد العزيز العبد اللطيف» (٤٨).



باب: قول الله تعالى:

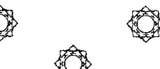
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾

[الأعراف: ١٨٠]

ذكر ابن أبي حاتم، عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾، يشركون». وعنه: «سمُّوا اللَّات من الإلـٰه، والعزَّى من العزيز». وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: إثبات الأسماء. الثانية: كونها حسنى. الثالثة: الأمر بدعائه بها. الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين. الخامسة: تفسير الإلحاد فيها. السادسة: وعيد من ألحد.





الشرح

٥١ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]﴿١﴾

....

﴿١﴾ **علاقته بكتاب التوحيد**: أن أسماء الله حسنى وقد بلغت الغاية في الحسن؛ فتسمية الله بأسماء المخلوقين، وتسمية المخلوقين بأسماء الله كما يفعله المشركون حيث سموا اللات من الإلٰه، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، من الإلحاد والإشراك في أسمائه. قال ابن عثيمين: قول ابن عباس: «يشركون». تفسير للإلحاد، ويتضمن الإشراك بها من جهتين. .أو يشتقوا منها أسماء للأصنام. القول المفيد (٢/ ٣١٩).

قال ابن القيم:

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإ ... شراك والتعطيل والنكران
فالملحدون إذا ثلاث طوائف ... فعليهم غضب من الرحمٰن
المشركون لأنهم سموا بها ... أوثانهم قالوا إلٰه ثان
هم شبهوا المخلوق بالخلاق ... عكس مشبه الخلاق بالإنسان
وكذاك أهل الاتحاد فإنهم ... إخوانهم من أقرب الإخوان
أعطوا الوجود جميعه أسماءه ... إذ كان عين الله ذي السلطان
والمشركون أقل شركاً منهم ... هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذاك كانوا أهل شرك عندهم ... لو عمموا ما كان من كفران

علاقة الباب بالباب السابق: البابان في الإلحاد في أسماء الله وصفاته من حيث التسمية بها؛ فالباب السابق في تعبيد اسم الولد لغير أسماء الله، وهذا الباب في تسمية المعبودات بشيء من أسماء الله.

شرح القصيدة النونية (٢/ ٢٥١)، فتح الحميد (٤/ ١٨٣٣)، القول السديد =

ذكر ابن أبي حاتم، عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، يشركون»﴿١﴾﴿٢﴾. وعنه: «سمُّوا اللات من الإلـٰه، والعزَّى من العزيز»﴿٣﴾. **وعن الأعمش:** «يدخلون فيها ما ليس منها»﴿٤﴾.

= (١٦٢)، القول المفيد (٢/ ٣٢٠)، إعانة المستفيد (٣/ ٣٧١)، الجديد في شرح التوحيد (٢٩٢).

﴿١﴾ قول ابن عباس: «يشركون». تفسير للإلحاد، ويتضمن الإشراك بها من جهتين:

١) أن يجعلوها دالة على المماثلة.

٢) أو يشتقوا منها أسماء للأصنام؛ كما في الرواية الثانية عن ابن عباس التي ذكرها المؤلف، فمن جعلها دالة على المماثلة؛ فقد أشرك لأنه جعل لله مثيلاً، ومن أخذ منها أسماء لأصنامه؛ فقد أشرك لأنه جعل مسمَّيات هذه الأسماء مشاركة لله ﷻ. القول المفيد (٢/ ٣١٩).

﴿٢﴾ ابن أبي حاتم (٦/ ٢٩١)، من طريق المثنى، عن أبي صالح «عبد الله بن صالح»، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، بلفظ: «الذين يلحدون في أسمائه»، التكذيب. ولفظ المؤلف جاء عن قتادة عند ابن أبي حاتم «التفسير» (٦/ ٢٩٢)، من حديث محمد بن عبد الأعلى، عن محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة.

﴿٣﴾ ابن أبي حاتم «التفسير» (٦/ ٢٩٢)، وابن جرير (١٣/ ٢٨٢)، من طريق محمد بن سعد العوفي، فيما كتب إلي، ثنا أبي، حدثني عمي الحسين، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، قال: الإلحاد، الملحدين أن دعوا اللات والعزى في أسماء الله ﷻ. ورواه ابن جرير «التفسير» (١٠/ ٥٩٧)، من طريق الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، قال: اشتقوا «العزى» من «العزيز»، واشتقوا «اللات» من «الله».

﴿٤﴾ قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): أي يدخلون في أسماء الله ما لم يسم بها نفسه، ولم يسمه بها رسوله ﷺ كتسمية اللات من الإلـٰه ونحوه.اهـ. ذكر عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ) أن الإلحاد نوعان: **أحدهما**: إلحاد المشركين، بإطلاقها على الأصنام التي يعبدونها من دون الله، واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله.
والثاني: إلحاد أهل التعطيل والتشبيه الذي يعطلونها عن معانيها أو ينفونها بالكلية =

....

= أو يشبهونها بمخلوقاته. ثم قال: وهذا القول ـ كلام الأعمش ـ عام يدخل في النوعين المتقدمين، فإن المشركين والمشبهين قد أدخلوا فيها ما ليس منها. فتح الحميد (٤/ ١٨٣٧)، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٣٤٠).

📖 رواه ابن أبي حاتم «التفسير» (٦/ ٢٩١)، من طريق مبشر بن عبيد القرشي عن الأعمش.

📖 ذكر ابن القيم (٧٥١هـ) أن الإلحاد في أسماء الله هو: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها. وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته «ل ح د» فمنه اللحد، وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل. اهـ. وهو خمسة أنواع: قال ابن القيم:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلـٰهية والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئاً عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

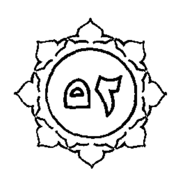
وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً. اهـ. =

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء. **الثانية**: كونها حسنى. **الثالثة**: الأمر بدعائه بها. **الرابعة**: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين. **الخامسة**: تفسير الإلحاد فيها. **السادسة**: وعيد من ألحد.

۞ ۞ ۞

= تفسير ابن جرير (٩/ ١٣٣)، تفسير الخازن (٢/ ٢٧٦)، تفسير القرطبي (٧/ ٣٢٨)، بدائع الفوائد (٢/ ٢٨٥).



باب: لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ: لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام».

❍ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير السلام. الثانية: أنه تحية. الثالثة: أنها لا تصلح لله. الرابعة: العلة في ذلك. الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.







٥٢ ـ باب: لا يقال: السلام على الله ﴿١﴾

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان،

﴿١﴾ **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من تعظيم أسماء الله وصفاته عدم قول السلام على الله؛ لأن قول السلام على الله يوهم فيه تنقص لله وتشبيه له بالمخلوق؛ لأن السلام، إما أن يلقى تحية، وإما أنه يطلب السلامة للمسلم عليه، أو أنه يخبره بأنه سلم له؛ أي: مسالم له، وأنه لا يناله منه مكروه، وكل هذا لا يليق بالله الذي له الأسماء الحسنى، ولا يليق إلا بالمخلوق. قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): بما أن صفاته عليا كاملة كما أن أسماءه حسنى، والدليل على أن صفاته عليا قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الروم: ٢٧]، والمثل الأعلى: الوصف الأكمل، فإذا قلنا: السلام على الله أوهم ذلك أن الله سبحانه قد يلحقه النقص، وهذا ينافي كمال صفاته.اهـ.

علاقة الباب بالذي قبله: قال ابن عثيمين: بما أن موضوع الباب الذي قبله إثبات الأسماء الحسنى لله، المتضمنة لصفاته، وموضوع هذا الباب سلامة صفاته من كل نقص، وهذا يتضمن كمالها؛ إذ لا يتم الكمال إلا بإثبات صفات الكمال ونفي ما يضادها، فإنك لو قلت: زيد فاضل أثبت له الفضل، وجاز أن يلحقه نقص، وإذا قلت: زيد فاضل ولم يسلك شيئاً من طرق السفول؛ فالآن أثبت له الفضل المطلق في هذه الصفة. والرب ﷻ يتصف بصفات الكمال، ولكنه إذا ذكر ما يضاد تلك الصفة صار ذلك أكمل، ولهذا أعقب المؤلف رحمه الله الباب السابق بهذا الباب إشارة إلى أن الأسماء الحسنى والصفات العلى لا يلحقها نقص.اهـ. القول السديد (١٦٣)، القول المفيد (٢/ ٣٢٥).

فقال النبي ﷺ: **لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام**»﴿١﴾.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام﴿٢﴾. **الثانية**: أنه تحية. **الثالثة**: أنها لا تصلح لله﴿٣﴾. ....

﴿١﴾ أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)، من حديث الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود رضي الله عنه. وليس هناك لفظ: قلنا السلام على الله من عباده، ولكن هناك لفظ للبخاري: قلنا السلام على الله قبل عباده.

علاقة الحديث بالباب، أن فيه النهي عن قول: السلام على الله، كما قال عبد الرحمٰن بن حسن. قرة عيون الموحدين (٤٢٣)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٦٦).

﴿٢﴾ **أولاً**: باعتبار أنه اسم من أسماء الله: فالسلام هو السالم من كل نقص وعيب.

ثانياً: باعتبار أنه تحية فله معنيان:

الأول: بتقدير مضاف؛ أي: اسم السلام عليك؛ أي: اسم الله الذي هو السلام عليك.

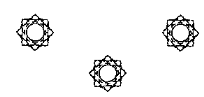
الثاني: أن السلام بمعنى التسليم اسم مصدر كالكلام بمعنى التكليم؛ أي: تخبر خبراً يراد به الدعاء؛ أي: أسأل الله أن يسلمك تسليماً.

التيسير (٥٥١)، القول المفيد (٢/ ٣٢٧)، التمهيد (٥١٣).

﴿٣﴾ ذهب إلى تحريم هذا القول ابن تيمية، وابن عثيمين. قال شيخ الإسلام: حديث ابن مسعود حديث التشهد المستفيض: «أنه قال كنا نقول في الصلاة: السلام على الله من عباده السلام على جبريل وميكائيل السلام على فلان وفلان. فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك. وقال: إن الله هو السلام»، ولم يأمرهم بإعادة الصلوات التي قالوا ذلك فيها مع أن هذا الكلام حرام في نفسه فإنه لا يجوز أن يدعى لله بالسلام بل هو المدعو ولما كانوا جهالاً بتحريم ذلك لم يأمرهم بالإعادة. اهـ. الفتاوى (٢١/ ١٦٢).

وقال رحمه الله: أشار بذلك إلى أن «السلام» إنما يطلب لمن يحتاج إليه، والله هو «السلام» فالسلام يطلب منه لا يطلب له، وأما المخلوق فيطلب له. اهـ. الفتاوى (١٠/ ٥٥٥). وقال ابن رجب (٧٩٥هـ): أما السلام على الله فهو كلام غير جائز، =

الرابعة: العلة في ذلك﴿١﴾. **الخامسة**: تعليمهم التحية التي تصلح لله﴿٢﴾.



= ولهذا قال لهم النبي ﷺ: «**لا تقولوا: السلام على الله**».اهـ. الفتح (٩/ ٣٠٤). القول المفيد (٢/ ٣٢٥)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥١٢).

﴿١﴾ أ ـ إذا دعوت الله أن يسلم نفسه فقد خالفت الحقيقة؛ لأن الله يدعى ولا يدعى له، فهو غني عنا، لكن يثنى عليه بصفات الكمال مثل: غفور، سميع، عليم.

ب ـ أن مثل هذا الدعاء يوهم النقص في حقه، فتدعو الله أن يسلم نفسه من ذلك؛ إذ لا يدعى لشيء بالسلام من شيء إلا إذا كان قابلاً أن يتصف به، والله ـ سبحانه ـ منزه عن صفات النقص. بدائع الفوائد (٢/ ١٤٠)، القول المفيد (٢/ ٣٢٤).

﴿٢﴾ وتؤخذ من تكملة الحديث: «**فإذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله...**». القول المفيد (٢/ ٣٢٨).

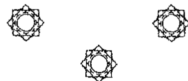


باب: قول: اللَّهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللَّهم اغفر لي إن شئت، اللَّهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له». ولمسلم: «وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

○ فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء. الثانية: بيان العلة في ذلك. الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة». الرابعة: إعظام الرغبة. الخامسة: التعليل لهذا الأمر.







الشرح

٥٣ ـ باب: قول: اللَّهم اغفر لي إن شئت﴿١﴾

. . . .

﴿١﴾ **علاقته بكتاب التوحيد**: أن من تمام توحيد الأسماء والصفات عدم قول الداعي: «اللَّهم اغفر لي إن شئت»؛ لأنه يوهم أن الداعي يرى أن الله ـ جل وعلا ـ قد يجيب وهو مكره، وهذا فيه قدح في كمال سلطان الله وجوده وغناه. ويدل على تشبيه الله ﷻ بالمخلوق؛ لأن الذي يجيب وهو كاره ويشق عليه هو المخلوق؛ وذلك لنقص سلطانه وغناه.

قال ابن عثيمين: مناسبة الباب للتوحيد من وجهين:

١ ـ **من جهة الربوبية**، فإن من أتى بما يشعر بأن الله له مكره لم يقم بتمام ربوبيته تعالى؛ لأن من تمام الربوبية أنه لا مكره له، بل إنه لا يسأل عما يفعل؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء]، وكذلك فيه نقص من ناحية الربوبية من جهة أخرى، وهو أن الله يتعاظم الأشياء التي يعطيها؛ فكان فيه قدح في جوده وكرمه.

٢ ـ **من ناحية العبد**؛ فإنه يشعر باستغنائه عن ربه، وهذا نقص في توحيد الإنسان، سواء من جهة الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات، ولهذا ذكره المصنف في الباب الذي يتعلق بالأسماء والصفات.اهـ. وقال الفوزان: الذي يدعو الله إذا علقه بالمشيئة تضمن ذلك أمرين: . . . والأمر الثاني: كأنه يرى بأن الله جل وعلا قد يجيب الدعاء وهو كاره، فـ«إن شئت»؛ معناه: أنا لست ملزماً لك، أخشى أن يشق عليك، لكن إن شئت اغفر لي وارحمني، وهذا لا يليق بالله ﷻ لأنه تنقص له.اهـ. القول المفيد (٢/ ٣٣٠).

علاقته بما قبله: لما ذكر المصنف أن النهي عن قول: «السلام على الله» من أجل احترام أسماء الله وصفاتِه ونفي النقص عنها، ومن أجل سدّ الطّرق التي تُفضي =

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللَّهم اغفر لي إن شئت، اللَّهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له﴿١﴾»﴿٢﴾. ولمسلم: «وليعظم الرغبة﴿٣﴾، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»﴿٤﴾.

= إلى الشرك، وذلك: بتجنُّب الألفاظ الموهمة التي قد يُفهم منها شيءٌ من تشبيه المخلوق بالخالق، ذكر المصنف في هذا الباب قولاً آخر منهي عنه وهو قول: «اللَّهم اغفر لي إن شئت»، من أجل احترام وتعظيم أسماء الله وصفاته، ومن أجل سد الطرق المفضية إلى الشرك بتجنب الألفاظ الموهمة التي قد يفهم منها الشرك وذلك بتشبيه الخالق بالمخلوق. التيسير (٥٥٢)، إعانة المستفيد (٣/ ٣٧٨).

﴿١﴾ وفي الحديث ردٌّ ظاهر على القدرية القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه، فلا يفتقر إلى إعانة الله، ولا أن يجعله فاعلاً، قال ابن تيمية ـ راداً تلك المقولة ـ:

ومعلوم بالعقول خلاف هذا والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، لكن المدح في هذا الكلام معناه أنه مطلق المشيئة لا معوق له إذا أراد شيئاً كما قال النبي ﷺ: «**لا يقولن أحدكم: اللَّهم اغفر لي إن شئت، اللَّهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له**». فبيَّن ﷺ أنه لا يفعل إلا بمشيئته ليس له مكره حتى يقال له افعل إن شئت ولا يفعل إن لم يشأ. فهو سبحانه إذا أراد شيئاً كان قادراً عليه لا يمنعه منه مانع.اهـ. الفتاوى (١٧/ ١٧٣).

﴿٢﴾ أخرجه: البخاري (٦٣٦٩)، من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهيَ عن تعليق طلب المغفرة من الله بالمشيئة، وبيانَ علة ذلك.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٦٩).

﴿٣﴾ يعني: الطلبة والحاجة التي يريد. وقيل: السؤال والطلب بتكرار الدعاء والإلحاح فيه، والأول أظهر؛ أي: لسعة جوده وكرمه. التيسير (٥٥٤).

﴿٤﴾ أخرجه: مسلم (٢٦٧٩)، من حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه. =

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء﴿١﴾. **الثانية**: بيان العلة في

= **علاقة الحديث بالباب،** أن فيه بيان علة أخرى لعدم قول: «**اللَّهم اغفر لي إن شئت**» وهي أن الله لا يتعاظمه شيء.

﴿١﴾ **أحوال تعليق المشيئة:**

الحال الأولى: تعليقها بالدعاء الذي فيه خطاب، كقول القائل: «**اللَّهم اغفر لي إن شئت**»؛ فهذا للعلماء فيه قولان:

القول الأول: التحريم، وبه قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وبكر أبو زيد (١٤٢٩هـ)، والفوزان؛ لقوله: «**لا يقل أحدكم: اللَّهم اغفر لي إن شئت**»، والنهي يقتضي التحريم.

القول الثاني: الكراهة، وبه قال النووي (٦٧٦هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ). وحمله النووي على الكراهة لحديث الاستخارة. فتح المجيد (٤٤١)، إعانة المستفيد (٣/ ٣٨٠).

الحال الثانية: تعليقها بالدعاء الذي فيه خطاب، كقول القائل: «رحمه الله إن شاء الله»، «غفر الله له إن شاء الله»، «الله يعطيه من المال كذا وكذا إن شاء الله»، قال صالح آل الشيخ: فهذا قالوا:

لا يدخل في هذا النوع ـ الدعاء الذي فيه خطاب ـ؛ لأنه ليس على وجه الخطاب، وليس على وجه الاستغناء، ولكن الأدب يقتضي ألا يستعمل هذه العبارة في الدعاء مطلقاً؛ لأنها وإن كانت ليست بمواجهة فإنها داخلة في تعليق الدعاء بالمشيئة، والله ـ جل وعلا ـ لا مكره له، فعموم المعنى المستفاد من قوله: «**فإن الله لا مكره له**» عموم هذا التعليل يشمل هذا وهذا، فلا شك أن قول: «**اللَّهم اغفر لي إن شئت**» أعظم، ولكن القول الآخر داخل أيضاً في علة النهي ومعنى النهي.اهـ. التمهيد (٥١٦).

الحال الثالثة: تعليقها بالخبر الذي يتضمن الدعاء، كقول: «طهور إن شاء الله» للمريض، فيجوز تعليقه بالمشيئة كما قال ابن عثيمين، وبكر أبو زيد؛ لأنه لم يأت على وجه الدعاء، وإنما هو من باب الإخبار. فتاوى ابن عثيمين (١/ ٥٦)، معجم المناهي اللفظية (١٣٩). ونوقش: بأن هذا القول من باب الدعاء: قال ابن حجر: وقوله: «طهور» هو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو طهور لك من ذنوبك؛ أي: =

ذلك﴿١﴾. **الثالثة**: قوله: «**ليعزم المسألة**»﴿٢﴾. **الرابعة**: إعظام الرغبة. **الخامسة**: التعليل لهذا الأمر.

= مطهرة، وقوله: «إن شاء الله» يدل على أن قوله: «طهور» دعاء لا خبر. الفتح (١٠/ ١٤٤). ولعل جواب العلامة السعدي (ت١٣٧٦) يزيل الإشكال، حيث فرق بين ما جاء في حديث الباب: «**لا يقولن اللَّهم اغفر لي إن شئت**»، وسؤال المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد، فلا يدرى العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها على ضرها، فالداعي يعلقها على اختيار ربّه الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرة ورحمة ولطفاً. القول السديد (١٦١).

الحال الرابعة: تعليقها بالخبر المحض للتبرك، كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، فهذا الحال لا يدخل في النهي.

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: وهي ثلاث علل:

١ ـ أنها تشعر بأن الله له مكره، والأمر ليس كذلك.

٢ ـ أنها تشعر بأن هذا أمر عظيم على الله، قد يثقل عليه ويعجز عنه، والأمر ليس كذلك.

٣ ـ أنها تشعر باستغناء الإنسان عن الله، وهذا غير لائق، وليس من الأدب.اهـ. القول المفيد (٢/ ٣٣٥)، التيسير (٥٥٣).

﴿٢﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): اعلم أن الحاجات التي يطلبها العبد من الله نوعان:

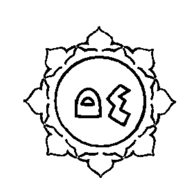
أحدهما: ما علم أنه خير محضاً؛ كسؤاله خشية الله وطاعته وتقواه، وسؤاله الجنة، والاستعاذة من النار، فهذا يطلب من الله بغير تردد ولا تعليق بالعلم بالمصلحة؛ لأنه خير محض ومصلحة خالصة. وكذلك لا يعلق لمشيئة الله؛ لأن الله يفعل ما يشاء ولا مكره له، فلا فائدة في تعليقه بمشيئة؛ ولكن ليعزم المسألة كما قال النبي ﷺ: «**لا يقل أحدكم: اللَّهم اغفر لي إن شئت...**».

النوع الثاني: ما لا يعلم هل هو خير للعبد أم لا، كالموت والحياة والغنى والفقر والولد والأهل وكسائر حوائج الدنيا التي تجهل عواقبها، فهذا لا ينبغي أن يسأل الله منها إلا ما يعلم فيه الخبرة للعبد، فإن العبد جاهل بعواقب الأمور، وهذا مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره، فيستعين عليه أن يسأل حوائجه من عالم قادر؛ ولهذا شرعت الاستخارة في الأمور الدنيوية كلها.اهـ. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب «الحلواني» (١/ ١٥٣). =

. . . .

= وقال السعدي (١٣٧٦هـ): الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك، قد أمر العبد أن يسألها من ربه طلباً ملحاً جازماً، وهذا الطلب عين العبودية ومحلها، ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة؛ لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين؛ كالدعاء المأثور: «اللَّهم أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي»، وكدعاء الاستخارة. فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعها وعدم ضررها، وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها على ضررها، فالداعي يعلقها على اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرة ورحمة ولطفاً. . القول السديد (١٦٥).

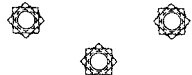


باب: لا يقول: عبدي وأَمتي

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضِّئ ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي. الثانية: لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك. الثالثة: تعليم الأول قول: فتاي، وفتاتي، وغلامي. الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي. الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.







٥٤ ـ باب: لا يقول: عبدي وأمتي ﴿١﴾

....

﴿١﴾ **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من تحقيق توحيد الأسماء والصفات ترك قول: «**عبدي وأمتي**»؛ لأن ذلك يوهم التشريك في اسم الرب؛ لأن الله هو رب العالمين. قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): باب لا يقول: عبدي وأمتي؛ أي: لما في ذلك من الإيهام من المشاركة في الربوبية، فنهى عن ذلك أدباً مع جناب الربوبية وحماية لجناب التوحيد. اهـ. وقال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): نهى ﷺ عنها ـ أي: الألفاظ الواردة في الحديث ـ تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأن الله هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ، فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك. اهـ.

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان: فهذا من باب حماية التوحيد، ومن باب التأدب مع الله جل وعلا، فيجب أن يحمى اسم الله جل وعلا، وألا يكون فيه مشاركة للمخلوقين، وأن يقال: هذا رب فلان وفلان. اهـ.

وقال الخطابي (ت٣٨٨): لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله ﷻ وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): منع في شريعتنا من إضافة الرب إلى المكلفين كما قال ﷺ: «**لا يقل أحدكم اسق ربك أطعم ربك**» بخلاف إضافته إلى غير المكلفين، كقول النبي ﷺ لمالك بن عوف الجشمي: «أرب إبل أنت أم رب شاء» وقولهم: رب الثوب والدار؛ فإنه ليس في هذه الإضافة ما يقتضي عبادة هذه الأمور لغير الله، فإن هذا لا يمكن فيها، فإن الله فطرها على أمر لا يتغير، بخلاف المكلفين، فإنهم يمكن أن يعبدوا غير الله... فمنع من الإضافة في حقهم تحقيقاً =

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضّئ ربك﴿١﴾؛ وليقل: سيدي﴿٢﴾

= للتوحيد الذي بعث الله به رسله. اهـ. درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤١).

قال ابن القيم (ت٧٥١): نهى أن يقول لغلامه: وضيء ربك أطعم ربك سدّاً لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى وإن كان الرب ههنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد حماية لجانب التوحيد وسدّاً لذريعة الشرك. اهـ. إعلام الموقعين (٣/ ١٥١).

علاقته بما سبق: قال الشيخ صالح الفوزان: هذا الباب عقده المصنِّف ﷺ كالباب الذي قبلَه، من أجل احترام أسماء الله وصفاتِه، ومن أجل سدّ الطّرق التي تُفضي إلى الشرك وحماية جانب التّوحيد، وذلك: بتجنُّب الألفاظ الموهمة التي قد يُفهم منها شيءٌ من الشرك، ولو كان المتكلِّم بها لا يقصد المعنى، ولكنّه يتجنّب ذلك من أجل سدّ الباب من أصلِهِ، هذا هو المقصود. اهـ.

التيسير (٥٥٥)، فتح المجيد (٤٤٣)، قرة عيون الموحدين (٤٢٨)، القول السديد (١٦٦)، إعانة المستفيد (٣/ ٣٨٣).

﴿١﴾ قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله، منهي عن المضاهاة بهذا الاسم، لما فيه من التشريك في اللفظ، وإن كان يطلق لغة، فالنبي ﷺ نهى عنه تحقيقاً للتوحيد، وسداً لذرائع الشرك، والله تعالى رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم، فنهى عن ذلك لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى، وإنما المعنى أن هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار فنهى عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ. اهـ. وقال الخطابي في بيان علة المنع من قول: «**عبدي وأمتي**»: لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله ﷻ وترك الإشراك معه، فكره له المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك. اهـ. أعلام الحديث (٢/ ١٢٧١)، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٣٤٥).

﴿٢﴾ قال القرطبي وغيره: إنما فرق بين الرب والسيد لأن الرب من أسماء الله تعالى اتفاقاً، واختلف في السيد، ولم يرد في القرآن أنه من أسماء الله تعالى. فإن قلنا إنه ليس من أسماء الله تعالى فالفرق واضح إذ لا التباس، وإن قلنا =

ومولاي﴿١﴾﴿٢﴾. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي﴿٣﴾، وليقل: فتاي

= إنه من أسمائه فليس في الشهرة والاستعمال كلفظ الرب فيحصل الفرق بذلك أيضاً، وقد روى أبو داود والنسائي وأحمد والمصنف في «الأدب المفرد» من حديث عبد الله بن الشخير، عن النبي ﷺ قال: «**السيد الله**»، وقال الخطابي: إنما أطلقه لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على من تحت يده والسياسة له وحسن التدبير لأمره؛ ولذلك سُمي الزوج سيداً.اهـ. الفتح (٥/ ٢١٣). قال سليمان بن عبد الله: وحديث ابن الشخير لا ينفي إطلاق لفظ السيد على غير الله، بل المراد أن الله هو الأحق بهذا الاسم بأنواع العبارات، كما أن غيره لا يسمى به.اهـ. الفتح (٥/ ٢١٣)، التيسير (٥٥٦).

﴿١﴾ جاءت رواية عند مسلم (٢٢٤٩) بلفظ: «**لا يقل العبد لسيده: مولاي**» والصواب أنها ضعيفة، كما قال القاضي عياض، والنووي، والقرطبي، وابن حجر. ومن صححها قال: تحمل على من قال ذلك فخراً وتكبراً وخيلاءً.

شرح مسلم للنووي (١٥/ ٦)، الأذكار للنووي (٣١٣)، فتح الباري (٥/ ١٨٠)، زيادات الثقات دراسة تطبيقية من صحيح مسلم (٢٠٤).

﴿٢﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): إطلاق المولى أسهل وأقرب إلى عدم الكراهة.اهـ. وقال ابن حزم (٤٥٦هـ): فإن قال: مولاي، فذلك مباح والأفضل: سيدي.اهـ. قال النووي (٦٧٦هـ): لا بأس بقوله: المولى والسيد، بالألف واللام لغير الله بشرطه السابق.اهـ. وشرطه السابق: أن لا يقولهما لفاسق أو متهم في دينه ونحو ذلك.

الأذكار (٥٨٥)، الفتح (٥/ ٢١٣)، الفتوحات الربانية (٥٣٩)، معجم المناهي اللفظية (٣١٩).

﴿٣﴾ قال ابن علان (١٠٥٧هـ): وذلك حذراً من إيهام الشركة؛ أي: لأن لفظ عبدي وأمتي يشترك فيه الخالق والمخلوق، فيقال: عبد الله وأمة الله فيكره ذلك للاشتراك؛ لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله سبحانه؛ ولأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه. وقال ابن قاسم: لأن هذا الاسم من باب المضاف، ومقتضاه العبودية له، وصاحبه عبد لله متعبد بأمره ونهيه، فإدخال مملوكه تحت هذا الاسم يوهم التشريك؛ لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق.اهـ.

الفتوحات الربانية (٣/ ٥٣٨)، حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٣٤٦).

وفتاتي وغلامي﴿١﴾»﴿٢﴾.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: عبدي وأمتي﴿٣﴾. **الثانية**: لا يقول

﴿١﴾ قال ابن علان: ليست دالة على الملك كدلالة عبدي مع أنها تطلق على الحر والمملوك، وإضافته ليست للملك وإنما هي للاختصاص، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾. اهـ. الفتوحات الربانية (٣/٥٣٨).

﴿٢﴾ أخرجه: البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)، من حديث معمر، عن همام، عن أبي هريرة ﷺ. جاء عند أحمد، وأبي داود (٤٩٧٥)، والنسائي «الكبرى» (٦/٦٩)، وابن حزم «المحلى» (٩/٢٤٩»، من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «**لا يقولن: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك: ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون، والرب الله ﷻ**».

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهي عن قول: عبدي وأَمَتي. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٧١).

﴿٣﴾ أحوال استعمال لفظ «العبد» و«الأمة»:

الحال الأولى: أن يضيفه إلى غيره، مثل أن يقول: عبد فلان أو أمة فلان؛ فهذا جائز كما قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقال النبي ﷺ: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**».

الحال الثانية: أن يضيفه إلى نفسه، وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يكون بصيغة الخبر، مثل: أطعمت عبدي، وكسوت عبدي، وأعتقت عبدي، قال ابن عثيمين: إن قاله في غيبة العبد أو الأمة؛ فلا بأس به، وإن قاله في حضرة العبد أو الأمة؛ فإن ترتب عليه مفسدة تتعلق بالعبد أو السيد منع، وإلا فلا؛ لأن قائل ذلك لا يقصد العبودية التي هي الذل، وإنما يقصد أنه مملوك. اهـ.

القسم الثانية: أن يكون بصيغة النداء، فيقول السيد: يا عبدي! هات كذا؛ فهذا منهي عنه. ونقل ابن حجر الإجماع على أن النهي للكراهة. قال ابن عثيمين: اختلف العلماء في النهي: هل هو للكراهة أو التحريم؛ والراجح التفصيل في ذلك، وأقل أحواله الكراهة. اهـ.

=

العبد: ربي، ولا يقال له: أطعم ربك﴿١﴾. **الثالثة:** تعليم الأول قول:

= قوله ﷺ: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك...**» إلخ: أي: لا يقل أحدكم لعبد غيره، ويحتمل أن يشمل قول السيد لعبده، حيث يضع الظاهر موضع المضمر تعاظماً. الفتح (٥/ ١١٨)، التعليق المفيد (٢٤٢)، القول المفيد (٢/ ٣٣٨).

﴿١﴾ أحوال استعمال لفظ «الرب»:

الحال الأولى: إذا استعمل لفظ «الرب» ـ المعرف بالألف واللام ـ بدون إضافة، كأطعم الرب، ويقصد به سيده، فهذا محرم كما قال ابن بطال (٤٤٩هـ)، النووي (٦٧٦هـ)، وابن كثير (٧٧٤هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)؛ لأنه من أسماء الله الخاصة بالله. ويلتحق بالنهي عن الوصف بالرب الوصف برب العالمين، بل هو أشنع. قال ابن القيم (ت٧٥١): ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد حماية لجانب التوحيد وسداً لذريعة الشرك. اهـ. إعلام الموقعين (٣/ ١٥١).

الحال الثانية: إذا استعمل لفظ: «الرب» مضافاً، وهو على أقسام:

القسم الأول: إذا استعمل لفظ: «الرب» مضافاً إلى مخلوق جامد أو حيوان يبعد أن يوصف بشيء من الربوبية، كرب البيت ورب الدابة، فهذا جائز بالإجماع؛ لأن الرب هنا بمعنى الصاحب.

القسم الثاني: أن يضاف إلى الاسم الظاهر من المكلفين، كرب الغلام، قال ابن عثيمين: ظاهر الحديث الجواز، وهو كذلك ما لم يوجد محذور فيمنع، كما لو ظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق ونحو ذلك. اهـ. لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: «**حتى يُهم رب المال من يقبل صدقته**». وقول عمر الذي رواه البخاري»: رب الصريمة». ونوقش: أن البهيمة والدار والمال ليست مثل الغلام؛ لأنها غير معبدة التعبيد التكليفي الشرعي، فلا يحصل منازعة لله في ربوبيته. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): منع في شريعتنا من إضافة الرب إلى المكلفين كما قال ﷺ: «**لا يقل أحدكم اسق ربك أطعم ربك**» بخلاف إضافته إلى غير المكلفين، كقول النبي ﷺ لمالك بن عوف الجشمي: «**أرب إبل أنت أم رب شاء**» وقولهم: رب الثوب والدار؛ فإنه ليس في هذه الإضافة ما يقتضي عبادة هذه الأمور لغير الله، فإن هذا لا يمكن فيها، فإن الله فطرها على أمر لا يتغير، بخلاف المكلفين، فإنهم يمكن أن يعبدوا غير الله... فمنع من الإضافة في حقهم تحقيقاً للتوحيد الذي بعث الله به رسله. اهـ. درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤١). =

. . . .

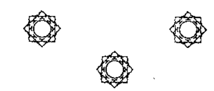
= **القسم الثالث**: أن يضاف لفظ: «الرب» إلى ضمير الغائب، فذهب إلى جوازه النووي، وابن عثيمين؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في ضالة الإبل: «**دعها حتى يلقاها ربها**». ونوقش: قال الغنيمان: بأنها ليست معبَّدة التعبيد التكليفي الشرعي، وإن كانت معبدة التعبيد القدري، لكن التعبيد الشرعي التكليفي الذي يثاب فاعله ويعاقب تاركه ليس هذا من شأنها، وليس موجهاً إليها، ولهذا يجوز أن يقال: هذا رب هذه الدابة، رب الناقة، رب الشجر؛ لأنها ليست عاقلة ولا مكلفة، وإنما هذا في المكلفين من الذكور والإناث. واستدلوا بقوله ﷺ: «**أن تلد الأمة ربتها**». ونوقش: بأنه لفظ مؤنث لا يمكن أن يوصف الله جل وعلا به، فلا محذور فيه.

القسم الرابع: أن يضاف لفظ: «الرب» إلى ضمير المخاطب، كأطعم ربك، فهذا للعلماء فيه قولان:

القول الأول: التحريم، وبه قال ابن بطال؛ لقوله ﷺ: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك**».

القول الثاني: الكراهة، وهو قول الجمهور، واختاره القاضي عياض (٥٤٤هـ)، والقرطبي (٦٢٦هـ)، والنووي (٦٧٦هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ)، والسعدي (١٣٧٦هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ). وهو ظاهر تبويب البخاري إذا كان على وجه الفخر؛ لقوله ﷺ: «**لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك**». والصارف عن التحريم هو الإجماع الحاصل قبل ابن بطال. وقوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، قال ابن عثيمين: يكره ذلك للنهي عنه؛ لأن فيه محذورين. من جهة الصيغة: أنه يوهم معنى فاسداً بالنسبة لكلمة رب؛ لأن الرب من أسمائه سبحانه، وهو سبحانه يُطعِم ولا يُطْعَم، وإن كان بلا شك أن الرب هنا غير رب العالمين الذي يطعم ولا يطعم، ولكن من باب الأدب في اللفظ. من جهة المعنى أنه يشعر العبد أو الأمة بالذل؛ لأنه إذا كان السيد رباً كان العبد أو الأمة مربوباً. اهـ. ونوقش استدلالهم بقول يوسف: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، بما قاله النووي: وأما قول يوسف: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، فعنه جوابان: أحدهما أنه خاطبه بما يعرفه، وجاز هذا الاستعمال للضرورة، كما قال موسى للسامري: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه: ٩٧]؛ أي: الذي اتخذته إلهاً. والجواب الثاني: أن هذا شرعُ مَنْ قَبْلَنَا، وشرعُ من قبلنا لا يكون شرعاً لنا إذا ورد شرعُنا بخلافه، وهذا لا خلاف فيه. وإنما اختلف أصحاب الأصول في شرع من قبلنا إذا لم يردْ شرعُنا بموافقته ولا مخالفته، هل يكون شرعاً =

فتاي، وفتاتي، وغلامي. **الرابعة**: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي. **الخامسة**: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ﴿١﴾.

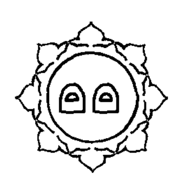


= لنا أم لا؟.اهـ. الأذكار «للنووي» (٥٨٢). قال الغنيمان: هذا ليس في شرعنا، وإنما هو في شرع من قبلنا، بدليل أن يوسف عليه السلام سجد له أبواه وإخوته لما دخلوا عليه وهو على كرسيه، فهذا لا يجوز في شرعنا، وقد ذكره الله جل وعلا، ويكون هذا مثله.اهـ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن قيل: لا ريب أن يوسف سمّى السيد ربّاً في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ و﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ونحو ذلك. وهذا كان جائز في شرعه، كما جاز في شرعه أن يسجد له أبوه وإخوته، وإن كان هذا منسوخاً في شرع محمد ﷺ. الفتاوى (١٥/١١٨).

القسم الخامس: أن يضاف لفظ: «الرب» إلى ضمير المتكلم، كقول المملوك: «هذا ربي»، فذهب للتحريم الغنيمان، وذهب للكراهة الجمهور. قال النووي: قال العلماء: وإنما كره للمملوك أن يقول لمالكه: «ربي»؛ لأن في لفظه مشاركة لله تعالى في الربوبية. وظاهر صنيع بكر أبو زيد في المعجم المنع؛ لأنه قرن بين «ربك، وربي، وربتي». معجم المناهي اللفظية (٧٨، ١٦٨). ويدل على المنع أنه لما نهى الغير أن يقول للعبد: أطعم ربك؛ فالعبد من باب أولى أن ينهى عن قول: أطعمت ربي، وضأت ربي، بل يقول: سيدي ومولاي. قال ابن عثيمين: قد يقول قائل: إن هذا جائز؛ لأن هذا من العبد لسيده، وقد قال تعالى عن صاحب يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٣]؛ أي: سيدي، ولأن المحذور من قوله: (ربي) هو إذلال العبد، وهذا منتفٍ؛ لأنه هو بنفسه يقول: هذا ربي.اهـ. ونوقش: قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ إن هذا جائز في شريعتهم، بخلاف شريعتنا؛ لأنها لو كانت سمحة في العمل فهي حنيفية في التوحيد.اهـ.

الدرر السنية (١٠/١٠٨). تفسير القرطبي (٩/١٩٤)، الفتح (٥/١٧٨)، الفتوحات الربانية «لابن علان» (٣/٥٣٧)، القول المفيد (٢/٣٣٩)، التمهيد «لآل الشيخ (٥٢١).

﴿١﴾ قال الشيخ عبد الله الغنيمان: والمراد: تخليصه وتصفيته من الشوائب التي قد تشوبه من عمل أو قول؛ لأن هذا هو تحقيقه، وحتى في الألفاظ يجب أن يكون الرب جل وعلا واحداً فيها، ليس له فيها مشارك.اهـ.



بابٌ: لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه». رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله. الثانية: إعطاء من سأل بالله. الثالثة: إجابة الدعوة. الرابعة: المكافأة على الصنيعة. الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه. السادسة: قوله: «حتى ترون أنكم قد كافأتموه».







٥٥ ـ بابٌ: لا يرد من سأل بالله ﴿١﴾(*)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل بالله فأعطوه ﴿٢﴾،

﴿١﴾ قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): أخبرنا شيخنا عن شيخه المؤلف، رحمهما الله، أنها وقعت القراءة في هذا الباب على السؤال بالله، وأن رجلاً من الحاضرين سأل الشيخ ـ اختباراً ـ بالله عباءة قيلان عليه سوداء ذات أعلام، فأعطاه إياها ثم قال له: لا تعد أن تسأل بالله تعالى أحداً من الخلق.اهـ. فتح الحميد (٤/ ١٨٦٨). وقال البيهقي: ينبغي للسائل أن يعظم أسماء الله فلا يسأل بشيء منها من عرض الدنيا شيئاً. وينبغي للمسؤول إذا سئل بالله ألا يمنع ما استطاع.اهـ. الشعب (٣/ ٢٧٦).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من كمال توحيد أسماء الله وصفاته وتحقيقه عدم رد من سأل بالله؛ إجلالاً لله تعالى، وتعظيماً له؛ ولكي لا يؤدي رد من سأل بالله أن يسأل بغير الله.

علاقته بما قبله: أنها كلها في تعظيم الله في أسمائه وصفاته. التيسير (٥٥٩)، إعانة المستفيد (٣/ ٣٨٧)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٢).

﴿٢﴾ قال الغنيمان: والمقصود بالسؤال هنا سؤال المال.اهـ. ولكن الحديث عام. وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): هل يجوز للإنسان أن يسأل بالله أم لا؟ وهذه المسألة لم يتطرق إليها المؤلف رحمه الله؛ **فنقول أولاً**: السؤال من حيث هو مكروه ولا ينبغي للإنسان أن يسأل أحداً شيئاً إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ولهذا كان مما بايع النبي ﷺ أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً، حتى إن عصا أحدهم ليسقط منه وهو على راحلته؛ فلا يقول لأحد: ناولنيه، بل ينزل ويأخذ. والمعنى يقتضيه؛ لأنك إذا أعززت نفسك ولم تذلها لسؤال الناس بقيت محترماً عند الناس، وصار لك منعة من أن تذل وجهك لأحد؛ لأن من أذل وجهه لأحد؛ فإنه ربما يحتاجه =

. . . .

= ذلك الأحد لأمر يكره أن يعطيه إياه، ولكنه إذا سأله اضطر إلى أن يجيبه، ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»، فالسؤال أصلاً مكروه أو محرم إلا لحاجة أو ضرورة. فسؤال المال محرم، فلا يجوز أن يسأل من أحد مالاً إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وقال الفقهاء رحمهم الله في باب الزكاة: «إن من أبيح له أخذ شيء أبيح له سؤاله»، ولكن فيما قالوه نظر؛ فإن الرسول ﷺ حذر من السؤال، وقال: «**إن الإنسان لا يزال يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم**»، وهذا يدل على التحريم إلا للضرورة. وأما سؤال المعونة بالجاه أو المعونة بالبدن؛ فهذه مكروهة، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك. اهـ. القول المفيد (٢/ ٣٤٧).

وقال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): السؤال محرم إلا عند الحاجة إليه، وظاهر مذهب أحمد أنه لو وجد ميتة عند الضرورة ويمكنه السؤال جاز له أكل الميتة ولا يسأل الناس شيئاً، ولو ترك أكل الميتة مات عاصياً، ولو ترك السؤال ومات لم يمت عاصياً، وفي سؤال الناس إفساد لهم والشرك بهم والإيذاء لهم وفيها ظلم نفسه بالذل لغير الله وظلم الخلق بسؤالهم أموالهم، قال النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**». اهـ. مجموع رسائل ابن عبد الهادي (١٩١). وقال ابن رجب (٧٩٥هـ): واعلم أنَّ سؤالَ اللهِ تعالى دونَ خلقه هوَ المتعين؛ لأنَّ السؤال فيهِ إظهار الذلِّ من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعترافُ بقدرةِ المسؤول على دفع هذا الضَّرر، ونيل المطلوب، وجلبِ المنافع، ودرء المضارِّ، ولا يصلح الذلُّ والافتقار إلَّا لله وحدَه؛ لأنَّه حقيقة العبادة، وكان الإمامُ أحمد يدعو ويقول: اللَّهمَّ كما صُنتَ وجهي عَنِ السُّجود لغيرك فصُنْه عن المسألة لغيرك. اهـ. جامع العلوم والحكم (١/ ٥٠٥). وقال النووي في حكم سؤال الناس: اتفق العلماء عليه ـ النهي ـ اذا لم تكن ضرورة. واختلف أصحابنا في مسألة القادر على الكسب على وجهين، أصحهما: أنها حرام لظاهر الأحاديث.

والثاني: حلال مع الكراهة بثلاث شروط: أن لا يذل نفسه، ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي المسؤول؛ فإن فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق. اهـ. شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٧).

للعلماء ثلاثة أقوال في إعطاء من سأل بالله:

القول الأول: الوجوب، وبه قال الصنعاني. =

ومن استعاذ بالله فأعيذوه﴿١﴾، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه﴿٢﴾، فإن لم تجدوا ما تكافئوه﴿٣﴾ فادعوا له حتى تروا﴿٤﴾ أنكم قد كافأتموه»﴿٥﴾. رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

= **القول الثاني**: الاستحباب، وبه قال الجمهور، وهو اختيار النووي.

القول الثالث: التفصيل، فإذا سأل حقاً من الحقوق فإنه يجب إعطاؤه سؤله كمن سأل حقاً يستحقه من بيت المال، وكذا إذا كان مضطراً ومحتاجاً فإنه يجب إعطاؤه إذا كان المسؤول قادراً على إعطائه، ولا يعطيه أحد إلا هو. وإذا سأل على جهة العموم أناساً فإنه لا يجب على كل أحد إعطاؤه بل يستحب، وبهذا التفصيل قال ابن تيمية، وابن باز.

الفروع (٢/ ٥٩٢)، التيسير (٥٦١)، سبل السلام (٢/ ٣٨٢)، التعليق المفيد (٢٤٥)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٤).

﴿١﴾ أي: من سألكم أن تدفعوا عنه شركم أو شر غيركم بالله. التيسير (٥٦٠).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وقد أشار شيخ الإسلام إلى مشروعية المكافأة؛ لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فهو إذا أحسن إليه ولم يكافئه يبقى في قلبه نوع تأله لمن أحسن إليه، فشرع قطع ذلك بالمكافأة، فهذا معنى كلامه. وقال غيره: إنما أمر بالمكافأة ليخلص القلب من إحسان الخلق ويتعلق بالحق. اهـ.

التيسير (٥٦٢)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٥).

﴿٣﴾ قال سليمان بن عبد الله: هكذا ثبت بحذف النون في خط المصنف، وهكذا هو في غيره من أصول الحديث. قال الطيبي: سقطت من غير ناصب ولا جازم، إما تخفيفاً أو سهواً من الناسخ. التيسير (٥٦٣).

﴿٤﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): تروا ـ بضم التاء تظنوا ـ أنكم قد كافأتموه، ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى تعلموا ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر: حتى تعلموا، فتعين الثاني للتصريح به. اهـ. فتح المجيد (٤٤٤)، التعليق المفيد (٢٤٦).

﴿٥﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه الأمرَ بإعطاء من سأل بالله وعدم ردِّه. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٧٣).

أخرجه: أحمد (٢/ ٦٨)، وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٦)، من طريق الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما [١].

صحّحه: الحاكم، والنووي، والهيتمي، وابن حجر، والعجلوني، وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب [٢].

حسّنه: السخاوي [٣].

والحديث معلول؛ لأمور:

١ ـ أن الأعمش يُدلس كما قال النسائي، وابن حبان، والدارقطني، والذهبي، وابن حجر، والمعلمي [٤]، ولم يصرِّح بالتحديث.

٢ ـ أن الأعمش متكلم في حديثه عن مجاهد [٥]. وهو قليل

---

[١] قال الحاكم (٣٧٨هـ): هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه للخلاف الذي بين أصحاب الأعمش فيه. اهـ. وقد رجح الدارقطني (٣٨٥هـ) أنه عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عمر. المستدرك (١/ ٤١٢)، علل الدارقطني (١٢/ ٣٧٤).

[٢] المستدرك (١/ ٤١٢)، رياض الصالحين، الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (١٠٤)، الفتوحات الربانية (٥/ ٢٥٠)، كشف الخفاء (٢/ ٢٢٥).

[٣] الفتوحات الربانية (٣/ ٥٦٢).

[٤] قال المعلمي (١٣٨٦هـ) بعد أن أعل حديثاً بتدليس الأعمش وأبي معاوية: فإن قيل إنما ذكروا في الطبقة الثانية من المدلسين عند ابن حجر وهم طبقة من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيح، قيل: ليس معنى هذا أن المذكورين في الطبقة الثانية تقبل عنعنتهم مطلقاً، كمن ليس بمدلس البتة؛ وإنما المعنى أن الشيخين انتقيا في المتابعات ونحوها من معنعناتهم ما غلب على ظنهما أنه سماع، أو أن الساقط منه ثقة، أو كان ثابتاً من طريق أخرى، ونحو ذلك كشأنهما فيمن أخرجا له فيمن فيه ضعف. اهـ.

ميزان الاعتدال (٢/ ٢٢٤)، تعريف أهل التقديس (١١٨)، التقريب (٢٥٣)، الفوائد المجموعة (٣٥١).

[٥] قال يعقوب بن شيبة (٢٦٢هـ): قلت لعلي بن المديني: كم سمع =

الحديث عن مجاهد، فلا تقبل عنعنته إلا إذا صرَّح﴿١﴾.

٣ ـ أن هذا الحديث قد رواه ليث بن أبي سليم والعوام بن حوشب، عن مجاهد، عن ابن عمر﴿٢﴾، وقد روي عن الأعمش، عن ليث بن أبي سليم (ضعيف)، عن مجاهد، عن ابن عمر﴿٣﴾، فدل هذا على أن الأعمش دلسه﴿٤﴾.

٤ ـ أن كبار أصحاب الأعمش؛ كالثوري، وشعبة، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع، وأبي معاوية، لم يرووا هذا الحديث عن الأعمش﴿٥﴾.

= الأعمش من مجاهد؟ قال: لا يثبت منها إلا ما قال: سمعت، هي نحو من عشرة، إنما أحاديث مجاهد عنده عن يحيى القتات.اهـ. قال القطان: كتبت عن الأعمش أحاديث عن مجاهد ملزقة لم يسمعها.اهـ. وقال أبو حاتم: الأعمش قليل السماع من مجاهد، وعامة ما يروي عن مجاهد مدلس.

التاريخ الكبير (٢/ ٩٦٦)، مقدمة الجرح والتعديل (٢٣٧)، الجرح والتعديل (١/ ٢٢٧)، علل ابن أبي حاتم (٢/ ٢١١)، الكامل (٢/ ٦٤٢)، شرح علل الترمذي (٢/ ٨٥٣)، الفوائد المجموعة (٣٥٢).

﴿١﴾ قال ابن معين (٢٣٢هـ): الأعمش لم يسمع من مجاهد، وكل شيء يروي عنه لم يسمع إلا ما قال: سمعت، إنما مرسلة مدلسة.اهـ. وقال الذهبي: وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرى به، فمتى قال: حدثنا، فلا كلام، ومتى قال: عن، تطرق إلى احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم؛ كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال. سؤالات ابن طهمان (رقم٥٩)، الميزان (٢/ ٢٢٤).

﴿٢﴾ الطبراني «الكبير، علل الدارقطني» (١٢/ ٣٧٤).

﴿٣﴾ المسند (٢/ ٩٦).

﴿٤﴾ قال عبد الله بن أحمد في أحاديث الأعمش عن مجاهد: قال أبو بكر بن عياش عنه: حدثنيه ليث عن مجاهد.اهـ. قال الشيخ عبد الله السعد: الراجح أن بينهما ليث بن أبي سليم وهو لا يحتج به.

﴿٥﴾ ولعل أصله ما جاء عند البخاري (٢٤٢٩) من طريق شعبة، عن =

الخلاصة: الحديث ضعيف؛ لكن جاء ما يشهد لعدم رد من سأل بالله من حديث ابن عباس[١]، وأبي ذر[٢]، وهي وإن كانت ليست بالقوية؛ لكن يشهد لها من حيث المعنى ما رواه البخاري (٢٤٤٥)، ومسلم (٢٠٦٦)، من طريق شعبة، عن الأشعث قال: سمعت معاوية بن سويد، عن البراء ﵁ قال: «أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار

= الأعمش، عن أبي حازم، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «**لو أهدي إلي كراع لقبلته، ولو دعيت إلى كراع لأجبت**». علل الدارقطني (١١/ ١٨٨).

﴿١﴾ أ ـ رواه النسائي (٢٥٦٩)، من طريق سعيد بن خالد القارظي ـ قال الذهبي: صدوق، ضعفه النسائي ـ عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي ذؤيب، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس ﵄ بلفظ: «**ألا أخبركم بشرّ الناس؟ رجل يسأل بالله ولا يُعطى**». وقد رواه مالك «الموطأ» (٩٥٩)، من طريق عبد الله بن عبد الرحمٰن بن معمر ـ ثقة ـ عن عطاء بن يسار مرسلاً.

ب ـ ورواه أحمد (١/ ٢٤٩)، وأبو داود (٥١٠٨)، من طريق خالد بن الحارث، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي نهيك، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه**»، وفي رواية: «**مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ**» قال الترمذي: سألت مُحمداً ـ البخاري ـ عن هذا الحديث، فقال: سعيد بن أبي عروبة يسند هذا الحديث عن قتادة، وغيره يقول خلاف هذا ولا يسنده. قال محمد: أبو نهيك هو خراساني مروزي، ولم يعرف محمد اسمه. اهـ.

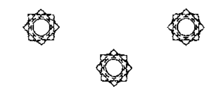
علل الترمذي الكبير (١/ ١٤١)، المغني في الضعفاء (١/ ١٢٢).

﴿٢﴾ عند ابن حبان (٨/ ١٣٨)، من طريق منصور، عن ربعي بن حراش، عن زيد بن ظبيان، عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله: يحب رجلاً كان في قوم فأتاهم سائل فسألهم بوجه الله لا يسألهم لقرابة بينهم وبينه فبخلوا فخلفهم بأعقابه حيث لا يراه إلا الله...**». قال مقبل الوادعي: زيد ما روى عنه إلا ربعي، ولم يوثقه معتبر. اهـ. أحاديث معلة لمقبل الوادعي (٢٧٥).

القسم، ... »[١]. ويشهد لحديث الباب حديث الجونية عندما استعاذت بالله من النبي ﷺ[٢]، وكما هو معلوم أن الاستعاذة بالله من المخلوق سؤال لنيل أمر وهو اندفاع ما يضر، كما أن السؤال بالله سؤال لحصول ما ينفع.

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله. **الثانية**: إعطاء من سأل بالله. **الثالثة**: إجابة الدعوة[٣]. **الرابعة**: المكافأة على الصنيعة. **الخامسة**: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه. **السادسة**: قوله: «**حتى ترون أنكم قد كافأتموه**».

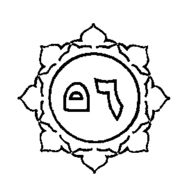


﴿١﴾ قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): وأما إبرار القسم فلمعنيين: أحدهما: لتعظيم المقسم به. والثاني: لئلا يحنث الحالف. اهـ. وقال سليمان بن عبد الله: قوله: «**ومن سأل بالله فأعطوه**». وفي حديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود: «**ومن سألكم بوجه الله فأعطوه**». ومعناه ظاهر، وهو أن يقول: أسألك بالله أو بوجه الله ونحو ذلك، أن تفعل أو تعطيني كذا، ويدخل في ذلك القسم عليه بالله أن يفعل كذا. اهـ.

كشف المشكل من حديث الصحيحين «لابن الجوزي» (١/ ٤٥٤)، التيسير (٣٧٣).

﴿٢﴾ أخرجه البخاري (٤٩٥٥)، من طريق الأوزاعي قال: سألت الزهري: أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه؟ قال: أخبرني عروة، عن عائشة ﵂: أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: «**لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك**».

﴿٣﴾ أما وليمة العرس فإجابتها واجبة بالإجماع، كما حكاه النووي، والقرطبي. وأما غيرها فذهب الجمهور إلى استحباب إجابتها، وذهب ابن حزم، وسليمان بن عبد الله، والشوكاني إلى الوجوب؛ لقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «**من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**». التيسير (٥٦٢).

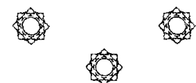


باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

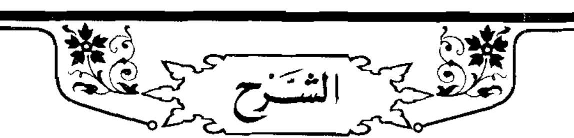
عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة». رواه أبو داود.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.
الثانية: إثبات صفة الوجه.







٥٦ ـ باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة﴿١﴾

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُسأل﴿٢﴾ بوجه الله إلا

﴿١﴾ **علاقته بكتاب التوحيد**: أن من كمال توحيد أسماء الله وصفاته وتحقيقه ألا يُسأل المخلوق بأسماء الله وصفاته، سواء كان بوجهه أو بغيره من الأسماء والصفات؛ إجلالاً وتعظيماً لله ﷻ. ويدل له ما قاله عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): أخبرنا شيخنا، عن شيخه المؤلف ـ رحمهما الله ـ أنها وقعت القراءة في هذا الباب ـ باب لا يرد من سأل بالله ـ على السؤال بالله، وأن رجلاً من الحاضرين سأل الشيخ ـ اختباراً ـ بالله عباءة قيلان عليه سوداء ذات أعلام، فأعطاه إياها ثم قال له: لا تعد أن تسأل بالله تعالى أحداً من الخلق.اهـ. ففي هذه القصة دلالة على أن المصنف نهى عن سؤال المخلوق سواء كان بوجه الله أو بأي اسم أو صفة حيث قال: «**لا تعد تسأل بالله**». فتح الحميد (٤/ ١٨٦٨).

علاقته بالباب السابق: أن الباب السابق خطاب للمسؤول ألا يرد من سأل بأسماء الله أو صفاته، وهذا الباب خطاب للسائل بأن لا يسأل المخلوق بأسماء الله وصفاته. قال السعدي (١٣٧٦هـ): الباب الأول ـ السابق ـ خطاب للمسؤول، وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل، وهو السؤال بالله، أن يجيبه احتراماً وتعظيماً لحق الله، وأداء لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم. والباب الثاني ـ هذا الباب ـ خطاب للسائل: وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته، وأن لا يسأل شيئاً من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب والنظر إلى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأسنى هو الذي يسأل بوجه الله.اهـ. القول السديد (١٦٨).

﴿٢﴾ هذا نفي مضمن النهي المؤكد، كأنه قال: لا يسأل أحد بوجه الله =

الجنة»﴿١﴾ . رواه أبو داود.

أخرجه: أبو داود (١٦٧١)، والبيهقي «السنن الكبرى» (٤/ ١٩٩)، من طريق يعقوب بن إسحاق الحضرمي، عن سليمان بن معاذ﴿٢﴾ ، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه﴿٣﴾ .

= إلا الجنة، أو لا تسأل بوجه الله إلا الجنة، فعدل عن النهي إلى النفي لكي يتضمن أن هذا منهي عنه وأنه لا يسوغ وقوعه أصلاً لما يجب من تعظيم الله جل جلاله وتعظيم توحيده، وتعظيم أسماء الله ـ جل وعلا ـ وصفاته. التمهيد (٥٢٧).

﴿١﴾ **اختلف بالمراد بالحديث على قولين:**

القول الأول: أن المراد لا تسألوا أحداً من المخلوقين بوجه الله؛ فإذا أردت أن تسأل أحداً من المخلوقين فلا تسأله بوجه الله؛ لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة. والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة، فإذاً لا يسألون بوجه الله مطلقاً.

قال ابن عثيمين: ويظهر أن المؤلف يرى هذا الرأي في شرح الحديث، ولذلك ذكره بعد: «باب لا يرد من سأل بالله».اهـ. القول المفيد (٣/ ١١٦).

القول الثاني: أنك إذا سألت الله، فإن سألت الجنة وما يستلزم دخولها؛ فلا حرج أن تسأل بوجه الله، وإن سألت شيئاً من أمور الدنيا فلا تسأله بوجه الله؛ لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به لشيء من أمور الدنيا.

قال سليمان بن عبد الله: والظاهر أن كلا المعنيين صحيح.اهـ. وقال ابن عثيمين: ولو قيل: إنه يحتمل المعنيين لكان له وجه.اهـ. لكن مراد المصنف بذكر هذا الحديث ألا يُسأل المخلوق بشيء من أسمائه أو صفاته، وقد بينا ذلك في مناسبة الباب لكتاب التوحيد. التيسير (٥٦٤).

﴿٢﴾ ذهب إلى أن سليمان بن معاذ وسليمان بن قرم رجل واحد: أبو زرعة (٢٦٤هـ)، وأبو حاتم (٢٧٧هـ)، والدارقطني (٣٨٥هـ) في «تعليقه على المجروحين»، وعبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ)، والمزي (٧٤٢هـ)، والذهبي (٧٤٨هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ). وقد فرق بينهما: البخاري (٢٥٦هـ)، والعقيلي (٣٢٢هـ)، وابن حبان (٣٥٤هـ)، والخطيب (٤٦٣هـ) وغيرهم.

الجرح والتعديل (٤/ ١٣٦)، المجروحين (١/ ٣٧٠)، موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٣٤٨)، الكاشف (١/ ٤٦٣)، التهذيب (١٤/ ٢٧٢).

﴿٣﴾ وجاء ما يشهد له عند الطبري «الدعاء» (٣/ ٧٤٣)، من طريق عبد الله بن =

صحَّحه: النووي، والسيوطي[١].

ضعَّفه: ابن عدي، والذهبي[٢]، وعبد الحق الإشبيلي، وابن القطان الفاسي، وسليمان بن عبد الله، وابن باز[٣]، وبكر أبو زيد[٤].

واستغربه: ابن شاهين، والسخاوي[٥].

الحديث معلول؛ لأمور:

١ ـ أن يعقوب بن إسحاق تفرد به عن سليمان بن معاذ، كما قال ابن عدي، وابن شاهين[٦].

= عياش، عن أبيه، عن أبي بردة، عن أبي موسى ﷺ مرفوعاً: «**ملعون من سأل بوجه الله**». حسنه: العراقي، والسيوطي؛ لكن الصواب أنه ضعيف كما قال ابن منده، ففيه عبد الله بن عياش، ضعفه: أبو داود، والنسائي، وقال ابن حجر: يغلط. اهـ. وقد تفرد به. ولم يضبطه حيث رواه ابن عياش، عن عبد الله بن الأسود، عن أبي معقل ـ مجهول ـ، عن أبي عبيد مولى رفاعة بن رافع. قال أبو زرعة: أبو عبيد ليس له صحبة، وأبو معقل لا يسمى. اهـ. قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه. اهـ.

الطبراني «الكبير» (٢٢/ ٣٧٧)، الجرح والتعديل (٩/ ٤٠٥)، الرد على الجهمية لابن منده (٩٨)، التقريب (٣٣٤)، مجمع الزوائد (٣/ ١٠٣)، فيض القدير (٦/ ٤).

﴿١﴾ ذكره النووي في رياض الصالحين، وقد قال في مقدمته: وألتزم أن لا أذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات. اهـ. الفتوحات الربانية (٣/ ٥٦١).

﴿٢﴾ ذكراه في كتابيهما في الضعفاء «الكامل والميزان».
الكامل (٣/ ٣٥٧)، الميزان (٢/ ١٢٢).

﴿٣﴾ قال ابن باز: إسناد هذا الحديث فيه لين؛ لكنه ينجبر بما جاء في الروايات الأخرى من النهي عن السؤال بوجه الله. اهـ. التعليق المفيد (٢٤٦).

﴿٤﴾ الكامل (٣/ ٣٥٧)، الميزان (٢/ ٢١٩)، فيض القدير (٦/ ٤٥١)، التيسير (٥٦٥).

﴿٥﴾ تهذيب الكمال (٣٤/ ٢٠)، الفتوحات الربانية (٣/ ٥٦٢)، معجم المناهي اللفظية (١٨٣).

﴿٦﴾ الكامل (٣/ ٣٥٧)، تهذيب الكمال (٣٤/ ٢٠).

٢ ـ أن سليمان بن قرم بن معاذ ضعفه ابن معين والنسائي، وقال ابن حجر: سيئ الحفظ[١]. وقد تفرد به كما قال ابن عدي والذهبي[٢]، ومثله لا يقبل تفرده.

٣ ـ أنه مخالف لما جاء عن النبي ﷺ أنه سأل بوجه الله، واستعاذ بوجه الله، وأعاذ من سأل بوجه الله، وأمر من يُسأل بوجه الله أن يعطي[٣].

فيه مسائل[٤]:

الأولى: النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب[٥].

﴿١﴾ وذكره ابن عدي في كتابه الضعفاء. الجرح والتعديل (٤/ ١٣٦)، التقريب (٢٥١).

﴿٢﴾ قال ابن عدي: هذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إلا من رواية سليمان بن قرم، وعن سليمان يعقوب بن إسحاق الحضرمي، وعن يعقوب أحمد بن عمرو العصفري الكامل (٣/ ٢٥٧).

﴿٣﴾ قال ابن منده: ثبت عن النبي ﷺ أنه سأل بوجه الله واستعاذ بوجه الله وأمر من يسأل بوجه الله أن يعطى من وجوه مشهورة بأسانيد جياد ورواها الأئمة عن عمار بن ياسر وزيد بن ثابت وأبي أسامة وعبد الله بن جعفر وغيرهم. اهـ. الرد على الجهمية لابن منده (٩٨).

﴿٤﴾ قال عبد الله الدويش (١٤٠٨هـ): واعلم أن المؤلف لم يذكر إلا مسألتين مع أنه قال: فيه مسائل. والجواب ـ والله أعلم ـ أنه فعل ذلك لتتفق عبارته المطردة في جميع الأبواب مع قصده المثنى؛ فإن العرب تطلق لفظ الجمع وتريد به المثنى، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؛ أي: قلباكما، والمراد عائشة وحفصة. أو على قول من يجعل أقل الجمع اثنان كما حمل بعض الصحابة قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، على الأخوين. اهـ. التوضيح المفيد (١٤٩).

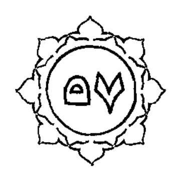
﴿٥﴾ قال العجيلي (١٢٦٢هـ): اتفقوا أنه يكره سؤال مخلوق بوجه الله لخبر أبي داود: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة». اهـ. تحقيق التجريد (٢/ ٤٩٥).

الثانية: إثبات صفة الوجه[١].

۞ ۞ ۞

---

[١] قال سليمان بن عبد الله (**١٢٣٣هـ**): وفيه إثبات الوجه خلافاً للجهمية ونحوهم، فإنهم أَوَّلُوا الوجه بالذات، وهو باطل، إذ لا يسمى ذات الشيء وحقيقته وجهاً، فلا يسمى الإنسان وجهاً، ولا تسمى يده وجهاً، ولا تسمى رجله وجهاً. والقول في الوجه عند أهل السُّنَّة كالقول في بقية الصفات، فيثبتونه لله على ما يليق بجلاله وكبريائه من غير كيف ولا تحديد، وإثبات بلا تمثيل، وتنْزيه بلا تعطيل.اهـ. التيسير (٥٦٤).



باب: ما جاء في اللَّو

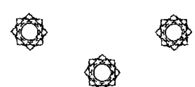
وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨].

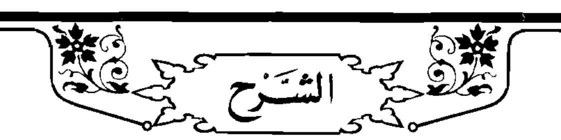
في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، **أن رسول الله** ﷺ **قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزَنّ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله، وما شاء فعل، فإنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان».**

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران. **الثانية:** النهي الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شيء. **الثالثة:** تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان. **الرابعة:** الإرشاد إلى الكلام الحسن. **الخامسة:** الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله. **السادسة:** النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.







٥٧ ـ باب: ما جاء في اللَّو ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وقال صاحب المطالع: لما أقامها مقام الاسم صرفها فصارت عنده كالندم والتمني. وقال صاحب النهاية: الأصل «لو» ساكنة الواو وهي حرف من حروف المعاني يمتنع بها الشيء لامتناع غيره غالباً، فلما سمي بها زيد فيها، فلما أراد إعرابها أتى فيها بالتعريف ليكون علامة لذلك ومن ثم شدد الواو. اهـ. قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): دخلت «أل» على «لو» وهي لا تدخل إلا على الأسماء، قال ابن مالك:

بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل

لأن المقصود بها اللفظ؛ أي: باب ما جاء في هذا اللفظ. اهـ. قال الغنيمان: «اللو» هنا أصلها «لو»، فأدخلت «أل» عليها، وإدخال «أل» عليها لا يفيد المعرفة؛ لأن «لو» حرف وضع لمعنى كما هو معلوم، و«أل» قد تدخل على المعرف ولا تزيده تعريفاً، كما يقول الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله

فأدخل «أل» على يزيد ولم تزده تعريفاً، ولكنها قد تدخل في اللغة على المعرف ويبقى على ما هو عليه. اهـ.

الفتح (١٣/ ٢٢٥)، القول المفيد (٢/ ٣٦١)، معجم المناهي اللفظية (٢٨٠). والوليد بن يزيد الصواب فيه أنه متهتك فاجر، وقد رمي بالزندقة.

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من كمال توحيد الأسماء والصفات التسليم التام لقضاء الله ﷻ وعدم الاعتراض على قضائه بقول «لو»؛ لأن ما يصيب الإنسان من تقدير الله، والتقدير صفة من صفاته. والاعتراض على قدره فيه نوع منازعة لله في قدره.

=

وقـــول الله تــعـــالـــى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ ﴿١﴾ [آل عمران: ١٥٤].

= قال ابن القيم (٧٥١هـ): فيكون في ذكر القدر إذ ذاك ـ بعد التوبة من الذنب ـ من التوحيد، ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع. اهـ. فأفاد كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن نسبة الأمر لقدر الله فيه اعتراف بأسماء الله وصفاته، وبهذا يتبين أن التسليم لقدر الله اعتراف بتوحيد الأسماء والصفات. شفاء العليل (١٨). وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن ما وقع مما يتمنى خلافه إنما وقع بقضاء الله وقدره ومشيئته فإذا قال لو أني فعلت كذا، لكان خلاف ما وقع فهو محال إذ خلاف المقدر المقضي محال فقد تضمن كلامه كذباً وجهلاً ومحالاً، وإن سلم من التكذيب بالقدر لم يسلم من معارضته بقوله: لو أني فعلت كذا، لدفعت ما قدر الله علي. اهـ. زاد المعاد (٢/ ٣٥٧).

علاقته بالباب السابق: هذا الباب كالباب السابق في تعظيم أسماء الله وصفاته، فلما ذكر المصنف في الباب السابق أن من الأدب مع أسماء الله وصفاته أن لا يسأل المخلوق بأسماء الله وصفاته، ذكر المصنف في هذا الباب أن من الأدب مع أسماء الله وصفاته عدم الاعتراض على تقديره، وذلك باستعماله لفظ «لو» التي تفيد الاعتراض على ما قدره الله. قال السعدي: إن في ذلك ـ قول: لو كان كذا لكان كذا ـ سوء أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكان في قوله: لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره. اهـ.

القول السديد (١٧١)، القول المفيد (٢/ ٩٨٤).

﴿١﴾ قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في تفسير الآية: قال الحسن: لو كان الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أُخرجنا كرهاً. وقال غيره: المراد: النصر، والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ أي: النصر، والظفر، والقضاء والقدر لله. اهـ. زاد المسير (٢٣٢). قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): هذا من الاعتراض على الشرع؛ لأنهم عتبوا على الرسول ﷺ حيث خرج بدون موافقتهم، ويمكن أن يكون اعتراضاً على القدر أيضاً؛ أي: لو كان لنا من حسن التدبير والرأي شيء ما خرجنا فنقتل. القول المفيد (٢/ ٣٦٤).

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٨] ﴿١﴾.

في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن ﴿٢﴾، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا ﴿٣﴾، ولكن قل: قَدَر الله، وما شاء

﴿١﴾ **علاقة الآيتين بالباب،** قال صالح آل الشيخ: ومناسبة الآيتين للباب ظاهرة: وهو أن التحسر على الماضي بالإتيان بلفظ «لو» إنما هو من خصال المنافقين. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٣١).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): أمر النبي ﷺ بحرص العبد على ما ينفعه والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز، وأنفع ما للعبد طاعة الله ورسوله، وهي عبادة الله تعالى، وهذان الأصلان هما حقيقة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ ونهاه عن العجز وهو الإضاعة والتفريط والتواني... وليس المراد بالعجز في كلام النبي ﷺ ما يضاد القدرة، فإن من لا قدرة به بحال لا يُلام، ولا يؤمر بما لا يقدر عليه بحال، ثم لما أمره بالاجتهاد والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز، وأمره إذا غلبه أمر أن ينظر إلى القدر ويقول: قدر الله وما شاء فعل، ولا يتحسّر ولا يلتهف. اهـ. جامع المسائل (٢/ ١٣٥).

قال المقريزي (٨٤٥هـ): فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً؟ قلنا: هي التي يعبر عنها بالتوكل، وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى، وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فتوجب اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وثقة به، فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته، فلو دهمه ما عسى أن يدهَمَهُ إلى الآفات لم يلتجئ إلى غيرها. فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]؛ أي: كافيه. اهـ. تجريد التوحيد (٧٧).

﴿٣﴾ فإن قيل: ليس في هذا رد للقدر ولا تكذيب به، إذ تلك الأسباب التي تمناها من القدر، فهو يقول: لو أني وقفت لهذا القدر لاندفع به عني ذلك القدر، فإن القدر يدفع بعضه ببعض. قيل: هذا حق، ولكن ينفع قبل وقوع القدر المكروه، فأما إذا ما وقع فلا سبيل إلى دفعه، وإن كان له سبب إلى دفعه أو تخفيفه بقدر =

فعل﴿١﴾، **فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**﴿٢﴾﴿٣﴾.

= آخر، فهو أولى به من قول: لو كنت فعلت، بل وحقيقته في هذه الحال أن يستقبل فعله الذي يدفع به المكروه، ولا يتمنى ما لا مطمع في وقوعه، فإنه عجز محض والله يلوم على العجز، ويحب الكيس ويأمر به، والكيس مباشرة الأسباب التي ربط الله بها بمسبباتها النافعة للعبد في معاشه ومعاده. زاد المعاد (٢/٣٥٨)

﴿١﴾ قال ابن رجب (٧٩٥هـ): الاحتجاج بالقدر على المصائب حسن كما قال ﷺ: «**إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**». اهـ. لطائف المعارف (١١٧).

﴿٢﴾ قال السعدي (١٣٧٦هـ): هذا من عمل الشيطان؛ لأن فيه محذورين:

أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيها نفع.

الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكان في قوله: لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره. ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما. اهـ. القول السديد (١٧١).

﴿٣﴾ قال ابن القيم: إن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محموداً وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصاً وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونته فأمره بأن يعبده وأن يستعين به، ثم قال: ولا تعجز فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمّة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه، فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان: حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى لو، ولا فائدة في لو هاهنا، بل هي مفتاح =

....

= اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له هاهنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده، فلهذا قال: فإن غلبك أمر فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، ولكن قل: قدر. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١٩).

📖 حديث أبي هريرة أخرجه :مسلم (٢٦٦٤)، من طريق عبد الله بن إدريس، عن ربيعة بن عثمان، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن الأعرج، عن أبي هريرة. ويشهد للحديث ـ وهو أن الإنسان إذا فعل الأسباب ولم يأت الأمر على ما يريده أسند الأمر لقدر الله ـ احتجاج علي رضي الله عنه بالقدر على عدم قيامه لقيام الليل، واحتجاجه ﷺ بالقدر على عدم قيامه لصلاة الفجر. قال ابن القيم: فإن قيل: فقد احتج عليّ بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي ﷺ كما في الصحيح عن علي: «أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال لهم: **ألا تصلون؟** قال: فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾» [الكهف: ٥٤]، قيل: علي لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم، وإنما قال أن نفسه ونفس فاطمة بيد الله، فإذا شاء أن يوقظها ويبعث أنفسها بعثها، وهذا موافق لقول النبي ﷺ ليلة ناموا في الوادي: «**إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردَّها حيث شاء**»، وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه، فالنائم غير مفرط واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح، وقد أرشد النبي ﷺ إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به، فروى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله ما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».اهـ. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١٩).

📖 **علاقة الحديث بالباب،** قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهي عن قول: «لو» عند نزول المصائب، وبيان ما يترتب على قولها من المفسدة.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٨١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران. **الثانية**: النهي الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شيء﴿١﴾. **الثالثة**: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح

﴿١﴾ والنهي هنا للتحريم كما قال القرطبي (٦٢٦هـ)، وابن باز (١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)، والغنيمان.

فائدة:

الأصل في استعمال «لو» الجواز إلا إذا قارنها أمر محرم، كالاعتراض على الشرع أو القدر أو تمني الشر أو استعمالها للندم والتحسر.

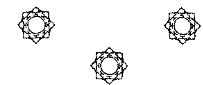
قال الطحاوي (٣٢١هـ): «لو» ليست مكروهة في كل الأشياء.اهـ. شرح مشكل الآثار (١/ ١٣٩).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): إنه ﷺ نهى الرجل بعد إصابة ما قدر له أن يقول: «**لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا**»، وأخبر أن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان، فإنه لا يجدي عليه إلا الحزن والندم وضيقة الصدر والسخط على المقدور واعتقاد أنه كان يمكنه دفع المقدور لو فعل ذلك، وذلك يضعف رضاه وتسليمه وتفويضه وتصديقه بالمقدور، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا أعرض القلب عن هذا انفتح له عمل الشيطان، وما ذاك لمجرد لفظ «لو» بل لما قارنها من الأمور القائمة بقلبه المنافية لكمال الإيمان الفاتحة لعمل الشيطان.اهـ. إعلام الموقعين (٣/ ١٨٦).

وقال القرطبي (٦٢٦هـ): ليس المراد ترك النطق بلو مطلقاً، إذ قد نطق النبي ﷺ بها في عدة أحاديث، ولكن محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت معارضة للقدر مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور لا ما إذا أخبر بالمانع على جهة أن يتعلق به فائدة في المستقبل فإن مثل هذا لا يختلف في جواز إطلاقه وليس فيه فتح لعمل الشيطان ولا ما يفضي إلى تحريم.اهـ. الفتح (٣/ ٣٢٤٢).

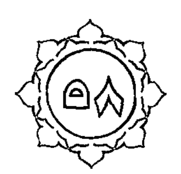
وشيخ الإسلام ابن تيمية جعل «لو» تستعمل على وجهين: أحدهما: على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور، فهذا الذي نهى عنه. والوجه الثاني: أن يقال لبيان علم نافع، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ولبيان محبة الخير وإرادته، كقوله: «لو أن لي مثل مال فلان لعملت مثل ما يعمل» ونحوه جائز. الفتاوى (١٨/ ٣٤٧).

عمل الشيطان. **الرابعة**: الإرشاد إلى الكلام الحسن[1]. **الخامسة**: الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله. **السادسة**: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز.



= وانظر: تحفة الأخيار بترتيب مشكل الآثار (٧/١٨)، القول المفيد (٢/٣٦٨)، التمهيد (٥٣١).

﴿١﴾ أي: قول قدر الله وما شاء فعل. التوضيح المفيد (٢٣١)، معجم المناهي اللفظية (٢٨١).

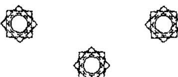


باب: النهي عن سب الريح

عن أُبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللَّهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به». صححه الترمذي.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: النهي عن سب الريح. الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره. الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة. الرابعة: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.







٥٨ ـ باب: النهي عن سبِّ الريح ﴿١﴾(*)

عن أُبي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللَّهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها،

﴿١﴾ هذا هو الباب الثاني فيما يتعلق تجاه ما قدره الله تعالى.

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من كمال توحيد الأسماء والصفات التسليم وعدم سب ما قدره الله تعالى؛ لأن ما يحدث في الكون هو من تقديره الذي هو صفة من صفاته، وسب الدهر منقص لكمال التوحيد أيضاً؛ لأن فيه نوع مشاركة لله في أسمائه وصفاته؛ لأن من صفات الله أنه المدبر والخالق لهذا الكون وما يحدث فيه، وفي سب الريح إثبات بأن لها شيئاً من التدبير والخلق، وفيه إثبات بأن الريح سبب في حدوث الأشياء وهذا من الشرك بالله؛ لأنه لم يسبها إلا لظنه أنها تضر وتنفع، قال ابن القيم (ت٧٥١) في بيان مفاسد سب الدهر الذي هو شبيه لسب الريح: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع.اهـ.زاد المعاد (٢/ ٣٥٤).

علاقة الباب بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق أن من سوء الأدب تجاه أسماء الله وصفاته الاعتراض على ما قدره بقول: لو كان كذا لكان كذا، ذكر المصنف في هذا الباب مثالاً آخر لسوء الأدب تجاه ما قدره وهو سب ما يحدثه ﷻ في الكون.

ـ **الفرق بين هذا الباب وباب سب الدهر:** المصنف في باب سب الدهر ذكره لما يؤذي الله سبحانه وتعالى؛ لأن ما يحدث في الدهر هو في الحقيقة من إيجاد الله؛ فسابُّ الدهر في الحقيقة ساب لله؛ لأن الله هو موجده، وفي هذا الباب نجد أن المصنف ذكره مثالاً لسوء الأدب تجاه ما قدره. فباب سب الدهر مثال لسوء الأدب تجاه ما خلق وأوجد، وباب سب الريح مثال لسوء الأدب تجاه ما قدره ﷻ.

وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به»[1]. صححه الترمذي[2].

أخرجه: أحمد (٥/ ١٢٣)، والترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي «الكبرى» (٦/ ٢٣١)، من طريق محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمٰن بن أبزة، عن أبيه، عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه.

صحَّحه: الترمذي، والحاكم، والضياء المقدسي[3].

والصواب فيه أنه موقوف كما قال النسائي، لأمور:

١ ـ أن محمد بن فضيل وصفه أبو حاتم وعثمان بن أبي شيبة بكثرة الخطأ[4]، وذكر له أحمد عدة أحاديث أخطأ فيها[5].

٢ ـ أن أبا عوانة، وجرير، وأسباط رووه عن الأعمش، عن حبيب، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه من قوله[6].

٣ ـ أن شعبة رواه عن حبيب، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه من قوله[7].

---

[1] جاء الدعاء عند هبوب الريح بدون النهي عن سب الريح عند مسلم (٨٩٩)، من طريق ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: **اللَّهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**».

[2] **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهي عن سب الريح.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٨٣).

[3] الترمذي (٢٢٥٢)، المستدرك (٢/ ٢٧٢)، المختارة للضياء (٣/ ٤٢٤).

[4] من تكلم فيه وهو موثق «للذهبي» (١٦٧).

[5] شرح علل الترمذي (١/ ٤٢١، ٢/ ٥٣٥، ٧٥٥).

[6] الأدب المفرد للبخاري (٧١٩)، النسائي (٦/ ٢٣١)، المستدرك (٣/ ٢٩٨).

[7] النسائي «الكبرى» (٦/ ٢٣١)، المختارة (٢/ ١١٥).

٤ ـ أن سلمة بن كهيل رواه عن سعيد بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه من قوله[١].

٥ ـ أن النسائي رجح الوقف[٢].

الخلاصة: الحديث الصواب فيه أنه من قول أُبي بن كعب؛ لكن جاء ما يشهد له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٣] وابن عباس رضي الله عنهما[٤]، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر**[٥]، **وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار**»[٦]. وفي

---

[١] البيهقي «الشعب» (٤/ ٣١٥).

[٢] مشكل الآثار للطحاوي (١/ ٣٩٨).

[٣] أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠)، والنسائي (٦/ ٢٣٠)، وابن ماجه (٣٣٢٧)، من طريق الزهري، عن ثابت بن قيس، عن أبي هريرة بلفظ: «**الريح من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب، فلا تسبوها؛ ولكن اسألوا الله من خيرها وتعوذوا من شرها**». صححه: ابن حبان، والحاكم، وابن حجر، والمناوي. وحسنه: النووي.
ابن حبان (١٩٨٩)، المستدرك (٤/ ٢٨٥)، الفتوحات الربانية (٢/ ٤٠٣).

[٤] أخرجه: أبو داود (٤٩٠٨)، والترمذي (١٩٧٨)، من طريق بشر بن عمر، عن أبان، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس. والحديث ضعفه: الترمذي، وابن حجر. وقال الترمذي: حسن غريب. وقال ابن حجر: رواته ثقات، لكنه أعل بالإرسال. اهـ. لأن مسلم بن إبراهيم رواه عن أبان، عن قتادة، عن أبي العالية بدون ذكر ابن عباس، ومع إرساله له فلم يسمعه قتادة من أبي العالية، قال ابن القطان الفاسي: لم يسمع قتادة من أبي العالية إلا ثلاثة أشياء. اهـ. وليس فيها هذا الحديث. قال البيهقي: وحديثاً في الريح وفيه نظر. اهـ. الفتح (١٠/ ١٨٠).

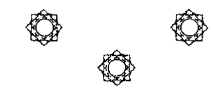
[٥] انظر: تحقيق التجريد (٢٤٣٣).

[٦] أخرجه: البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦)، من حديث الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه. واللفظ لمسلم. ولفظ البخاري: «**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**»، ولفظ آخر للبخاري: «**بيدي الليل والنهار**».

رواية: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»[١]. وجاء النهي عن سب الريح عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

فيه مسائل:

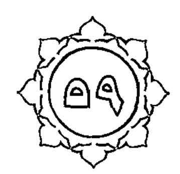
الأولى: النهي عن سب الريح[٣]. **الثانية**: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره. **الثالثة**: الإرشاد إلى أنها مأمورة. **الرابعة**: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر.



﴿١﴾ أخرجه: مسلم (٢٢٤٦)، من حديث هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿٢﴾ رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٧)، من طريق شيبان، عن منصور، عن مجاهد قال: هاجت ريح، أو هبت ريح، فسبوها، فقال ابن عباس: لا تسبوها فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب؛ ولكن قولوا: «اللَّهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً». وسنده صحيح.

﴿٣﴾ والنهي هنا للتحريم كما قال ابن عثيمين. القول المفيد (٢/ ٣٨٠).



باب: قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

وقوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا

من النار. وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجَب حكمته وحمده.

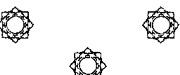
فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر. وفتش نفسك، هل أنت سالم.

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير آية آل عمران. الثانية: تفسير آية الفتح. الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر. الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.







٥٩ ـ باب: قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]﴿١﴾﴿٢﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن القيم (ت٧٥١): ولم يجئ في القرآن وعيد أعظم من وعيد من ظن به ظن السوء، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح]. اهـ. الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٥٦).

وقال المقريزي (٨٤٥هـ): فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن بالله؛ ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد، كما قال تعالى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. تجريد التوحيد (٦٧).

﴿٢﴾ هذ هو الباب الثالث فيما يتعلق تجاه ما قدره الله تعالى ـ الذي هو صفة من صفاته ـ وهو حسن الظن فيما يقدره الله.

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن ظن السوء ينافي كمال التوحيد، وينافي الإيمان بالأسماء والصفات؛ لأن الله قال في الأسماء: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، فإذا ظن بالله ظن السوء لم تكن الأسماء حسنى، وقال في الصفات: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ وإذا ظن بالله ظن السوء لم يكن له المثل الأعلى. اهـ. القول المفيد (٢/ ٣٩٥).

قال ابن القيم (٧٥١هـ): وبالجملة فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، أو عطل حقائق ما وصف به نفسه، ووصفته به رسله، فقد ظن به =

....

= ظن السوء.اهـ. زاد المعاد (٣/ ٢٣٣).

فالقول بأن الله يقدر الأمور لا عن حكمة هو سوء ظن بالله، وعدم تعظيم لأسماء الله وصفاته. قال ابن باز: المقصود من هذا الباب أن كثيراً من الناس لا يسلِّم لحكمة الله.اهـ. وقال صالح آل الشيخ: مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن الله ـ جل وعلا ـ موصوف بصفات الكمال، وله ـ جل وعلا ـ أفعال الحكمة، وأفعال العدل، وأفعال الرحمة والبر، فهو سبحانه كامل في أسمائه، كامل في صفاته، كامل في ربوبيته، ومن كماله في ربوبيته وفي أسمائه وصفاته أنه لا يفعل الشيء إلا لحكمة بالغة، والحكمة هي: أنه ـ جل وعلا ـ يضع الأمور في مواضعها التي توافق الغايات المحمودة منها، وهذا دليل الكمال. فالله ـ جل وعلا ـ له صفات الكمال، وله نعوت الجلال والجمال، فلهذا وجب لكماله ـ جل وعلا ـ أن يظن به ظن الحق، وأن لا يظن به ظن السوء، وأن يعتقد فيه ما يجب لجلاله ـ جل وعلا ـ من تمام الحكمة، وكمال العدل، وكمال الرحمة، وكمال أسمائه وصفاته ﷻ، فالذي يظن به ـ جل وعلا ـ أنه يفعل الأشياء لا عن حكمة فإنه قد ظن به ظن النقص، وهو ظن السوء الذي ظنه أهل الجاهلية، فظن غير الحق بالله تعالى منافٍ للتوحيد، وقد يكون منافياً لكمال التوحيد، فمنه ما يكون صاحبه خارجاً عن ملة الإسلام أصلاً، كظن غير الحق بالله تعالى في بعض مسائل القدر. ومنه ما هو منافٍ لكمال التوحيد، كعدم الإيمان بالحكمة، أو بأفعال الله ـ جل وعلا ـ المنوطة بالعلل التي هي منوطة بحكمته سبحانه البالغة.اهـ. وعدم الإيمان بأن الله له الحكمة البالغة يؤدي إلى أن يكون المخلوق شريكاً لله تعالى. التمهيد (٥٤٠).

قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): وكثير من العوام إذا رأى رجلاً صالحاً مؤذى قالوا: هذا ما يستحق، أو هذا ابن حلال، كأن الله ظلمه أو يذمه كأنه لا يستحق، قدحاً في القدر، وارتفاعاً على الخالق جل وعلا في التحكم عليه، حتى كأن المعترض قد ارتفع أن يكون شريكاً لله تعالى في ملكه، والله سبحانه هو العليم الحكيم، يضع الأشياء مواضعها.اهـ. حاشية ابن قاسم (٣٦٣).

وقال ابن القيم (ت٧٥١): فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله، ولهذا قال إمام الحنفاء لخصمائه من المشركين: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الصافات] فأنت تجد تحت هذا التهديد: ما ظننتم بربكم من سوء حتى عبدتم غيره.اهـ. إغاثة اللهفان (١/ ١٠١). =

وقوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ ﴿١﴾ [الفتح: ٦] ﴿٢﴾.

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

= **علاقته بالباب السابق:** هذا الباب كالباب السابق في تعظيم أسماء الله وصفاته، فالمصنف لما ذكر في الباب السابق أن من الأدب مع الله عدم سب شيء مما قدره وذكر عدم سب الريح مثالاً لذلك، ذكر المصنف في هذا الباب أدباً آخر مع ما قدره وهو حسن الظن فيما قدره جل وعلا، وأن ذلك لحكمة بالغة. التيسير (٥٨٥).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: وخلاصة ما ذكر ابن القيم في تفسير ظن السوء ثلاثة أمور:

الأول: أن يظن أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق؛ فهذا هو ظن المشركين والمنافقين في سورة الفتح، قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢].

الثاني: أن ينكر أن يكون ما جرى بقضاء الله وقدره؛ لأنه يتضمن أن يكون في ملكه سبحانه ما لا يريد، مع أن كل ما يكون في ملكه فهو بإرادته.

الثالث: أن ينكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليه الحمد؛ لأن هذا يتضمن أن تكون تقديراته لعباً وسفهاً، ونحن نعلم علم اليقين أن الله لا يقدر شيئاً أو يشرعه إلا لحكمة، قد تكون معلومة لنا وقد تقصر عقولنا عن إدراكها، ولهذا يختلف الناس في علل الأحكام الشرعية اختلافاً كبيراً بحسب ما عندهم من معرفة حكمة الله. اهـ. القول المفيد (٢/ ٣٨٩).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب:** إن فيها أن من ظنّ أن الله لا ينصر حزبه على أعدائه فقد ظن به ظن السوء. اهـ. لأن هذا الظن يدل على عدم إثبات الحكمة لأفعال الله. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٨٦).

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار. وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجَب حكمته وحمده. فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر. وفتش نفسك، هل أنت سالم.

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجياً[١]

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران. **الثانية**: تفسير آية الفتح. **الثالثة**: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر[٢]. **الرابعة**: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه[٣].

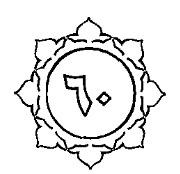
﴿١﴾ زاد المعاد (٣/ ١٩٦).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين: أي: ظن السوء والذي أخبر بذلك ابن القيم رحمه الله، وضابط هذه الأنواع أن يظن بالله ما لا يليق به. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣٩٥).

﴿٣﴾ قال ابن عثيمين: أي: لا يسلم من ظن السوء بالله إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده وعرف نفسه ففتش عنها، والحقيقة أن الإنسان هو محل النقص والسوء، وأما الرب فهو محل الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه.اهـ.

ولا تظن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

القول المفيد (٢/ ٣٩٥).



باب: ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت، أنه قال لابنه: يا بنيّ، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني». وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة». وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

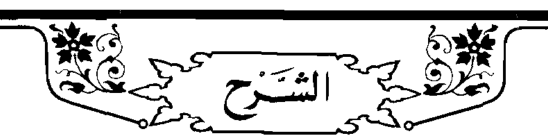
وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: «أتيت أُبيّ بن

كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدِّثْني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أُحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ». حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: بيان كيفية الإيمان بالقدر. الثانية: بيان فرض الإيمان. الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به. الرابعة: الإخبار أن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به. الخامسة: ذكر أول ما خلق الله. السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة. السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به. الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء. التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته؛ وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.





٦٠ ـ باب: ما جاء في منكري﴿١﴾ القدر﴿٢﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: أصله منكرين ـ جمع مذكر سالم ـ؛ فحذفت النون للإضافة كما يحذف التنوين أيضاً، قال الشاعر:

فأين تراني لا تحل جواري   كأني تنوين وأنت إضافة.اهـ.

وقد جاء في فتح الحميد باب ما جاء في منكر القدر، وصاحب فتح الحميد معتمد على نسخة مكتوبة بيد إمام الدعوة. فتح الحميد (١٧١٤، ١٧٦٩)، القول المفيد (٢/ ٣٩٦).

﴿٢﴾ هذا هو الباب الرابع فيما يتعلق تجاه ما قدره الله، وهو حكم من أنكر قدر الله.

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من الإشراك بتوحيد الأسماء والصفات إنكار قدر الله ﷻ؛ لأن في إنكاره منازعة لله في مشيئته وقدرته ووقوع ما لا يشاؤه، وإثبات أن المخلوق يوجد فعله. قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إثبات استقلال العبد بعمله مع كونه مملوكاً لله تعالى يقتضي إثبات شيء في ملك الله لا يريده الله، وهذا نوع إشراك به، ولهذا سمى النبي ﷺ القدرية مجوس هذه الأمة.اهـ.

قال حمد بن عتيق (١٣٠١هـ): قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله. قال شيخ الإسلام: يشير إلى أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله.اهـ. إبطال التنديد (٢٩٥).

وقال ابن القيم (٧٥١هـ): فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الربّ على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها.اهـ، وفي هذا بيان لوجه دخول القدر في توحيد الأسماء والصفات؛ لأن قدرة الله وعمله من صفاته. شفاء العليل (٦٥).

علاقة الباب بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق من أنكر حكمة الله فيما قدره، ذكر المصنف في هذا الباب حكم ووعيد من أنكر القدر.

وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره﴿١﴾»﴿٢﴾. رواه مسلم﴿٣﴾.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بنيّ، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك﴿٤﴾، وما أخطأك لم

التيسير (٦٨٥)، فتح المجيد (٢/ ٧٩٣)، قرة عيون الموحدين (٤٣٢)، القول المفيد (٢/ ٤٠١)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٤٩).

﴿١﴾ إذا كان القدر من الله؛ فكيف يقال: الإيمان بالقدر خيره وشره والشر لا ينسب إلى الله؟ فالجواب: أن الخير والشر ليس باعتبار قضاء الله، فقضاء الله كله خير؛ وإنما الشر في المقضي، أما قضاء الله نفسه فهو خير «والخير بيديك، والشر ليس إليك»، والمقضي وإن كان شراً في محله فهو خير في محل آخر.

التيسير (٥٩٢)، القول المفيد (٢/ ٤١٤)، التمهيد (٥٥٢).

﴿٢﴾ قال سليمان بن عبد الله (١٢٣٣هـ): وجه استدلال ابن عمر بالحديث من جهة أن النبي ﷺ عد الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فمن أنكره لم يكن مؤمناً، إذ الكافر بالبعض كافر بالكل، فلا يكون مؤمناً متقياً، والله لا يقبل إلا من المتقين. اهـ.

التيسير (٥٩١)، القول المفيد (٤٠٩).

﴿٣﴾ أخرجه: مسلم، من حديث كهمس، عن ابن بريدة، عن يحيى بن معمر، عن ابن عمر، عن أبيه رضي الله عنهما.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: بيان حكم منكري القدر. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٩٢).

﴿٤﴾ قال ابن عثيمين: تحمل هذه العبارة على أحد معنيين أو عليهما جميعاً:

الأول: أن المعنى «**ما أصابك**»؛ أي: ما قدر الله أن يصيبك، فعبر عن التقدير بالإصابة؛ لأن ما قدر الله سوف يقع، فما قدر الله أن يصيبك لم يكن ليخطئك مهما عملت من أسباب.

الثاني: «**ما أصابك**»؛ فلا تفكر أن يكون مخطئاً لك، فلا تقل: لو أنني فعلت =

يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم**[١]، **فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»، يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**»[٢]. وفي رواية لأحمد:

= كذا ما حصل كذا؛ لأن الذي أصابك الآن لا يمكن أن يخطئك. اهـ. القول المفيد (٢/ ٤١٨).

[١] يحتمل هذا أحد معنيين:

الأول: أن أول خلق الله هو القلم، وبه قال ابن جرير، وابن الجوزي، واستدلوا برفع «أول» و«القلم». ونوقش: بأن «أول» و«القلم» جملة، و«**قال له اكتب**» جملة أخرى، فيكون معنى الحديث أن أول المخلوقات في العالم المشاهد القلم، قال له: اكتب مقادير الخلائق.

المعنى الثاني: على نصب «أول» على أنه ظرف، ونصب «القلم» على أنه مفعول، والكلام جملة واحدة، ويكون المعنى: إن الله حين خلق القلم قال له اكتب، وهو قول كثير من السلف والخلف، كما قال ابن تيمية، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن عثيمين، والبراك. ويدل عليه رواية النصب في «أول» و«القلم»، وقوله ﷺ: «**كان الله ولا شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء**» رواه البخاري، وقوله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**» رواه مسلم.

قال ابن القيم:

والناسُ مختلفون في القلمِ الذي ... كُتبَ القضاءُ به من الديان
هل كان قبلَ العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العَلا الهمذاني
والحقُّ أن العرشَ قبلُ؛ لأنه ... وقت الكتابةِ كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال: اكتب كذا ... فغدا بأمر الله ذا جريان
فجرى بما هو كائن أبداً إلى ... يوم الميعاد بقدرة الرحمٰن

البداية والنهاية (١/ ٨)، القول المفيد (٢/ ٤٢١)، التمهيد (٥٥٤).

[٢] أخرجه: أبو داود (٤٧٠٠)، البيهقي (١٠/ ٢٠٤)، من طريق جعفر بن =

. . . .

= مسافر، عن يحيى بن حسان، عن الوليد بن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة «حبيش بن شريح»، عن عبادة بن الصامت. قال المزي: روى مروان بن محمد عن هذا الرجل فسمَّاه رباح بن الوليد، وهو الصواب فيما قاله أبو داود وغيره.اهـ. كابن عساكر. وقال أبو نعيم: غريب من حديث إبراهيم تفرد به يحيى عن الوليد، ورواه إبراهيم عن أبي يزيد الأودي عن عبادة، نحوه.اهـ. قال المزي: وروى هذا الحديث سلمة بن شبيب، عن مروان بن محمد، عن رباح بن الوليد، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي يزيد، عن عبادة بن الصامت. ورواه محمود بن خالد، عن مروان بن محمد، عن رباح بن الوليد بن يزيد بن نمران الذماري، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبد العزيز الأزدي، عن عبادة بن الصامت.اهـ. وقال في تهذيب الكمال: اختلف في إسناده: فقيل: عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة، عن عبادة، وقيل: عن إبراهيم، عن أبي يزيد، عن عبادة. وقيل: عن إبراهيم، عن أبي عبد العزيز الأردني، عن عبادة اهـ. وقد أخرجه: الضياء «المختارة» (٣/ ٣٥٤)، من طريق مروان بن محمد، عن رباح بن الوليد الذماري، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي يزيد الأردني، عن عبادة بن الصامت. قال الضياء المقدسي: في إسناده من لم أجده. قال الدارقطني: إبراهيم ثقة لكن الطرقات إليه ليست تصفو وهو بنفسه ثقة لا يخالف الثقات إذا روى عنه ثقة.اهـ. وشريح ليس له إلا حديث واحد، كما قال المزي. وأخرجه: الترمذي (٢١٥٥)، من طريق عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن عبادة بن الصامت. قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال البوصيري: وفي إسناده ضعف، لضعف عبد الواحد بن سُليم.اهـ. وقال أحمد في عبد الواحد: حديثه منكر، أحاديثه موضوعة. وقال البخاري: فيه نظر. وقال الذهبي: عبد الواحد واهٍ.اهـ. وأخرجه: أحمد (٥/ ٣١٧) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن عبادة بن الصامت. وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. وأخرجه ابن أبي عاصم «الأوائل» (١/ ٦٠) من طريق بقية بن الوليد، عن معاوية بن سعيد، عن عبد الله ابن السائب، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه. بقية مدلس ولم يصرح بالتحديث، ومعاوية بن سعيد فيه جهالة.

الحلية (٥/ ٢٤٨)، الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٣/ ٣١٢، ٣٤٩)، إتحاف الخيرة المهرة (١/ ٣٧)، تاريخ دمشق (١٨/ ٣٤)، تحفة الأشراف (٦/ ٩٥)، =

«إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»﴿١﴾. وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: **«فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار»**﴿٢﴾.

= تهذيب الكمال (٥/ ٤١٥)، الرد على ابن القطان «للذهبي» (٤٧).

﴿١﴾ أخرجه: أحمد (٥/ ٣١٧)، والبزار (٧/ ١٣٧)، من طريق أبي زيد الحمصي «أيوب بن زياد»، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد بن عبادة، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. صححه: البوصيري. وقال علي بن المديني: إسناده حسن. وقال ابن القطان الفاسي: أيوب لا يعرف حاله.اهـ. وقال الذهبي: حمصي مقل.اهـ. ورواه الآجري «الشريعة» (١/ ١٦٨)، من طريق إسحاق بن سليمان، عن معاوية بن يحيى، عن الزهري، عن محمد بن عبادة بن الصامت، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وفيه معاوية بن يحيى ضعفه: ابن معين، وأبو داود، والدارقطني. وضعف البخاري، والدارقطني رواية إسحاق، عن معاوية. ومحمد بن عبادة ترجم له يعقوب بن سفيان.

«المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٨٦) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، التاريخ الكبير (٧/ ٣٣٦)، الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٣/ ٣٤٨)، الضعفاء للعقيلي (٤/ ١٨٢)، تحفة الأشراف (٤/ ٢٦١)، بيان الوهم (٣/ ٦١٠)، الرد على ابن القطان «للذهبي» (٤٦)، المغني في الضعفاء (١/ ٦٤).

﴿٢﴾ أخرجه: الضياء «المختارة» (٣/ ٣٤٩)، من طريق عثمان بن أبي العاتكة، عن سليمان بن حبيب، عن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وعثمان بن أبي العاتكة ضعفه: ابن معين، والنسائي. الكامل (٥/ ١٦٥).

شواهد الحديث:

أ ـ ما أخرجه: الطبراني «مسند الشاميين» (٦٧٣)، والآجري «الشريعة» (١/ ٣٥٣)، من طريق بقية، حدثني أرطاة بن المنذر، قال: سمعت مجاهد، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أول شيء خلقه الله القلم، فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين، فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور، رطب أو يابس، فأمضاه عنده في الذكر»**، ثم قال: **«اقرؤوا إن شئتم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: ٢٩]، فهل يكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه»**. وإسناده ليس بالقوي لعدم تصريح مجاهد من ابن عمر. =

....

= ب ـ ما أخرجه: البيهقي «السنن الكبرى» (٩/٣)، من طريق ابن المبارك، عن رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**أول شيء خلق الله القلم، فأمره فكتب كل شيء يكون**». قال أبو نعيم: «لم يروه عن سعيد إلا القاسم، ولا عنه إلا عمر، تفرد به رباح، ورواه عن ابن عباس جماعة منهم: أبو ظبيان، وأبو إسحاق، ومقسم، ومجاهد منهم من رفعه ومنهم من وقفه.اهـ. وقال ابن كثير: غريب من هذا الوجه. اهـ. **وعلته**:

١ ـ أن عمر بن حبيب خالفه هشام الدستوائي فرواه عن القاسم ابن أبي بزة، عن عروة بن عامر، عن ابن عباس موقوفاً، كما عند عبد الله بن أحمد «السُّنَّة» (٨٩٨)، وهشام أوثق من عمر بن حبيب.

٢ ـ أن أبا ظبيان «المستدرك» (٢/ ٤٩٨)، ومجاهد «تفسير ابن جرير» (٢٩/ ١١) روياه عن ابن عباس من قوله.

٣ ـ ما أخرجه: الآجري «الشريعة» (١/ ٢٢٥)، من طريق الحسن بن يحيى الخشني، عن أبي عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً: «**إن أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فذلك قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝﴾ [القلم]، ثم ختم على في القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل، فقال: وعزتي لأكملنّك فيمن أحببت، ولأنقصنّك فيمن أبغضت**». وإسناده ضعيف؛ لأن الحسن بن يحيى الخشني صدوق سيئ الحفظ، كما قال أبو حاتم. وأبو عبد الله مولى بني أمية وثقه أبو زرعة، وقد تابعه سُمي كما عند ابن عدي «الكامل» (٦/ ٢٦٩)، من طريق محمد بن وهب الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن مالك بن أنس، عن سمي به. قال ابن عدي: وهذا بهذا الإسناد باطل منكر.اهـ. وقال الذهبي «الميزان» (٦/ ٣٦٣)، صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل، وأقره ابن حجر «اللسان» (٧/ ٤٠). ومحمد بن وهب قال فيه ابن عساكر: منكر الحديث.اهـ.

📖 **علاقة الحديث بالباب**، قال صالح الفوزان: إن فيه وجوب الإيمان بالقدر، والتحذير من إنكاره والكفر به، وبيان الوعيد المترتب على ذلك.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٩٤).

الحكم على الحديث:

قال الشيخ إبراهيم اللاحم، حفظه الله[١]: لا شك أن الحديث فيه ضعف، وذكر البخاري له في ترجمة الراوي إشارة لضعفه. والتحمل في تقويته لا فائدة من ورائه، ومن يفعل ذلك يتناقض في أحاديث أُخر يحتاج لنقدها؛ لكن من جهة المتن: منهم من يحمل هذا على النسبية؛ أي: ما دون العرش، ومنهم من يقول أن الله حين خلق القلم قال له ذلك[٢].

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: «أتيت أُبيّ بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدِّثْني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أُحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود

﴿١﴾ حكم الشيخ ـ حفظه الله ـ على الحديث هو إجابة لسؤال وجهته له ونصه: شيخنا. . . هل حديث عبادة ﷺ ضعيف، حيث إن أقوى طرقه ما رواه أحمد، من طريق أيوب بن زياد، عن عبادة بن الوليد، عن أبيه، عن عبادة بن الصامت. وأيوب سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وذكره ابن حبان في ثقاته ولم يوثقه غيره، وذكر الحديث البخاري في التاريخ في ترجمة عبادة من طريق أيوب. وقال ابن المديني: إسناده حسن. وجاء الحديث عند أبي داود، من طريق حبيش بن شريح، عن عبادة؛ لكن جاء من طريق آخر، عن شريح، عن أبي يزيد، عن عبادة، وأبو يزيد مجهول. فطرق الحديث ـ حفظكم الله ـ ليست بالقوية، وفيها من فيهم جهالة، والحديث فيه نوع إشكال مع حديث ابن عمران ﷺ، الذي فيه أن العرش قبل القلم. فما درجة الحديث عندكم؟

﴿٢﴾ الحديث جاء له شواهد من حديث ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة؛ لكنها ضعيفة.

الإبانة (١/ ٣٣٨)، الآجري (١٦٦ ـ ١٧٠)، الكامل (٦/ ٢٦٩)، أطراف الغرائب (٣/ ٤٢٢، ٣٢٩)، تفسير ابن جرير (٢٣/ ٥٢٦)، ابن كثير (٨/ ١٨٧).

وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ»﴿١﴾. حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه﴿٢﴾.

أخرجه: أحمد (٥/ ١٨٥)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، من طريق أبي سنان «سعيد بن سنان»، عن وهب، عن خالد، عن ابن الديلمي﴿٣﴾.

﴿١﴾ ولفظه عند أبي داود: «أتيت أُبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك».

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: بيان أن الإيمان بالقدر أمرٌ حتمٌ، وأنه هو الذي رواه الصحابة عن نبيهم ﷺ.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٩٦).

﴿٣﴾ ورواه الآجري (١٧٨)، من طريق عبد الله بن صالح «كاتب الليث»، عن معاوية بن صالح، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن ابن الديلمي. وسنده ضعيف فيه كاتب الليث ضعفه النسائي وابن المديني والحاكم، وقال الذهبي: فيه لين. وقال ابن عدي: مستقيم الحديث إلا أنه يقع في حديثه في أسانيده ومتونه غلط، ولا يتعمد الكذب. وقال ابن حجر: صدوق كثير الغلط. وقد خالفه زيد بن الحباب فرواه عن معاوية بن صالح، عن أيوب، أبو زيد الحمصي، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه قال: «إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: وكيف لي أن أعلم خيره وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك...».

المجروحين (٢/ ٤١ ـ ٤٤)، الكامل (٤/ ٢٠٧)، الشريعة «للآجري» (١٧٧)، الكاشف (١/ ٥٦٢، ٢/ ٢٩٩)، الميزان (٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤٥)، التقريب (٣٢٢)، والتهذيب (٥/ ٢٥٦ ـ ٢٦١).

صحَّحه: ابن حبان[١].

ضعَّفه: ابن رجب[٢].

الحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن سعيد بن سنان ليس بالقوي كما قال أحمد، وعنده أحاديث غرائب وأفراد كما قال ابن عدي[٣].

٢ ـ أن وهب بن خالد ليس بالمشهور بالعلم، كما قال ابن رجب[٤].

٣ ـ أن إسناد الحديث ربما فيه تصحيف، حيث جاءت القصة عند مسلم (٢٦٥٠) بين أبي الأسود الدؤلي وعمران بن حصين[٥]، ويؤيد

---

[١] ابن حبان (١٨١٧).

[٢] قال ابن رجب (٧٩٥هـ): وفي الحديث نظر، ووهب بن خالد ليس بذاك المشهور بالعلم. جامع العلوم والحكم (٢/ ٨).

[٣] العلل ومعرفة الرجال (١/ ٥٢٠)، الكامل (٣/ ٣٦٣).

[٤] سكت عليه البخاري وابن أبي حاتم.

التاريخ الكبير (٨/ ١٦٥)، الجرح والتعديل (٩/ ٢٤)، جامع العلوم والحكم (٨/٢).

[٥] ولفظه: «عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون. فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾» [الشمس].

ذلك أن القصة جاءت بنفس لفظ ابن الديلمي بين عمران بن حصين وبين أبي الأسود الدؤلي﴿١﴾.

فيه مسائل:

الأولى: بيان كيفية الإيمان بالقدر. **الثانية**: بيان فرض الإيمان﴿٢﴾. **الثالثة**: إحباط عمل من لم يؤمن به﴿٣﴾. **الرابعة**: الإخبار

﴿١﴾ رواه الآجري «الشريعة» (١/ ١٩٤)، من طريق هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت البصرة، وبها عمران بن الحصين صاحب رسول الله، فجلست في مجلس، فذكروا القدر، فأمرضوا قلبي، فأتيت عمران بن الحصين، فقلت: يا أبا نجيد، إني جلست مجلساً فذكروا القدر، فأمرضوا قلبي، فهل أنت محدثي عنه؟ فقال: نعم، تعلم أن الله ﷻ لو عذب أهل السمٰوات وأهل الأرض لعذبهم حين يعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته أوسع لهم، ولو كان لك مثل أُحد ذهباً فأنفقته ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر كله، خيره وشره، وستقدم المدينة فتلقى بها أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، قال: فقدمت المدينة، فجلست في مجلس فيه عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب. فقلت لأُبي: أصلحك الله، إني قدمت البصرة، فجلست في مجلس، فذكروا القدر فأمرضوا قلبي، فهل أنت محدثي عنه؟ فقال: نعم. تعلم أن الله ﷻ لو عذب أهل السمٰوات وأهل الأرض لعذبهم حين يعذبهم وهو غير ظالم، ولو رحمهم كانت رحمته أوسع لهم، ولو كان لك مثل أُحد ذهباً فأنفقته ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، ثم قال: يا أبا عبد الرحمٰن، حدث أخاك. قال: فحدثني بمثل ما حدثني أُبي بن كعب. رواه ابن بطة «الإبانة» (٢/ ٥٠)، من طريق آخر عن أبي الأسود.

﴿٢﴾ أي: بالقدر، وهو أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. القول المفيد (٢/ ٤٣٠).

﴿٣﴾ **حكم منكري القدر، فيه تفصيل:**

النوع الأول: قدرية الاعتقاد، وهم على قسمين:

القسم الأول: القدرية الغلاة الذين يزعمون أن الله لا يعلم أعمال العباد حتى يعملوها، فهؤلاء كفار ويقتلون باتفاق السلف كما حكاه ابن القيم، لأن قولهم هذا =

أن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به. **الخامسة**: ذكر أول ما خلق الله﴿١﴾. **السادسة**: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة. **السابعة**: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به. **الثامنة**: عادة السلف في

= ينافي أصل التوحيد، فمن أنكر العلم السابق فقد أنكر القدر إنكاراً انتفى معه أصل التوحيد، وأصحاب هذا القول لا يثبتون كذلك الكتابة ولا المشيئة ولا الخلق. قال ابن القيم في غلاة القدرية الذين ينكرون العلم والكتابة: اتفق السلف على كفرهم وحكموا بقتلهم، الذين يقولون لا يعلم أعمال العباد حتى يعلموها، ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها ولا قدرها.اهـ.

القسم الثاني: جمهور القدرية الذين يقرون بقدم العلم وينكرون عموم المشيئة، وعموم الخلق، فهؤلاء مبتدعون ضالون. قال شيخ الإسلام: وأما القدرية الذي ينفون الكتاب والعلم فكفروهم، ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال.اهـ. الفتاوى **(٣/ ٣٥٢)**.

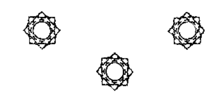
قال سليمان بن عبد الله: وفي تكفير هؤلاء ـ الذين أنكروا خلق الله لأفعال العباد ـ نزاع مشهور، وبالجملة فهم أهل بدعة شنيعة، والرسول ﷺ بريء منهم كما هو بريء من الأولين، فإنكار القدر منه ما هو كفر مخرج من التوحيد مخرج من الملة، ومنه ما هو دون ذلك، ويكون منافياً لكمال التوحيد.اهـ. التسيير **(٥٩٧)**.

النوع الثاني: قدرية الحال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): فشهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد وغيبته عن ذلك من أضر الأمور به، فإنه يكون قدريّاً منكراً لنعمة الله عليه بالإيمان والعمل الصالح وإن لم يكن قدري الاعتقاد كان قدري الحال وذلك يورث العجُب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله واعتقاد استحقاق الجزاء على الله به، فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها ـ لا مع الاحتجاج بالقدر ـ عليها خيراً من هذا الذي يشهد الطاعة منه لا من إحسان الله إليه.اهـ. الفتاوى **(٨/ ٣٣١)**.

وقال سليمان الداراني: إنما التواضع في أن لا تعجب بعملك، وكيف يعجب عاقل بعمله، وإنما يعدّ العمل نعمة من الله ﷻ ينبغي أن يشكر الله ويتواضع، إنما يعجب بعمله القدري.اهـ. الإبانة الكبرى **(٢/ ٢٨٦)**.

﴿١﴾ قال الشيخ عبد الرحمٰن البراك: مسألة: أيهما أسبق العرش أم القلم؟ مسألةٌ أمرها سهل ولا ينبغي الاهتمام بها.اهـ.

إزالة الشبهة بسؤال العلماء. **التاسعة:** أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته؛ وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط[١].



[١] قال ابن القيم: وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئل أحدهم عن مسألة أفتى بالحجة نفسها، فيقول: قال الله كذا، وقال رسول الله ﷺ كذا أو فعل كذا، فيشفى السائل ويبلغ القائل، وهذا كثير جداً في فتاويهم لمن تأملها.اهـ. إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٢٦٠).

٦١

باب: ما جاء في المصوِّرين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»، أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله».

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم». ولهما عنه مرفوعاً: «من صوَّر صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ».

ولمسلم عن أبي الهياج قال: «قال لي علي رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين. الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي».

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: «فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة». الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً. الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يُعذب بها المصور في جهنم. السادسة: أنه يكلف أن يَنفخ فيها الروح. السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

۞ ۞ ۞





٦١ ـ باب: ما جاء في المصوِّرين ﴿١﴾(*)

....

﴿١﴾ هذا هو الباب الخامس فيما يتعلق فيما قدره الله ﷻ، وهو فيما يتعلق بمرتبة الخلق التي هي من مراتب القدر.

المصورون: جمع تصحيح للمصور، والمصور: هو الذي يقوم بالتصوير، والتصوير معناه: التشكيل، تشكيل الشيء حتى يكون على هيئة صورة لآدمي أو لغير آدمي من حيوان، أو نبات، أو جماد، أو سماء، أو أرض، فكل هذا يقال له: مصور، إذا كان يشكل بيده شيئاً على هيئة صورة معروفة. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٥٦).

والمصور عند الإطلاق لا يسمى به إلا الله، قال ابن القيم: الخالق والمصور إن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا على الرب، كقوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد. اهـ. شفاء العليل (١٣١).

وقال ابن منظور: ومن أسماء الله المصور. اهـ. لسان العرب (٤/ ٤٧١).

(*) **علاقته بكتاب التوحيد:** أن من الإشراك بتوحيد الأسماء والصفات مشاركة الله في اسمه المصور؛ لأن في التصوير خلقاً وإبداعاً يكون به المصور مشاركاً لله في ذلك الخلق والإبداع. قال المقريزي (٨٤٥هـ): وإذا كان المصوِّر الذي يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة؛ لتشبُّهِهِ بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالمتشبه بالله في الربوبية والإلـٰهية. . وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك. اهـ. تجريد التوحيد للمقريزي (٦٥).

وقال السعدي (١٣٧٦هـ): لا يحل أن يجعل لله نداً في النيات والأقوال والأفعال، والند المشابه ولو بوجه بعيد. فاتخاذ الصور الحيوانية تشبُّه بخلق الله. اهـ.

قال ابن عثيمين: ومناسبة هذا الباب للتوحيد: أن في التصوير خلقاً وإبداعاً =

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم﴿١﴾ ممن ذهب﴿٢﴾ يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة﴿٣﴾، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه﴿٤﴾.

= يكون به المصور مشاركاً لله في ذلك الخلق والإبداع.اهـ. القول السديد (١٨٠).

قال صالح آل الشيخ: ومناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن التوحيد هو ألا يجعل لله ند فيما يستحقه ـ جل وعلا ـ. والتصوير تنديد من جهة أن المصور جعل فعله نداً لفعل الله ـ جل وعلا ـ. . . فمناسبة الباب لكتاب التوحيد من جهتين: الجهة الأولى: جهة المضاهاة بخلق الله، والتمثل بخلق الله ـ جل وعلا ـ وبصفته واسمه.اهـ. قال ابن رجب (٧٩٥هـ): فإنه ـ المصور ـ ظالم ممثل بأفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره، والله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﷻ.اهـ.

علاقته بالباب السابق: لما ذكر المصنف في الباب السابق عقوبة من نازع الله في قدره بشكل عام، ذكر المصنف في هذا الباب عقوبة من شارك الله في تصويره، الذي هو داخل في مرتبة من مراتب القدر، وهي مرتبة الخلق؛ لكن أفرده المصنف لكثرة وقوعه، والتحذير منه.

الفتح «لابن رجب» (٢/ ٤٠٥)، القول المفيد (٢/ ٤٣٥).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): «من»: اسم استفهام والمراد به النفي؛ أي: لا أحد أظلم، وإذا جاء النفي بصيغة الاستفهام كان أبلغ من النفي المحض؛ لأنه يكون مشرباً معنى التحدي والتعجيز.اهـ. قال ابن باز (١٤٢٠هـ): وهذا الأسلوب جاء في القرآن في مواضع كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١].اهـ.

التحقيق المفيد (٢٦٣)، القول المفيد (٢/ ٤٣٥).

﴿٢﴾ قصد.

﴿٣﴾ صغار الذر.

﴿٤﴾ أخرجه: البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٧٥٥٩)، من حديث عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ﷺ.

علاقة هذا الحديث بالباب، أن فيه بيان التغليظ الشديد في المصورين؛ لأنهم ينازعون الله فيما هو من خصائصه. قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على تحريم =

ولهما عن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون﴿١﴾ بخلق الله﴿٢﴾»﴿٣﴾.

= التصوير، وأنه من أظلم الظلم.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٣٩٨).

﴿١﴾ أي: يشابهون. تحقيق التجريد (٢/ ٥١٩)، القول المفيد (٢/ ٤٤٢).

﴿٢﴾ **علل المنع من التصوير:**

١ ـ المضاهاة لخلق الله تعالى، وهي تشبيه فعل المخلوق بفعل الخالق سبحانه، وبهذه العلة علل كل من الحنفية، والشافعية، وابن عثيمين، والفوزان. قال عبد الرحمٰن بن حسن: وقد ذكر النبي ﷺ العلة، وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فلا يجوز أن يشبه بشيء من خلقه سبحانه لما فيه من المضاهاة بخلق الله.اهـ. قرة عيون الموحدين (٤٥٠).

٢ ـ أنها وسيلة إلى الشرك.

٣ ـ الفتنة بالصور، كما ذكر ابن القيم.

٤ ـ أن فيه تشبهاً بفعل من كانوا يصنعون الصور والتماثيل ويعبدونها من دون الله تعالى.

٥ ـ أن الصور مانعة من دخول الملائكة.

إغاثة اللهفان (١/ ٢٨٦)، بدائع الصنائع (١/ ٦٤٧)، مغني المحتاج (٣/ ٢٤٧)، شرح صحيح مسلم (١٤/ ٩١)، الفتح (١/ ٦٢٦)، غذاء الألباب (١/ ٢٤٤)، فتح المجيد (٤٩٢)، القول المفيد، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٥٧)، أحكام التصوير «لمحمد واصل» (١٤٧).

﴿٣﴾ أخرجه: البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧)، من طريق عبد الرحمٰن القاسم، عن أبيه، عن عائشة. ولفظه: «قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه، وقال: **أشد الناس...**».

جاء وصف غير المصورين بأنهم في أشد العذاب كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، والجمع بين الحديث والآية أن الأشدية إنما هي باعتبار جنس المُعَذَّبين لا باعتبار جنس العذاب، فالمصورون أشد الناس عذاباً بالنسبة إلى غيرهم ممن لا يصور، وفرعون أشد الناس عذاباً باعتبار المُدعين للإلهية، وبهذا أجاب أبو العباس القرطبي، والمناوي، وابن عثيمين. وقيل: إن الأشدية في الآية إنما هي باعتبار جنس العذاب، والمعنى: أن آل فرعون هم أشد الناس عذاباً بالنسبة لنوع العذاب =

ولهما عن ابن عباس ﵄: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصوِّر في النار يجعل له بكل﴿١﴾ صورة صوَّرها نفس يعذب بها في جهنم»﴿٢﴾. ولهما عنه مرفوعاً: «من صوَّر صورة في الدنيا كُلف﴿٣﴾ أن

= الذي هم فيه، وهذا مذهب الإمام أحمد. وقيل: إن الآية ليس فيها ما يقتضي اختصاص آل فرعون بأشد العذاب، بل هم في العذاب الأشد، وغيرهم ممن يستحق مثل هذا العذاب مشارك لهم في العذاب الأشد، ذكره ابن حجر. فالحديث ذكر فيه وصف المستحق للعذاب وهم المصورون، والآية ذكرت أشخاصاً بعينهم، وهم قوم فرعون، والعلة الموجبة لعذاب هؤلاء وهؤلاء هي مضاهاة الله، وهي التي استحقوا بها العذاب الأشد.

الرد على الزنادقة والجهمية «للإمام أحمد» (١/ ١٥)، المفهم (٥/ ٤٣١)، الفتح (١٠/ ٣٩٧)، فيض القدير «للمناوي» (١/ ٥١٧)، والقول المفيد (٣/ ٢٠٩)، الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم «لأحمد القصير» (٤٣٦).

📖 قال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): وإذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله من الحيوان، فكيف بمن سوَّى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه وصرف له شيئاً من العبادة؟. اهـ. حاشية كتاب التوحيد «لابن قاسم» (٣٧٢).

علاقة الحديث بالباب، أن المصورين من أشد الناس عذاباً يوم القيامة؛ لأنهم يضاهؤون بخلق الله. قال إمام الدعوة في المسائل: الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً. اهـ. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٥٧).

﴿١﴾ أي: تعذبه نفس الصورة بأن يجعل فيها روحاً، والباء بمعنى «في»، أو يجعل له بكل صورة شخص يعذب به. حاشية ابن قاسم (٣٧٣).

﴿٢﴾ مسلم (٢١١٠)، من طريق سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها، فقال: ادن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا حتى وضع يده على رأسه، وقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ: **«كل مصور في النار، يَجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه في جهنم»**. وفي رواية عند البخاري (٢٢٢٥)، عن سعيد بن أبي الحسن قال: كنت عند ابن عباس إذ أتاه رجل فقال: «يا ابن عباس، إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير...».

﴿٣﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ): ليست الآخرة دار حرث؛ وإنما هي دار =

ينفخ فيها الروح وليس بنافخ﴿١﴾»﴿٢﴾.

ولمسلم عن أبي الهياج قال: «قال لي علي رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته﴿٣﴾»﴿٤﴾.

= حصاد، وأوامر الرب ونواهيه ثابتة في الدارين، وكذلك أوامر التكليف ثابتة في البرزخ، ويوم القيامة، وحكاه أبو الحسن الأشعري في مقالاته عن أهل السُّنَّة في تكليف من لم تبلغه الدعوة في الدنيا أن يكلفوا يوم القيامة. فقول القائل: الآخرة ليست دار تكليف ولا أمر ولا نهي قول باطل ودعوى فاسدة، والله تعالى الموفق. اهـ. بدائع الفوائد (٤/ ١٦٤).

﴿١﴾ قال السفاريني (١١٨٨هـ): وكأن القصد طول تعذيبه وإظهار عجزه عما كان تعاطاه مبالغة في توبيخه وبيان قبح فعله. اهـ. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/ ٢٠٦).

﴿٢﴾ أخرجه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠)، من طريق النضر بن أنس، عن ابن عباس.

علاقة الحديث بالباب، أن فيه بيان سبب كون المصور أشد الناس عذاباً.

قال إمام الدعوة في المسائل: الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم. السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح. اهـ.

وقال سليمان بن عبد الله: فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهياً لخلق الله، فصار ما صور عذاباً له يوم القيامة، وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. فكان أشد الناس عذاباً؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب. اهـ. التيسير (٣٤٤).

﴿٣﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): له معنيان: الأول: أي: سويته بما حوله من القبور. الثاني: جعلته حسناً على ما تقتضيه الشريعة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾؛ أي: سوى خلقه أحسن ما يكون، وهذا أحسن، والمعنيان متقاربان. اهـ. القول المفيد (٢/ ٤٤٨).

﴿٤﴾ قال الشوكاني (١٢٥٠هـ): اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عنهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله =

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين﴿١﴾. **الثانية**: التنبيه على

= لفاعلها. اهـ. شرح الصدور بتحريم رفع القبور (٥).

📖 أخرجه مسلم (٩٦٩)، من حديث سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، عن أبي الهياج.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على وجوب طمس الصور وإتلافها. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٠٣).

قال ابن عثيمين: ومناسبة ذكر القبر المشرف مع الصور: أن كلّاً منهما قد يتخذ وسيلة إلى الشرك، فإن أصل الشرك في قوم نوح أنهم صوروا صور رجال صالحين، فلما طال عليهم الأمد عبدوها. اهـ.

وقال صالح آل الشيخ: ووجه الاستدلال من هذا الحديث: أنه قرن بين الصورة والقبر المشرف في وجوب إزالتهما، وبقاء القبر المشرف وسيلة من وسائل الشرك، وكذلك لاقتران بقاء الصورة أيضاً وسيلة من وسائل الشرك، «فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعث علياً أن لا يدع صورة إلا طمسها»؛ لأن الصور من وسائل الشرك، وأن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه؛ لأن بقاء القبور مشرفة يدعو إلى تعظيمها وذلك من وسائل الشرك. اهـ.

القول المفيد (٢/ ٤٤٩)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٥٩).

﴿١﴾ **حكم التصوير:**

أولاً: باعتبار اعتقاد المصوِّر، وهو على ثلاثة أحوال:

١ ـ أن يقصد بالتصوير مضاهاة خلق الله ومحاكاته في فعله، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد مماثلة الله في خلقه، ويدل عليه حديث عائشة.

٢ ـ أن لا يقصد المضاهاة؛ لكن قصد بتصويرها أن تعبد من دون الله، وهذا شرك أكبر؛ لأنه ممن يدعو لعبادة غير الله.

٣ ـ أن لا يقصد المضاهاة ولا أن تتخذ آلهة من دون الله؛ وإنما صنعها من باب العبث أو التجارة أو الهواية؛ فهذا محرم، وكبيرة من الكبائر؛ لأن فيه مضاهاة لله في خلقه.

قال ابن رجب: إن اجتمع بناء المسجد على القبور ونحوها من آثار الصالحين مع تصوير صورهم فلا شك في تحريمه، سواء كانت صوراً مجسدة كالأصنام أو على حائط ونحوه، كما يفعله النصارى في كنائسهم، والتصاوير التي في الكنيسة =

. . . .

= التي ذكرتها أم حبيبة وأم سلمة أنهما رأتاها بالحبشة كانت على الحيطان ونحوها، ولم يكن لها ظل، وكانت أم سلمة وأم حبيبة قد هاجرتا إلى الحبشة. فتصوير الصور على مثل صور الأنبياء والصالحين؛ للتبرك بها والاستشفاع بها محرم في دين الإسلام، وهو من جنس عبادة الأوثان، وهو الذي أخبر النبي: «**أن أهله شرار الخلق عند الله يوم القيامة**». وتصوير الصور للتآنس برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم، وهو من الكبائر، وفاعله من أشد الناس عذاباً يوم القيامة، فإنه ظالم ممثل بأفعال الله التي لا يقدر على فعلها غيره، والله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﷻ. اهـ.

قال صالح آل الشيخ: والمضاهاة بخلق الله ـ جل وعلا ـ التي رتب عليها أن يكون فاعلها أشد الناس عذاباً يوم القيامة عند كثير من العلماء محمولة على المضاهاة التي تكون كفراً؛ لأن المضاهاة في التصوير يكون كفراً في حالتين:

الحالة الأولى: أن يصور صنماً ليعبد، أو يصور إلهاً ليعبد، كأن يصور لأهل البوذية صورة بوذا، أو يصور للنصارى المسيح، أو يصور أم المسيح ونحو ذلك، فتصوير ما يعبد من دون الله ـ جل وعلا ـ مع العلم بأنه يعبد هذا كفر بالله ـ جل وعلا ـ؛ لأنه صور وثناً ليعبد، وهو يعلم أنه يعبد، فيكون شركاً أكبر وكفراً بالله ـ جل وعلا ـ.

والحالة الثانية: أن يصور الصورة ويزعم أنها أحسن من خلق الله ـ جل وعلا ـ فيقول: هذه أحسن من خلق الله، أو: أنا فقت في خلقي وتصويري ما فعل الله ـ جل وعلا ـ فهذا كفر أكبر، وشرك أكبر بالله ﷻ، وهذا هو الذي حمل عليه هذا الحديث، وهو قوله: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذي يضاهؤون بخلق الله**»، وأما المضاهاة بالتصوير عامة بما لا يخرجه من الملة، كالذي يرسم بيده، أو ينحت التمثال، أو ينحت الصورة مما لا يدخل في الحالتين السابقتين فهو كبيرة من الكبائر، وصاحبها ملعون ومتوعد بالنار. اهـ.

قال ابن عثيمين: إذا صور الإنسان لا مضاهاة لخلق الله، ولكن صور عبثاً؛ يعني: صنع من الطين أو من الخشب أو من الأحجار شيئاً على صورة حيوان وليس قصده أن يضاهي خلق الله، بل قصده العبث أو وضعه لصبي ليهدئه به؛ فهل يدخل في الحديث؟ فالجواب: نعم، يدخل في الحديث؛ لأنه خلق كخلق الله، ولأن المضاهاة لا يشترط فيها القصد، وهذا هو سر المسألة، فمتى حصلت المضاهاة =

. . . .

= ثبت حكمها، ولهذا لو أن إنساناً لبس لبساً يختص بالكفار ثم قال: أنا لا أقصد التشبه بهم؛ نقول: التشبه منك بهم حاصل أردته أم لم ترده، وكذلك لو أن أحداً تشبه بامرأة في لباسها أو في شعرها أو ما أشبه ذلك وقال: ما أردت التشبه؛ قلنا له: قد حصل التشبه، سواء أردته أم لم ترده.اهـ.

ثانياً: باعتبار المصوَّر، وهو على أحوال:

١ ـ إذا كان المصوَّر تمثالاً مجسماً مما له ظل من ذوات الأرواح وكان مصنوعاً مما يبقى طويلاً، كصناعته من حديد أو خشب، فهذا محرم بالإجماع كما حكاه ابن العربي. وقال ابن عطية: ما أحفظ من أئمة العلم من يجوِّزه.اهـ.

٢ ـ إذا كان المصور تمثالاً مجسماً مما له ظل من ذوات الأرواح وكان مصنوعاً مما لا يبقى طويلاً، كصناعته من الطين أو الحلوى، فهذا محرم عند جمهور أهل العلم من الحنفية والحنابلة وجمهور المالكية والشافعية؛ لعموم الأدلة في المنع من التصوير. وذهب بعض المالكية والشافعية إلى جواز ذلك؛ لأنها في حكم المهان؛ لأن هذه التماثيل إذا نشفت تقطعت. ونوقش: بأن أحاديث المنع عامة ولم تستثنِ ما كان مما لا يدوم.

٣ ـ إذا كان المصور ناقصاً عضواً أو أعضاء بحيث لا تبقى معه الحياة سواء كان تمثالاً أو غير تمثال مما هو مرسوم باليد، فذهب الجمهور إلى إباحتها. وذهب إلى تحريمها بعض الشافعية وابن إبراهيم، وابن باز، وابن عثيمين؛ لقول جبريل للنبي ﷺ: «**فمر برأس التمثال يقطع فيصير كهيئة الشجرة**» رواه أبو داود وصححه الترمذي، ويؤيده ما جاء عند الشيخين أن ابن عباس جاءه رجل يسأله فقال: «إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها، فقال له: ادن مني، فدنا منه، حتى وضع يده على رأسه، وقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ: **كم مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه في جهنم**»، ثم قال ابن عباس: فإن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له». ومن الأدلة على التحريم عموم الأدلة المانعة من التصوير.

٤ ـ إذا كان المصور تمثالاً مما له ظل ولم يكن من ذوات الأرواح كشجرة أو جبل، فهذا جائز صناعته عند جماهير العلماء خلافاً للقرطبي حيث قال بتحريم صناعتها.

٥ ـ إذا كان المصور لعبة طفل مجسمة، فهي على نوعين:

أ ـ إذا كانت اللعبة من العهن والرقاع، فذهب الجمهور إلى جوازها؛ لحديث =

. . . .

= عائشة الذي أخرجه البخاري، قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي». ولحديث الربيِّع بنت معوذ عند الشيخين، قالت: «أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليتم، قالت: فكنا نصومه ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن. . .». وذهب المنذري، والحليمي، والبيهقي، وابن الجوزي إلى التحريم؛ لعموم أدلة تحريم التصوير، وأن أحاديث الجواز منسوخة. ونوقش: بأن الجمع بين الأدلة ممكن، ولم يثبت أن أدلة التحريم متأخرة على أحاديث الجواز.

ب ـ إذا كانت اللعبة مصنوعة من البلاستيك، فذهب محمد بن إبراهيم، وحمود التويجري، والفوزان إلى تحريمها؛ لأنها تماثل تماماً جسم الإنسان والحيوان. وذهب بعض المعاصرين إلى جوازها؛ قياساً على اللعب في عهد النبوة.

٦ ـ إذا كان المصور مرسوماً باليد مما له روح، فالجمهور على تحريمه؛ لعموم الأدلة المانعة من التصوير.

٧ ـ إذا كان المصوَّر مرسوماً باليد مما ليس له روح، وهذا على نوعين: النوع الأول: أن يكون مما يصنعه الآدمي؛ فهذا لا بأس به بالاتفاق؛ لأنه إذا جاز الأصل جازت الصورة؛ مثل أن يصور الإنسان سيارته؛ فهذا يجوز؛ لأن صنع الأصل جائز، فالصورة التي هي فرع من باب أولى.

النوع الثاني: ما لا يصنعه الآدمي؛ وإنما يخلقه الله، فذهب الجمهور، ومنهم الأئمة الأربعة وهو اختيار ابن تيمية وابن حجر، إلى جواز تصويرها؛ لحديث ابن عباس وفيه: «فإن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر، وما لا نفس له». ولحديث عائشة في قصة النمرقة التي فيها تصاوير، حيث قال الرسول ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»، ولقول جبريل للنبي ﷺ: «**فمر برأس التمثال يقطع فيصير كهيئة الشجرة**» رواه أبو داود وصححه الترمذي. وذهب مجاهد إلى تحريم ما يثمر، ولا يعرف عن أحد غيره، كما قال ابن عبد البر، والنووي، واستدل بحديث أبي هريرة، وأجاب عليه الجمهور بأن الحديث للتعجيز. وذهب القرطبي وجماعة من أهل العلم إلى تحريم التصوير مطلقاً، سواء كانت من الإنسان أو الحيوان أو مما يصنعه الإنسان مما ليس فيه روح على شكل شجرة وبيت وسفينة، أو المخلوقات الكونية كالشمس والقمر، أو كان ممن ينمو كالزروع =

العلة، وهو ترك الأدب مع الله﴿١﴾، لقوله: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**»﴿٢﴾.

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: «**فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة**»﴿٣﴾. **الرابعة**: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً. **الخامسة**: أن الله

= والأشجار. لعموم حديث أبي هريرة الذي أورده المصنف في أول الباب. وذهب ابن حجر، وبعض الشافعية إلى تحريم ما عبد منها من دون الله كالشمس والقمر، قال ابن حجر: يضاهي صورة الأصنام التي هي الأصل في منع التصوير. اهـ. وذهب لجوازها القاسم بن محمد، ويرد عليه بما جاء مرفوعاً: «**أن أصحاب هذه الصور يعذبون...**» يشير إلى الصور التي على الستر المعلق.

٨ ـ إذا كان المصور بآلات التصوير الحديثة، فذهب إلى تحريمه محمد بن إبراهيم، وابن باز، والألباني، وحمود التويجري، وعبد الرحمٰن المحمود، واللجنة الدائمة للإفتاء؛ لعموم الأدلة المانعة من التصوير. وذهب إلى جوازه ابن عثيمين، ومحمد نجيب المطيعي، وسيد سابق وغيرهم؛ لأنه ليس تصويراً بالمعنى الذي جاءت النصوص بتحريمه؛ لأن التصوير المحرم فيه فعل للإنسان في تشكيله وتخطيطه بخلاف التصوير بآلات التصوير الحديثة.

التمهيد (١/ ٣٠١، ٢١/ ٢٠١)، شرح معاني الآثار (٤/ ٢٨٦)، المغني (٧/ ٧) شرح صحيح مسلم (١٤/ ٨٤)، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٧٥)، الآداب الشرعية (٣/ ٢٦٣)، الفتح «لابن رجب» (٢/ ٤٠٥)، الفتح (١٠/ ٣٩٧)، المحرر الوجيز (١٣/ ١١٧)، المجموع الثمين (٢/ ٢٤٩)، التمهيد، أحكام التصوير «لمحمد أحمد» (٢٣٦، ٢٥٥، ٣٣١).

﴿١﴾ قال ابن القيم (٧٥١): ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً وحالاً. اهـ. مدارج السالكين (٢/ ٣٨٧).

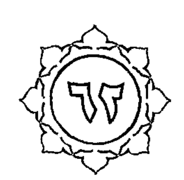
﴿٢﴾ تؤخذ من قوله: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**»: فمن ذهب يخلق كخلق الله؛ فهو مسيء للأدب مع الله ﷻ لمحاولته أن يخلق مثل خلق الله تعالى، كما أن من ضاده في شرعه فقد أساء الأدب معه. القول المفيد (٢/ ٤٥٢).

﴿٣﴾ لأن الله خلق أكبر من ذلك وهم عجزوا عن خلق الذرة أو الشعيرة. القول المفيد (٢/ ٤٥٢).

يخلق بعدد كل صورة نفساً يُعذب بها المصور في جهنم. **السادسة**: أنه يكلف أن يَنفخ فيها الروح﴿١﴾. **السابعة**: الأمر بطمسها إذا وجدت.

۞ ۞
۞

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: عقوبة المصور ما يلي:
١ ـ أنه أشد الناس عذاباً أو من أشدهم عذاباً.
٢ ـ أن الله يجعل له في كل صورة نفساً يعذب بها في نار جهنم.
٣ ـ أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.
٤ ـ أنه في النار.
٥ ـ أنه ملعون؛ كما في حديث أبي جحيفة في «البخاري» وغيره. اهـ.
القول المفيد (٢/ ٤٤٩).



باب: ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف مَنْفَقة للسلعة، مَمْحَقة للكسب». أخرجاه.

وعن سلمان ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل اللهَ بضاعتَه: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه». رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ـ ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولايؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن».

وفيه عن ابن مسعود ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

وقال إبراهيم: «كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان. الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة. الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه. الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي. الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يُستحلفون. السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث. السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يُستشهدون. الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

۞ ۞ ۞





٦٢ ـ باب: ما جاء في كثرة الحلف ﴿١﴾(*)

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] ﴿٢﴾.

﴿١﴾ والمراد بالحلف هنا: اليمين المنعقدة، واليمين هي تأكيد الشيء بذكر معظَّم بصيغة مخصوصة بأحد حروف القسم، وهي: الباء، والواو، والتاء.

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من كمال تحقيق توحيد الأسماء والصفات ألا يكثر من الحلف بها، وخاصة في الأمور الدنيوية؛ لأن الإكثار من الحلف بها يدل على الاستخفاف بها وعدم تعظيمها، وهذا مما ينافي كمال التوحيد.

قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): ومناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله تعالى من تمام التوحيد. اهـ.

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن من كمال التوحيد احترام اسم الله وعدم امتهانه بكثرة الحلف؛ لأن ذلك يدل على الاستخفاف به وعدم التعظيم له. اهـ.

علاقة هذا الباب بالباب السابق: هذا الباب كالباب السابق في تعظيم أسماء الله ﷻ، فالمصنف لما بيَّن في الباب السابق أن مما يقدح في التوحيد صناعة الصور ولو كانت لغرض دنيوي، كاستعمالها في البيوت كما في حديث عائشة، أو للتجارة كما في حديث ابن عباس، بيَّن في هذا الباب أن مما يقدح في التوحيد الحلف بأسمائه من أجل تحقيق أغراض دنيوية كالبيع وغيره. والله أعلم.

﴿٢﴾ قال ابن الجوزي: وفي قوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أقلوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

والثاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها.

والثالث: راعوها لكي تؤدوا الكفارة عند الحنث فيها. اهـ. =

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف﴿١﴾ مَنْفَقَة للسلعة، مَمْحَقة للكسب»﴿٢﴾ ....

= قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): حفظ اليمين له ثلاثة معانٍ:

١ ـ حفظها ابتداءً، وذلك بعدم كثرة الحلف، وليعلم أن كثرة الحلف تضعف الثقة بالشخص وتوجب الشك في أخباره.

٢ ـ حفظها وسطاً، وذلك بعدم الحنث فيها.

٣ ـ حفظها انتهاءً في إخراج الكفارة بعد الحنث.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك معنى رابع، وهو أن لا يحلف بغير الله؛ لأن الرسول ﷺ سمى القسم بغير الله حلفاً. اهـ. وذهب ابن باز إلى أن الأمر في الآية للوجوب. والأصل في الحلف الجواز، كما قال الجمهور.

زاد المسير (٤٠٤)، التحقيق المفيد (٢٦٨)، القول المفيد (٢/ ٤٥٤)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٦٤).

📖 **علاقة الآية بالباب،** أنها تدل على الوصية بحفظ الأيمان. قال إمام الدعوة في المسائل: الأولى: الوصية بحفظ الأيمان. اهـ.

وقال ابن قاسم (١٣٩٣هـ): قال ابن عباس: يريد لا تحلفوا. وقال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا. وأراد المصنف من الآية ما قاله ابن عباس، وكلها متلازمة، فإنه يلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث، مع ما يدل عليه من الاستخفاف بالله وعدم التعظيم له، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب. اهـ. حاشية كتاب التوحيد «لابن قاسم» (٣٧٦).

﴿١﴾ وفي رواية عند أحمد (٢/ ٢٣٥)، وابن حبان (٤٩٠٦)، من طريق العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «**اليمين الكاذبة**...». وقد تفرد بها العلاء بن عبد الرحمٰن، قال ابن حجر: صدوق ربما وهم. اهـ. وقد رواه البخاري ومسلم بدون تقييدها باليمين الكاذبة. التقريب (٤٨٢).

﴿٢﴾ وقد قيدها بالكاذبة ابن حجر (٨٥٢هـ)، وعبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ)، وابن عثيمين (١٤٢١هـ)؛ لرواية أحمد، من حديث العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة، ولأن اليمين الصادقة ليس فيها عقوبة. وقد نوقش هذا القول: قال الغنيمان ـ متعقباً من قيد الحديث باليمين الكاذبة ـ: كون الإنسان يحلف وهو كاذب ليس هو المقصود من الحديث، فهذا أمر آخر، وهي =

أخرجاه﴿١﴾﴿٢﴾.

= اليمين الغموس التي هي من الكبائر، ولكن المقصود كثرة الحلف على الشيء وهو صادق، والسبب في هذا أن الدنيا كلها ينبغي ألا يهتم بها المسلم اهتماماً بحيث إنه يذكر اسم الله جل وعلا عليها؛ جالباً بذلك المنفعة والمصلحة منها.. فالدنيا لا ينبغي ذكر اسم الله عليها بالحلف؛ لأن هذا يدل على الرغبة فيها والتعلق بها.اهـ. وقال السيوطي في حاشية أبي داود: المراد اليمين الكاذبة. قلت ـ السيوطي ـ: يمكن إبقاؤه على إطلاقه؛ لأن الصادق لترويج أمر الدنيا وتحصيله يتضمن ذكر الله للدنيا وهو لا يخلو عن كراهة ما.اهـ. حاشية السندي على النسائي (٧/ ٢٤٦)، شرح كتاب التوحيد «للغنيمان».

📖 قال الراغب: فحق المسلم أن يتحاشى من الاستعانة باليمين في الحق، وأن يتحقق قدر المقسم به، ويعلم أن الأغراض الدنيوية أخس من أن يفزع فيها إلى الحلف بالله، فإنه إذا قال: والله إنه لكذا، تقديره: إن ذلك حق كما أن وجود الله حق، وهذا الكلام يتحاشى منه من في قلبه حبة خردل من تعظيم الله: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١].اهـ. فيض القدير (٣/ ٤١٧).

﴿١﴾ أخرجه: البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، من حديث يونس بن يزيد، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ. لفظ البخاري من طريق الليث، عن يونس: «**ممحقة للبركة**». ولفظ مسلم من طريق ابن وهب، عن يونس: «**ممحقة للربح**». قال ابن حجر: تابعه ـ أي: تابع الليث ـ عنبسة بن خالد، عن يونس عند أبي داود، وفي رواية ابن وهب وأبي صفوان عند مسلم «**للربح**»، وتابعهما أنس بن عياض عند الإسماعيلي، ورواه الليث عند الإسماعيلي بلفظ «**ممحقة للكسب**»، وتابعه ابن وهب عند النسائي، ومال الإسماعيلي إلى ترجيح هذه الرواية، وقد اختلف في هذه اللفظة على الليث كما اختلف على يونس، ووقع للمزي في «الأطراف» في نسبة هذه اللفظة لمن خرجها وَهْمٌ يعرف مما حررته.اهـ.

وجاء لما يشهد لحديث أبي هريرة عند مسلم (١٦٠٧)، من الوليد بن كثير، عن ابن معبد، عن أبي قتادة ﷺ مرفوعاً: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق**». الفتح (٤/ ٣٧٠).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب،** أن فيه بيان عقوبة من يحلف لترويج سلعته؛ وذلك لأن البيع من مواطن كثرة الحلف. قال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الحديث للباب: أن فيه التحذير من استعمال الحلف لأجل ترويج السلع، وبيان ما يترتب =

وعن سلمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله﴿١﴾**، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل اللهَ بضاعتَه: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»**﴿٢﴾. رواه الطبراني بسند صحيح.

أخرجه: الطبراني «الكبير»، والبيهقي «الشعب» (٤/ ٢٢٠)، من طريق سعيد بن عمرو، عن حفص بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سلمان رضي الله عنه﴿٣﴾.

= على ذلك من الضرر. اهـ. لأن في ذلك امتهاناً لاسم الله تعالى. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٠٥).

وقال صالح آل الشيخ: قوله ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**»: وسبب ذلك أنه نوع عقوبة، فإن هذا الذي يبيع بالحلف فإنه تنفق سلعته، ولكن كسبه يمحق؛ لأن محق الكسب يكون نوع عقوبة لأجل أنه لم يفعل الواجب من تعظيم الله - جل وعلا -. التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٦٠).

﴿١﴾ قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): فإن قيل: إن الله يكلم من هو أعظم منهم جرماً وهم أهل النار؟ فالجواب: أن المراد بنفي الكلام هنا كلام الرضا، أما كلام الغضب والتوبيخ؛ فإن هذا الحديث لا يدل على نفيه. اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٦٠).

﴿٢﴾ **علاقة الحديث بالباب**، أن فيه الوعيد الشديد لمن يكثر الحلف في البيع والشراء. قال إمام الدعوة في المسائل: الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه. اهـ.

وقال الشيخ صالح الفوزان: مناسبة الحديث للباب: أن فيه التحذير من كثرة الحلف في البيع والشراء. اهـ. وقال ابن عثيمين: مناسبة الحديث للباب: أن من جعل الله بضاعته؛ فإن الغالب أنه يكثر الحلف بالله عز وجل. اهـ.

القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٦٣)، الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٠٧).

﴿٣﴾ وله شاهد عن الطبراني «الكبير» (٣/ ١٣٧)، من طريق الفضل بن المختار، عن عبد الله بن موهب، عن عصمة بن مالك. وفيه المختار وهو ضعيف جداً، كما قال ابن حجر. الإصابة (٢/ ٤٧٥).

وهذا الإسناد معلول؛ لأمور:

١ ـ أن سعيد بن عمرو الأشعثي الكوفي تفرد به، كما قال الطبراني[١].

٢ ـ أن حفص بن غياث تكلم أحمد وابن عمار في حفظه[٢]، وله أحاديث منكرة قد تفرد بها[٣]، وقد تفرد بهذا الحديث كما قال الطبراني[٤].

٣ ـ أن حفص بن غياث متكلم في بعض حديثه إذا حدث من غير كتابه كما قال يعقوب بن شيبة[٥]، وقد حدث في الكوفة من حفظه كما قال ابن معين، وسعيد بن عمرو كوفي[٦].

٤ ـ أن حفص بن غياث يدلس كما قال أحمد، وابن سعد[٧]. ولم يصرح هنا بالسماع[٨].

﴿١﴾ قال الطبراني (٣٦٠هـ): لم يرو هذا الحديث عن عاصم إلا حفص، تفرد به سعيد بن عمرو، ولا يروى عن سلمان إلا بهذا الإسناد.اهـ. المعجم الأوسط (٥/ ٣٦٧).

﴿٢﴾ قال ابن حبان (٣٥٤هـ): كان يهم في الأحايين.اهـ. وقال ابن عمار: لا يحفظ حسناً.اهـ. مشاهير علماء الأمصار (١/ ١٧)، التقريب (١٥٨)، بحث في سُنَّة الجمعة القبلية «للمعلمي» (٥٧).

﴿٣﴾ العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٣٨٣)، المنتخب من العلل «الخلال» (٥٧)، التهذيب (٨/ ٢٩٣)، علل الدارقطني (٢/ ١٧٤، ١٢/ ٢٥١)، تاريخ بغداد (٥٠٤).

﴿٤﴾ قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عاصم إلا حفص، تفرد به سعيد بن عمرو، ولا يروى عن سلمان إلا بهذا الإسناد. المعجم الأوسط (٥/ ٣٦٧.

﴿٥﴾ (١/ ٣٤٣).

﴿٦﴾ العلل ومعرفة الرجال (٣/ ١٨٤)، الميزان (١/ ٥٦٧)، التقريب (١٥٨)، بحث في سُنَّة الجمعة القبلية «للمعلمي» (٥٩).

﴿٧﴾ التهذيب (٢/ ٤١٧)، جامع التحصيل (١٠٦).

﴿٨﴾ قال المعلمي ـ في إسناد لم يصرح فيه حفص بن غياث بالسماع ـ: =

٥ ـ أن منجاب بن الحارث (ثقة) رواه عن حفص بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سلمان دون ذكر: «ورجل جعل الله بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»﴿١﴾.

الخلاصة: الحديث ليس بالقوي؛ لغرابة إسناده؛ لكن جاء ما يشهد له من حيث العموم. فجاء عند مسلم (١٠٦) من طريق أبي زرعة، عن خرشة، عن أبي ذر رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم. قلنا: من هم، يا رسول الله؟ فقال: المنان، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**». وجاء عند البخاري من طريق أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً بلفظ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل**». وأول الحديث جاء عند مسلم (١٠٧) من طريق أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كاذب، وعائل مستكبر**».

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي﴿٢﴾ قرني﴿٣﴾، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ قال

= والمدلس لا يكون حجة إلا فيما صرح فيه بالسماع.اهـ.

﴿١﴾ البزار (٦/ ٤٩٣). وقال المنذري: رواه البزار بإسناد جيد.اهـ. الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٥).

﴿٢﴾ المراد أمة الإجابة؛ لأن أمة الدعوة إذا لم يؤمنوا فليس فيهم خير. القول المفيد (٢/ ٤٦٥).

﴿٣﴾ قال ابن عثيمين: وفي لفظ لهما: «**خيركم قرني**»، وفي حديث ابن مسعود عند البخاري: «**خير الناس قرني**»، وهذا هو المراد؛ إذ المراد بالخيرية هنا الخيرية المضافة إلى الناس عموماً وليس للأمة فقط، ولهذا ثبت عنه ﷺ أنه قال: =

عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ـ﴿١﴾ ثم إن بعدكم

= «**بعثت من خير قرون بني آدم**» وعليه؛ فالخيرية في القرن الأول خيرية عامة على جميع الناس وليس على هذه الأمة فقط. اهـ. القول المفيد (٢/ ٤٦٣).

📖 قال ابن تيمية في بيان القرن: لأن القرن معتبر بمعظم الناس، فإذا كان معظم الناس الصحابة فالقرن قرنهم. اهـ. وقال ابن حجر: أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة. اهـ. قال ابن حجر: واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، وإلى الثاني نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ أو في زمانه بأمره، أو أنفق شيئاً من ماله بسببه، لا يعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]. اهـ. الفتح (٧/ ٥).

﴿١﴾ قال ابن حجر (٨٥٢هـ): وقع مثل هذا الشك في حديث ابن مسعود وأبي هريرة عند مسلم، وفي حديث بريدة عند أحمد، وجاء في أكثر الطرق بغير شك، منها عن النعمان بن بشير عند أحمد، وعن مالك عند مسلم، عن عائشة: «قال رجل: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: **القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث**»، ووقع في رواية الطبراني وسمويه ما يفسر به هذا السؤال، وهو ما أخرجاه من طريق بلال بن سعد بن تميم، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس خير؟ فقال: «**أنا وقرني**»، فذكر مثله. وللطيالسي من حديث عمر رفعه: «**خير أمتي القرن الذي أنا منهم، ثم الثاني، ثم الثالث**»، ووقع في حديث جعدة بن هبيرة عند ابن أبي شيبة والطبراني إثبات القرن الرابع ولفظه: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الآخرون أردأ**»، ورجاله ثقات إلا أن جعدة مختلف في صحبته، والله أعلم. اهـ.

قال ابن القيم (٧٥١هـ): هذا الحديث قد روي من حديث عمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وعائشة، والنعمان بن بشير. فأما حديث عمران فمتفق عليه، واختلف في لفظه، فأكثر الروايات: أنه ذكر بعد قرنه قرنين، ووقع في بعض طرقه في الصحيح: «**ثم الذين يلونهم**» ثلاث مرات، ولعل هذا غير محفوظ، فإن عمران قد سئل فيه فقال: «لا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً». =

. . . .

= وأما حديث عبد الله بن مسعود: فأخرجاه في الصحيحين ولفظه: «**خير أمتي: القرن الذين يلونني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**». وفي لفظ لهما: «سئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: **قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، فلم يختلف في علية ذكر «**الذين يلونهم**» مرتين. وأما حديث أبي هريرة: فرواه مسلم في صحيحه، ولفظه: «**خير أمتي الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم**»، والله أعلم: أذكر الثالث أم لا؟ قال: «ثم يخلف قوم يحبون الشماتة، يشهدون قبل أن يستشهدوا». فهذا فيه قرن واحد بعد قرنه، وشك في الثالث، وقد حفظه عبد الله بن مسعود وعمران وعائشة. وأما حديث عائشة فرواه مسلم أيضاً عنها قالت: «سأل رجل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: **القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث**». وأما حديث النعمان بن بشير: فرواه ابن حبان في صحيحه. ولفظه عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم، وشهادتهم أيمانهم**». فقد اتفقت الأحاديث على قرنين بعد قرنه، إلا حديث أبي هريرة فإنه شك فيه. وأما ذكر القرن الرابع فلم يذكر إلا في رواية في حديث عمران، لكن في الصحيحين له شاهد من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «**يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول ﷺ؟ ويقولون: نعم، فيفتح لهم**». فهذا فيه ذكر قرنين بعده. كما في الأحاديث المتقدمة. ورواه مسلم فذكر ثلاثة بعده. ولفظه: «**يأتي على الناس زمان يبعث منهم البعث، فيقولون: انظروا، هل تجدون فيكم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيوجد الرجل، فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثاني، فيقولون: هل فيكم من رأى أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيفتح لهم، ثم يبعث البعث الثالث فيقال: انظروا، هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيفتح لهم. ثم يكون البعث الرابع. فيقال: انظروا، هل ترون فيهم أحداً رأى من رأى أحداً رأى أصحاب النبي ﷺ؟ فيوجد الرجل فيفتح له**».اهـ.

تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٣٣٣)، الفتح (١٠/ ٤٤٥)، التعليق المفيد (٢٦٨).

قوم﴿١﴾ يشهدون ولا يستشهدون﴿٢﴾، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا

﴿١﴾ قال ابن حجر: قوله: «**إن بعدكم قوماً**» كذا للأكثر، وفي رواية النسفي وابن شبويه أن بعدكم قوم. قال الكرماني: لعله كتب بغير ألف على اللغة الربيعية أو حذف منه ضمير الشأن.اهـ.

قال ابن عثيمين: قوله: «**ثم إن بعدكم قوم**»: وفي رواية البخاري: «**ثم إن بعدكم قوماً**» بنصب «**قوماً**»، وهذا لا إشكال فيه، لكن في هذه الرواية برفع «قوم» فيه إشكال؛ لأن «قوم» اسم إن، وقد اختلف العلماء في هذا، فقيل: على لغة ربيعة: الذين لا يقفون على المنصوب بالألف، فلم يثبت الكاتب الألف، فصارت «قوم». وهذا جواب ليس بسديد؛ لأن الرواية ليست مكتوبة فقط، بل تكتب وتقرأ باللفظ عند أخذ التلاميذ الرواية من المشايخ، ولأن هذا ليس محل وقف. وقيل: إن «إن» اسمها ضمير الشأن محذوف، إلحاقاً لها بإن المخففة؛ لأن «إن» المخففة تعمل بضمير الشأن، قال الشاعر:

وإنّ مالك كانت كرام المعادن

فإن المشددة هنا حملت على إن المخففة، فاسمها ضمير الشأن محذوف، وعليه يكون «بعدكم» خبر مقدم، و«قوم» مبتدأ مؤخر، والجملة خبر «إن». وقيل: «إن» هنا بمعنى نعم؛ فيكون المعنى: ثم نعم بعدكم قوم، وهذا فيه تكلف. والظاهر: القول الثاني إن صحت الرواية.اهـ. الفتح (٥/ ٢٥٩)، القول المفيد (٢/ ٤٦٥).

﴿٢﴾ قال الشيخ صالح الفوزان: الشهادة حلف، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١، ٢]، فسمى الشهادة يميناً.اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): وقوله: «يشهدون قبل أن يستشهدوا» قد فهم منه طائفة من العلماء أن المراد به أداء الشهادة بالحق قبل أن يطلبها المشهود له، وحملوا ذلك على ما إذا كان عالماً؛ جمعاً بين هذا وبين قوله: «**ألا أنبئكم بخير الشهداء: الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها**»، وحملوا الثاني على أن يأتي بها المشهود له فيعرفه بها. والصحيح أن الذم في هذه الأحاديث لمن يشهد بالباطل كما جاء في بعض ألفاظ الحديث: «**ثم يفشو فيهم الكذب حتى يشهد الرجل ولا يستشهد**»؛ ولهذا قرن ذلك بالخيانة وبترك الوفاء بالنذر، وهذه الخصال الثلاثة هي آية المنافق... فذمهم ﷺ على ما يفشو فيهم من خصال النفاق، وبيّن أنهم يسارعون إلى الكذب حتى يشهد الرجل بالكذب قبل أن يطلب منه ذلك؛ فإنه شر =

يوفون، ويظهر فيهم السِّمن»[١] [٢]. **وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**[٣] [٤].

= ممن لا يكذب حتى يسأل أن يكذب. اهـ. الفتاوى (٢٠/ ٢٩٦).

📖 قال ابن باز (١٤٢٠هـ): وهذا إشارة إلى الغفلة والإعراض عن الاستعداد للآخرة. اهـ. وقال ابن عثيمين: أي أنهم لا يعتنون إلا بالأجساد دون القلوب والأعمال الصالحة. اهـ.

[١] **أخرجه**: البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥)، من طريق زهدم بن المضرب، عن عمران رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، إن فيه ذم الذين يتساهلون بالشهادة وهي نوعٌ من اليمين. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٠٩).

[٢] قال البيضاوي والكرماني: هم قوم حراص على الشهادة، مشغوفون بترويجها، يحلفون على ما يشهدون به تارة، ويحلفون قبل أن يشهدوا تارة. اهـ.

قال الفوزان: قوله: «**قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**» يعني: لا يبالون بالشهادة، ولا يبالون بالأيمان، بل يسابقون إليها، ويسارعون إليها بدون تحفظ، وبدون خوف من الله عز وجل، يحلفون ويشهدون بكثرة. فتح الحميد (٤/ ١٩٦٣)، إعانة المستفيد (٢٧٨).

[٣] أخرجه: البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٣٣٣)، عن منصور، عن إبراهيم بن يزيد، عن عبيدة السلماني، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، إن فيه التحذير من التساهل باليمين والشهادة. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤١١).

[٤] قال سليمان بن حمدان (١٣٩٧هـ): «كانوا» الظاهر أن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود، كما هي عادة إبراهيم في النقل عنهم. قاله في «إبطال التنديد».

قلت: ولا وجه لتخصيص كلام إبراهيم بأصحاب عبد الله بن مسعود، بل كان هذا حال السلف في تربية أولادهم؛ لأنهم إذا اعتادوا ذلك في حال الصغر أدى ذلك إلى التساهل في ذلك في حال الكبر، وكانت هذه حالة السلف الصالح محافظة على أولادهم لا يتركون شيئاً مما يكره إلا أنكروه على الصغار وأدّبوهم عليه. اهـ. الدر النضيد (٣١٩).

وقال إبراهيم: «كانوا يضربوننا﴿١﴾ على الشهادة والعهد ونحن صغار»﴿٢﴾﴿٣﴾.

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان. **الثانية**: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة. **الثالثة**: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه. **الرابعة**: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي﴿٤﴾. **الخامسة**: ذم الذين يحلفون ولا يُستحلفون﴿٥﴾. **السادسة**: ثناؤه ﷺ

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: قوله: «يضربوننا على الشهادة»؛أي: يضربوننا عليها إن شهدنا زوراً، أو إذا شهدنا ولم نقم بأدائها، ويحتمل أن المراد بذلك ضربهم على المبادرة بالشهادة والعهد، وبه فسره ابن عبد البر. القول المفيد (٢/ ٤٧٠).

﴿٢﴾ البخاري (٢٦٥٢)، مسلم (٢٥٣٣)، قال ابن حجر: والمعروف أنه إذا أطلق إبراهيم فإنه يراد به إبراهيم النخعي. اهـ.

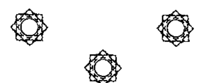
﴿٣﴾ تؤخذ من حديث سلمان، حيث ذكر الأشيمط الزاني والعائل المستكبر، وغلظ في عقوبتهم؛ لأن الداعي إلى فعل المعصية المذكورة ضعيف عندهما. القول المفيد (٢/ ٤٧٢).

﴿٤﴾ قال عبد الله الدويش (١٤٠٨هـ): أي لقوله: «**تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**». اهـ.

وقال ابن عثيمين: لقوله ﷺ: «**ورجل جعل الله بضاعته؛ لا يشتري إلا بيمينه...**». اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤٧٢).

﴿٥﴾ هذا هو الباب الثاني تجاه أسماء الله وصفاته في عدم التوكيد بها في أغراض ربما تؤدي إلى عدم تعظيم الله وأسمائه وصفاته. والمراد بذمة الله هو توكيد العهد في المواثيق بسم الله تعالى. وسمي العهد ذمة؛ لأنه يلتزم به كما يلتزم صاحب الدين بدينه في ذمته. وقال يحيى بن سعيد عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]: هي العهود، والعهد يمين، ولكن الفرق بينهما أن العهد لا يكفر. قال النبي ﷺ: «**ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال: هذه غدرة فلان**». وأما اليمين بالله فقد شرع الله سبحانه فيها الكفارة بخصلة واحدة، وحل ما انعقدت عليه اليمين. تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٠).

على القرون الثلاثة أو الأربعة، وذكر ما يحدث. **السابعة:** ذم الذين يشهدون ولا يُستشهدون. **الثامنة:** كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.



٦٣

باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل].

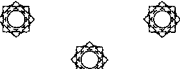
وعن بريدة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً.

وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحوَّلوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنْزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا». رواه مسلم.

○ فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين. **الثانية**: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً. **الثالثة**: قوله: «اغزوا بسم الله في سبيل الله». **الرابعة**: قوله: «قاتلوا من كفر بالله». **الخامسة**: قوله: «استعن بالله وقاتلهم». **السادسة**: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء. **السابعة**: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟.







٦٣ ـ باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﴿١﴾

وقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴿٢﴾ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ

﴿١﴾ **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن من كمال تحقيق توحيد الأسماء والصفات عدم إعطاء ذمة الله في العهود بين الجماعات؛ خوفاً من إخفارها، فيؤدي ذلك لتنقص الله ﷻ، وهذا مما ينافي كمال التوحيد.

قال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): ومناسبة الباب للتوحيد: أن عدم الوفاء بعهد الله تنقص له، وهذا مخل بالتوحيد. اهـ. القول المفيد (٢/ ٢٧٥).

علاقته بالباب السابق: لما ذكر المصنف أن من تعظيم أسماء الله وصفاته ألا يكثر من الحلف بها في التعامل مع أفراد الناس، بين المصنف أن من تعظيمها مع الناس ألا يعطى عهد الله وذمته ولو كان ذلك في العهود بين الجماعات؛ خوفاً من عدم الوفاء بها، فينسب النقص لله تعالى.

القول السديد (١٨٤)، التعليق المفيد (٢٧١)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٦٩).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام (٧٢٨هـ) في أنواع العهود: إن المعاهدة هي المعاقدة، وهي ثلاثة أنواع:

أحدها: المعاقدة بين الناس، كالمعاهدة بين المسلمين والكفار، والمعاهدة بين الأئمة في طاعتهم في طاعة الله ورسوله، والمعاهدة التي عهد النكاح والبيع ونحو ذلك مما يجب الوفاء به، وإن لم يكن بلفظ المعاهدة بالله، فإذا عاهد بالله وغدر كان ذلك من أعظم شعب النفاق.

الثانية: معاهدة الله على ما يتقرب يه إليه، فهذا من معنى النذر والحلف المنذور، فإن كان على فعل واجب أو ترك محرم، كان يميناً ونذراً كذلك، وإن كان على مستحب كان نذراً له مؤكداً باليمين بمعاهدة الله. =

تَوۡكِيدِهَا﴿١﴾ وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾﴿٢﴾ [النحل: ٩١]﴿٣﴾.

وعن بريدة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش

= **الثالثة:** معاهدة بمعنى اليمين المحضة، إذا كان مقصودها الحض والمنع فهذه يمين، لكنها مؤكدة. اهـ. نظرية العقد (٩٥، ٩٦).

قال الشيخ صالح الفوزان: المراد به: الميثاق الذي يعقد بين الناس، وأضافه ﷻ إلى نفسه إضافة تشريف؛ مما يدل على تعظيم العهد. اهـ. والوفاء بالعهود واجب بالإجماع، كما حكاه ابن قدامة. فتح الحميد (٤/ ١٩٧٠)، إعانة المستفيد (٢٨٥).

﴿١﴾ قال أبو عبد الله القرطبي (ت٦٦٧): يقول بعد تشديدها وتغليظها، يقال: توكيد وتأكيد، ووكد وأكد، وهما لغتان. اهـ. تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٠).

وقال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حث أو منع. اهـ. قرة عيون الموحدين (٤٦١)، حاشية ابن قاسم (٣٨٢).

﴿٢﴾ إن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾، وعيداً وتخويفاً، وهذا من لوازم العلم في هذا السياق، كما بيَّنه ابن تيمية بقوله: إن لفظ العلم في الأصل إنما يقتضي معرفة المعلوم، ثم قد يكون من لوازم ذلك ما يقتضيه العلم من محاسبة الشخص ومجازاته ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذًاۚ﴾ [النور: ٦٣]. وكذلك السمع والبصر، مثل قوله: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١]... فالمقصود لوازم ذلك من إحصاء ذلك والجزاء عليه بالثواب والعقاب. اهـ.

المجموعة العلية (١/ ٨٠)، وانظر: جامع المسائل (٣/ ١٦٦).

﴿٣﴾ **علاقة الآية بالباب،** قال العلامة ابن عثيمين: ومناسبة الآية للترجمة واضحة جداً؛ لأن الله قال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾، والعهد: الذمة. اهـ. القول المفيد (٢/ ٤٧٦).

وقال الشيخ صالح الفوزان: إنها تدل على وجوب الوفاء بالعهود، ومنها ما يجري بين الناس من إعطاء الذمة؛ فإنها يجب الوفاء بها؛ لأنها فردٌ من أفراد معنى الآية. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤١٣).

أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: اغزوا بسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً.

وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم[١] ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين[٢]، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فاسألهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه[٣]، ولكن اجعل لهم ذمتك

---

[١] قال ابن عثيمين: زائدة في رواية أبي داود؛ لأنها لا معنى لها. ويمكن أن يقال: ليست من كلام الرسول ﷺ؛ بل من كلام الراوي على تقدير: ثم قال: ادعهم. اهـ.

[٢] لشيخ الإسلام (ت٧٢٨) تحقيق متين لمسألة الهجرة والإقامة في ديار الكفر؛ إذ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: قد يكون مقام الرجل في أرض الكفر والفسوق من أنواع البدع والفجور أفضل: إذا كان مجاهداً في سبيل الله بيده أو لسانه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بحيث لو انتقل عنها إلى أرض الإيمان والطاعة لقلَّت حسناته ولم يكن فيها مجاهداً وإن كان أروح قلباً. وكذلك إذا عدم الخير الذي كان يفعله في أماكن الفجور والبدع. وأما إذا كان دينه هناك أنقص فالانتقال أفضل له وهذا حال غالب الخلق؛ فإن أكثرهم لا يدافعون؛ بل يكونون على دين الجمهور. اهـ. الفتاوى (٢٧/ ٣٩ ـ ٤١).

[٣] قال الشيخ عبد الله الغنيمان: الذمة المقصود بها: العهد، وعهد الله هو: الميثاق الذي يتعاقد به بين فريقين، وهذا خلاف ما سبق في الباب الذي قبله؛ =

وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنْزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك[١] **، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا»**[٢] . رواه مسلم[٣] .

= لأن الذي قبله المقصود به: الحلف الذي يحلفه الإنسان على أمر إما يريد منه الحث على فعله، أو يريد الامتناع من فعله، وأما هنا فالمقصود به: العهد الذي يكون بين الدول أو بين المتحاربين أو بين قبائل أو بين الجماعات، يتعاهدون على شيء معين ويجعلون بينهم عهوداً ومواثيق، ومن نقض هذا العهد والميثاق فهو معرض لعقاب الله جل وعلا، فإذا أراد أن يتعاهد مع أحد فيتعين أن يكون العهد على عهودهم ومواثيقهم هم، فلا يقولون: بيننا وبينكم عهد الله، أو ميثاق الله، أو ذمة الله؛ لأن هذا أمره خطير جداً، وإذا نقضه أحد الأفراد انتقض، ولا يلزم أن يكون الجماعات هم الذين ينقضونه، بل يكفي في نقضه فرد من الجماعة. اهـ. والنهي في الحديث نهي تحريم، كما قال ابن عثيمين. وذهب النووي إلى أنه نهي تنزيه. شرح صحيح مسلم، القول المفيد (٢/ ٤٧٥).

﴿١﴾ قال شيخ الإسلام: قال الفقهاء: إذا حاصر الإمام حصناً فنزلوا على حكم حاكم جاز؛ إذا كان رجلاً حراً مسلماً عدلاً من أهل الاجتهاد في أمر الجهاد ولا يحكم إلا بما فيه حظ الإسلام: من قتل أو رق أو فداء. اهـ. الفتاوى (٣٤/ ١١٧).

وانظر: جامع المسائل (٣/ ٤٠٦)، المستدرك على الفتاوى (٥/ ٧٠).

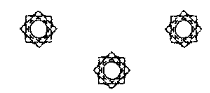
﴿٢﴾ المتن الذي ذكره المصنف ليس موافقاً بشكل كامل لما في صحيح مسلم. فتح الحميد (٤/ ١٩٨٥).

﴿٣﴾ أخرجه: مسلم (١٧١٣)، من طريق سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن بريدة ﷺ. ومما يدل على إعطاء ذمة المسلمين في المواثيق ما جاء عند البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠)، من حديث علي ﷺ مرفوعاً: «**ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم**».

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهيَ عن إعطاء ذمة الله وذمة رسوله للكفار؛ خشية عدم الوفاء بذلك، فتكون الجريمة عظيمة، ويكون ذلك هضماً لعهد الله، ونقصاً في التوحيد. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤١٧).

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه﴿١﴾ وذمة المسلمين﴿٢﴾. **الثانية**: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً﴿٣﴾. **الثالثة**: قوله: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله**»﴿٤﴾. **الرابعة**: قوله: «**قاتلوا من كفر بالله**». **الخامسة**: قوله: «**استعن بالله وقاتلهم**». **السادسة**: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء﴿٥﴾. **السابعة**: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟.



﴿١﴾ قال ابن عثيمين: لو قال: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وبين ذمة المسلمين؛ لكان أوضح؛ لأنك عندما تقرأ كلامه تظن أن الفروق بين الثلاثة كلها، وليس كذلك. القول المفيد (٢/ ٤٩٤).

﴿٢﴾ يعني: أن ذمة الله وذمة نبيه سواء، ونقضهما عظيم جداً، بخلاف ذمة المسلمين فإن نقضها وإن كان محرماً ولكنه أسهل من نقض ذمة الله وذمة رسوله.

قال ابن عثيمين: والفرق أن جعل ذمة الله وذمة نبيه للمحاصرين محرمة، وجعل ذمة المحاصِرين ـ بكسر الصاد ـ ذمة جائزة.اهـ. القول المفيد (٢/ ٤٩٤).

﴿٣﴾ لقوله: «ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك...» إلخ. قال السعدي: متى وقع النقض في هذه الحال ـ حال إعطاء العهود بذمة الله للأعداء ـ كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركاً لتعظيم الله، وارتكاباً لأكبر المفسدتين، كما نبه عليه ﷺ.اهـ. القول السديد (١٨٤)، القول المفيد (٢/ ٤٩٢).

﴿٤﴾ فقوله: «**اغزوا بسم الله**» هو استعانة، وقوله: «**في سبيل الله**» هو الإخلاص. فلا بد للعمل أن يكون لله وأن يستعان بالله.

﴿٥﴾ قال ابن عثيمين: وفيه فرقان:

١ ـ أن حكم الله مصيب بلا شك، وحكم العلماء قد يصيب وقد لا يصيب.

٢ ـ تنزيل أهل الحصن على حكم الله ممنوع إما في عهد الرسول ﷺ فقط أو مطلقاً، وأما على حكم العلماء ونحوه فهو جائز. القول المفيد (٢/ ٤٩٥).

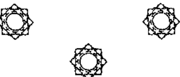


باب: ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك». رواه مسلم. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن القائل رجل عابد». قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته».

○ **فيه مسائل:**

الأولى: التحذير من التألِّي على الله. **الثانية**: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله. **الثالثة**: أن الجنة مثل ذلك. **الرابعة**: فيه شاهد لقوله: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة...» إلخ. **الخامسة**: أن الرجل قد يغفر له بسببٍ هو من أكره الأمور إليه.







٦٤ ـ باب: ما جاء في الإقسام على الله﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ هذا هو الباب الثالث تجاه أسماء الله وصفاته في عدم التوكيد بها في أغراض تؤدي إلى عدم تعظيم الله وأسمائه وصفاته. والإقسام على الله: أن تحلف على الله أن يفعل، أو تحلف عليه أن لا يفعل، مثل: والله؛ ليفعلن الله كذا، أو والله؛ لا يفعل الله كذا.

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن مما ينافي كمال توحيد أسماء الله وصفاته الحلف بها على الله بأن لا يغفر لفلان؛ لأن في ذلك حجراً على الله، وقطعاً بحصول المقسم عليه، وهذا فيه نوع مشاركة لله في أفعاله ﷻ، قال العلامة ابن باز (١٤٢٠هـ): الإقسام على الله جرأة على الله، ونقص في التوحيد، وضعف في الإيمان. اهـ. التعليق المفيد (٢٧٥).

علاقة الباب بما سبق: لما بيَّن المصنف أن من كمال تعظيم الله بأسمائه وصفاته ألا تجعل غرضاً لنيل أمر دنيوي بين الأفراد أو الجماعات، بيَّن المصنف في هذا الباب غرضاً آخر لا يليق بأسماء الله وصفاته وهو الإقسام بها على الله فيما لا يحق للعبد، كإقسامه على الله أن لا يغفر لأحد من عباد الله؛ لأن هذا من سوء الأدب مع الله، وعدم التعظيم لله وأسمائه وصفاته. حاشية ابن قاسم (٣٨٨)، القول المفيد (٢/ ٢٩٧).

ـ أحوال الإقسام على الله:

الحال الأولى: أن يقسم بأسماء الله وصفاته، فهذا على أقسام:

القسم الأول: أن يقسم بما أخبر الله به ورسوله من نفي أو إثبات، قال ابن عثيمين: فهذا لا بأس به، وهذا دليل على يقينه بما أخبر الله به ورسوله، مثل: والله؛ ليشفِّعن الله نبيه في الخلق يوم القيامة، ومثل: والله؛ لا يغفر الله لمن أشرك به. اهـ.

....

القسم الثاني: أن يقسم على الله والحامل له هو الإعجاب بالنفس، وتحجر فضل الله ﷻ وسوء الظن به تعالى؛ كالإقسام بأن الله لا يغفر لعباده أو لا يرحمهم، فهذا محرم، كما قال ابن قاسم، وابن باز، وابن عثيمين، والفوزان. قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إن من تألى على الله ﷻ فقد أساء الأدب معه وتحجر فضله وأساء الظن به، وكل هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد.اهـ.

القسم الثالث: أن يقسم على الله والحامل له حسن الظن بالله وقوة رجائه بالله والطمع في رحمة الله، وهذا جائز كما قال ابن حجر، وابن قاسم، وابن عثيمين، والفوزان؛ لإقرار النبي ﷺ ذلك في قصة الربيِّع بنت النضر عمة أنس بن مالك ﵄، حينما كسرت ثنية جارية من الأنصار، فاحتكموا إلى النبي ﷺ، فأمر النبي ﷺ بالقصاص، فعرضوا عليهم الصلح، فأبوا، فقام أنس بن النضر، فقال: أتكسر ثنية الربيع؟ والله يا رسول الله، لا تكسر ثنية الربيع، وهو لا يريد به رد الحكم الشرعي، فقال الرسول ﷺ: «**يا أنس! كتاب الله القصاص**» يعني: السن بالسن. قال: والله؛ لا تكسر ثنية الربيِّع، وغرضه بذلك أنه لقوة ما عنده من التصميم على أن لا تكسر ولو بذل كل غالٍ ورخيص أقسم على ذلك. فلما عرفوا أنه مصمِّم ألقى الله في قلوب الأنصار العفو فعفوا؛ فقال النبي ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»، فهو لقوة رجائه بالله وحسن ظنه أقسم على الله أن لا تكسر ثنية الربيع؛ فألقى الله العفو في قلوب هؤلاء الذين صمموا أمام الرسول ﷺ على القصاص؛ فعفوا وأخذوا الأرش. وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هؤلاء الذين يقسمون على الله فيبر قسمهم أنهم ناس مخصوصون، فهو خاص ببعض العباد. الفتاوى (٢٠٦، ٢٢٣).

الحال الثانية: الإقسام بمخلوق على مخلوق، كقوله: والكعبة أن تعطيني بكذا، أقسم بالولي فلان أن تعطيني بكذا، فهذا لا يجوز بالإجماع. كما لا يجوز مثل هذا حتى ولو كان الإقسام بالنبي ﷺ عند الجمهور.

الحال الثالثة: الإقسام على الله بمخلوق، كأقسم عليك بجاه نبيك، فهذا لا يجوز وهو أعظم من الذي قبله. قال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمٰن آل الشيخ في بيان حكم سؤال الله بالمخلوق، والإقسام على الله بالمخلوق: إن الذي نعتقده: أنا لا نكفِّر بها أحداً، بل نقول: هي بدعة شنيعة، نهى عنها السلف، وإن لم يكن هذا من الشرك، فهو وسيلة إليه، لا بد أن يقوم بقلب صاحبه شيء من الاعتماد.اهـ. =

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله: من ذا الذي يتألّى[١] **عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك»**[٢]. رواه مسلم[٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن القائل رجل عابد». قال أبو هريرة:

= الدرر السنية (١/ ٥٤١). حاشية ابن قاسم (٣٨٨)، التعليق المفيد (٢٧٥)، القول المفيد (٢/ ٤٩٨)، إعانة المستفيد (٣٠١)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٧٣).

﴿١﴾ القرطبي (٦٢٦هـ): المتألي: الحالف. يقال: تألّى، يتألّى، وائتلى، يأتلي. وآلى يؤلي، كل ذلك بمعنى الحلف. اهـ. وقال صالح آل الشيخ: يتألى؛ يعني: يحلف على جهة التكبر والتعاظم. اهـ. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢٠٢)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٧٥).

﴿٢﴾ قال ابن عثيمين: قوله: «**وأحبطت عملك**» ظاهر الإضافة في الحديث: أن الله أحبط عمله كله؛ لأن المفرد المضاف الأصل فيه أن يكون عاماً. ووجه إحباط الله عمله على سبيل العموم ـ حسب فهمنا والعلم عند الله ـ: أن هذا الرجل كان يتعبد لله وفي نفسه إعجاب بعمله، وإذلال بما عمل على الله، كأنه يمنّ على الله بعمله، وحينئذ يفتقد ركناً عظيماً من أركان العبادة؛ لأن العبادة مبنية على الذل والخضوع؛ فلا بد أن تكون عبد الله عز وجل بما تعبدك به وبما بلغك من كلامه. ويحتمل معنى «**أحبطت عملك**»؛ أي: عملك الذي كنت تفتخر به على هذا الرجل، وهذا أهون؛ لأن العمل إذا حصلت فيه إساءة بطل وحده دون غيره، لكن ظاهر حديث أبي هريرة يمنع هذا الاحتمال، حيث جاء فيه أن الله تعالى قال: اذهبوا به إلى النار. اهـ. القول المفيد (٢/ ٥٠١). وهذا يعني أن الإقسام على الله قد يكون مخرجاً من الملة إن كان باعثه سوء الظن بالله وإنكار رحمة الله ومغفرته. قال ابن عثيمين (١٤٢١هـ): إن من تألى على الله عز وجل فقد أساء الأدب معه وتحجر فضله وأساء الظن به، وكل هذا ينافي كمال التوحيد، **وربما ينافي أصل التوحيد**. اهـ.

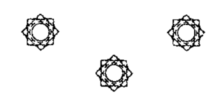
﴿٣﴾ أخرجه: مسلم (٢٦٢١)، من طريق أبي عمران الجوني، عن جندب رضي الله عنه.

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على تحريم الإقسام على الله على وجه الحجر على الله والإعجاب بالنفس؛ وذلك نقصٌ في التوحيد. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٢٠).

«تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[١].

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألِّي على الله. **الثانية:** كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله. **الثالثة:** أن الجنة مثل ذلك. **الرابعة:** فيه شاهد لقوله: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة...**» إلخ[٢]. **الخامسة:** أن الرجل قد يغفر له بسببٍ هو من أكره الأمور إليه[٣].



﴿١﴾ أحمد (٢/ ٣٢٣)، وأبو داود (٤٩٠١)، والبيهقي «الشعب» (٥/ ٢٨٩)، من طريق عكرمة بن عمار، عن ضمضم بن جوس اليمامي، قال: قال لي أبو هريرة: يا يمامي، لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً. قلت: يا أبا هريرة، إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب. قال: فلا تقلها، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**كان في بني إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهداً في العبادة، وكان الآخر مسرفاً على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلني وربي، أبعثتَ عليّ رقيباً؟ قال: إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك اقصر. قال: خلني وربي، أبعثت عليّ رقيباً؟ قال: فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً. قال أحدهما: قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما واجتمعا، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت بي عالماً؟ أكنت على ما في يدي خازناً؟ اذهبوا به إلى النار، قال: فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وآخرته**». صححه: ابن حبان. قال أبو بكر البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بهذا الإسناد.اهـ. ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٢٠)، الأحكام الكبرى (١/ ٢٤٤)، التهذيب (٧/ ٢٦١)، تعريف التدليس (١٤٤).

﴿٢﴾ البخاري، ومسلم (٢٩٩٠)، من طريق أبي هريرة.

﴿٣﴾ قال ابن عثيمين: فإنه قد غفر له بسبب هذا التأنيب، وهذه لم تظهر لي من الحديث ولعلها تؤخذ من قوله: «**قد غفرت له**».اهـ. القول المفيد (٢/ ٥٠٧).

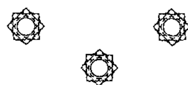


باب: لا يُستشفع بالله على خلقه

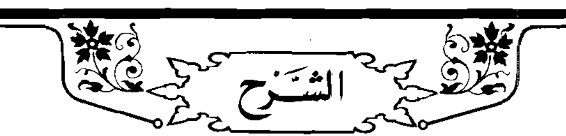
عن جبير بن مطعم ﵁ قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ: سبحان الله! سبحان الله! فما زال يسبِّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد» وذكر الحديث. رواه أبو داود.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك». **الثانية**: تغيره تغيراً عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة. **الثالثة**: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله». **الرابعة**: التنبيه على تفسير «سبحان الله». **الخامسة**: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.







٦٥ ـ باب: لا يستشفع بالله على خلقه﴿١﴾(*)

عن جبير بن مطعم ﷺ **قال**: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبي ﷺ:

﴿١﴾ قال ابن عثيمين: استشفع بالشيء؛ أي: جعله شافعاً له، والشفاعة في الأصل: جعل الفرد شفعاً، وهي التوسط للغير بجلب منفعة له أو دفع مضرة عنه. اهـ. القول المفيد (٢/٥٠٨).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد**: أن مما ينافي توحيد أسماء الله وصفاته أن يستشفع بالله وأسمائه وصفاته على المخلوق؛ لأن في ذلك عدم تعظيم لله تعالى حيث جعلت مرتبته ﷻ أدنى من مرتبة المخلوق، وفيه رفع لمكانة المخلوق فيما هو من خصائص الله، وفي هذا نوع مشاركة للمخلوق فيما هو من خصائص الله.

علاقة الباب بالباب السابق: أن المصنف لما بيَّن في الباب قبل السابق أن من كمال تعظيم الله بأسمائه وصفاته ألا تجعل غرضاً لنيل أمر دنيوي بين الأفراد أو الجماعات، ثم بيَّن في الباب الذي بعده وهو الباب السابق غرضاً آخر لا يليق بأسماء الله وصفاته وهو الإقسام بها على الله فيما لا يحق للعبد، كإقسامه على الله أن لا يغفر لأحد من عباد الله؛ لأن هذا من سوء الأدب مع الله، وعدم التعظيم لله وأسمائه وصفاته، بيَّن في هذا الباب غرضاً آخر لا يليق بالله وأسمائه وصفاته، وهو أن لا يستشفع بالله وأسمائه وصفاته على المخلوق؛ لأن في ذلك تنقصاً لله، وسوء أدب معه.

وله علاقة أخرى وهي: لما كان الحلف بأسماء الله وصفاته على الله أن لا يغفر لفلان هو في الحقيقة توسل عند الله بأسمائه وصفاته، وهو من التوسل الممنوع، ذكر المصنف في هذا الباب توسل آخر ممنوع وهو أن يتوسل بالله وأسمائه وصفاته عند المخلوق.

سبحان الله! سبحان الله! فما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: **ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد»** وذكر الحديث. رواه أبو داود﴿١﴾.

أخرجه: أبو داود (٤٧٢٦)، والطبراني «الكبير» (٢/ ١٢٩)، من حديث محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير بن محمد، عن أبيه، عن جده «جبير بن مطعم» رضي الله عنه.

صحَّحه: ابن حبان، وابن خزيمة، وابن حزم، والخطابي، وابن تيمية﴿٢﴾.

حسَّنه: ابن القيم.

ضعَّفه: البخاري﴿٣﴾، وابن الجوزي، والمنذري، والحافظ الدمشقي، والبيهقي، وابن عساكر﴿٤﴾.

﴿١﴾ ويسمى هذا الحديث بحديث الأطيط، لما جاء فيه: «**وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**».

علاقة الحديث بالباب، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه يدل على تحريم الاستشفاع بالله على أحدٍ من خلقه؛ لأنه تنقّص ينزه الله عنه. اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (١/ ٤٢٢).

﴿٢﴾ ظاهر كلام ابن القيم كما في تهذيب سنن أبي داود. ابن حبان (١٥٤٧)، التوحيد «لابن خزيمة» (١/ ٢٣٩)، تلبيس الجهمية (١/ ٥٦٩)، تهذيب سنن أبي داود (٧/ ٩٤)، عون المعبود (١٣/ ١٥).

﴿٣﴾ ذكره البخاري في ترجمة جبير بن محمد. قال المعلمي (١٣٨٦هـ): إخراج الخبر في التاريخ لا يُفيد الخبر شيئاً بل يضرّه، فإنَّ من شأن البخاري أن لا يخرّج الخبر في التاريخ إلّا ليدلّ على وهن راويه. اهـ. التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٤)، الفوائد المجموعة (١٨٠).

﴿٤﴾ والبزار (٨/ ٣٠١)، مختصر سنن أبي داود (٧/ ٩٧)، عون المعبود (١٣/ ١٣ ـ ١٤).

استغربه: البزار، والذهبي، وابن كثير [١].

الحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن محمد بن إسحاق في حفظه شيء كما قال المعلمي [٢]، وقد تفرد به، وما تفرد به لا يقبل كما قال الإمام أحمد [٣]، وخاصة إذا كان الحديث في الأحكام [٤].

٢ ـ أن محمد بن إسحاق كثير التدليس، كما قال الإمام أحمد [٥]، ولم يصرح ابن إسحاق بالتحديث كما قال البزار [٦].

٣ ـ أن جبير بن محمد مقبول كما قال ابن حجر، وقد سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم [٧]، وقد تفرد به [٨]، ولا يقبل تفرد مثله كما

﴿١﴾ قال البزار (٢٩٢هـ): هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من جهة من الوجوه إلا من هذا الوجه.اهـ. قال الذهبي: هذا حديث غريب جداً فرد وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند وله مناكير.اهـ. والبزار في مسنده (٨/ ٣٠١)، العلو «للذهبي» (١/ ٤٤)، التفسير (١/ ٣١٠).

﴿٢﴾ التنكيل (٢/ ١٣٤).

﴿٣﴾ قيل لأحمد: يا أبا عبد الله؛ ابن إسحاق إذا تفرد بحديث تقبله؟ قال: لا . . .اهـ. قال الذهبي: ما انفرد به ففيه نكارة.اهـ. تاريخ بغداد (١/ ٢٣٠، ٣/ ٤٧٥).

﴿٤﴾ سئل عبد الله بن أحمد: هل كان أحمد يحتج بابن إسحاق؟ فقال: لم يكن يحتج به في السنن. التاريخ لابن معين (٣/ ٢٤٧)، تاريخ بغداد (١/ ٢٣٠).

﴿٥﴾ الضعفاء «للعقيلي» (٤/ ٢٨)، عيون الأثر (١/ ١٢).

﴿٦﴾ قال البزار: لم يقل فيه محمد بن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة.اهـ. البزار «المسند» (٨/ ٣٠١).

﴿٧﴾ قال المعلمي (١٣٨٦هـ): إخراج الخبر في التاريخ لا يُفيد الخبر شيئاً بل يضرّه، فإنَّ من شأن البخاري أن لا يخرّج الخبر في التاريخ إلّا ليدلّ على وهن راويه.اهـ. قال ابن كثير في راوٍ سكت عنه ابن أبي حاتم: وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولم يحك فيه شيئاً من هذا، فهو مستور الحال.اهـ. التاريخ الكبير (٢/ ٢٢٤)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٤).

﴿٨﴾ البزار (٢٩٢هـ): هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من جهة =

قال ابن حجر[١].

٤ ـ التخليط الواقع في الحديث، كما قال ابن عساكر[٢].

الخلاصة: الحديث ضعيف كما تبين مما سبق؛ لكن معناه قد أجمع عليه أهل السُّنَّة[٣]، والمسألة التي فيه مجمع عليها.

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: «نستشفع بالله عليك»[٤][٥].

= من الوجوه إلا من هذا الوجه. البزار (٨/ ٣٠١).

[١] قال ابن حجر (٨٥٢هـ): مقبول، حيث يتابع، وإلا فلين الحديث.اهـ. التقريب (١).

[٢] صنف ابن عساكر كتاباً في هذا الحديث سمَّاه: «بيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأطيط».

[٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨): وهذا الحديث قد يطعن فيه بعض المشتغلين بالحديث انتصاراً للجهمية وإن كان لا يفقه حقيقة قولهم وما فيه من التعطيل، أو استبشاعاً لما فيه من ذكر الأطيط، كما فعل أبو القاسم المؤرخ، ويحتجون بأنه تفرد به محمد بن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن جبير، ثم يقول بعضهم: ولم يقل ابن إسحاق: حدثني، فيتحمل أن يكون منقطعاً، وبعضهم يتعلل بكلام بعضهم في ابن إسحاق، مع أن هذا الحديث وأمثاله وفيما يشبهه في اللفظ والمعنى لم يزل متداولاً بين أهل العلم خالفاً عن سالف، ولم يزل سلف الأمة وأئمتها يروون ذلك رواية مصدق به راد به على من خالفه من الجهمية متلقين لذلك بالقبول.اهـ. بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٧٠)، وانظر: الفتاوى (١٦/ ٤٣٥).

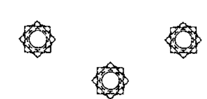
[٤] حكم الاستشفاع بالله على خلقه: التحريم، كما قال ابن قاسم، والغنيمان؛ وذلك لأمرين:

١ ـ أن الشافع داع وسائل، والله أجل من ذلك فهو المدعو والمسؤول سبحانه.

٢ ـ أن الشافع لا تجب طاعته، والله منزه عن ذلك، فالأمر كله بيده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. الفتاوى (١/ ٢٤٠) (١/ ٣١٦)، (٢٧/ ٧٠).

[٥] قال ابن عثيمين: فإن قيل: أليس قد قال النبي ﷺ: «**من سأل بالله** =

الثانية: تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة. **الثالثة**: أنه لم ينكر عليه قوله: «نستشفع بك على الله». **الرابعة**: التنبيه على تفسير «سبحان الله»﴿١﴾. **الخامسة**: أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء.



= **فأعطوه**»، وهذا دليل على جواز السؤال بالله؛ إذ لو لم يكن السؤال بالله جائزاً لم يكن إعطاء السائل واجباً؟ والجواب أن يقال: إن السؤال بالله لا يقتضي أن تكون مرتبة المسؤول به أدنى من مرتبة المسؤول بخلاف الاستشفاع، بل يدل على أن مرتبة المسؤول به عظيمة، بحيث إذا سئل به أعطى. على أن بعض العلماء قال: «**من سألكم بالله**»؛ أي: من سألكم سؤالاً بمقتضى شريعة الله فأعطوه، وليس المعنى من قال: أسألك بالله. والمعنى الأول أصح، وقد ورد مثله في قول الملك: «**أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن**». القول المفيد (٢/ ٥١٣).

﴿١﴾ قال الغنيمان: يعني أن معنى «سبحان الله»: تنزيه لله، و«سبحان» مأخوذ من «السبح» وهو: الإبعاد في الجري، يقال: فرس سبوح: إذا كانت تبعد في سيرها وجريها، فهو يقول: إن الله بعيد كل البعد عما قلت، ويتنزه ويتقدس عما قلت، هذا معنى قوله: «سبحان الله». اهـ. وعُلم معنى تفسير «سبحان الله» وأنه تنزيه الله من النقائص من الحديث بتسبيح النبي ﷺ من قول الأعرابي؛ لأنه لما سبح النبي وتغير وجهه تبين أن قول الأعرابي فيه تنقص لله.



باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طَولاً. فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرِيَنَّكم الشيطان». رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه: «أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله». رواه النسائي بسند جيد.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تحذير الناس من الغلو. الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا. الثالثة: قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق. الرابعة: قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي».





٦٦ ـ باب: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك ﴿١﴾

. . . .

﴿١﴾ **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من كمال توحيد الأسماء والصفات عدم قول: أنت سيدنا؛ لأن من أسماء الله السيد؛ وذلك حماية لحمى التوحيد، وبعداً عن كل طريق تؤدي إلى خدش التوحيد ولو من بعيد. قال ابن جبرين: المؤلف عنون بهذا العنوان اللطيف ليبين الحق بأسلوب لطيف، ولو أنه قال: لا يقال للنبي ﷺ سيد؛ لاستبشع الناس تلك العبارة واتهموا المؤلف ببغض النبي ﷺ.اهـ.

علاقة هذا الباب بالباب السابق: في الباب السابق بين المصنف المنع من الاستشفاع بالله وأسمائه وصفاته على المخلوق؛ لأن ذلك يؤدي للغلو بخلقه وتشبيه مكانة المخلوق بمكانة الله، وفي هذا الباب ذكر المصنف المنع من نداء المخلوق بأسماء تشابه أسماء الله لكي لا تؤدي إلى الغلو بالمخلوق ورفع مكانته عن المكانة التي وضعها الله له.

علاقة هذا الباب بالأبواب السابقة: أن المصنف أراد بهذا الباب الإشارة أن الأبواب السابقة وإن كان في بعضها ما لا يؤدي إلى الشرك مباشرة؛ لكنها ربما تؤدي للشرك ولو من بعيد؛ لذلك منع منها حماية لحمى التوحيد. قال السعدي عند باب: ما جاء في المصورين: وهذا من فروع الباب السابق أنه لا يحل أن يجعل لله نداً في النيات والأقوال والأفعال، والند المشابه ولو بوجه بعيد، حماية لحمى التوحيد. فاتخاذ الصور الحيوانية تشبه بخلق الله، وكذب على الخلقة الإلـٰهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه.اهـ. وقال أيضاً: والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأركانه ومكملاته ومحققاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهراً وباطناً، قولاً وفعلاً وإرادةً واعتقاداً.اهـ. =

عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: **السيد الله تبارك وتعالى**﴿١﴾﴿٢﴾. قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: **قولوا**

= **الفرق بين هذا الباب وباب:** ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد:

١ ـ **من ناحية العنوان:** قال الشيخ صالح الفوزان: الفرق بين البابين: أن جناب التوحيد معناه: جانب التوحيد، وهنا: «حِمى التوحيد»، وفرق بين الجانب وبين الحِمى؛ لأن الجانب بعض الشيء، وأما الحمى فهو ما حول الشيء. فهناك أراد المصنف رَحِمَهُ اللهُ أن يبين حماية النبي ﷺ للتوحيد نفسه من أن يقع فيه شرك. وهنا أراد أن يبين أن النبي ﷺ حمى ما حول التوحيد، بعد حمايته التوحيد، وهذا من باب العناية التامة بشأن التوحيد.اهـ. إعانة المستفيد.

٢ ـ **من ناحية الموضوع:** قال السعدي: تقدم نظير هذه الترجمة وأعادها المصنف اهتماماً بالمقام، فإن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك، والفرق بين البابين أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال.اهـ. القول السديد (١٧٩).

﴿١﴾ قال ابن القيم: السيد إذا أطلق عليه فهو بمعنى المالك والمولى والرب.اهـ. ذهب إلى أن السيد من أسماء الله ابن منده، والحليمي، والبيهقي، وإسماعيل الأصفهاني. قال صالح آل الشيخ: ومما ذكر العلماء: أن قوله عليه الصلاة والسلام: «**السيد الله تبارك وتعالى**» يدل على أنه يكره كراهة شديدة أن يقال لبشر: إنه «السيد» هكذا بالألف واللام؛ لأن هذا قد يفهم منه استغراق معاني السيادة.اهـ.

كتاب التوحيد «لابن منده» (٢/ ١٣٢)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٢)، الأسماء والصفات (١/ ٦٧)، الحجة في بيان المحجة (١١/ ١٥٥)، بدائع الفوائد، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٨٣).

﴿٢﴾ الجمع بين قول النبي ﷺ: «**السيد الله تبارك وتعالى**»، وقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**»، وقوله: «**قوموا إلى سيدكم**»، وقوله في الرقيق: «**وليقل سيدي**»:

القول الأول: أن النهي على سبيل الأدب، والإباحة على سبيل الجواز، فالنهي ليس للتحريم حتى يعارض الجواز، ونوقش بأمرين: =

. . . .

= ١ ـ كثرة الأحاديث الدالة على كثرة الاستعمال، فلو كان الأدب بخلافها لما كثرت هذه الكثرة، ولما وجه النبي المماليك إلى قول ذلك.

٢ ـ قال سليمان بن حمدان: قال حمد بن عتيق: وهذان الحديثان دليل على الأدب مع الله ﷻ، وقوله: «**أنا سيد ولد آدم**» وشبهه دليل على الجواز. فأقول: إذا كان الحديثان دليلاً على الأدب مع الله ﷻ فما الذي أجاز سوء الأدب ومخالفة الأحاديث الصحيحة؟ أما الاستدلال على جواز سوء الأدب بقوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» فلا يدل على الجواز؛ لأن هذا إخبار منه ﷺ عن ما فضله الله به على البشر؛ تحدثاً بنعمة الله عليه، عملاً بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى]. . . اهـ.

القول الثاني: أن النهي حيث يخشى منه المفسدة وهي التدرج إلى الغلو، والإباحة إذ لم يكن هناك محذور. قال ابن باز: قوله «فقَالَ: «**السَّيِّدُ الله تبارك وتعالى**»» هذا من باب التواضع، وإلا فهو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، ولكنه نهى ﷺ عن ذلك من باب التواضع، ولئلا يقعوا في الغلو والشرك.

القول الثالث: أن النهي بالخطاب؛ أي: أن تخاطب الغير بقولك: «سيدي أو سيدنا»؛ لأنه ربما يكون في نفسه عجب وغلو إذا دعي بذلك، ولأن فيه شيئاً آخر وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له، بخلاف إذا جاء على غير هذا الوجه مثل «**قوموا إلى سيدكم**»، «**أنا سيد ولد آدم**»، وبهذا قال عبد الرحمٰن بن حسن، وعبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن، وقال ابن حجر: وقد كان أكابر العلماء يأخذ بهذا، ويكره أن يخاطب أحداً بلفظه أو كتاب بالسيد. اهـ.

قال ابن عثيمين: لكن هذا يرد على إباحته ﷺ للرقيق أن يقول لمالكه «سيدي»؛ لكن يجاب عن هذا بأن قول الرقيق لمالكه (سيدي) أمر معلوم لا غضاضة فيه، ولهذا يحرم عليه أن يمتنع مما يجب عليه نحو سيده. والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذا جائز لكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلاً لذلك، وأن لا يخشى محذور من إعجاب المخاطب وخنوع المتكلم، أما إذ لم يكن أهلاً، كما لو كان فاسقاً أو زنديقاً، فلا يقال له ذلك حتى لو فرض أنه أعلى منه رتبة أو جاهلاً، فقد جاء في الحديث: «لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنكم إذ قلتم ذلك أغضبتم الله». وكذلك لا يقال إذا خشي محذور من إعجاب المخاطب أو خنوع المتكلم. اهـ. منهاج الأسيس (٣١١).

القول الرابع: أن أحاديث النهي ناسخة لأحاديث الجواز. ونوقش: بأن =

....

= دعوى النسخ تحتاج إلى دليل، ولا دليل يدل على ذلك، وكون حديث ابن الشخير عام الوفود لا يمنع أن تكون بعض أحاديث الجواز بعد عام الوفود.

القول الخامس: أن النهي عن إطلاقه يحمل على غير المالك، والإذن بإطلاقه على المالك، وبه قال ابن حجر. ونوقش: بالأحاديث التي فيها توجيه هذا القول من غير المماليك، كقوله في الحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيد**» رواه البخاري.

القول السادس: أن النهي عن إطلاقه يحمل على المالك، والإذن بإطلاقه يحمل على غير المالك؛ لأنه إذا أطلق على المالك، فلربما انصرف الذهن إلى الله ـ تعالى ـ. ونوقش: بقوله: «وليقل: سيدي ومولاي».

القول السابع: أن النهي محمول على اتخاذ ذلك عادة شائعة؛ لأنها ربما أورثت كبراً. ونوقش: بتوجيه النبي المماليك لقول ذلك، وقول المماليك ذلك سيؤدي إلى كون ذلك عادة شائعة.

القول الثامن: قال السهسواني: قال في النهاية في مادة «السود» السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم، ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم.

وقال في مادة (الولي): وهو اسم على جماعة كثيرة، فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه.اهـ. فالنهي عن إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني، فإن ثبت أن الشيخ قد منع من إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله، فمراده السيد والمولى بمعنى الرب، وأما بالمعنى الآخر فكيف يتصور أن يمنع الشيخ منه؟ فإنه عقد باباً في كتاب الوحيد بهذا العنوان (باب: لا يقول: عبدي وأمتي) وأورد فيه حديث أبي هريرة المروي في مسلم الذي تقدم ذكره آنفاً وفيه هذا اللفظ: «وليقل سيدي ومولاي»، فهذا اللفظ صريح في جواز إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر.اهـ.

قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: قول: سيدي ونحوه، إن قصد به أن ذلك الرجل معبوده الذي يدعوه عند الشدة لتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، فإن ذلك شرك أكبر، وأما إن كان مراده غير ذلك، كما يقول التلميذ لشيخه: سيدي، أو يقال للأمير والشريف: هذا سيد، فلا بأس به.اهـ. =

بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرِيَّنَكم الشيطان(١)»(٢). رواه أبو داود بسند جيد(٣).

= **القول التاسع**: قال ابن عثيمين: والذي يظهر لي أن لا تعارض أصلاً؛ لأن النبي ﷺ أذن لهم أن يقولوا بقولهم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل (السيد)؛ لأن السيد المطلق هو الله تعالى، وعلى هذا؛ فيجوز أن يقال: سيدنا وسيد بني فلان ونحوه، ولكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلاً لذلك، أما إذا لم يكن أهلاً كما لو كان فاسقاً أو زنديقاً؛ فلا يقال له ذلك حتى ولو فرض أنه أعلى منه مرتبة أو جاهاً، وقد جاء في الحديث: «ولا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنكم إذا قلتم ذلك أغضبتم الله»، فإذا كان أهلاً لذلك وليس هناك محذور؛ فلا بأس به، وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل؛ فلا يجوز. والمحذور: هو الخشية من الغلو فيه؛ ولكن لا يجعل عادة وسُنَّة بحيث لا يتكلم إلا به.اهـ.

بدائع الفوائد (٣/ ٢١٣)، الفتح (٥/ ١٧٩)، التعليق المفيد (٢٧٩)، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٥٣٣)، القول المفيد (٢/ ٥٢٢)، بحث عقدي في لفظ السيد «ليوسف السعيد» (١٧٩ ـ ١٩٠).

(١) أي: لا يتخذنكم جَرِيّاً؛ أي: كثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته، وقيل: هو من الجرأة بالهمزة؛ أي: لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز. فتح الحميد (٤/ ٢٠٥٦).

(٢) **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إن فيه النهي عن الغلو في المدح واستعمال الألفاظ المتكلفة التي ربّما توقع في الشرك.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٢٥).

(٣) أخرجه: البخاري «الأدب المفرد» (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، من حديث أبي نضرة، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه. صححه: الضياء، ومقبل الوادعي، وعثمان بن منصور. وقال ابن حجر: صححه غير واحد.اهـ. وجوده: ابن مفلح. وسكت عليه أبو داود، والمنذري. وقد تابع أبا نضرة غيلان بن جرير «النسائي في الكبرى» (٦/ ٧٠)، وقتادة «النسائي في الكبرى» (٦/ ٧٠). قال الباجي في المنتقى: ولا بأس أن يقول العبد لسيده: يا سيدي، قال مالك: قال الله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ [يوسف: ٢٥]، قال الله ﷻ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]. وقيل له: يقولون: السيد هو الله تعالى، قال مالك: أين هذا في كتاب الله، إنما في القرآن ربنا ربنا. =

وعن أنس رضي الله عنه: «أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا﴿١﴾، فقال: **يا أيها الناس، قولوا بقولكم،**

= عمدة القاري (١١/٩)، عون المعبود (٤/١٥٢)، فتح الحميد (٤٢٠٧٥)، الجامع الصحيح «للوادعي» (٦/٣٤٨).

﴿١﴾ استشكل أهل العلم ما جاء في الحديث من مدحهم أبي النبي ﷺ، وكما هو معلوم أن أباه قد مات كافراً. والجواب:

١ ـ أن النبي ﷺ قد أنكر قولهم هذا بقوله ﷺ: «**قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان**».

٢ ـ أن المقصود بـ«ابن خيرنا، وابن سيدنا» هم آبائه من الأنبياء.

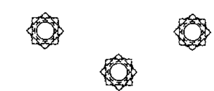
٣ ـ أن مدحهم جاء من جهة النسب لا من جهة الدين.

٤ ـ وربما يكون «ابن خيرنا، وابن سيدنا» وهم من الراوي؛ لأن حديث ابن الشخير ليس فيه «ابن خيرنا، وابن سيدنا». وحماد بن سلمة قد تفرد برواية هذا الحديث، وهو مع إمامته له ما ينكر عليه، قال الذهبي: إمام صدوق له أوهام.اهـ. وقد وصفه مسلم ويعقوب بن شيبة بكثرة الأخطاء. ومما يزيد شبهة أن حماد بن سلمة قد أخطأ في هذا الحديث أن الحديث قد جاء عند البخاري (**٤٤٨٠**)، من طريق عبد الله بن بكر، عن حميد، عن أنس بلفظ: «سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: **أخبرني بهن جبريل آنفاً**، قال: جبريل؟ قال: **نعم**، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، **فقرأ هذه الآية**: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، **أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت**، قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أنك رسول الله. يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ: **أي رجل عبد الله فيكم؟** قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: **أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟** فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله». وقد رواه أيضاً حماد بن سلمة عن حميد، وثابت =

ولا يستهوينكم الشيطان. أنا محمد عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله»[١]. رواه النسائي بسند جيد[٢].

فيه مسائل:

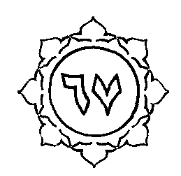
الأولى: تحذير الناس من الغلو. **الثانية**: ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا. **الثالثة**: قوله: «**لا يستجرينكم الشيطان**» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق. **الرابعة**: قوله: «**ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي**».



= عن أنس، كما عند ابن حبان (٧٤٢٣)، فربما يكون حماد ذكر ما قيل لابن سلام فجعله للنبي ﷺ، قال عنبسة: قلت: لابن المبارك علمت أن حماد بن سلمة كان يريد أن يختصر الحديث فيقلب معناه، قال: فقال لي: أوفطنت له.اهـ. الكفاية في علم الرواية (١/ ١٩٢).

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب**، قال الشيخ صالح الفوزان: إنه ﷺ نهى أن يُمدح بغير ما وصفه الله به؛ صيانةً للتوحيد وسداً لباب الغلو المُفضي إلى الشرك.اهـ. الملخص في شرح كتاب التوحيد (٤٢٦).

﴿٢﴾ أخرجه: أحمد (٣/ ١٥٣)، والنسائي «الكبرى» (٦/ ٧١)، من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه. صححه: ابن حبان، والضياء، وابن عبد الهادي، وابن مفلح. وجوده: إمام الدعوة. الصارم المنكي «لابن عبد الهادي» (٢٤٦). ويشهد للحديث ما أخرجه البخاري (٣١٨٩)، من طريق الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس مرفوعاً: «**لا تطروني كما أطرت اليهود ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله**».



باب: ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾. وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله».

وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم

القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

وروي عن ابن عباس قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمٰن إلا كخردلة في يد أحدكم».

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد ـ عبد الرحمٰن بن زيد ـ: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس».

وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي، رحمه الله تعالى. قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره.

○ **فيه مسائل:**

الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. **الثانية**: إن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها. **الثالثة**: أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ صدَّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك. **الرابعة**: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم. **الخامسة**: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى. **السادسة**: التصريح بتسميتها الشمال. **السابعة**: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك. **الثامنة**: قوله كخردلة في كف أحدكم. **التاسعة**: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء. **العاشرة**: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي. **الحادية عشرة**: أن العرش غير الكرسي والماء. **الثانية عشرة**: كم بين كل سماء إلى سماء. **الثالثة عشرة**: كم بين السماء السابعة والكرسي. **الرابعة عشرة**: كم بين الكرسي والماء. **الخامسة عشرة**: أن العرش فوق الماء. **السادسة عشرة**: أن الله فوق العرش. **السابعة عشرة**: كم بين السماء والأرض. **الثامنة عشرة**:

كثف كل سماء خمسمائة سنة. التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

۞ ۞ ۞

الشَّرح

٦٧ ـ باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ﴿١﴾(*)

. . . .

﴿١﴾ قال المقريزي (٨٤٥هـ): فما قَدَر القويَّ العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل. اهـ. تجريد التوحيد (٦٩).

(*) **علاقة الباب بكتاب التوحيد:** أن من توحيد الأسماء والصفات معرفة حقيقتها؛ لأن من عرف حقيقة أسماء الله وصفاته كما وردت في النصوص خلص له توحيده، وسلم من الشرك. قال السعدي (ت١٣٧٦هـ): المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجلّ ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد وروحه. ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا لِلْكُمَّل من الموحدين. اهـ.

وبيّن شيخ الإسلام أن من لم يعرف حقيقة الأسماء والصفات فقد وقع في الشرك، حيث قال: فكل من جعل مخلوقاً مثلاً للخالق في شيء من الأشياء، فأحبه مثل ما يحب الخالق، أو وصفه بمثل ما يوصف فهو مشرك سوّى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فعدل به. اهـ. الفتاوى (١٣/ ١٦٠ ـ ١٦٣).

وقرر ابن القيم (ت٧٥١هـ) أن عدم معرفة أسماء الله وصفاته سبب للشرك، حيث قال: كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله ـ أو بعضه ـ وظن السوء به لما أشرك به... والمقصود أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله، فمستقل ومستكثر. اهـ. =

عن ابن مسعود ﷺ **قال:** «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع[١]، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ

= مدارج السالكين (٣/ ٣٤٧).

وأكد هذا المعنى السعدي حيث قال: أصل التوحيد ـ توحيد العبادة ـ إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة.اهـ.

ومما قاله في هذا المعنى إمام الدعوة عند قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: التنبيه على سبب الشرك، وهو أن المشرك بان له شيء من جلالة الأنبياء والصالحين، ولم يعرف الله ﷻ، وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، وما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة وهذا قدر ما تحتمله العقول. . . فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يُجعل في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.اهـ. تاريخ ابن غنام (٢/ ٤٦٠).

علاقة الباب بما قبله: لما ذكر المصنف في الأبواب السابقة أبواباً متعددة في تعظيم الأسماء والصفات، ذكر في هذا الباب معرفة مقدار بعض صفاته كمقدار عظمة صفة اليد والقدم؛ ليبين بهما عظمة الله وحقيقة أسمائه وصفاته؛ وليستدل بأن من كان موصوفاً بهذه العظمة فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له. قال السعدي: ختم المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه بهذه الترجمة وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه؛ لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله، وأنه الحق وما سواه باطل، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه، وسر الإخلاص.اهـ. القول السديد (١٦١، ١٩٤).

[١] لم يأتِ عند البخاري ومسلم بلفظ: «**الماء على إصبع**»؛ وإنما جاء عندهما بلفظ: «**الماء والثرى**». البخاري (٤٨١١)، مسلم (٢٧٩٦).

وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾. **وفي رواية لمسلم**: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله»﴿١﴾.

وفي رواية للبخاري: «يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع». أخرجاه﴿٢﴾.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»﴿٣﴾﴿٤﴾.

أخرجه: مسلم (٢٧٨٨)، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة﴿٥﴾، عن

﴿١﴾ مسلم (٢٧٨٦)، من طريق فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيد الله السلماني، عن عبد الله بن مسعود ﷺ. وليس فيها «**أنا الله**».

﴿٢﴾ البخاري (٤٨١١)، مسلم (٢٧٨٦)، من طريق منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن ابن مسعود ﷺ.

علاقة الحديث بالباب، أن فيه بياناً لعظمة اليد الواردة في الآية.

﴿٣﴾ قال العجيلي: فإن قيل: أين يكون الناس عند طي الأرض؟ قيل: يكونون على الصراط.اهـ. ويدل على هذا ما روى الترمذي (٣١٢١)، عن عائشة أنها تلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قالت: يا رسول الله، فأين يكون الناس؟ قال: «**على الصراط**». وجاء في مسلم (٣١٥)، عن ثوبان، أن يهودياً سأل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسمٰوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر...**». وقد فسر النووي في شرحه لحديث مسلم الظلمة دون الجسر بالصراط الذي جاء ذكره في رواية الترمذي.

شرح صحيح مسلم (٣/ ٢٣١)، التذكرة (١/ ٢٣٣)، تحقيق التجريد في شرح التوحيد «للعجلي» (٢/ ٥٧١).

﴿٤﴾ **علاقة الحديث بالباب**، أن فيه بياناً لعظمة يد الله؛ لأن السماوات العظيمة تكون في يده اليمنى يوم القيامة، وهذا فيه بيان لعظمة الله ﷻ الواردة في الآية.

﴿٥﴾ تابعه الحسن بن حماد عند أبي يعلى (٩/ ٤١٠).

أبي أسامة، عن عمر بن حمزة، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الحديث صحيح؛ لكن لفظة «بشماله» شاذة؛ لأمور:

١ ـ أن عمر بن حمزة ضعفه ابن معين والنسائي وابن شاهين[١]، وقال أحمد وأبو حاتم: أحاديثه أحاديث مناكير[٢]، وكان ممن يخطئ كما قال ابن حبان[٣]، وله أحاديث أنكرت عليه[٤]، وقد تفرد بهذه

---

[١] وذكره ابن عدي والعقيلي والذهبي في كتبهم في الضعفاء. قال عبد الحق الإشبيلي: عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، من جملة من عيب على مسلم الإخراج عنه، تاريخ ابن معين (١/ ١٤٢)، الكامل (٥/ ١٩)، الأحكام الكبرى (١/ ٢٣٦) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/ ٥٨)، التهذيب (٧/ ٤٣٧).

[٢] العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٥٠٦)، الجرح والتعديل (٦/ ١٠٤)، الكاشف (٢/ ٥٨). التهذيب (٧/ ٤٣٧).

[٣] الثقات (٧/ ١٦٨)، تهذيب الكمال (٢١/ ٣١١)، التهذيب (٧/ ٤٣٧).

[٤] منها:

أ ـ ما أخرجه مسلم (١٤٣٧)، من طريق عمر بن حمزة، عن عبد الرحمٰن بن سعد، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «**إن من شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها**». قال الذهبي: فهذا مما استنكر لعمر. اهـ. الميزان (٣/ ١٩٢).

ب ـ ما أخرجه مسلم (٥٣٢٧)، من طريق عمر بن حمزة، عن أبي غطفان المري، عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا يشربن أحد منكم قائماً، فمن نسي فليستقئ**». قال: قال القاضي عياض: عمر بن حمزة لا يحتمل مثل هذا الحديث لمخالفة غيره عن أبي غطفان، عن أبي هريرة، قالوا: وعمر بن حمزة لا يتحمل مثل هذا الحديث لمخالفة غيره له، والصحيح أنه موقوف على أبي هريرة. اهـ. إكمال المعلم (٦/ ٢٥٣).

ت ـ ما أخرجه الترمذي (٣٠٠٤)، من طريق عن عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ يوم أُحد: «**اللَّهم العن أبا سفيان، اللَّهم العن الحارث بن هشام، اللَّهم العن صفوان بن أمية**. قال: فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فتاب عليهم، فأسلموا فحسن إسلامهم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، يستغرب من =

الزيادة[١].

٢ ـ أن عثمان بن أبي شيبة، ومحمد بن العلاء، روياه عن أبي أسامة، عن عمر بن حمزة دون ذكر «بشماله»[٢].

٣ ـ أن إبراهيم بن سعيد رواه عن أبي أسامة، عن عمر بن حمزة، دون ذكر «بشماله»[٣].

٤ ـ أن عبيد الله بن مقسم، ونافع مولى ابن عمر، روياه عن ابن عمر دون ذكر «بشماله»[٤].

٥ ـ أن أبا هريرة روى الحديث دون ذكر «بشماله»[٥].

= حديث عمر بن حمزة، عن سالم، وقد رواه الزهري، عن سالم، عن أبيه، لم يعرفه محمد بن إسماعيل من حديث عمر بن حمزة، وعرفه من حديث الزهري.

ث ـ ما أخرجه البيهقي (٤/ ٢٣٢)، من طريق عمر بن حمزة، عن سالم، عن عبد الله بن عمر قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فرأيته لا ينظرني! فقلت: يا رسول الله، ما شأني؟! فالتفت إلي فقال: ألست المقبّل وأنت الصائم؟! فوالذي نفسي بيده، لا أقبّل وأنا صائم امرأة ما بقيت. قال البيهقي: تفرد به عمر بن حمزة، فإن صح فعمر بن الخطاب ﷺ كان قوياً مما يتوهم تحريك القبلة شهوته، والله أعلم. اهـ.

وقال ابن التركماني: هذا الحديث يرد من وجهين ـ أحدهما ـ أن عمر بن حمزة ضعفه ابن معين، وقال أبو أحمد والرازي: أحاديثه مناكير. اهـ. وذكره ابن عدي في ترجمة عمر بن حمزة. الكامل (٥/ ١٩)، الجوهر النقي (٤/ ٢٣٢).

[١] قال القاضي عياض ـ عند حديث تفرد به عمر بن حمزة ـ: عمر بن حمزة لا يحتمل مثل هذا الحديث لمخالفة غيره عن أبي غطفان، عن أبي هريرة، قالوا: وعمر بن حمزة لا يتحمل مثل هذا الحديث لمخالفة غيره له، والصحيح أنه موقوف على أبي هريرة. اهـ. إكمال المعلم (٦/ ٢٥٣).

[٢] سنن أبي داود (٤٧٣٢).

[٣] البزار (٢/ ٢٦٣١).

[٤] البخاري (٧٤١٢)، مسلم (٢٧٨٨)، الأسماء والصفات (٢/ ٥٥).

[٥] البخاري (٧٣٨٢)، مسلم (٢٧٨٨)، الأسماء والصفات (٢/ ٥٥).

٦ ـ أنه جاء وصف يدي الله بأن «كلتيهما يمين»[١].

٧ ـ أن البيهقي، والعقيلي، والقرطبي ضعفوا حديثه[٢].

وروي عن ابن عباس قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمٰن[٣] إلا كخردلة في يد أحدكم»[٤][٥]. **وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد ـ عبد الرحمٰن بن زيد ـ: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في**

---

[١] مسلم (١٨٢٧)، عن ابن عمرو مرفوعاً: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمٰن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**». الأسماء والصفات (٢/ ٥٥).

[٢] العقيلي (٣/ ١٠٣)، الأسماء والصفات «للبيهقي» (٣٢٤)، التذكرة «للقرطبي» (٢١٦)، الفتح (١٣/ ٣٩٦).

[٣] قال العلامة ابن عثيمين (١٤٢١هـ): قوله: «**في كف الرحمٰن**»: هكذا ساقه المؤلف، والذي في ابن جرير: «**في يد الله**».اهـ. ويشهد لصفة الكف ما أخرجه مسلم (١٠١٤) من طريق سعيد بن يسار، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمٰن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمٰن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**». القول المفيد (٢/ ٥٤٧).

[٤] **الخردلة**: هي حبةٌ صغيرةٌ جداً.

علاقة الأثر بالباب: أن فيه بياناً لعظمة يد الله ﷻ؛ وذلك لصغر السماوات والأرضين في يد الله، وهذا فيه بيان لعظمة الله ﷻ الواردة في الآية.

[٥] أخرجه: ابن جرير الطبري (٢٤/ ١٧)، من طريق عمرو بن مالك النُكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس ﭫ. صححه: شيخ الإسلام ابن تيمية، وسليمان بن عبد الله. الفتاوى (١٦/ ٤٣٩)، إبطال التنديد (١٧٠).

الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»﴿١﴾. وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري﴿٢﴾ فلاة من الأرض»﴿٣﴾﴿٤﴾.

﴿١﴾ أخرجه: ابن جرير الطبري (٣/ ٧)، من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن النبي ﷺ. قال الذهبي: هذا مرسل، وعبد الرحمٰن ضعيف. اهـ. والترس: شيء من جلد أو خشب يحمل عند القتال يتقى به السيف والرمح ونحوهما.

علاقة الحديث بالباب: أن فيه بياناً لعظمة موضع قدمي الله ﷻ؛ وذلك لصغر السماوات بالنسبة للكرسي الذي هو موضع قدمي الله، وهذا بيان لعظمة الله الواردة في الآية. العلو «للذهبي» (١/ ١١٧).

﴿٢﴾ قال عثمان بن منصور (١٢٨٢هـ): هكذا في خط الشيخ رحمه الله، والصحيح ظهراني. اهـ. فتح الحميد (٤/ ٢١٠٠).

﴿٣﴾ **علاقة الحديث بالباب**، أن فيه بياناً لصغر الكرسي الذي يكبر السماوات بالنسبة للعرش الذي استوى عليه الله ﷻ، وهذا فيه بيان لعظمة الله ﷻ الواردة في الآية؛ لأن الله أعظم من العرش الذي يكبر الكرسي بأضعاف كثيرة. قال ابن عثيمين: وهذا الحديث يدل على عظمته ﷻ فيكون مناسباً لتفسير الآية التي جعلها المؤلف ترجمة للباب. اهـ. القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥٤٨).

﴿٤﴾ أخرجه: ابن جرير (٣/ ٧)، من طريق عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه. قال الذهبي: أول الحديث مرسل - أي، عن زيد، عن النبي ﷺ -، وعن أبي ذر رضي الله عنه منقطع. اهـ. أي: منقطع بين زيد بن أسلم وأبي ذر رضي الله عنه. ورواه ابن مردويه «تفسير ابن كثير البداية والنهاية» (١/ ١٣)، من طريق محمد بن أبي سري العسقلاني، عن محمد بن عبد الله التميمي، عن القاسم بن محمد الثقفي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما السمٰوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**». وإسناده ضعيف؛ لأن ابن أبي سري لين الحديث كما قال أبو حاتم، وكثير الخطأ كما قال ابن عدي. ومحمد بن عبد الله، قال العقيلي: لا يقيم الحديث. وقال ابن عدي: له أفراد. اهـ. والقاسم =

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام﴿١﴾، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش﴿٢﴾﴿٣﴾ لا يخفى عليه شيء من

= مجهول، كما قال ابن حجر. وتابع القاسم بن محمد كل من: يحيى الغساني ـ والراوي عنه إبراهيم بن هشام، وهو كذاب كما قال أبو حاتم، وأبو زرعة ـ، وإسماعيل بن مسلم ـ ضعيف، والراوي عنه المختار بن غسان لم يوثقه أحد ـ. ورواه ابن عدي «الكامل» (٧/ ٢٤٤)، من طريق يحيى بن سعيد السعدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر مرفوعاً. قال ابن عدي: وهذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر. وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد عن أبي ذر. والثالث حديث ابن جريج. وهذا أنكر الروايات، ويحيى بن سعد هذا يعرف بهذا الحديث.اهـ.

الضعفاء «للعقيلي» (٤/ ٩٤)، الكامل (٧/ ٢٤٤)، الإبانة (٣/ ١٨٤)، التهذيب (٥/ ١٠، ٦٨، ١٨٥، ٢٧١)، التقريب (٥٠٢).

﴿١﴾ قال ابن باز (١٤٢٠هـ): وله روايات أخرى أن بين السماء الدنيا مسيرة إحدى وسبعين سنة أو اثنتين وسبعين سنة أو ثلاث وسبعين سنة. وجمع بعض العلماء بينهم بأن السير يختلف، وأن خمسمائة عام بالنظر إلى الأحمال وسير الأقدام والسير العادي. وثلاث وسبعون سنة بالنظر إلى السير الخفيف القوي، فإن مقداره يكون بمقدار السدس بالنسبة إلى سير الأحمال المثقلة ونحو ذلك.اهـ. التعليق المفيد (٢٨٤).

﴿٢﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ): إن القول بأن الله فوق العرش هو مما اتفقت عليه الأنبياء كلهم، وذكر في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، وقد اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها من جميع الطوائف وجميع طوائف الصفاتية تقول بذلك الكلابية وقدماء الأشعرية وأئمتهم والكرامية وقدماء الشيعة من الإمامية وغيرهم. بيان تلبيس الجهمية.اهـ. (٢/ ٩). وقال أيضاً: وكونه فوق العرش هو صفة من صفاته ﷻ.اهـ. بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٧٦).

﴿٣﴾ اختلفوا هل العرش هو الكرسي أو غيره على أربعة أقوال: =

أعمالكم»﴿١﴾. أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله﴿٢﴾، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي، رحمه الله تعالى. قال: وله طرق﴿٣﴾.

= **أحدها**: أن الكرسي هو العرش نفسه كما قال الحسن؛ لأن العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه. ونوقش: ١ ـ أن مادة الكرسي غير مادة العرش. ٢ ـ أن الله وصف العرش بصفات غير صفات العرش.

القول الثاني: أن الكرسي غير العرش، وهو الصواب، ويدل عليه ما رواه الحاكم (المستدرك ٢/ ٣١٠)، وصححه، من طريق سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره. وما رواه سعيد بن منصور، بسند صحيح كما قال ابن حجر (الفتح ١٣/ ٤١١)، عن السدي قال: إن السمٰوات والأرض في جنب الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة، والكرسي في جنب العرش كحلقة ملقاة في فلاة. وجاء عن ابن عباس، ومسلم بن البطين، ووهب بن منبه، والسدي أن الكرسي موضع القدمين.

القول الثالث: أن الكرسي هو العلم، قال ابن عباس: كرسيه علمه. ونوقش: ١ ـ أن ابن عباس وابن مسعود، وأبي موسى، ومجاهد، والقرطبي قالوا أن الكرسي مخلوق وهو غير العلم. ٢ ـ أن مادة الكرسي غير مادة العلم.

القول الرابع: المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة؛ لأن الكرسي موضع الملك والسلطان. ونوقش: هذا تأويل بعيد؛ لأنه قد وردت في السنة آثار مستقلة تذكر الكرسي.

﴿١﴾ **علاقة الأثر بالباب**، أن فيه بياناً لعظم حجم السماوات التي جاء في الأحاديث صغر حجمها بالنسبة ليد الله وكرسيه، وأنها إذا كانت بهذه العظمة صغيرة بالنسبة ليد الله، دل ذلك على عظمة الله عز وجل الواردة في الآية.

﴿٢﴾ أخرجه: ابن خزيمة (١٠٥)، من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود موقوفاً. صححه: ابن خزيمة، وابن القيم، والذهبي، وابن باز. اجتماع الجيوش الإسلامية (١٠٠)، العلو (٦٤)، التعليق المفيد (٢٨٤).

﴿٣﴾ العلو «للذهبي» (٦٤).

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»[1]. أخرجه أبو داود وغيره[2].

أخرجه: أحمد (١/ ٢٠٦)، وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، من طريق سِمَاك بن حرب[3]، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن ابن العباس بن

﴿١﴾ **علاقة الحديث بالباب**، أن فيه بياناً لعظم حجم السماوات التي جاء في الأحاديث صغر حجمها بالنسبة ليد الله وكرسيه، وأنها إذا كانت بهذه العظمة صغيرة بالنسبة ليد الله وموضع قدميه، دل ذلك على عظمة الله ﷻ الواردة في الآية.

﴿٢﴾ وهذا اللفظ عند الحاكم (٢/ ٣١٦). أما لفظ أبي داود والترمذي وابن ماجه فهو: «كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: «**ما تسمون هذه؟**»، قالوا: السحاب، قال: «**والمزن**»، قالوا: والمزن، قال: «**والعنان**»، قالوا: والعنان، قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً، قال: «**هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟**»، قالوا: لا ندري، قال: «**إن بُعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك** «حتى عدَّ سبع سمٰوات»، **ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**».

﴿٣﴾ قال ابن عبد البر (٤٦٣هـ): رواه عن سماك جماعة منهم أبو خالد الدالاني، وعمر، وابن أبي عمر، وابن أبي قيس، وشعيب بن أبي خالد، وابن أبي المقدام، وإبراهيم بن طهمان، والوليد بن أبي ثور. اهـ. التمهيد (٧/ ١٣٩).

عبد المطلب رضي الله عنه[١]. ويعرف هذا الحديث بـ«حديث الأوعال»[٢].

صحَّحه: ابن حزم، وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي، والجوزجاني، وسليمان بن عبد الله[٣].

جوَّده: ابن القيم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: تلقاه الأئمة بالقبول[٤].

ضعَّفه: البخاري، والترمذي، والقاضي عياض، وابن عدي، وابن العربي، وابن الجوزي، والعقيلي، والذهبي، وابن كثير[٥].

---

[١] قال القاضي عياض (٥٤٤هـ): ليس في غلظ الأرض وطبقاتها وما بينهما حديث ثابت. الفتوحات الوهابية بشرح الأربعين النووية «للشبرخيتي» (١٤).

[٢] قال ابن عبد البر: لا أعلم في هذا الباب حديثاً مرفوعاً إلا حديث عبد الله بن عميرة، وهو حديث مشهور بهذا الإسناد. اهـ. التمهيد (٧/ ١٣٩).

[٣] قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): هذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن، فلا عبرة بقول من ضعفه. اهـ. المحلى (٢/ ١٠٠)، التوحيد «لابن خزيمة» (١/ ٢٣٤)، المستدرك (٢/ ٢٨٨)، الأباطيل (١/ ٧٩)، قرة عيون الموحدين (٢١٣).

[٤] الفتاوى (٣/ ١٩٢)، تهذيب السنن (٧/ ٩٢)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢٠٧).

[٥] **وضعفه الشيخ**: عبد الله السعد. قال الترمذي: حسن غريب. اهـ. وحسن غريب تضعيف عند الترمذي. ويدل لذلك ما نقله ابن القيم وابن حجر عن الترمذي أنه قال عن حديث أنه حديث حسن، ثم قال الترمذي: وإنما لم نقل لهذا الحديث: صحيح؛ لأنه يقال: إن الأعمش دلس فيه. اهـ. قال المعلمي: الترمذي له اصطلاح في التحسين والتصحيح وهو أن الحديث إذا روي من طريقين ضعيفين يسميه حسناً. اهـ. وقال بشار عواد: وكل حديث اقتصر على تحسينه الترمذي فهو معلول عنده، وقد تتبعت ذلك وعرفته بالدراسة والبحث والتقصي. اهـ. جاء عن الذهبي أنه حسنه، وهذا التحسين في كتابه العلو قبل أن ينقحه، أما في نسخة ابن ناصر الدين ـ وهي الأخيرة ـ ففيها أن الذهبي أعل الحديث، ذكر ذلك عبد الله البراك في تحقيقه لكتاب العلو. =

والحديث ضعيف؛ لأمور:

١ ـ أن سماك بن حرب ليس من المتثبتين كما قال يعقوب بن شيبة، وهو ممن يخطئ كما قال ابن حبان﴿١﴾، وقد تفرد بهذا الحديث كما قال مسلم والذهبي﴿٢﴾، وما تفرد به لا يقبل كما قال النسائي﴿٣﴾.

٢ ـ أن كبار أصحاب سماك؛ كشعبة وسفيان الثوري، لم يرووا الحديث﴿٤﴾.

٣ ـ الاختلاف في رفعه ووقفه﴿٥﴾.

٤ ـ الاختلاف على سماك في إسناده﴿٦﴾.

= التاريخ الكبير (٥/ ١٥٩)، الكامل (٧/ ٢٠٠، ٩/ ٢٧)، والضعفاء «للعقيلي» (٢/ ٢٨٤)، انظر: علل الترمذي «لابن رجب»، رفع الاشتباه (١٥٧)، تلخيص كتاب العلل المتناهية «للذهبي» (٢٣)، العلو (٩٨)، فتح المجيد (٥١٧)، النقد الحديثي عند الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام «لعمر مكي» (٤٦).

﴿١﴾ قال ابن حبان (٣٥٤هـ): يخطئ كثيراً. اهـ. الثقات (٤: ٣٣٩).

﴿٢﴾ قَالَ مُسلم (٢٦١هـ): انْفَرد سماك بن حَرْب بالرواية عَن عبد الله بن عميرَة. الوحدان (١٤)، العلو (٩٨)، التهذيب (٢٠/ ٣١٣).

﴿٣﴾ قال النسائي (٣٠٣هـ): كان ربما لقن، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلقن فيتلقن. اهـ. قال ابن رجب: أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث ـ إذا تفرد به واحد وإن لم يرو الثقات خلافه ـ: إنه لا يتابع عليه، ويجعلون ذلك علة فيه، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً. اهـ. شرح العلل الترمذي (١/ ٣٥٢). التهذيب (٤/ ٢٣٤).

﴿٤﴾ قال يعقوب بن شيبة (٢٦٢هـ): ومن سمع منه قديماً مثل شعبة وسفيان، فحديثهم عنه صحيح مستقيم. اهـ. الفتح (١/ ٣٠٠)، التقريب (٢٥٦).

﴿٥﴾ قال الترمذي (٢٧٩هـ) ـ بعد أن ذكره مرفوعاً ـ: وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث وأوقفه ولم يرفعه. اهـ. سنن الترمذي (٥/ ٤٢٤).

﴿٦﴾ قال المزي (٧٤٢هـ): روى ـ عبد الله بن عميرة ـ، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب حديث الأوعال. روى عنه سماك بن حرب، قاله =

٥ ـ أن عبد الله بن عميرة فيه جهالة كما قال الذهبي[١]، ولم يصرح بالتحديث بينه وبين الأحنف بن قيس كما قال البخاري[٢]، وقد تفرد به كما قال البزار[٣].

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. **الثانية**: إن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها. **الثالثة**: أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ صدَّقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك. **الرابعة**: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم. **الخامسة**: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى. **السادسة**: التصريح بتسميتها الشمال[٤]. **السابعة**: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

= عمرو بن أبي قيس، والوليد بن أبي ثور، وإبراهيم بن طهمان، وشريك، عن سماك. وقال شريك مرة: عن سماك، عن عبد الله بن عمارة، وهو وهم. وقال أبو نعيم: عن إسرائيل، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة أو عمير. والأول أصح. وقال أبو أحمد الزبيري: عن إسرائيل، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن زوج درة بنت أبي لهب. اهـ. التاريخ الكبير (٥/ ١٥٩)، تهذيب الكمال (١٥/ ٣٨٦).

﴿١﴾ قال إبراهيم الحربي (٢٨٥هـ): لا أعرفه. اهـ. الميزان (٢/ ٤٦٩)، التهذيب (٢٠/ ٣١٣).

﴿٢﴾ التاريخ الكبير (٥/ ١٥٩).

﴿٣﴾ قال البخاري (٢٥٦هـ): لا نعلم له سماعاً من الأحنف. اهـ. وقد رواه إسرائيل، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن زوج درة بنت أبي لهب. التاريخ الكبير (٥/ ١٥٩)، البزار (٤/ ١١٥)، الفتاوى (٣/ ١٩٢)، تهذيب الكمال (١٥/ ٣٨٦)، الميزان (٢/ ٤٦٩).

﴿٤﴾ ذهب لوصف اليد الأخرى لله بالشمال عثمان بن سعيد الدارمي، وأبو يعلى الفراء، وإمام الدعوة، وصديق حسن خان، ومحمد خليل الهراس، وعبد الله الدويش، وابن باز، وابن غنيمان. واستدلوا بحديث ابن عمر، ولقوله ﷺ في =

الثامنة: قوله: كخردلة في كف أحدكم. **التاسعة:** عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء. **العاشرة:** عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي. **الحادية عشرة:** أن العرش غير الكرسي والماء. **الثانية عشرة:** كم بين كل سماء إلى سماء. **الثالثة عشرة:** كم بين السماء السابعة والكرسي. **الرابعة عشرة:** كم بين الكرسي والماء. **الخامسة عشرة:** أن العرش فوق الماء. **السادسة عشرة:** أن الله فوق العرش. **السابعة عشرة:** كم بين السماء والأرض. **الثامنة عشرة:** كثف كل سماء مائة سنة. **التاسعة عشرة:** أن البحر الذي فوق السماوات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة، والله أعلم.

= الحديث الذي أخرجه البزار (٢١٤٤)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: «**خلق الله آدم عليه السلام حين خلقه فضرب كتفه الأيمن فأخرج ذريته بيضاء، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذريته سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في يساره إلى النار ولا أبالي**»، وحملوا قوله: «**كلتا يديه يمين**» على أنه قاله على جهة التأدب؛ وذلك أنه لما كانت اليسار في حقنا أنقص من اليمين وأقل رتبة منها بين ﷺ أن كلتا يدي الله يمين مباركة. وذهب الإمام أحمد، وابن خزيمة، والخطابي، والبيهقي إلى عدم وصف يد الله الأخرى بالشمال. وأجابوا على حديث ابن عمر بأن زيادة «بشماله» شاذة، وأن حديث أبي الدرداء الضمائر فيه تعود على آدم عليه السلام.

قال القحطاني:

وله يدان كما يقول إلهنا ... ويمينه جلَّت عن الأثمان

كلتا يدي ربي يمين وصفها ... فهما على الثقلان منفقتان

قال ابن عثيمين: وعلى كل، فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى، بل كلتا يديه يمين. والواجب علينا أن نقول: إن ثبتت عن رسول الله ﷺ فنحن نؤمن بها ولا منافاة بينها وبين قوله: «**كلتا يديه يمين**» كما سبق، وإن لم تثبت فلن نقول بها. اهـ.

شرح السُّنَّة (١٠/ ٦٤)، الأسماء والصفات (٤١٩)، طبقات الحنابلة «لأبي يعلى» (١/ ١٣١)، التعليق المفيد (٢٨٢)، القول المفيد (٢/ ٥٤٧).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين﴿١﴾.

﴿١﴾ قال عبد الرحمٰن بن حسن (١٢٨٥هـ): وقد ابتدأ المصنِّف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا المصنَّف العظيم ببيان توحيد الإلٰهية؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد. فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه، وأعطاه القدرة على الدعوة إليه والجهاد لمن حالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرر هذا التوحيد، كما ترى في هذه الأبواب، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات. . وما زال أهل السُّنَّة متمسكين بذلك، لكنهم قلوا فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع التوحيد، فقررها بأدلتها، فللّٰه الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدت غربة الإسلام، فضلّ عنه من ضل من أهل القرى والأمصار وغيرهم، وبالله التوفيق. فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإلٰه وفعله ... كذلك الأسماء للرحمٰن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

قرة عيون الموحدين (٢٦٥).

وقال صالح آل الشيخ: أسأل الله في ختام هذا الكتاب أن يجزي مؤلفه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وأن يجزي كل من ساهم في شرح هذا الكتاب بما أفهمنا من معانيه، فإنه والله لكتاب عظيم، اشتمل على ما به نجاة العباد لو شعروا، وقرب به الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصوص الكتاب والسُّنَّة، وأفهمنا دلائلها بما نرجو معه النجاة بعفو الله ـ جل وعلا ـ وكرمه.

هذا ووصية أخيرة أختم بها هذا المجلس المبارك، فأوصي بالعناية بهذا الكتاب عناية عظيمة، وحفظه، ودراسته، وتأمل مسائله، ومعرفة ما فيه، فإنه الحق الذي كان عليه الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم من صالحي عباد الله، هذا وأن الانصراف عن مدارسة ما احتواه مما يجب على العبد تجاه ربه لنذير سوء، وإن الإقبال عليه لمؤذن بالخير والبشرى، وأسأل الله أن يغفر لنا زللنا وخطلنا، وأن يعفو عنا ما أخطأنا فيه، وأن يجعلنا من المعفو عنهم، ونسأل الله التسامح، وأن يجعلنا من المحققين لتوحيده، وأنه لا حول لنا ولا قوة إلا به، اللَّهم فكن لنا يا كريم، اللَّهم فكن لنا يا كريم، اللَّهم فكن لنا يا كريم، وصلى الله وبارك على نبينا محمد.
التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٤٣).



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

دار ابن الجوزي 8428146
112614



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com